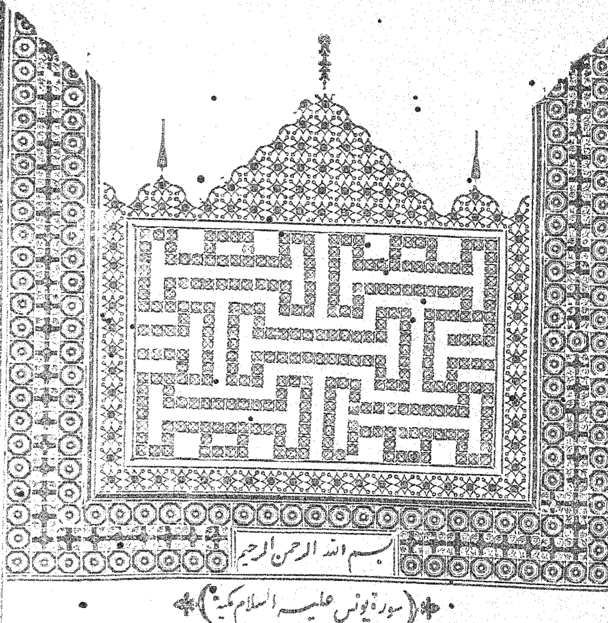
فهرسة الجزء الثاني من تفسير العلامة الخطيب الشربيني

(الحكيم) أى المحكم وقوله تعالى (أكان للناس) أى أهل مكة استفهام انكار للتعجب وقوله تعالى (عجبا) خبر كان والعجب تغير النفس بما لا تعرف سببه مما خرج عن العادة ثم ذكر الحامل على العجب وهو اسم كان بقوله تعالى (أن أوحينا) أى ايحاؤنا (الى رجل منهم) أى من أهل مكة ومن قريش وهو محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون صدقه ونسبه وأمانته قيل كانوا يقولون العجب ان الله تعالى لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة وهو لم يكن صلى الله عليه وسلم يقصر عن عظمائهم فيما يعتبر فيه الا فى المال وخفة المال أهون شئ فى هذا الباب ولذلك كان أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقد قال تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى (أن أنذر الناس) عامة أى اعلمهم مع التخويف ما أمامهم من البعث وغيره وأن هى المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا) اتباعهم فى الانذار لانه قل ان يسلم أحد من كبيرة أو صغيرة أو غيرة جليلة أو حقيرة على اختلاف الرتب وتباين المقامات وخص البشارة اذ ليس للكافر ما يصح ان يبشر به (أن) أى بأن (لهم قدم) أى سلف (صدق عند ربهم) اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وقال عطاء مقام صدق لا زوال له ولا بؤس فيه وقال زيد بن أسلم هو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد وقال أبو عبيدة كل سابق فى خير أو شر فهو عند العرب قدم قال الشاعر

صل لذى العرش واتخذ قدما ۞ ينجيك يوم العثار والندم

وهو مؤنث فيقال قدم حسنة وقدم صالحة وقوله تعالى (قال الكافرون ان هذا لسحر مبين) قرأه نافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر السين وسكون الحاء على ان الاشارة للقرآن المشتمل على ذلك والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على ان الاشارة للنبى صلى الله عليه وسلم (ان ربكم) الموجد لكم والمربى والمحسن هو (الله الذى خلق) أى قدر وأوجد (السموات والارض) على اتساعهما وكثرة ما فيهما من المنافع (فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (فان قيل) ان اليوم قد يراد به اليوم مع ليلته وقد يراد به النهار وحده فما المراد (أجيب) بان الغالب فى اللغة انه مراد باليوم اليوم بليلته ولما وجد سبحانه وتعالى هذا الخلق الكبير المتباعد الاقطار الواسع الانتشار المفتقر الى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير عبر سبحانه وتعالى عن حاله فيه بما الملوك فى عالم الكون بقوله مشيرا الى عظمته باداة التراخى (ثم استوى) أى عمل فى تدبيره وانفاذ ما فيه واحكامه عمل المتفق بذلك (على العرش) المتقدم وصفه فى الاعراف بالعظمة وليست ثم للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وبعد منالها ثم بين ذلك الاستواء بقوله (يدبر الامر) كله فلا يخفى عليه عاقبة أمر من الامور لان التدبير اعدل أحوال الملك فالاستواء كناية عنه وقوله تعالى (ما من شفيع الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته جل وعلا ورد على من

في هود خطاب الكفار فقط بقرينة قوله تعالى وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير (قوله يفصل الآيات لقوم يعلمون) خص العلماء مع انه تعالى



(سورة يونس عليه السلام مكية)

الايات كنت فى شك الآيتين أو الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية فمانية وتسع أو عشر آيات وعدد كلماتها ألف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا وهى أول العشرين جعلنا براءة مع الانفال من الطوال والانبراءة أولاهن (بسم الله) جامع العباد بعد تفريقهم بماله من العظمة والامتنان (الرحمن) الذى عمهم بالايجاد وخص منهم من شاء بالايمان (الرحيم) الذى خص أولياءه بالرضوان المبهج للجنان (الر) قال ابن عباس والضحاك الر أنا الله أرى والر أنا الله أعلم وأرى وقيل أنا الرب لا رب غيرى وقال سعيد بن جبير الر وحم ون حروف اسم الرحمن وقد سبق الكلام على حروف الهجاء أول البقرة واتفقوا على ان الر وحده ليس آية واتفقوا على أن قوله طه وحده آية والفرق أن قوله تعالى الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده بخلاف قوله تعالى طه فانه يشاكل مقاطع الآى التى بعده وقرأ قالون وابن كثير وحفص بفتح الراء والالف بعدها وورش بين اللفظين والباقون بالامالة المحضة (تلك) اى الآيات العظيمة جدا التى اشتملت عليها هذه السورة أو السورة التى تقدمت هذه السورة أو هذه الحروف المقطعة المشيرة الى أن القرآن كلام الله تعالى قد أعجز القادرين عن التلفظ بهذه الاحرف (آيات الكتاب) اى الذكر الجامع لكل خير وهو هذا القرآن الذى وافق كل ما فيه من القصص كل ما فى التوراة والانجيل من ذلك فدل ذلك على صدق الآتى به قطعا لانه لم يكن يعرف شيأ من الكتابين ولا جالس أحدا يعلمه

(سورة يونس عليه السلام)

(قوله إليه مرجعكم) قال ذلك هنا وقال فى هود الى الله مرجعكم لان ما هنا خطاب للمؤمنين والكفار بقرينة ذكرهما بعد وما

ج منزلان وثلث فينزل القمر كل ليلة منها منزلا فيستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان
ان تسعا وعشرين ليلة واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام
الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضائها وانتفاع الخلق بضوء
الشمس وبنور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة الشمس
تحصل السنة الى هذه الفصول الاربعة وبالفصول الاربعة تنتظم مصالح هذا العالم وبسبب
الحركة اليومية يحصل النهار والليل والنهار يكون زمانا للتكسب والطلب والليل يكون زمانا
للراحة (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا بالحق) اي لم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا تعالى الله عن ذلك
بل اظهارا لقدرته ودلائل وحدانيته ونظيره قوله تعالى في آل عمران ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى في سورة أخرى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا (يفصل) اي يبين (الآيات) اي الدلائل الباهرة
واحدة في اثر واحدة بيانا شافيا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير وأبو
عمرو وحفص بالياء والباقون بالنون ولما استدل سبحانه وتعالى على اثبات الالهية والتوحيد
بقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وثانيا باحوال الشمس
والقمر استدل ثالثا بقوله تعالى (ان في اختلاف الليل والنهار) اي بالمجيء والذهاب والزيادة
والنقصان ورابعا بقوله تعالى (وما خلق الله في السموات) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم
وغير ذلك (و) ما خلق الله في (الارض) من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك
(فائدة) اقسام الحوادث في هذا العالم محصورة في اربعة أقسام احدها الاحوال الحادثة
في العناصر الاربعة ويدخل فيها احوال الرعد والبرق والسحاب والامطار ويدخل فيها أيضا
احوال البحار والصواعق والزلازل والخسف وثانيها احوال المعادن وهي عجيبة كثيرة
وثالثها اختلاف احوال النبات ورابعها اختلاف احوال الحيوانات وجملة هذه الاقسام
الاربعة داخلة في قوله تعالى وما خلق الله في السموات والارض والاستقصاء في شرح هذه الاحوال
لا يدخل تحت الحصر بل كل ما ذكره العقلاء في احوال اقسام هذا العالم فهو جزء مختصر من
هذا الباب (لآيات) اي دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) الله فانه يحملهم على التفكر
والتذكر وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا
مخلوقة لشقاء الناس فيها وان خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان
كذلك فلا بد من أمر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في
الحقيقة دالة على صحة القول باثبات المبدأ واثبات المعاد ولما أقام الله سبحانه وتعالى الدلائل
القاهرة على صحة القول باثبات الاله الرحمن وعلى صحة القول باثبات الاله الرحيم الحكيم وعلى
صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح احوال من يكفر بها وشرح احوال من
يؤمن بها وقد ابتدأ بأولها ووصفه باربع صفات مبتدئا بأولها بقوله تعالى (ان الذين لا يرجون
لقاءنا) اي لا يخافونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فهم مكذبون
بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف وبمعنى الطمع فمن الاول قول العرب فلان
لا يرجو فلانا بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول أبي ذؤيب

للتعقيب على اصلها (قوله
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم)
(ان قلت) كيف قال النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك مع
ان الله تعالى أنكر على
الكفار احتجاجهم
بمشيئته في قوله ...

زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن أذن له (ذلكم الله) اى الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) اى الذى يستحق العبادة منكم
(فاعبدوه) اى وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا
ينفع فان عبادتكم مع الشرك ليست عبادة ولولا فضله لم يكن ان نزل أدنى زلة طاعة وقوله
تعالى (أفلا تذكرون) قرأ حفص وحمزة والكسائى بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام
التاء فى الاصل فى الذال اى فلا تتفكرون أدنى تفكر فينبئكم عن انه المستحق للربوبية
والعبادة لا ما تعبدونه (اليه) تعالى (مرجعكم) اى رجوعكم بالموت والنشور حالة كونكم
(جميعا) لا يتخلف منكم احد فاستعدوا للقائه وقوله تعالى (وعد الله) مصدر منصوب بفعله
المقدر مؤكد لنفسه لان قوله تعالى اليه مرجعكم وعد من الله وقوله تعالى (حقا) اى صدقا
لاخلف فيه مصدر آخر منصوب بفعله المقدر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله (انه يبدأ
الخلق) اى يحييهم ابتداء (ثم يعيده) اى ثم يميتهم ثم يحييهم وفى هذا دليل على الحشر والنشر
والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكرى البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام
المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفريقها بالموت والبلى
فيركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة أخرى فاذا ثبت القول
بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصى
وهو قوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) اى بالعدل لا ينقص من
اجورهم شيأ (والذين كفروا لهم شراب من حميم) وهو ماء حار قد انتهى حره (وعذاب أليم)
اى بالغ فى الايلام (بما كانوا يكفرون) اى بسبب كفرهم (هو الذى جعل الشمس ضياء) اى
ذات ضياء (والقمر نورا) اى ذا نور وخص الشمس بالضياء لانه أقوى وآكد من النور وخص
القمر بالنور لانه أضعف من الضياء لان الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيره بعرض مقابلة
الشمس والاكتساب منها وقرأ قنبل بهمزة مفتوحة ممدودة بعد الضاد والباقون بياء مفتوحة
والضمير فى قوله تعالى (وقدره منازل) يرجع الى الشمس والقمر اى قدر مسير كل واحد منهما
منازل أو قدره ذا منازل او يرجع الى القمر فقط وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة
منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله تعالى (لتعلموا عدد السنين والحساب) اى
حساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم لان الشهور المعتبرة فى
الشريعة مبنية على رؤية الاهلة والسنة المعتبرة فى الشريعة هى السنة القمرية كما قال تعالى
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله (فائدة) منازل القمر ثمانية وعشرون
منزلا وأسماؤها الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع
والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانى
والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد
السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت وهذه
المنازل مقسومة على البروج وهى اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فلكل

فصل الآيات المجملاء أيضا لان انتفاعهم بالتفصيل أكثر (قوله وما كانوا ليؤمنوا) قاله هنا بالواو تبعا لها فى قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات وقاله فى مواضع أخر بالفاء

فيما بينهم وتحية الملائكة لهم (فيها) أي الجنة (سلام) وتأتيهم الملائكة أيضا من عند ربهم
بالسلام قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى سلام قولا من
رب رحيم الرابعة قوله تعالى (وآخر دعواهم) أي وآخر دعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) أي
أن يقولوا ذلك وأن هي المخففة من الثقيلة وقد ذكرنا أن بعض المفسرين حمل التسبيح
والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب فإنهم إذا اشتهوا شيئا قالوا
سبحانك اللهم فيحصل ذلك الشيء فإذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند
ذلك قال الرازي وهذا القائل أرق نظره في دنياه وأخراه عن المأكول والمشروب وحقيق
بمثل هذا الإنسان أن يعد في زمرة البهائم وأما المحققون فقد تركوا ذلك لأنه ولا تنبغي هذه
المبالغة فقد نقله البغوي وتبعه جماعة من المفسرين وقال الزجاج أعلم الله أن أهل الجنة
يفتتحون بتعظيم الله تعالى وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه قال البيضاوي المعنى أنهم
إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم
الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه
بصفات الإكرام ولما وصف الله تعالى الكفار بأنهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأنوا بها وكانوا عن آيات الله غافلين بين أن من غفلتهم أن الرسول متى أنذرهم استعجلوا
العذاب جهلا منهم وسفها بقوله تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) أي ولو يعجل الله للناس
إجابة دعائهم بالشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه (استعجالهم بالخير) أي كما يحبون أن يعجل لهم
إجابتهم بالخير (لقضي إليهم أجلهم) أي لأهلكهم ولكن يمهلهم نزلت في النضر بن الحرث حين
قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
يدل عليه قوله تعالى (فنذر) أي فنترك (الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) أي في تمردهم
وعتوهم (يعمهون) أي يترددون متحيرين وقال ابن عباس هذا في قول الرجل عند الغضب
لأهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما
يكره أن يستجاب له فيه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اللهم إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه إنما أنا بشر فأي المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلدته أو
لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة (فإن قيل) مقابل التعجيل في
الآية بالاستعجال وكان مقتضى النظم أن يقابل التعجيل بالتعجيل والاستعجال بالاستعجال
(أجيب) بأن تقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه وقال في الكشاف أصل هذا الكلام
ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير إلا أنه وضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم بالخير
إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم ولما حكى
تعالى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب بين أنهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال بقوله
تعالى (وإذا مس الإنسان) أي الكافر (الضر) أي المرض والفقر (دعانا لجنبه) أي على جنبه
مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار
المعنى أنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه ويؤذيه فإنه يتضرع إلى الله تعالى في إزالته عنه

أن يحتج بذلك إذا أصره الله
به (قوله ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا
ينفعهم) إن قلت كيف
نفى عن الأصنام الضر
والنفع هنا وأثبتهما في
قوله في الحج يدعو لمن ضره

الهذلي * اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * اي لم يخفها ومن الثاني قولهم فلان يرجو فلانا اي
يطمع فيه والمعنى لا يطمعون في ثوابنا والصفة الثانية والثالثة قوله تعالى (ورضوا بالحيوة
الدنيا واطمأنوا بها) فيعملون انها محل المقيم فيها مع ما يشاهدونه من سرعة زوالها متمكنين في
لذاتها وزخارفها وسكنوا اليها سكون من لا يبرح عنها والصفة الرابعة قوله تعالى (والذين هم عن
آياتنا) اي دلائل وحدانيتنا (غافلون) تاركون النظر فيها بمنزلة الغافل عن الشيء الذي لا يخطر
بالبال طول عمره فكر ذلك الشيء وبالجملة فهذه الصفات الاربعة دالة على شدة بعدهم عن طلب
الاستعداد بالسعادات الاخروية ويحتمل أن الصفة الاخيرة لفريق آخر ويكون المراد بالاولين
من أنكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخر من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل
والاعداد له ولما وصفهم الله تعالى بتلك الصفات قال (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون)
من الشرك والمعاصي * ولما شرح أحوال المنكرين الجاحدين ذكر تعالى شرح من يؤمن بها
فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والاعمال الصالحة عبارة عن الاعمال التي تحمل
النفس على ترك الدنيا وطلب الآخرة والاعمال المذمومة ما يكون بالضد من ذلك (يهديهم)
اي يرشدهم (ربهم بايمانهم) اي بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة أو لما يريدونه
في الجنة أو لادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال
مجاهد المؤمنون يكون لهم نور يمشي بهم الى الجنة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن
اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة
والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار
ومفهوم ترتب الهداية على الايمان والعمل الصالح قد دل على أن سبب الهداية هو الايمان
والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله جل وعلا بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان
العمل الصالح كالتتمة والرديف * ثم انه تعالى لما وصفهم بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك
درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهي أربعة الاولى قوله تعالى (تجري من تحتهم الانهار في
جنات النعيم) اي يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من بين أيديهم
ينظرون اليها من أعالي أسرتهم وقصورهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا انهي
ما كانت قاعدة عليه ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من تحتي اي بين
يدي فكذا هنا الثانية قوله تعالى (دعواهم فيها) قال بعض المفسرين اي طلبهم لما يشتهون
في الجنة أن يقولوا (سبحانك) اي تنزهك من كل سوء ونقيصة (اللهم) اي يا الله فاذا ما طلبوه
بين أيديهم على موائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون
من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى فذلك قوله تعالى
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين او أن المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة
بالتسبيح والتحميد والتقديس لله تعالى والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذكر سرورهم
وابتهاجهم وكمال لذاتهم وهذا أولى ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يبولون ولا
يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح
والتحميد كما يلهمون النفس اي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا الثالثة قوله تعالى (وتحيتهم)

فيها

لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا
وامثال هذا لا ينبغي لمن فعل
معصية ان يحتج لو شاء الله
ما فعلنا (قلت) انما قال
النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك بأمر الله تعالى له فيه
بقوله قل الى آخره والمعاصي

ماذا الا لينظر الى أعمالنا فافعل والله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار قال الزجاج وموضع
كيف نصب بقوله تعملون اى لا معمول لننظر لانها حرف استفهام والاستفهام لا يعمل
فيه ما قبله لان له صدر الكلام فلا يتقدمه عامله وظاهر كلامه ان كيف معمول لتعملون
وجمهور النحاة على انه حال من ضمير تعملون (واذا تتلى عليهم) اى واذا قرئ على هؤلاء
المشركين (آياتنا) اى القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد حالة كون تلك الآيات (بينات) اى
ظاهرات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) اى لا يخافون
عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث بعد
الموت فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (ائت) اى من عندك (بقرآن) اى كلام مجموع جامع
لما نريد (غير هذا) فى نظمه ومعناه (او بدله) بالفاظ أخرى والمعانى باقية وقد كانوا عالمين بانه
صلى الله عليه وسلم مثلهم فى العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا ان يأخذ فى التغيير حرصا على اجابة
مطلوبهم فيبطل مدعاه أو يهلك واختلف فى هذا القائل فقال قتادة هم مشركوا أهل مكة
وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو
بن عبد الله بن أبى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم
ان كنت تريد أن نؤمن بك فأت بقرآن ليس فيه ترك لعبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه
عيبها وان لم ينزله الله فقل أنت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة او مكان
حرام حلالا او مكان حلال حراما ولما كان كأنه قيل فماذا أقول لهم قال الله تعالى (قل) لهم
(ما يكون) أى ما يصح (لى) ولا يتصور بوجه من الوجوه (ان ابدله من تلقاء) اى قبل
(نفسى) وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر
وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون (ان) اى ما (أتبع الا ما يوحى الى) فيما
آمركم به أو أنهاكم عنه اى لا آتى بشئ ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحى الله تعالى
وأوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبديل
ولا نسخ (انى أخاف ان عصيت ربى) اى بتبديله (عذاب يوم عظيم) فانى مؤمن به غير مكذب
لاشك كغيرى ممن يتكلم بالهذيان بلا اتخاف عاقبته فى ذلك اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة
عما ارضعت وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون (قل) يا محمد
لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) اى لو شاء
الله لم ينزل هذا القرآن ولم يامرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) اى ولا اعلمكم به على لسانى
وقرأ ابن كثير بخلاف عن البزى بقصر الهمزة بعد اللام جواب لو اى لا علمكم به على لسان
غيرى والباقون بالمد المنفصل وقوله تعالى (فقد لبثت) اى مكثت قراءة نافع وابن كثير و
عاصم باظهار الثاء عند التاء والباقون بالادغام (فيكم عمرا) سنين أربعين (من قبله) اى قبل
ان يوحى الى هذا القرآن لا أتلوه ولا اعلمه ففى ذلك اشارة الى ان هذا القرآن معجز خارق للعادة
فتقريره ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول عمره الى ذلك
الوقت وكانوا عالمين باحواله وأنه ما طالع كتابا ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من احد ثم بعد انقراض
اربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفائس علم الاصول ودقائق

قوله لانها حرف استفهام كذا فى النسخ وظاهر ان كيف اسم لا حرف اه مصححه

بعد قوله يبغون معنى ان البغى هو الفساد من قولهم بغى الجرح اى فسد لا يكون الا بغير الحق (قلت) قد يكون الفساد بحق كاستيلاء المسلمين على ارض الكفار وهدم

وفي دفعه عنه وذلك يدل على انه ليس صادقا في طلب الاستعجال (فلما كشفنا عنه ضره) اى
أزلناه عنه مانزل به (مر) اى مضى على ما كان عليه من الكفر (كأن لم يدعنا) اى كأنه فأسقط
الضمير على سبيل التخفيف ونظيره قوله تعالى كأن لم يلبثوا (الى ضر مسه) قال الحسن نسي
ما كان دعا الله فيه وما صنع الله به في ازالة ذلك البلاء عنه وانما حمل الانسان في هذه الآية على
الكافر لان العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة وقول بعضهم كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر
الانسان فالمراد هو الكافر مردود فقد قال تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر وقال
تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه وأما المؤمن اذا ابتلي ببلية أو محنة وجب عليه رعاية أمور أولها ان يكون
راضيا بقضاء الله تعالى غير معترض بالقلب واللسان عليه وانما وجب عليه ذلك لانه تعالى مالك
على الاطلاق وملك بالاستحقاق فله ان يفعل في ملكه ما شاء ولانه تعالى حكيم على الاطلاق وهو
منزه عن فعل العبث فكل ما فعله فهو حكمة وصواب فيجب عليه الصبر وترك القلق فان أبقى
عليه تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل وثانيها انه في ذلك الوقت ان اشتغل بذكر
الله تعالى والثناء عليه بدلا عن الدعاء كان أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى
من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته أفضل ما أعطي السائلين ولان الاشتغال بالذكر اشتغال
بالحق والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس ولا شك أن الاول أفضل وثالثها انه تعالى
اذا أزال عنه تلك البلية وجب عليه أن يبالغ في الشكر وأن لا يخلو عن ذلك الشكر في السراء
والضراء وأحوال الشدة والرخاء فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول البلاء وحينئذ يكون
المؤمن على الضد من الكافر لان الكافر منهمك في الشهوات والاعراض عن العبادات كما
قال تعالى (كذلك) اى مثل ما زين لهؤلاء الكافرين هذا العمل القبيح (زين للمسرفين) اى
المشركين (ما كانوا يعملون) من القبائح لاعراضهم عن الذكر واتباعهم الشهوات وانما سمي
الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه بتضييعها في عبادة الاوثان وأتلف ماله في البحيرة والسائبة
والوصيلة والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف شاء وقيل
هو الشيطان وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك والاول أصح واظهر (ولقد أهلكنا
القرون) اى الامم الماضية (من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) اى حين أشركوا وقوله تعالى
(وجاءتهم رسلهم بالبينات) اى بالحجج الدالة على صدقهم حال من الواو باضمار قد أو عطف على
ظلموا (وما) اى والحال انهم ما (كانوا ليؤمنوا) اى وما استقام لهم ان يؤمنوا ولو جاءتهم كل
آية لعلمه تعالى بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي (كذلك) اى مثل ذلك الجزاء
العظيم وهو الاهلاك بسبب انهما كذبوا رسلهم (نجزي القوم المجرمين) اى نجزيكم يا أهل مكة
بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم
أعلام فيه (ثم جعلناكم) اى أيها المرسل اليهم أشرف رسلنا (خلائف) جمع خليفة (في الارض
من بعدهم) اى استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر) ونحن
اعلم بكم من أنفسكم في علم الشهادة لاقامة الحجة (كيف تعملون) من خير أو شر فنجازيكم به
وقد مر نظائر هذا ومنه قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الدنيا
خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وقال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا

(قلت) أقرب من نفعه
فيها عنه باعتبار الذات
وأنها باعتبار
واتباعهم السبب (قوله فلما أنجاهم
اذاهم يبغون في الارض
بغير الحق) ان قلت
ما فائدة قوله بغير الحق

حيط بكل محيط (بما لا يعلم) أى لا يوجد له به علم فى وقت من الاوقات استفهام انكار تهكم
بهم وبما ادعوه من المحال الذى هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذى انبؤا به باطل غير منطو
تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به علمه وقوله تعالى (فى السموات ولا فى الارض)
تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم وهذا على طريق الالزام والمقصود نفى علم
نفيه بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لكان معلوما لله تعالى وحيث لم
يكن معلوما لله تعالى وجب أن لا يكون معلوما موجودا وهذا مثل مشهور فى العرب فان
الانسان اذا أراد نفى شئ عن نفسه يقول ما علم الله ذلك منى ومقصوده أنه ما حصل ذلك الشئ
منه قط ولا وقع (سبحانه) اى تنزيها له عن كل شئ فيه شائبة نقص (وتعالى عما يشركون)
ما مصدرية أو موصولة اى عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة
والكسائى بالتاء على الخطاب لقوله تعالى أتنبئون الله والباقون بالياء على الغيبة فكأنه قيل
للنبى صلى الله عليه وسلم قل أنت سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى
هو الذى نزه نفسه عما قالوه فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ❊ ولما أقام تعالى الدلالة القاهرة
على فساد القول بعبادة الاصنام بين السبب فى كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد بقوله (وما
كان الناس الا امة واحدة) أى مجتمعا على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل على الضلال فى
فترة الرسل واختلف القائلون بالاول أنهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على
دين الاسلام من لدن آدم الى أن قتل قابيل هابيل وقال قوم الى زمن نوح وكانوا عشرة قرون
ثم اختلفوا فى عهد نوح فبعث الله تعالى اليهم نوحا وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من
زمن نوح بعد الغرق حيث لم يذر الله على الارض من الكافرين ديارا الى أن ظهر الكفر فيهم
وقال آخرون من عهد ابراهيم عليه السلام الى زمن عمرو بن لحى وهذا القائل قال المراد من
الناس فى قوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة العرب خاصة (فاختلفوا) بأن ثبت بعض
وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم الى يوم القيامة وقيل تلك الكلمة
هى قوله سبحانه سبقت رحمتى غضبى فلما كانت رحمته غالبة اقتضت تلك الرحمة الغالبة اسبال
الستر على الجاهل الضال وامهاله الى وقت الوجدان (لقضى بينهم) اى الناس بنزول العذاب
فى الدنيا دون يوم القيامة (فيما فيه يختلفون) من الدين باهلاك المبطل وابقاء المحق وكان ذلك
فصلا بينهم (ويقولون) اى كفار مكة (لولا) اى هلا (انزل عليه) اى محمد صلى الله عليه وسلم
(آية من ربه) اى غير ما جاء به كما كان للانبياء من الناقة والعصا واليد (فقل) يا محمد لهؤلاء
الكفرة المعاندين (انما الغيب) اى ما غاب عن العباد أمره (لله) اى هو المختص بعلمه ومنه
الآيات فلا يأتى بها الا هو وانما على التبليغ (فانتظروا) اى نزول ما اقترحتموه وقيل نزول
العذاب ان لم تؤمنوا (انى معكم من المنتظرين) اى لما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وجحودكم
الآيات وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة فى الآيات رفيعة السنا بين
المعجزات مع عجزكم عن معارضته بتبديل او غيره فاى عناد أعظم من هذا (واذا اذقنا الناس)
اى كفار مكة (رحمة) اى صحة وسعة (من بعد ضراء) اى شدة وبلاء (مستهم) سلط الله تعالى
القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى

(قلت) دون ماء الارض
لان ماء السماء وهو المطر
لا اثر لكسب العبد فيه
زيادة أو نقص اولا نه
يستوى فيه جميع الخلائق
بخلاف ماء الارض فيهما
فكان تشبيه مطابقة

علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق وأسرار قصص الاولين وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء
والبلغاء وكل من له عقل سليم فانه يعرف أن مثل هذا لا يحصل الا بالوحي والالهام من الله تعالى
(أفلا تعقلون) أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا أن مثل هذا الكتاب
العظيم على من لم يتعلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتابا ولم يمارس مجادلة أنه لا يكون الا على سبيل الوحي
من الله تعالى لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة
الافتراء اليه * (تنبيه) * أقام صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحي اليه بمكة ثلاث عشرة سنة ثم
هاجر فأقام بالمدينة عشر سنين وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة قال النووي وفي عمره صلى
الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها أنه توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة والثانية
خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي أصحها وأشهرها وتأولوا رواية ستين بأن
راويها اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس أيضا متأولة وحصل فيها اشتباه ولما
أقيمت الدلائل على أن هذا القرآن من عند الله وجب أن يقال انه ليس في الدنيا أحد أجهل
ولا أظلم على نفسه ممن أنكر ذلك كما قال تعالى (فمن) اي لا احد (أظلم ممن افترى) اي تعمد (على
الله كذبا) اي اي كذب كان من شريك وولد أو غير ذلك وكان الاصل مبني على تقدير ان لا
يكون هذا القرآن من عند الله ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تهمما وتعليقا للحكم بالوصف
(أو كذب بآياته) اي دلائل توحيده فكفر بها كما فعلتم أنتم وذلك من أعظم الكذب وقوله تعالى
(انه) اي الشأن (لا يفلح) بوجه من الوجوه (المجرمون) اي المشركون تأكيد لما سبق من
هذين الوصفين (ويعبدون) اي هؤلاء المشركون (من دون الله) اي غيره (ما لا يضرهم) اي
ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) أي ان عبدوه وهو الاصنام لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع
والكافرون قادرون على التصرف فيها تارة بالاصلاح وتارة بالافساد واذا كان العابد أصلح
حالا من المعبود كانت العبادة باطلة لان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر
وينفع بان يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل
مكة يعبدون العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء) اي الاصنام التي نعبدها
(شفعاؤنا عند الله) ونظيره قوله تعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقيل
انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا
بعبادة هذه التماثيل فان أولئك الاكابر يكونون شفعاء لهم عند الله قال الرازي ونظيره
في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم اذا عظموا قبورهم
فانهم يكونون شفعاء لهم عند الله اه ولكن تعظيمهم لهؤلاء ليس كتعظيم الكفار وفي هذه
الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون أنها تشفع لهم فيما يهمهم من أمور الدنيا في اصلاح
معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعث الموتى والثاني أنهم يزعمون أنها تشفع لهم
في الآخرة ان يكن بعث قاله ابن جريج عن ابن عباس وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط
جهالتهم حيث تركوا عبادة موجدهم الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع
على توهم أنه ربما يشفع لهم قال النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى
وقوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (أتنبئون) أي أتخبرون (الله) وهو العالم بكل شيء

احيط

دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ببني قريظة (قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) ان قلت لم شبه الحياة الدنيا بماء السماء

احاط بهم العدو (دعوا الله مخلصين) اى من غير اشراك به (له الدين) أى الدعاء لانهم لا يدعون حينئذ غيره لان الانسان فى هذه الحالة لا يطمع الا فى فضل الله ورحمته ويصير منقطعا عن جميع الخلق وبصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعا الى الله تعالى وقوله تعالى (لئن أنجيتنا من هذه) الشدائد التى نحن فيها وهى الريح العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول أو مفعول دعوا لانه من جملة القول أى لنكونن من الشاكرين لك بالايمان والطاعة على انعامك علينا بانجائنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) اى هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التى كانوا فيها اجابة لدعائهم (اذا هم يبغون) اى فاجؤا الفساد وسارعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والمعاصى (فى الارض) أى فيها (بغير الحق) * فان قيل البغى لا يكون بحق فما معنى قوله بغير (أجيب) بانه قد يكون بحق كاستيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة فان ذلك افساد بحق قال صاحب المفردات البغى على ضربين أحدهما محمود وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى الشبهة والآخر كفعل المسلمين مذكور (يا أيها الناس انما بغيكم) اى ظلمكم (على انفسكم) لعود وباله عليها خاصة قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين فى أخيه

يا صاحب البغى ان البغى مصرعة * فاربع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر وعلى تقدير الانتفاع بالبغى هو عرض زائل كما قال تعالى (متاع الحيوة الدنيا) أى لا يتهيأ لكم بغى بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها (ثم الينا) بعد البعث (مرجعكم) فى القيامة (فننبئكم) اى فنخبركم (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من البغى والمعاصى فنجازيكم عليها وقرأ حفص متاع بنصب العين على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا والباقون بالرفع على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ولما قال تعالى يا أيها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بمثل عجيب ضربه لمن يبغى فى الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها ويقوى اعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها بقوله تعالى (انما مثل الحيوة الدنيا) أى حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثانى بالاول (كماء انزلناه) وحقق امره وبينه بقوله تعالى (من السماء فاختلط به) اى بسببه (نبات الارض) اى اشتبك بعضه ببعض والاختلاط تداخل الاشياء بعضها فى بعض (مما يأكل الناس) من الحبوب والثمار ونحو ذلك (و) مما يأكل (الانعام) من الحشيش ونحوه (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) اى حسنها وبهجتها من النبات (وازينت) باظهار ألوان زهرها من ابيض واصفر واحمر وغير ذلك من الزهور كالعروس اذا

يعتقدون بها دائم الاصـ[illegible]
عبادة الله تعالى والتقرب
اليه لكن بطرق مختلفة
وفرقة قالت ليست [illegible]
أهلية لعبادة الله تعالى [illegible]
واسطة لعظمته فعبدنا[illegible]
ليقربونا الى الله زلفى و[illegible]

اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر كما قال تعالى (اذا لهم مكر في آياتنا) بالاستهزاء والتكذيب وقيل لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا والنوء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره (قل الله) أى قل لهم يا محمد الله (أسرع مكرا) منكم أى أعجل عقوبة وأشد أخذا وأقدر على الجزاء ومعنى الوصف بالاسرعية أنه قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكايدهم والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر فانهم لما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بأشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا) أى الحفظة الكرام الكاتبين (يكتبون ما تمكرون) لانهم وكلوا بكم قبل كونكم نطفا ولم يوكلوا بكم الا بعد علمهم بكل ما تفعلونه ولا يكتبون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه وتعالى فانه اذا قضى قضاء لا يمكن أن يطلع عليه رسله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين أنه عالم بامورهم وهم جاهلون باموره علم أنه لا يدعهم يدبرون كيدا الا وقد سبب له ما يجعله في نحورهم وقرأ أبو عمرو بسكون السين والباقون بالرفع ثم أخذ سبحانه وتعالى يبين ما يتضح به أسرعية مكره في مثال دال على ما في الآية قبلها لان المعنى الكلي لا يصل الى أفهام السامعين الا بذكر مثال جلي واضح يكشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي فقال (هو الذي يسيركم) اى يحملكم على السير في كل وقت تسيرون فيه لا تقدرون على الانفكاك عنه ويمكنكم منه (في البر والبحر) اى يسبب لكم اسبابا توجب سيركم فيهما وقرأ ابن عامر بعد الياء الاولى بنون ساكنة بعدها شين معجمة مضمومة والباقون بسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة ولما كان العطب بسير البحر أظهر مع أن السير فيه من أكبر الآيات وأوضح البينات بينه معرضا عن ذكر البر بقوله تعالى (حتى اذا كنتم) أى كونا لا براح لكم منه (في الفلك) اى السفن (فان قيل) كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر مع ان الكون في الفلك متقدم لا محالة على التسيير في البحر (أجيب) بانه لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير بل تقدير الكلام كانه قيل هو الذي يسيركم حتى اذا وقع في جملة تلك التسييرات الحصول في الفلك كان كذا وكذا ولفظ الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع فان اريد الواحد كان كبناء قفل أو الجمع كان كبناء حمر والمراد هنا الجمع لقوله تعالى (وجرين بهم) اى بمن فيها وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح والالتفات في الكلام عن الغيبة الى الحضور والعكس في فصيح كلام العرب (بريح طيبة) اى لينة الهبوب (وفرحوا بها) اى بتلك الريح وبالفلك الجارية بهم وقوله تعالى (جاءتها) جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) اى شديدة الهبوب فازعجت سفينتهم واساءتهم (وجاءهم الموج) اى وجاء ركاب السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلا من ضراب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (من كل مكان) اى يعتاد مجيء الموج منه فارجف قلوبهم (وظنوا انهم احيط بهم) اى فظنوا ان الهلاك قد احاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن

انسب (قوله قل من يرزقكم من السماء والارض) الى قوله فسيقولون الله (ان قلت) هذا يدل على انهم معترفون بان الله هو الخالق الرازق المدبر فكيف عبدوا الاصنام (قلت) كلهم كانوا

الداعي ليدخل الدار وليأكل من المائدة والدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم (و) الله
(يهدي من يشاء) من عباده بما يخلق في قلبه من الهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين
الاسلام عمم سبحانه وتعالى بالدعوة أولا اظهارا للحجة وخص بالهداية ثانيا اظهارا للقدرة لان
الحكم له في خلقه وقال الجنيد الدعوة عامة والهداية خاصة بل الهداية عامة والصحبة خاصة
بل الصحبة عامة والاتصال خاص وقيل يدعو بالآيات ويهدي الحقائق والمعارف وقيل الدعوة
لله والهداية من الله وقال بعضهم لا تنفع الدعوة لمن لم يسبق له من الله الهداية (للذين
احسنوا) اي بالايمان (الحسنى) وهي الجنة (وزيادة) وهي النظر اليه تعالى في الآخرة كما في
الحديث الصحيح اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون
اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه والزمخشري في كشافه قال في هذه زعمت
المشبهة والمجبرة لان المعتزلة ينكرون الرؤية ويرد عليهم قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة فاثبت الله لاهل الجنة امرين أحدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك
من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الحسنى
الحسنة والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد
الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول
ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم ولا مانع من ان تفسر الزيادة بذلك كله اذ
لا اتفاق فيها والفضل واسع (ولا يرهق) اي يغشى (وجوههم قتر) اي سواد (ولا ذلة) اي
كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان (أولئك) اي هؤلاء الذين وصفهم الله هم
(أصحاب الجنة) وقوله تعالى (هم فيها خالدون) اشارة الى كونها دائمة آمنة من الانقطاع ولا
زوال فيها ولا انقراض بخلاف الدنيا وزخارفها ولما بين تعالى حال الفضل في المحسنين بين
حال العدل في من اساء بقوله تعالى (والذين كسبوا السيئات) اي الشرك (جزاء سيئة) منهم
(بمثلها) بعدل الله من غير زيادة وفي ذلك اشارة الى الفرق بين السيئات والحسنات لان
الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة
تفضلا منه تعالى وتكرما واما السيئة فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه تعالى (وترهقهم) اي
تغشاهم (ذلة) عكس اهل الجنة (ما لهم من الله من عاصم) اي مانع يمنعهم من عذاب الله اذا
نزل بهم (كأنما اغشيت) اي البست (وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها
وقرأ ابن كثير والكسائي بسكون الطاء اي جزءا والباقون بفتحها جمع قطعة اي اجزاء
(أولئك) اي هؤلاء الاشقياء (اصحاب النار هم فيها خالدون) لانهم لا يمكنون من مفارقتها
(و) اذكر (يوم نحشرهم) اي الفريقين الناجين والهالكين العابدين منهم والمعبودين من كل
جانب وناحية الى موقف الحساب حال كونهم (جميعا) لا يتخلف منهم احد وهو يوم القيامة
والحشر الجمع بكره الى موقف واحد (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) اي الزموا مكانكم
لا تبرحوا منه حتى تنظروا ما يفعل بكم وقوله تعالى (انتم) تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر
ليعطف عليه (وشركاؤكم) اي من كنتم تعبدونه من دون الله (فزيلنا) اي فرقنا (بينهم) اي
بين المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين تبرأ كل معبود من

الكعبة قبيلة في عبادة
وفرقة اعتقدت ان على كل
صنم شيطانا موكلا بامره
فمن عبد الصنم حق
القيام فقد عبد الشيطان
عبادته فقد ... والا
هو انجح باسرائه

اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت ابدلت التاء زايا وادغمت في الزاي (وظن اهلها) اي اهل تلك الارض (انهم قادرون عليها) اي متمكنون من تحصيل جذاذها وحصادها (اتاها امرنا) اي قضاؤنا من البرد والحر المفرط او غيره (ليلا او نهارا) اي في الليل او في النهار (فجعلناها) اي زرعها (حصيدا) اي كالمحصود بالمناجل وقوله تعالى (كأن) مخففة اي كأنها (لم تغن) اي لم تكن (بالامس) تلك الزروع والاشجار قائمة على ظهر الارض وحذف المضاف من فجعلناها ومن كأن لم تغن للمبالغة * (تنبيه) * تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل وجوها الاول ان عاقبة هذه الدنيا التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء في الانتفاع به وقع الياس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا وضع قلبه عليها وعظمت رغبته فيها ياتيه الموت وهو معنى قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون اي خاسرون الدنيا وقد انفقوا اعمارهم فيها وخاسرون من الآخرة مع انهم توجهوا اليها الثاني انه تعالى بين انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة محمودة مع ان المنافع التي تحصل فيها مخلوطة بالمضار والمتاعب فان مادة الدنيا غير خالصة من الآفات بل هي ممزوجة بالبليات والاستقراء يدل عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل يارسول الله وما هو قال سرور يوم بتمامه الثالث ان مالك ذلك البستان لما عمره باتعاب النفس وكد الروح وعلق قلبه على الانتفاع به فاذا حصل ذلك السبب المهلك صار العناء الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقاء الشديد له في المستقبل وهو ما يحصل له في قلبه من الحسرات فكذا حال من وضع قلبه على الدنيا واتعب نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فات صار العناء الذي تحمله في تحصيل اسباب الدنيا سببا لحصول الشقاء العظيم له في الآخرة (كذلك) اي مثل هذا التفصيل الذي ذكرناه (نفصل الآيات) اي نبينها (لقوم يتفكرون) لانهم المنتفعون بها ولما نفر تعالى الغافلين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله تعالى (والله يدعوا) اي يعلق دعاءه على سبيل التجدد والاستمرار بالمدعوين (الى دار السلام) قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وسمى سبحانه وتعالى السلام لانه واجب الوجود لذاته فقد سلم من الفناء والتغير وسلم من احتياجه في ذاته وصفاته ومن الافتقار الى الغير وهذه الصفة ليست الا له سبحانه كما قال تعالى والله الغني وانتم الفقراء وقال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله وقيل السلام بمعنى السلامة وقيل المراد بالسلام الجنة سميت الجنة دار السلام لان اهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن كمال رحمته وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى الجنة التي هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله تعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه وعن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب

قالت الملائكة ذوجاه ومنزلة عند الله فاتخذنا اصناما على هيئة الملائكة ليقربونا الى الله وفرقة قالت جعلت الاصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى كما كان

ـكل حيوان حيوانا آخر والا لزم الذهاب الى ما لا نهاية له وذلك محال فثبت ان أغذية
الحيوانات يجب انتهاؤها الى النبات وثبت ان تولد النبات من الارض فثبت القطع بأن
الارزاق لا تحصل الا من السماء والارض (أمن يملك السمع) أي الاسماع (والابصار) أي من
يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الذي ركبا عليه من الفطرة العجيبة * عن علي رضي
الله تعالى عنه كان يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم أو من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه (ومن
يخرج الحي من الميت) كأن يخرج الانسان من النطفة والطائر من البيضة (ويخرج الميت
من الحي) كأن يخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطائر وقيل المراد أن يخرج المؤمن
من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي الميت في الموضعين بعد
الميم بكسر الياء المشددة والباقون بعد الميم بسكون الياء (ومن يدبر الامر) أي ومن يلي تدبير
أمر الخلائق وهو تعميم بعد تخصيص وذلك لان أقسام تدبير الله تعالى في العالم السفلي وفي
العالم العلوي وفي عالم الارواح والاجساد أمور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فلما ذكر
بعض تلك التفاصيل عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي ثم بين تعالى أن الرسول صلى الله
عليه وسلم اذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال (فسيقولون الله) اذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد في ذلك لفرط وضوحه واذا كانوا يقرون بذلك (فقل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) الشرك
مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة انما تحصل من فضل الله تعالى واحسانه
(فذلكم الله ربكم الحق) أي الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه واذ ثبت أن هذا هو الحق
وجب أن يكون ما سواه الا الضلال [illegible]
أحدهما الحق [illegible] أن يكون [illegible] (فماذا بعد الحق الا الضلال)
اذ لا واسطة بينهما [illegible]
[illegible] الضلال ولا الشبهة [illegible] قوله تعالى (فأنى) أي فكيف ومن أي جهة (تصرفون) أي
[illegible] بأن الله هو الحق [illegible] أي [illegible] الربوبية لله تعالى أو
[illegible] بعد الحق الا الضلال [illegible] (حقت كلمة ربك) في الازل (على الذين
فسقوا) أي تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح وقوله تعالى (أنهم لا يؤمنون) بدل
من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك والمراد بالكلمة العدة بالعذاب
وهو لا ملك [illegible] الآية وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون أو ذلك تفسير الكلمة
التي حقت وقرأ نافع وابن عامر كلمات بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الالف بعد الميم على
الافراد الحجة الثانية قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد لهؤلاء (هل من شركائكم) الذين زعمتموهم
شركاء وأشركتموهم في أموالكم من أنعامكم وزروعكم (من يبدأ الخلق) كما بدأه ليصح لكم
ما ادعيتم من الشركة (ثم يعيده) كما كان (فان قيل) هم غير معترفين بالاعادة فكيف احتج عليهم
تعالى بها كالابتداء في الالزام بها (أجيب) بأنها لظهور برهانها وان لم يقروا بها وضعت موضع
ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في
انكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء ولذلك أمر رسول الله صلى الله

(قوله فان قيل) الخ
الاعادة [illegible] الاعادة [illegible]
[illegible] مكابرة [illegible]
الوجود [illegible]
وهو القدرة على [illegible]
انكار [illegible]
[illegible]
الاعادة [illegible]

دون الله من عبده وقيل فرقنا بينهم وبين المؤمنين كما في آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون
والاول انسب بقوله تعالى (وقال شركاؤهم) اي هؤلاء المشركين (ما كنتم ايانا تعبدون) اي
انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله أندادا فاطعتموهم واختلفوا في
المراد بهؤلاء الشركاء فقال بعضهم الملائكة واستشهدوا بقوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم
نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ومنهم من قال هي الاصنام والدليل عليه ان هذا
الخطاب مشتمل على الوعيد والتهديد وذلك لا يليق بالملائكة المقربين وسموا شركاء لانهم
جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فصيروهم شركاء لانفسهم في تلك الاموال ثم اختلفوا
في هذه الاصنام كيف ذكرت هذا الكلام فقال بعضهم ان الله تعالى خلق الحياة والعقل
والنطق فيها فقدرت على ذكر هذا الكلام وقال آخرون ان الله تعالى خلق فيها الكلام من غير
ان يخلق فيها الحياة حتى سمع منها ذلك الكلام والاول أظهر لان ظاهر قوله تعالى وقال
شركاؤهم يقتضي ان يكون فاعل ذلك القول هو الشركاء (فان قيل) اذا أحياها الله تعالى هل
يبقيها او يفنيها (أجيب) بان الكل محتمل فان الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء واحوال القيامة
غير معلومة الا القليل الذي أخبر الله تعالى عنه في القرآن وعلى لسان أنبيائه وقال بعضهم
المراد بهؤلاء الشركاء كل من عبد من دون الله من انس وملك وجن وشمس وقمر وصنم
وهذا أظهر وعلى هذا والاول سموا شركاء لان الله تعالى خاطب العابدين والمعبودين
بقوله تعالى مكانكم انتم وشركاؤكم فصاروا شركاء في هذا الخطاب * ولما قال لهم شركاؤهم ذلك قالوا
بل كنا نعبدكم فقال شركاؤهم (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه تعالى العالم بكنه الشان
(ان كنا عن عبادتكم لغافلين) اي لم نأمركم بها ولم نعلم بها وعلى القول بان الاصنام هي
ما كانت تسمع ولا تبصر ولا تعقل فانها جمادات لا تحس بشيء لعدم الشعور والحياة [illegible]
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين المخففة والنافية (هنالك) اي في ذلك
الموقف او المكان العظيم الاهوال الذي هو المزلزل (تبلوا) اي تختبر (كل نفس) طائعة
وعاصية (ما اسلفت) اي ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وتبدى لها حالة وقرأ
وقرأ حمزة والكسائي بتائين من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع كل نفس
عمله فيقوده الى الجنة او الى النار والباقون بعد التاء باء موحدة من البلوى وهو الاختبار
(وردوا الى الله) اي الى جزائه اياهم على اعمالهم فلم يكن لهم قدرة على غيره (ومولاهم
الحق) اي ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة ولا التفات الى ما سواه من تلك الاباطيل التي
جعلوها من كل ما يدعونه في الدنيا وهو المراد بقوله تعالى (وضل عنهم) اي ذهب عنهم وضاع
(ما كانوا يفترون) اي يتعمدون كذبه من ان معبوداتهم شركاء وتيقنوا في ذلك المقام أن
توليهم لغير الله كان باطلا غير حق * ولما بين فضائح عبدة الاوثان اتبعها بذكر الدلائل على
فساد هذا المذهب فحجج الحجة الاولى قوله تعالى (قل) اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين
(من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات فانحصر الرزق في ذلك اما من السماء
فبنزول الامطار واما من الارض فلان الغذاء اما ان يكون نباتا او حيوانا اما النبات فلا
ينبت الا من الارض واما الحيوان فهو يحتاج ايضا الى الغذاء ولا يمكن ان يكون غذاء

اصابه الشيطان بنكبة
بامر الله (قوله قل هل من
شركائكم من يبدؤا الخلق
ثم يعيده) ان قلت
كيف قال ذلك مع
انهم غير معترفين بوجود

القرآن العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وقيل تصديق الذي القرآن بين يديه من القيامة والبعث (وتفصيل الكتاب) اي تبيين ما كتب الله من الاحكام وغيرها (لا ريب) اي لا شك (فيه) وقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بتصديق أو بانزل المحذوف (أم) اي بل (يقولون افتراه) اي اختلقه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار (قل) اي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثله في البلاغة والفطنة (فان قيل) هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار أو يختص بالسور الكبار (أجيب) بان هذه الآية في سورة يونس وهي مكية فيكون المراد مثل هذه السورة لانها أقرب ما يمكن أن يشار اليه هكذا أجاب الرازي والاولى التناول لجميع السور فانهم لا يقدرون أن يأتوا باقصر سورة (فان قيل) لم قال في البقرة بسورة من مثله وهنا بسورة مثله (أجيب) بانه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ولم يكتب ولم يتلمذ لاحد فقيل في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله بناء على أن الضمير يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم اي فليأت انسان يساوي محمدا صلى الله عليه وسلم في عدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي هذه السورة وحيث ظهر العجز ظهر المعجز فهذا لا يدل على ان السورة في نفسها معجزة ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم في عدم التعلم والتتلمذ معجز ثم بين تعالى في هذه السورة ان تلك السورة في نفسها معجزة فان الخلق وان تتلمذوا وتعلموا وطالعوا وتفكروا فلا يمكنهم الاتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور وهو المراد من قوله تعالى (وادعوا من استطعتم) اي فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به (من دون الله) اي غيره فانه تعالى وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) اي في اني أتيت به من عندي لان العاقل لا يجزم بشيء الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر باهر (تنبيه) مراتب تحدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ستة أولها انه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثانيها انه تحداهم بعشر سور فقال تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثالثها انه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى فأتوا بسورة من مثله رابعها انه تحداهم بحديث مثله خامسها ان في تلك المراتب الاربعة كان يطلب منهم ان يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدم التلمذ والتعلم ثم في هذه السورة طلب منهم معارضة سورة واحدة من اي انسان سواء تعلم العلوم أم لم يتعلمها سادسها ان في المراتب المتقدمة تحدى واحدا من الخلق وفي هذه المرتبة تحدى جميعهم وجوز ان يستعين البعض بالبعض في الاتيان بهذه المعارضة كما قال تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله وههنا آخر المراتب فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله تعالى في اثبات ان القرآن معجز ثم ان الله تعالى ذكر السبب الذي لاجله كذبوا بالقرآن فقال تعالى (بل كذبوا) اي أوقعوا التكذيب الذي لا تكذيب اشنع منه مسرعين في ذلك (بما لم يحيطوا بعلمه) اي القرآن أول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته من غير شبهة أصلا بل عنادا وطغيانا ونفورا عما يخالف دينهم فهو من باب من جهل شيئا عاداه والاحاطة ادارة ما هو كالحائط حول الشيء

في الغنا ايضا لان المراد بما ذكر تحته وهو العذاب ابازاه كانه قال او عذاب ثم الله معاقب على ما يقولون (قوله بياتا او نهارا) ان قلت لم قال بياتا ولم يقل ليلا مع انه

عليه وسلم أن ينوب عنهم فى الجواب بقوله تعالى (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لأن لجاجهم
لا يدعهم أن يعترفوا بها (فأنى) أى فكيف (تؤفكون) عن عبادته مع قيام الدلائل (فإن قيل)
ما الفائدة فى ذكر هذه الحجة على سبيل السؤال والاستفهام (أجيب) بأن الكلام إذا كان
ظاهراً جلياً ثم ذكر على سبيل الاستفهام كان ذلك أبلغ وأوقع فى القلب، الحجة الثالثة قوله
تعالى (قل) أى قل يا محمد لهم (هل من شركائكم من يهدى إلى الحق) بنصب الحجج وخلق
الاهتداء وإرسال الرسل ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق فى ذلك أو معاندين أمر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب بقوله تعالى (قل الله) أى الذى له الإحاطة الكاملة
(يهدى للحق) من يشاء لا أحد ممن زعمتموه شركاء فالاشتغال بشىء منها بعبادة أو غيرها جهل
محض قال الزجاج يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد فالله تعالى ذكرهما فى
الفقرتين فى قوله تعالى من يهدى إلى الحق وفى قوله تعالى قل الله يهدى للحق وقوله تعالى (أفمن
يهدى إلى الحق) أى وهو الله تعالى (أحق أن يتبع أمن لا يهدى) أى يهتدى (إلا أن يهدى)
أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أى الأول أحق (فما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم
الفاسد من اتباع من لا يستحق الاتباع وقوله تعالى (وما يتبع أكثرهم) فى تفسيره وجهان
الأول وما يتبع أكثرهم فى إقرارهم بالله تعالى (إلا ظناً) لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم
بل سمعوه من أسلافهم الثانى وما يتبع أكثرهم إلا ظناً فى قولهم للأصنام آلهة وإنها شفعاء
عند الله تعالى إلا الظن حيث قلدوا فيه آباءهم قال الرازى والقول الأول أقوى لأنا فى
القول الثانى نحتاج إلى تفسير الأكثر بالكل (إن الظن لا يغنى من الحق) فيما المطلوب فيه
العلم (شيئاً) من الإغناء فدلت هذه الآية على أن كل من كان ظاناً فى مسائل الأصول وما كان
قاطعاً لا يكون مؤمناً (فإن قيل) فقول أهل السنة أنا مؤمن إن شاء الله يمنع من القطع
فوجب أن يلزمهم الكفر (أجاب) الرازى بأن هذا ضعيف من وجوه الأول أن مذهب
الشافعى رضى الله تعالى عنه أن الإيمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والإقرار والعمل فالشك
حاصل فى أن هذه الأعمال هل هى موافقة لأمر الله تعالى والشك فى أحد أجزاء الماهية
لا يوجب الشك فى تمام الماهية الثانى أن الغرض من قوله إن شاء الله تعالى بقاء الإيمان عند
الخاتمة الثالث الغرض هضم النفس وكسرها (إن الله عليم) أى بالغ العلم (بما يفعلون) أى
من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم عليه وقوله تعالى (وما كان) عطف على
قوله ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إلخ وهو حينئذ مقول القول أى قل لهم ذلك الكلام
(هذا القرآن) أى الجامع لكل خير مع التأدية بأساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق (أن
يفترى) أى افتراء (من دون الله) أى غيره لأن المفترى هو الذى تأتى به البشر وكفار مكة زعموا
أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى بهذا من عند نفسه فأخبر الله تعالى أن هذا القرآن وحى أنزله
عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله ثم ذكر ما يؤكد هذا بقوله
تعالى (ولكن) أنزل (تصديق الذى بين يديه) أى قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه
كالتوراة والإنجيل فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم وأنه معجزة له
لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم إنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا

مشاورون وجودها من حيث
ظهور واجبه ووضوحها
(قوله فالناس حيث لم ...)
(... على ما فعلوه)
الظاهر ... على فعله
ورتبتهم ... النسف
على وجوههم
القيامة مع انه ...

الدين) أي وما يرون دلائل نبوتك ولا يصدقونك (أفأنت تهدي العمي) اي أتقدر على هدايتهم
(ولو كانوا) مع العمي (لا يبصرون) اي لا بصيرة لهم لان الاعمى الذي في قلبه بصيرة قد يحدس
ويظن فأما العمى مع الحمق فجهد البلاء فلا تقدر على هداية من أعمى الله تعالى بصيرته فهؤلاء
في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر فلا يقدر على
اسماعهم وهدايتهم الا الله تعالى (تنبيه) اختلف في أن السمع أفضل أو البصر فمنهم من قال
السمع واحتج على ذلك بأمور منها ما تقدم في الآية ومنها أن القوة السامعة تدرك المسموع
من جميع الجوانب والقوة الباصرة لا تدرك المرئي الا من جهة واحدة وهي المقابل ومنها
أن الانسان انما يستفيد العلم والتعلم من الاستاذ وذلك لا يكون الا بقوة السمع فاستكمال
النفس بالكمالات العلمية لا يحصل الا بقوة السمع ومنها أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام
يراهم الناس ويسمعون كلامهم فنبوتهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات المرئية وانما
حصلت بسبب ما معهم من الاحوال المسموعة وهي الكلام وتبليغ الشرائع وبيان الاحكام
ومنها أن المعنى الذي يمتاز به الانسان من سائر الحيوانات هو النطق بالكلام وانما ينتفع
بذلك القوة السامعة فمتعلق السمع النطق الذي حصل به شرف الانسان ومتعلق البصر
ادراك الالوان والاشكال وذلك أمر مشترك فيه بين الناس وبين سائر الحيوان ومنهم من
فضل البصر واحتج بأمور منها أن آلة القوة الباصرة هي النور وآلة القوة السامعة هي الهواء
والنور أشرف من الهواء ومنها أن جمال الوجه يتعلق بالبصر وفي فقده تعييب وذهاب السمع
لا يورث الانسان عيبا في جمال وجهه والعرب تسمي العينين الكريمتين ولا تصف السمع بمثل
هذا وفي الحديث يقول الله تعالى من أذهبت كريمتيه [illegible] لم أرض له ثوابا دون
الجنة ومنها أنهم قالوا ليس الخبر كالمعاينة [illegible] وذلك يدل على أن أكمل وجوه
الادراك هو الابصار ومنها أن كثيرا من الانبياء سمعوا كلام الله تعالى [illegible]
أم لا [illegible] ان موسى عليه السلام أسمعه الله تعالى كلامه من غير واسطة [illegible] ولما
طلب الرؤية قال لن تراني وذلك يدل على أن حال الرؤية أعلى من حال السماع [illegible]
ولما حكم تعالى على أهل الشقاوة بالشقاوة بقضائه وقدره السابق فيهم أخبر تعالى أن تقدير
الشقاوة عليهم ما كان ظلما منه بقوله تعالى (ان الله لا يظلم الناس شيئا) اي لان الله تعالى في جميع
أفعاله متفضل وعادل متصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف
في ملكه بالفضل والعدل لا يكون ظالما وانما قال تعالى (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لان
فعلهم منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله تعالى وقدره فيهم ففي ذلك دليل
على أن للعبد كسبا وأنه ليس مسلوب الاختيار كما زعمت المجبرة وقرأ حمزة والكسائي بكسر
النون مخففة ورفع الناس والباقون بنصب النون مشددة ونصب الناس ولما وصف تعالى
هؤلاء الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر أتبعه بالوعيد بقوله تعالى (ويوم يحشرهم) اي
واذكر يا محمد يوم نحشر هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة
وازعاجهم عن مكانهم (كأن) اي كأنهم (لم يلبثوا) في دنياهم والجملة في موضع الحال من

[illegible]

واحاطة العلم بالشئ العلم به من جميع وجوهه (ولما يأتهم) اى الى زمن تكذيبهم (تأويله) اى تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب وعاقبة ما فيه من الوعيد حتى تبين لهم انه صدق ام كذب ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فجربوا قواهم في معارضته فصغرت وضعفت دونها ومع هذا لم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك) اى مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم في الشناعة قبل تدبر المعجزة (كذب الذين من قبلهم) اى من كفار الامم الماضية فظلموا فاهلكناهم بظلمهم (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) بتكذيب الرسل اى آخر أمرهم من الهلاك فكذلك يهلك من كذبك من قومك وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر أن تفعل مثل فعله (ومنهم) اى من قومك يا محمد (من يؤمن به) اى القرآن اى يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) في نفسه لغباوته وقلة تدبره أو ومنهم من يؤمن به في المستقبل بان يتوب عن الكفر ويبدله بالايمان ومنهم من يصر ويستمر على الكفر وانما فسرت هذه الآية بهذين التأويلين لان كلمة يؤمن تصلح للحال والاستقبال (وربك أعلم بالمفسدين) اى المعاندين على التفسير الاول والمصرين على التفسير الثانى وفى ذلك تهديد لهم (وان كذبوك) اى وان يكذبوك يا محمد بعد الزام الحجة (فقل) لهم (لى عملى) من الطاعة وجزاء ثوابها (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه اى فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا (أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) لا تؤاخذون بعملى ولا أؤاخذ بعملكم واختلف في معنى ذلك فقيل معنى الآية الزجر والردع وقيل بل معناه استمالة قلوبهم وقال مقاتل والكلبى هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الرازى وهذا بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضى حرمة القتال وآية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا انتهى ولا تنافى هذه المبالغة مع ما ذكر وقد تبعهما جماعة من المفسرين ولما قسم تعالى الكفار قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون في نهاية البغض والعداوة له ونهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الاول فى قوله تعالى (ومنهم) أى من هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة عداوتهم وبغضهم لك فان الانسان اذا قوى بغضه لآخر وعظمت نفرته منه صارت نفسه معرضة عن جميع جهات محاسن كلامه (أفأنت تسمع الصم) أى أتقدر على اسماعهم (ولو كانوا) مع الصمم (لا يعقلون) أى لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر فكما انك لا تقدر على اسماع الاصم الذى لا يعقل لا تقدر على اسماع من أصم الله تعالى قلبه فان الله تعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يستمعون ولم يوفقهم فلذلك شبههم بالصم فى عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ثم وصف القسم الثانى فى قوله تعالى (ومنهم من ينظر

أكثر استعمالا وأظهر مطابقة مع النهار قالت لان المعهود فى الاستعمال عند ذكر الاهلاك والتهديد ذكر البيات وان قرن به النهار (قوله الا ان لله ما فى السموات والارض) قاله

يستعجلون فإن الوفاء بالوعد لا بد منه والسين فيهما بمعنى الوجدان أي لا يوجد لهم المعنى الذي
منع منه الفعل ويجوز أن يكون المعنى لا يجدون التأخر ولا التقدم وإن اجتهدوا في الطلب
فيكون في السين معنى الطلب ودلت الآية على أن أحداً لا يموت إلا بانقضاء أجله وكذا
المقتول لا يقتل إلا على هذا الوجه وقرأ قالون والبزي وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى وسهل
ورش وقنبل الثانية وأبدلاها أيضاً حرف مد والباقون بالتحقيق قال الله تعالى (قل) أي قل
لهم يا محمد أيضاً (أرأيتم إن أتاكم عذابه) الذي تستعجلون به (بياتاً) أي في الليل بغتة كما يفعل
العدو (أو نهاراً) أي وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا) أي أي شيء
(يستعجل منه) أي من عذابه وعذاب كل مكروه ولا يحتمل شيء منه (المجرمون) أي المشركون
وضع المجرمون موضع المضمر للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيئه لا أن
يستعجلوا وجملة الاستفهام متعلقة بأرأيتم وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على
الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه (أثم إذا ما وقع) أي حل بكم (آمنتم به) أي آمنتم بالله أو
العذاب وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس والهمزة لإنكار التأخير لا يقبل منكم
وقوله تعالى (آلآن) على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا وقت نزول العذاب آلآن
(وقد كنتم به تستعجلون) تكذيباً واستهزاء (تنبيه) اتفق قالون وورش على النقل هنا
واتفق القراء كلهم على همزة الوصل التي بعد همزة الاستفهام أن فيها وجهين [illegible] البدل
والتسهيل وقوله تعالى (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر أي قال لهم
استهزاء بهم وقرأ هشام والكسائي بإشمام القاف [illegible] والباقون
بالكسر (ذوقوا عذاب الخلد) أي الذي تخلدون فيه [illegible]
لا هلاك في الدنيا [illegible] (هل) أي ما
(تجزون إلا بما كنتم تكسبون) في الدنيا من الكفر والمعاصي (ويستنبئونك) أي يستخبرونك
باستهزاء (أحق هو) أي ما وعدتنا به من نزول العذاب [illegible] على جهة
الإنكار والاستهزاء [illegible] (قل) [illegible]
أي كائن ثابت لا بد من نزوله بكم (تنبيه) [illegible]
[illegible] في التصديق فيقال إي والله ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بمعجزين) أي بفائتين
العذاب لأن من عجز عن شيء فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) أي أشركت (ما في الأرض)
من الأموال (لافتدت به) من عذاب يوم القيامة ولم ينفعها الفداء لقوله تعالى ولا يؤخذ منها
عدل ولا هم ينصرون (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي حين عاينوه وأبصروه وصاروا
مبهوتين متحيرين لم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخاً سوى إسرار الندم كحال من ذهب به
ليصلب فإنه يبقى مبهوتاً متحيراً لا ينطق بكلمة وقيل إنهم أخلصوا لله في تلك الندامة ومن
أخلص في الدعاء أسره وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم لأنهم إنما أتوا بهذا الإخلاص في غير وقته
بل كان من الواجب عليهم أن يأتوا به في دار الدنيا وقت التكليف وقيل المراد بالإسرار الإظهار
وهو من الأضداد لأنهم إنما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لأجل حفظ

القوم الأرض [illegible] الذين كانوا [illegible] عليهم [illegible] [illegible] في السموات [illegible]

ضمير يحشرهم البارز أى كأنهم لم يلبثوا (إلا ساعة) حقيرة (من النهار) أى يستقصرون
مدة لبثهم فى الدنيا وفى القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) أى يعرف بعضهم بعضاً إذا
بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال والجملة حال مقدرة متعلق الظرف والتقدير
يتعارفون يوم نحشرهم وقوله تعالى (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) أى بالبعث يحتمل وجهين
الأول أن يكون على إرادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك الثانى أن يكون كلام الله
تعالى فيكون شهادة من الله تعالى عليهم بالخسران والمعنى أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسر
لأنه أعطى الكثير الشريف الباقى وأخذ القليل الخسيس الفانى (وما كانوا مهتدين) أى إلى
رعاية مصالح التجارة وذلك لأنهم اغتروا بالظاهر وغفلوا عن الحقيقة فصاروا كمن رأى
زجاجة خسيسة فظنها جوهرة شريفة فاشتراها بكل ما ملكه فإذا عرضها على الناقدين خاب
سعيه وفات أمله ووقع فى حرقة الروح وعذاب القلب وقوله تعالى (وإما) فيه إدغام نون إن
الشرطية فى ما الزائدة (نرينك) يا محمد (بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب
الشرط محذوف أى فذاك (أو نتوفينك) قبل أن نريك ذلك لوعدى فى الدنيا فإنك ستراه فى
الآخرة وهو قوله تعالى (فإلينا) بعد البعث (مرجعهم) فنريك ذلك ما هو أقر لعينك وأسر
لقلبك وقوله تعالى (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم أى أنه تعالى شهيد على
أفعالهم التى فعلوها فى الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ولما بين تعالى حال محمد صلى الله عليه
وسلم مع قومه بين أن حال كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم كذلك بقوله تعالى
(ولكل أمة) أى من الأمم التى خلت من قبلك (رسول) يدعوهم إلى الله تعالى وقوله تعالى
(فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) فيه إضمار تقديره فإذا جاء رسولهم وبلغهم ما أرسل
به إليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون قضى أى حكم وفصل بينهم بالقسط أى بالعدل وفى وقت
هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه فى الدنيا بإهلاك الكافرين وإنجاء الرسول
والمؤمنين لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والثانى أنه فى الآخرة وذلك أن الله
تعالى إذا جمع الأمم يوم القيامة للحساب والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصى جىء
بالرسل لتشهد عليهم لقوله تعالى وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم والمراد منه المبالغة فى
إظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) فى جزاء أعمالهم شيئاً بل يجازى كل واحد على
قدر عمله فكذلك يفعل بهؤلاء (ويقولون متى هذا الوعد) الذى تعدنا به يا محمد من نزول
العذاب ومن قيام الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (إن كنتم
صادقين) أى فيما تعدونا به وإنما قالوا بلفظ الجمع على سبيل التعظيم أو خطاباً للنبى صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين وإن كانت كل أمة قالوا لرسولها مثل ذلك وهو أوفق لقوله تعالى ولكل
أمة رسول قال الله تعالى (قل) أى قل لهم يا محمد (لا أملك لنفسى ضراً) من مرض أو فقر
أدفعه (ولا نفعاً) من صحة أو غنى أجلبه (إلا ما شاء الله) أن يقدرنى عليه فكيف أملك لكم
حلول العذاب أو قيام الساعة ولا يقدر على ذلك أحد إلا الله تعالى (لكل أمة أجل) أى مدة
مضروبة (إذا جاء أجلهم) أى انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون) أى لا يتأخرون (عنه
ساعة) ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها (ولا يستقدمون) أى ولا يتقدمون أى ولا

مكة (أرأيتم) أي أخبروني (ما أنزل) أي خلق (الله لكم من رزق) وإنما قال جعل الرزق
منزلا لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب منها (فجعلتم منه) أي من ذلك الرزق (حراما
وحلالا) وهو مثل ما ذكروه من تحريم السائبة والوصيلة والحام ومثل قولهم هذه أنعام
وحرث حجر ومثل قولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ومثل قولهم
ثمانية أزواج من الضأن اثنين (قل) أي قل يا محمد (آلله أذن لكم) في هذا التحريم والتحليل (أم)
أي بل (على الله تفترون) أي تكذبون على الله بنسبة ذلك إليه (وما ظن الذين يفترون) أي
يختلقون (على الله الكذب) أي أي شيء ظنهم به (يوم القيامة) أيحسبون أن لا يؤاخذهم ولا
يعاقبهم على أعمالهم فهو استفهام معناه التوبيخ والتقريع بالوعيد والوعيد العظيم لمن
يفتري على الله الكذب (إن الله لذو فضل على الناس) بنعم كثيرة لا تحصى منها إنزال الكتب
المفصلة لما فيها من بيان ما يحبه وما يسخطه ومنها إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ليبينوا ما يحتاجه
عقول الخلق منها ومنها تأخير العذاب عنهم على سوء أفعالهم ومنها إنعامه عليهم بالعقل فكان
يشكروه ويجب عليهم (ولكن أكثرهم) أي الناس (لا يشكرون) نعمه عليهم ولا يستعملون
العقل في دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبيائه ولا ينتفعون باستماع كتب الله قوله تعالى
(وما تكون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (في شأن) أي عمل من الأعمال وجمعه شؤون
[illegible] في قوله تعالى (وما تتلو منه) أي من الشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه وأما التنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل (من قرآن)
لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له وأما قوله تعالى [illegible]
من قرآن نازل عليك ثم قال تعالى (ولا تعملون من عمل) أي أي عمل كان [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
فإنه [illegible] القرآن [illegible] بقوله تعالى [illegible] وقيل إن
[illegible] الأولين [illegible] القوم [illegible]
القوم [illegible] في ذلك الخطاب في قوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء (إلا كنا عليكم
شهودا) أي رقباء نحصي عليكم أعمالكم لأن الله تعالى رقيب على كل شيء وعالم بكل شيء
إذ لا محدث ولا خالق ولا موجد إلا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من أحوال العباد
وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه (إذ تفيضون) أي الله شاهد لكم
حين تدخلون وتخوضون (فيه) أي في ذلك العمل وقيل الإفاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج إذ
تنتشرون فيه يقال أفاض القوم في الحديث إذا انتشروا فيه (وما يعزب) أي يغيب (عن
ربك) يا محمد (من مثقال) أي وزن (ذرة) وهي النملة الحمراء الصغيرة خفيفة الوزن جدا
وقيل المراد بها الهباء وهو الشيء المنبث الذي تراه في البيت في ضوء الشمس وقرأ الكسائي
بكسر الزاي والباقون بالضم ومن [illegible] على القراءتين [illegible] بقوله تعالى (في الأرض
ولا في السماء) تقريبا للعقول العامة (فإن قيل) لم قدم ذكر الأرض على السماء وقدم ذكر
السماء على الأرض في سورة سبأ حيث قال تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في

السموات وما في الأرض [illegible]
(فان قلت) [illegible]

الرياسة وفي القيامة بطل هذا فوجب الاظهار وليس هناك تجلد. (فان قيل) أسروا جاء على لفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلة (أجيب) بانها لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي (وقضى بينهم) اى بين الخلائق (بالقسط) اى بالعدل (وهم لا يظلمون) (فان قيل) هذه الآية مكررة (أجيب) بان الاولى في القضاء بين الانبياء ومكذبيهم وهذه عامة وقيل بين المؤمنين والكفار وقيل بين الرؤساء والاتباع فان الكفار وان اشتركوا في العذاب فلا بد ان يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وخانه فيكون في ذلك القضاء تخفيف عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب الباقين لان العدل يقتضي ان يخفف عن المظلومين من الظالمين ولا يحصل ذلك الا ان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين وقوله تعالى (ألا ان لله ما في السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (ألا ان وعد الله) اى ما وعد به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من البعث للجزاء ومن ثواب الطائع وعقاب العاصي (حق) لا شك فيه (ولكن أكثرهم) اى الناس (لا يعلمون) اى جاهلون عن حقيقة ذلك فهم باقون على الجهل مصدودون مع البهائم لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا (هو) اى الذي له ما في السموات والارض (يحيي ويميت) اى قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء وقوله تعالى (يا أيها الناس) خطاب عام وقيل لاهل مكة (قد جاءتكم موعظة من ربكم) اى كتاب فيه ما لكم وعليكم وهو القرآن (وشفاء) اى دواء (لما في الصدور) اى القلوب من داء الجهل لان داء الجهل أضر للقلب من المرض للبدن وأمراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة والقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزواجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص تعالى الصدور بالذكر لانه موضع القلب وغيره وهو أعز موضع في الانسان لمكان القلب فيه (وهدى) من الضلالة (ورحمة) اى كرامة (للمؤمنين) لانهم هم الذين انتفعوا به دون غيرهم واختلف في تفسير قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فقال مجاهد وقتادة فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عباس والحسن فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن ولا مانع من ان تفسر الآية بجميع ذلك اذ لا تنافي بين هذه الاقوال والباء في بفضل الله وبرحمته متعلقة بمحذوف يفسره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشيء فليفرحوا بهما فانه لا مفروح به أحق منهما (هو) اى المحدث عنه من الفضل والرحمة (خير مما يجمعون) اى من حطام الدنيا ولذاتها الفانية وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة (قل) يا محمد لكفار

الارض بالشفعاء وكرر لان بعض الكفار قالوا اتخذ الله ولدا فقال تعالى له ما في السموات وما في الارض اى اتخاذ الولد انما يكون لدفع اذى او جذب منفعة والله مالك ما في

لا تبديل لمواعيده والكلمة والقول سواء ونظيره قوله تعالى ما يبدل القول لدي وقوله تعالى (ذلك)
اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولا يحزنك)
يا محمد (قولهم) اي هؤلاء المشركين اي لا يهمنك تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير
هلاكك وابطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي
من أحزنه والباقون بفتح الياء وضم الزاي وكلاهما بمعنى وقوله تعالى (ان العزة) اي القوة
(لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لا أحزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان
الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم
وينصرك عليهم قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقال تعالى انا لننصر رسلنا وقيل ان
المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله تعالى ان جميع ذلك في
ملكه فهو قادر على ان يسلب جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع) أي البليغ السمع
لأقوالهم (العليم) اي المحيط العلم بضمائرهم وجميع أحوالهم فهو البالغ القدرة على كل شئ
فيجازيهم وهو تعليل لتفرده بالعزة لانه تفرد بهذين الوصفين فانتفيا عن غيره ومن انتفيا عنه
كان دون الحيوانات العجم فأنى يكون له عزة (فان قيل) قوله تعالى ان العزة لله جميعا يضاد قوله
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (أجيب) بالمنع لان عزة الرسول والمؤمنين كلها بالله فهي
لله (ألا ان لله من في السموات ومن في الارض) ملكا وخلقا (فان قيل) لقد ذكر الله تعالى
في الآية المتقدمة ألا ان لله ما في السموات والارض بلفظ ما وقال هنا بلفظ من فما فائدة
ذلك (أجيب) بانه تعالى غلب في الآية الاولى ما لا يعقل على من يعقل لكثرته وفي هذه غلب
العاقل على غيره لشرفه وقيل مجموع الآيتين دال على ان الكل خلقه وملكه وقيل ان المراد
بمن في السموات الملائكة وبمن في الارض الثقلان وانما خصهم بالذكر لشرفهم واذا كان
هؤلاء في ملكه وتحت قهره فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله
تعالى (وما يتبع الذين يدعون) اي يعبدون (من دون الله) أي غيره اصناما (شركاء) على
الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء تعالى الله عن ذلك (ان) اي ما (يتبعون) في ذلك (الا الظن)
أي ظنهم انها آلهة تشفع لهم وانها تقربهم الى الله تعالى ثم بين تعالى ان هذا الظن لا حكم له
بقوله تعالى (وان) أي ما (هم الا يخرصون) أي يكذبون في ذلك ويجوز ان يكون وما يتبع في
معنى الاستفهام أي وأي شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع
وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة
وقوله تعالى (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) اي ليزول عنكم التعب والكلال فيه
عما تقاسون في نهاركم من تعب التردد في المعاش (والنهار مبصرا) اي مضيئا لتبصروا فيه
مطالب أرزاقكم ومكاسبكم تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بها ليدلهم
على تفرده باستحقاق العبادة واضافة الابصار الى النهار مع أنه يبصر فيه على طريق نقل
الاسم من المسبب الى السبب كقولهم ليل نائم لان الليل سبب للسكون قال قطرب تقول
العرب أظلم الليل اي صار ذا ظلمة وأضاء النهار اي صار ذا ضياء (ان في ذلك) المذكور

الكذب يوم القيامة) ان
قلت هذا [illegible]
ناسبه قوله بعد ان الله لذو
فضل على الناس (قلت)
هو مناسب لان مقام ان
تفضلا على الناس حيث
أنعم عليهم بالعقل وارسال

الارض فما فائدة ذلك (أجيب) بان الكلام هنا في حال أهلها والقصد منه هو البرهان على
احاطة علمه على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية (ولا أصغر من ذلك) اي الذرة (ولا
أكبر) اي منها (الا في كتاب مبين) اي بين وهو اللوح المحفوظ وقرأ حمزة برفع الراء من أصغر
وأكبر على الابتداء والخبر والباقون بالنصب على ان ذلك اسم لا وفي كتاب خبرها (الا ان أولياء
الله) أي الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من لحوق مكروه
(ولاهم يحزنون) بفوات مأمول وفسرهم بقوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله
بامتثال أمره ونهيه وهذا الذي فسر الله تعالى به الاولياء لا مزيد عليه وعن علي رضي الله عنه
هم قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الخوى وعن سعيد بن
جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم
يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس الاخبات والسكينة وعن عمر رضي الله تعالى عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم
الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم
فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان
وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس
ثم قرأ الآية ونقل النووي في مقدمة شرح المهذب عن الامامين الشافعي وأبي حنيفة رضي
الله تعالى عنهما ان كلا منهما قال اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي وذلك في العالم العامل
بعلمه وقال القشيري من شرط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما
فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع فالولي هو الذي توالت أفعاله على
الموافقة ولما نفى الله عنهم الخوف والحزن زادهم فقال تعالى مبينا لتوليته اياهم بعد أن شرح
توليتهم له (لهم البشرى) أي الكاملة (في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) اما البشرى في الدنيا
ففسرت باشياء منها الرؤيا الصالحة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال البشرى هي الرؤيا
الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وقال صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال
الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوذ منه وليبصق
عن شماله ثلاث مرات فانه لا يضره وقال الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة
ومنها محبة الناس له وذكرهم اياه بالثناء الحسن وعن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ان الرجل
يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن ومنها البشرى لهم عند الموت
قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة
فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرونه من بياض وجوههم
واعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤن منها وسلام الله تعالى عليهم كما قال تعالى سلام قولا من
رب رحيم وغير ذلك من البشارات بما بشر الله تعالى به عباده المتقين في كتابه وعلى ألسنة
أنبيائه من جنته وكريم ثوابه فان لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه
فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية ثم انه تعالى لما ذكر صفة أوليائه وشرح أحوالهم
قال تعالى (لا تبديل) اي بوجه من الوجوه (لكلمات الله) اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف

وما وراءهما (قلت) لان ما
في السموات والارض
الانبياء والملائكة والعلماء
والاولياء ومن يعقل فيهم
أحق بالذكر من غيرهم
مفهوم الاولى لقوله وما
ظن الذين يفترون على الله

وبآياته فعزمتم على قتلي وطردي (فعلى الله توكلت) أي فهو حسبي وثقتي أو قيامي على الدعوة لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فأجمعوا أمركم) أي فاعزموا على أمر تفعلونه في أذاي بالإهلاك أو غيره (وشركاءكم) أي وادعوا شركاءكم أو الواو بمعنى مع أي مع شركائكم وهي الأصنام وإنما حثهم على الاستعانة بها بناء على مذهبهم الفاسد واعتقادهم أنها تضر وتنفع مع اعتقاده أنها جماد لا تضر ولا تنفع تهكما وتوبيخا لهم (ثم لا يكن أمركم) أي الذي تقصدونني به (عليكم غمة) أي مستورا من غمه إذا ستره بل أظهروه وجاهروني بمجاهرة فإنه لا معارضة لي بقدر الله الذي يستوي عنده السر والجهر (ثم اقضوا إلي) أي أمضوا ما في أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان إذا مات ومضى وقضى دينه إذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا إلى القتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول السحرة لفرعون فاقض ما أنت قاض أي اعمل ما أنت عامل (ولا تنظرون) أي ولا تؤخرون بعد إعلامكم إياي ما أنتم عليه وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا (فإن توليتم) أي أعرضتم عن تذكيري (فما سألتكم من أجر) أي من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فيفوتكم حتى تتولوا لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم ومتى كان الإنسان فارغا عن الطمع كان قوله أقوى تأثيرا في القلب (إن أجري إلا على الله) وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي ما نصحتكم إلا لوجه الله تعالى لا لغرض من أغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من ينتصب للدعاء أو الإرشاد إلى طريق الله تعالى (وأمرت أن أكون من المسلمين) أي أمرت بالاستسلام لكل مكروه يصل إلي منكم لأجل هذه الدعوة وقيل بدين الإسلام [illegible] فلم يقبلوه ولم يتبعوه (فكذبوه) أي أصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه ومن معه في الفلك) أي السفينة وكانوا ثمانين (وجعلناهم) أي الذين نجوا معه (خلائف) في الأرض يخلفون الهالكين بالغرق (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان وقوله تعالى (فانظر) أي أيها الإنسان أو يا محمد (كيف كان عاقبة المنذرين) أي [illegible] عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له فإن القصة إذا سمعها من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومن كذب به كان زجرا للمكذبين من حيث يخافون أن ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون داعية للمؤمنين على الثبات على الإيمان ليصلوا إلى مثل ما وصل إليه قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتحذير إذا جرت على سبيل الحكاية عمن تقدم كانت أبلغ من الوعيد المبتدأ ولهذا الوجه أكثر تعالى ذكر أقاصيص الأنبياء عليهم السلام (ثم بعثنا من بعده) أي نوح (رسلا إلى قومهم) لم يسم هنا تعالى من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم (فجاؤهم بالبينات) أي بالمعجزات الواضحات التي تدل على صدقهم (فما كانوا ليؤمنوا) أي فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة عنادهم وخذلان الله تعالى إياهم (بما) أي بسبب ما (كذبوا به من قبل)

تكون في شأن [illegible] والخطاب منه من قرآن [illegible] للنبي صلى الله عليه وسلم (قلت) [illegible] الأمة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

(لآيات) اى دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق الاشياء كلها هو الاله المعبود المتفرد بالوحدانية فى الوجود ثم ذكر الله تعالى نوعا من أباطيل الكفار بقوله تعالى (قالوا) اى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله ولدا) قال الله تعالى (سبحانه) اى تنزيها له عن الولد (هو الغنى) عن كل أحد وانما يطلب الولد من يحتاج اليه ثم بين تعالى غناه بقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض) من ناطق وصامت ملكا وخلقا ولما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما أضافوا اليه عطف بالانكار والتوبيخ فقال (ان) اى ما (عندكم من سلطان) اى حجة (بهذا) اى الذى تقولونه ثم بالغ تعالى فى ذلك الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه تعالى جهلا منكم والاستفهام للتوبيخ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون ان له ولدا (ان الذين يفترون) أى يتعمدون (على الله الكذب لا يفلحون) أى لا ينجحون فى سعيهم ولا يفوزون بمطلوبهم بل خابوا وخسروا فانهم لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ومن الناس من اذا فاز بشئ من المطالب العاجلة والمقاصد الخسيسة ظن انه قد فاز بالمقصود والله سبحانه وتعالى أزال هذا الخيال بان قال (متاع فى الدنيا) وفيه اضمار تقديره لهم متاع فى الدنيا على انه مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون خبر المبتدأ محذوف تقديره افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر أو حياتهم أو تقلبهم متاع فى الدنيا وهو أيام يسيرة بالنسبة لطول بقائهم فى العذاب (ثم الينا مرجعهم) بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما) أى بسبب ما (كانوا يكفرون) ولما ذكر سبحانه وتعالى فى هذه السورة من أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك فى قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم وذكر الله تعالى منهم فى هذه السورة ثلاث قصص القصة الاولى قصة نوح عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (واتل) يا محمد (عليهم) أى كفار قريش (نبأ) أى خبر (نوح) وذلك ليكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه اسوة بمن سلف من الانبياء فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع أن معاملة هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كانت الا على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا أن الجهال وان بالغوا فى ايذاء الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى أعانهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم كان سماع هؤلاء الكفار لامثال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل فى صدورهم ولان الكلام اذا طال فى تقرير نوع من أنواع العلوم فربما حصل نوع من أنواع الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر انشرح صدره وطاب قلبه ووجد فى نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميلا قويا ولانه صلى الله عليه وسلم لما لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم انما عرفها بالوحى والتنزيل ويبدل من نبأ نوح (اذ قال لقومه) وهم بنو قابيل (يا قوم ان كان كبر) أى شق وعظم (عليكم مقامى) أى لبثى فيكم ألف سنة الا خمسين عاما (وتذكيرى) أى وعظى اياكم (بآيات الله) أى بحججه

الرسل وتأخير العذاب وفتح باب التوبة أى كيف تفترون على الله الكذب مع توافر نعمه عليكم (قوله ولا تعملون من عمل) ان قلت كيف جمع الضمير مع انه أفرد قبل فى قوله وما

كيف أمرهم بالكفر والسحر والأمر بالكفر كفر (أجيب) بأنه إنما أمرهم بإلقاء ما معهم من
الحبال والعصي التي معهم ليظهر للخلق أن ما أتوا به عمل فاسد وسعي باطل لا على طريق أنه عليه
السلام أمرهم بالسحر (فلما ألقوا) ما معهم من الحبال والعصي وخيلوا بسحرهم أعين الناس
أنها تسعى (قال موسى) منكرا عليهم (ما جئتم به السحر) قرأ أبو عمرو بهمزتين الأولى همزة
الاستفهام فهي مفتوحة والثانية همزة وصل وله أوجه التسهيل والبدل فما
استفهامية مبتدأ وجئتم به خبر والسحر بدل منه وقرأ الباقون بهمزة وصل فتسقط في
الوصل أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا من آيات موسى عليه السلام
بقوله (إن الله سيبطله) أي سيهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) أي
لا يثبته ولا يقويه وقول البيضاوي وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له قول
على ما ذهب إليه أصحاب الحيل بمعرفة الآلات والأدوية والأهل حقيقة عند أهل السنة
وهو علم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على ظهور التأثير في عالم العناصر
(ويحق) أي يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) أي بقضائه ووعده السابق لموسى عليه السلام
وقد أخبر الله تعالى في غير هذه السورة أنه [illegible] أبطل ذلك السحر [illegible] بسبب أن ذلك
الثعبان قد تلقف تلك الحبال والعصي (ولو كره المجرمون) [illegible]
موسى شاهدوا هذه المعجزات مع ذلك لم يؤمن منهم إلا القليل كما قال (فما آمن لموسى إلا
ذرية من قومه) وإنما ذكر تعالى ذلك تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه [illegible]
إعراض القوم عنه واستمرارهم على الكفر فبين تعالى أن له في هذا الباب أسوة بالأنبياء [illegible]
لأن الذي ظهر من موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع ذلك فما آمن له إلا
ذرية من قومه والذرية اسم يقع على القليل من القوم [illegible]
التي في قومه راجعة إلى موسى أي ما آمن من قوم [illegible]
فما آمن له إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه [illegible]
من [illegible] مع الخوف وقيل راجعة إلى فرعون [illegible]
[illegible] (على خوف من فرعون وملئهم) [illegible]
كان شديد البطش وكان [illegible] مع موسى واتباعه [illegible]
آبائهم فلهذا السبب كانوا خائفين منه ومن أشراف قومه والضمير [illegible]
ما هو المعتاد في ضمير العظمة لأنه ذو أصحاب يأتمرون به [illegible]
ومصر (أن يفتنهم) أي فرعون ويصدهم عن الإيمان [illegible]
(في الأرض) أي أرض مصر (وإنه لمن المسرفين) أي المجاوزين الحد فإنه كان من [illegible]
العبيد وادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني إسرائيل (وقال موسى) لقومه
(يا قوم إن كنتم آمنتم بالله) أي صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) أي ثقوا به واعتمدوا عليه
فإنه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (إن كنتم مسلمين) أي مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له
وقيل إن كنتم آمنتم بالقلب وأسلمتم بالظاهر (فقالوا) مجيبين له (على الله توكلنا) أي عليه
اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أي لا تسلطهم

أي أنهم كانوا قبل بعثة الرسل إليهم أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد
بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد (كذلك) أي مثل ما طبعنا على قلوبهم بسبب
تكذيبهم الرسل (نطبع) أي نختم (على قلوب المعتدين) في كل زمن لكل من تعمد العدول
فيما لا يحل له فلا يقبل الإيمان لانهماكهم في الضلال واتباعهم المألوف وفي أمثال ذلك دليل
على أن الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد * القصة الثانية قصة موسى عليه
السلام المذكورة في قوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أي هؤلاء الرسل (موسى وهرون إلى
فرعون وملئه) أي أشراف قومه وغيرهم تبع لهم فهو مرسل إلى الجميع (بآياتنا) التسع
(فاستكبروا) عن اتباعها والإيمان بها وهو أعظم الكبر أن تهاون العبيد برسالة ربهم بعد
تبينها ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) أي كفارا ذوي آثام عظام فلذلك
استكبروا عنها واجترؤوا على ردها (فلما جاءهم الحق) أي جاء فرعون وقومه (من عندنا) أي
الذي جاء به موسى من عندنا وعرفوا أنه ليس من عند موسى وهرون لتظاهر المعجزات
الظاهرات المزيحة للشك (قالوا) أي غير متأملين له ولا ناظرين في أمره لفرط تمردهم (إن هذا
لسحر مبين) أي بين ظاهر يعرفه كل أحد وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي
لا يظهر إلا على يد كافر أو فاسق وقوله تعالى (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا)
فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الأول اكتفاء
بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الإنكار بمعنى أنه ليس بسحر ثم
احتج على صحة قوله تعالى فقال (ولا يفلح الساحرون) فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر
السحرة فقلب العصا حية وفلق البحر معلوم بالضرورة أنه ليس من باب التمويه والتخييل
ثبت أنه ليس بسحر (قالوا) أي قوم فرعون لموسى (أجئتنا لتلفتنا) أي لتردنا وتصرفنا
واللفت والفتل أخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) أي من الدين وعبادة الأصنام ثم قالوا لموسى
وهرون (وتكون لكما الكبرياء) أي الملك والعز (في الأرض) أي أرض مصر قال الزجاج
سمي الملك كبرياء لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضا الملوك موصوفون بالكبر ولهذا
وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز أن يقصدوا بذلك ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا
وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض (وما نحن
لكما بمؤمنين) أي بمصدقين فيما جئتما به (وقال فرعون) لقومه لما أراد المناظرة لما أتى به
موسى عليه السلام (ائتوني بكل ساحر عليم) أي بالغ في علم السحر فلا يفوته شيء من السحر
بتأخر البعض وقرأ حمزة والكسائي بغير ألف بين السين والحاء وتشديد الحاء مفتوحة وألف
بعدها بصيغة فعال الدال على زيادة في فرعون والباقون بألف بعد السين وتخفيف الحاء
مكسورة ولا ألف بعدها (فلما جاء السحرة) أي كل من في أرض مصر منهم قالوا لموسى إما أن
تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا) جميع (ما أنتم ملقون) (فإن قيل)

تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات (قوله ولا يحزنك قولهم) أي لأنك لست مرسلا فالقول محذوف كذا بهر في ليس والوقف على قولهم فيهما

من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ثم بين غايتها لهم فقال مفتتحا بالنداء باسم الرب المحسن اليه
واتباعه من مثل حالهم (ربنا) أى يا ربنا آتيتهم ذلك (ليضلوا) أى في خاصة أنفسهم ويضلوا
غيرهم (عن سبيلك) أى دينك واللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت كقوله تعالى فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل لام كى أى آتيتهم كى تفتنهم وقيل هو دعاء عليهم بما علم من
ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غير ذلك وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بضم الياء والباقون بالفتح
(ربنا اطمس على أموالهم) أى امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة صارت أموالهم وحروثهم
وزروعهم وجواهرهم حجارة وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال ابن عباس بلغنا ان
الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا وأرباعا ودعا عمر بن
عبد العزيز بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة
مشقوقة وانها لحجر قال السدى مسخ الله تعالى أموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق
والاطعمة فكانت احدى الآيات التسع (واشدد على قلوبهم) أى اطبع عليها واستوثق حتى
لا تنشرح للايمان وقوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ
النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض وقوله تعالى (قال قد أجيبت دعوتكما)
فيه وجهان الاول قال ابن عباس ان موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال دعوتكما
وذلك أن من يقول عند دعاء الداعى آمين فهو أيضا داع لان قوله آمين تأويله استجب فهو سائل كما
ان الداعى سائل أيضا الثانى أن يكون كل منهما ذكر هذا غاية ما في الباب أن يقال انه تعالى حكى
هذا الدعاء عن موسى بقوله تعالى وقال موسى ربنا وهذا لا ينافي أن يكون هرون قد ذكر الدعاء
أيضا وأما قوله تعالى (فاستقيما) فمعناه اثبتا على الدعوة والرسالة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث
نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاما فلا تستعجلا قال ابن جريج ان فرعون لبث بعد هذا الدعاء
أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) أى الجاهلين الذين يظنون انه متى كان الدعاء
مجابا كان المقصود حاصلا في الحال فربما أجاب الله تعالى دعاء الانسان في مطلوبه الا انه ربما
يوصله اليه في وقته المقدور والاستعجال لا يصدر الا من الجهال وهذا كما قال تعالى لنوح عليه
الصلاة والسلام انى أعظك أن تكون من الجاهلين وهذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر
من موسى عليه السلام كما أن قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك
منه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون والباقون بتشديدها لانه نون التوكيد
تثقل وتخفف ولما أجاب الله تعالى دعاءهما أمر بني اسرائيل وكانوا ستمائة ألف بالخروج من
مصر في الوقت المعلوم ويسر لهم أسبابه وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع أنهم خرجوا
وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى (وجاوزنا) أى قطعنا (ببنى اسرائيل)
أى عبدنا المخلص لنا (البحر) حتى بلغوا الشط حافظين لهم (فأتبعهم فرعون وجنوده) أى
لحقهم وأدركهم يقال تبعه وأتبعه اذا أدركه ولحقه (بغيا وعدوا) أى ظلما وعدوانا وقيل بغيا
في القول وعدوا في الفعل فلما أدركهم فرعون قالوا لموسى أين المخلص والخروج البحر أمامنا
وفرعون وراءنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله تعالى الى موسى أن اضرب
بعصاك البحر فضربه فانفلق لموسى وقومه فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف عن وجه

وسلم على كلمته واظهار دينه وفي حق الترمذي نصرتهم على الاعداء (قوله أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) ان قلت كيف قال موسى عنهم أنهم قالوا أسحر هذا بطريق الاستفهام مع

علينا فيفتنوا (ونجنا) أي خلصنا (برحمتك من القوم الكافرين) اى من أيدى قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة وانما قالوا ذلك لانهم كانوا خائفين لاجرم ان الله تعالى قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في الارض وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغي ان يتوكل أولا لتجاب دعوته ولما شرح الله تعالى خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر فيهم من التوكل على الله تعالى أتبعه بان أمر موسى وهرون عليهما السلام باتخاذ البيوت بقوله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه) اى الذى طلب مؤازرته ومعاضدته (ان تبوّآ) اى اتخذا (لقومكما بمصر بيوتا) تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنتما وقومكما (بيوتكم) اى تلك البيوت (قبلة) مصلى أو مساجد كما في قوله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وموجهة نحو القبلة أي الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بيوتا وبيوتكم برفع الباء والباقون بالخفض (وأقيموا الصلوة) فيها وذكر المفسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة الاول أن موسى عليه السلام ومن معه كانوا في أول أمرهم مأمورين بان يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الاسلام بمكة الثاني انه قيل انه تعالى لما أرسل موسى اليهم أمر فرعون بتخريب مساجد بنى اسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون الثالث أنه تعالى لما أرسل موسى اليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل الله تعالى بأن يصونهم من شر الاعداء وقد خص الله تعالى موسى وهرون في أول هذه الآية بالخطاب بقوله تعالى أن تبوّآ لقومكما لان التبوّأ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم للتشاور ثم عمم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة لان جعل البيوت مساجد واقامة الصلاة مما ينبغي أن يفعله كل أحد ثم خص موسى عليه السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال تعالى (وبشر المؤمنين) أي بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى لان الغرض الاصلى من جميع العبادات حصول هذه البشارة فخص الله تعالى موسى بها ليدل بذلك على أن الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وان هرون عليهما السلام تبع له ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة الظاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والعناد والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا سبب اقدامه على الجرائم وكان جرمهم هو لاجل حبهم الدنيا فلذكر (ق) لهذا السبب (قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه) أى أشراف قومه على ماهم عليه من الكفر والكبر (زينة) أى عظيمة يتزينون بها من الحلية واللباس وغيرهما من الدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر ونحو ذلك (وأموالا) أى كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (في الحيوة الدنيا) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن

العزة الخاصة بالله وهي عزة الالهية والخلق والاماتة والاحياء والبقاء الدائم وشبه ذلك وهناك العزة المشتركة وهي في حق الله تعالى القدرة والغلبة وفي حق رسوله صلى الله عليه

من جنس الختم والطبع على القلب ومن الناس من قال قائل هذا القول هو الله تعالى لانه ذكر بعده (فاليوم ننجيك) أي نخرجك من البحر (ببدنك) أي جسدك الذي لا روح فيه كاملاً سويا لم يتغير أو نخرجك من البحر عريانا من غير لباس أو ان المراد بالبدن الدرع قال الليث البدن هو الدرع الذي يكون قصير الكمين وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب يعرف به فأخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف (لتكون لمن خلفك) أي بعدك (آية) أي عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بني اسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه ويشاهده الخلق على ذلك الذل والمهانة بعد ما سمعوا منه قوله أنا ربكم الاعلى ليعلموا ان دعواه كانت باطلة وان ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره الى ما يرون لعصيانه ربه (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) أي لا يعتبرون بها وهذا الكلام ليس الا كلام الله تعالى ولكن القول الاول أشهر (ولقد بوأنا) أي أنزلنا (بني اسرائيل مبوأ صدق) أي منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيأ أضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه أن الشئ اذا كان كاملا صالحا لابد أن يصدق الظن فيه وقيل أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أي الحلالات المستلذات من الفواكه والحبوب والالبان والاعسال وغيرها فاورث تعالى بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من الناطق والصامت والحرث والنسل كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها (فما اختلفوا) أي هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل في أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أي جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم وكانوا يخبرون بمبعثه وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة وانهم ما اختلفوا في دينهم الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا أحكامها (ان ربك) يا محمد (يقضي بينهم يوم القيامة) أي الذي هو أعظم الايام (فيما كانوا) أي بأفعالهم الجبلية (فيه يختلفون) أي فيميز المحق من المبطل والصديق من الزنديق ويسكن كلا داره واختلف المفسرون في المخاطب بقوله تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب) أي التوراة (من قبلك) أي فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد أمته كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ومن الامثلة المشهورة * اياك أعني واسمعي يا جارة * والذي يدل على صحة التوجيه الاول قوله تعالى في آخر السورة يا أيها الناس فبين أن ذلك المذكور في أول الآية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح الثاني أنه صلى الله عليه وسلم لو كان شاكا في نبوة نفسه لكان شك غيره في نبوته أولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية الثالث اذا قدر أن يكون شاكا

ثم قال لهم أحد هذا انكارا لما قالوه فالاستفهام للانكار من قول موسى لا من قول قومه من فرعون وملئهم (قوله من قومه) قاله هنا بضمير الجمع أو القوم [illegible] على خلاف [illegible]

الارض وانتشر لهم البحر فلما وصل فرعون الى البحر هابوا دخوله وكان فرعون على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه وميكائيل يسوقهم حتى لم يشذ منهم أحد فلما خرج آخر بني اسرائيل من البحر تقدمهم جبريل على فرس وخاض البحر فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من أمره شيأ فنزل البحر واتبعه جنوده حتى اذا كملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج التطم البحر عليهم فلما أتاه الغرق أتى بكلمة الاخلاص كما قال تعالى (حتى اذا أدركه الغرق) أي لحقه (قال آمنت أنه) أي بأنه (لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) ❁ (فان قيل) انه آمن ثلاث مرات أولها قوله آمنت وثانيها قوله لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وأنا من المسلمين فما السبب في عدم القبول (اجاب) العلماء عن ذلك بأجوبة منها انه انما آمن عند نزول العذاب والايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبول ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ودس جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (الآن) تؤمن (وقد عصيت قبل) وضيعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية (وكنت من المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان والتوبة حتى أغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملائكة وانما قال له وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وأنا من المسلمين ومنها ان فرعون انما قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية فلم ينفعه ما قال في ذلك الوقت ومنها ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى ولذلك قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ومثل هذا الاعتقاد الفاسد لا تزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية والدلائل اليقينية ومنها ما روي في بعض الكتب أن بعض أقوام بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل انصرف ذلك الى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة في حقه سببا لزيادة الكفر ومنها أن الايمان انما كان يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبالاقرار بنبوة موسى عليه السلام وفرعون لم يقر بالنبوة فلم يصح ايمانه ونظيره ان الواحد من الكفار لو قال ألف مرة أشهد أن لا اله الا الله فانه لا يصح ايمانه الا اذا قال معه وأشهد أن محمدا رسول الله فكذا هنا ومنها أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتوى ما قول الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر بنعمته أن يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام اليه خطه (فان قيل) فما فائدة دس جبريل في فم فرعون ذلك لانه في تلك الحالة اما أن يكون التكليف ثابتا أم لا فان كان فكيف يمنعه من التوبة وان كان غير مكلف فلا فائدة في ذلك (اجيب) بأن التكليف كان ثابتا وجبريل عليه السلام لم يفعل ذلك من قبل نفسه فانه عبد مأمور والله تعالى يفعل ما يشاء كما قال تعالى فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أولا فدس الطين في فم فرعون

انهم انما قالوه بطريق الانكار المؤكد في قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين (قالت) فيه انكار تقديره أتقولون للحق لما جاءكم ان هذا لسحر مبين

ورب عليك كذا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا أن العذاب
مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم فلما أصبحوا
تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قدر ميل وقال وهب غامت السماء غيما أسود هائلا
يدخن دخانا عظيما فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك
فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه وقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم
ونسائهم وأولادهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية
وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتها
واختلطت بأصواتهم وعجوا وتضرعوا الى الله تعالى وقالوا آمنا بما جاء به يونس عليه السلام
فرحمهم الله تعالى واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وكان ذلك يوم عاشوراء
يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل
كان يقلع الحجر وكان قد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم
قالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله
الا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وسيأتي بقية القصة ان
شاء الله تعالى في سورة والصافات (فان قيل) قد حكى الله تعالى عن فرعون انه تاب في آخر الامر
لم يقبل توبته وحكى عن قوم يونس انهم تابوا وقبل توبتهم فما الفرق بين الحالين (أجيب)
أن فرعون انما تاب بعد أن شاهد العذاب وهو وقت اليأس [illegible] وأما قوم يونس فانهم
تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت لهم أمارات دالة على قرب العذاب [illegible] تابوا قبل أن [illegible]
بأنفسهم فكانوا كالمريض يخاف الموت [illegible]
التوبة فقبل توبتهم بخلاف [illegible]
تعالى (ولو شاء ربك) يا محمد (لآمن) بك من في الارض [illegible] (كلهم) [illegible]
(جميعا) [illegible] فلا [illegible]
[illegible] السعادة في الأزل [illegible]
[illegible] الله تعالى أنه لا يؤمن به الا من سبقت له السعادة [illegible]
[illegible] على [illegible] وهو قوله تعالى (أفأنت تكره الناس) أي [illegible] (حتى
يكونوا مؤمنين) أي ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه وتحرص عليه انما الايمان [illegible]
والاضلال الكائن بمشيئة الله تعالى وقضائه وليس لأحد ذلك سواه كما قال تعالى (وما كان) أي
وما ينبغي وما يتأتى (لنفس) أي واحدة فما فوقها (أن تؤمن) أي يقع منها الايمان في وقت ما (الا
باذن الله) أي بارادته لها بالايمان فان هدايتها الى الله فهو الهادي والمضل وقال ابن عباس
بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله (ويجعل) الله (الرجس) أي العذاب والخذلان فانه سببه
وقرأ شعبة وحده بالنون (على الذين لا يعقلون) أي لا يتدبرون في آيات الله تعالى فينتفعوا بها
وهم يدعون انهم أعقل الناس ويتساقطون في مساوي الاخلاق وهم يدعون أنهم أبعد الناس
عنها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولما بين الله تعالى في الآيات السابقة أن الايمان

قوله ضرب عليك الخ كذا في النسخ والذي في الجمل علمه اه مصححه

في نبوته فكيف يزول ذلك الشك بإخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم في الأكثر كفار
فثبت أن الخطاب وإن كان في الظاهر معه صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد هو الأمة ومثل هذا
معتاد فإن السلطان إذا كان له أمير وتحت راية ذلك الأمير جمع فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر
مخصوص فإنه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك الأمير الذي جعله أميرا
عليهم ليكون ذلك أشد تأثيرا في قلوبهم وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته
ولكن الله تعالى علم أنه صلى الله عليه وسلم لا يشك في ذلك إلا أن المقصود أنه متى سمع هذا
الكلام فإنه يصرح ويقول يا رب لا أشك ولا أطلب الحجة من قول أهل الكتاب بل أكتفي بما
أنزلته علي من الدلائل الظاهرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل أحدا منهم
ونظيره قوله للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون والمقصود أن يصرحوا بالجواب الحق
ويقولوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وكما قال تعالى لعيسى عليه
السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين والمقصود منه أن يصرح عيسى عليه السلام
بالبراءة من ذلك فكذلك هنا وقرأ ابن كثير والكسائي بنقل حركة الهمزة إلى السين والباقون
بالهمزة وسكون السين وقيل الخطاب لكل من يسمع أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا
على لسان نبينا إليك وفيه تنبيه على أن من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها
بالرجوع إلى أهل العلم وأظهر هذه الأقوال أولها وعليه الأقوال تجري ثم قال تعالى (لقد
جاءك الحق من ربك) أي الآيات القاطعة لا مدخل للمرية فيه (فلا تكونن من الممترين) أي
الشاكين فيه وفي قوله تعالى (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين)
أي الذين خسروا أنفسهم (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك) أي ثبت عليهم قول الله تعالى الذي
كتبه في اللوح المحفوظ وأخبر به الملائكة أنهم (لا يؤمنون) أي بحيث [illegible] إلا بسبب
غيره إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فإن السبب الأصلي لإيمانهم
هو تعلق إرادة الله تعالى به مفقود فإن الدليل لا يهدي إلا بإعانة الله تعالى وإذا لم تحصل تلك
الإعانة ضاعت تلك الدلائل (حتى يروا العذاب الأليم) فحينئذ لا ينفعهم الإيمان كما لم ينفع
فرعون وقرأ نافع وابن عامر كلمات بألف بعد الميم على الجمع والباقون بغير ألف على الإفراد
القصة الثالثة قصة يونس عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (فلولا) أي فهلا (كانت قرية)
واحدة من قرى الأمم الماضية أي أهلكناها (آمنت) أي آمن أهلها عند اقتراب الآيات أو عند
رؤية أسباب العذاب (فنفعها) أي فتسبب عن إيمانها ذلك أنه نفعها (إيمانها) بأن تقبله الله
تعالى منها أو كشف العذاب عنها وقوله تعالى (إلا قوم يونس) استثناء منقطع بمعنى لكن قوم
يونس (لما آمنوا) أي لما أخلصوا الإيمان أول ما رأوا آية العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله
(كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي
لتضمن حرف التحضيض معناه كأنه قيل ما آمن أهل قرية من القرى الهالكة فنفعهم إيمانهم
إلا قوم يونس (ومتعناهم إلى حين) أي إلى انقضاء آجالهم روى عبد الله بن مسعود وغيره أن قوم
يونس كانوا بأرض نينوى من أرض الموصل فأرسل الله تعالى إليهم يونس عليه السلام يدعوهم
إلى الإيمان فدعاهم فأبوا فقيل له إن العذاب مصبحهم إلى ثلاثة أيام فأخبرهم بذلك فقالوا إنا

قصة الآيات فإنه يقتضي
القرد العود إلى فرعون
(قوله وأوحينا إلى موسى
وأخيه أن تبوآ) الآية في
غير الأول ونحو العود إلى
موسى وأخيه بالتصريح
بهما بوجه بالعود

(وأمرت أن) أي بأن (أكون من المؤمنين) أي المصدقين بما جاء من عند الله وقيل إنه لما ذكر
العبادة وهي من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الايمان لأنه من أعمال القلوب (فإن قيل) كيف
قال في شك وهم كفار يعتقدون بطلان ما جاء به (أجيب) بأنه كان فيهم شاكون أو أنهم لما رأوا
الآيات اضطربوا وشكوا في أمره صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وأن أقم وجهك للدين)
عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا فرق بينهما في الغرض لأن
المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر لدلالته معه عليه وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر
منها والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء
عن القبائح أو في الصلاة باستقبال القبلة وقوله (حنيفا) حال من فاعل أقم أو من الدين أو من
الوجه ومعناه مائلا عن الدين غيره ومعوج عنه الى دين آخر وقوله تعالى (ولا تكونن من
المشركين) أي ممن يشرك بالله في عبادته غيره فتهلك خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته
أي ولا تكونن أيها الانسان وكذا قوله تعالى (ولا تدع) أي تعبد (من دون الله) أي غيره (ما لا
ينفعك) أي ان عبدته (ولا يضرك) ان لم تعبده (فإن فعلت) ذلك (فإنك إذا من الظالمين)
لنفسك لأنك وضعت العبادة في غير موضعها والظلم وضع الشيء في غير محله فإذا كان ما سوى
الحق معزولا عن التصرف كان اضافة التصرف الى ما سوى الحق وضعا للشيء في غير موضعه
فيكون ظلما ولما ذكر تعالى الأوثان وبين أنها لا تقدر على ضر ولا نفع بين تعالى أنه هو القادر
على كل شيء وأنه ذو الجود والكرم والرحمة بقوله تعالى (وإن يمسسك) أي يصبك (الله بضر)
كفقر ومرض (فلا كاشف) أي لا دافع (له إلا هو) لأنه الذي أنزله بك (وإن يردك بخير) كرخاء
وصحة (فلا راد) أي دافع (لفضله) أي الذي أرادك به (يصيب به) أي بالخير (من يشاء من عباده
وهو الغفور) أي البليغ الستر للذنوب (الرحيم) أي البالغ في الاكرام وقرأ أبو عمرو وقالون
والكسائي بسكون الهاء والباقون بالضم فرجح سبحانه وتعالى جانب الخير على جانب الشر من
ثلاثة أوجه الأول أنه تعالى لما ذكر امساس الضر بين أنه لا كاشف له إلا هو وذلك يدل على أنه
تعالى يزيل المضار لأن الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير لم يقل بأنه يدفعه بل قال إنه
لا راد لفضله وذلك يدل على أن الخير مطلوب بالذات وأن الشر مطلوب بالعرض كما قال صلى الله
عليه وسلم عن ربه تعالى إنه قال سبقت رحمتي غضبي الثاني أنه سبحانه وتعالى قال في صفة الخير
يصيب به من يشاء من عباده وذلك يدل على أن جانب الخير أقوى وأغلب الثالث أنه تعالى قال
وهو الغفور الرحيم وهذا أيضا يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الآية أنه
سبحانه وتعالى بين أنه منفرد بالخلق والايجاد والتكوين والابداع وأنه لا موجد سواه ولا
معبود إلا إياه وأن جميع الممكنات مستندة اليه وجميع الكائنات محتاجة اليه والأيدي مرفوعة
اليه والحاجات منتهية اليه والعقول والهة فيه والرحمة والجود فائض منه * ولما قرر تعالى
الدلائل المذكورة في التوحيد والنبوة والمعاد وزين آخر هذه السورة بهذه البيانات الدالة
على كونه تعالى متفردا بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة
العالية لئلا يبقى لأحد عذر بقوله تعالى (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت اليهم (قد
جاءكم الحق من ربكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله تعالى والقرآن فلم يبق

نه (قلت) أضافها اليه
لأن هرون كان يؤمن على
دعاء موسى والتأمين دعاء
في المعنى أو لأن هرون دعا
أيضا مع موسى إلا أنه قدما
خص موسى بالذكر لأنه

لا يحصل الا بتوفيق الله تعالى ومشيئته أمر بالنظر والاستدلال في الدلائل بقوله تعالى (قل انظروا) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات (ماذا) أي الذي (في السموات والارض) من الآيات وواضح الدلالات من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته ففي العالم العلوي الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم وحركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب وما يختص بذلك من المنافع وفي العالم السفلي الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان وأخصها حال الانسان كل ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها كما قال القائل

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

وقرأ عاصم وحمزة في الوصل بكسر اللام والباقون بضمها وأما الهمزة من انظروا فكل القراء يبتدئون بالضم (وما تغني الآيات) أي وان كانت في غاية الوضوح (والنذر) جمع نذير أي الرسل (عن قوم لا يؤمنون) في علم الله تعالى وحكمه * (تنبيه) * قال النحويون ما هنا تحتمل وجهين الاول أن تكون نفيا بمعنى ان هذه الآيات والنذر لا تفيد الفائدة في حق من حكم الله تعالى عليه بأنه لا يؤمن كقولك لا يغني عنك المال اذا لم تنفق والثاني أن تكون استفهاما كقولك أي شيء يغني عنهم وهو استفهام بمعنى الانكار (فهل) أي فما (ينتظرون) أي أهل مكة بتكذيبك (الا) أياما أي وقائع (مثل أيام) أي وقائع (الذين خلوا من قبلهم) أي من مكذبي الامم كالقبط وقوم نوح وما انطوى بينهما من الامم أي مثل وقائعهم من العذاب (قل) أي قل لهم يا محمد (فانتظروا) أي العذاب (اني معكم من المنتظرين) أي لنزول العذاب بكم وقوله تعالى (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه قوله تعالى الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الاحوال الماضية وقرأ أبو عمرو وحده بسكون السين (كذلك) أي كما نجينا رسلنا والذين آمنوا معهم من الهلاك (حقا علينا ننج المؤمنين) أي ننجيك يا محمد ومن آمن معك وصدقك من الهلاك والعذاب (فان قيل) قوله تعالى حقا يقتضي الوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء (أجيب) بان ذلك حق بحسب الوعد والحكم لا أنه حق بحسب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يستحق على خالقه شيأ وهو اعتراض بين المشبه والمشبه به ونصب بفعله المقدر وقيل بدل من ذلك وقرأ حفص والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بفتحها وأما الوقف عليها فجميع القراء يقفون على الجيم لانها مرسومة في المصحف بالجيم بلا ياء فهي في القرآن وقفا ووصلا بلا ياء بجميع القراء ولما ذكر تعالى الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله صلى الله عليه وسلم باظهار دينه فقال (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت اليهم فشكوا في أمرك ولم يؤمنوا بك (ان كنتم في شك من ديني) أي الذي أدعوكم اليه أنه حق وأصررتم على ذلك وعبدتم الاصنام التي لا تضر ولا تنفع (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أي غيره وهو الاصنام التي لا قدرة لها على شيء (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) بقبض أرواحكم التي لا شيء عندكم يعدلها فانه الذي يستحق العبادة وانما خص الله تعالى هذه الصفة التي هي التوفي بالذكر وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم

(قوله قد أجيبت دعوتكما) الخ أضاف الدعوة (اليهما) مع أن الداعي موسى عليه السلام فقط وهو قوله ربنا الآية وقال موسى انك آتيت فرعون وملأه

تقض شيء منه ولا الطعن في شيء من بلاغته أو فصاحته الثاني ان الاحكام عبارة عن منع
الفساد من الشيء فقوله أحكمت آياته أي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به كما قال
ابن عباس الثالث أنها أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا
صار حكيما لانها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية وقوله تعالى (ثم فصلت) صفة
أخرى للكتاب أي بينت بالاحكام والقصص والمواعظ والاخبار أو بالانزال نجما نجما أو فصل
فيها ولخص ما يحتاج اليه أو جعلها سورا وقال الحسن أحكمت بالامر والنهي ثم فصلت
بالوعد والوعيد * (تنبيه) * معنى ثم في قوله تعالى ثم فصلت ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال
كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم
الفعل وقوله تعالى (من لدن حكيم خبير) أي الله تعالى صفة أخرى للكتاب والتقدير الر
كتاب من حكيم خبير أو خبر بعد خبر والتقدير الر من لدن حكيم خبير أو صلة لاحكمت
وفصلت أي أحكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير قد حصل بين أوائل هذه
السورة وبين آخرها مناسبة لطيفة كأنه يقول تعالى أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت
من لدن خبير عالم بكيفيات الامور وقوله تعالى (أن لا تعبدوا الا الله) يحتمل وجوها الاول
أن تكون مفعولا له والتقدير كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لاجل أن لا تعبدوا الا الله
الثاني أن تكون مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول قال الرازي والحمل على هذا أولى
لان قوله تعالى وأن استغفروا معطوف على قوله تعالى أن لا تعبدوا فيجب أن يكون معناه
أي لا تعبدوا ليكون الامر معطوفا على النهي فان كونه بمعنى لان لا تعبدوا يمنع عطف
الامر عليه الثالث أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
اغراء منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (انني لكم
منه) أي الله (نذير) بالعقاب على الشرك (وبشير) بالثواب على التوحيد كأنه قيل ترك عبادة
غير الله تعالى بمعنى اتركوها انني لكم منه نذير وبشير كقوله تعالى فضرب الرقاب * (تنبيه) *
هذه الآية الكريمة مشتملة على أشياء مرتبة الاول أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا الا الله لان
ما سواه محدث مخلوق مربوب وانما حصل بتكوين الله وايجاده والعبادة عبارة عن اظهار
الخضوع والخشوع ونهاية التواضع والتذلل وذلك لا يليق الا بالخالق المدبر الرحيم المحسن
فثبت ان عبادة غير الله تعالى منكرة المرتبة الثانية قوله تعالى (وأن استغفروا ربكم)
المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم توبوا اليه) واختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين على وجوه
الاول أن معنى قوله وأن استغفروا أي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي
يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لان الداعي الى التوبة والمحرض عليها هو الاستغفار
الذي هو عبارة عن طلب المغفرة فالاستغفار مطلوب بالذات والتوبة مطلوبة لكونها من
متممات الاستغفار وما كان آخرا في الحصول كان أولا في الطلب فلهذا السبب قدم ذكر
الاستغفار على التوبة الثاني وأن استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا أي ارجعوا
اليه بالطاعة الثالث الاستغفار طلب من الله تعالى لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي من
الانسان في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار ليدل على ان المؤمن يجب عليه أن لا يطلب الشيء

فإن قيل كيف قال الله ذلك
ثم (قلت) لم يقله بل لما
كان هنا كان [illegible] آن في
[illegible] صلى الله عليه
وسلم ولا ينافيه قوله
[illegible] وقوله
وأنزلنا إليكم نورا مبينا

لكم عذر (فمن اهتدى) أى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وعمل بما فى الكتاب (فانما يهتدى لنفسه) لانه اتبع الحق الثابت وترك الباطل الزائل فأنقذ نفسه من النار وأوجب لها الجنة ثواب اهتدائه (ومن ضل) أى كفر بها أو بشئ منها (فانما يضل عليها) أى على نفسه لان وبال ضلاله عليها الا من ترك الباقى وتمسك بما ليس فى يده منه شئ فقد غر نفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم (وما أنا عليكم بوكيل) أى حفيظ أى موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير قال ابن عباس وهذه الآية منسوخة بآية السيف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (واتبع) يا محمد (ما يوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) أى على دعوتهم وتحمل أذيتهم (حتى يحكم الله) أى بنصرك عليهم واظهار دينك أو بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه تعالى لاطلاعه على السرائر كاطلاعه على الظواهر فحكم بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون وأنشد بعضهم فى الصبر

ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى * وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

ساصبر حتى يعلم الصبر أننى * صبرت على شئ أمر من الصبر [٣]

وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل المدينة فقال له مالك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال اقطعناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدى أثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقونى قال فاصبر قال اذا أصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين نثا كلامى

بانا صابرون فنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

وقول البيضاوى تبعا للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون حديث موضوع

(سورة هود عليه السلام مكية)

الا أقم الصلاة الآية والا فلعلك تارك الآية وأولئك يؤمنون به الآية مائة وثنتان أو ثلاث وعشرون آية وكلماتها ألف وسبعمائة وخمس عشرة وحروفها سبعة آلاف وستمائة وخمسة أحرف وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتنى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية (بسم الله) أى الذى له تمام العلم بكمال الحكمة وجميع القدرة (الرحمن) لجميع خلقه بعموم البشارة والنذارة (الرحيم) لاهل ولايته بالحفظ فى سلوك سبيله وقوله تعالى (الر كتاب) مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف وتقدم الكلام على أوائل السور أول سورة البقرة وقرأ أبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائى بالامالة والباقون بالفتح وقوله تعالى (أحكمت آياته) صفة للكتاب وفسر الاحكام بوجوه الاول أحكمت آياته أى نظمت نظما محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الرصف ولا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى ولا يستطيع أحد

كان أسبق بالدعوة أو أحرص عليها (قوله فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك) ان قلت ان الشك والشك فى القرآن منتف عنه صلى الله عليه وسلم

[٣] قوله أمر من الصبر هكذا فى الاصول التى بايدينا ولعل المناسب أمر من الصبر أو أمر من الجمر اهـ مصححه

اقتضاه ولا مانع لمشيئته ومنه الثواب والعقاب وفي ذلك دلالة على قدرة عالية وجلالة عظيمة
لهذا الحاكم وعلى ضعف لهذا العبد والملك القاهر العالي إذا رأى عاجزًا مشرفًا على الهلاك
فإنه يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور ملكت فاسجح أي فاعف يقول مصنف هذا
الكتاب قد أفنيت عمري في خدمة العلم ومطالعة الكتب ولا رجاء لي في شيء إلا أني في غاية الذلة
والقصور والكريم إذا قدر عفا فأسألك يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وساتر عيوب
المعيوبين أن تفيض سجال رحمتك علي وعلى والدي وأولادي وإخواني وأصحابي وأن
تخصني وإياهم بالفضل والتجاوز والجود والكرم واختلفوا في سبب نزول قوله تعالى (ألا
إنهم يثنون صدورهم) فقال ابن عباس نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام
حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فمعنى قوله
تعالى يثنون صدورهم يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة وقال عبد الله بن شداد
نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ
رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم
كي لا يسمعوا كلام الله تعالى ولا ذكره وروى البخاري عن ابن عباس أنها نزلت في أناس كانوا
يستحيون أن يتخلوا أو يجامعوا فيفضوا إلى السماء وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته
ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم أي
يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني (ليستخفوا منه) أي من الله تعالى بسرهم فلا يطلع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عليه وقيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
قيل إنها نزلت في طائفة من المشركين قالوا إن أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا
صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم (ألا حين يستغشون ثيابهم) أي يغطون رؤوسهم
ويتغطون بثيابهم (يعلم) تعالى (ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم لأنه
لا تفاوت في علمه تعالى بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتغشيهم [illegible]
(إنه) تعالى (عليم بذات الصدور) أي بالقلوب وأحوالها ولما ذكر تعالى أنه يعلم ما يسرون
وما يعلنون أردفه بما يدل على كونه عالمًا بجميع المعلومات بقوله تعالى (وما من دابة في
الأرض إلا على الله رزقها) فذكر تعالى أن رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى فلو لم
يكن عالمًا بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات والدابة اسم لكل حيوان دب على وجه
الأرض ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة وهي الأجناس التي تكون في البر
والبحر والجبال والله تعالى عالم بكيفية طباعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها ومساكنها
وما يوافقها ويخالفها فالإله المدبر لأطباق السموات والأرض وطبائع الحيوانات والنبات
كيف لا يكون عالمًا بأحوالها روي أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه
بأحوال أهله فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرج منها صخرة ثانية
ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرج منها صخرة ثالثة ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت فخرجت
منها دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الله تعالى الحجاب عن سمع موسى
عليه السلام فسمع الدودة كانت تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني

الامن مولاه فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان ويتوسل به الى دفع المكروه والاستعانة بفضل الله تعالى تقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم انه تعالى لما ذكر هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما رتب عليها من الآثار المطلوبة ومن المعلوم ان المطالب محصورة في نوعين لانه انما يكون حصولها في الدنيا أو في الآخرة أما المنافع الدنيوية فهي المرادة من قوله تعالى (يمتعكم متاعا حسنا) أي بطيب عيش وسعة رزق (الى اجل مسمى) وهو الموت (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال أيضا خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة فهذه النصوص دالة على أن نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبلية ومقتضى هذه الآية أن نصيب المشتغل بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما (أجيب) بأن المشتغل بعبادة الله ومحبته مشتغل بحب شئ يمتنع تغيره وزواله وفناؤه فكلما كان امعانه في ذلك الطريق أكثر وتوغله فيه أتم كان انقطاعه عن الخلق أتم وأكمل وكلما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الابتهاج والسرور أكمل لانه أمن من تغير مطلوبه وأمن من زوال محبوبه وأما من كان مشتغلا بحب غير الله كان أبدا في ألم الخوف من فوات المحبوب وزواله وكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا ولذلك قال تعالى في صفة المشتغلين بخدمته فلنحيينه حياة طيبة وقيل المراد بالمتاع الحسن عدم العذاب بعذاب الاستئصال كما استؤصل أهل القرى الذين كفروا وسمى سبحانه وتعالى منافع الدنيا بالمتاع لاجل التنبيه على حقارتها وقلتها ونبه تعالى على كونها منقضية بقوله تعالى الى أجل مسمى فصارت هذه الآية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية وأما المنافع الاخروية فقد ذكرها تعالى بقوله تعالى (ويؤت) أي في الآخرة (كل ذي فضل) أي في العمل (فضله) أي جزاءه لان مراتب السعادة في الآخرة مختلفة لانها مقدرة بمقدار الدرجات الحاصلة في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق درجات غير متناهية فكذلك مراتب السعادات الاخروية غير متناهية فلهذا السبب قال تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله وقال أبو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن زادت سيآته على حسناته دخل النار ومن استوت سيآته وحسناته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت له سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقي له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب آحاده أعشاره وقوله تعالى (وان تولوا) فيه حذف احدى التاءين أي وان تعرضوا عما جئتكم به من الهدى (فاني) أي فقل لهم اني (أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف (الى الله مرجعكم) أي رجوعكم في ذلك اليوم فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسئ على اساءته (وهو على كل شئ قدير) أي قادر على جميع المقدورات لا دافع

وقوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره كما في قوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين أو المراد الزام

عنهم نوعا آخر بقوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى) مجيء (أمة) أى جماعة من الاوقات (معدودة) أى قليلة (ليقولن) أى استهزاء (ما يحبسه) أى ما يمنعه من الوقوع قال الله تعالى (ألا يوم يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا) أى مدفوعا (عنهم وحاق) أى نزل (بهم) من العذاب (ما كانوا به يستهزؤن) أى الذى كانوا يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء (فان قيل) لم قال تعالى وحاق على لفظ الماضى مع أن ذلك لم يقع (أجيب) بأنه وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التأكيد والتقرير والتهديد ولما ذكر تعالى أن عذاب الكفار وان تأخر الا أنه لابد وأن يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب بقوله تعالى (ولئن أذقنا) أى أعطينا (الانسان) أى الكافر (منا رحمة) أى نعمة كغنى وصحة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها) أى سلبنا تلك النعمة (منه انه ليؤس) أى قنوط من رحمة الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) أى جحود لنعمته تعالى عليه وأما المسلم الذى يعتقد أن تلك النعمة من عند الله تعالى وفضله واحسانه فانه لا يحصل له اليأس بل يقول لعله تعالى يردها على بعد ذلك أحسن وأكمل وأفضل مما كانت (ولئن أذقناه) أى الكافر (نعماء بعد ضراء مسته) أى صحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين وهما أذقناه ومسته من حيث الاسناد المضاف الى الاول والى الضراء فى الثانى نكتة لطيفة وهى أن النعمة صادرة من الله تعالى تفضلا اذ لا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا والشر صادر من العبد كسبا لانه السبب فيه باجتلابه اياه بالمعاصى كما قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله لان الكل منه ايجادا غير أن الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر (ليقولن) أى الذى أصابه النعمة والغنى (ذهب السيئات) أى المصائب التى ساءتنى (عنى) ولم يتوقع زوالها ولا يشكر عليها (انه لفرح) أى فرح بطر (فخور) على الناس بما أعطاه الله تعالى من نعمائه وقد شغله الفرح والفخر عن الشكر فبين سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن أحوال الدنيا غير باقية بل هى أبدا فى التغير والزوال والتحول والانتقال كان الانسان اما أن يتحول من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات كالقسم الاول واما أن يكون بالعكس من ذلك وهو أن ينتقل من المكروه الى المحبوب كالقسم الثانى وبين تعالى أن الكافر عند الابتلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعماء لا يكون من الشاكرين ثم بين حال المتقين بقوله تعالى (الا) أى لكن (الذين صبروا) على الضراء (وعملوا الصالحات) أى فى النعماء أى فانهم ان أصابتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) جمع لهم تعالى بين هذين المطلوبين أحدهما زوال العقاب والخلاص منه وهو المراد من قوله تعالى لهم مغفرة والثانى الفوز بالثواب ودخول الجنة وهو المراد من قوله تعالى وأجر كبير (فلعلك) يا محمد (تارك بعض ما يوحى اليك) فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به فانهم كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه وقرأ حمزة والكسائى بالامالة محضة وورش بين

ويذكرني ولا ينساني (فان قيل) ان كلمة على للوجوب فيدل على ان ايصال الرزق الى الدابة واجب على الله تعالى (أجيب) بأنه تعالى انما أتى بذلك تحقيقا لوصوله بحسب الوعد والفضل والاحسان وحملا على التوكل فيه وفي هذه الآية دليل على ان الرزق قد يكون حراما لانه ثبت ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد والله تعالى لا يخل به ثم قد نرى ان انسانا لا يأكل من الحلال طول عمره فلو لم يكن الحرام رزقا لكان الله تعالى ما أوصل رزقه اليه فيكون الله تعالى قد أخل بالواجب وذلك محال فعلمنا ان الحرام قد يكون رزقا (ويعلم) تعالى (مستقرها) قال ابن عباس هو المكان الذي تأوي اليه وتستقر فيه ليلا ونهارا (ومستودعها) هو الذي تدفن فيه اذا ماتت وقال عبد الله بن مسعود المستقر ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقال عطاء المستقر أرحام الامهات والمستودع أصلاب الآباء وقيل الجنة أو النار والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت مستقرا ومقاما ولا مانع أن يفسر ذلك بهذا كله (كل) أي كل واحدة من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها (في كتاب) أي ذكرها مثبت في اللوح المحفوظ (مبين) أي بين كما قال تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولما أثبت تعالى بالدليل المتقدم كونه عالما بالمعلومات أثبت كونه تعالى قادرا على كل المقدورات بقوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) أي من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة وتقدم الكلام على تفسير ذلك في سورة الاعراف (وكان عرشه على الماء) قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال أبو بكر الاصم ومعنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقا بالآخر وقال حمزة ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالقه وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله تعالى ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيأ من خلقه وفي هذا دلالة على كمال قدرته تعالى لان العرش مع كونه أعظم من السموات والارض كان على الماء وقد أمسكه الله تعالى من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه وقوله تعالى (ليبلوكم) متعلق بخلق أي خلقها وما فيها منافع لكم ومصالح ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم أحسن عملا) أي أطوع لله وأورع عن محارم الله وهذا القيام الحجة عليهم وقد مر أمثال ذلك ولما بين تعالى أنه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وهذا يوجب القطع بحصول الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسيء بالعقاب وذلك لا يتم الامع الاعتراف بالمعاد والقيامة خاطب تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال جل وعلا (ولئن قلت) يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) أي للحساب والجزاء (ليقولن الذين كفروا ان) أي ما (هذا) أي القرآن بالبعث أو الذي تقوله (الا سحر مبين) أي بين وقرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء فيكون ذلك راجعا للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بكسر السين وسكون الحاء ولما حكى تعالى عن الكفار أنهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى

النصارى (قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) فائدة ذكر جميعا بعد كلهم مع ان كلا منهما يفيد الاحاطة والشمول الدلالة على وجود الايمان منهم بصفة

النار وحبط) أي بطل (ما صنعوا) أي عملوا (فيها) أي الآخرة فلا ثواب لهم (وباطل ما كانوا يعملون) لأنه لغير الله تعالى فقال مجاهد نزلت في أهل الرياء قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء والرياء هو أن يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس ويعتقدوا فيه الصلاح فهذا هو العمل الذي لغير الله تعالى نعوذ بالله من الخذلان وقال أكثر المفسرين انها نزلت في الكافر وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا وقيل نزلت في المنافقين الذين يطلبون بغزوهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير أن يؤمنوا بالآخرة وثوابها وقيل في اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس ولما ذكر تعالى الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة بقوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) قيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والبينة هي القرآن (ويتلوه) أي ويتبعه (شاهد) يصدقه (منه) أي من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام (ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة شاهد له أيضا وقوله تعالى (اماما) أي كان اماما يقتدى به في الدين (ورحمة) أي على المنزل عليهم لأنه الوصلة الى الفوز بسعادة الدارين [illegible] محذوف لظهوره والتقدير أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس له في الآخرة الا النار [illegible] بل بينهم تفاوت بعيد وقيل [illegible] كعبد الله بن سلام وغيره والمراد بالبينة البيان والبرهان والمراد [illegible] أي من الله ومن قبله كتاب موسى أي ويتلو ذلك البرهان من [illegible] أي في دلالته على هذا المطلوب لا في الوجود [illegible] (أولئك يؤمنون به) [illegible] ويجوز أن تكون للتعظيم أي له صلى الله عليه وسلم [illegible] عليه بعض المفسرين والاشارة الى من كان على بينة والضمير في به للقرآن [illegible] الفريق ليس له في الآخرة الا النار وهذا الفريق ليس له في الآخرة الا الجنة (ومن يكفر به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن (من الاحزاب) أي أصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود والنصارى والمجوس (فالنار موعده) يعني في الآخرة وروى سعيد بن جبير عن أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي الا كان من أهل النار قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال بعض العلماء ولما دلت الآية على أن من يكفر به كانت النار موعده دل على أن من لا يكفر به كانت الجنة موعده وقوله تعالى (فلا تك في مرية) أي شك (منه) أي القرآن أو الموعد (انه الحق من ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويؤيد

الفطين والباقون بالفتح (وضائق به صدرك) أي بتلاوته عليهم لأجل (أن يقولوا لولا) أي هلا (أنزل عليه كنز) ينفقه في الاستمتاع كالملوك (أو جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا وروى عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزل (إنما أنت نذير) فلا عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه (والله على كل شيء وكيل) فتوكل عليه إنه عالم بحالهم وفاعل بهم بجزاء أقوالهم وأفعالهم (أم) أي بل (يقولون) كفار مكة (افتراه) أي اختلقه من تلقاء نفسه وليس هو من عند الله قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد (فأتوا بعشر سور مثله) في البيان وحسن النظم (مفتريات) فإنكم عربيون مثلي قال ابن عباس هذه السور التي وقع بها هذا التحدي معينة وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهود وقيل التحدي وقع بمطلق السور وهو متقدم على التحدي بسورة واحدة والتحدي بسورة واحدة وقع في سورة البقرة وفي سورة يونس أما تقدم هذه السورة على سورة البقرة فظاهر لأن هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية وأما في سورة يونس فلأن كل واحدة من هاتين السورتين مكية فتكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة يونس كما قاله الرازي وأنكر المبرد هذا وقال بل سورة يونس أولا وقال معنى قوله في سورة يونس فأتوا بسورة مثله أي مثله في الخبر عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد فأتوا بعشر سور من غير وعد ولا وعيد وإنما هي مجرد البلاغة (وادعوا) أي وقل لهم يا محمد ادعوا للمعاونة على ذلك (من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) في أنه مفترى والضمير في قوله تعالى (فإن لم يستجيبوا لكم) أي بإتيان ما دعوتموهم إليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لأنه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقال تعالى في موضع آخر فإن لم يستجيبوا لك فاعلم والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم (فاعلموا أنما أنزل) ملتبسا (بعلم الله) أي بما لا يعلمه إلا الله تعالى من نظم يعجز الخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه ولا يقدر عليه سواه وقوله تعالى (وأن) مخففة من الثقيلة أي وأنه (لا إله إلا هو) وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) أي ثابتون على الإسلام راسخون مخلصون فيه إذ تحقق عندكم إعجازه مطلقا وقيل الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنه منزل من عند الله وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق فهل أنتم بعد هذه الحجة القاطعة مسلمون أي أسلموا وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واختلف في سبب نزول قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي بعمله الذي يعمله من أعمال البر (نوف إليهم أعمالهم) أي التي عملوها من خير كصدقة وصلة رحم (فيها) أي في الدنيا (وهم فيها لا يبخسون) أي نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ونحو ذلك (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا

هنا وافقه لقوله قبل وقال في تفسير الرحمن موافقة الأقل من المسلمين لقوله قبل فهل أنتم مسلمون (قوله وإن يجعل الله) الآية أي يجعل بعض (فانعكات) لم ذكر المس في

غيره (من أولياء) أي أنصار يمنعونهم من عذابه * الصفة العاشرة مضاعفة العذاب كما قال تعالى (يضاعف لهم العذاب) أي بسبب إضلالهم غيرهم وقيل لأنهم كفروا بالله وكفروا بالبعث والنشور * الصفة الحادية عشرة قوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به (وما كانوا يبصرون) خيرا فيأخذوا به قال ابن عباس أخبر الله تعالى أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته تعالى في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فإنه قال ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فإنه قال فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم الصفة الثانية عشرة قوله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) فإنهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى فكان مصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم وذلك أعظم وجوه الخسرانات الصفة الثالثة عشرة قوله تعالى (وضل) أي غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله تعالى من دعوى الشريك وأن الآلهة تشفع لهم الصفة الرابعة عشرة قوله تعالى (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) أي لا أحد أبين ولا أكثر خسرانا منهم * (تنبيه) * قال الفراء إن لا جرم بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا تقول العرب لا جرم أنك محسن على معنى حقا إنك محسن وقال الزجاج إن كلمة لا نفي لما ظنوا أنه ينفعهم وجرم معناه كسب ذلك الفعل والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة قال الأزهري وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب وقال سيبويه لا رد على أهل الكفر كما مر وجرم معناه أحق والمعنى أنه أحق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واحتج سيبويه بقول الشاعر

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أراد أحقت الطعنة فزارة أن يغضبوا * ولما ذكر تعالى عقوبة الكفار وخسرانهم أتبعه بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة بقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم) أي اطمأنوا إليه وخشعوا له والإخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ويتعدى بإلى وباللام فإذا قلت أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن إليه وإذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إشارة إلى جميع عمل الجوارح وقوله تعالى وأخبتوا إشارة إلى أعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله تعالى وأن هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة إلا بحصول أعمال القلب وهي الخشوع والخضوع (أولئك) أي الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فأخبر تعالى عن حالهم في الآخرة بأنهم من أهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال * ولما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ذكر فيهما مثالا مطابقا بقوله تعالى (مثل) أي صفة (الفريقين) أي الكفار والمؤمنين (كالأعمى والأصم) هذا مثل الكافر شبهه بالأعمى لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن شبهه بالبصير والسميع لأن أمره بالضد من الكافر فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه

لا الوجود كى اذا الصو...
سابقة على الاستغفار...
المعنى استغفروا ربكم ...
الشرك ثم توبوا ا...
ارجعوا اليه بالطاعة...
(فإن قلت) ...
يستغفر الله ولم يتب ...

ذلك قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بما أوحينا الـ
موعد الكفار النار ثم وصف الله تعالى هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في
الذم * الصفة الاولى كونهم مفترين على الله كما قال تعالى (ومن) أي لا أحد (أظلم
على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه أو أسند اليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزل
الثانية أنهم يعرضون على الله تعالى في موقف الذل والهوان كما قال تعالى (أولئك
على ربهم) أي يوم القيامة (فان قيل) هم لا يختصون بهذا العرض لان العرض
العباد كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا (أجيب) بأنهم يعرضون فيفتضحو
الاشهاد عليهم كما قال تعالى (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فيحصل
الخزي والنكال ما لا مزيد عليه وهذه هي الصفة الثالثة واختلف في هؤلاء الاشهاد
مجاهد هم الملائكة الذين يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا وقال مقاتل هم الناس
على رؤس الاشهاد أي على رؤس الناس وقال قوم هم الانبياء كما قال تعالى فلنسـ
أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار
(فان قيل) العرض على الله يقتضي أن يكون الله تعالى في حيز وهو تعالى منزه
(أجيب) بأنهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال أو يكون ذلك
من يوبخ بأمر الله تعالى من الانبياء والمؤمنين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصـ
جمع شهيد كشريف وأشراف قال أبو علي الفارسي وكان هذا أرجح لان ما جاء
التنزيل جاء على فعيل كقوله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وعن عبد الله بن عمر أ
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فـ
عبدي تعرف ذنب كذا أو كذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال تعالى سترتها عليك
وقد سترتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافق فتقول الاشهاد هؤ
كذبوا على ربهم * ولما أخبر الله تعالى عن حالهم في عقاب القيامة أخبر عن حالهم
بقوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) فبين تعالى انهم في الحال ملعونون من عند ا
هي الصفة الرابعة * ثم وصفهم بالصفة الخامسة بقوله تعالى (الذين يصدون عن سبيل
دينه * ثم وصفهم بالصفة السادسة بقوله تعالى (ويبغونها) أي يطلبون السبيل (عو
معوجة أي لانهم ظلوا أنفسهم بالتزام الكفر والضلال فقد أضافوا اليه المنع من الد
والقاء الشبهات وتعويج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي انه يبغي عوجا وا
ذلك فيمن يعرف كيف الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلا
وصفهم بالصفة السابعة بقوله تعالى (وهم) أي والحال انهم (بالآخرة هم كافرون)
لفظ هم لتأكيد كفرهم وتوغلهم فيه * الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار من
الله تعالى كما قال تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) أي ما كانوا معجزين الله
أن يعاقبهم اذ لا يمكنهم أن يهربوا من عذابه فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لا
قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالقرب والبعد والقوة والضعف * الصفة
انهم ليس لهم أولياء يدفعون عقاب الله تعالى عنهم كما قال تعالى (وما كان لهم من دون ا

قاد بجواز الكلام بان ذكر
المس في احدهما والارادة
في الآخر ليدل بما ذكر
على ما لم يذكر مع انه قد
ذكر المس فيهما في سورة
الانعام

(سورة هود عليه السلام)

(قوله وأن استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه الآية)
ثم لترتيب الاخباري

السلام في دعوى الرسالة وأدرجوا قومه معه في الخطاب وقيل خاطبوه بلفظ الجمع على سبيل
التعظيم وقيل كذبوه في دعوى النبوة وكذبوا قومه في دعوى العلم بصدقه فغلب المخاطب
على الغائبين ولما ذكروا هذه الشبهة لنوح عليه السلام (قال) لهم (يا قوم أرأيتم) اى
أخبروني (ان كنت على بينة) اى نبوة ورسالة (من ربي وآتاني رحمة) اى نبوة ورسالة (من
عنده) من فضله واحسانه (فعميت) اى خفيت والتبست (عليكم) ووحد الضمير اما لان
البينة في نفسها هي الرحمة واما لانه لكل واحد منهما وقرأ حفص وحمزة والكسائي بضم
العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين وتخفيف الميم (أنلزمكموها) اى أنكرهكم على
قبولها (وأنتم لها كارهون) اى لا تختارونها ولا تتأملون فيها لا نقدر على ذلك قال قتادة
والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لا يملك ذلك واتفق القراء على ضم الميم من
أنلزمكموها لاتصالها بالام بعدها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم
الاعرف منهما جاز في الثاني الوصل كما في الآية والفصل كأن يقال أنلزمكم اياها (ويا قوم
لا أسألكم عليه) اى على تبليغ الرسالة وهو وان لم يذكر معلوم مما ذكر (مالا) اى جعلا
تعطونيه (ان) اى ما (أجري الا على الله) اى ما ثوابي وتبليغي الا عليه فانه المأمول منه تعالى
وقرأ ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي بسكون الياء والباقون بالفتح وقول نوح عليه
السلام (وما أنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين طلبوا طردهم فانهم طلبوا من نوح عليه
السلام قبل ان يطرد الذين آمنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك (انهم ملاقوا
ربهم) اى بالبعث فيخاصمون طاردهم عنده ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم او انهم يلاقونه
ويفوزون بقربه فكيف أطردهم (ولكني أراكم قوما تجهلون) اى ان هؤلاء المؤمنين خير
منكم أو عاقبة امركم أو تسفهون عليهم بان تدعوهم أراذل (ويا قوم من ينصرني) اى
يمنعني (من الله) أي من عقابه (ان طردتهم) عني وهم مؤمنون مخاصمون (أفلا) أي فهلا
(تذكرون) أي تتعظون وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد
بادغام التاء في الاصل في الذال (ولا أقول لكم عندي خزائن الله) أي خزائن رزقه فكما أني
لا أسألكم مالا فكذلك لا أدعي اني املك مالا ولا غرض لي في المال لا أخذا ولا دفعا وقوله
(ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك) فاتعاظم به عليكم حتى تقولوا ما أنت الا بشر مثلنا بل
طريقي التواضع والخضوع ومن كان هذا شأنه وطريقته كذلك فانه لا يستنكف عن
مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الامراء والسلاطين ثم أكد ذلك بقوله (ولا
اقول للذين تزدري) أي تحتقر (أعينكم) أي لا أقول في حقهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان
ما أعده الله تعالى لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا (الله أعلم بما في أنفسهم) وهذا
كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون اتباعهم مع الفقر والذلة الى النفاق (اني اذا) اى ان فعلت ذلك
(لمن الظالمين) لنفسي ومن الظالمين لهم (فان قيل) هذه الآية تدل على تفضيل الملائكة على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الانسان اذا قال لا أدعي كذا وكذا انما يحسن اذا كان
ذلك الشيء أشرف من أحوال ذلك القائل (اجيب) بان نوحا عليه السلام انما ذكر ذلك جوابا
عما ذكروه من الشبه فانهم طعنوا في اتباعه بالفقر فقال ولا أقول لكم عندي خزائن الله

بالاستغفار والتوبة في
الاستغفار والقناعة
انهماكا في الطاعة
ولا يكون ان الا الاستغفار
(قوله وما من دابة
في الارض) لم يقل على
الارض مع انه انسب
بالدابة لغة بانها
تقتضي

الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما على أن تكون الواو فى الاصم
وفى السميع لعطف الصفة على الصفة بخلافه على التشبيه الاول فانه لعطف الموصوف على
الموصوف وتبعيضه بعطف الذات على الذات (هل يستويان) أى هل يستوى الفريقان
(مثلا) اى تشبيها لا يستويان ويصح أن يكون مثلا صفة لمصدر محذوف أى استواء مثلا
وان يكون حالا من فاعل يستويان وقوله تعالى (أفلا تذكرون) فيه ادغام التاء فى الاصل فى
الذال اى تتعظون بضرب الامثال والتأمل فيها وقرأ حفص وحمزة والكسائى بتخفيف
الذال والباقون بالتشديد وقد جرت عادة الله تعالى بانه اذا أورد على الكفار أنواع الدلائل
اتبعها بالقصص ليصير ذكرها مؤكدا لتلك الدلائل وفى هذه السورة ذكر أنواعا من القصص
* القصة الاولى قصة نوح عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه)
وقوله (انى لكم) قرأه ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بفتح الهمزة اى بانى والباقون بكسرها
على ارادة القول (نذير مبين) اى بين النذارة أخوف من العقاب ان خالف أمر الله تعالى
وقوله (أن لا تعبدوا الا الله) بدل من انى لكم أو مفعول مبين (انى أخاف عليكم) اى ان
عبدتم غيره (عذاب يوم أليم) اى مؤلم موجع فى الدنيا أو الآخرة قال ابن عباس بعث نوح بعد
أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة
وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألف سنة وأربعمائة
وخمسين * ولما حكى تعالى عن نوح عليه السلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى حكى عنهم أنهم
طعنوا فى نبوته بثلاثة أنواع من الشبهات بقوله تعالى (فقال الملأ الذين كفروا من قومه)
وهم الاشراف (ما نراك الا بشرا مثلنا) هذه الشبهة الاولى اى انك بشر مثلنا لا مزية لك
علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم
لان الله تعالى اذا اصطفى عبدا من عباده وأكرمه بنبوته ورسالته وجب على من أرسله اليهم
اتباعه الشبهة الثانية ما ذكره الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وما نراك اتبعك الا الذين هم
أراذلنا) أى أسافلنا كالحاكة وأهل الصنائع الخسيسة وهو جمع أرذل بفتح الهمزة كقوله
تعالى أكابر مجرميها وقوله صلى الله عليه وسلم أحاسنكم أخلاقا أو جمع أرذل بضم الذال جمع
رذل بسكونها فهو على الاول جمع مفرد وعلى الثانى جمع جمع ثم قالوا ولو كنت صادقا
لاتبعك الاكابر من الناس والاشراف منهم وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة
بالدين واتباع الرسول لا بالمناصب العالية والمال (بادى الرأى) اى اتبعوك فى أول الرأى من
غير تثبت وتفكر فى أمرك ولو تفكروا ما اتبعوك ونصبه على الظرف أى وقت حدوث أول
رأيهم وقرأ أبو عمرو بادئ بهمزة مفتوحة بعد الدال والباقون بياء مفتوحة وأبدل السوسى
همزة الرأى ألفا وقفا ووصلا وأما حمزة فأبدلها وقفا لا وصلا الشبهة الثالثة ما ذكره الله تعالى
عنهم فى قوله تعالى (وما نرى لكم) أى لك ولمن اتبعك (علينا من فضل) اى بالمال والشرف
والجاه تستحقون به الاتباع منا وهذا أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى
بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة وقولهم (بل نظنكم كاذبين) خطاب لنوح عليه

التمتع ها هنا الى اجل
اى برزقه ويوسع عليه كما
قال ابن عباس او يعمره
كما قال ابن قتيبة فائدة
التقييد بالاستغفار
والتوبة (قلت) قال غيرهما
التمتع الحسن المقيد

اى لن يستمر على الايمان لقوله تعالى (الا من قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا
يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه فى لبد ويلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى اليوم
الثانى ويدعوهم الى الله تعالى وروى ان شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال
لابنه لا يغوينك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابتاه مكنى من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها
نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من
قد آمن (فلا تبتئس) اى لا تحزن عليهم فانى مهلكهم (بما) أى بسبب ما (كانوا يفعلون)
من الشرك وتكذيبهم فحينئذ دعا عليهم نوح عليه السلام فقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبطشون به
فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى
المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو ينتظر من الجيل الى الجيل فلا يأتى قرن الا كان أخبث
من الذين قبلهم ولقد كان يأتى القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا
وأجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا فشكا الى الله تعالى فقال رب انى دعوت قومى ليلا
ونهارا حتى قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله تعالى اليه (واصنع
الفلك) اى السفينة (باعيننا) قال ابن عباس بمرأى منا وقال مقاتل بعلمنا وقيل بحفظنا
(ووحينا) اى بامرنا لك كيف تصنعها (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) اى ولا تراجعنى فى
الكفار ولا تدعنى فى استدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) اى حكم عليهم بالاغراق فلا
سبيل الى كفه وقيل لا تخاطبنى فى ابنك كنعان وامرأتك واعلة فانهما هالكان مع القوم
ويروى ان جبريل عليه السلام أتى نوحا فقال ان ربك يأمرك ان تصنع الفلك قال كيف
أصنع ولست بنجار قال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطئ
وصنعها فجعلها مثل جؤجؤ الطير قوله تعالى (ويصنع الفلك) فيه قولان أحدهما انه حكاية
حال ماضية اى فى ذلك الوقت كان يصدق عليه أنه يصنع الفلك الثانى التقدير فاقبل يصنع
الفلك فاقتصر على قوله ويصنع الفلك ثم ان نوحا عليه السلام أقبل على عمله ولها عن قومه
وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره وجعل قومه يمرون
عليه ويسخرون منه كما قال تعالى (وكلما مر عليه ملأ) اى جماعة (من قومه سخروا منه)
اى استهزؤا به ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعدما كنت نبيا فاعقم الله أرحام نسائهم
فلا يولد لهم قال ابن عباس رضى الله عنهما اتخذ نوح عليه السلام السفينة فى سنتين وكان
طول السفينة ثلثمائة ذراع وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل فى البطن
الاول الوحوش والهوام وفى البطن الاوسط الدواب وركب هو ومن معه البطن الاعلى مع
ما يحتاج اليه من الزاد وقال قتادة كان بابها فى عرضها وروى عن أنس كان طولها ألف
ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا
رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من
ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال كعب بن حام قال فضرب الكثيب
بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض عن رأسه التراب وقد شاب فقال له عيسى عليه

يستعمون فيه وظاهر ان
تقسيم الدابة يجاب على
الارض يتناول الطير فلا
يرد أن الآية لا تتناول
الطير فى ضمان رزقه (فان
قلت) على الوجوب والله
تعالى لا يجب عليه شئ

حتى أجعلهم أغنياء وطعنوا فيهم أيضا بأنهم منافقون فقال ولا أعلم الغيب حتى أعرف كيفية باطنهم وانما تكليفي بناء الاحوال على الظاهر وطعنوا فيه انه من البشر فقال ولا أقول انى ملك حتى تنفوا عنى ذلك وحينئذ فالآية ليس فيها ذلك (فان قيل) في هذه الآية دلالة على ان طرد المؤمنين لطلب مرضاة الكفار من أصول المعاصي فكيف طرد محمد صلى الله عليه وسلم بعض فقراء المؤمنين لطلب مرضاة الله حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى (أجيب) بان الطرد المذكور في هذه الآية محمول على الطرد المطلق على سبيل التأبيد والطرد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم محمول على التبعيد في أوقات معينة رعاية للمصلحة * ولما ان الكفار أوردوا تلك الشبهة وأجاب نوح عليه السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة أوردوا عليه كلامين الاول ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا) اى خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) اى فاطنبت فيه وهذا يدل على انه عليه السلام كان قد أكثر في الجدال معهم وذلك الجدال ما كان الا في اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل على ان الجدال في تقرير الدلائل وازالة الشبهات حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى ان التقليد والجهل حرفة الكفار والثاني ما ذكره الله تعالى عنهم بقوله (فأتنا بما تعدنا) اى من العذاب (ان كنت من الصادقين) في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا (قال) لهم نوح عليه السلام في جواب ذلك (انما يأتيكم به الله ان شاء) تعجيله لكم فان امره اليه ان شاء عجله وان شاء أخره لا الى (وما أنتم بمعجزين) اى بفائتين الله تعالى ولما أجاب نوح عليه السلام عن شبهتهم ختم الكلام بخاتمة قاطعة فقال (ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أى يضلكم وجواب الشرط محذوف دل عليه ولا ينفعكم نصحى وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان أردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحى فهو من باب اعتراض الشرط على الشرط ونظير ذلك ما لو قال رجل لزوجته انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق فيشترط في وجوب الحكم وقوع الشرط الثاني قبل وقوع الاول وفي الآية دليل على ان الله تعالى قد يريد الكفر من العبد فانه اذا أراد منه ذلك فانه يمتنع صدور الايمان منه (هو ربكم) اى خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم قال تعالى (ام) اى بل (يقولون افتراه) اى اختلقه وجاء به من عند نفسه والهاء ترجع الى الوحى الذى بلغه اليهم (قل) لهم (ان افتريته فعلى اجرامى) وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلى اثم اجرامى والاجرام اقتراف المحظور وفي الآية محذوف آخر وهو ان المعنى ان كنت افتريته فعلى عقاب جرمى وان كنت صادقا وكذبتمونى فعليكم عقاب ذلك التكذيب الا انه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليها (وانا برىء مما تجرمون) اى من عقاب جرمكم في اسناد الافتراء الى * (تنبيه) * أكثر المفسرين على ان هذا من بقية كلام نوح عليه السلام مع قومه وقال مقاتل أم يقولون اى المشركون من كفار مكة افتراه اى محمد صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه وهذه الآية وقعت في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في اثناء قصة نوح عليه السلام قال الرازى وقوله بعيد جدا (وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك)

قوله على الارض لان في اعم من على لانه يتناول ما يدب على الارض من الدواب ما على ظهر الارض وما في بطنها وقيل في بمعنى على كما في قوله لاصلبنكم في جذوع النخل وقوله ام لهم سلم

ص ٥

وروى عن ابن عباس انه كان بالهند ومعنى فار نبع على قوة وشدة تشبيها بغليان القدر عند قوة النار ولا شبهة ان التنور لا يفور والمراد فار الماء من التنور فلما فار أمر الله تعالى نوحا عليه السلام ان يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الاشياء الاول قوله تعالى (قلنا احمل فيها) اى السفينة (من كل زوجين اثنين) والزوجان عبارة عن كل شيئين يكون أحدهما ذكرا والآخر انثى والتقدير من كل شيئين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين واحدا ذكرا وواحدا انثى وفي القصة ان نوحا عليه السلام قال يارب كيف أحمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيحملها في السفينة وقرأ حفص بتنوين لام كل اى واحمل من كل شئ زوجين اثنين الذكر زوج والانثى زوج (فان قيل) ما الفائدة في قوله زوجين اثنين والزوجان لا يكونان الا اثنين (اجيب) بان هذا على مثال قوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين وقوله تعالى نفخة واحدة والباقون بغير تنوين فهذا السؤال غير وارد النوع الثاني من الاشياء التي امر الله تعالى نوحا عليه السلام ان يحملها في السفينة قوله تعالى (واهلك) [illegible] أبناؤه وزوجته وقوله تعالى (الا من سبق عليه القول) بانه من المغرقين [illegible] وامرأته وكانا كافرين حكم الله تعالى عليهما بالهلاك [illegible] ثلاثة وزوجته الصالحة (فان قيل) الانسان اشرف [illegible] (اجيب) بان الانسان عاقل وهو لعقله ينظر الى [illegible] اسباب الهلاك [illegible] الى المبالغة في الترغيب بخلاف [illegible] به النوع الثالث من الاشياء [illegible] الله تعالى [illegible] عليه السلام [illegible] تعالى (ومن آمن) اى واحمل معك من امن [illegible] تعالى في قوله تعالى (وما آمن معه الا قليل) [illegible] الاشانية [illegible] أنه [illegible] اسحق [illegible] جميعا وقال مجاهد كانوا اثنين وسبعين [illegible] رجلا وامرأة وعن ابن عباس قال [illegible] نوح ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال الطبري والصواب من القول [illegible] كما قال الله تعالى وما آمن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا [illegible] يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد عدد في كتاب الله تعالى ولا في خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم نحو ذلك عن الرازي وقال مقاتل حمل نوح معه في السفينة جسد آدم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء وقصد نوح عليه السلام جميع الدواب والطير ليحملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار أدخل صدره وتعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح ما أدخلك على يا عدو الله قال ألم تقل بأن تحملني معك فكان معه على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال الرازي وأما الذي

كما في قوله تعالى انا لما طغا الماء [illegible] على الناس [illegible] [illegible]

السلام هكذا هلكت قال لا ولكن مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت
قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث
طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله تعالى
كما كنت فعاد ترابا قال البغوي والمعروف ان طولها ثلثمائة ذراع وعن زيد بن أسلم قال
مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ومائة سنة يعمل الفلك وعن كعب الاحبار ان نوحا عمل
السفينة في ثلاثين سنة وروى أنها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى للدواب والوحوش
والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله
تعالى الى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على
الروث ولما أفسد الفار في السفينة فجعل يقرض حبالها أوحى الله تعالى اليه أن اضرب بين
عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهو القط فاقبلا على الفار فاكلاه قال
الرازي واعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني لانها أمور لا حاجة الى معرفتها البتة ولا يتعلق
بمعرفتها فائدة البتة فكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بانه ليس ههنا ما يدل
على الجانب الصحيح والذي أعلمه انها كانت في السعة بحيث تسع المؤمنين من قومه وما
يحتاجون اليه ولحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن وما
آمن معه الا قليل فاما تعيين ذلك القدر فغير معلوم (قال) لهم لما سخروا منه (ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا نجونا وغرقتم (فان قيل) السخرية لا تليق بمنصب
النبوة (أجيب) بان ذلك ذكر على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها او المعنى ان تسخروا منا فستعرفون عاقبة سخريتكم وهو قوله تعالى (فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) اي يهينه في الدنيا وهو الغرق (ويحل عليه) في الآخرة
(عذاب مقيم) وهو النار التي لا انقطاع لها وقوله تعالى (حتى اذا جاء أمرنا) اي باهلاكهم
غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام
واختلف في التنور في قوله تعالى (وفار التنور) فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض
وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء فار على وجه الارض فاركب السفينة وروى
عن علي رضي الله عنه أنه قال فار التنور وقت طلوع الفجر ونور الصبح وقال الحسن ومجاهد
والشعبي انه التنور الذي يخبز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواية عطية وابن عباس لانه
حمل الكلام على حقيقته ولفظ التنور حقيقة هو الموضع الذي يخبز فيه وهو قول أكثر
المفسرين فوجب حمل اللفظ عليه وهؤلاء اختلفوا فمنهم من قال انه تنور لنوح ومنهم من
قال انه كان لآدم عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار
الى نوح فقيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب السفينة أنت
وأصحابك واختلفوا أيضا في موضعه فقال مجاهد والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان
الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف
مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء منه علما
لنوح وقال مقاتل كان ذلك تنور آدم عليه السلام وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة

(قلت) المراد بالوجوب هنا
وجوب اختيار لا وجوب
الزام كقوله صلى الله عليه
وسلم غسل يوم الجمعة واجب
على كل محتلم وكقول
الانسان لصاحبه حقك
واجب علي أو على بمعنى من

يا بنيّ لا تلوي واجمعي ثم حذف الألف للتخفيف (ولا تكن مع الكافرين) أي في دين ولا مكان فتهلك. ولما قال له ذلك (قال سآوي) أي أنحي وأصير (إلى جبل يعصمني) أي يمنعني (من الماء) قال له نوح عليه السلام (لا عاصم) أي لا مانع (اليوم من أمر الله) أي من عذابه وقوله (إلا من رحم) استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وقيل إلا من رحم أي إلا الراحم وهو الله تعالى وقيل لا مكان من رحمه الله تعالى فإنه مانع من ذلك وهو السفينة (وحال بينهما) أي بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل (الموج) المذكور في قوله موج كالجبال (فكان) ابنه (من المغرقين) أي فصار من المهلكين بالماء (و) لما تناهى الطوفان وأغرق قوم نوح (قيل) أي قال الله تعالى أو ملك بأمره تعالى (يا أرض ابلعي ماءك) أي تشربيه (ويا سماء أقلعي) أي أمسكي ماءك نداهما بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل لكمال قدرته [illegible] فيهما وهنا همزتان مختلفتان من كلمتين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة فقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير بإبدال الثانية واوا خالصة والباقون بالتحقيق (وغيض الماء) أي نقص وذهب وقرأ هشام والكسائي بإشمام الغين وهو ضم الشفتين قبل الياء والباقون بالكسر [illegible] (وقضي الأمر) أي وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين (واستوت) أي استقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل بالجزيرة قرب الموصل (وقيل) أي قال الله تعالى أو ملك بأمره تعالى (بعدا) أي هلاكا (للقوم الظالمين) [illegible] للمقول له الدلالة على الجلال والكبرياء وأنه تعالى [illegible] وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها واحد [illegible] بأرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي [illegible] الجودي [illegible] واستقرار [illegible] السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوقع على جيفة [illegible] في منقارها ولطخ رجليها بالطين فعلم نوح أن الماء قد [illegible] فلذلك [illegible] الحمامة الخضرة التي [illegible] وروي أن نوحا ركب السفينة لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر [illegible] بالبيت العتيق وقد رفعه الله تعالى من الغرق وبقي موضعه فطافت به السفينة سبعا وأودع الحجر الأسود في جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وأمر من معه بصيامه شكرا لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل وسميت سوق ثمانين فهي أول قرية عمرت على وجه الأرض بعد الطوفان وقيل إنه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج ابن عنق وكان الماء يصل إلى حجزته وهذا لا يأتي على القول بإطباق الماء قال هذا القائل وسبب نجاته أن نوحا احتاج إلى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج إليه من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق بذلك (فإن قيل) كيف أغرق الله تعالى من لم يبلغ الحلم من الأطفال (أجيب) بأنه تعالى متصرف في خلقه لا يسئل عما يفعل وقيل إن الله تعالى أعقم أرحام نسائهم

يروى ان ابليس دخل السفينة بعيد لانه من الجان وهو جسم نارى أو هوائى فكيف يؤثر الغرق فيه وأيضا كتاب الله تعالى لم يدل عليه ولم يرد فى ذلك خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فى ذلك قال البغوى وروى ان بعضهم قال ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالتا احملنا فانا نضمن لك ان لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم يضراه وقال الحسن لم يحمل نوح فى السفينة الا ما يلد ويبيض فاما ما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا (وقال) نوح لمن معه (اركبوا) أى صيروا (فيها) أى السفينة وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض وقوله تعالى (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو فى اركبوا أى اركبوا مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست وقرأ حفص وحمزة والكسائى بفتح الميم من جرت ورست أى جريها ورسوها وهما مصدران والباقون بضم الميم من أجريت وارسيت أى بسم اجرائها وارسائها وأمال الالف بعد الراء أبو عمرو وحفص وحمزة والكسائى محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وذكروا فى عامل الاعراب فى بسم الله وجوها الاول اركبوا بسم الله الثانى ابدؤا بسم الله الثالث بسم الله اجراؤها (ان ربى لغفور رحيم) أى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وقوله تعالى (وهى تجرى بهم) متعلق بمحذوف دل عليه اركبوا أى فركبوا مسمين الله تعالى وهى تجرى وهم فيها (فى موج) هو ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح (كالجبال) فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء ارسل الله تعالى المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فصار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل شىء وروى انه لما كثر الماء فى السكك خافت امرأة على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبى بيديها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله تعالى منهم أحدا لرحم هذه المرأة وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه كما تسبح السمكة فليس بثابت قال البيضاوى والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا فان صح أى انه طبق ما بين السماء والارض فلعل ذلك أى ما ذكر من علو الموج قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان كافرا تمامر وقيل كان اسمه يام (وكان فى معزل) عزل فيه نفسه اما عن أبيه أو دينه ولم يركب معه واما عن السفينة واما عن الكفار كأنه انفرد عنهم وظن نوح عليه السلام ان ذلك انما كان لانه أحب مفارقتهم ولذلك ناداه بقوله (يابنى اركب معنا) فى السفينة وقرأ عاصم بفتح الياء اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة فى قولك يابنيا والباقون بالكسر فى الوصل ليدل على ياء الاضافة المحذوفة كما قال الشاعر

حكمة الرحمة بقوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير فناسب ذكرها وحذفه هنا اكتفاء بقوله قبل ولئن أذقنا الانسان منا رحمة وزاد من ثم لانه المناسب

(٢) قوله ورست يتبادر منه ان حفصا وحمزة والكسائى يقرؤن بفتح ميم مرساها والذى فى الجمل وقرأ الاخوان وحفص مجراها بفتح الميم والباقون بضمها واتفق السبعة على ضم ميم مرساها فانظره

وخشع له ودعاه وسأله المغفرة والرحمة كما قال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين (قيل) أي قال الله تعالى
أو الملك بأمره تعالى (يا نوح اهبط) أي انزل من السفينة أو من الجبل إلى الأرض المستوية
(بسلام) أي بعظم وأمن وسلامة (منا) وذلك أن الغرق لما كان عاما في جميع الأرض فعندما
خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الأرض شيء مما ينتفع به من النبات والحيوان
فكان كالخائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه من المأكول
والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال عنه ذلك الخوف لأن ذلك يدل على حصول
السلامة وأنه لا يكون الا مع الأمن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة أردفه بأن وعده
بالبركة بقوله تعالى (وبركات عليك) وهي عبارة عن الدوام والبقاء والثبات لأن الله تعالى صير
نوحا عليه السلام أبا البشر لأن جميع من بقي كانوا من نسله لأن نوحا لما خرج من السفينة مات
كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته فالخلق كلهم من نسله أو أنه
لم يكن معه في السفينة الا من كان من نسله وذريته وعلى التقديرين فالخلق كلهم من ذريته
ويدل على ذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فثبت أن نوحا كان آدم الأصغر فإن أبا
الأنبياء والخلق بعد الطوفان كلهم منه ومن ذريته وكان بين نوح وآدم عشرة أجداد وقوله
تعالى (وعلى أمم ممن معك) يحتمل أن تكون من للبيان فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة
لأنهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم
ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر قال في الكشاف وهو الوجه وقوله تعالى (وأمم) الرفع
على الابتداء وقوله تعالى (سنمتعهم) أي في الدنيا صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم
سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى
أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار (ثم يمسهم منا عذاب أليم) أي في الآخرة
وهم الكفار وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم
القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر [illegible]
ولوط وشعيب [illegible] تعالى قصة نوح عليه السلام على التفصيل قال تعالى (تلك) [illegible]
نوح التي شرحناها وتلك رفع على الابتداء وخبرها (من أنباء الغيب) أي من الأخبار التي
كانت غائبة عن الخلق وقوله تعالى (نوحيها إليك) خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك وقوله
تعالى (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) أي نزول القرآن خبر آخر والمعنى أن هذه
القصة مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك ونظيره أن يقول انسان لآخر
لا تعرف هذه المسألة لا أنت ولا أهل بلدك (فان قيل) قد كانت قصة طوفان نوح مشهورة عند
أهل العلم (أجيب) بأن ذلك كان بحسب الاجمال وأما التفاصيل المذكورة فما كانت معلومة
أو بأنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت أمته ثم قال
تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فاصبر) أي أنت وقومك على أذى هؤلاء الكفار كما صبر نوح
وقومه على أذى أولئك الكفار (إن العاقبة للمتقين) الشرك والمعاصي وفي هذا تنبيه على أن
عاقبة الصبر لنبينا صلى الله عليه وسلم النصر والفرج أي السرور كما كان لنوح ولقومه (فان

أربعمائة سنة فلم يولد لهم تلك المدة (ونادى نوح ربه) أي دعاه وسأله (فقال رب إن ابني من
أهلي) وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي (وإن وعدك الحق) أي الصدق الذي لا خلف فيه (وأنت
أحكم الحاكمين) لأنك أعلمهم وأعدلهم (فإن قيل) إذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال
رب على نادى بالفاء (أجيب) بأن الفاء تفصيل لمجمل نادى مثلها في توضأ فغسل وقيل نادى أي
أراد نداءه فقال رب (قال) الله تعالى له (يا نوح إنه) أي هذا الابن الذي سألت نجاته (ليس من
أهلك) أي المحكوم بنجاتهم لإيمانهم وكفره ولهذا علل بقوله تعالى (إنه عمل غير صالح)
وقرأ الكسائي بكسر الميم ونصب اللام بغير تنوين ونصب الراء أي عمل الكفر والتكذيب
وكل هذا غير صالح والباقون بفتح الميم ورفع اللام منونة ورفع الراء أي ذو عمل غير صالح
أو صاحب عمل غير صالح فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع
فإنما هي إقبال وإدبار واختلف علماء التفسير هل كان ذلك الولد ابن نوح أو لا على أقوال
الأول وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والأكثرين أنه ابنه حقيقة
ويدل عليه أنه تعالى نص عليه فقال ونادى نوح ابنه ونوح أيضا نص عليه فقال يا بني وصرف
هذا اللفظ إلى أنه رباه وأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه
من غير ضرورة القول الثاني أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد بن علي الباقر وقول الحسن
البصري القول الثالث وهو قول مجاهد والحسن أنه ولد حنث ولد على فراشه ولم يعلم نوح بذلك
واحتج هذا القائل بقوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما قال الرازي وهذا قول
خبيث يجب صون منصب الأنبياء عن هذه الفضيحة لا سيما وهو خلاف نص القرآن وقد
قيل لابن عباس ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول زوجي مجنون وامرأة لوط
تدل الناس على ضيفه إذا نزلوا به (فلا تسألن ما ليس لك به علم) أي بأن لا تعلم أصواب هو أم لا لأن
اللائق بأمثالك من أولي العزم بناء أمورهم على التحقيق وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بفتح
اللام وتشديد النون والباقون بسكون اللام وتخفيف النون وأثبت الياء بعد النون
في الوصل دون الوقف ورش وأبو عمرو وحذفها الباقون وقفا ووصلا (إني أعظك) أي
عن واعظي كراهة (أن تكون من الجاهلين) فتسأل كما يسأل الجاهلون وإنما سمى نداءه سؤالا لتضمن
ذكر الوعد بنجاة أهله استنجاز ما وعد في شأن ولده (قال) نوح (رب إني أعوذ بك أن) أي من أن
(أسألك) في شيء من الأشياء (ما ليس لي به علم) تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (وإلا تغفر لي) أي
الآن ما فرط مني وفي المستقبل ما يقع مني (وترحمني) أي تتفضل علي وتكرمني (أكن
من الخاسرين) أي العريقين في الخسارة فإن قيل هذا يدل على عدم عصمة الأنبياء لوقوع هذه
الزلة من نوح عليه السلام (أجيب) بأن الزلة الصادرة من نوح إنما هي كونه لم يستقص ما يدل
على نفاق ابنه وكفره لأن قومه كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يحقق إيمانه ومنافق
لا يعلم حاله في نفس الأمر وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الغرق وكان
ذلك معلوما وأما أهل النفاق فبقي أمرهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا
وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للأب في حق الابن تحمله على حمل أعماله وأفعاله لا على
كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فأخطأ في ذلك الاجتهاد كما وقع لآدم عليه السلام في
الأكل من الشجرة فلم يصدر عنه إلا الخطأ في الاجتهاد فلم تصدر منه معصية لجلالة ربه تعالى

قال ولا يدل على أنه ضيق
عارض لا ثابت لأنه صلى
الله عليه وسلم أوسع الناس
صدرا ونظيره قوله لذيذ
سائد وجائد تريد حدث فيه
السيادة والجود فإن أردت
وصفه بهما ثابتا قلت فيه

وختم

ولا ولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد مرة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة إلى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين (ولا تتولوا) أي ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حالة كونكم (مجرمين) أي مشركين ٭ ولما حكى الله تعالى عن هود ما ذكره لقومه حكى أيضا ما ذكره قومه له وهو أشياء أولها ما ذكره تعالى بقوله (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) أي بحجة تدل على صحة دعواك وسميت بينة لأنها تبين الحق ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان قد أظهر لهم المعجزات إلا أن القوم لجهلهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشيء من المعجزات وثانيها قولهم (وما نحن بتاركي آلهتنا) أي عبادتها وقولهم (عن قولك) أي صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وهذا أيضا من جهلهم فإنهم كانوا يعرفون أن النافع والضار هو الله تعالى وأن الأصنام لا تضر ولا تنفع وذلك بحكم فطرة العقل وبديهة النفس وثالثها قولهم (وما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين وفي ذلك إقناط له من الإجابة والتصديق ورابعها قولهم (إن) أي ما (نقول) في شأنك (إلا اعتراك) أي أصابك (بعض آلهتنا بسوء) لسبك إياها فخبلتك جنونا وأفسدت عقلك ثم إنه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك (قال) هود عليه السلام مجيبا لهم (إني أشهد الله) علي (واشهدوا) أنتم أيضا علي (أني بريء مما تشركون من دونه) أي الله وهو الأصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدوني) أي احتالوا في هلاكي (جميعا) أنتم وأصنامكم التي تعتقدون أنها تضر وتنفع فإنها لا تضر ولا تنفع ٭ (فائدة) ٭ اتفق القراء على إثبات الياء في كيدوني هنا وقفا ووصلا لإثباتها في المصحف (ثم لا تنظرون) أي تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام لأنه كان وحيدا في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخفهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت ثقة بالله تعالى كما قال تعالى (إني توكلت على الله ربي وربكم) أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه (ما من دابة) تدب على الأرض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان لأنهم يدبون على الأرض (إلا هو آخذ بناصيتها) أي مالكها وقاهرها فلا يقع نفع ولا ضر إلا بإذنه والناصية كما قال الأزهري عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ناصية باسم منبته والعرب إذا وصفوا إنسانا بالذلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان إلا بيد فلان وكانوا إذا أسروا الأسير وأرادوا إطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة لقهره فخوطبوا في القرآن بما يعرفون من كلامهم (إن ربي على صراط مستقيم) أي طريق الحق والعدل فلا يظلمكم ولا يعمل إلا بالإحسان والإنصاف فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بعصيانه وقوله تعالى (فإن تولوا) فيه حذف إحدى التاءين أي تعرضوا (فقد أبلغتكم) جميع (ما أرسلت به إليكم) فإن قيل الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط أجيب بأن معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تقصير من جهتي وصرتم محجوجين لأنكم أنتم الذين أصررتم على التكذيب وقوله (ويستخلف ربي قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم يوحدونه ويعبدونه تعالى (ولا تضرونه) أي الله بإشراككم (شيئا) من الضرر وإنما تضرون أنفسكم وقيل لا تنقصونه شيئا إذا أهلككم لأن

فان لم يستجيبوا
القصص في الثاني
لك أو الخطاب
للمشركين وفي يستجيبوا
لمن استطعتم والذي قالوا
أيها المشركون ان يستجيبوا
عطف اعلم فان لم يستجيبوا لكم
من ... الى الظاهرة

قيل) هذه القصة ذكرت في يونس فما الحكمة والفائدة في اعادتها (أجيب) بأن القصة الواحدة قد ينتفع بها من وجوه ففي السورة الاولى كان الكفار يستعجلون نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح في بيان أن قومه كانوا يكذبونه بسبب أن العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه السورة ذكرت لاجل أن الكفار كانوا يبالغون في الايحاش فذكرها الله تعالى لبيان أن اقدام الكفار على الايذاء والايحاش كان حاصلا في زمان نوح عليه السلام فلما صبر فاز وظفر فكن يا محمد كذلك تنال المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه آخر لم يكن تكريرها خاليا عن الحكمة والفائدة ﴿ والقصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (والى عاد) أي وأرسلنا الى عاد (أخاهم) فهو معطوف على قوله تعالى نوحا وقوله تعالى (هودا) عطف بيان ومعلوم أن تلك الاخوة ما كانت في الدين وانما كانت في النسب لان هودا كان رجلا من قبيلة عاد قبيلة من العرب كانوا بناحية اليمن (فان قيل) انه تعالى قال في ابن نوح انه ليس من أهلك فبين أن قرابة النسب لا تفيد اذا لم تحصل قرابة الدين وهنا أثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين (أجيب) بأن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يستبعدون أن يكون رسولا من عند الله تعالى مع انه واحد من قبيلتهم فذكر الله تعالى أن هودا كان واحدا من عاد وأن صالحا كان واحدا من ثمود لازالة هذا الاستبعاد ﴿ ولما تقدم أمر نوح عليه السلام مع قومه استشرف السامع الى معرفة ما قال هود عليه السلام هل هو مثل قوله أولا فاستأنف الجواب بقوله (قال يا قوم اعبدوا الله) أي وحدوه ولا تشركوا معه شيأ في العبادة (ما لكم من اله غيره) أي هو الهكم لان هذه الاصنام التي تعبدونها حجارة لا تضر ولا تنفع (فان قيل) كيف دعاهم الى عبادة الله تعالى قبل اقامة الدليل على ثبوت الاله (أجيب) بان دلائل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والانفس وقلما يوجد في الدنيا طائفة ينكرون وجود الاله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء صفة على اللفظ والباقون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور ومن زائدة (ان أنتم الا مفترون) أي كاذبون في عبادتكم غيره وكرر قوله (يا قوم) للاستعطاف وقوله (لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني) أي خلقني خاطب به كل رسول قومه ازالة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أي أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من الباطل والصواب من الخطأ فتتعظون ثم قال (ويا قوم) أيضا لما ذكر (استغفروا ربكم) أي آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان (يرسل السماء) أي المطر (عليكم مدرارا) أي كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) أي ويضاعف قوتكم واعمارهم بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شئ الى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مهابين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال

(فان قلت) كيف ... مفترى ... أفرد في قوله قل ثم جمع في قوله فان لم يستجيبوا لكم (قلت) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيهما لكنه جمع في لكم تعظيما وتفخيما ... ويعضده قوله في سورة

وقوله تعالى (صالحا) عطف بيان وتلك الاخوة كانت في النسب لا في الدين كما مر في هود ثم
أخرج قوله عليه السلام على تقدير سؤال بقوله (قال يا قوم) أي يا من يعز على أن يحصل لهم
سوء (اعبدوا الله) أي وحدوه وخصوه بالعبادة (ما لكم من اله غيره) هو الهكم المستحق للعبادة
لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته تعالى بقوله (هو أنشأكم) أي ابتدأ
خلقكم (من الارض) وذلك انهم من بني آدم وآدم خلق من الارض أو ان الانسان مخلوق
من المني وهو متولد من الدم والدم متولد من الاغذية وهي اما حيوانية واما نباتية فاما
الحيوانية فحالها كحال الانسان فوجب انتهاء الكل الى النبات والنبات متولد من الارض
فثبت أنه تعالى أنشأ الانسان من الارض وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة (واستعمركم فيها) أي جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال اعماركم
فيها حتى ان الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذا كان قوم عاد وروي ان
ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وحصلت لهم الاعمار الطويلة
فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه ما سبب تلك الاعمار فأوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها
عبادي وأخذ معاوية في احياء الارض في آخر عمره فقيل له في ذلك فقال ما حملني عليه
الا قول القائل

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ٭ ولا يكون له في الارض آثار

وقال مجاهد استعمركم من العمرى أي جعلها لكم ما عشتم فاذا متم انتقلت الى غيركم ٥ ولما
بين لهم عليه السلام عظمة الله تعالى بين لهم طريق الرجوع اليه بقوله (فاستغفروه) أي
اطلبوا غفرانه (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان وقد مر مثل ذلك
(ان ربي قريب) من خلقه بعلمه لكل من أقبل عليه من غير حاجة الى حركة (مجيب) لكل من
ناداه لا كمعبوداتكم في الامرين ٥ ولما قرر لهم عليه السلام هذه الدلائل (قالوا) له (يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) أي القول الذي جئت به لما نرى فيك من مخايل الرشد
والسداد فانك كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقوي رجاؤنا فيك أن
تصير سيدنا فكيف أظهرت العداوة ٥ ثم انهم أضافوا الى هذا التعجب التشديد فقالوا
(أتنهانا أن نعبد ما) كان (يعبد آباؤنا) من الآلهة ومقصودهم بذلك التمسك بطريق التقليد
ووجوب متابعة الآباء والاسلاف ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث
قالوا أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب ثم قالوا (واننا لفي شك مما تدعونا اليه)
من التوحيد وترك عبادة الاصنام (مريب) أي موقع في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء
الطمأنينة باليقين والرجاء تعلق النفس بمجئ الخير على جهة الظن ونظيره الامل والطمع
والنهي المنع من الفعل بصيغة لا تفعل وقولهم هذا مبالغة في تزييف كلامه (قال) صالح
عليه السلام مجيبا لهم (يا قوم أرأيتم) أي أخبروني (ان كنت على بينة) أي بيان وبصيرة (من
ربي) وأتى بحرف الشك على سبيل الجزم لاجل الخطاب حال المخاطبين (وآتاني منه رحمة) أي
نبوة ورسالة (فمن ينصرني) أي يمنعني (من الله) أي عذابه (ان عصيته) أي ان خالفت أمره في
تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به (فما تزيدونني) أي باحتجاجكم لي بذلك (غير تخسير) أي غير

فكيف قال
عجزوا عنه
هنا فأتوا بعشر سور مثله
(قلت) قيل نزلت سورة
هود أولا لكن أنكره المبرد
وقال بل سورة يونس أولا
قال ومعنى قوله في سورة
يونس فأتوا بسورة مثله

وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربى على كل شئ حفيظ) صغير أو كبير حقيرا وجليلا
عالم بكل شئ وقادر على كل شئ فيحفظنى أن تنالونى بسوء أو حفيظ لأعمال العباد
عليها أو حفيظا على كل شئ يحفظه من الهلاك اذا شاء ويهلكه اذا شاء (ولما) أى وحين
بينة ولا رغبة ولا رهبة (جاء أمرنا) أى عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح التى
تعالى بها سبع ليال وثمانية أيام حسوما تدخل فى مناخرهم وتخرج من أدبارهم وتصرع
على الارض على وجوههم حتى صاروا كأعجاز نخل خاوية وهنا همزتان مفتوحتان
قرأ قالون والبزى وأبو عمرو باسقاط الاولى وقرأ ورش وقنبل بتحقيق الاولى و
والباقون بتحقيقهما (نجينا هودا والذين آمنوا معه) أى من هذا العذاب وكا
(برحمة منا) لان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما أنجى الله تعالى الم
العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) هو عذاب الا
بالغلظ لانه أغلظ من عذاب الدنيا أو نجينا هودا والذين آمنوا معه من أن يصل
بسوء مع اجتهادهم فى ذلك ونجيناهم من عذاب غليظ هو الريح المذكورة
تعالى قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال (وتلك عاد) وهو اشارة
وآثارهم كأنه تعالى قال سيحوا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم انه تعالى جمع
ذكر عاقبة أحوالهم فى الدنيا والآخرة أما أوصافهم فثلاثة الصفة الاولى قول
بآيات ربهم) أى بالمعجزات التى أتى بها هود عليه السلام الصفة الثانية قوله تعالى
رسله) أى هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أو لان من عصى ر
جميع الرسل لقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله الصفة الثالثة قوله تعالى (و
جبار عنيد) أى ان السفلة كانوا يقلدون الرؤساء فى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم وعصوا من دعاهم الى الايمان ولا يرديهم
المتمرد والعنيد والعنود والمعاند هو المنازع المعارض ولما ذكر تعالى أوصافهم
أحوالهم بقوله تعالى (وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى جعل الله
وتابعا ومصاحبا فى الدنيا والآخرة ومعنى اللعنة الابعاد من رحمة الله تعالى
وقيل اللعنة فى الدنيا من الناس وفى الآخرة لعنة على رؤوس الاشهاد ثم انه تعالى
الاصلى فى نزول هذه الاحوال المكروهة بهم بقوله تعالى (ألا ان عادا كفروا ر
ربهم) فحذف الباء أو أن المراد بالكفر الجحد أى جحدوا ربهم وقيل هو من باب
أى كفروا نعمة ربهم * (تنبيه) * ألا أداة استفتاح لا تذكر الا بين يدى كلام
ويجل خطبه ثم قال (ألا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أ
مستوجبين لما نزل بهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر ألا وأعاد ذكرهم تنبيها
على الاعتبار بحالهم وقوله تعالى (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم
عاد ارم والايماء الى استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود القصة الثالثة
تعالى فى هذه السورة قصة صالح عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (والى ثمود
المراد أى وأرسلنا الى ثمود (أخاهم) فهو معطوف على قوله تعالى نوحا كما عطف

على معارضته اعجزهم
فاعلموا انما أنزل بعلم الله
وبالنظر الى هذا الجواب
جمع الضمير فلم يستجيبوا
لكم هنا وأفرد فى القصص
(فان قلت) قد قال فى سورة
يونس فأتوا بسورة مثله وقد

القيامة وقرأ نافع والكسائى بفتح الميم من يومئذ على البناء لاضافته الى مبنى وكسرها الباقون على الاعراب والاول أكثر (ان ربك هو القوى) فهو يغلب كل شئ (العزيز) أى القادر على منع غيره من غير أن يقدر أحد عليه ثم أخبر تعالى عن عذاب قوم صالح بقوله (وأخذ الذين ظلموا) اى انفسهم بالكفر (الصيحة) اى صيحة جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم فى صدورهم فماتوا جميعا كما قال تعالى (فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) أى باركين على الركب ميتين * (تنبيه) * انما قال تعالى وأخذ ولم يقل وأخذت لان الصيحة محمولة على الصياح وأيضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفاصل فكان الفاصل كالعوض من تاء التأنيث وقوله تعالى (كأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف اى كأنهم (لم يغنوا) أى يقيموا (فيها) أى ديارهم ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا أقمت به وقوله تعالى (ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود) تفسيره ما تقدم فى قوله تعالى ألا ان عادا كفروا ربهم الآية وقرأ حفص وحمزة ألا ان ثمود بغير تنوين للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة والباقون بالتنوين ذهابا الى الحى او الى الأب الأكبر ومن نون وقف على ألف بعد الدال ومن لم ينون وقف على الدال ساكنة وقرأ الكسائى بعدا لثمود بتنوين ثمود مع الكسر للدال والباقون بغير تنوين مع الفتح للدال أيضا القصة الرابعة التى ذكرها الله تعالى فى هذه السورة قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام المذكورة فى قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) اى بالبشارة [illegible] والمراد بالرسل الملائكة واتفقوا على ان أقلهم ثلاثة واختلفوا فى الزائد على ذلك [illegible] ان الاصل فيهم كان جبريل عليه السلام وقال ابن عباس وعطاء كانوا [illegible] ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى [illegible] هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين وفى الحجر [illegible] الضحاك كانوا تسعة وقال محمد بن كعب القرظى كان جبريل [illegible] السدى كان جبريل معه أحد عشر ملكا على صور الغلمان الذين [illegible] قال النحويون دخلت كلمة قد ههنا لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة [illegible] المتوقع ودخلت اللام فى لقد لتأكيد الخبر (قالوا سلاما) اى فقالوا [illegible] فقالوا على معنى ذكروا سلاما أى سلموا (قال سلام) أى أمركم أو جوابى سلام أو وعليكم سلام * (تنبيه) * قوله سلام أكمل من قوله سلاما لان التنكير يفيد الكمال والمبالغة والتمام ولهذا صح وقوعه مبتدأ لان النكرة اذا كانت موصوفة جاز جعلها مبتدأ وأما لفظ السلام فانه لا يفيد الا الماهية (فان قيل) فلاى شئ ما كان الاول فى التحلل من الصلاة عند النووى (أجيب) بان ذلك سنة متبعة وقرأ حمزة والكسائى بكسر السين وسكون اللام ولا ألف بعدها والباقون بفتح السين واللام وبعدها ألف قال الفراء ولا فرق بين القراءتين كما يقال حل وحلال وحرم وحرام وقيل سلم هو بمعنى الصلح أى نحن سلم صلح غير حرب (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أى فما أبطأ مجيئه به والحنيذ المشوى على الحجارة المحماة فى حفرة من الارض وكان سمينا يقطر ودكه كما قال تعالى فى موضع آخر فجاء بعجل سمين قال قتادة كان عامة مال ابراهيم

الاول مع زيادة ان يقال [illegible]

تفصيل قال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة ﴿ ولما كانت العادة فيمن يدعي النبوة عند قوم يعبدون الاصنام أن يطلبوا المعجزة وأمر صالح عليه السلام هكذا كان يروى أن قومه خرجوا في عيد لهم فسألوه أن يأتيهم بآية وأن يخرج لهم من صخرة معينة أشاروا اليها ناقة فدعا ربه فخرجت كما سألوا أشار اليها بقوله (ويا قوم هذه ناقة الله) واضافتها الى الله اضافة تشريف كبيت الله (لكم آية) أي معجزة من وجوه أحدها أنه خلقها الله تعالى من الصخرة ثانيها أنه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق الجبل عنها ثالثها أنه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر ثم ولدت فصيلا يشبهها رابعها أنه تعالى خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة خامسها ما روي أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب يوم آخر سادسها أنه كان يحصل منها لبن كثير يكفي الخلق العظيم به فكل واحد من هذه الوجوه معجز قوي وليس في القرآن الا أن هذه الناقة كانت آية معجزة وأما بيان أنها كانت آية معجزة من أي الوجوه فليس فيه بيانه ﴿ (تنبيه) ﴾ آية نصب على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها ولو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال ثم قال لهم (فذروها) أي اتركوها على أي حالة كانت تركككم لها (تأكل) مما أرادت (في أرض الله) من العشب والنبات فليس عليكم مؤنتها فصارت مع كونها آية لهم تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا ينتفعون بلبنها ثم انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فان الخصم لا يحب ظهور حجة خصمه بل يسعى في اخفائها وابطالها بأقصى الامكان فلهذا السبب كان يخاف من اقدامهم على قتلها فلهذا احتاط وقال (ولا تمسوها بسوء) أي بعقر أو غيره ثم توعدهم بقوله (فيأخذكم) ان مسستموها بسوء (عذاب قريب) أي في الدنيا لا يتأخر عن مسكم لها الا يسيرا وذلك تحذير شديد لهم في الاقدام على قتلها فخالفوه (فعقروها) وذبحوها (فقال لهم) عند بلوغه الخبر (تمتعوا) أي عيشوا (في داركم) والتمتع التلذذ بالمنافع والملاذ التي تدرك بالحواس وذلك لا يحصل الا للحي وفي المراد من الدار وجهان أحدهما البلد وتسمى البلد الديار لانه يدار فيها أي يتصرف فيها يقال ديار بكر لبلادهم الثاني دار الدنيا أي تمتعوا في الدنيا (ثلاثة أيام) وذلك أنهم لما عقروا الناقة أنذرهم صالح عليه الصلاة والسلام بنزول العقاب بعد هذه المدة قال ابن عباس انه تعالى لما أمهلهم تلك الايام الثلاثة فقد رغبهم في الايمان ثم قالوا لصالح عليه السلام وما علامة ذلك قال تصير وجوهكم في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني محمرة وفي الثالث مسودة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم مسودة أيقنوا حينئذ بالعذاب فتحنطوا واستعدوا للعذاب فصبحهم اليوم الرابع كما قال تعالى (ذلك) أي الوعد العالي الرتبة في الصدق (وعد غير مكذوب) أي فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله ﴿ ويوم شهدناه ﴾ أي ورب يوم شهدنا فيه سليما وعامرا ﴿ أو غير مكذوب على المجاز أو وعد غير كذب على أنه مصدر وقوله تعالى (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) في تفسيره وقراءته الوجهين وعند الذين آمنوا معه مثل ما تقدم في قصة عاد (و) نجيناهم (من خزي يومئذ) وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم أو فضيحتهم يوم

القيامة

أي في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود فأتوا ان عجزتم عن ذلك فأتوا بعشر سور مثله في البلاغة لان غيره عاد كروما قاله هو التحدي هذا وغيره

(مجيد) أى كثير الخير والاحسان * القصة الخامسة التى ذكرها الله تعالى فى هذه السورة قصة لوط عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى الخوف وهو ما أوجس من الخيفة حين أنكر أضيافه واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع بالولد أخذ (يجادلنا) أى يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط) وجواب لما أخذ يجادلنا الا أنه حذف اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن ابراهيم الروع جادلنا (فان قيل) كيف جادل ابراهيم الملائكة مع علمه بانهم لا يمكنهم مخالفة أمر الله وهذا منكر (أجيب) بان المراد من هذه المجادلة تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصى لان الملائكة قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية أو ان مجادلته انما كانت فى قوم لوط بسبب مقام لوط فيهم ولهذا قال ابراهيم عليه السلام أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال أو أربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فعشرون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرأيتم لو كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا فى سورة العنكبوت فقال ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين قال ابن جريج وكان فى قرى لوط أربعة آلاف ألف ولو كانت هذه المجادلة مذمومة لما مدحه بقوله تعالى (ان ابراهيم لحليم) اى لا يتعجل مكافأة غيره بل يتأنى فيها فيؤخر ويعفو ومن هذا حاله يحب من غيره هذه الطريقة وهذا مدح عظيم من الله تعالى لابراهيم ثم ضم الى ذلك ما يتعلق بالحلم وهو قوله تعالى (أواه) اى كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) اى رجاع فلما أطال مجادلتهم قالوا له (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أى الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر ربك) أى قضاؤه الازلى بعذابهم وهو أعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) اى لا سبيل الى دفعه ورده (ولما جاءت رسلنا لوطا) أى هؤلاء الملائكة الذين بشروا ابراهيم بالولد قال ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وهو ابن أخى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بنى آدم وكانوا فى غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى (سىء بهم) أى حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) أى صدرا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع فى مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم وقيل ساءه ذلك لانه عرف بالآخرة انهم ملائكة الله تعالى وانهم جاؤا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه (وقال هذا يوم عصيب) أى شديد كأنه قد عصب به الشر والبلاء أى شد به مأخوذ من العصابة التى تشد بها الرأس قال قتادة خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نصف النهار وهو فى أرض له يعمل فيها وروى أنه كان يحتطب وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مضى ساعة قال لهم ما بلغكم من أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك أربع مرات وروى أن الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه فى داره ولم يعلم بذلك

فضلوا
الله وصدوا غيرهم
وأضلوا وما هنا نزل فى
قوم صدوا عن سبيل الله
فناسب فى الاول الاخسرون
وفى الثانى الخاسرون (قوله
وآتانى رحمة من عنده) قاله
هنا بتقديم رحمة على البا[illegible]

البقر روى أن ابراهيم عليه السلام مكث خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءته الملائكة رأى أضيافا لم ير مثلهم فعجل قراهم وجاء بعجل سمين مشوي (فلما رأى أيديهم) أي الاضياف (لا تصل اليه) أي لا يمدون أيديهم اليه (نكرهم) أي أنكرهم وأنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس) أي أضمر في نفسه (منهم خيفة) أي خوفا قال قتادة وذلك انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وانما جاء بشر (قالوا لا تخف يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط) بالعذاب وانما لم نمد اليه أيدينا لانا لا نأكل (وامرأته) أي ابراهيم سارة وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة فسمعت البشارة بالولد التي دل عليها فيما مضى قوله بالبشرى (فضحكت) سرورا من ذلك البشرى لزوجها مع كبره وربما ظنته من غيرها لانها كانت عجوزا عقيما فأزال ذلك الظن عنها بقوله تعالى (فبشرناها) اي على لسان الملائكة تبشيرا قالها وتفخيما للشأن (باسحق) تلده (ومن وراء اسحق يعقوب) اي يكون يعقوب عليه السلام ابنا لاسحق عليه السلام فتعيش حتى ترى ولد ولدها قال البقاعي والذي يدل على هذا التقدير من انهم بشروه بالولد قبل امرأته فسمعت فعجبت ما يأتي عن نص التوراة وساق عن التوراة عبارة طويلة وقيل سبب سرورها زوال الخيفة أو هلاك أهل الفساد وقيل فضحكت حاضت كما قال الشاعر

ويهدي بعلي ضاحكا في لبانة * اي حائضا في جماعة من النساء وهذا يرد على الفراء حيث قال ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال آخر * تضحك الضبع لقتلى هذيل * أراد انها تحيض فرحا * (تنبيه) * ههنا همزتان مكسورتان من كلمتين قرأ قالون والبزي بتسهيل الاولى مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدالها أيضا حرف مد وقرأ أبو عمرو باسقاط أحدهما مع المد والقصر والباقون بتحقيق الهمزتين ولا ألف بينهما (قالت يا ويلتا) هذه كلمة تقال عند أمر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أألد وأنا عجوز) وكانت ابنة تسعين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد تسع وتسعين سنة (وهذا بعلي) اي زوجي سمي بذلك لانه قيم أمرها وقولها (شيخا) نصب على الحال قال الواحدي وهذا من لطيف النحو وغامضه فان كلمة هذا للاشارة فكان قولها وهذا بعلي شيخا قائم مقام أن يقال أشير الى بعلي حال كونه شيخا والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة وكان ابن مائة وعشرين سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة (ان هذا لشيء عجيب) أي ان الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا) أي الملائكة اشارة (أتعجبين من أمر الله) منكرين عليها ذلك أي لا تعجبين من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شيء واذا أراد شيئا كان سريعا فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس بمستغرب (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي بيت ابراهيم وأهل منصوب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من أهل بيته (انه) تعالى (حميد) أي محمود على كل حال أو فاعل ما يستوجب به الحمد

... فلما أتوا ... بقوله ... (قوله لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) قال ذلك هنا وقال في النحل هم الخاسرون لأن ما هنا نزل في قوم صدوا عن سبيل

استثناء من الأهل أي فلا تسر بها (إنه مصيبها ما أصابهم) فلم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقالوا (إن موعدهم الصبح) قال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) أي فأسرع الخروج بمن أمرت بهم (فلما جاء أمرنا) أي عذابنا بإهلاكهم (جعلنا عاليها) أي قراهم (سافلها) روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكة المذكورة في سورة براءة وكانت خمس مدائن وفيها أربعمائة ألف وقيل أربعة آلاف ألف فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونهيق الحمار ونباح الكلاب لم يكفأ لهم إناء ولم ينتبه نائم ثم أسقطها مقلوبة إلى الأرض (وأمطرنا عليها) أي المدن بعد قلبها وقيل على شذاذها وهو بضم الشين المعجمة وبذالين معجمتين أولاهما مشددة وهم الذين ليسوا من أهلها يكونون في القوم وليسوا منهم (حجارة من سجيل) أي من طين طبخ بالنار كما قال تعالى في موضع آخر من طين وقيل مثل السجل وهو الدلو العظيمة (منضود) أي متتابع يتبع بعضها بعضا (مسومة) أي معلمة عليها اسم من يرمى بها وقال أبو صالح رأيت منها عند أم هانئ وهي حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن عليها أمثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض وقوله تعالى (عند ربك) ظرف لها (وما هي) أي تلك الحجارة (من الظالمين) أي مشركي مكة (ببعيد) أي بشيء بعيد لأنها وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه وفيه وعيد لهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل فقال يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في [illegible] القصة [illegible] التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة شعيب عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وإلى مدين) أي وأرسلنا إلى مدين وهم قبيلة أبوهم مدين بن إبراهيم [illegible] وقيل هو اسم بلد فيكون المعنى [illegible] المذكور وعلى هذا التقدير وأرسلنا إلى أهل مدين فحذف الأهل لدلالة الكلام عليه (أخاهم) أي في النسب لا في الدين (شعيبا) عطف بيان [illegible] فما قال لهم فقيل (قال) ما قال إخوته من الأنبياء في البداءة بأصل الدين (يا قوم) مستعطفا لهم مظهرا غاية الشفقة (اعبدوا الله) أي وحدوه ولا تشركوا به شيئا (ما لكم من إله غيره) فلقد اتفقت كلمتهم واتحدت إلى الله تعالى دعوتهم وهذا وحده قاطع الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعا من تباعد أعصارهم وتنائي ديارهم وأن بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف أخبار الناس إلا من الوحي ولما دعاهم إلى العدل فيما بينهم وبين الله تعالى دعاهم إلى العدل فيما بينهم وبين عباده في أقبح ما كانوا أحدثوه بعد الشرك [illegible] فقال (ولا تنقصوا) بوجه من الوجوه (المكيال والميزان) أي لا الكيل ولا آلته ولا الوزن ولا آلته والكيل تعديل الشيء بالآلة في القلة والكثرة والوزن تعديله في الخفة والثقل فالكيل العدل في الكمية والوزن العدل في الكيفية ثم علل ذلك بقوله (إني أراكم بخير) أي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب

رفعها على ما هي لا [illegible] والفعل المقدم [illegible] كان في الفاعل [illegible] الا السفل [illegible] [illegible] كان كالسجل [illegible] [illegible] في الأولى [illegible]

أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط (وجاءه قومه) لما علموا بهم (يهرعون) اى يسرعون (اليه) قاله ابن عباس وقال الحسن الاهراع المشي بين مشيين (ومن قبل) اى قبل مجيئهم الى لوط وقيل من قبل مجيء الرسل اليهم (كانوا يعملون السيئات) اى الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم (قال) لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا انهم غلمان من بني آدم (ياقوم هؤلاء بناتي) قال مجاهد وسعيد بن جبير أراد ببناته نساء قومه وأضافهن الى نفسه لان كل نبي هو أبو امته كالوالد لهم اى تزوجوا هن وقيل أراد بنات نفسه عرضهن عليهم بشرط الاسلام وقيل كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه (هن أطهر لكم) اى أنظف فعلا (فان قيل) افعل التفضيل يقتضي كون العمل الذي يطهر نه طاهرا ومعلوم انه فاسد لانه لا طهارة في اتيان الرجال (أجيب) بان هذا جار مجرى قوله تعالى أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد اعل هبل قال الله اعلى وأجل ولا مماثلة بين الله تعالى والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة (فاتقوا الله) وراقبوه واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي (ولا تخزون) اى تفضحون (في ضيفي) اى أضيافي (أليس منكم رجل رشيد) يهتدي الى الحق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) اى حاجة (وانك لتعلم ما نريد) اى من اتيان الذكور وما لنا فيه الشهوة فعند ذلك (قال) اى لوط عليه السلام (لو ان لي بكم قوة) اى طاقة (أو آوى الى ركن شديد) أي عشيرة تمنعني شبهت بركن الجبل في شدته وعنه صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد والركن الشديد نصر الله ومعونته فكان النبي صلى الله عليه وسلم استغرب من لوط عليه السلام قوله أو آوي الى ركن شديد وعده نادرة اذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي اليه وجواب لو محذوف تقديره لبطشت بكم أو لدفعتكم روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) بسوء فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم كما قال تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة ⁕ (تنبيه) ⁕ لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولن يقدروا على ضرره ثم قالوا له (فاسر بأهلك بقطع) أي طائفة (من الليل) وقرأ نافع وابن كثير بعد الفاء بهمزة وصل من السري والباقون بهمزة قطع من الاسراء (ولا يلتفت منكم أحد) اى لا ينظر الى وراءه لئلا يرى عظيم ما نزل بهم وقوله (الا امرأتك) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع التاء على انه بدل من أحد والباقون بالنصب على انه

والمجرور وعكس بعد في قوله وآتاني منه رحمة وفي قوله ورزقني منه رزقا حسنا والموافق لكل منهما ما قبله اذ الافعال المتقدمة هاهنا نرى ونرى ونظن لم يفصل بينها وبين

قوله ابن الربيع هو كذلك في نسخة المواهب قال شارحه على الصواب ورواه يحيى بن بكير ومعن بن عيسى وأبو مصعب وغيره عن مالك وروى الجمهور عنه أنه ابن ربيعة وادعى الاصيلي أنه ابن الربيع بن ربيعة اه

التطفيف والامر بالايفاء وانما أضافوا ذلك الى صلاته تهكما واستهزاء بها واشعارا بان مثل
هذا الايدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه
وكان شعيب عليه الصلاة والسلام كثير الصلاة في الليل والنهار وكان قومه اذا رأوه يصلي
تغامزوا وتضاحكوا وقصدوا بقولهم أصلواتك تأمرك السخرية والهزء كما انك اذا رأيت
معتوها يطالع كتبا ثم يذكر كلاما فاسدا فيقال له هذا فائدة مطالعة تلك الكتب على سبيل
الهزء فكذا هنا وقرأ حفص وحمزة والكسائي أصلاتك بالافراد والباقون بالجمع والتاء
بالرفع في القراءتين وغلظ ورش اللام في أصلواتك وقولهم له (انك لانت الحليم الرشيد) تهكم
به وقصدوا وصفه بضد ذلك كما يقال للبخيل الخسيس لو رآك حاتم لسجد لك وعللوا انكار
ما سمعوه منه واستبعدوه بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين من المبادرة الى مثل ذلك ثم أخرج
قوله عليه الصلاة والسلام على تقدير سؤال بقوله (قال يا قوم) مستعطفا لهم لما بينهم من
عواطف القرابة منبها لهم على أحسن النظر فيما ساقه على سبيل الفرض والتقدير ليكون
أدعى الى سبيل الوفاق والانصاف (أرأيتم) أي أخبروني (ان كنت على بينة) أي برهان (من
ربي) وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله (ورزقني) والضمير في (منه) لله تعالى أي من
عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وعظم الرزق بقوله (رزقا حسنا) حلالا وما لا حلالا لم أظلم
فيه أحدا وجواب الشرط محذوف أي فهل يسوغ مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان أخون في وحيه فأخالفه في أمره ونهيه وهذا اعتذار عما انكروا
عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء (وما أريد ان أخالفكم) أي وأذهب (الى
ما أنهاكم عنه) فارتكبه (ان) أي ما (أريد) أي فيما آمركم به وانهاكم عنه (الا الاصلاح)
أي ما أريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر
(ما استطعت) أي وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى
الله تعالى فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء (وما توفيقي) أي لاصابة الحق والصواب (الا
بالله) أي الا بعونه وتأييده (عليه) لا على غيره (توكلت) أي اعتمدت في جميع أموري فانه
القادر على كل شيء وما عداه عاجز وهذه الصيغة تفيد الحصر فلا ينبغي للانسان أن يتوكل
على أحد الا على الله تعالى وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب المبدأ وأما
قوله (واليه أنيب) ففيه اشارة الى معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر لان قوله واليه أنيب
يدل على انه لا مآب للخلق الا الى الله تعالى وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر
شعيبا قال ذاك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (ويا قوم لا يجرمنكم) أي لا يكسبنكم
(شقاقي) أي خلافي وهو فاعل يجرم والضمير مفعول أول والمفعول الثاني (ان يصيبكم)
عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة قال في الكشاف جرم مثل كسب في تعديه
الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا أو كسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه ومنه قوله
تعالى لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من
الريح العقيم (أو قوم صالح) من الرجفة (وما قوم لوط منكم ببعيد) لا في الزمان ولا في المكان
فانهم كانوا أحدث عهد بهلاكهم وكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فان

فناسبها قوله وآثاني (فرم ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا) ان قلت لم قال هنا مالا حكاية عن نوح بلفظ مالا وقال بعد حكاية عن هود بلفظ أجرا (قلت) تفنن في التعبير عن المراد بعبارتين متساويتين

وسعة فخذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النقمة ان لم يؤمنوا ويتوبوا وهو قوله (وانى اخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم محيط) اى يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة ومنه قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين والمحيط من صفة اليوم فى الظاهر وفى المعنى من صفة العذاب وذلك مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب (ويا قوم أوفوا) أى أتموا اتماما حسنا (المكيال والميزان) أى الكيل والوزن وآتموا (فان قيل) النهى عن النقصان أمر بالايفاء فما فائدة قوله تعالى أوفوا (أجيب) بانهم نهوا أولا عن القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان فى التصريح بالقبيح نعيا على المنهى وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا (بالقسط) أى ليكون الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب اليه غير المأمور به وقد يكون محظورا كما فى الربا وقوله تعالى (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه أعم من ان يكون فى المقدار أو فى غيره فانهم كانوا يأخذون من كل شئ يباع كما تفعل السماسرة وكانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك فظهر بهذا البيان ان هذه الاشياء غير مكررة بل فى كل واحد منها فائدة زائدة والحاصل انه تعالى نهى فى الآية الاولى عن النقصان فى المكيال والميزان وفى الثانية أمر باعطاء قدر الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب الا عند أداء ذلك القدر من الزيادة ولهذا قال الفقهاء انه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من الرأس فكانه تعالى نهى أولا عن سعى الانسان فى أن يجعل مال غيره ناقصا لتحصل له تلك الزيادة وفى الثانى أمر بان يسعى فى تنقيص مال نفسه ليخرج باليقين عن العهدة كما قدمه بقوله تعالى بالقسط وفى الآية الثالثة نهى عن النقص فى كل الاشياء وكذا قوله تعالى (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها وفائدتها اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام (بقيت الله) قال ابن عباس يعنى ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن (خير لكم) مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد مما يحصل لكم فى الدنيا من المال الحرام (ان كنتم مؤمنين) اى مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به *(فائدة)* بقيت رسمت هنا بالتاء المجرورة ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالهاء والباقون وقفوا عليها بالتاء (وما انا عليكم بحفيظ) [illegible] أجازيكم وأقدر على كفكم عما يكون منها فسادا ولما أمرهم شعيب عليه السلام بشيئين بالتوحيد وبترك البخس (قالوا) له (يا شعيب) سموه باسمه استخفافا وغلظة وأنكروا عليه مستهزئين به (أصلواتك تأمرك) اى تفعل معك فعل من يأمر دائما بتكليفنا (ان نترك ما يعبد) اى على سبيل المواظبة (آباؤنا) من الاصنام فخذف الذى هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره قالوا له ذلك فى جواب أمره لهم بالتوحيد (او) نترك (أن نفعل) أى دائما (فى أموالنا ما نشاء) من قطع الدراهم والدنانير وافساد المعاملة والمقامرة ونحوها مما يكون افسادا للمال قالوا له ذلك فى جواب النهى عن

الثالث ورزقني (قلت) لان الثالث تقدمه ذكر الاموال وتأخر عنه قوله ورزقني منه رزقا حسنا وهنا خاصات ورزقني قناعة فناسبهما قوله ورزقني فانه بخلاف الاولين تقدمهما أمر زعامة

جوابا عن سؤال مقدر وهو المسمى في علم البيان بالاستئناف البياني تقديره انه لما قال
يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فكأنهم قالوا فماذا يكون بعد ذلك فقال سوف
تعلمون فظهر أن حذف حرف الفاء ههنا أكمل في باب الفصاحة والتهويل لانه استئناف
(وارتقبوا) اى انتظروا عاقبة أمركم (اني معكم رقيب) اى منتظر والرقيب بمعنى الراقب
من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو
بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (ولما جاء أمرنا) بعذابهم واهلاكهم
(نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة) اى بفضل (منا) بان هديناهم للايمان ووفقناهم
للطاعة (فان قيل) لم جاءت قصة عاد وقصة مدين بالواو وقصة صالح ولوط بالفاء (أجيب) بان
قصة عاد ومدين لم يسبقهما ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانهما
ذكرا بعد الوعد وذلك قوله تعالى وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء
السببية (وأخذت الذين ظلموا) اى ظلموا انفسهم بالشرك والبخس (الصيحة) اى صيحة
جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة خرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أتتهم صيحة من
السماء (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) اى باركين على الركب ميتين (كأن لم يغنوا) اى كأنهم لم
يقيموا (فيها) اى ديارهم مدة من الدهر ماخوذ من قولهم غنى بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا
به عن غيره (ألا بعدا) اى هلاكا (لمدين كما بعدت ثمود) انما شبههم بهم لان عذابهم كان أيضا
بالصيحة لكن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم قال ابن عباس لم يعذب
الله تعالى أمتين بعذاب الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم
واما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم * القصة السابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه
السورة وهي آخر قصصها قصة موسى عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا) اى التوراة مع ما فيها من الشرائع والاحكام (وسلطان مبين) اى
برهان بين ظاهر على صدق نبوته ورسالته وقيل المراد بالآيات المعجزات والسلطان المبين
العصا لانها اظهر الآيات وذلك لان الله تعالى اعطى موسى تسع آيات بينات وهي العصا
واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين
ومنهم من ابدل نقص الثمرات والسنين باظلال الجبل وفلق البحر قال بعض المحققين سميت
الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره والعلماء سلاطين بسبب
كمالهم في القوة العلمية والملوك سلاطين بحسب ما معهم من القدرة والمكنة الا ان سلطنة
العلماء أكمل واقوى من سلطنة الملوك لان سلطنة العلماء لا تقبل النسخ والعزل وسلطنة
الملوك تقبلهما ولان سلطنة الملوك تابعة لسلطنة العلماء لان سلطنة العلماء من جنس سلطنة
الانبياء وسلطنة الملوك من جنس سلطنة الفراعنة (الى فرعون) طاغية القبط (وملئه) اى
أشراف قومه الذين تتبعهم الاذناب لان القصد الاكبر رفع أيديهم عن بني اسرائيل (فاتبعوا
أمر فرعون) اى اتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى
فساده على من له أدنى مسكة من العقل ولم يتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات
الظاهرة الباهرة لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما أمر فرعون برشيد) اى بسديد ولا

في قصة عاد وقصة شعيب ذكر الواو في الاولى انه [illegible] بعدها قوله (الآية) لا عاصم اليوم [illegible] الاستئناف [illegible] لا عاصم [illegible]

القرب في الزمان والمكان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الاحوال فكأنه يقول اعتبروا باحوالهم واحذروا من مخالفة الله ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب (فان قيل) لم قال ببعيد ولم يقل ببعيدين (أجيب) بان التقدير وما اهلاكهم بشيء بعيد وأيضا يجوز أن يسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما انتهى (واستغفروا ربكم) أي آمنوا به (ثم توبوا اليه) عن عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان وقد مر مثل ذلك (ان ربي رحيم) أي عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أي محب لهم ٭ ولما بالغ عليه السلام في التقرير والبيان أجابوه بانواع فاسدة الاول (قالوا) له (يا شعيب ما نفقه) أي ما نفهم (كثيرا مما تقول) (فان قيل) انه كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه (أجيب) بانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عن كلامه وهو قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه أو انهم فهموه ولكنهم ما أقاموا له وزنا فذكروا هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول ٭ النوع الثاني قولهم له (وانا لنراك فينا ضعيفا) أي لا قوة لك فتمتنع منا ان أردنا بك سوءا وذليلا لا عزلك وقيل أعمى بلغة حمير قاله قتادة وفي هذا تجويز العمى على الانبياء الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لانه ترك الظاهر من غير دليل وقيل ضعيف البصر قاله الحسن ٭ النوع الثالث قولهم له (ولولا رهطك) اي عشيرتك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم (لرجمناك) بالحجارة حتى تموت والرهط من الثلاثة الى عشرة وقيل الى السبعة والمقصود من هذا الكلام انهم بينوا له انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترام رهطه ٭ النوع الرابع قولهم له (وما انت علينا بعزيز) أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا ٭ ولما خوف الكفار شعيبا عليه السلام بالقتل والايذاء حكى الله تعالى عنهم ماذكره ٢ في هذا المقام وهو نوعان الاول (قال) لهم (يا قوم) مستعطفا لهم مع غلظتهم عليه (ارهطي اعز عليكم من الله) المحيط بكل شيء قدرة وعلما حتى نظرتم اليهم في قرابتي منهم ولم تنظروا الى الله تعالى في قربي منه لما ظهر علي من كرامته تعالى (واتخذتموه وراءكم ظهريا) أي جعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة لرسوله قال في الكشاف والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بكسر الهمزة وقوله (ان ربي بما تعملون محيط) أي انه عليم باحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ٭ النوع الثاني قوله (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) والمكانة الحالة التي يمكن صاحبها من عمله والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة وكل ما في وسعكم وطاقتكم من ايصال الشرور الى (اني) أيضا (عامل) بما آتاني الله من القدرة والطاعة (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) فمن موصولة مفعول العلم (فان قيل) لم لم يقل فسوف تعلمون (أجيب) بان ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وأما حذف الفاء فجعله

ولان قصة نوح وقع بعدها طوفان والمال بها أنسب

(فان قلت) لم قال في الاولى ويا قوم بالواو وفي الثانية يا قوم بدونها (قلت) لطول الكلام الواقع بين النداءين في قصة نوح وقصره بينهما

٢ قوله حكى الله تعالى عنهم ماذكره سبق قلم والصواب حكى الله عنه ماذكره اه مصححه

اى غيره (من شئ) اى شيأ من مزيدة (لما جاء امر ربك) اى عقابه (وما زادوهم) بعبادتهم (غير تتبيب) اى غير تخسير وقيل تدمير ولما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه بما فعله بامم من تقدم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما خالفوا الرسل وما ورد عليهم من عذاب الاستئصال وبين انهم ظلموا انفسهم بحلول العذاب فى الدنيا قال تعالى بعده (وكذلك) اى ومثل ذلك الاخذ العظيم (اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى) اى القرى (ظالمة) والمراد اهلها ونظيره قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة فبين تعالى ان عذابه ليس مقصورا على من تقدم بل الحال فى اخذ كل الظالمين يكون كذلك ولما بين تعالى كيفية اخذ الامم المتقدمة ثم بين تعالى انه انما يأخذ جميع الظالمين على ذلك الوجه اتبعه بما يزيده تأكيدا وتقوية بقوله تعالى (ان اخذه اليم) اى مؤلم (شديد) اى صعب مقتت القوى وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد وفى هذه الآية الكريمة والحديث الشريف دلالة على ان من اقدم على ظلم فانه يتداركه بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع فى هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية مختصة بظالمى الامم الماضية بل هى عامة فى كل ظالم ويعضده الحديث (ان فى ذلك) اى ما ذكر من عذاب الامم الماضية واهلاكهم (لآية) اى لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب) يوم القيامة (الآخرة) لانه ينظر ما احل الله تعالى بالمجرمين فى الدنيا وما هو الا انموذج لما اعد لهم فى الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله تعالى وقوله (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له) اى فيه (الناس) اى ان خلق الاولين والآخرين كلهم يحشرون فى ذلك اليوم ويجمعون ثم وصفه تعالى بوصف آخر بقوله تعالى (وذلك يوم مشهود) اى يشهده اهل السموات واهل الارض (وما نؤخره) اى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (الا لاجل) اى وقت (معدود) اى معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه الا الله تعالى (يوم يأت) ذلك اليوم (لا تكلم) فيه حذف احدى التاءين اى لا تتكلم (نفس الا باذنه) تعالى وقرأ نافع وابو عمرو والكسائى باثبات الياء بعد التاء من يأتى وصلا ووقفا وحذفها الباقون واما التاء من تكلم فشددها البزى فى الوصل وخففها الباقون (فان قيل) كيف يوفق بين قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (اجيب) بان ذلك اليوم يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون عن انفسهم وفى بعضها يكفون عن الكلام ولا يؤذن لهم وفى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفى بعضها يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم (فمنهم) اى الناس (شقى و) منهم (سعيد) اى فمنهم من سبقت له الشقاوة فوجبت له النار بمقتضى الوعيد ومنهم من سبقت له السعادة فوجبت له الجنة بموجب الوعد وعن على رضى الله تعالى عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله وبيده مخصرة ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منفوسة

(قلت) الامر هنا امر ايجاد لا امر ايجاب فلا يشترط فيه فهم ولا عقل لان الاشياء كلها منقادة لله تعالى ومنه قوله تعالى انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله فقال لها

حميد العاقبة ولا يدعو الى خير وقيل رشيد بمعنى ذو رشد وفيه انسلاخ فرعون من الرشد كان ظاهرا لانه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على أهل كل بلد ان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وكل الرشد في عبادة الله تعالى ومعرفته فلما كان هو نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال أو كما تقدم قومه في الدنيا فادخلهم البحر وأغرقهم فكذا يتقدمهم في القيامة فيدخلهم النار كما قال تعالى (فاوردهم النار) * فان قيل لم يقل يقدم قومه فيوردهم النار بل أتى بلفظ الماضي (أجيب) بانه انما أتى بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ولهذا قال تعالى (وبئس الورد المورود) وردهم لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده (فان قيل) لفظ النار مؤنث فكان مقتضى ذلك ان يقال وبئست الورد المورود (أجيب) بان لفظ الورد مذكر فكان التذكير والتأنيث جائزين كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فمن ذكر غلب المنزل ومن أنث بنى على تأنيث الدار (واتبعوا في هذه) اى الدنيا (لعنة) اى طردا وبعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) اى واتبعوا يوم القيامة لعنة أخرى فهم ملعونون في الدنيا والآخرة ونظيره قوله تعالى في سورة القصص وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (بئس الرفد) اى العون (المرفود) رفدهم سأل رافع بن الازرق ابن عباس عن ذلك فقال هو اللعنة بعد اللعنة وقال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رفدته به وسميت اللعنة عونا لانها اذا تبعتهم في الدنيا ابعدتهم عن الرحمة واعانتهم على ما هم فيه من الضلال وسميت رفدا اى عونا لهذا المعنى على التهكم كقول القائل * تحية بينهم ضرب وجيع * وسميت رفدا لانها اردفت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديتين الى طريق الجحيم * ولما ذكرت قصص الاولين قال تعالى (ذلك) اى المذكور وهو مبتدأ خبره (من انباء القرى) اى اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة في القرون الماضية وقوله تعالى (نقصه عليك) اى نخبرك به يا محمد خبر بعد خبر وفائدة ذكر هذه القصص على النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم السامع ان المؤمن يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة وان الكافر يخرج مع اللعنة في الدنيا والعقاب في الآخرة واذا تكررت هذه الاقاصيص على السمع فلا بد وان يلين القلب ويخضع النفس وتزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال وفي اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تتلمذ لاحد دليل على نبوته فان ذلك لا يكون الا بوحي من الله تعالى (منها) اى القرى (قائم) اى باق كالزرع القائم هلك أهله دونه (و) منها (حصيد) اى عافي الاثر كالزرع المحصود هلك مع أهله (وما ظلمناهم) اى باهلاكهم بغير ذنب (ولكن ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي وقال ابن عباس يريد وما نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استخفوا بحقوق الله تعالى (فما أغنت) اى دفعت (عنهم آلهتهم) اى اصنامهم (التي يدعون) اي يعبدون (من دون الله)

من رحم الراحم وهو الله فكأنه قيل لا عاصم الا الله أو لان عاصما بمعنى معصوم كماء دافق وعيشة راضية (قوله يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي) * ان قلت هما لا يعقلان فكيف أمرا

والنار مدة عمرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم
للحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا
المقدار وقيل معناه لو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه تعالى حكم لهم بالخلود وقال
الفراء هذا الاستثناء استثناه الله تعالى ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان أرى غير ذلك
وعزيمتك ان تضربه وقال اهل المعاني هذه عبارة عن التأبيد على عادة العرب يقولون لا آتيك
مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار يعنون أبدا وقيل ان
اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما
هو أعلى من الجنة وهو الفوز برضوان الله تعالى ولقائه كما قال تعالى وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله أكبر وقرأ حفص وحمزة والكسائي سعدوا بضم السين على البناء للمفعول من سعده
الله بمعنى أسعده والباقون بفتحها وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي أعطوا اعطاء والحال
من الجنة ولما شرح الله تعالى أقاصيص عبدة الاوثان ثم اتبعه باحوال الاشقياء واحوال
السعداء شرح للرسول صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قومه فقال (فلا تك) يا محمد (في
مرية) أي شك (مما يعبد هؤلاء) المشركون من الاصنام إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) أي كعبادتهم (من قبل) وقد
عذبناهم (وانا لموفوهم) مثلهم (نصيبهم) أي حظهم من العذاب (غير منقوص) أي كاملا
غير ناقص ولما ذكر تعالى في هذه الآية اعراضهم عن الاتباع مع ما أتى به من المعجزات وأنزل
عليه من الكتاب سلاه باخيه موسى عليه السلام بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب)
أي التوراة الجامعة للخير (فاختلف فيه) أي الكتاب فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء الى يوم القيامة
(لقضى) أي لوقع القضاء (بينهم) أي بين من اختلف في كتاب موسى في الدنيا فيما اختلفوا
فيه بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به المحق ولكن سبقت الكلمة بان القضاء الكامل انما
يكون يوم القيامة كما قال تعالى في سورة يونس عليه السلام فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الآية
ولما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين تعالى أنه به لان كل طائفة [illegible]
شككها فيه رتبها فعل الشاك فقال تعالى مؤكدا (وانهم لفي شك) أي عظيم محيط بهم (منه)
أي من الكتاب والقضاء (مريب) أي موقع في الريب والتهمة والاضطراب مع ما رأوا من
الآيات التي منها سماع كلام الله تعالى ورؤية ما كان يتجلى في جبل الطور من خوارق
الاحوال وقيل الضمير وانهم راجع لكفار مكة وفي منه للقرآن (وان كلا) أي كل الخلائق
وقوله تعالى (لما) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر تقديره والله (ليوفينهم ربك أعمالهم)
فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار وقرأ نافع وابن كثير
وشعبة بتخفيف وان والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد ميم لما والباقون
بالتخفيف (فائدة) قال بعض الفضلاء انه تعالى لما أخبر عن توفية الاجزية على المستحقين
في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التأكيدات أولها كلمة ان وهي للتأكيد وثانيها لفظة

الا وقد كتب مكانها من الجنة او النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل اهل السعادة ومن كان من
اهل الشقاوة فسيصير الى عمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى الآية وبقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه
والمخصرة كالسوط والعصا ونحوها مما يمسكه الانسان بيده والمنكت بالنون والتاء المثناة من فوق
ضرب الشئ بتلك المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه (فاما الذين شقوا) في علمه تعالى
(ففي النار لهم فيها زفير) وهو صوت شديد (وشهيق) وهو صوت ضعيف وقيل الزفير اخراج
النفس والشهيق رده وقيل الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنهيق والشهيق بمنزلة آخر صوت
الحمار اذا ردده في صدره وقيل الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وعلى كل فالمراد منهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم (خالدين فيها) وقوله تعالى (مادامت السموات والارض) فيه وجهان
احدهما سموات الآخرة وارضها وهي مخلوقة دائمة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا
قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله تعالى او يظلهم
العرش وكل ما اظلك فهو سماء وكل ما استقر قدمك عليه فهو ارض والوجه الثاني ان المراد
مدة دوامهما في الدنيا (الا) اي غير (ما شاء ربك) من الزيادة على مدة دوامهما الا منتهى له وذلك
هو الخلود فيها ابدا (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك) كما تقدم ودل عليه قوله تعالى (عطاء
غير مجذوذ) اي مقطوع وقيل الاستثناء في اهل الشقاوة يرجع الى قوم من الموحدين يدخلهم
الله تعالى النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون ذلك استثناء وذلك كاف في صحة
الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض من غير الجنس لان الذين
اخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقياء لما روى عن جابر انه صلى
الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله تعالى يخرج ما شاء من النار
فيدخلهم الجنة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ليصيبن قوما سفع من النار بذنوب
اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله بفضله ورحمته الجنة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج
قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة فيسمون الجهنميين وعن
عبد الله بن عمرو بن العاصي ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها احد اي من أهل
الكبائر من امة محمد صلى الله عليه وسلم بان تخلى طبقتهم التي كانوا فيها وان نازع في ذلك
الزمخشري على مذهبه الفاسد من ان أهل الكبائر يخلدون في النار واما الاستثناء في اهل
السعادة فيرجع الى مدة لبثهم في النار قبل دخولهم الجنة أو ان الاستثناء راجع الى
الفريقين فانهم مفارقو الجنة ايام عذابهم وان التأبيد من مبدأ معين ينتقص باعتبار الابتداء
كما ينتقص باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم
يكن قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية
عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع من الجنة

والارض ائتيا طوعا او
كرها قالتا أتينا طائعين
وقوله ونادى نوح ربه فقال رب
قاله هنا بالفاء وقال في مريم
في قصة زكريا اذ نادى ربه
نداء خفيا قال رب بلا فاء
لانه أريد بالنداء هنا ارادته

فيجازيكم عليها (ولا تركنوا) أي تميلوا (إلى الذين ظلموا) أدنى ميل (فتمسكم النار) أي تصيبكم بحرها والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله تعالى ولا تركنوا فإن الركون هو الميل اليسير وحكي أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له في ذلك فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله تعالى بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه وتعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملا أي من الظلمة وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من أولياء) أي أعوانا وأنصارا يمنعونكم من عذابه حال من قوله فتمسكم النار أي فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة (ثم لا تنصرون) أي لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله في القيامة ففي هذه الآية وعيد لمن ركن إلى الظلمة بأدنى ميل فكيف يكون حال الظالم في نفسه ولما أمر تعالى بالاستقامة أردفه بالأمر بالصلاة بقوله تعالى (وأقم الصلوة) وذلك يدل على أن أعظم العبادات بعد الإيمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى (طرفي النهار) الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر وقوله تعالى (وزلفا) جمع زلفة أي طائفة (من الليل) أي المغرب والعشاء (إن الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن) أي يكفرن (السيئات) أي الذنوب الصغائر لما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله لا يبقى من درنه شيء فقال ذلك مثل

كل وهي أم الباب في التأكيد وثالثها اللام الداخلة على خبر ان تفيد التأكيد أيضا ورابعها
حرف ما اذا جعلناها على قول الفراء موصولا وخامسها المضمر وسادسها اللام الثانية الداخلة
على جواب القسم وسابعها النون المذكورة في قوله تعالى ليوفينهم فجميع هذه الالفاظ
السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل على ان أمر الربوبية والعبودية
لا يتم الا بالبعث والقيامة وأمر الحشر والنشر ثم أردفه بقوله تعالى (انه بما يعملون خبير) وهو
من أعظم المؤكدات فانه تعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده ففيه وعد للمحسنين ووعيد
للمكذبين الكافرين * ولما بين تعالى أمر الوعد والوعيد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاستقم)
أي على دين ربك والعمل والدعاء اليه (كما أمرت) والامر في ذلك للتأكيد فانه صلى الله عليه
وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك أي دم على ما أنت عليه
من القيام حتى آتيك وتوطئة لقوله تعالى (ومن تاب معك) أي وليستقم أيضا على دين
الله والعمل بطاعته من آمن معك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة أن
تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب وأشار صلى الله عليه وسلم الى شدة
الاستقامة بقوله شيبتني هود وأخواتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما نزلت على
النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد ولا أشق من هذه الآية وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت بأي آية قال
قوله تعالى فاستقم كما أمرت وعن سفيان ابن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في
الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال قل آمنت بالله ورسوله ثم استقم قال الامام الرازي
ان هذه الآية أصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن لما ورد بالامر بأعمال الوضوء مرتبة
في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله تعالى فاستقم كما أمرت ولما ورد الامر في الزكاة
باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد أمر الله تعالى
به انتهى * ولما كانت الاستقامة هي التوسط بين طرفي الافراط والتفريط نهى عن الافراط
بقوله تعالى (ولا تطغوا) أي لا تجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة افراطا فان
الله تعالى انما أمركم ونهاكم لتهذيب أنفسكم لا لحاجته الى ذلك ولن تطيقوا ان تقدروا
الله حق قدره والدين متين لم يشاده أحد الا غلبه كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا
واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة فقوله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ضد
العسر أراد به التسهيل في الدين بترك التشديد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن
يغالب ولن يقاوى وقوله وسددوا أي اقصدوا السداد في الامور وهو الصواب وقاربوا أي
اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والرواح
الرجوع عشاء والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل أيضا وقوله واستعينوا بشئ من الدلجة
اشارة الى تقليله * ولما نهى تعالى عن الافراط وهو الزيادة تصريحا أفهم النهي عن التفريط
وهو النقص عن المأمور تلويحا من باب أولى ثم علل ذلك مؤكدا تنزيلا لمن يفرط أو يفرط
منزلة المنكر فقال (انه بما تعملون بصير) أي عالم بأعمالكم كلها لا يخفى عليه شئ منها

اظهرها وهي الرجح
العصر ولا يقبل قول
الكفار في حقه قال
بعضهم أو ان الرسول انما
يحتاج الى المعجزة اذا كان
صاحب شريعة لتنقاد
امته اليها اذ في كل شريعة

* ان تذنبوا انتم يا بني بقيتكم * ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذوو بقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه * (فائدة) * حكي عن الخليل انه قال كل ما في القرآن من كلا لولا فمعناه هلا الا التى فى الصافات قال صاحب الكشاف وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك انتهى وقوله تعالى (الا قليلا ممن انجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى السبب الثاني لنزول عذاب الاستئصال قوله تعالى (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) اى ما انعموا فيه من الشهوات واللذات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) اى كافرين * (تنبيه) * قوله تعالى واتبع الذين ظلموا ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال فكانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او على اتبعوا اى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ثم بين تعالى انه ما اهلك اهل القرى بظلم بقوله تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) اى بشرك (واهلها مصلحون) فيما بينهم والمعنى انه لا يهلك اهل القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحاصل ان عذاب الاستئصال لا ينزل لاجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك العذاب اذا اساؤا في المعاملة وسعوا في الايذاء والظلم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح [illegible] الا ترى الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم [illegible] عذاب الاستئصال [illegible] حكى الله تعالى عنهم من ايذاء الناس وظلم الخلق (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) اى اهل ملة واحدة وهى الاسلام [illegible] امة واحدة وفى هذه الآية دليل على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه والمعتزلة يحملون هذه الآية على مشيئة الالجاء والاجبار ولذا قال الزمخشري يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل ملة واحدة (ولا يزالون مختلفين) اى على اديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة وفي رواية الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة والمراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء كالقدرية والمعتزلة والرافضة والمراد بالواحدة هى ملة اهل السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله (فان قيل) ما الدليل على ان الاختلاف في الاديان

الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات وعن الحسن
ان الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وسبب نزول هذه الآية
ما رواه الترمذي عن أبي اليسر بن عمرو قال أتتني امرأة وزوجها بعثه النبي صلى الله عليه
وسلم في بعث فقالت بعني بدرهم تمرا قال فاعجبتني فقلت ان في البيت تمرا هو أطيب من هذا
الحلق فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت أبا بكر فذكرت ذلك فقال استر
على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر
أحدا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أخلفت رجلا غازيا في سبيل الله
في أهله بمثل هذا حتى تمنى أنه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار وأطرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحي اليه وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل
الى قوله تعالى (ذلك ذكرى للذاكرين) اي عظة للمتقين قال أبو اليسر فاتيته فقرأها علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهذا خاصة أم
للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن
مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت
فقال رجل يا رسول الله ألهذا خاصة فقال بل للناس كافة وعن معاذ بن جبل قال أتى النبي
صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أرأيت رجلا لقي امرأة ليس بينهما معرفة وليس
يأتي الرجل الى امرأته شيأ الا قد أتى هو اليها الا أنه لم يجامعها قال فانزل الله تعالى هذه الآية
وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ ويصلي فقال معاذ بن جبل فقلت يا رسول الله أهي له
خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين عامة قال العلماء الصغائر من الذنوب تكفرها
الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر واما
الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الاول الاقلاع عن
الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام على أن لا يعود اليه في المستقبل
فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى والاشارة في قوله
تعالى ذلك ذكرى الى ما تقدم ذكره من قوله تعالى فاستقم كما أمرت الى ههنا وقيل هو اشارة
الى القرآن وقوله تعالى (واصبر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي واصبر يا محمد على أذى
قومك أو على الصلاة وهو قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها (فان الله لا يضيع
أجر المحسنين) أي أجر أعمالهم وعدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على
ان الصلاة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص ولما بين تعالى أن الامم
المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين ان السبب فيه أمران السبب الاول انه ما كان
فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض فقال تعالى (فلولا) اي فهلا (كان من القرون) أي
من الامم الماضية (من قبلكم أولو بقية) اي اصحاب رأي وخير وفضل (ينهون عن الفساد
في الارض) وسمي الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وافضله فصار
مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قيل في الزوايا خبايا

لموافقته العقل والنقل ولا يلزم من الجواب الاول عدم الطهارة مع جواز عدمها في نفس الامر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن

...هم اصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وقرأ شعبة بعد النون بألف على الجمع والباقون
بغير ألف على الافراد (انا عاملون) اى على حالتنا التى أمرنا بها (وانتظروا) اى ما يعدكم
الشيطان به من الخذلان (انا منتظرون) اى ما يحل بكم من نقم الله تعالى وعذابه نحو ما نزل
على أمثالكم وقيل انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من أنواع الغفران والاحسان ثم انه تعالى
ختم السورة بخاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة المقدسة فقال (ولله غيب السموات
والارض) اى علم ما غاب فيهما [illegible] سبحانه وتعالى بانفراده بجميع مخلوقاته [illegible] وجلها
(واليه) لا الى غيره (يرجع الامر كله) اى الذى يرجع أمر الخلق كلهم فى الدنيا والآخرة
وقرأ نافع وحفص بضم الياء وفتح الجيم على البناء للمفعول والباقون بفتح الياء وكسر الجيم
ولما كان أول درجات السير الى الله تعالى عبوديته وآخرها التوكل عليه قال تعالى (فاعبده)
ولا تشتغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) اى ثق به فى جميع أمورك فانه كافيك (وما ربك بغافل
عما تعملون) بل هو حافظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه شئ منها فيجزى المحسن باحسانه
والمسئ باساءته وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة
(فائدة) قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود وقول البيضاوى تبعا
للزمخشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الأجر عشر
حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى
وكان يوم القيامة من السعداء حديث موضوع

سورة يوسف عليه السلام مكية

مائة واحدى عشرة آية وعدد كلماتها [illegible]
وعدد حروفها [illegible] حرفا

(بسم الله) الذى وسع كل شئ قدرة وعلما (الرحمن الرحيم) [illegible] (الر)
[illegible] بالابعاد عن مواطن الردى وقوله تعالى (الر) تقدم الكلام [illegible]
[illegible] فى أول سورة البقرة وقرأ [illegible] بالامالة [illegible] وأبو عمرو وابن عامر وشعبة [illegible]
الامالة محضة والباقون بالفتح واختلف فى سبب نزول هذه السورة [illegible]
لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتلوه على قومه [illegible] فقالوا يا رسول الله
لو قصصت علينا فنزلت هذه السورة فتلاها عليهم فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله نزل
أحسن الحديث كتابا متشابها فقالوا لو ذكرتنا فنزل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
الله وعن ابن عباس انه قال سألت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب
وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة وقوله تعالى (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة اى
تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة المسماة بالرحمن (آيات الكتاب) اى القرآن
(المبين) اى المبين فيه الهدى والرشد والحلال والحرام المظهر للحق من الباطل الذى ثبت فيه
قصص الاولين والآخرين وشرحت فيه أحوال المتقدمين (انا أنزلناه) اى الكتاب (قرآنا
عربيا) اى بلغة العرب لكى يعلموا معانيه ويفهموا ما فيه روى ان علماء اليهود قالوا لكبراء

ابلغتكم) جواب الشرط
محذوف ان الابلاغ ليس
هو الجواب [illegible]
[illegible]

فلا يجوز ان يحمل على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمال (أجيب) بان الدليل عليه ما قبل هذه الآية وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فيجب حمل الاختلاف على ما يخرجهم من ان يكونوا أمة واحدة وما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى (الا من رحم ربك) اى أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه فيجب حمل الاختلاف على معنى يصح أن يستثنى منه ذلك وفي هذه الآية دلالة على ان الهداية والايمان لا تحصل الا بتخليق الله تعالى لان تلك الرحمة ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذر فان كل ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا ان يقال تلك الرحمة هو انه سبحانه وتعالى خلق فيهم تلك الهداية والمعرفة (ولذلك خلقهم) اى خلق أهل الاختلاف للاختلاف وخلق أهل الرحمة للرحمة روى عن ابن عباس انه قال خلق الله أهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا والحاصل ان الله تعالى خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف وهم أهل الباطل ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالاتفاق وهم أهل الحق ومصيرهم الى الجنة ويدل لذلك قوله تعالى (وتمت كلمة ربك) وهي (لأملأن جهنم من الجنة) اى الجن (والناس أجمعين) وهذا صريح بان الله تعالى خلق أقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية ولما ذكر تعالى القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر نوعين من الفائدة أولهما تثبيت الفؤاد بقوله تعالى (وكلا) اى وكل نبأ (نقص عليك) وقوله تعالى (من أنباء الرسل) اى نخبرك به بيان لكل وقوله تعالى (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الاذى وذلك لان الانسان اذا ابتلى بمحنة وبلية فاذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت طابت فاذا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وأمكنه الصبر عليه الفائدة الثانية قوله تعالى (وجاءك في هذه الحق) اى في السورة وعليه الاكثر أو في هذه الانباء المقتصة فيها وقال الحسن في هذه الدنيا قال الرازي وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليها (فان قيل) قد جاء الحق في غير هذه السورة بل القرآن كله حق وصدق (أجيب) بانه انما خصها بالذكر تشريفا لها (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وخصهم بالذكر لانتفاعهم بذلك بخلاف الكفار فذكر تعالى أمورا ثلاثة الحق والموعظة والذكرى أما الحق فهو اشارة الى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وأما الموعظة فهي اشارة الى التنفير عن الدنيا وتقبيح أحوالها وأما الذكرى فهي اشارة الى الارشاد الى الاعمال النافعة الصالحة في الدار الآخرة ولما بالغ تعالى الغاية في الانذار والاعذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بان قال لرسوله صلى الله عليه وسلم (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم) اى حالتكم وفيه وعيد وتهديد وان كانت صيغته صيغة الامر فهو كقوله تعالى لابليس واستفزز من استطعت

لان العذاب في قصة الاولين تأخر عن وقت الوعيد فناسب الاتيان بالواو وفي قصة الآخرين وقع العذاب عقب الوعيد فناسب الاتيان بالفاء الدالة على التعقيب [illegible]

يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس والقمر بابيه وامه بجعل الشمس للام لانها مؤنثة
والقمر للاب لانه مذكر والذى رواه البيضاوى تبعا للكشاف عن جابر من ان يهوديا قال
للنبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن النجوم التى رآهن يوسف فاخبره باسمائها فقال اليهودى
اى والله انها لاسماؤها قال ابن الجوزى انه موضوع وقوله (رأيتهم لى ساجدين) استئناف
لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرار لان الرؤية الاولى تدل على انه شاهد الكواكب
والشمس والقمر والثانية تدل على انه شاهد كونها ساجدة له وقال بعضهم انه لما قال انى
رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قيل له كيف رأيتها قال رأيتهم لى ساجدين وقال آخرون
يجوز أن يكون أحدهما من الرؤية والآخر من الرؤيا وهذا القائل لم يبين أيهما يحمل
على الرؤية وأيهما يحمل على الرؤيا قال الرازى فذكر قولا غير مبين (فان قيل) قوله
رأيتهم وقوله ساجدين لا يليق الا بالعقلاء والكواكب جمادات فلم جاءت اللفظة
المخصوصة بالعقلاء فى حق الجمادات (أجيب) بانها لما وصفت بالسجود صارت كانها تعقل
وأخبر عنها كما أخبر عمن يعقل كما قال تعالى فى صفة الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم
لا يبصرون وكما فى قوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (فان قيل) لم أفرد الشمس
والقمر بالذكر مع أنهما من جملة الكواكب (أجيب) بانه أفردهما لفضلهما وشرفهما على
سائر الكواكب كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال وهل المراد بالسجود نفس
السجود حقيقة أو التواضع كلاهما محتمل والاصل فى الكلام حمله على الحقيقة قال أهل
التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف عليه السلام فحسده اخوته لهذا
السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها ان أبويه واخوته
يخضعون له وخاف عليه حسدهم وبغيهم (قال) له أبوه (يا بنى) [illegible]
[illegible] على ما تقدم وقرأ حفص فى الوصل بفتح الياء والباقون بالكسر [illegible]
(لا تقصص رؤياك على اخوتك) أى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها (فيكيدوا لك
كيدا) أى يحتالوا فى هلاكك (فان قيل) لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدونى (أجيب) بان
هذه اللام تأكيد للصلة كقوله للرؤيا تعبرون وكقوله نصحتك ونصحت لك [illegible]
وشكرت لك وقيل [illegible] (ان الشيطان للانسان عدو مبين) اى ظاهر
العداوة كما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على
الكيد وعن أبى قتادة قال كنت ارى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحبه فلا يحدث به الا من
يحب واذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وشرها فانها لا تضره وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانما هى من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما
يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وعن أبى
رزين العقيلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة
وهى على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا

قوم هود بالكفر [illegible]
(قوله [illegible]) [illegible]
وقال [illegible]
[illegible]

المشركين اسألوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن كيفية قصة يوسف
فأنزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها انه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية ليتمكنوا من
فهمها والتقدير انا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف حال كونه قرآنا عربيا وسمى
بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض (لعلكم) يا أهل مكة
(تعقلون) اى أرادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا
لقالوا لولا فصلت آياته واختلف العلماء هل في القرآن شئ بغير العربية فقال أبو عبيدة من زعم
ان في القرآن لسانا غير العربية فقد أعظم على الله القول واحتج بهذه الآية انا أنزلناه قرآنا
عربيا وروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة
واليم والاستبرق وجمع بعض العلماء بين القولين بان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب
ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا
بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة وهو جمع حسن (نحن نقص عليك أحسن القصص) اى
أحسن الاقتصاص لانه اقتص على أبدع الاساليب والقصص اتباع الخبر بعضه بعضا وأصله
في اللغة من قص الاثر اذا اتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك
القصة شيئا فشيئا والمعنى انا نبين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن
البيان أو قصة يوسف عليه السلام خاصة وسماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم
والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والغلمان ومكر
النساء والصبر على ايذاء الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك قال خالد بن معدان
في سورة يوسف ومريم يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف
محزون الا استراح اليها (بما) اى بسبب ما (أوحينا) اى بايحائنا (اليك) يا محمد (هذا القرآن)
الذي قالوا فيه انه مفترى فنحن نتابع القصص القصة بعد القصة حتى لا يلحقك شك ولا يعتري
في أنه من عند الله (وان كنت من قبله) اى من قبل ايحائنا اليك هذا القرآن (لمن الغافلين) اى عن
قصة يوسف واخوته لانه صلى الله عليه وسلم انما علم ذلك بالوحي وقيل لمن الغافلين عن الدين
والشريعة وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وقوله تعالى
(اذ قال يوسف لابيه) بدل من أحسن القصص أو منصوب باضمار اذكر ويوسف اسم عبري
وقيل عربي ورد بانه لو كان عربيا لانصرف وسئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف
في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم وقوله (يا أبت) أصله يا أبي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك
قلبها ابن كثير وابن عامر هاء في الوقف ووقف الباقون بالتاء كالرسم وفي الوصل بالتاء للجميع
وفتح التاء في الوصل ابن عامر وكسرها الباقون (اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر)
قال أهل التفسير رأى يوسف عليه الصلاة والسلام في منامه وكان ابن اثنتي عشرة سنة
وقيل سبع عشرة وقيل سبع سنين ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر كأن أحد عشر كوكبا نزلت
من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وفسر الكواكب باخوته وكانوا أحد عشر

كرر التنجية لان المراد بالاولى تنجيتهم من عذاب الدنيا الذي نزل بقوم هود وهي سموم أرسلها الله تعالى اليهم فقطعتهم عضوا عضوا وبالثانية تنجيتهم عن عذاب الآخرة الذي

عطف على قول ان اسحق هو الذبيح (من قبل) أي من قبل هذا الزمان وقوله (ابراهيم واسحق)
عطف بيان لابويك ثم ان يعقوب عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام
بقوله (ان ربك عليم) أي بليغ العلم (حكيم) أي بليغ الحكمة وهي وضع الاشياء في أتقن
مواضعها (لقد كان في) خبر (يوسف واخوته) وهم أحد عشر يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبلون قال البقاعي بزاي وباء موحدة ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة
خال يعقوب وولد له من سريتين اسمهما زلفى والاخرى بلهم كذا قاله البغوي وقال الرازي
والاخرى بلهة أربعة اولاد وأسماؤهم دان ونفتالي قال البقاعي بنون وفاء ومثناة فوقية ولام بعدها ياء وجاد وآشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف
وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ (آيات) أي علامات ودلائل على قدرة
الله تعالى وحكمته في كل شيء (للسائلين) عن قصتهم قال الرازي وان لم يسأل عنها وهو كقوله
تعالى في أربعة أيام سواء للسائلين وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود
سألوه عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان الى أرض
مصر فذكر لهم قصة يوسف فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منه فكان دلالة على
نبوته صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء واصحاب الاخبار ولم
يأخذ عنهم شيأ فدل ذلك على أن ما أتى به وحي سماوي أوحاه الله تعالى اليه وعرفه به وهذه
السورة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف عليه السلام وما حقق
الله تعالى فيها من حسد اخوته وما آل اليه أمره من الملك ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب
وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التي اذا فكر فيها
الانسان اعتبر وقرأ ابن كثير آية على التوحيد والباقون على الجمع (اذ) أي واذكر اذ (قالوا)
أي بعض اخوة يوسف لبعض بعد أن بلغتهم الرؤيا وقالوا ما يرضى أن تسجد له اخوته حتى
يسجد له أبواه (ليوسف واخوه) أي شقيقه بنيامين (أحب الى ابينا منا) اللام لام الابتداء وفيها
تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وخبر الاثنين
أحب ووحد لان افعل يستوي فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان أو مؤنثا اذا لم يعرف ولم
يضف وقيل اللام لام قسم تقديره والله ليوسف وانما قالوا وأخوه وهم جميعا اخوته لان
امهما كانت واحدة والواو في قولهم (ونحن عصبة) واو الحال أي يفضلهما في المحبة علينا
وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة أقوياء نقوم بمرافقه فنحن أحق
بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها
وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفى بهم النوائب (ان
أبانا لفي ضلال) أي خطأ (مبين) أي بين في ايثاره حب يوسف واخيه علينا والقرب المقتضى
للحب في كلنا واحد لانا في البنوة سواء ولنا مزية تقتضي تفضيلنا وهي أنا عصبة لنا من النفع
له والذب عنه والكفاية ما ليس لهما (تنبيه) هنا سؤالات الاول ان من المعلوم أن
تفضيل بعض الاولاد على بعض يورث الحقد والحسد فلم أقدم يعقوب عليه السلام على ذلك
(أجيب) بانه انما فضلهما في المحبة والمحبة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيها ولا يلحقه

بثلاثة ألفاظ موقوفة في
الاعراف والعنكبوت
فاطر ثم الرجفة وهنا
الصيحة وفي الشعراء الظلة
وقعت لهم الثلاثة في ثلاثة
أوقات (قوله فاصبحوا) باعتبار يقطع

لينهما أو جميعا وانما أضيفت الرؤيا المحبوبة الى الله اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة
وان كانتا جميعا من خلق الله تعالى وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر
المكروهة ويرتضيها فيستحب اذا رأى الشخص في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا
رأى ما يكرهه فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وليتفل ثلاثا وليتحول
عن جنبه الآخر فانها لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا للسلامة من المكروه
كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال قال الحكماء ان الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها عن قريب
والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين قالوا والسبب فيه ان رحمة الله تعالى تقتضي أن
لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام
بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمن طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع
حضوره وذلك الخير أكثر وأتم ولهذا لم تظهر رؤيا يوسف عليه السلام الا بعد أربعين سنة وهو
قول أكثر المفسرين وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة حتى اجتمع عليه أبواه
واخوته وخروا له ساجدين (وكذلك) اى وكما اجتباك ربك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة
الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك) اى يختارك ويصطفيك (ربك) بالدرجات العالية
واجتباء الله تخصيصه بفيض الهى يحصل منه أنواع الكرامات بلا سعي من العبد وذلك
مخصوص بالانبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين وقوله (ويعلمك)
كلام مستأنف خارج عن التشبيه والتقدير وهو يعلمك (من) اى بعض (تأويل الاحاديث)
من تأويل الرؤيا وغيرها من كتب الله تعالى والاخبار المروية عن الانبياء المتقدمين وكان
يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا وغيرها غاية والتأويل ما تؤول اليه عاقبة الامر (ويتم
نعمته عليك) بالنبوة قال ابن عباس لان منصب النبوة اى مع الرسالة أعلى من جميع
المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع مناصب الخلق
دون منصب الرسالة والنبوة فالكمال المطلق والتمام المطلق في حق البشر ليس الا النبوة
والرسالة وقيل يجتبيك بالنبوة ويتم نعمته عليك بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة أما
سعادات الدنيا فالاكثار من الاولاد والخدم والاتباع والتوسع في المال والجاه والاجلال
في قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد وأما سعادات الآخرة فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة
والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) اى أولاده وهذا يقتضي حصول تمام
النعمة لآل يعقوب وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مر فلزم حصولها لآل
يعقوب وأيضا ان يوسف عليه السلام قال اني رأيت أحد عشر كوكبا وكان تأويله أحد
عشر نفسا لهم فضل وكمال ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الارض لانه لا شيء أضوأ من
الكواكب وبها يهتدى وذلك يقتضي أن تكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلا (فان
قيل) كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه
السلام (أجيب) بان ذلك وقع منهم قبل النبوة والعصمة من المعاصي انما تعتبر بعد النبوة
لا قبلها على خلاف فيه (كما أتمها على أبويك) بالنبوة والرسالة وقيل اتمام النعمة على ابراهيم
عليه السلام خلاصه من النار واتخاذه خليلا وعلى اسحق خلاصه من الذبح وفداؤه بذبح

الذين ظلموا الصيحة) قاله
هنا في قصة صالح بلا تاء
وقاله بها بعد في قصة شعيب
وكل صحيح لكن اختص
الثاني بها لان قوم شعيب
وقع الاخبار عن عذابهم

عظيم

يوسف وأبيه بضرب من الحيل (قالوا) اعمالا للحيلة في الوصول اليه مستفهمين على وجه
التعجب لانه كان أحس منهم السوء فكان يحذرهم عليه (يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف
و) الحال (انا له لناصحون) أي قائمون بمصلحته وحفظه (تنبيه) واتفق القراء على اخفاء
النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضا على ادغامها مع الاشمام (أرسله معنا
غدا) أي الى الصحراء (يرتع) أي نتسع في أكل الفواكه ونحوها وأصل الرتع أكل البهائم في
الخصب في زمن الربيع ويستعار للانسان اذا أريد به الاكل الكثير (ويلعب) روي أنه
قيل لابي عمرو كيف يقولون نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وأيضا جاز أن يكون
المراد باللعب الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال
لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وأيضا كان لعبهم الاستباق والانتضال والغرض منه
المحاربة والمقاتلة مع الكفار والدليل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه
في صورته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء وسكن العين
أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وكسرها الباقون في الوصل وقيل وجه آخر
وهو أنه يثبت الياء في نرتع بعد العين وقفا ووصلا (وانا له لحافظون) أي بأجمعنا في الحفظ له
حتى نرده اليك سالما قال أبو حيان وانتصب غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق
على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد وأصل غد غدو فحذفت الواو
انتهى ثم ان يعقوب عليه السلام اعتذر لهم بعذرين الاول ما حكاه الله تعالى عنه بقوله
(قال اني ليحزنني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب لانه كان
لا يقدر أن يصبر عنه ساعة وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي
والثاني قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) [illegible]
وكان يعقوب عليه السلام رأى في النوم أن الذئب [illegible]
هذا كذلك وكأنه لقنهم العلة وفي أمثال العرب البلاء موكل بالمنطق والمراد [illegible]
وكانت أرضهم كثيرة الذئاب (قالوا) مجيبين عن الثاني [illegible]
[illegible] يدل على القسم واللام (لئن أكله الذئب ونحن عصبة) أي والحال أنا (عصبة) أي
جماعة عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب أجابوا عن القسم [illegible]
جواب الشرط بقولهم (انا اذا) أي اذا كان هذا (لخاسرون) أي كاملون في الخسار [illegible]
فهذا أخذنا فنحن [illegible] وانما أشد تقيدهم وأعرضوا عن جواب الاول لان [illegible]
وغيظهم كان بسبب العذر الاول وهو شدة حبه له فلما سمعوا ذلك المعنى تغافلوا عنه [illegible]
أن يقولوا ما وجه الشح بفراقه يوما [illegible] بفراقنا كل يوم وقرأ الذيب ورش والسوسي
والكسائي بابدال الهمزة ياء وقفا ووصلا وحمزة وقفا لا وصلا والباقون بالهمزة وقفا ووصلا
وقوله تعالى (فلما ذهبوا به) فيه اضمار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا
أن يجعلوه في غيابت الجب) أي وعزموا على القائه فيها ولابد من تقدير جواب وهو فعلوه
فيها وحذف الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذكور دالا عليه وهنا كذلك قال
وهب وغيره من أهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له ما تشتاق أن تخرج معنا الى

في ذلك اللوم الثاني كيف اعترضوا على أبيهم وهم يعلمون أنه نبي وهم مؤمنون به وأجيب بأنهم
وإن كانوا مؤمنين بنبوته لكن جوّزوا أن يكون فعله باجتهاد ثم إن اجتهادهم أدى إلى تخطئة
أبيهم في ذلك الاجتهاد لكونهم أكبر سناً وأكثر نفعاً وغاب عنهم أن تفضيلهما بالبرهان
لوجوه أحدها أن أمهما ماتت ثانيها أنه كان في يوسف من آثار الرشد والنجابة ما لم يجده في
سائر أولاده ثالثها أنه وإن كان صغيراً إلا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى وأشرف
مما كان يصدر عن سائر أولاده والحاصل أن هذه المسألة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل
النفس وموجبات الفطرة فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن أحد الخصمين في دين
الآخر الثالث أنهم نسبوا أباهم إلى الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق
الرشد لا الضلال في الدين ● الرابع أن قولهم ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا محض
حسد والحسد من أمهات الكبائر لا سيما وقد أقدموا بسبب ذلك الحسد على أمور مذمومة
منها قولهم (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً) أي بحيث يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه ومنها
إلقاؤه في ذل العبودية ومنها أنهم أبقوا الأب في الحزن الدائم والأسف العظيم ومنها إقدامهم
على الكذب وكل ذلك يقدح في العصمة والنبوة (أجيب) بما تقدم أن ذلك كان قبل النبوة
وقرأ نافع وابن كثير وهشام والكسائي بضم التنوين من مبين في الوصل والباقون بالكسر
فإن وقف القارئ على مبين وامتحن في الابتداء يبتدئ بالضم للجميع وقولهم (يخل لكم
وجه أبيكم) جواب الأمر أي يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم
إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد وقولهم (وتكونوا) مجزوم بالعطف على يخل لكم أو
منصوب بإضمار أن (من بعده) أي قتل يوسف أو طرحه (قوماً صالحين) بأن تتوبوا إلى الله
تعالى بعد فعلكم فإنه يعفو عنكم وقال مقاتل يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم (قال
قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم رأياً فيه وهو الذي قال فلن أبرح الأرض وقيل روبيل
وكان أكبرهم سناً (لا تقتلوا يوسف وألقوه) أي اطرحوه (في غيابت الجب) أي قعره
وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئاً وغيبه عن النظر قال القائل

فإن أنا يوماً غيبتني غيابتي ● فسيروا بسيري في العشيرة والأهل

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها والجب البئر الكبيرة التي لم تطو وبه سميت جباً لأنها
قطعت قطعاً ولم يحصل فيها شيء غير القطع من طي وما أشبهه وإنما ذكر الغيابة مع الجب
دلالة على أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجب لا يلحقه نظر الناظرين قال بعض
أهل العلم إنهم عزموا على قتله وعصمه الله تعالى رحمة بهم ولو فعلوا لهلكوا أجمعين واختلف
في موضع ذلك الجب فقال قتادة هو بيت المقدس وقال وهب هو بأرض الأردن وقال مقاتل
هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وقرأ نافع بألف بين الباء والتاء على الجمع والباقون بغير
ألف على التوحيد (يلتقطه) أي يأخذه (بعض السيارة) جمع سيار أي المبالغ في السير وذلك
الجب كان معروفاً يرد عليه كثير من المسافرين فإذا أخذوه ذهبوا به إلى ناحية أخرى فتستريحوا
منه (إن كنتم فاعلين) أي ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك ولما أجمعوا على التفريق بينه

الآية فاستثنى
من الليل) الآية ولم يستثنها
فيها الأمر
منه في الخبر اكتفاء باستثنائها
ثم قبله في قوله إنا لمنجوهم
أجمعين إلا امرأته (قوله ولا

بها من الاعتذار وقد قيل لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من
ذنب فتتلجلج في الاعتذار (يبكون) والبكاء جريان الدمع من العين والآية تدل على أنه لا يدل
على الصدق لاحتمال التصنع روي ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا أبا أمية
أما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان أن يقضي
الا بالحق فعند ذلك فزع يعقوب عليه السلام فقال هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما
فعل يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي ومنه قوله
عليه الصلاة والسلام لا سبق الا في خف أو نصل أو حافر يعني بالنصل الرمي وقيل العدو
ونبين أينا أسرع عدوا (وتركنا يوسف) أخانا (عند متاعنا) اي ما كان معنا مما نحتاج اليه
في ذلك الوقت من ثياب وزاد ونحو ذلك (فأكله) اي فتسبب عن انفراده أن أكله (الذئب
وما) أي والحال انك ما (أنت بمؤمن) أي بمصدق (لنا) لعلمه أنه لا يصدقهم بغير امارة (ولو كنا
صادقين) في هذه القصة لمحبة يوسف عندك فكيف وأنت تسيء الظن بنا وقيل لا تصدقنا لانه
لا دليل لنا على صدقنا وان كنا صادقين عند الله تعالى (و) لما علموا أنه لا يصدقهم بغير امارة
(جاؤا على قميصه) أي يوسف عليه السلام (بدم كذب) قال الفراء أي مكذوب فيه الا أنه
وصفه بالمصدر على تقدير ذي كذب أو مكذوب أطلق على المصدر مبالغة لانه غير مطابق للواقع
لانهم ادعوا أنه دم يوسف عليه السلام والواقع أنه دم سخلة ذبحوها ولطخوا القميص بذلك
الدم قال القاضي ولعل غرضهم في نزع قميصه عند القائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا توكيدا
لصدقهم اذ يبعد ان يفعلوا ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في المعصية من أن يقترن بها
الخذلان فلو خرقوه مع لطخه بالدم لكان الاتهام أقوى فلما شاهد يعقوب عليه السلام
القميص صحيحا علم كذبهم روي أن يعقوب عليه السلام أخذ القميص منهم وألقاه على
وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا
أكل ابني ولم يمزق قميصه ٭ (تنبيه) ٭ على قميصه محله النصب على الظرفية [illegible]
فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله بأحمال ولا يصح أن يكون حالا مقدمة لان حال المجرور
لا يتقدم عليه قال الشعبي قصة يوسف كلها في قميصه وذلك أنهم لما القوه في الجب نزعوا
قميصه ولطخوه بالدم وعرضوه على ابيه ولما شهد الشاهد قال ان كان قميصه قد من قبل ولما
أتى بقميصه الى يعقوب وألقى على وجهه ارتد بصيرا ثم ذكر تعالى انه [illegible]
ذلك الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل
سولت) اي زينت (لكم انفسكم امرا) ففعلتموه واختلف في السبب الذي عرف به كونهم
كاذبين على وجوه الاول أنه كان يعرف الحسد الشديد في قلوبهم الثاني كان عالما بأنه حي لانه
عليه السلام قال ليوسف وكذلك يجتبيك ربك وذلك دليل على كذبهم في ذلك القول
الثالث انه لما رأى قميصه صحيحا قال كذبتم لو اكله الذئب لخرق ثوبه وقيل انه لما قال ذلك
قال بعضهم بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منهم الى
قتله فلما اختلفت اقوالهم عرف بسبب ذلك كذبهم وقوله (فصبر جميل) مرفوع بالابتداء
لكونه موصوفا وخبره محذوف والتقدير فصبر جميل اولى من الجزع ومنهم من أضمر المبتدأ

مواشينا فنصيد ونستبق قال بلى قالوا فاسأل أباك أن يرسلك معنا فقال يوسف أفعل فدخلوا
جميعا على أبيهم وقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا إلى مواشينا فقال يعقوب
ما تقول يا بني قال نعم يا أبت إني أرى من إخوتي اللين واللطف فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب
عليه الصلاة والسلام يكره مفارقته ويحب مرضاته فأذن له فأرسله معهم فلما خرجوا به من
عند أبيهم جعلوا يحملونه على رقابهم وأبوهم ينظر إليهم فلما بعدوا عنه وصاروا إلى
الصحراء ألقوه على الأرض وأظهروا ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا
يضربونه فجعل كلما جاء إلى واحد منهم واستغاث به يضربه فلم ير منهم رحيما فضربوه حتى
كادوا يقتلونه وهو يصيح يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما نزل به من إخوته لأحزنك
ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وجعل يبكي بكاء شديدا فأخذه روبيل فجلد به
الأرض ثم جلس على صدره وأراد قتله فقال له مهلا يا أخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت
صاحب الأحلام الكاذبة قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا
وقال له اتق الله فيّ وحل بيني وبين من يريد قتلي فأدركته رحمة ورقة فقال يهوذا يا إخوتاه
ما على هذا عاهدتموني فانطلقوا به إلى الجب فجاؤوا به إلى بئر على غير الطريق
واسع الأسفل ضيق الرأس فجعلوا يدلونه في البئر فتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه
فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب
تخلصك وتؤنسك فقال إني لم أر شيئا فألقوه فيها وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة
كانت في البئر فقام عليها فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة
ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وكان يهوذا يأتيه بالطعام وبقي فيها ثلاث ليال (وأوحينا إليه)
في الجب في صغره وهو ابن سبع عشرة سنة أو دونها كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام
في صغرهما وفي القصص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل
عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه ودفعه إبراهيم عليه السلام إلى إسحق
وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها بيوسف فأخرجها جبريل وألبسه إياها
(لتنبئنهم) أي لتخبرنهم بعد هذا اليوم (بأمرهم) أي بصنعهم (وهم لا يشعرون) أي
أنك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للهيئات كما قال تعالى فعرفهم
وهم له منكرون والمقصود من ذلك تقوية قلبه وأنه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير
مستوليا عليهم ويصيرون تحت أمره ونهيه وقهره روي أنهم لما دخلوا عليه لطلب الحنطة
عرفهم وهم له منكرون ودعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام
أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف فطرحتموه وقلتم لأبيكم أكله الذئب وقيل
لا يشعرون بإيحائنا إليك وأنت في البئر بأنك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في إخفاء ذلك
الوحي عنهم أنهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم وكانوا يقصدون قتله وقيل إن المراد من هذا
الوحي الإلهام كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى وقوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل
(ف) لما كان من المعلوم أنه ليس بعد هذا الفعل الذي فعلوه إلا الاعتذار (جاؤوا أباهم) دون
يوسف (عشاء) في ظلمة الليل لئلا يتفرس أبوهم في وجوههم إذا رآها في ضياء النهار فلما جاؤوا

على الزجر عن البغي وعلى
الحث على العدل وقدم
النهي على الأمر لأن دفع
المفاسد آكد من جلب
المصالح (قوله يوم يأتي
لا تكلم نفس الا باذنه) يقتضي
وقوله كل نفس تجادل عن

الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت جدته قد أعطيت سدس الحسن قال ابن اسحق ذهب يوسف وامه بثلثي الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه لا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصوره قبل ان يصيب الخطيئة فلما رآه مالك بن ذعر (قال يا بشراى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه كأنه قال تعالى فهذا أوانك وعن الاعمش انه قال دعا امرأة اسمها بشرى فقال يا بشرى وعن السدي أن المدلي نادى صاحبه وكان اسمه بشرى فقال يا بشرى كما قرأ حمزة وعاصم والكسائي فانهم قرؤا بحذف الياء بعد الالف والباقون باثبات الياء وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك وروى ان جدران البئر كانت تبكي على يوسف حين اخرج منها واختلف في ضمير (وأسروه بضاعة) الى من يعود وفيه قولان الاول انه عائد الى الوارد واصحابه أخفوه من الرفقة انهم وجدوه بالجب وذلك انهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناه شاركونا وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فالاصوب ان نقول ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه لهم بمصر والثاني ونقل عن ابن عباس أنه قال وأسروه يعني اخوة يوسف أسروا شأنه وذلك ان يهوذا كان يأتيه بالطعام كل يوم فلم يجده في البئر فأخبر اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر واصحابه نزول فأتوهم فاذا هم بيوسف فقالوا هذا عبد لنا أبق منا فبايعهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل بلسان العبرانية قال الرازي والاول أولى لان قوله وأسروه بضاعة يدل على ان المراد انهم اسروه حال ما حكموا بانه بضاعة وذلك انما يليق بالوارد لا باخوة يوسف * (تنبيه) * البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعته قال الزجاج وبضاعة منصوب على الحال كأنه قال وأسروه حال ما جعلوه بضاعة وفيها قولان تعالى بهذا الملاء سبيلا وصوله الى مصر ثم صارت وقائعه الى ان صار ملكا بمصر ... ذلك الذي رآه في النوم فكان الحاصل الذي عمل الاعداء في دفعه عن ذلك المطلوب سببا قدره الله تعالى سببا لحصول ذلك المطلوب فلهذا المعنى قال تعالى (والله عليم) أي بالغ العلم (بما يعملون) اي لم يخف عليه ما فعلوه بيوسف وأبيهم (وشروه) اي باعوه اذ قد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في شروه وفي كانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير يعود الى مالك بن ذعر واصحابه وعلى هذا يكون لفظ الشراء على بابه وقال محمد بن اسحق ربك اعلم أاخوته باعوه ام السيارة واختلفوا في معنى قوله تعالى (بثمن بخس) فقال الضحاك اي حرام لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه مبخوس البركة وقال ابن مسعود اي زيوف وقال عكرمة اي بثمن قليل ويدل لهذا قوله تعالى (دراهم معدودة) لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان أقل من اربعين درهما انما كانوا يأخذون ما دونها عدا فاذا بلغتها وهي اوقية

القيامة ثلاثة اقسام قسم شقي وهم اهل النار وقسم سعيد وهم اهل الجنة وقسم لا شقي ولا سعيد وهم اهل الاعراف ... كان ... كما قال ...

قال الخليل الذى افعله صبر جميل وقال قطرب معناه فصبرى صبر جميل وقال الفراء فهو صبر جميل وعن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر الجميل فقال صبر لا شكوى فيه فمن بث لم يصبر كما قال يعقوب انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقال مجاهد فصبر جميل من غير جزع وقال الثورى ان من الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ولا تزكى نفسك وروى ان يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجباه وكان يرفعهما بخرقة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها فى قصة الافك انها قالت والله لئن حلفت لا تصدقونى ولئن اعتذرت لا تعذرونى فمثلى ومثلكم كمثل يعقوب وولده والله المستعان على ما تصفون فانزل الله تعالى فى عذرها ما أنزل وقوله فصبر جميل يدل على ان الصبر على قسمين قد يكون جميلا وقد يكون غير جميل فالصبر الجميل ان ينكشف له ان هذا البلاء من الحق فاستغراقه فى شهود نور المبلى يمنعه من الاشتغال بالشكاية من البلاء ولذلك قيل المحبة التامة لا تزداد بالوفاء ولا تنقص بالجفاء لانها لو ازدادت بالوفاء لكان المحبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوبا بالذات بل بالعرض فهذا هو الصبر الجميل وأما اذا كان الصبر لا لرضا بقضاء الله تعالى بل كان لسائر الاغراض فذلك الصبر لا يكون جميلا (فان قيل) الصبر على قضاء الله تعالى واجب وأما الصبر على ظلم الظالمين فغير واجب بل الواجب ازالته لا سيما الضرر العائد الى الغير فلم صبر يعقوب على ذلك ولم يبالغ فى البحث مع شدة رغبته فى حضور يوسف ونهاية حبه له وكان من بيت عظيم شريف وكان الناس يعرفونه ويعتقدون فيه (اجيب) بانه يحتمل أن يكون منع من الطلب وحى تشديدا للمحنة عليه زيادة فى اجره او انه لو بالغ فى البحث لربما اقدموا على ايذائه ولم يمكنوه من الطلب والفحص فرأى ان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى وقال (والله المستعان) اى المطلوب منه العون (على ما تصفون) أى تذكرون من امر يوسف والمعنى ان اقدامه على الصبر لا يمكن الا بمعونة الله تعالى لان الدواعى النفسانية تدعوه الى اظهار الجزع وهى قوية والدواعى الروحانية تدعوه الى الصبر فكأن المحاربة وقعت بين الصفين فما لم تحصل اعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة فقوله فصبر جميل يجرى مجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان على ما تصفون يجرى مجرى قوله واياك نستعين ولما اراد الله تعالى خلاص يوسف من الجب بين سببه بقوله تعالى (وجاءت سيارة) وهم القوم المسافرون سموا بذلك لانهم يسيرون فى الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطؤا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير طريق فهبطوا على ارض فيها جب يوسف وكان الجب فى قفرة بعيدة عن العمران اى لم يكن الا للرعاة وروى ان ماءه كان ملحا فعذب حين القى يوسف فيه فلما نزلوا ارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر ليطلب الماء فذلك قوله تعالى (فأرسلوا واردهم) اى الذى يرد الماء ليستقى منه والوارد هو الذى يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء (فأدلى) اى أرسل (دلوه) فى البئر يقال أدليت الدلو اذا ارسلتها فى البئر ودلوتها اذا اخرجتها والدلو معروف والجمع الدلاء فلما أرسلها تعلق بالحبل يوسف عليه السلام فلما خرج فاذا هو بغلام احسن ما يكون قال صلى

وفى بعضها يؤذن لهم فيه فيتكلمون (قوله فمنهم شقى وسعيد) ان قلت من للتبعيض ومعلوم ان الناس كلهم اما شقى أو سعيد فما معنى التبعيض (قلت) لان أهل التبعيض صحيح

نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز (مكنا ليوسف فى الارض) اى أرض مصر
أى البقاع التى هى كالارض كلها لكثرة منافعها بالانهار فيها لتمكنه من الحكم بالعدل
النبوة وقوله تعالى (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) اى تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق
بمكنا اى لنمكنه أو الواو زائدة (والله غالب على أمره) اى الامر الذى يريده لانه تعالى فعال لما
يريد لا دافع لقضائه ولا مانع عن حكمه فى ارضه وسمائه أو على امر يوسف اراد اخوته
قتله فغلب امره عليهم وأرادوا أن يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب امره وظهر
اسمه واشتهر ثم باعوه ليكون مملوكا فغلب الله امره حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه ثم أرادوا
أن يغضروا أباهم ويطيبوا قلبه حتى يخلو لهم وجهه فغلب امره تعالى فاظهره على مكرهم
واحتالت عليه امرأة العزيز لتخدعه عن نفسه فغلب امره تعالى فعصمه حتى لم يعمل بما
[illegible] غاية الكرب ثم بقيت [illegible] الى أن اذلها والقاها الى [illegible] عليه فأظهر الله تعالى الاعزاز
براءته ثم اراد يوسف عليه السلام ذكر الساقى له فغلب امره تعالى فأنساه ذكره حتى لبث
الاجل الذى ضربه الله تعالى له وكم من امر كان فى هذه القصة رتب عليه ارشد الى أن الامر
غيره (ولكن أكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون) أن الامر كله بيد الله تعالى أو أن أكثر
الناس لا يعلمون ماهو صانع بيوسف وما يريد منه فمن تأمل فى الدنيا علم الاسرار والعبر
وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء الله تعالى غالب ولما بين تعالى ان اخوته أساؤا اليه صبر
على تلك الشدائد والمحن ومكنه فى الارض أتبعه الاخبار بتمام النعمة عليه بقوله تعالى (ولما
بلغ أشده) اى منتهى شبابه وقوته وشدته قال العرب بلغ فلان أشده اذا انتهى منتهاه فى
شبابه وقوته وهذا اللفظ يستعمل فى الواحد والجمع يقال بلغ فلان أشده وبلغ الرجال أشدهم
وهو ثلاث وثلاثون سنة و[illegible]
الكلبى الاشد ما بين ثمانية عشر الى الاثنين وثلاثين [illegible]
الانسان يحدث فى اول الامر ويتزايد كل يوم شيئا [illegible]
فى التراجع الى ان ينتهى الى العدم والهلاك كما مر (آتيناه حكما) [illegible]
بالعمل او حكما بين الناس (وعلما) اى علم تأويل الاحاديث [illegible]
والرسالة وتقدم أن قوله تعالى واوحينا اليه [illegible] قال الرازى [illegible]
الوحى اليه فى ذلك الوقت لا لاجل بعثته الى الخلق بل لاجل تقوية قلبه وازالة [illegible]
صدره ولاجل أن يستأنس بحضور جبريل عليه السلام (وكذلك) اى ومثل ذلك الجزاء
الذى جزيناه به (نجزى المحسنين) قال ابن عباس يعنى المؤمنين وعنه ايضا يعنى المهتدين
وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام وعن الحسن من
أحسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله ولما اخبر تعالى ان سبب النعمة
عليه احسانه اتبعه دليله فقال تعالى (وراودته التى هو فى بيتها) اى امرأة العزيز راودت
يوسف (عن نفسه) لانه لما رأته فى غاية الحسن والجمال طمعت فيه ويقال ان زوجها كان
عاجزا والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت

وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس كانت عشرين درهما فاقتسموها
درهمين درهمين وعلى هذا لم يأخذ أخوه بنيامين شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين
وعشرين درهما وقال عكرمة أربعين درهما (وكانوا) اى اخوته (فيه) اى يوسف (من
الزاهدين) لانهم لم يعلموا منزلته عند الله تعالى ومعنى الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان في كذا
اذا لم يرغب فيه وأصله القلة يقال رجل زهيد اذا كان قليل الطمع وقيل كانوا في الثمن من
الزاهدين لانهم لم يكن قصدهم تحصيل الثمن وانما كان قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه وقيل
الضمير في كانوا للسيارة لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل
في بيعه لاجرم باعوه بأوكس الاثمان روى في الاخبار ان مالك بن ذعر انطلق هو وأصحابه
بيوسف وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لانه آبق فذهبوا به حتى اتوا مصر وعرضه
مالك على البيع فاشتراه قطفير أو اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ
الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده
قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة
واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله تعالى
العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك
في ايامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا
وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به
السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا
وحريرا وكان وزنه اربعمائة رطل وكان عمره يومئذ سبع عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة
فابتاعه قطفير من مالك بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته)
واسمها زليخا وقيل راعيل (أكرمي مثواه) قال الرازي اعلم ان شيأ من هذه الروايات لم يدل
عليه القرآن ولم يثبت ايضا في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شئ من هذه
الروايات فالأليق بالعاقل ان يحترز من ذكرها انتهى ولكن البغوي ذكرها وتبعه على ذلك
جماعة من المفسرين واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه والمثوى موضع الاقامة اى
اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اى حسنا مرضيا بدليل قول يوسف انه ربي احسن
مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا
ساكنة في كنفنا قال المحققون امر العزيز امرأته باكرام مثواه دون اكرام نفسه يدل على
انه كان ينظر اليه على سبيل الاجلال والتعظيم وهو كما يقال سلام الله على المجلس العالي ولما
امرها باكرام مثواه علل ذلك بان قال (عسى أن ينفعنا) اى يقوم باصلاح مهماتنا أو نبيعه
بالربح ان اردنا بيعه (أو نتخذه ولدا) اى نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود
أفرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا وابنة
شعيب حين قالت لأبيها في موسى استأجره وأبو بكر في عمر حيث استخلفه (وكذلك) اى وكما

(قوله خالدين فيها مادامت
السموات والارض) ان
قلت كيف قال ذلك مع أن
السموات والارض تفنيان
وذلك ينافي الخلود الدائم
(قلت) هذا خرج مخرج
الالفاظ التي تعبر العرب بها

ثلاث آيات وانباها فلم ينكف ثم رأى فيها قوله ولا تقربوا الزنى فلم ينجع فيه
فمثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل
ولد ليعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من
شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل
بكف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل
أن يدرك الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب
في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت
أستحيي منه أن يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع البصير العليم
بذات الصدور ولم يصح شئ عن أحد منهم مع أن هذه الاقوال التي وردت فيها ادلة
بهت وتكاذبت قال الزمخشري وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت
الله وأنبيائه فأخزى الله أولئك في ايرادهم ما يؤدي الى أن يكون انزال الله السورة التي
هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب
... العدل والتوحيد ... في مقالاتهم ... الله ... وأطال ...
... الرازي وقيل ... أي ...
... أي نظر اليها وقيل ... وقد ...
... الى يوسف ... الصلاة ... الله ...
... (كذلك) أي ...
لنصرف عنه السوء) أي الهم بالزنا وغيره (والفحشاء) أي الزنا ...
... من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء الزنا ...
عبادنا) أي الذين عبادتهم (المخلصين) أي في عبادة الله ...
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام ... والباقون بالفتح ...
... باسم الفاعل دل على كونه آتيا بالطاعات ... مع ...
... يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه لحضرته وعلى كلا ... من أدل
... على كونه منزها عما أضافوه اليه وهذا مع قول ابليس لأغوينهم أجمعين الا عبادك
المخلصين شهادة من ابليس أن يوسف عليه السلام بريء مما نسبه اليه
... من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان كانوا من أتباع ابليس
وجنده فليقبلوا شهادة ابليس على طهارته قال ولعلهم يقولون كنا في أول الامر تلامذة ابليس
الى أن تلمذ لنا وفخرنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى ٭ بي الامر حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحسن بعده ٭ طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

سبحانه وتعالى مبالغة في الامتناع بالحذف الهرب دليلا على اخلاصه وأنه لم يهم أصلا

ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشئ الذى لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهو عبارة عن التمحل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) اى أطبقتها وكانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة فى الايثاق لان مثل هذا الفعل لا يكون الا فى ستر وخفية لاسيما اذا كان حراما ومع قيام الخوف الشديد (وقالت) له (هيت) اى تهيأت وتصنعت (لك) خاصة فاقبل الى وامتثل أمرى قال الواحدى هيت لك اسم للفعل نحو رويد وصه ومه ومعناه هلم فى قول جميع أهل اللغة وقرأ نافع وابن عامر بكسر الهاء والباقون بالفتح وقرأ هشام بعد الهاء بهمزة ساكنة والباقون بياء ساكنة وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتحها والباقون بالفتح (قال) اى يوسف عليه السلام (معاذ الله) اى أعوذ بالله واعتصم به وألجأ اليه مما تدعيننى اليه (انه) أى الذى اشترانى (ربى) اى سيدى (أحسن مثواى) اى اكرم منزلى فلا اخونه فى أهله وقيل انه اى الله ربى احسن مثواى اى آوانى ومن بلاء الجب أنجانى (انه لا يفلح الظالمون) اى ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح الظالمون (ولقد همت به وهم بها) اى قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل كما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا أكتبها حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بعشرة امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بمثلها قال فى الكشاف ويجوز ان يريد بقوله وهم بها شارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لولم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه (لولا ان رأى) اى بعين قلبه (برهان ربه) اى الذى آتاه اياه من الحكم والعلم أى لهم بها لكنه كان البرهان حاضرا له بحضور من يراه بالعين فلم يهم اصلا مع كونه فى غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله تعالى من القوة مع كونه فى سن الشباب فلولا المراقبة لهم بها لتوفر الدواعى غير أن نور الشهود محاها أصلا وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه عليه السلام مع ما الذى تدل عليه اساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء وان السجن احب اليهم من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزاء من اراد باهلك سوأ الآية من مطلق الارادة ومع ما يحتم من تقدير ما ذكر بعد لولا فى خصوص هذا التركيب من اساليب كلام العرب فانه يجب ان يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه ما قبله وهذا مثل قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها أى لابدت به وأما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهى مستلقية على قفاها ومن تفسير البرهان بانه سمع

معتقدهم ان السموات والارض لاتفنيان اوان المراد سموات الآخرة وارضها قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وتلك دائمة لا تفنى (فان قلت)

الهيئة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله وبهذا الاعتبار صاروا خمسة وزاد البغوي سادسًا وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام وزاد غيره على ذلك واهل الحصر فيما ذكر في الحديث كان قبل العلم بالزيادة فلا تناقض وأوصلهم السيوطي الى أحد عشر ونظمهم فقال

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم

ومبري جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم

وطفل عليه مر بالأمة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم

وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقالت طائفة عظيمة من المفسرين انه ما كان صبيًا ولكن كان رجلاً حكيمًا واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا أنا لا ندري أيكما قدام صاحبه ولكن (ان كان قميصه قد من قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) لأنه لولا ادباره عنها واقبالها عليه لما وقع ذلك فعرف بسبب [illegible] كما قال تعالى (فلما رأى) أي سيدها (قميصه) أي يوسف عليه السلام (قد من دبر قال انه) [illegible] وقد قطع [illegible] وكذبها [illegible] (انه) أي هذا الفعل (من كيدكن) أي يا معشر النساء والكيد طلب الانسان بما يكره (ان كيدكن عظيم) والعظيم ما ينقص مقدار غيره في نفسه حسًا أو معنى (فان قيل) كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفًا وهلا كان مكر الرجال أقوى من مكر النساء (أجيب) بأن [illegible] بالنسبة لخلق ما هو أعظم منه كخلق السموات والارض [illegible] والطف وأخفى لأن الشيطان عليهن لنقصهن أقدر ومكرهن [illegible] جميع البشر لأنهن من المكر والحيل والكيد في اقسام [illegible] الباب ولذا كان [illegible] في هذا الباب يورث العار [illegible] كيد الرجال [illegible] براءة يوسف من ذلك الفعل المنكر حكى تعالى أنه قال (يوسف) أي يا يوسف [illegible] انصرف بكلمتك مجاوزًا (عن هذا) الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع [illegible] ثم التفت الى المرأة وقال لها (واستغفري لذنبك) أي توبي الى الله تعالى مما رميت يوسف به من الخطيئة وهو بريء منها (انك كنت من الخاطئين) أي الآثمين قال ابو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة فاكتفى منها بالاستغفار وقيل ان القائل المذكور هو الشاهد (فان قيل) كيف قال من الخاطئين بلفظ التذكير (أجيب) بأنه قال ذلك تغليبًا للذكور على الاناث أو أن المراد انك من نسل الخاطئين فمن ذلك النسل سرى ذلك العرق الخبيث فيك ثم شاع الخبر واشتهر (وقال نسوة) أي وقال جماعة من النساء وكن خمسًا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث وقوله (في المدينة) أي مدينة مصر ظرف أي أشعن الحكاية في مصر أو صفة نسوة وقيل مدينة عين شمس (امرأت العزيز) وانما

فقال (واستبقا الباب) أى أوجدا المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا للهرب منها وهذه لمنعه فكل منهما بذل أقصى جهده فى السبق فلحقته عند الباب الأقصى مع أنه قد كان سبقها قوة لرجوليته وقوة الداعية الى الفرار الى الله تعالى ولكن عاقه اتقانها المكر بكون الابواب كانت مغلقة فكان يشتغل بفتحها فتعلقت بأدنى ما وصلت اليه من قميصه وهو ما كان من ورائه خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه هربا عنها وهربه منها فقدته فاراد الخروج فمنعته (و) لم يزل تنازعه حتى (قدت) أى شقت (قميصه) وكان القد (من دبر) أى الناحية من الخلف منه وانشطت منه قطعة فبقيت فى يدها (وألفيا) أى وجدا (سيدها) أى زوجها اقطفير وهو العزيز تقول المرأة لبعلها سيدى ولم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة (لدى) أى عند (الباب) جالسا مع ابن عم المرأة (فان قيل) كيف وحد الباب وقد جمعه فى قوله وغلقت الابواب (أجيب) بانه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب الاحبار ان يوسف لما هرب جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب فلما رأت المرأة ابن عمها هابته وخافت التهمة فسابقت يوسف بالقول و(قالت) لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوأ) أى فاحشة زنا أو غيره ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت (الا أن يسجن) أى يحبس فى السجن ويمنع التصرف (أو عذاب أليم) أى مؤلم بأن يضرب بالسياط ونحوها وانما بدأت بالسجن قبل العذاب لان المحب لا يشتهى ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل فانه لا يعبر عنه بهذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال فى حق موسى عليه السلام فى قوله لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين فلما سمع يوسف عليه السلام مقالتها (قال) مبرئا نفسه (هى) بضمير الغيبة لاستحيائه أن يواجهها بالاشارة وضمير خطاب (راودتنى عن نفسى) أى طلبت منى الفاحشة فأبيت وفررت منها وذلك أن يوسف عليه السلام ما كان يريد أن يذكر ذلك القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هى ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه وصدقه ظاهر فيما قال لا يحتاج الى بيان لا كثر من الحال الذى كان فيه وهو أنهما عند الباب ولو كان الطلب منه لما كان الا فى محلها الذى تجلس فيه وهو صدر البيت وأشرف موضع فيه وأيضا هو عبد لهم والعبد لا يمكنه أن يتسلط على مولاه الى هذا الحال وأيضا أن المرأة زينت نفسها على أكمل الوجوه وأما يوسف فما كان عليه أثر من آثار تزيين النفس فكان الحاق هذه الفتنة بالمرأة أولى ثم انه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه برى من الريب وأن المرأة هى المذنبة وهو قوله تعالى (وشهد شاهد من أهلها) اى وحكم حاكم من اهل المرأة واختلفوا فى هذا الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا فى المهد أنطقه الله تعالى كرامة ليوسف عليه السلام وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال تكلم فى المهد أربعة وهم صغار شاهد يوسف وابن ماشطة بنت فرعون وعيسى ابن مريم وصاحب جريج الراهب رواه الامام أحمد وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وصبى كان يرضع أمه فمر بها راكب حسن

الهيئة

لا يخلدون فى عذاب او حده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع أخر من العذاب وما هو أشد من ذلك وهو سخط الله عليهم وأهل الجنة لا يخلدون فى نعيم او حده بل ينعمون بالرضوان

يخرج من الجنة وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرنه بمعنى حضن والهاء للسكت
يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر
إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

وقيل أمنين قال الكميت

ولما رأته الخيل من رأس شاهق * صهلن وأمنين المني المدفقا

وقال الرازي إنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والإخبات
وشاهدن فيه مهابة الهيبة وهيبة الملكية وهي عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح وعدم
الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة فوقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن
(وقطعن أيديهن) أي جرحنها بالسكاكين التي معهن ومن شدة بهتهن بأخذهن يقطعن الأترج ولم
يجدن الألم من فرط الدهشة بيوسف وقال وهب ماتت جماعة منهن (وقلن حاش لله) أي تنزيها
له الرسم بغير ألف بعد الشين وقرأ أبو عمرو في الوصل دون الوقف بألف بعد الشين والباقون
بغير ألف وقفا ووصلا (ما هذا) أي يوسف عليه السلام (بشرا) وإعمال ما عمل ليس هي اللغة
القدمى الحجازية وبها ورد قوله تعالى ما هن أمهاتهم (إن) أي ما (هذا إلا ملك
كريم) أي على الله لما هو عليه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية لأن الجمع بين
الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة (قالت) أي زليخا للنسوة
لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته (فذلكن) أي فهذا هو (الذي لمتنني فيه) أي في محبته قبل
أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني ثم إنها صرحت بما فعلت فقالت
(ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وإنما صرحت
بذلك لأنها علمت أنه لا ملامة عليها منهن وأنهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم قالت (ولئن
لم يفعل ما آمره) أي وإن لم يطاوعني فيما دعوته إليه (ليسجنن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكونا
من الصاغرين) أي الذليلين المهانين فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعتك إليه
فاختار يوسف عليه السلام السجن على ما دعته إليه فلذلك (قال رب السجن أحب إلي مما
يدعونني إليه) وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه نظرا إلى العاقبة فإن الأول
فيه الألم في الدنيا والعقاب في الآخرة والثاني فيه المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة
(فإن قيل) إن الدعاء كان منها فلم أضافه إليهن جميعا (أجيب) بأنهن خوفنه من مخالفتها وزين
له مطاوعتها وقيل إنهن دعونه إلى أنفسهن قال بعض العلماء لو لم يقل السجن أحب إلي لم يبتل
بالسجن والأولى بالعبد أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على
من كان يسأل الله الصبر بقوله سألت الله البلاء فاسأله العافية رواه الترمذي (وإلا) أي وإن لم
(تصرف عني كيدهن) أي فيما أردن مني بالتثبيت على العصمة (أصب) أي أمل (إليهن) يقال
صبا فلان إلى كذا إذا مال إليه واشتاقه (وأكن) أي أصر (من الجاهلين) أي من السفهاء
بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح وفي ذلك دليل على أن من ارتكب ذنبا
إنما يرتكبه عن جهالة والقصد بذلك الدعاء ولذلك قال تعالى (فاستجاب له ربه) أي فأجاب الله

أضفنها الى زوجها ارادة لاشاعة الخبر لان النفس الى سماع أخبار أولى الاخطار أميل وبرد قطفير والعزيز الملك بلسان العرب ورسم امرأة بالتاء المجرورة ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وأما الوصل فهو بالتاء للجميع (تراود فتاها) أي عبدها الكنعاني يقال فتاي وفتاتي أي عبدي وجاريتي (عن نفسه) أي تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها (قد شغفها حبا) أي شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها وحبا نصب على التمييز وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج * مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الشين والباقون بالادغام (انا لنراها) أي نعلم أمرها علما هو كالرؤية (في ضلال) أي خطأ (مبين) أي بين ظاهر حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر بسبب حبها اياه (فلما سمعت) زليخا (بمكرهن) أي قولهن واغتيابهن وانما سمى ذلك مكرا لوجوه الاول ان النسوة انما ذكرن ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهن عرفن أنهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن الثاني ان زليخا أسرت اليهن حبها ليوسف عليه السلام وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما أظهرن السر كان ذلك مكرا الثالث انهن وقعن في غيبتها والغيبة انما تذكر على سبيل الخفية فأشبهت المكر (ارسلت اليهن) تدعوهن لتقيم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن اللاتي عيرنها (وأعتدت) أي أعدت (لهن متكأ) أي طعاما يقطع بالسكين وهو الاترج وانما سمى الطعام متكأ لانه يتكأ عنده قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله

والمتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب والحديث لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك جاء النهي عنه في الحديث أن يأكل الرجل متكئا وقال صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا وقيل انها زينت البيت بألوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة اللاتي عيرنها بحب يوسف عليه السلام (وآتت) أي أعطت (كل واحدة منهن سكينا) أي لتأكل بها وكانت عادتهن أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين (وقالت) زليخا ليوسف عليه السلام (اخرج عليهن) أي النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته وأخفته انه في مكان وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بكسر التاء في الوصل والباقون بالضم وأما الابتداء فجميع القراء يبتدؤن الهمزة بالضم (فلما رأينه) أي النسوة (أكبرنه) أي أعظمنه ودهشن عند رؤيته اتفق الاكثرون على انهن انما أكبرنه بحسن الجمال الفائق والحسن الكامل وكان يوسف قد أعطى شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت يوسف ليلة أسرى بي الى السماء كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال ابن اسحق كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يتلألأ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها ويقال انه ورث حسن آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى قبل أن

الواو كقوله انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم (قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) قال هنا بصيغة ليهلك لانه لما ذكر قوله بظلم أفاد الظلم عن نفسه بالنفي لذا يستعمل

وهو يطبخ عصيرا الثالث قال أبو صالح أزد عمان يسمون العنب بالخمر فوقعت هذه اللفظة الى أهل مكة فنطقوا بها قال الضحاك نزل القرآن بألسنة جميع العرب وذلك أنه قال اني رأيت في المنام كأني في بستان واذا فيه شجرة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) وذلك أنه قال رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الطعام وسباع الطير تنهش منه (نبئنا) أي أخبرنا (بتأويله) أي بتفسيره (انا نراك من المحسنين) أي في علم التفسير لانه متى عبر لم يخطئ كما قال وعلمتني من تأويل الاحاديث وقيل في أمر الدين لانه كان شديد المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل كله ومن كان كذلك فانه يوثق بما يقوله في تعبير الرؤيا وفي سائر الامور وقيل في حق الشركاء والاصحاب لانه كان يعود مرضاهم ويؤنس حزينهم واذا ضاق على أحدهم وسع عليه واذا احتاج أحدهم جمع له شيئا قيل انه لما دخل السجن وجد قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وأبشروا تؤجروا فقالوا بارك الله فيك يا فتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك من أنت يا فتى قال أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين لما رأيا يوسف قالا لقد احببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف انشدكما الله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي بلاء ثم احبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امرأة العزيز فحبست فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعبرها لهما لما علم في ذلك من المكروه على احدهما (قال) معرضا عن سؤالهما آخذا في غيره من اظهار المعجزة في الدعاء الى التوحيد (لا يأتيكما طعام ترزقانه) اي في منامكما (الا نبأتكما بتأويله) اي في اليقظة (قبل ان يأتيكما) تأويله وقيل اراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه من منازلكما تطعمانه الا نبأتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما قبل أن يصل وأي طعام اكلتم ومتى اكلتم وهذه معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا هذا فعل العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ما أنا بكاهن (ذلكما) اي هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) وفي ذلك حث على ايمانهم ثم قواه بقوله (اني تركت ملة) اي دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) وكرر لفظة هم للتأكيد لشدة انكارهم للمعاد ولما ادعى يوسف عليه السلام النبوة وأظهر المعجزة أظهر انه من أهل بيت النبوة بقوله (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد فان الانسان متى ادعى حرفة أبيه وجده لم يستبعد ذلك منه وأيضا فكمال درجة ابراهيم واسحق ويعقوب أمر مشهور في الدنيا فاذا أظهر أنهم آباؤه عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان انقيادهم له أتم وتأثرهم بكلامه أكمل (فان قيل) انه كان نبيا فكيف قال اتبعت ملة آبائي والنبي لا بد وأن يكون مختصا بشريعة نفسه (أجيب) بان مراده التوحيد الذي لا يتغير ولعله كان رسولا من عند الله

وبين قوله وليس لا قبله
قصصناهم عليك من قبل
ورسلا لم نقصصهم عليك
(قلت) معناه كلا نقص
نقصه عليك من أنباء
الرسل هو ما نثبت به
فؤادك فما في موضع رفع

تعالى دعاءه الذى تضمنه هذا الثناء لان الكريم يغنيه التلويح عن التصريح كما قيل

اذا اثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

(فصرف عنه كيدهن) اى ثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) اى لدعاء الملتجئين اليه (العليم) اى للضمائر والنيات فيجيب ما صح فيه القصد وطاب منه العزم (ثم بدا) اى ظهر (لهم) اى العزيز واصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) اى الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن (ليسجننه حتى) اى الى (حين) ينقطع فيه كلام الناس وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يقول لهم انى راودته عن نفسه وأنا لا اقدر على اظهار عذرى فاما ان تأذن لى فأخرج واعتذر واما ان تحبسه كما حبستنى فعند ذلك وقع فى قلب العزيز أن الاصلح حبسه حتى يسقط عن ألسنة الناس ذكر هذا الحديث وحتى تقل الفضيحة فحبسه *(تنبيه)* فى فاعل بدا اربعة اوجه احسنها انه ضمير يعود على السجن بفتح السين اى ظهر لهم حبسه والثانى ان الفاعل ضمير المصدر المفهوم من الفعل وهو بدا اى بدا لهم بداء والثالث انه مضمر يدل عليه السياق اى بدا لهم رأى والرابع انه محذوف وليسجننه قائم مقامه اى بدا لهم السجن فحذف واقيمت الجملة مقامه وليست الجملة فاعلا لان الجملة لا تكون كذلك وقيل الحين هنا خمس سنين وقيل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس يوسف اثنتى عشرة سنة وقال الرازى والصحيح ان هذه المقادير غير معلومة وانما القدر المعلوم أنه بقى مسجونا مدة طويلة لقوله تعالى وادكر بعد امة وعن عكرمة قال قال رجل ذو رأى للعزيز متى تركت هذا العبد يعتذر الى الناس ويقص عليهم امره فاتركه فى بيتنا لا يخرج الى الناس فان خرج للناس عذروه وفضحوا الملك فامر به فسجن (ودخل معه السجن فتيان) وهما غلامان كانا للوليد بن نزوان العمليق ملك مصر الاكبر احدهما خبازه صاحب طعامه والآخر ساقيه صاحب شرابه غضب الملك عليهما فحبسهما وكان السبب فيه أن جماعة من أشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك فى طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لا تأكل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر بحبسهما وكان يوسف عليه السلام حين دخل السجن قال لاهله انى أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبرانى فتراءى له رؤيا قال ابن مسعود ما رأيا شيأ وانما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا رأيا حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا أنهما صاحبا الملك حبسهما وقد رأيا رؤيا غمتهما فقال يوسف قصا على ما رأيتما (قال أحدهما) وهو صاحب شراب الملك (انى أرانى أعصر خمرا) * فان قيل كيف يعقل عصر الخمر (أجيب) عن ذلك بثلاثة أقوال أحدها أن يكون المعنى أعصر عنب خمر أى العنب الذى يكون عصيره خمرا فحذف المضاف الثانى ان العرب تسمى الشئ باسم ما يؤل اليه تقول فلان يطبخ دبسا

فاكتفى بذكر اسم الفاعل المقيد الحال فقط وان كان يستعمل فى الماضى والمستقبل مجازا (قوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ان قلت ما الجمع بينه

أبهم ليجوز كل منهما انه الفائز فان ألجأه الى التعيين كان ذلك عذرا له فى الخروج عن الابق
فقال (أما أحدكما) وهو صاحب شراب الملك (فيسقى ربه) اى سيده (خمرا) على عادته
والعناقيد الثلاثة هى ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يدعوه الملك فيرده الى رتبته التى كان عليها
هذا تأويل رؤياه (وأما الآخر) وهو صاحب طعام الملك (فيصلب) والسلال الثلاثة ثلاثة
أيام ويدعوه الملك فيصلبه (فتأكل الطير من رأسه) هذا تأويل رؤياه قال ابن مسعود فلما
سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيئا انما كنا نلعب فقال لهما يوسف عليه السلام
(قضى) أى تم (الأمر الذى فيه تستفتيان) أى تطلبان الافتاء فيه فهذا الفتوى فيما أفتاكما عن
تأويله وهو تعبير رؤيا كما كذبتما أو صدقتما لم أقله عن جهل ولا غلط (وقال) يوسف عليه
السلام (للذى ظن) أى علم وتحقق فالظن بمعنى العلم لأنه قاله عن وحى لقوله قضى الأمر
ويجوز أن يكون ضمير ظن للساقى فهو حينئذ على بابه (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى
عند ربك) أى سيدك ملك مصر بما رأيت منى من معالى الأخلاق وطهارة الشيم الدالة على
بعدى عما رميت به والمراد بالرب هنا غير المراد به فى قوله أأرباب متفرقون فنجا الساقى وصلب
صاحبه وفق ما قال لهما يوسف عليه السلام واختلف فى ضمير (فأنساه الشيطان ذكر ربه)
على قولين أحدهما أنه يعود الى الساقى وهو قول جماعة من المفسرين أى فأنسى الشيطان
الساقى أن يذكر يوسف عند الملك قالوا لأن صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى
حتى أنساه ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف والقول الثانى وعليه أكثر المفسرين أنه
يرجع الى يوسف عليه السلام وقال الرازى انه الحق أى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه
تعالى حتى استعان بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت له عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى
رفع الظلم جائزة فى الشريعة الا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فهذا وان كان جائزا لعامة
الخلق الا أن الأولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا الا
بمسبب الأسباب فلهذا صار يوسف عليه السلام مؤاخذا بهذا القول ولم يؤاخذه تعالى فى
تلك القصة البتة بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء فعلم بذلك أنه عليه السلام كان مبرأ عما
نسبه الجهال والحشوية اليه (فان قيل) كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه
(أجيب) بأن ذلك انما كان بشغل خاطر وأما النسيان الذى هو عبارة عن ترك الذكر وازالته
عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه واختلف فى قدر البضع فى قوله تعالى (فلبث فى السجن بضع
سنين) فقال مجاهد ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس ما دون العشرة قال البغوى
وأكثر المفسرين على أن البضع فى هذه الآية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته
اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين
وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى
وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن
قال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التى قالها ما لبث فى السجن ما لبث ثم بكى
الحسن وقال نحن اذا نزل بنا بلاء فزعنا الى الناس ذكره الثعلبى مرسلا وبغير سند وقال

كقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى والتعريف فى الحق اما الجنس او العهد والمراد به البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة وانما عرفه وذكر بالمعنى ... الدالة

تعالى الا انه كان نبيا على شريعة ابراهيم عليه السلام وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بسكون
الياء فى آبائى والباقون بالفتح (ما كان) اى ما صح (لنا) معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) لان
الله تعالى طهره وطهر آباءه عن الكفر ونظيره قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد وانما قال
من شئ لان اصناف الشرك كثيرة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد
الكواكب ومنهم من يعبد الملائكة فقوله من شئ رد على هؤلاء الطوائف وارشاد الى الدين
الحق وهو انه لا موجد ولا خالق ولا رازق الا الله (ذلك) اى التوحيد (من فضل الله علينا)
بالوحى (وعلى الناس) اى سائرهم ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه (ولكن اكثر الناس) اى
المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذه النعمة التى انعم الله تعالى بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا
غيره ثم دعاهم الى الايمان فقال (يا صاحبى السجن) اى يا صاحبىّ فى السجن فاضافهما الى
السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن
مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام او يا ساكنى السجن كما
قيل لسكان الجنة اصحاب الجنة ولسكان النار اصحاب النار (أأرباب) اى آلهة (متفرقون)
اى متباينون من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وصغير وكبير ومتوسط وغير ذلك
(خير) اى اعظم فى صفة المدح واولى بالطاعة (ام الله الواحد القهار) اى المتوحد بالالوهية
الذى لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية غيره خير والاستفهام للتقرير وفى الهمزتين فى أأرباب
من القراآت ما فى أأنذرتهم وقد مر (فان قيل) هل يجوز التفاضل بين الاصنام وبين الله تعالى
حتى يقال انه خير ام الله (اجيب) بان ذلك خرج على سبيل الفرض والمعنى لو فرض انه حصل
منها ما يوجب الخير فهى خير ام الله الواحد القهار ثم بين عجز الاصنام فقال (ما تعبدون) وانما
خاطبهم بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتثنية فى المخاطبة لانه اراد جميع من فى السجن من المشركين
والعبادة خضوع القلب فى اعلى مراتب الخضوع * وبين حقارة معبوداتهم ووصفها بقوله
(من دونه) اى الله الذى قام البرهان على الهيته وعلى اختصاصه بذلك (الا اسماء) وبين ما يريد
واوضحه بقوله (سميتموها) اى ذوات اوجدتم لها اسماء (انتم) سميتموها آلهة وارباباً وهى
حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها (وآباؤكم) من قبلكم سموها كذلك (ما انزل الله بها)
اى بعبادتها (من سلطان) اى حجة وبرهان (ان الحكم) اى ما الحكم (الا لله) اى المختص
بصفات الكمال والحكم فصل الامر بما تدعو اليه الحكمة (أمر) وهو النافذ الامر المطاع
الحكم (ألا تعبدوا الا اياه) لانه المستحق للعبادة لا هذه الاسماء التى سميتموها آلهة * ولما
اقام الدليل على هذا الوجه الذى كان جديرا بالاشارة الى فضله اشار اليه باداة البعد تنبيها على
علو مقامه وعظيم شانه فقال (ذلك) اى الشان الاعظم وهو توحيده وافراده عن خلقه (الدين
القيم) اى المستقيم الذى لا عوج فيه (ولكن اكثر الناس) وهم الكفار (لا يعلمون)
ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون * ولما قرر يوسف عليه السلام امر التوحيد والنبوة
عاد الى الجواب عن السؤال الذى ذكراه فقال (يا صاحبى السجن) اى الذى يحصل فيه
الانكسار للنفس والرقة فى القلب فتخلص فيه المودة ولما كان فى الجواب ما يسوء الخباز

نحو جئنا محذوف فلا يقتضى الانتقاص أنباء جميع الرسل (قوله وجاءك فى هذه الحق) اى هذه الانباء او الآيات او السورة خصها بالذكر تشريفا لها وان كان قد جاء الحق فى جميع السور

حديث النفس ووسوسة الشيطان لكونها أشبه اخلاط النبات التي لا تناسب بينها لأن الرؤيا
تارة تكون من الملك وهي الصحيحة وتارة تكون من تخييل الشيطان وتخليطاته وتارة من
حديث النفس ثم قالوا (وما نحن) أي بأجمعنا (بتأويل الأحلام) أي المنامات الباطلة
(بعالمين) أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنامات الصادقة كأنه مقدمة ثانية
للعذر * ولما سأل الملك عن هذه الرؤيا واعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب تذكر الشرابي
واقعة يوسف عليه السلام لأنه كان يعتقد فيه كونه متبحرا في هذا العلم كما قال تعالى (وقال
الذي نجا) أي خلص (منهما) أي من صاحبي السجن وهو الشرابي أن في الحبس رجلا فاضلا
صالحا كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا والخباز عليه منامين فذكر تأويلهما فصدق في كل
ما ذكر وما أخطأ في حرف فكانت هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه السلام ولم يتذكر
الشرابي إلا بعد طول المدة كما قال تعالى (وادكر) بالدال المهملة أي طلب الذكر بالدال المعجمة
وزنه افتعل (بعد أمة) أي وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة والجملة
اعتراض ومقول القول (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) أي إلى يوسف عليه السلام فإنه أعلم
الناس فأرسلوه إليه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولم يكن السجن بالمدينة فانطلق فقال
الساقي المرسل المعبر مناديا له بنداء القريب تحببا إليه (يوسف) وزاد في التحبب بقوله (أيها
الصديق) أي البليغ في الصدق والتصديق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه
ورؤيا صاحبه وهذا يدل على أن من أراد أن يتعلم من رجل شيئا فإنه يجب عليه أن يعظمه وأن
يخاطبه بالألفاظ المشعرة بالإجلال ثم إنه أعاد السؤال بعين اللفظ الذي ذكره الملك فقال (أفتنا)
أي اذكر لنا الحكم (في سبع بقرات سمان) أي رآهن الملك (يأكلهن سبع) أي من البقرات (عجاف
و) في (سبع سنبلات) جمع سنبلة وهي مجمع الحب من الزرع (خضر و) في (أخر) من
السنابل (يابسات) أي في رؤيا ذلك ونعم ما فعل من ذكر السؤال بعين اللفظ فإن تعبير الرؤيا قد
يختلف بسبب اختلاف الألفاظ كما هو مذكور في ذلك العلم ثم قال (لعلي أرجع إلى الناس) أي
إلى الملك وجماعته بفتواك قبل مانع يمنعني (لعلهم يعلمون) أي تأويل هذه الرؤيا [illegible]
في السجن وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح الياء والباقون بالسكون (قال) يوسف
عليه السلام معبرا لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبة
وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله (تزرعون سبع
سنين) وهو خبر بمعنى الأمر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن وإنما خرج
الأمر في صورة الخبر للمبالغة في الإيجاب فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في
معنى الأمر قوله فذروه في سنبله وقوله (دأبا) نصب على الحال أي دائبين أي سبع سنين
متتابعة على عادتكم في الزراعة والدأب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد وهذا تأويل
السبع السمان والسنبلات الخضر وقرأ حفص بفتح الهمزة وسكنها الباقون وأبدلها
السوسي ألفا وقفا ووصلا وحمزة وقفا فقط (فما حصدتم فذروه) أي اتركوه (في سنبله) لئلا
يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك أبقى له على طول الزمان (إلا قليلا مما تأكلون) أي ادرسوا

الحسن أيضا دخل جبريل على يوسف عليهما السلام في السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له
يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر يا ابن الطاهرين يقرأ عليك
السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني واستشفعت بالآدميين فوعزتي لألبثنك
في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا أبالي وقال كعب قال
جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله
تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله قال فمن أنجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن صرف
عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استشفعت بآدمي مثلك قال محمد بن عمر الرازي في
تفسيره والذي جربته من أول عمري الى آخره ان الانسان كلما عول في أمر من الامور على غير
الله تعالى صار ذلك سببا للبلاء والمحنة والشدة والرزية واذا عول على الله تعالى ولم يرجع الى أحد
من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري
الى هذا الوقت الذي بلغت الى السابع والخمسين فعند ذلك استقر قلبي على انه لا مصلحة
للانسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى واحسانه * ولما دنا فرج يوسف عليه
السلام رأى ملك مصر الاكبر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته كما قال تعالى (وقال الملك اني
أرى) اي رأيت عبر بالمضارع حكاية للحال الماضية لما هاله من ذلك (سبع بقرات سمان) اي
خرجن من نهر يابس والسمن زيادة البدن من الشحم واللحم وسمان جمع سمينة ويجمع سمين
أيضا عليه يقال رجال سمان ونساء سمان كما يقال رجال كرام ونساء كرام (يأكلهن) اي يبتلعهن
(سبع) اي من البقر (عجاف) جمع عجفاء اي مهازيل خرجن من ذلك النهر *(تنبيه)* جمع
عجفاء على عجاف والقياس عجف نحو حمراء وحمر حملا له على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل
النظير على النظير والنقيض على النقيض (و) اني ارى (سبع سنبلات خضر) اي قد انعقد
حبها (و) اني أرى سبع سنبلات (أخر يابسات) اي قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما نص من حال البقرات والسنبلة نبات كالقصبة
فيها حبوب منتظمة فكأنه قيل فكان ماذا فقيل قال الملك بعد ان جمع السحرة والكهنة
والمعبرين (يا أيها الملأ) اي الاشراف النبلاء الذين تملأ العيون مناظرهم والقلوب مآثرهم
(أفتوني في رؤياي) اي أخبروني بتأويلها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) اي ان كنتم عالمين بعبارة
الرؤيا فاعبروها *(تنبيه)* اللام في الرؤيا مزيدة فلا تعلق لها بشيء وزيدت لتقدم المعمول
تقوية للعامل كما زيدت اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال لما يريد ولا تزاد فيما عدا ذينك
الاضرورة وقيل ضمن تعبرون معنى ما يتعدى باللام تقديره ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا
وقيل متعلقة بمحذوف على انها للبيان كقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين تقديره أعني فيه
وكذلك هذا تقديره أعني للرؤيا وعلى هذا يكون مفعول تعبرون محذوفا تقديره تعبرونها وفي
الآية ما يوجب حال العلماء من حاجة الملوك اليهم فكأنه قيل فما قالوا فقيل (قالوا) هذه الرؤيا
(أضغاث) اي اخلاط (أحلام) مختلطة مختلفة مشتبهة جمع ضغث بكسر الضاد واسكان
الغين المعجمة وهي قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس والاحلام جمع حلم بضم الحاء
واسكان اللام وضمها وهو الرؤيا فقيد وهنا بالاضغاث وهو ما يكون من الرؤيا باطلا لكونه من

(قوله ثالثه) يطلق على الله تعالى بخلاف ثالثه

(سورة يوسف عليه السلام)

(قوله رأيتهم لي ساجدين) ذكر الرؤية ثانيا جوابا لسؤال مقدر من يعقوب

ملكه يوجب لصاحبه فضلا ونبله جلالة وقدرا [illegible] مثل هذه المقايسة
مرة بتعظيم المخاطب من توقيره وتوقير من منه كما تقول لي [illegible] حفظ الله عنك ما صنعت في
ورضي الله تعالى عنك ما جرى [illegible] بك عن كلامي وقوله ان كان [illegible] المحدثين النقلة
الوقار وقيل هو اسم من التأني في الامر وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا
ة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها (ان ربي) أي ان ربكم هو
) حين قلن أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله تعالى [illegible] وأنه بريء
عيبه والوعيد لهن على كيدهن وقيل المراد بربي الملك [illegible] بالقصة لكونه [illegible]
اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن ولما قال يوسف عليه السلام ذلك [illegible]
يخرج من السجن قبل تبين الامر ورجع الرسول الى الملك [illegible] بما قال عليه السلام فكأنه
فما فعل الملك قيل (قال) لهن وقد جمعهن [illegible] (ما خطبكن) أي
ما شأنكن العظيم وقوله (اذ راودتن) أي خادعتن (يوسف عن نفسه) [illegible] على البراءة
محققة عند كل من علم القصة وانما طلب الملك [illegible] والمراد
امرأة العزيز وحدها [illegible] وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وسائر
[illegible] امرنه بطاعتها [illegible] (قلن حاش لله) أي معاذ الله
عظم وتنزيه له من هذا الامر (ما علمنا عليه) أي يوسف عليه السلام [illegible]
من سوء) أي من خيانة في شيء من الاشياء ولما [illegible] يوسف عليه السلام [illegible]
زوجها [illegible] قال [illegible]
وقت المرأة انه [illegible]
كافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم [illegible]
[illegible] (الآن حصحص الحق) أي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
هو تابع [illegible] قال الرازي [illegible]
وجهها الى القاضي وادعت عليه المراودة فأمر القاضي بان [illegible]
شهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فانه [illegible] فقالت
[illegible] الى هذا [illegible] فاشهدوا اني ابرأت ذمتك من كل حق لي عليك [illegible]
رسول الى يوسف عليه السلام وأخبره [illegible] ببراءته قال (ذلك) أي اطلاق العظيم في
[illegible] في السجن الى أن تبين الحق (ليعلم) العزيز باقرارها وهي في الامن وأنا في محل الضيق
والخوف [illegible] (أني لم أخنه) أي في أهله ولا في غيرها (بالغيب) أي والحال أن كلا منا
غائب عن صاحبه هذا قول الاكثرين انه قول يوسف عليه السلام قال الفراء ولا يبعد وصل
كلام انسان بكلام آخر اذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية
أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا كلام بلقيس ثم قال الله تعالى وكذلك يفعلون وقوله

ذلك إلا من الحنطة للأكل بقدر الحاجة أمرهم بحفظ الأكثر لوقت الحاجة أيضاً وهو وقت السنين المجدبة كما قال (ثم يأتي من بعد ذلك) أي السبع المخصبات (سبع شداد) أي مجدبات صعاب وهي تأويل السبع العجاف والسنبلات اليابسات (يأكلن ما قدمتم لهن) أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند الأكل إليهن على المجاز تطبيقاً بين المعبر وهو يأكلهن سبع عجاف والمعبر به وهو يأكلن ما قدمتم لهن (إلا قليلاً مما تحصنون) أي تحرزون وتدخرون للبذر والإحصان الإحراز وهو إبقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) أي السبع المجدبات (عام فيه يغاث الناس) أي يمطرون من الغيث وهو المطر وقيل ينقذون من قول العرب استغثت فلاناً فأغاثني (وفيه يعصرون) من العنب خمراً ومن الزيتون زيتاً ومن السمسم دهناً وأراد بذلك كثرة النعم والخير وقال أبو عبيدة ينجون من الكرب والشدة والجدب وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب لأن الكلام كله مع الخطاب والباقون بالياء على الغيبة رداً إلى الناس * ولما رجع الشرابي إلى الملك وعرض عليه التعبير الذي ذكره يوسف عليه السلام استحسنه (وقال الملك) أي الذي العزيز في خدمته (ائتوني به) لأسمع ذلك منه وأكرمه وهذا يدل على فضيلة العلم فإنه سبحانه وتعالى جعل علمه سبباً لخلاصه من المحنة الدنيوية فكيف لا يكون العلم سبباً للخلاص من المحن الأخروية فأتاه الرسول ليأتي به إلى الملك (فلما جاءه) أي يوسف عليه السلام عن قرب من الزمان (الرسول) بذلك وهو الساقي وقال له أجب الملك (قال) له يوسف عليه السلام (ارجع إلى ربك) أي سيدك الملك ولم يخرج معه حتى يظهر برهانه للملك ولا يراه بعين النقص ولذلك قال (فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) وإنما قال يوسف عليه السلام فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن لأن قوله فاسأله يحتمل أن يكون بمعنى المسألة أي اسأله عن شأنهن وأن يكون بمعنى الطلب وهو أن يفتش عن شأنهن فحسن تقييده بلفظ ما التي يسئل بها عن حقيقة الشيء ليهيجه أن يتحرك للتفتيش عن حالهن لأن الإنسان حريص على تحقيق الشيء ويستنكف أن ينسب إلى الجهل به بخلاف ما لو قال سله أن يفتش أي اطلب منه فإنه لا يبالي بهذا السائل ولا يلتفت إليه لا سيما الملوك وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعته به كرماً ومراعاة للأدب وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته لأنه لو خرج في الحال لربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة أثر فلما التمس من الملك أن يفحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة وأن يتوصل بها إلى الطعن فيه وفي ذلك دليل على أنه ينبغي للشخص أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد عجبت من يوسف وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترطت أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر إن كان لحليماً ذا أناة وأصل الحديث في الصحيحين مختصراً وإنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع لأنه صلى الله عليه وسلم كان في الأمر منه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيراً ولا يضع رفيعاً ولا يبطل لذي حق

الكواكب في قوله أيتهم
لما جعلهن جمع العقلاء
لوصفه لها بما هو من صفات
العقلاء وهو السجود
كقوله قالت نملة يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان

يز فدل هذا على أن هذا الملك هو الملك الاكبر انتهى وانما صرح به ولم يستغن
اهية الالباس لما تخلل بينه وبين جواب امرأة العزيز من كلام يوسف عليه السلام
كل من كلاميهما الاستقلال بالضمير ولم يحتج الى ابرازه (استخلصه لنفسى) أى
صا لى دون شريك قال ابن عباس فأتاه الرسول فقال له ألق عنه ثياب السجن والبسه
دا وقم الى الملك فدعا له أهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة واغتسل وتنظف
باجدد ا بعدان دعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم
وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وبيوت الاحزان وتجربة
وشماتة الاعداء ثم أتى الملك فلما رآه غلاما حدثا فقال أيعلم هذا رؤياى ولا يعلمها
الكهنة ثم أقعده قدامه وقال له لا تخف وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير
ابة مسرجة مزينة كدابة الملك وروى ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو
وقال قل اللهم اجعل لى من عندك فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث لا أحتسب فقبل
عاء وأظهر هذا السبب فى تخليصه من السجن وروى أن يوسف لما دخل عليه قال
سألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية قال
لسان قال هذا لسان عمى اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال هذا
قال وهب كان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما
أجابه يوسف عليه السلام وزاد بالعربية والعبرانية (فلما كلمه) أى كلم الملك يوسف
م وشاهد منه ما شاهده من جلال النبوة ونبل الوزارة وخلال السيادة [illegible]
سل عليه وقال انى أحب ان أسمع منك تأويل رؤياى شفاها فأجابه بذلك [illegible]
مقبلا بصحته فعند ذلك (قال) له (انك اليوم لدينا مكين أمين) [illegible]
فما ترى أيها الصديق (قال) أرى أن تزرع فى هذه السنين [illegible]
تجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنين [illegible]
الملك ومن لى بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلنى على خزائن الارض) [illegible]
فى الطعام والاموال والارض أرض مصر أى خزائن أرض مصر [illegible]
ى مصر ودخله روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه [illegible]
الله تعالى سنة فأقام فى بيته سنة مع الملك قال الرازى وهذا من العجائب لانه لما
الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على أحسن الوجوه ولما سارع فى
الالتماس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن ترك التصرف أتم
ض بالكلية الى الله تعالى أولى ثم قال (انى حفيظ عليم) أى ذو حفظ وعلم بأمرها
ه وحساب (فان قيل) لم طلب يوسف عليه السلام الامارة والنبى صلى الله عليه وسلم
الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة ولم طلب الامارة من سلطان كافر ولم يصبر مدة ولم
ة فى طلبها فى الحال ولم طلب أمر الخزائن فى أول الامر مع ان هذا يورث نوع تهمة
ه وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم ولم ترك الاستثناء فى هذا وقد قال تعالى ولا

قوله ألق عنه الخ كذا بالاصل ولعل الصواب ألق عنك ثياب السجن والبس بدليل بقية عبارته اه مصححه

[illegible]

تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعى ثم قال الله تعالى ان الله لا يخلف
الميعاد ثم ختم الكلام بقوله (وان الله لا يهدى) أى لا يسدد ولا ينجح بوجه من الوجوه (كيد
الخائنين) أى ولو كنت خائنا لما خلصنى الله من هذه الورطة العظيمة وحيث خلصنى منها ظهر
انى برىء مما نسبونى اليه وقيل انه كلام امرأة العزيز والمعنى انى وان كنت أحلت عليه الذنب
فى حضوره لكنى ما أحلت الذنب عليه فى غيبته اى لم اقل فيه وهو فى السجن خلاف الحق ثم
انها بالغت فى تأكيد هذا القول وقالت وان الله لا يهدى كيد الخائنين يعنى انى لما أقدمت
على الكيد والمكر لا جرم افتضحت وانه لما كان بريا من الذنب لا جرم طهره الله تعالى منه
واعلم ان هذه الآية على القول الاول دالة على طهارة يوسف عليه السلام من وجوه كثيرة
الاول قولها أنا راودته عن نفسه والثانى قولها وانه لمن الصادقين وهو اشارة الى أنه صادق
فى قوله هى راودتنى عن نفسى والثالث قول يوسف عليه السلام ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب
والحشوية يذكرون أنه لما قال يوسف هذا الكلام قال له جبريل عليه السلام ولا حين هممت
بها قال الرازى وهذا من رواياتهم الخبيثة وما صحت هذه الرواية فى كتاب معتمد اى وانما
أسندها بعضهم لابن عباس بل هم يلحقونها بهذا الموضع سعيا منهم فى تحريف ظاهر القرآن
ورابعها أن اقدامه على قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب مع أنه خانه باعظم وجوه الخيانة
اقدام على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير أن يتعلق به مصلحة بوجه ما والاقدام على مثل
هذه الوقاحة من غير فائدة أصلا لا يليق بأحد من العقلاء فكيف يليق اسناده الى نبى مرسل
من سلالة الانبياء الاصفياء فثبت ان هذه الآية تدل دلالة قاطعة على براءته مما يقول الجهال
والحشوية واختلفوا فى تفسير قوله (وما أبرئ نفسى) لان ذلك يختلف باختلاف ما قبله لان
قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ان كان من كلام يوسف عليه السلام وقد مر أنه قول
الاكثرين فهو أيضا كلامه وان كان من كلام المرأة فهو أيضا كلامها فعلى الاول تمسك به
الحشوية وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت فتكلم مراوبالك فعند ذلك قال يوسف عليه السلام وما أبرئ نفسى (ان النفس لامارة
بالسوء) أى بالزنا (الا ما رحم) اى عصمه (ربى ان ربى غفور) اى للهم الذى هممت (رحيم)
أى لو فعلته لتاب على وهذا ضعيف كما قاله الرازى لما تقدم ان الآية المتقدمة برهان قاطع
على براءته من الذنب وانما قال ذلك عليه السلام لانه لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب كان
ذلك جاريا مجرى مدح النفس وتزكيتها وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم فاستدرك ذلك على
نفسه بقوله وما أبرئ نفسى والمعنى وما أزكى نفسى ان النفس لامارة بالسوء ميالة الى القبائح
راغبة فى المعصية وعلى الثانى أنها لما قالت ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قالت وما أبرئ نفسى
من الخيانة مطلقا فانى قد خنته حين أحلت الذنب عليه وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا
أن يسجن وأودعته فى الحبس كأنها أرادت الاعتذار مما كان واختلف فى قوله (وقال الملك)
فمنهم من قال هو العزيز ومنهم من قال هو الريان الذى هو الملك الاكبر قال الرازى وهذا
هو الاظهر لوجهين الاول ان قول يوسف اجعلنى على خزائن الارض يدل عليه الثانى قوله
أستخلصه لنفسى يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك

ثم كانوا انبياء انما قالوا
ذلك قبل نبوتهم والجواب
بان ذلك من الصغائر او
بانهم قالوه فى صغرهم
ضعيف (قوله نرتع ونلعب)
(ان قلت) كيف قالوا
ذلك مع انهم كانوا بالغين

عن آخرهم ووردت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع أحدا ممن يطلب الطعام أكثر من حمل بعير لئلا يضيق الطعام على الباقين هذا ملخص ما قاله البغوي والزمخشري وغيرهما قال الرازي والله أعلم بحقيقة الحال وروي أن يوسف عليه السلام كان لا يشبع من طعام في تلك الأيام فقيل له تجوع وبيدك خزائن الأرض فقال إن شبعت نسيت الجائع وأمر يوسف طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين قال البغوي فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قال الله تعالى (نصيب) أي نخص (برحمتنا من نشاء) في الدنيا والآخرة (ولا نضيع أجر المحسنين) بل نوفيهم أجورهم عاجلا وآجلا لأن إضاعة الأجر إما أن تكون للعجز أو للجهل أو للبخل والكل ممتنع في حق الله تعالى فالإضاعة ممتنعة (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال الرازي وهذا تنصيص من الله تعالى على أن يوسف عليه السلام كان في الزمان السابق من المتقين وليس هنا زمان سابق يحتاج إلى بيان أنه كان فيه من المتقين إلا ذلك الوقت الذي قال الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها فكان هذا من الله تعالى شهادة بأنه عليه السلام كان في ذلك الوقت من المتقين وأيضا قوله ولا نضيع أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على أنه كان من المخلصين ٣ فثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل الحشوي يقول إنه كان من المذنبين ولا شك أن من لم يقبل قول الله تعالى مع شهادته التأكيدات كان من الأخسرين ولما اشتد القحط وعظم البلاء عم جميع البلاد حتى وصل إلى بلاد الشام وأرض كنعان وقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف عليه السلام لا يعطي أحدا أكثر من حمل بعير وإن كان عظيما تقسيطا بين الناس وتزايد البلاء عليه ونزل بآل يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمه وأبيه فذلك قوله تعالى (وجاء إخوة يوسف) وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعربات من أرض فلسطين ثغور الشام وكانوا أهل بادية وإبل وشاء فدعاهم أبوهم يعقوب عليه السلام وقال يا بني إن بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا إليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون من الطعام وهيأهم [illegible] يحمل القافلة والباقون بالعشق ولما أمرهم أبوهم بذلك خرجوا حتى [illegible] (فدخلوا عليه فعرفهم) قال ابن عباس بأول نظرة إليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى عرفوا إليه (وهم له منكرون) أي لم يعرفوه وذلك لوجوه الأول أنه عليه السلام أمر حجابه أن يوقفوهم من البعد وما كان يتكلم معهم إلا بواسطة الثاني أنهم حين ألقوه في الجب كان صغيرا ثم إنهم رأوه بعد وفور اللحية وكبر الجثة قال ابن عباس وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكروه وقال عطاء إنما لم يعرفوه لأنه كان على سرير الملك وكان بزي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب ثم إن يوسف عليه السلام أمر بإنزالهم وإكرامهم وكانت عادته أن لا يزيد أحدا على حمل بعير وكانوا عشرة فأعطاهم عشرة أحمال كما قال تعالى (ولما جهزهم بجهازهم) أي وفاهم كيلهم والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها

على قصد الفعل (قلت) لم يكن وقت الهم يوسف في الصبا وقت الطلب قد عصم عن الصبا ولا قبله وأصل السؤال إنما وقع على طلب التورع المتقدم على الانقياد لكن والجواب الجواب عن الهم لا ف

٣ قوله شهادة من الله [illegible] تعالى [illegible] هكذا بالأصل ولعله [illegible] التي [illegible] [illegible] اه

تقول انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فهذه جملة الاسئلة (أجيب) عنها بأن الاصل في
جواب هذه الاسئلة أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فجاز له أن يتوصل اليه بأى
طريق كان وانما كان ذلك واجبا عليه لوجوه الاول أنه كان رسولا حقا من الله تعالى الى الخلق
والرسول يجب عليه مراعاة الامة بقدر الامكان والثانى أنه علم بالوحى أنه سيحصل القحط
والضيق الشديد ولعله تعالى أمره أن يدبر في ذلك ويأتى بطريق لاجله يقل ضرر ذلك القحط في
حق الخلق والثالث أن السعى أيضا في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر
مستحسن في العقول فكان مكلفا عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه وما كان يمكنه
رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وانما مدح نفسه لان الملك وان علم
كماله في علوم الدين لكن ما كان عالما بانه يفى بهذا الامر وأيضا مدح النفس انما يكون
مذموما اذا قصد به الشخص التطاول والتفاخر والتوصل الى غير ما يحل وأما على هذا الوجه
فليس بمذموم وقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم المراد به تزكية حال من لا يعلم كونها كذلك
والدليل قوله تعالى بعد هذه الآية هو أعلم بمن اتقى أما اذا كان الانسان عالما بانه صدق وحق
فهذا غير ممنوع منه وانما ترك الاستثناء لانه لو ذكره لربما اعتقد الملك فيه انه انما ذكره
لعلمه أنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغى فلهذا المعنى ترك الاستثناء ﴿ ولما سأل يوسف
عليه السلام ما تقدم قال مجيبا بانه قد أجيب بتخيير الله تعالى له ﴿وكذلك﴾ أى كما انعمنا عليه
بالخلاص من السجن ﴿مكنا ليوسف في الارض﴾ أى أرض مصر ﴿يتبوأ﴾ أى ينزل ﴿منها حيث
يشاء﴾ بعد الضيق والحبس قال ابن عباس وغيره ولما انقضت السنة من يوم سأل الامارة دعاه
الملك فتوجه وجعل خاتم الملك في اصبعه وقلده بسيفه وجعل له سريرا من ذهب مكللا بالدر
والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا فقال يوسف عليه السلام
أما السرير فاشد به ملكك وأما الخاتم فادبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس
آبائى وأمره أن يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه من صفاء لونه فانطلق
حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض اليه أمر مصر وعزل
قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لفرعون مصر خزائن
كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل أمره وقضاءه نافذا في مملكته ثم مات قطفير بعد ذلك فزوجه
الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت أيها الصديق لا تلمنى
فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك
الله في حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى فوجدها يوسف عليه السلام عذراء فأصابها فولدت له
ذكرين افراثيم وميشا فأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من
الناس وباع من أهل مصر في سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى ثم بالحلى
والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب في السنة الثالثة ثم بالعبيد والاماء في السنة الرابعة ثم
بالضياع والعقار في السنة الخامسة ثم باولادهم في السنة السادسة ثم برقابهم في السنة السابعة
حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا
أعظم من هذا صار كل الخلق عبيدا له فلما سمع ذلك قال انى أشهد الله انى أعتقت أهل مصر

الرازى ويرد على أصل السؤال أن يقال كيف يردعون عن العيب وهم قد فعلوا ما هو أعظم حرمة من العيب وأشد وهو القاؤهم أخيهم في الجب

بها الطعام (لعلهم يعرفونها) أي بضاعتهم (إذا انقلبوا) أي رجعوا (إلى أهلهم) وفتحوا
وعيتهم (لعلهم يرجعون) إلينا واختلف في السبب الذي من أجله رد يوسف عليه السلام
بضاعتهم في رحالهم على أوجه الأول أنه أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة
الزمان وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق فوضع تلك الدراهم في رحالهم حتى تبقى مخفية
إلى أن يصلوا إلى أبيهم الثاني أراد أن يعرف أباه أنه أكرمهم وطلبهم لمزيد الإكرام فلا يثقل
على أبيه إرسال أخيه الثالث مقصوده أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك الأخ لأجل الإيذاء والظلم
ولا يطلب زيادة الثمن الرابع أراد أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه عيب ولا منة
الخامس قال الفراء إنهم متى شاهدوا بضاعتهم في رحالهم وقع في قلوبهم أنهم وضعوا تلك
البضاعة في رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء وأولاد أنبياء فيرجعون ليعرفوا السبب فيه
ويردوا المال إلى مالكه السادس أراد به التوسعة على أبيه لأن الزمان كان زمان القحط
السابع رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه ومن إخوته على شدة حاجتهم إلى الطعام لؤم
الثامن خاف أن لا يكون عند أبيه من المال ما يرجعون به مرة أخرى التاسع أنهم متى
فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا أن ذلك كرم من يوسف عليه السلام وسخاء فيبعثهم
ذلك إلى العود إليه والحرص على معاملته عليه السلام (فلما رجعوا) أي إخوة يوسف عليه
السلام (إلى أبيهم قالوا يا أبانا) إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان
رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال يعقوب عليه السلام إذا رجعتم إلى ملك مصر
فاقرؤه مني السلام وقولوا له إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم قال لهم أين شمعون قالوا ارتهنه
ملك مصر وأخبروه بالقصة وقولهم (منع منا الكيل) فيه قولان أحدهما أنهم لما طلبوا
الطعام لأخيهم الغائب عند أبيهم منعوا منه والثاني أنهم منعوا الكيل في المستقبل وهو
قول يوسف عليه السلام فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ويدل له قولهم (فأرسل معنا
أخانا) بنيامين (نكتل) فإن حمزة والكسائي قرآ بالياء أي يكتل لنفسه وهذا يدل للقول
الأول والباقون بالنون أي نكتل نحن وإياه وهذا يدل للقول الثاني (وإنا له لحافظون) من أن
يناله مكروه حتى نرده إليك فلما قالوا ليعقوب عليه السلام هذه المقالة (قال) لهم (هل آمنكم)
أي أقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تأمنكم لي فيه بأن يحفظ [illegible] تأمينا مستقبلا
(عليه) أي بنيامين (إلا كما أمنتكم) أي في الماضي (على أخيه) يوسف عليه السلام (من
قبل) فإنكم أكدتم غاية التأكيد في حفظه لي ولم تردوه إلي والأمن اطمئنان القلب إلى
سلامة النفس فلا في هذا الأمن عليه إلا الله تعالى (فالله) المحيط علما وقدرة (خير حفظا)
منكم ومن كل أحد ففيه التفويض إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور وقرأ
حفص وحمزة والكسائي بفتح الحاء وألف بعدها وكسر الفاء والباقون بكسر الحاء وسكون
الفاء وهو منصوب على التمييز في القراءتين ويحتمل الأول النصب على الحال اللازمة (وهو
أرحم الراحمين) أي أرحم بي من أن يفجعني به بعد مصيبتي بأخيه فلا يجمع علي مصيبتين
(ولما) أرادوا تفريغ ما قدموا به من الميرة (فتحوا متاعهم) أي أوعيتهم التي حملوها من مصر
(وجدوا بضاعتهم) أي ما كان معهم من كنعان لشراء القوت (ردت إليهم) والوجد ان ظهور

(قوله ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) قاله هنا بدون واستوى وقاله في القصص واستوى لأن يوسف أوحي إليه في الصغر وموسى أوحي إليه بعد أربعين سنة فقوله واستوى إشارة إلى ذلك

فقالوا ان لنا شيخا كبيرا وأخا آخر بقي معه وذكروا ان أباهم لاجل سنه وشدة حزنه لم يحضر وان أخاهم في خدمة أبيه ولابد لهما أيضا من حمل آخر من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف عليه السلام فهذا يدل على أن حب أبيكم له أزيد من حبه لكم وهذا شيء عجيب لانكم أنتم مع جمالكم وعقلكم وأدبكم اذا كانت محبة أبيكم لذلك الاخ أكثر من محبته لكم دل ذلك على أنه أعجوبة في العقل والادب فجيئوني به حتى أراه كما قال تعالى حكاية عنه (قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) اي الذي خلفتموه عنده وقيل انه لما نظر اليهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم قالوا قوم من أرض الشام أصابنا ما أصاب الناس فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم تنظرون الى عورة بلادنا قالوا لا والله لسنا بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قال وكم كنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أخ لنا الى البرية فهلك فيها وكان أحبنا الى أبينا قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال وأين الابن الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك وأبوه يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك انا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فقال يوسف عليه السلام فائتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فأنا أرضى بذلك فقالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده ثم انه قال لهم (ألا ترون أني أوفي الكيل) أي أتمه ولا أبخس منه شيأ وقرأ نافع بفتح الياء من أني والباقون بالسكون وأما الياء من أوفي فجميع القراء يثبتونها في الوقف اتباعا في الرسم ويحذفونها في الوصل لالتقاء الساكنين (وأنا خير المنزلين) أي المضيفين فانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الرازي وهذا يضعف قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى أنهم عيون وجواسيس ولو شافههم بذا الكلام فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين وأيضا يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا أن يقول لهم أنتم عيون وجواسيس مع أنه يعرف براءتهم عن هذه التهمة لان البهتان لا يليق بحال الصديق ثم قال عليه السلام (فان لم تأتوني به) أي بأخيكم (فلا كيل) أي فلا ميرة (لكم عندي) ولم يمنعهم من غيره (ولا تقربون) نهي أو عطف على محل فلا كيل لكم أي تحرموا ولا تقربوا مني ولا تدخلوا دياري فجمع لهم عليه السلام بين الترغيب والترهيب فالترغيب في قوله الاول والترهيب في قوله الثاني لانهم كانوا في نهاية الحاجة الى الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا من عنده ومع ذلك لم يخطر ببالهم أنه يوسف فكأنه قيل فما قالوا فقيل (قالوا سنراود) أي بوعد لا خلف فيه حين نصل (عنه اباه) أي سنكلمه فيه ونتلطف في الكلام ونحتال فيه ونتلطف في ذلك ولا ندع جهدا (وانا لفاعلون) أي ما أمرتنا به والتزمناه (و) لما أرغبهم وأرهبهم في شأن أخيه (قال لفتيته) أي غلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حفص وحمزة والكسائي بألف بعد الياء المثناة تحت وبعد الالف نون مكسورة والباقون بالياء المثناة تحت ثم بتاء مثناة فوق مكسورة (اجعلوا بضاعتهم) أي التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها كانت النعال والادم (في رحالهم) جمع رحل أوعيتهم التي يحملون

الصحيح ان ذلك من
العاصي ويجاب بجاص
في الجواب عن قولهم
اقتلوا يوسف أو اطرحوه
أرضا (قوله وأوحينا
اليه) أي وحي الهام
لا وحي رسالة لانه لم
يكن بالغا ووحي الرسالة
انما يكون بعد الاربعين

فرأيته مغتمّا فقال ان جبريل عليه السلام أتاني فرقاني فقال بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فأفقت وفي رواية ان بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت أسماء يا رسول الله ان العين اليهم سريعة فاسترق لهم من العين فقال لها نعم وفي رواية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله أصابته العين فقال أما تسترقون له من العين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان يؤمر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين الذي أصيب بالعين * ولما خاف يعقوب عليه السلام أن يسبق من أمره هذا الى بعض الاوهام أن الحذر يغني عن القدر نفى ذلك بقوله عليه السلام (وما أغني) أي أدفع (عنكم) بقولي ذلك (من الله من شئ) قدره عليكم وانما ذلك شفقة ومن مزيد التأكيد واعلم أن الانسان مأمور بأن يراعي الاسباب المعتبرة في هذا العالم بأن يجزم بأنه لا يحصل الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا يدفع القدر فالانسان مأمور بأن يحذر الاشياء المهلكة والاغذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ومع ذلك يكون جازما بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى ولا يحصل في الوجود الا ما أراده الله تعالى فقوله عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة اشارة الى رعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم وقوله وما أغني عنكم من الله من شئ اشارة الى عدم الالتفات الى الاسباب بل الى التوحيد المحض والبراءة من كل شئ سوى الله تعالى * ولما قصر الامر كله اليه تعالى وجب رد كل أمر اليه وقصر النظر عليه فقال منبها على ذلك (ان الحكم الا لله) وحده الذي ليس الحكم الا له (عليه) أي على الله وحده (توكلت) أي جعلته وكيلي فرضيت بكل ما يفعل (وعليه) وحده (فليتوكل المتوكلون) أي الثابتون في باب التوكل فان ذلك من أعظم الواجبات من فعله فاز ومن أغفله خاب وقد ثبت بالبرهان ان لا حكم الا لله فلزم القطع بأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله تعالى وذلك يوجب أن لا توكل الا على الله تعالى فهذا مقام شريف عال والشيخ أبو حامد الغزالي أكثر في تقرير هذا المعنى في كتاب التوكل من كتب احياء علوم الدين فمن أراد الاستقصاء فيه فليطالع ذلك الكتاب * ولما قال يعقوب عليه السلام وما أغني عنكم من الله من شئ صدقه الله تعالى في ذلك فقال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان) ذلك التفرق (يغني عنهم من الله) أي من قضائه وأغرق في النفي فقال (من شئ) أي مما قضاه عليهم كما تقدم من قول يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام وقوله تعالى (الا حاجة) استثناء منقطع أي لكن حاجة (في نفس يعقوب) وهي الوصول الى ما أمر به شفقة عليهم (قضاها) يعقوب عليه السلام وأبرزها من نفسه الى أولاده فعملوا فيها بمراده فأغنى عنهم الخلاص من عقوق أبيهم فقط (وانه) أي يعقوب عليه السلام مع أمره لبنيه بذلك (لذو علم) أي معرفة بالحكم من حكم التكليف وحكم التقدير واطلاع على الكونين عظيم (لما علمناه) بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره * ولما كان قد يظن أن كل أحد يكون كذلك أي يعلم ما علمه في ذلك سبحانه

حتى لو انسدت أمامه لم
يقصد غيرها أو لا الا الأول
فلو سد أو حد الباب هذا
وجهه ثم (لعله أولى أرجع
الى الناس لعلهم يعلمون)
كرر لعل رعاية للفواصل
اذ لو قال لعلي أرجع الى
الناس فيعلموا بحسنه

الشيء للنفس بصاعة أو ما يبقى عنها فكانه قيل ما قالوا فقيل (قالوا) أي لابيهم عليه السلام (يا أبانا ما) استفهامية أي أي شيء (نبغي) أي نريد جميع القراء أثبتوا الياء وقفا ووصلا لثبوتها في الرسم فكأنه قال لهم ما الخبر فقالوا ايناسا له للشر وتأكيدا للسؤال في استصحاب أخيهم (هذه بضاعتنا ردت الينا) هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباعنا وردّ علينا متاعنا ولما كان التقدير ونرجع بها اليه بأخينا فيظهر له نصحنا وصدقنا (ونمير أهلنا) أي نجلب اليهم الميرة برجوعنا اليه والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد (ونحفظ أخانا) فلا يصيبه شيء مما تخشى عليه تأكيدا للوعد بحفظه (ونزداد كيل بعير) لاخينا (ذلك كيل يسير) أي سهل على الملك لسخائه وحرصه على البذل وقيل قصير المقابس يعني مثله أن تطول مدته بسبب الحبس والتأخير وقيل قليل فابعث أخانا معنا حتى نبدل تلك القلة بالكثرة فكأنه قيل ما قال لهم فقيل (قال) يعقوب عليه السلام (لن أرسله) أي بنيامين كائنا (معكم) أي في وقت من الاوقات (حتى تؤتون موثقا) أي عهدا مؤكدا (من الله) قرأ ابن كثير باثبات الياء بعد النون وقفا ووصلا وأبو عمرو باثبات الياء وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وقفا ووصلا وقوله (لتأتنني) أي كلكم (به) أي تحلفوا بالله لتأتنني به من الاتيان وهو المجيء في كل حال جواب القسم أو المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به (الا) أي في حال (أن يحاط) أي تحصل الاحاطة بمصيبة من المصائب لا طاقة لكم بها (بكم) فتهلكوا من عند آخركم كل ذلك زيادة في التوثق بما حصل له من المصيبة بيوسف عليه السلام وان كان الاعتماد في حفظه انما هو على الله تعالى وهذا من باب اعقلها وتوكل فأجابوه الى ذلك كما قال تعالى (فلما آتوه موثقهم) بذلك (قال الله على ما نقول) نحن وأنتم (وكيل) أي شهيد وأرسله معهم بذلك (فان قيل) لم أرسله معهم وقد شاهد منهم ما شاهد في يوسف عليه السلام (أجيب) بان ذلك لوجوه أحدها أنهم كبروا ومالوا الى الخير والصلاح الثاني انه كان شاهد أنه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام الثالث لعل الله أوحى اليه وضمن حفظه وايصاله اليه (و) لما عزموا على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال وأبناء رجل واحد (قال) لهم (يا بني لا تدخلوا) اذا قدمتم الى مصر (من باب واحد) من أبوابها (وادخلوا من أبواب) واحترز من أن تكون متلاصقة أو متقاربة بتحديد بقوله (متفرقة) أي تفرقا كثيرا وهذا حكم التكليف لئلا يصابوا بالعين وهي من قدر الله تعالى وقد ورد شرعنا بذلك ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق وفي رواية عن أحمد يحضرها الشيطان وحسد ابن آدم وفي رواية لمسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وفي رواية عن جابر ان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر النبيين وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول النهار فوجدته شديد الوجع ثم عدت اليه في آخر النهار

الزيادة (قوله واستبقا الباب) وحد الباب هنا وجمعه قبل في قوله وغلقت الابواب لان اغلاق الباب للاحتياط لا يتم الا باغلاق الجميع وأما هربه منها فلا يكون الا الى باب واحد

عليه من الابل والحمير والبغال فهو عير وقول من قال العير الابل خاصة باطل فقوله أيتها
العير أى أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبى قال الفراء كانوا أصحاب ابل وقال مجاهد
كانت العير حميرا وقرأ ورش بابدال الهمزة مؤذن واوا وقفا ووصلا وحمزة فى الوقف فقط
والباقون بالهمز (انكم لسارقون) فقفوا حتى ننظر الذى فقدناه والسرقة أخذ ما ليس له
أخذه فى خفاء من حرز مثله (فان قيل) هل كان هذا النداء بأمر يوسف عليه السلام أو ما كان
بأمره فان كان بأمره فكيف يليق بيوسف عليه السلام مع علو منصبه أن يبهت أقواما
وينسبهم الى السرقة كذبا وبهتانا وان كان بغير أمره فهلا أظهر براءتهم عن تلك التهمة
(أجيب) بأجوبة الاول أنه عليه السلام لما أظهر لاخيه أنه يوسف قال لست أفارقك قال
لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة أنسبك فيها الى ما لا يليق بك قال رضيت بذلك وعلى هذا لم يتألم
قلبه بسبب هذا الكلام لانه قد رضى به فلا يكون ذلك ذنبا الثانى انكم لسارقون يوسف
من أبيه الا أنهم ما أظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفى المعاريض مندوحة عن
الكذب الثالث أن المنادى انما ذكر النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا يخرج أن يكون
كذبا الرابع ليس فى القرآن ما يدل على أنهم قالوا هذا بأمر يوسف عليه السلام قال الرازى
والاقرب الى ظاهر الحال أنهم فعلوا ذلك من أنفسهم لانهم لما طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم
يكن هناك أحد غيرهم غلب على ظنهم أنهم الذين أخذوها ولما وصل اليهم الرسول قال لهم
ألم نحسن ضيافتكم ونكرم مثواكم ووفيناكم كيلكم وفعلنا بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما
ذاك قالوا سقاية الملك فقدناها ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله تعالى (قالوا) أى الاخوة وقد
(أقبلوا عليهم) أى على جماعة الملك المنادى وغيره (ماذا) أى ما الذى (تفقدون) [illegible]
أخذه والفقدان ضد الوجود (قالوا نفقد) وكان للسقاية اسمان فعبر أولهم (صواع
الملك) والصواع هو المكيال وهو السقاية المتقدمة سمى تارة كذا وتارة كذا وانما اتخذوا
الاناء مكيالا لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت (ولمن جاء به حمل بعير) أى من الطعام [illegible]
له على الاتيان به وأطلقه بعضهم على الناقة أيضا [illegible]
الفقهاء فى باب الوصية والجمع فى القلة على أبعرة وفى الكثرة على بعران (وأنا به زعيم) قال
مجاهد الزعيم هو الذى أذن والزعيم الكفيل وهذه الآية تدل على أن الكفالة كانت
صحيحة فى شرعهم وقد حكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الزعيم غارم واذا ورد فى
شرعنا ما يقرر شرع غيرنا هل يكون شرعا لنا فى ذلك خلاف والراجح أنه ليس بشرع لنا (فان
قيل) كيف تصح هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئا (أجيب) بأنهم لم يكونوا سراقا
فى الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضائع فيكون ذلك جعالة أو ان مثل هذه الكفالة كانت
جائزة عندهم فى ذلك الزمان (قالوا) أى اخوة يوسف عليه السلام (تالله) التاء حرف قسم
وهى عند الجمهور بدل من واو القسم والواو بدل من الباء فهى فرع الفرع فلذلك ضعفت
عن التصرف فى الاسماء فلا تدخل الا على الجلالة الكريمة أو الرب مضافا للكعبة أو
الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تالرحمن لم يجز أى والله (لقد علمتم) أى بما جربتم من أمانتنا

[illegible]
الذى باع ورغبته فى [illegible]
(قلت) انما [illegible]
[illegible]

وتعالى بقوله جل شانه (ولكن أكثر الناس) أى لاجل ما نالهم من الاضطراب (لا يعلمون) أى ليسوا بذوى علم لما علمناهم لاعراضهم عنه واستفراغ قواهم فى الاهتمام بما وقع التكليف لهم به ومن أحوال الدنيا ومقابلة فطرهم القويمة السليمة بردها الى ماتدعوهم اليه الحظوظ والشهوات حتى لا يكون طبعا لخالق * ولما اخبر تعالى عن دخولهم الى البلد أخبر عن دخولهم لحاجتهم الى يوسف عليه السلام فقال (ولما دخلوا) أى اخوة يوسف عليه السلام (على يوسف) فى القدمة الثانية ومعهم بنيامين قالوا هذا أخونا فقال أحسنتم واصبتم وستجدون خير ذلك عندى ثم أنزلهم وأكرم منزلهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا أجلسنى معه فقال يوسف لقد صار أخوكم هذا وحيدا فأجلسه معه على مائدته وصار يؤاكله فلما كان الليل أمر أن ينزل كل اثنين منهم بيتا فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام معى على فراشى كما قال تعالى (آوى) أى ضم (اليه أخاه) فبات معه وجعل يوسف يضمه اليه ويشمه ثم قال له ما اسمك فقال بنيامين قال وما بنيامين قال المثكل وذلك انه لما ولد هلكت أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال لى عشرة بنين ولما رأى تأسفه لاخ له هلك قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك فقال ومن يجد أخا مثلك ولكنك لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و(قال انى أنا أخوك فلا تبتئس) أى لا تحزن (بما كانوا يعملون) أى بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا فلا تلتفت الى أعمالهم المنكرة التى قد أقدموا عليها وقد جمعنا الله تعالى على خير ولا تعلمهم بشئ من ذلك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون ومد بعد النون من أنا قبل الهمزة المفتوحة نافع والباقون بالقصر ثم انه لما ً لهم أوعيتهم كما أرادوا وكان فى المرة الاولى أطاق تجهيزهم فى طول المدة ليتعرف أخبارهم من حيث لا يشعرون ولذلك لم يعطف بالفاء وأسرع فى تجهيزهم فى هذه المرة قصدا الى انفراده بأخيه من غير رقيب بالحيلة التى دبرها فلذلك أتت الفاء فى قوله (فلما جهزهم) أى أعجل جهازهم وأحسنه (بجهازهم جعل) بنفسه أو بمأموره (السقاية) أى المشربة التى كان يشرب بها (فى رحل أخيه) أى وعاء طعام أخيه بنيامين كما فعل ببضاعتهم فى المرة الاولى قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر وجعلها يوسف عليه السلام مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها قال الرازى هذا بعيد لان الاناء الذى يشرب فيه الملك لا يصلح أن يجعل صاعا وقيل كانت الدواب تسقى بها قال وهذا أيضا بعيد لان الآنية التى تسقى الدواب فيها لا تكون كذلك قال والاصوب أن يقال كان ذلك الاناء شيأ له قيمة أما الى هذا الحد الذى ذكروه فلا والسقاية والصواع واحد ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث خلفهم من استوقفهم وحبسهم (ثم أذن) أى أعلن فيهم بالنداء (مؤذن) قائلا برفيع صوته وان كانوا فى غاية القرب منه بما دل عليه اسقاط الاداة (أيتها العير) أى القافلة قال أبو الهيثم كل ما سير

النون جوا انا اهل افادت الرعاية (قوله اجعلنى على خزائن الارض) ان قلت كيف قال ذلك مع ان الانبياء عليهم السلام اعظم الناس زهدا فى

يوسف (ليأخذ أخاه في دين الملك) أي حكمه بيان الكيد لأن جزاءه كان عنده الضرب وتغريم
مثلي ما أخذ لا أنه يستعبد وقوله تعالى (إلا أن يشاء الله) فيه وجهان أحدهما أنه استثناء
منقطع تقديره ولكن بمشيئة الله أخذه في دين غير دين الملك وهو دين آل يعقوب عليه
السلام ان الاسترقاق جزاء السارق والثاني انه مفرغ من الاحوال العامة والتقدير ما كان
ليأخذه في كل حال الا في حال التباسه بمشيئة الله اي اذنه في ذلك * ولما كان يوسف عليه
السلام انما تمكن من ذلك بعلو درجته وتمكنه ورفعته بعدما كان فيه عندهم من الصغار
كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتا الى مقام التكلم (نرفع درجات من نشاء) اي بالعلم كما
رفعنا درجته وكان الاصل درجاته ولكنه عمم لانه أدل على العظمة فكان أبين تظهرها وفي
هذه الآية دليل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى لما هدى يوسف
عليه السلام الى هذه الحيلة مدحه لاجل ذلك ورفع درجته على اخوته ووصف ابراهيم عليه
السلام بقوله تعالى نرفع درجات من نشاء عندما حكى عنه دلائل التوحيد والبراءة عن الهية
الشمس والقمر والكواكب وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بتنوين التاء والباقون بغير
تنوين (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى
فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعلم وفي الآية دليل على ان اخوة يوسف عليه
السلام كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر
التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه في الغلبة في العلوم لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه * ولما حصل
لاخوة يوسف من اخراج الصواع من رحل بنيامين ما حصل فكأنه قيل فما كان فعلهم عند
ذلك فقيل (قالوا) تسلية لانفسهم ودفعا للعار عن جانبهم (ان يسرق) ولم يجزموا بسرقته
لعلمهم بامانته وظنهم ان الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دست بضاعتهم في رحالهم وقد
قالوا لهم ذلك (فقد سرق أخ له من قبل) اي يوسف وكان غرضهم من ذلك انا لسنا على
طريقته ولا على سيرته وهو وأخوه مختصان بهذه الطريقة لانهما من أم أخرى واختلفوا في
التي نسبوها الى يوسف عليه السلام على أقوال فقال سفيان بن عيينة أخذ دجاجة من الطير
التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقال مجاهد جاء سائل فأخذ بيضة من البيت
فناولها السائل وقال وهب كان يخبأ الطعام من مائدة يعقوب للفقراء وقال سعيد بن جبير
كان جده أبو أمه كافرا يعبد الوثن وأمرته أمه ان يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله يترك
عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة وقال محمد بن اسحق ان يوسف عليه السلام كان
عند عمته ابنة اسحق وكانت تحبه حبا شديدا فارادت ان تمسكه عند نفسها وكان قد بقي عندها
منطقة لابيها اسحق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدتها على وسط يوسف عليه السلام
من تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت انه سرقها وكان عادتهم ان من سرق يسترق فقال
يعقوب عليه السلام ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فتوصلت
بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها سرقة
ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه وكانت قلوبهم مملوءة
من الغضب على يوسف بعد تلك الوقائع وبعد انقضاء المدة الطويلة قال الرازي وهذه

وظاهر اقتضائه الفاء الدالة
على الترتيب والتعقيب
(قوله أيتها العير إنكم
لسارقون) ان قلت كيف
جاز ليوسف ان يأمر المؤذن
بان يقول ذلك مع ان فيه
بهتانا واتهام من لم يسرق

قبل هذا في كون مجيئنا (ما جئنا) وأكدوا النفي باللام فقالوا (لنفسد) أي لنوقع الفساد (في الارض) أي أرض مصر (و) لقد علمتم (ما كنا) أي بوجه من الوجوه (سارقين) أي موصوفين بهذا الوصف قطعا (فان قيل) من أين علموا ذلك (أجيب) بأن ذلك لعلمهم بما رأوا من أحوالهم وقيل لانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم قالوا فلو كنا سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا اذا دخلوا مصر كعموا أفواه دوابهم كي لا تتناول شيئا من حروث الناس (قالوا) أي أصحاب يوسف عليه السلام المنادي ومن معه (فما جزاؤه) أي السارق وقيل الصواع (ان كنتم كاذبين) في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم والجزاء مقابلة العمل بما يستحق من خير وشر (قالوا) وثوقا منهم بالبراءة واخبارا بالحكم عندهم (جزاؤه من وجد في رحله) ولصحة وثوقهم بالبراءة علقوا الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم أكدوا ذلك بقولهم (فهو جزاؤه) قال ابن عباس كان ذلك الزمان كل سارق بسرقته فلذلك قالوا ذلك أي فالسارق جزاؤه أن يسلم بسرقته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق فاراد يوسف أن يحبس أخاه عنده فرد الحكم اليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم (كذلك) أي الجزاء (نجزي الظالمين) بالسرقة قال أصحاب يوسف فلا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف عليه السلام فأمر بتفتيشها بين يديه (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) لئلا يتهم فلم يجد فيها شيئا (ثم) أي بعد تفتيش أوعيتهم والتأني في ذلك (استخرجها) أي السقاية أو الصاع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء أخيه) فلما خرج الصاع من وعاء بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ايش الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل مازال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصاع فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصاع في رحلي هو الذي وضع البضاعة في رحالكم فأخذ بنيامين رقيقا وقيل ان المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصاع من رحله فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف عليه السلام (تنبيه) ههنا همزتان مختلفتان من كلمتين قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بابدال الثانية ياء والباقون بالتحقيق (كذلك) أي مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) خاصة بأن علمناه اياه جزاء لهم على كيدهم يوسف عليه السلام في الابتداء وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام فيكيدوا لك كيدا والكيد من الخلق الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالحق فالمراد من هذا الكيد هو أن الله تعالى ألقى في قلب اخوته بأن حكموا أن جزاء السارق هو أن يسترق لا جرم لما ظهر الصاع في رحله حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتمكن يوسف عليه السلام من امساك أخيه عنده نفسه ولما كان الكيد يشعر بالحيلة والخديعة وهو في حق الله تعالى محال حمل على النهاية وهو القاء الانسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه ولا سبيل له الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محال على هذا المعنى وقيل المراد بالكيد ههنا ان اخوة يوسف سعوا في ابطال أمره والله تعالى نصره وقواه وأعلى أمره وقوله تعالى (ما كان) أي

جهزهم بجهازهم) قاله هنا بالواو وقاله بعد بالفاء لانه ذكر هنا أول تجهيزهم الى يوسف فناسبه الواو الدالة على الاستئناف وذكر بعد عند انصرافهم عنه عطفا على ما

مالوا فقيل (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل وقيل في الفضل والعلم وهو يهوذا وقيل
شمعون وكان له الرياسة على اخوته (ألم تعلموا) مقررا لهم بما يعرفونه مع قرب الزمان ليشتد
توبيخهم في بذل الجهد في الخلاص من غضب أبيهم (ان أباكم) اي الشيخ الكبير الذي
فجعتموه في أحب ولده اليه (قد أخذ عليكم) اي قبل ان يعطيكم هذا الولد الآخر (موثقا)
اي عهدا وثيقا (من الله) في أخيكم وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد
من جهته وقوله (ومن قبل ما فرطتم) في هذه الآية وجوه أظهرها ان ما مزيدة فيتعلق
الظرف بالفعل بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطتم اي قصرتم في حق يوسف وشأنه وزيادة
ما كثير وبه بدأ الزمخشري وغيره وقيل انها مصدرية في محل رفع بالابتداء والخبر هو قوله (في
يوسف) اي وتفريطكم كائن أو مستقر في يوسف والى هذا ذهب الفارسي وقيل غير ذلك
ولا نطيل بذكره اذ في هذا القدر كفاية (فلن أبرح) اي أفارق (الارض) اي أرض مصر (حتى
يأذن لي أبي) اي بالعود اليه (أو يحكم الله لي) بخلاص أخي (وهو خير الحاكمين) اي أعدلهم
(فان قيل) هذه الواقعة من أولها الى آخرها تزوير وكذب فكيف يجوز ليوسف عليه السلام
ان يعمل مثل هذه الاعمال بأبيه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجدان
أبيه عليه وشدة غمه وفيه ما فيه من العقوق وايذاء الناس من غير ذنب لا سيما ويعلم انه اذا
حبس أخاه عنده بهذه التهمة فانه يعظم حزن أبيه ويشتد غمه فكيف يليق بالرسول المعصوم
المبالغة في التزوير الى هذا الحد (أجيب) بأجوبة كثيرة للعلماء وأحسنها انه انما فعل ذلك
بأمر الله تعالى له لا عن أمره وانما أمره الله تعالى بذلك ليزيد بلاء يعقوب عليه السلام
فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آبائه ولله تعالى أسرار لا يعلمها أحد من خلقه وهو
المتصرف في خلقه بما يشاء فهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في هذه المدة مع قرب
المسافة لما يريد ان يبرمه فيهم والله أعلم بأحوال عباده ثم قال كبيرهم (ارجعوا الى أبيكم)
دوني (فقولوا) له اي متلطفين في خطابكم (يا أبانا) وأكدوا مقالتكم فانه منكرها وقولوا
(ان ابنك سرق) (فان قيل) كيف حكموا عليه بانه سرق من غير بينة وهو قد أجابهم بالجواب
الشافي فقال الذي جعل الصاع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم (أجيب) بانهم لما
شاهدوا الصاع وقد أخرج من متاعه غلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في
ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما شهدنا)
عليه (الا بما علمنا) ظاهرا من رؤيتنا الصاع يخرج من وعائه وأما قوله وضع الصاع في رحلي
من وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لان هناك لما رجعوا بالبضاعة اليهم اعترفوا انهم
هم الذين وضعوها في رحالهم وأما هذا الصاع فان أحدا لم يعترف بانه هو الذي وضع الصاع في
رحله فلهذا السبب غلب على ظنهم انه سرق فشهدوا بناء على الظن (وما كنا للغيب) اي ما غاب
عنا حين أعطيناك الموثق (حافظين) اي ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير أمرنا الى هذا ولو علمنا
ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا الى حفظه سبيل وحقيقة الحال غير معلومة
لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى فلعل الصاع دس في رحله ونحن لا نعلم ذلك فلعل حيلة دبرت
في ذلك غابت عنا علمها كما صنع في رد بضاعتنا (واسئل القرية) اي أهلها على حذف المضاف وهو

الشرعية التي يتوصل بها
الى المصالح الدينية كقوله تعالى
لايوب وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث وقول
ابراهيم في حق زوجته هي
أختي لتسلم من يد الكافر
وقوله انه لا ييأس من روح

الواقعة تدل على ان قلب الحاسد لا يطمئن من الغل البتة (فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها)
اى يظهرها (لهم) والضمير للكلمة التى هى قوله (قال) اى فى نفسه (أنتم شر مكانا) اى من
يوسف وأخيه اى لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له وقيل الضمير يرجع الى الكلمة التى
قالوها فى حقه وهى قولهم فقد سرق أخ له من قبل وعلى هذا يكون المعنى فأسر يوسف جواب
الكلمة التى قالوها فى حقه (والله أعلم) منكم (بما تصفون) اى تقولون وانه ليس كما قلتم قال
أصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصاع من رحل بنيامين نقره
وأدناه الى اذنه ثم قال ان صاعى هذا يخبرنى انكم كنتم اثنى عشر رجلا لاب واحد وانكم
انطلقتم بأخ لكم من أبيكم فبعتموه فقال بنيامين أيها الملك ان صاعك يخبرك من جعله فى
رحلى ثم نقره وأدناه من اذنه فقال ان صاعى غضبان وهو يقول كيف تسألونى عن صاحبى
وقد رأيت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكانوا أولاد يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا
وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شئ وكان اذا صاح ألقت كل حامل حملها اذا سمعت صوته
وكان مع هذا اذا مسه أحد من ولد يعقوب عليه السلام يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة
وأشدهم وروى انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة فقال اكفونى أنتم
الاسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفونى أنتم الملك وأنا أكفيكم الاسواق ودخلوا على يوسف
فقال روبيل لتردن علينا أخانا أو لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل الا ألقت ولدها
وقامت كل شعرة فى جسده حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب روبيل
فمسه وروى خذ بيده فأتى به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال لاخوته من مسنى
منكم قالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل ان هنا بذرا من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب
وروى انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال
أنتم يا معشر العبرانيين تظنون ان لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم الى هذا ورأوا ان لا سبيل
لهم الى تخليصه خضعوا وذلوا و(قالوا يا أيها العزيز) فخاطبوه بما يليق بالاكابر ليرق لهم (ان
له) اى لهذا الذى وجد الصواع فى رحله (أبا شيخا كبيرا) اى فى سنه وقدره وهو مغرم به لا يقدر
على فراقه ولا يصبر عنه (فخذ أحدنا مكانه) وأحسن الى أبيه بارساله اليه (انا نراك) اى نعلمك
علما هو كالرؤية أو بحسب ما رأيناه (من المحسنين) اى العريقين فى صفة الاحسان فأجر
أمرنا على عادة احسانك فكأنه قيل فما أجابهم فقيل (قال معاذ الله) هو نصب على المصدر
وحذف فعله وأضيف الى المفعول اى نعوذ بالله الذى لا مثل له معاذا عظيما من (ان نأخذ الا من
وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل سرق متاعنا لانه لم يفعل فى الصواع فعل السارق ولم يقع منه
قبل ذلك ما يصحح اطلاق الوصف عليه ثم علله بقوله (انا اذا) اى اذا أخذنا أحدا مكانه
(لظالمون) اى عريقون فى الظلم فى دينكم فلم تطلبون ما هو ظلم عندكم ولما استيأسهم بما قال
عن اطلاق بنيامين حكى الله تعالى ما تم لهم من الرأى فقال (فلما) دالا بالفاء على قرب زمن تلك
المراجعات (استيأسوا) اى يئسوا (منه) لما رأوا من احسانه ولطفه ورحمته يأسا شديدا
لما رأوا من ثباته على أخذه بعينه وعدم استبداله (خلصوا) اى انفردوا عن غيرهم حال كونهم
(نجيا) وهو مصدر يصلح للواحد وغيره اى ذوى نجوى يناجى بعضهم بعضا فكأنه قيل فما

فانه سرق (قلت) انما قاله تورية عما جرى عليهم مجرى السرقة من فعلهم بيوسف فانه سألوا أولا وكان ذلك القول من المؤذن بغير أمر يوسف عليه السلام أو أن حكم ذلك حكم الحيل

رأسه وقال ليت أمي لم تلدني ولم أكن حزنا على أبي (فان قيل) هذا اظهار الجزع وجار مجرى
الشكاية وهو لا يليق بمثل يعقوب عليه السلام (أجيب) بأنه لم يذكر الا هذه الكلمة ثم عظم
بكاؤه ثم أمسك لسانه عن النياحة وذكر ما لا ينبغي ولم يظهر الشكاية مع أحد من الخلق ويدل
لذلك قوله (فهو كظيم) أي مغموم مكروب لا يظهر كربه وقوله انما أشكو بثي وحزني الى الله
فكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبته وقويت محنته صبر وتجرع الغصة وما أظهر الشكاية
به فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء الجزيل روي أن يوسف عليه السلام قال لجبريل
عليه السلام هل لك علم بيعقوب قال نعم قال فكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي
لها ولد واحد يموت قال فهل له أجر قال نعم أجر مائة شهيد وامثال ذلك لا يدخل تحت
التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد وأيضا البكاء مباح فقد بكى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا على
فراقك يا ابراهيم لمحزونون رواه الشيخان * (تنبيه) أشرف الأعضاء اللسان والعين والقلب
فبين تعالى أن هذه الثلاثة كانت غريقة في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله يا أسفا والعين
بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي سد فلا يمكن خروج الماء
منه وهذا مبالغة في وصف ذلك الغم * ولما وقع من يعقوب عليه السلام ذلك كان قائلا يقول
فما قال له أولاده فقيل (قالوا) له مخاصمين ذلك (تالله تفتؤ) أي لا تفتؤ أي لا تزال (تذكر
يوسف) تفجعا فتفتؤ جواب القسم وهو على حذف لا كقول الشاعر

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

ويدل على حذفها أنه لو كان مثبتا لاقترن بلام الابتداء ونون التوكيد معا عند البصريين
أو أحدهما عند الكوفيين فتفتؤ هنا ناقصة بمعنى لا تزال كما تقرر ورسمت تفتؤ بالواو (حتى)
الى أن (تكون حرضا) أي مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوي فيه الواحد
وغيره (أو تكون من الهالكين) أي الموتى (فان قيل) لم حلفوا على ذلك مع أنهم لم يعلموا ذلك
قطعا (أجيب) بأنهم بنوا الأمر على الظاهر قال أكثر المفسرين قائل هذا الكلام هم اخوة
يوسف وقال بعضهم ليس الاخوة بل الجماعة الذين كانوا في الدار من أولاده وخدمه ولما قالوا
له ذلك فكأن قائلا يقول فما قال لهم فقيل (قال) لهم (انما أشكو بثي) والبث أشد الحزن
سمي بذلك لأنه من صعوبته لا يطاق حمله فيباح به وينشر (وحزني) مطلقا وان كان سببه
خفيفا يقدر الخلق على ازالته (الى الله) المحيط بكل شيء علما وقدرة لا الى غيره فهو الذي تنفع
الشكوى اليه (وأعلم من الله) أي الملك الأعلى من اللطف بنا أهل البيت (ما لا تعلمون)
فيأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب وفي ذلك اشارة الى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع
رجوعه اليه وذكروا لسبب هذا التوقع أمورا أحدها أن ملك الموت أتاه فقال له يا ملك
الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم أشار الى جانب مصر وقال اطلبه من
ههنا ولذلك قال (يا بني اذهبوا فتحسسوا) أي والتحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من
التجسس بالجيم وقيل التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس
وهو الذي يطلب الكشف عن عورة الناس والمعنى تحسسوا واخبروا (من) أخبار (يوسف

فقوله (قلت) انما ييأس
من روح الله الكافر
لا المؤمن بدلالة هذه
الآية فكل من أيس من
روح الله فهو كافر حتى
يعود الى الايمان ولا نسلم
ان ما ... القصة مات

مجاز مشهور وقيل انه مجاز لكنه من باب اطلاق المحل وارادة الحال (التي كنا فيها) وهي مصر عما أخبرناك به فيخبرونك بصدقنا فان الامر قد اشتهر عندهم وقيل هي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها الى مصر (و) اسأل (العير) أي القافلة وهم قوم من كنعان جيران يعقوب عليه السلام (التي أقبلنا فيها) والسؤال طلب الاخبار باداته من الهمزة أو هل أو غيرهما والقرية الارض الجامعة لحدود فاصلة وأصلها من قريت الماء جمعته والعير قافلة الحمير من العير بالفتح وهو الحمار هذا هو الاصل ثم كثر حتى استعمل في غير الحمير ولما كان ذلك بالانكار لما يتحقق من كرم أخيهم أكدوه بقولهم (وانا) أي والله انا (لصادقون) في أقوالنا ولما رجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال كبيرهم فكأنه قيل فما قال لهم فقيل (قال) لهم (بل سولت) أي زينت تزيينا فيه غي (لكم أنفسكم أمرا) أي حدثتكم بأمر ففعلتموه والا فما أدرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل صبري أو أجمل وقدم مثل ذلك في واقعة يوسف الا انه قال فيها والله المستعان على ما تصفون وقال هنا (عسى الله أن يأتيني بهم) أي بيوسف وشقيقه بنيامين والاخ الثالث الذي أقام بمصر (جميعا) أي فلا يتخلف منهم أحد وانما قال يعقوب عليه السلام هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم ان الله تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى وقرب ان هذه الافعال نشأت عن يوسف عليه السلام وان الامر يرجع الى سلامة واجتماع ثم علل هذا بقوله (انه هو العليم) أي البليغ العلم بما خفي عنا من ذلك فيعلم أسبابه الموصلة الى المقاصد (الحكيم) أي البليغ فيما يبرمه وينقضه (و) لما ضاق قلب يعقوب عليه السلام بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق بنيامين (تولى عنهم) أي انصرف بوجهه عنهم لما توالى عليه من الحزن (وقال يا أسفا) أي يا أسفي (على يوسف) أي تعال هذا أوانك والاسف أشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث انما هو مصيبتهما لان مصيبته كانت قاعدة المصائب والحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد حزنه على أخيه مالك

فقالوا أتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك

فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى * فدعني فهذا كله قبر مالك

ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي حديث رواه الطبراني لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا (وابيضت عيناه) أي انمحق سوادهما وبدل بياضا (من الحزن) أي من كثرة البكاء عليه وقيل عند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء وقيل ضعف بصره حتى صار يدرك ادراكا ضعيفا وقيل عمي وقال مقاتل لم يبصر بهما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف عليه السلام قيل ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن فقال ان بصر أبيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على

الله) أي من رحمته الا القوم الكافرون (ان ذات) من المؤمنين من ييأس من روح الله لشدة مصيبته أو كثرة ذنوبه كما في قصة الذي أمر أهله اذا مات أن يحرقوه الحديث ثم ان الله تعالى

مقرراً لهم بعد ان استأنسوا به قال البقاعي والظاهر ان هذا كان بغير ترجمان (ما) أي قبح الذي (فعلتم بيوسف) أي اخيكم الذي حلتم بينه وبين أبيه (وأخيه) في جعلكم اياه فريداً منه ذليلاً بينكم ثم في قولكم لما وجد الصاع في رحله لا يزال يأتينا البلاء من قبلكم يا بني راحيل وانما قال لهم ذلك نصحاً لهم وتحريضاً على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريباً وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وقوله (اذ أنتم جاهلون) أي فاعلون فعل الجاهلين لانهم كانوا حينئذ صبياناً طياشين ثم لما قال هذا تبسم وكان في تبسمه أمر من الحسن لا يجهله من رآه ولو مرة واحدة فعرفوه بذلك فلذلك (قالوا أئنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقيل عرفوه بنظره وخلقه حين كلمهم وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب واسحق مثلها وقرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر وقرأ قالون وأبو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام وقرأ ورش بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضاً وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين مع القصر ولهشام وجه ثان وهو المد وقيل انهم لم يعرفوه حتى (قال) لهم (أنا يوسف) وزادهم بقوله (وهذا أخي) بنيامين شقيقي وانما ذكره لهم ليزيدهم ذلك معرفة له وتثبيتاً في أمره وليبني عليه قوله (قد من الله علينا) قال ابن عباس بكل خير في الدنيا والآخرة وقال آخرون بالجمع بيننا بعد الفرقة (انه من يتق) أي المعاصي (ويصبر) أي على الطاعات وأذى الناس وقال ابن عباس يتق الزنا ويصبر على العزوبة وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) والمعنى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين وقرأ قنبل باثبات الياء بعد القاف وقفاً ووصلاً واختلف المعربون في ذلك على وجهين أجودهما أن اثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب وأنشدوا عليه قول قيس بن زهير

ألم يأتيك والانباء تنمي ۞ بما لاقت لبون بني زياد

(وقول الآخر)

هجوت زبان ثم جئت معتذراً ۞ من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

(وقول الآخر)

اذا العجوز غضبت فطلق ۞ ولا ترضاها ولا تملق

الثاني أنه مرفوع غير مجزوم ومن موصولة والفعل صلتها فلذلك ثبت لامه وسكن صبر لتوالي الحركات وان كانت في كلمتين وقرأ الباقون بالحذف وقفاً ووصلاً ولما ذكر يوسف عليه السلام لاخوته ان الله تعالى من عليه وأن من يتق ويصبر فان الله تعالى لا يضيع أجرهم صدقوه فيه واعترفوا له بالفضل والمرتبة ولذلك (قالوا) مقسمين بقولهم (تالله) أي الملك الاعظم (لقد آثرك) أي اختارك (الله علينا) بالعلم والعقل والحلم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك واحتج بعضهم بهذه الآية على ان اخوته ما كانوا أنبياء لان جميع المناصب التي

السكوت اولا ولما بات
الشكوت بعدها تنبيها
وسلفنا ابراهيم الاسحق
على جواز ان ذكر انه بك
والقول بان ابا لا
على وقوع جواب
خلافه انا صدقت

(وأخيه) أى اطلبوا خبرهما وثانيها أنه علم أن رؤيا يوسف عليه السلام صادقة لأن أمارات
الرشد والكمال ظاهرة فى حق يوسف عليه السلام ورؤيا مثله لا تخطئ وثالثها لعل الله تعالى أوحى
اليه أنه سيوصله اليه ولكنه تعالى ما عين الوقت فلهذا بقى فى القلق ورابعها قال السدى
لما أخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله وأقواله وأفعاله طمع فى أن يكون هو يوسف وقال بعيد
أن يظهر فى الكفار مثله ثم تلطف بنيه وقال لهم (ولا تيأسوا) أى تقنطوا (من روح الله)
قال ابن عباس من رحمة الله وقال قتادة من فضل الله وقال ابن زيد من فرج الله (انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون) أى الذين يقعون فى الكفر قال ابن عباس ان المؤمن من
الله على خير يرجوه فى البلاء ويحمده على الرخاء والكافر على الضد من ذلك فان اليأس من
رحمة الله لا يحصل الا اذا اعتقد الانسان أن اله العالم غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع
المعلومات أو ليس بكريم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر واذا كان
اليأس لا يحصل الا عند حصول أحد هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس
لا يحصل الا لمن كان كافرا وقرأ البزى بعد التاء من تيأسوا وبعد الياء من لا ييأس بألف
وبعدها ياء مفتوحة بخلاف عنه والباقون بهمزة مفتوحة قبلها ياء ساكنة * ولما قال
يعقوب عليه السلام لبنيه ذلك قبلوا منه هذه الوصية وعادوا الى مصر (فلما دخلوا عليه) أى
على يوسف عليه السلام (قالوا يا أيها العزيز) وكان العزيز لقب الملك مصر يومئذ (مسنا وأهلنا)
أى من خلفناهم وراءنا (الضر) أى الجوع الذى لا بعد لنا به لا نجدهما (وجئنا ببضاعة) وقالوا (مزجاة) اما
لنقصها أو لرداءتها أو لهما جميعا وقال الحسن البضاعة المزجاة القليلة واختلفوا فى تلك
الرداءة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة لا تقبل فى ثمن الطعام وقيل متاع الأعراب
الصوف والسمن وقيل الأقط وقيل النعال والأدم وقيل ان دراهم مصر كان ينقش فيها صورة
يوسف عليه السلام والدراهم التى جاؤا بها ما كان فيها ذلك فما كانت مقبولة عند الناس ثم
سبوا عن هذا الاعتذار لأنه أقرب الى رحمة أهل الكرم قولهم (فأوف لنا الكيل) أى شفقة
علينا بسبب ضعفنا (وتصدق) أى تفضل (علينا) زيادة على الوفاء كما عودتنا بفضل ترجو
ثوابه ولما رأوا أفعاله تدل على تمسكه بدين الله تعالى عللوا ذلك بقولهم (ان الله) أى الذى له
الكمال كله (يجزى المتصدقين) أى وان كانت على غنى قوى فكيف اذا كانت على أهل
الحاجة والضعف * (فائدة) * سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على نبى من الأنبياء
سوى نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال سفيان ألم تسمع قوله وتصدق علينا الآية يريد
أن الصدقة كانت حلالا لهم ولا بيهم وروى أن الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق على قال
ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبغى الثواب قل اللهم أعطنى وتفضل على (فان قيل) اذا
كان أبوهم أمرهم أن يتحسسوا من يوسف وأخيه فلم عادوا الى الشكوى (أجيب) بأن
المتحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال
وشدة الحاجة وذلك مما يرقق القلب فقالوا نجربه فى هذه الامور فان رق قلبه لنا ذكرنا له
المقصود والا سكتنا فقدموا هذه المقدمة قال أبو اسحق ذكر لى أنهم لما كلموه بهذا الكلام
أدركته الرقة على اخوته فارفض دمعه فباح بالذى كان يكتم فلهذا (قال) لهم (هل علمتم)

ايسوا أو يئسوا الى الرجوع عن وصيته (قوله ولما ان جاء البشير) اما هنا وفى العنكبوت آخر فى قوله ولما ان جاءت رسلنا لوطا وفى هود ولما ذكران وقال فى هود ولما جاءت رسلنا لوطا وفى

او كل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل ومعنى أجد ريح يوسف أشم وعبر بالوجود لانه وجدان
لحاسة الشم (لولا أن تفندون) اى تنسبونى الى الخرف قال أبو بكر الانبارى أفند الرجل
اذا خرف وتغير عقله وعن الاصمعى اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو مفند قال فى الكشاف
يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن فى شبيبتها ذات رأى حتى تفند فى كبرها
وقيل التفنيد الافساد يقال فندت فلانا اذا أفسدت رأيه ورددته قال بعضهم

يا صاحبى دعا لومى وتفنيدى * فليس ما فات من أمر بمردود

ولما ذكر يعقوب عليه السلام ذلك (قالوا) اى الحاضرون عنده (تالله انك لفى ضلالك) اى
خطئك (القديم) ليوسف لا تنساه ولا تذهل عنه على بعد العهد وهو كقول اخوة يوسف ان أبانا
لفى ضلال مبين وقال مقاتل معنى الضلال هنا الشقاء اى شقاء الدنيا والمعنى انك لفى شقائك
القديم بما تكابده من الاحزان على يوسف وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم ان
يوسف قد مات فكان يعقوب فى ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد والصواب ثم انهم جاءوا البشير
فاسرع قبل وصولهم بالقميص (فلما) زيدت (ان) لتأكيد على اتصال الفعلين وزيادتها
بعد لما قياس مطرد (جاء البشير) وهو يهوذا بذلك القميص (ألقاه) اى طرح البشير القميص (على
وجهه) اى يعقوب وقيل ألقاه يعقوب على وجه نفسه (فارتد) اى رجع (بصيرا) أى صيره الله
بصيرا كما كان كما يقال طالت النخلة والله تعالى هو الذى أطالها ولما ألقى القميص على وجهه
وبشر بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه فعند ذلك (قال)
لبنيه (ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان الله تعالى يجمع بيننا قال
السهيلى لما جاء البشير الى يعقوب عليه السلام أعطاه فى بشارته كلمات كان يرويها عن أبيه
عن جده عليهم السلام وهى يا لطيفا فوق كل لطيف الطف بى فى أمورى كلها كما أحب
ورضنى فى دنياى وآخرتى وروى ان يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف تركت يوسف
قال انه ملك مصر قال ما أصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن
تمت النعمة فعند ذلك (قالوا يا أبانا) منادين بالاداة التى تدل على الاهتمام العظيم بما بعدها لما
من عظيم الوقع (استغفر) اى اطلب من الله تعالى ان يغفر (لنا ذنوبنا) اى التى اقترفناها ثم
قالوا مؤكدين تحققا للاخلاص فى التوبة (انا كنا خاطئين) اى متعمدين للاثم [illegible]
فى أمر يوسف عليه السلام ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال صلى
الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فكأنه لم [illegible]
(قال سوف أستغفر لكم ربى) اى أطلب ان يغفر (لكم ربى) الذى أحسن الى بان [illegible]
حتى لا يفرق بينى وبينهم فى دار البقاء [illegible] على الاطلاق [illegible]
تعالى وظاهر هذا الكلام انه لم يستغفر لهم فى الحال بل وعدهم بان يستغفر لهم بعد ذلك
واختلفوا فى سبب هذا المعنى على وجوه فقال ابن عباس والاكثرون أراد ان يستغفر
لهم فى وقت السحر لان هذا الوقت أوفق الاوقات لرجاء الاجابة وفى رواية أخرى انه أخر
الاستغفار الى ليلة الجمعة لانها أوفق لاوقات الاجابة وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة
جمعة فى نيف وعشرين سنة وقال طاوس أخر الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء

وخروا له سجدا * فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا ليوسف والسجود لغير الله حرام (قلت) المراد انهم جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكرا لنعمة وجدان يوسف كما تقول سجدت

تكون مغفرة لمذنب النبوة كالعدم بالنسبة اليه فالايثار كان بالنبوة لما قالوا تالله
ثم قالوا (وان كنا لخاطئين) أي والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ولذلك اذلنا الله
تعالى لك فكأنه قيل ما قال لهم على قدرته وتمكنه مع ما سلف من اعمالهم القبيحة (قال) اى بحسب
قول الكرام اقتداء باخوانه من الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (لا تثريب) اى لا لوم
ولا تعنيف ولا هلاك (عليكم اليوم) وانما خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فاذا انتفى ذاك
فيه فما ظنك بما بعده ولما اعفاهم من التثريب كانوا في مظنة السؤال عن كمال العفو المزيل
للعقاب من الله تعالى فاتبعه الجواب عن ذلك بالدعاء لهم بقوله (يغفر الله) أي الذي لا اله غيره
(لكم) اى ما فرط منكم وعبر في هذا الدعاء بالمضارع ارشادا لهم الى اخلاص التوبة ودعمهم
في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران فقال (وهو) تعالى (أرحم الراحمين) فيرحم
العباد لا سيما التائب فهو جدير باذالة الهم روى أنهم أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك
وكرامتك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فقال ان اهل مصر ينظرون الي وان ملكت
فيهم بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن
بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من ذرية ابراهيم عليه السلام
ولما أقر أعينهم بهذا الاجتماع ثم بشرهم بأن الله ما يغشونه دنيا واخرى سأل عن أبيه فقال ما فعل
أبي بعدي قالوا ابيضت عيناه من الحزن فاعطاهم قميصه وقال (اذهبوا بقميصي هذا) وهو
قميص ابراهيم عليه السلام الذي لبسه حين ألقي في النار عريانا فأتاه جبريل بقميص من حرير
الجنة فالبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه
يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة من فضة وسد رأسها وعلقها في عنقه لما كان
يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقي في البئر عريانا جاءه جبريل وعلى يوسف ذلك
التعويذ فاخرج القميص والبسه اياه ففي هذا الوقت جاء جبريل عليه السلام وقال ارسل ذلك
القميص فان فيه ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا على مبتلى الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص
الى اخوته وقال (فالقوه على وجه أبي يأت) أي يصر (بصيرا) أي يرد اليه
بصره كما كان او يأت الي حال كونه بصيرا (وأتوني) أي أبي وانتم (بأهلكم) اى بنسائكم
وذراريكم (أجمعين) لا يتخلف منكم أحد فرجع حامل القميص لهذا القصد وروي ان يهوذا قال انا احمل
القميص ملطخا بالدم فاقول لا يحمله الا انا لافرحه كما احزنته فحمله وهو حاف حاسر من
مصر الى كنعان وبينهما ثمانون فرسخا (ولما فصلت العير) من عريش مصر وهو آخر بلاد
مصر الى اول بلاد الشام (قال ابوهم) لولد ولده ومن حوله من اهله وكلهم ينكرون
قوله (اني لاجد ريح يوسف) اوصلته اليه ريح الصبا باذن الله تعالى من مسيرة ثلاثة ايام او ثمانية
ايام او اكثر قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت
بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك
القميص قال اهل المعاني ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة
المحنة ومجيء وقت الفرج من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى
البلدتين من الاخرى في مدة ثمانين سنة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب

وكل

المنكورات التي ذكر فيها ان يتحد اثنان شرطا وجوابا مع ان ان ذكرت في احداهما وحذفت من الاخرى الان يقال انها اذا لم تذكر لم يلزم وقوع جواب لما لا (قوله

من قبل) والمراد منه قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين أي رأيتهم ساجدين لاجلي اي انهم سجدوا لله لطلب مصلحتي والسعي في اعلاء منصبي واذا كان هذا محتملا سقط السؤال قال الرازي وعندي أن هذا التأويل متعين لانه يبعد من عقل يوسف ودينه ان يرضى بان يسجد له ابوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة وانهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا شكرا لنعمة وجدانه فانه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال حسان

ما كنت أعرف ان الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن
أليس اول من صلى لقبلتكم * واعرف الناس بالآثار والسنن

ثم استأنف يوسف عليه السلام فقال (قد جعلها ربي) اي الذي رأيتها وصارت اليها (حقا) أي مطابقة للواقع لتأويلها وتأويل ما اخبرتني به أنت والتأويل تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام وعن سلمان رضي الله تعالى عنه ان ما بين رؤياه وتأويلها اربعون سنة وعن الحسن انه القي في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقي في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم وصل الى ابيه واقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فكان عمره مائة وعشرين سنة (وقد أحسن) اي اوقع احسانه (بي) تعديته بالباء مشيرة به من اتمام النعمة وتعديته احسن بالباء أدل على القرب من التعدية بالى وان كان أصل احسن ان يتعدى بالى كما قال تعالى وأحسن كما احسن الله اليك وقيل ضمن معنى لطف فتعدى بالباء كقوله تعالى وبالوالدين احسانا وقال (اذ أخرجني من السجن) ولم يذكر اخراجه من الجب لوجوه اولها انه قال لاخوته لا تثريب عليكم اليوم ولو ذكر واقعة الجب لكان ذلك تثريبا لهم فكان اهماله جاريا مجرى الكرم ثانيها أنه لما خرج من الجب لم يصر ملكا بل صير عبدا وانما صار ملكا بعد اخراجه من السجن فكان هذا الاخراج أقرب من أن يكون انعاما كاملا ثالثها انه لما اخرج من الجب وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمة المرأة فلما اخرج من السجن وصل الى ابيه واخوته فكان هذا أقرب الى المنة مع ان اللفظ محتمل للجب ايضا لكنه احتمال خفي ولما كان يعقوب وولده بارض كنعان ويتحولون الى البدو وقال ابن عباس ومنه قدم على يوسف قال يوسف عليه السلام (وجاء بكم من البدو) أي من اطراف بادية فلسطين وذلك من أكبر النعم كما جاء في الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة والبدو ضد الحاضرة وهو من الظهور يقال بدا يبدو اذا سكن في البادية ويروى عن عمر اذا بدونا جفونا اي تخلقنا باخلاق البدو وقال الواحدي البدو بسيط من الارض يظهر فيه الشخص من بعيد واصله من بدا يبدو بدوا ثم سمي المكان باسم المصدر وفي الآية دلالة على ان فعل العبد خلق الله تعالى لانه أضاف اخراجه من السجن الى الله تعالى ومجيئهم من البدو اليه (من بعد أن نزغ) أي افسد (الشيطان) بسبب الحسد (بيني وبين اخوتي) واصل النزغ دخول في امر لافساده (فان قيل) اضافة يوسف عليه السلام الخير الى الله تعالى والشر الى الشيطان تقتضي ان فعل الشر ليس من الله تعالى كما قاله بعض المبتدعة ولو كان منه لاضافه اليه (أجيب) بان اضافة هذا الفعل الى الشيطان مجاز لان الفاعل المطلق هو الله تعالى في الحقيقة قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا

(اذ اخرجني من السجن) وانما لم يذكر يوسف عليه السلام نعمة الله عليه في اخراجه من السجن دون اخراجه من الجب لانه لا تذكير لاعظم نعمة اخراجه من الجب كان اعظم

وقيل استغفر لهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني أداوم على هذا الاستغفار في
الزمان المستقبل وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي
على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما فعلوا في حق يوسف فاوحى الله تعالى اليه اني قد
غفرت لك ولهم أجمعين وعن الشعبي قال اسأل يوسف ان عفا عنكم استغفر لكم ربي (انه
هو الغفور الرحيم) كل ذلك تسكينا لقلوبهم وتصحيحا لرجائهم وروى أن يوسف عليه السلام
كان بعث مع البشير الى يعقوب عليه السلام مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتوا بيعقوب
وأهله وولده فتهيأ يعقوب عليه السلام للخروج الى مصر فخرج بهم فلما دنا من مصر كلم يوسف
الملك الذي فوقه فخرج يوسف عليه السلام والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء
وركب أهل مصر معهما بأجمعهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يهوذا
فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما دنا كل
واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فقال له جبريل لا حتى يبدأ يعقوب بالسلام
فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال الثوري لما التقى يعقوب ويوسف عليهما
السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ابيضت
عيناك ألم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بيني
وبينك فذلك قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى) أي ضم (اليه أبويه) قال الحسن أباه
وأمه وكانت حية وأكثر المفسرين على أنها كانت خالته لأن أمه قد ماتت في نفاس بنيامين قال البغوي وفي بعض التفاسير ان الله
تعالى أحيا أمه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر (فان قيل) ما معنى دخولهم عليه قبل مصر
(أجيب) بانه حين استقبلهم نزل بهم في خيمة أو بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه أبويه
(وقال) مكرما (ادخلوا مصر) اي البلد المعروف وأتى بالشرط للامن لا للدخول فقال (ان
شاء الله آمنين) من جميع ما ينوب حتى مما فرطتم في حقي وفي حق أخي وروى ان يعقوب عليه
السلام وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى
عليه السلام والمقاتلون منهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الصبيان
والشيوخ (و) لما استقرت بهم الدار بدخول مصر (رفع أبويه) اي أجلسهما معه (على
العرش) أي السرير الرفيع والرفع هو النقل الى العلو (وخروا له) اي انحنوا له أبواه واخوته
(سجدا) اي سجود انحناء وتواضع قد يسمى سجودا كقول الشاعر
* ترى الأكم فيها سجدا للحوافر * لا وضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان او أنهم وضعوا
الجباه وكان ذلك على طريقة التحية والتعظيم لا على طريقة العبادة وكان ذلك جائزا في الامم
السالفة فنسخت في هذه الشريعة وروى عن ابن عباس انه قال معناه خروا لله سجدا بين يدي
يوسف عليه السلام فيكون سجود شكر لله لاجل وجدان يوسف ويدل عليه قوله تعالى
ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وذلك يشعر بانهم صعدوا على السرير ثم سجدوا لله تعالى
ولو أنهم سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير لان ذلك أدخل في التواضع
(فان قيل) هذا التأويل لا يطابق قول يوسف عليه السلام (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي

وجعلت القبلة او اللام
للتعليل أي لأجله سجدوا لله
ومنه قوله رأيتهم لي ساجدين أي
الكواكب لاجلي
أي أنها سجدت لله لاجلي
مصلى والسعي فيه لا
مذهبا قوله وقيل حسن ب

كثيرة منها ان الطباء والبلغاء وان أطنبوا في مذمة الدنيا الا ان حاصل كلامهم يرجع الى
ثلاثة أمور احدها ان هذه السعادات سريعة الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل
عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها وثانيها انها غير خالصة بل هي ممزوجة
بالمنغصات والمكدرات وثالثها ان الاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت
حصة الاراذل أعظم بكثير من حصة الافاضل فهذه الجهات الثلاث منفرة عن هذه اللذات
ولما عرف العاقل انه لا يمكن تحصيل هذه اللذات الا مع هذه الجهات الثلاث المنفرة لاجرم
تمنى الموت ليتخلص عن هذه الآفات ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية قليلة وهي ثلاثة
أنواع لذة الاكل ولذة النكاح ولذة الرياسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة أما لذة الاكل
ففيها عيوب احدها ان هذه اللذة ليست لذة قوية فانه لا يمكن ابقاؤها فان الانسان اذا أكل
وشبع لم يبق فيه الالتذاذ بالاكل فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها غير باقية وثانيها انها
في نفسها خسيسة وان الاكل عبارة عن ترطيب ذلك الطعام بالبزاق المجتمع في الفم ولا شك انه شيء
منفر ولما يصل الى المعدة تظهر فيه الاستحالة الى الفساد والنتن والعفونة وذلك أيضا منفر
وثالثها ان جميع الحيوانات الخسيسة مشاركة فيها ورابعها ان الاكل انما يطيب عند
اشتداد الجوع والجوع نقص وآفة وخامسها ان الاكل مستحقر عند العقلاء حتى قيل من
كانت همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه فهذه اشارات مختصرة الى معايب
الاكل وأما لذة النكاح فما ذكرناه في الاكل حاصل هنا مع أشياء أخرى منها ان النكاح سبب
لحصول الولد وحينئذ تكثر الاشخاص فتكثر الحاجات الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى
الاحتيال في طلب المال بطرق لا نهاية لها وربما صار هالكا بسبب طلب المال وأما لذة الرياسة
فعيوبها كثيرة منها أن يكون على شرف الزوال في كل حين وأوان ومنها انه عند حصولها يكون في
الخوف الشديد من الزوال ومنها أنه يكون عند زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد
بسبب ذلك الزوال فالعاقل اذا تأمل في هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح له في طلب هذه اللذات
فيكون لقاء الله تعالى عنده أروح فيتمنى الموت وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ان
ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا
أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح
لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين (فان قيل) الانبياء عليهم
الصلاة والسلام يعلمون انهم يموتون لا محالة على الاسلام فكان هذا الدعاء حاصله طلب
تحصيل الحاصل وانه لا يجوز (أجيب) بان حال كمال المسلم أن يستسلم لحكم الله تعالى على
وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وتطمئن النفس وينشرح الصدر
وينفسح القلب في هذا الباب وهذه حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر والمطلوب
ههنا هو الاسلام بهذا المعنى (فان قيل) ان يوسف عليه السلام كان من أكابر الانبياء
والصلاح أول درجة المؤمنين فالواصل الى الغاية كيف يليق به أن يطلب البداية (أجيب)
بان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال يعني بان يلحقه بآبائه ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والمعنى ألحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم وولد ليوسف عليه السلام من امرأة

من الاشكال ولان قد كل
الحيوانات فيها وتمتع بها
لاتختص ببعضها لقوله لانه يطيب
على الحكم الدائم ولا يوجد في
صاحب كمال على ذلك كيف قال
بوجه ذلك الصلاح على بانك
في الايمان الاصلاح والاسلام

الله فقد ثبت بذلك ان الكل من عند الله تعالى وبقضائه وقدره وليس للشيطان فيه
مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك كما
حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى
ولما كان حصول الاجتماع بينه وبين اخوته وابويه مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ
البال وكان فى غاية البعد عن العقول الا أنه تعالى لطيف قال يوسف عليه السلام (ان ربى
لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها
فاذا أراد حصول الشئ سهل أسبابه فحصل وان كان فى غاية البعد عن الحصول (انه هو العليم)
بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) أى الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى
الحكمة روى ان يوسف عليه السلام طاف بأبيه فى خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال
يابنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال أمرنى جبريل
بذلك قال أوما تسأله قال أنت اقرب منى اليه فسأله فقال جبريل الله امرنى بذلك لقولك
واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى ولما حضر يعقوب عليه السلام الموت وصى يوسف
عليه السلام ان يحمله ويدفنه عند أبيه ففعل بنفسه فدفنه ثم عاد الى مصر وأقام بعده
ثلاثا وعشرين سنة ولما تم امره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه الى الملك الدائم فقال (رب قد
آتيتنى) وافتتح بقد لان الحال حال توقع السامع لشرح حال الرؤيا (من الملك) اى بعضه لعظم
بعدى منه جدا وهو ملك مصر (وعلمتنى من) اى بعض (تأويل الاحاديث) طبق ما بشرنى به
ابى واخبرت به أنت من التمكين والتعليم قبل قولك والله غالب على امره ثم ناداه بوصف جامع
للعلم والحكمة فقال (فاطر) أى خالق (السموات والارض) ثم اعلمه بما هو اعلم به منه من
انه لا يعول على غيره فى شئ من الاشياء (أنت ولى) اى الاقرب الى باطنا وظاهرا (فى الدنيا
والآخرة) اى لا ولى لى غيرك والولى يفعل لموليه الاصلح والاحسن فاحسن لى فى الآخرة
اعظم مما احسنت لى فى الدنيا روى أنه صلى الله عليه وسلم حكى عن جبريل عن رب العزة جل
وعلا أنه قال من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته افضل ما اعطى السائلين فلهذا المعنى من
أراد الدعاء لا بد وأن يقدم عليه ذكر الثناء على الله تعالى فهذا يوسف عليه السلام لما اراد ان
يذكر الدعاء قدم عليه الثناء وهو قوله رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث
فاطر السموات والارض ثم ذكر عقبه الدعاء وهو قوله (توفنى) اى اقبض روحى وافيا تاما فى
جميع امرى حسا ومعنى حال كونى (مسلما) ولما كان المسلم حقيقة من كان عريقا فى
الاخلاص عقبه بقوله (وألحقنى بالصالحين) ونظيره ما فعله الخليل عليه السلام فى قوله الذى
خلقنى فهو يهدين من ههنا الى قوله رب هب لى حكما ثناء على الله تعالى ثم من قوله رب هب لى
حكما الى آخر الكلام دعاء فكذا ههنا *(تنبيه)* اختلف فى قوله توفنى مسلما هل هو طلب
منه للوفاة أم لا فقال قتادة سأل ربه اللحوق به ولم يتمن نبى قط الموت قبله وكثير من المفسرين
على هذا القول وقال ابن عباس فى رواية عطاء يريد اذا توفيتنى فتوفنى على الاسلام فهذا
طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب الوفاة واللفظ صالح
للامرين ولا يبعد فى الرجل العاقل اذا كمل عقله أن يتمنى الموت وتعظم رغبته فيه لوجوه

(قلت) لان محنة الحبس كانت عنده اعظم لطول مدتها ولمصاحبته الاوباش واعداء الدين فيه بخلاف محنة الجب لقصر مدتها ولكون الانيس له جبريل عليه السلام وغيره

معرضون) اى لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون اذ لو تأملوا فى الدلائل على نبوتك فان العالم مملوء
من دلائل التوحيد والقدرة والحكمة ثم انهم يمرون عليها ولا يلتفتون اليها ● ولما كان ربما
قيل كيف يوصفون بالاعراض وهم يعتقدون ان الله تعالى فاعل هذه الآيات بين ان
اشراكهم مسقط لذلك بقوله تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله) حيث يقرون بانه الخالق الرازق
(الا وهم مشركون) بعبادة الاصنام قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لكنهم
كانوا يثبتون شريكا فى العبودية وعن ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى تلبية مشركى
العرب كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنون
الاصنام وعنه ايضا ان اهل مكة قالوا الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوحدوا
بل اشركوا وقال عبدة الاصنام ربنا الله وحده والاصنام شفعاؤنا عنده وقالت اليهود ربنا الله
وحده وعزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله
وحده وهؤلاء اربابنا وقال المهاجرون والانصار ربنا الله وحده لا شريك له ولما كان اكثر
هؤلاء لا ينقادون الا بالعذاب قال تعالى (أفأمنوا) انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد (أن
تأتيهم) فى الدنيا (غاشية) اى نقمة تغشاهم وتشملهم (من عذاب الله) اى الذى له الامر كله
كما اتى من ذكرنا قصصهم من الامم (او تأتيهم الساعة بغتة) أى فجأة وهو [illegible]
وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) أى بوقت اتيانها قبله كالتأكيد لقوله بغتة ● ولما كان صلى الله
عليه وسلم مبلغا عن الله تعالى امره أن يأمرهم باتباعه بقوله تعالى (قل) يا احق الخلق
وأصفاهم وانقاهم نصحا واخلاصا (هذه) اى الدعوة الى الله تعالى التى ادعو اليها (سبيلى)
أى طريقتى التى ادعو اليها الناس وهى توحيد الله تعالى ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لانه
الطريق المؤدى الى ثواب الجنة (ادعو الى الله) اى الى توحيده والايمان به (على بصيرة) اى
حجة واضحة وقوله (انا) تأكيد للمستتر فى ادعو وعلى بصيرة لانه حال منه [illegible]
بصيرة وقوله (ومن اتبعنى) اى من آمن بى وصدق بما جاء به [illegible]
واصحاب [illegible] الى الله [illegible] الى الله [illegible]
ويجوز [illegible] يكون على بصيرة [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
ما يدعون اليه (فائدة) [illegible]
أى وقل سبحان (الله) تنزيها لله تعالى عما يشركون به (وما انا من المشركين) أى الذين اتخذوا
مع الله ضدا وندا ولما قال اهل مكة للنبى صلى الله عليه وسلم هلا بعث الله ملكا قال تعالى (وما
ارسلنا من قبلك) الى المكلفين (الا رجالا) اى مثل ما انك رجل لا ملائكة [illegible] كما قال ابن
عباس ولا من الجن كما قاله الحسن (نوحى اليهم) اى بواسطة الملائكة مثل ما يوحى اليك وقرأ
حفص قبل الواو بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وضم الهاء من اليهم حمزة
على اصله وكسرها الباقون (من اهل القرى) أى من اهل الامصار والمدن المبنية بالمدر
والحجر ونحوه لا من اهل البوادى لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل واعقل من اهل
البوادى ومكة ام القرى لانها مجمع جميع الخلائق لما أمروا به من حج البيت وكان العرب كلهم

الايمان والشرك لا يجتمعان (قلت) هذا [illegible] وأكثرهم [illegible] عبادة الاوثان [illegible] المنافقون [illegible]

العزيز ثلاثة افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليهم السلام ولما تاقت نفسه الى الملك الخالد وتمنى الموت فلم يأت عليه أسبوع حتى توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا وتشاح الناس في دفنه فطلب أهل كل محلة أن يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يتفرق الماء بمصر ليجري عليه الماء وتصل بركته الى جميعهم قال عكرمة دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فاخصب ذلك الجانب واجدب الآخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان الى أن اخرجه موسى عليه السلام ودفنه بقرب آبائه بالشام وقد يسر الله تعالى زيارته وزيارة آبائه في عام شرعت في هذا التفسير سنة أربع وستين وتسعمائة جمعني الله تعالى وآبائي وأهلي واصحابي وأحبابي معهم في دار كرامته ولما تم الذي كان من أمر يوسف عليه السلام واخوته على الوجه الاحكم والصراط الاقوم من ابتدائه الى انتهائه قال تعالى مشيرا الى أنه دليل كاف في صحيح نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله (ذلك) اي الذي ذكرته لك يا محمد من قصة يوسف عليه السلام وما جرى له مع اخوته ثم صار الى الملك بعد الرق (من أنباء الغيب) اي اخبار ما غاب عنك (نوحيه اليك) اي الذي اخبرناك به من اخبار يوسف وحي اوحيناه اليك (و) الحال انك (ما كنت لديهم) اي عند اخوة يوسف عليه السلام (اذ) اي حين (اجمعوا امرهم) اي عزموا على أمر واحد وهو القاء يوسف في الجب (وهم يمكرون) اي يدبرون الاذى في الخفية بيوسف والمعنى ان هذا النبأ غيب لانه صلى الله عليه وسلم ما طالع الكتب ولا تتلمذ لاحد ولا كانت البلدة بلدة العلماء واتيانه صلى الله عليه وسلم بهذه القصة الطويلة على وجه لا يقع فيه تحريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن غير أن يقال انه عاصرهم لابد وأن يكون معجزا وقوله تعالى وما كنت لديهم ذكر على سبيل التهكم بهم لان كل أحد يعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم ولما سألت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نقله أبو حيان عن ابن الانباري عن قصة يوسف عليه السلام فنزلت مشروحة هذا الشرح الشافي مبينة هذا البيان الوافي فأمل صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك سبب اسلامهم فخالفوا تأميله عزاه الله تعالى بقوله (وما أكثر الناس) أي اهل مكة (ولو حرصت) على ايمانهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر وكان ذلك اشارة الى ما ذكر الله تعالى في قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم نفى عنه التهمة بقوله تعالى (وما تسألهم عليه) اي على تبليغ هذا الكتاب الذي أوحيناه اليك واغرق في النفي فقال (من اجر) حتى يكون سؤالك سببا لان يتهموك او يقولوا لولا انزل عليه كنز يستغني به عن سؤالنا ثم نفى عن هذا الكتاب كل غرض دنيوي بقوله تعالى (ان هو الا ذكر) اي عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة ثم ان الله تعالى اخبر عنهم انهم لما تأملوا الآيات الدالة على توحيده تعالى بقوله تعالى (وكأين) أي وكم (من آية) دالة على وحدانية الله تعالى (في السموات) كالنيرين وسائر الكواكب والسحاب وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى (والارض) من الجبال والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى (يمرون عليها) اي يشاهدونها (وهم عنها

قاله الطوافا المحمودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتطلبا للاصفة وطلبا للثواب (قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ه ان قلت كيف قال ذلك مع ان

من كل شيء (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) أي
يصدقون وخصهم بالذكر لأنهم هم الذين انتفعوا به كقوله تعالى هدى للمتقين فسبحان من أنزله
معجزاً باهراً وقاضياً بالحق لا يزال ظاهراً وما رواه البيضاوي تبعاً للكشاف من أنه صلى الله
عليه وسلم قال علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه
هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد أحداً حديث موضوع والله أعلم

سورة الرعد مكية

الا ولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسلاً الآية أو مدنية إلا ولو أن
قرآناً سيرت به الجبال وهي ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية وعدد كلماتها
ثمانمائة وخمس وخمسون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف
(بسم الله) الملك الذي كل ما عداه باطل (الرحمن) الذي عم بالرغبة والرهبة لعموم الرحمة
(الرحيم) الذي خص من شاء بما يرضاه لتمام الرهبة (المر) قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم
وأرى وقال في رواية عطاء أنا الله الملك الرحمن وقد تقدم الكلام على شيء من أوائل الحروف
أول سورة البقرة وقرأ قالون وابن كثير وحفص بالفتح وقرأ ورش بين بين والباقون بالإمالة
(تلك) أي هذه الآيات (آيات الكتاب) أي القرآن والإضافة بمعنى من وقيل المراد بالكتاب
السورة الكاملة ووصفت بالكمال من تعريف الكتاب بأل لأن خبر المبتدأ إذا عرف بلام
الجنس أفاد المبالغة وقوله تعالى (والذي أنزل إليك من ربك) أي القرآن مبتدأ خبره
(الحق) أي الموضوع كل شيء منه في موضعه على ما تقتضيه الحكمة الواضح الذي لا يتخلف
شيء منه عن مطابقة الواقع من بعث ولا غيره (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة
(لا يؤمنون) لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه قال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا إن
محمداً يقوله من تلقاء نفسه فرد الله تعالى عليهم بذلك [illegible] ولما ذكر تعالى أن أكثر الناس لا
يؤمنون ذكر عقبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد بأمور أحدها قوله تعالى (الله الذي رفع
السموات بغير عمد) أي سوار جمع عمود كأديم وأدم أو عماد كإهاب وأهب والعمود
جسم مستطيل يمنع المرتفع أن يميل (ترونها) أي وأنتم ترون السماء مرفوعة بغير عمد من تحتها
تسندها ولا من فوقها علاقة تمسكها [illegible] قال إياس بن معاوية السماء
مقببة على الأرض مثل القبة إن ذلك دلالة عظيمة على وحدانية الله تعالى لأن هذه الأجسام
العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل أن يكون بقاؤها بأعيانها أو لذاتها فهذا
برهان باهر على وجود الإله القادر القاهر وقيل الضمير راجع إلى العمد أي إن لها عمداً
ولكن لا ترونها ثم من قال بهذا القول يقول إن عمدها على جبل قاف وهو جبل من زبرجد
محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة قال الرازي وهذا التأويل
في غاية السقوط لأن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأي دلالة تبقى فيها على
وجود الإله (تنبيه) الله مبتدأ والذي رفع السموات خبره ويجوز أن يكون الموصول
صفة والخبر يدبر الأمر ثانياً وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير والقهر

في الأنكار بالفاء في قوله
هنا أظهر أن ثانيهم
غاشية وفي الحج في خاوية
على عروشها وفي آخر غافر
فأي آيات الله تنكرون
وما في الفاء في الأخيرة

[illegible] والإمالة [illegible]

بآثارها كيف تعبدوا في حقك قال الحسن لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم وجفائهم ثم
هددهم سبحانه وتعالى بقوله تعالى (أفلم يسيروا) أي هؤلاء المشركون المكذبون (في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين للرسل والآيات فيحذروا تكذيبك
ويعتبروا بهم وبما حل بهم من عذابنا ولما أن الله تعالى نجى المؤمنين عند نزول العذاب
بالأمم الماضية المكذبة وما في الآخرة خير لهم بين ذلك بقوله تعالى (ولدار الآخرة) أي ولدار
الحال الآخرة أو الساعة الآخرة أو الحياة الآخرة (خير) وهي الجنة (للذين اتقوا) الله
من حياة ما لأنها الموت وإن فرحوا فيها بالحال وإن امتدت ألف عام وكان عيشها كله رغدا
من غير آلام (أفلا يعقلون) فيستعملون عقولهم فيتبعون الداعي إلى هذا السبيل الأقوم
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لأهل مكة والباقون بالياء على الغيبة لهم
وللمشركين المكذبين وقوله تعالى (حتى إذا استيأس الرسل) غاية لمحذوف دل عليه الكلام
أي لا يغررهم تمادي أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل من النصر عليهم في الدنيا
ومن إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفين متمادين فيه من غير وازع (وظنوا) أي أيقن
الرسل (أنهم قد كذبوا) بالتشديد كما قرأه غير حمزة وعاصم والكسائي تكذيبا لا إيمان بعده
وأما بالتخفيف كما قرأه هؤلاء فالمعنى أن الأمم ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من
النصر عليهم (جاءهم نصرنا) لهم بخذلان أعدائهم (فنجي من نشاء) أي النبي والمؤمنون وقرأ
ابن عامر وعاصم بنون مضمومة بعدها جيم مشددة وياء بعد الجيم مفتوحة والباقون بنونين
الأولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم وسكون الياء (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن
القوم المجرمين) أي المشركين إذا نزل بهم ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه القصص وحث على
الاعتبار بها بقوله أفلم يسيروا أتبعه بأن في أحاديثهم أعظم عبرة فقال حثا على تأملها
والاستبصار بها (لقد كان في قصصهم) أي يوسف وإخوته أو في قصص الرسل (عبرة) أي عظة
عظيمة (لأولي الألباب) أي لذوي العقول المبرأة من شوائب الكدر يعتبرون بها إلى
ما يسعدهم لأن من قدر على ما قص من أمر يوسف عليه السلام لقادر على أن يعز محمدا صلى
الله عليه وسلم ويعلي كلمته وينصره على من عاداه كائنا من كان كما فعل بيوسف وغيره ولما
كان من أجل العبرة في ذلك القطع بحقية القرآن نبه تعالى على ذلك بتقدير سؤال فقال تعالى
(ما كان حديثا يفترى) أي يختلق لأن الذي جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم
لا يصح منه أن يفتريه لأنه لم يقرأ الكتب ولم يتلمذ لأحد ولم يخالط العلماء فمن المحال أن يفتري
هذه القصة بحيث تكون مطابقة لما ورد في التوراة من غير تفاوت كما يعلم من قوله تعالى
(ولكن تصديق الذي بين يديه) أي من الكتب الإلهية المنزلة من السماء كالتوراة والإنجيل
ففي ذلك إشارة إلى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف
عليه السلام (و) زاد على ذلك بقوله (تفصيل) أي تبيين (كل شيء) أي يحتاج إليه من الدين
إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند من القرآن بوسط أو بغير وسط وقيل المراد تفصيل كل شيء من
واقعة يوسف مع أبيه وإخوته قال الواحدي وعلى التفسيرين جميعا هو من العام الذي أريد
به الخاص كقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء أي يجوز أن يدخل فيها وقوله تعالى وأوتيت

قولا ويشركون بقلوبهم
اعتقادا (قوله أفلم يسيروا
في الأرض) قاله هنا وفي
الحج وفي آخر غافر بالفاء
وفي الروم وفاطر وأول
غافر بالواو لأن ما في الثلاثة
الأول تقدمه التعجب

قدرته من رفع السماء بغير عمد وأحوال الشمس والقمر أردفه بذكر الدلائل الارضية بقوله تعالى (وهو الذى مد الارض) أى بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولو شاء لجعلها كالجدار والازج لا يستطاع القرار عليها هذا اذا قلنا ان الارض مسطحة لا كرة وعند أصحاب الهيئة أنها كرة فكيف يقولون بذلك ومد الارض ينافى كونها كرة كما ثبت بالدليل (أجيب) بان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت فى غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح كما أن الله تعالى جعل الجبال أوتادا مع أن العالم من الناس يستقرون عليها فكذلك ههنا ومع هذا فان الله تعالى قد أخبر أنه مد الارض ودحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى أصدق قيلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة هذا هو الدليل الاول من الدلائل الارضية الثانى منها قوله (وجعل) أى وخلق (فيها) أى الارض (رواسى) أى جبالا ثوابت واحدها راسية أى ثابتة باقية فى حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك ولا يتحرك ما هى راسية فيه وهذا لابد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم قال ابن عباس أول جبل وضع على وجه الارض جبل أبى قبيس ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسى صارت الصفة تغنى عن الموصوف فجمعت جمع الاسم كحائط وكاهل قاله أبو حيان الثالث منها قوله تعالى (وأنهارا) أى وجعل فى الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق والنهر المجرى الواسع من مجارى الماء وأصله الاتساع ومنه النهار لاتساع ضيائه الرابع منها قوله تعالى (ومن كل الثمرات) وهو متعلق بقوله تعالى (جعل فيها) أى الارض (زوجين اثنين) أى وجعل فيها من جميع أنواع الثمار صنفين اثنين والاختلاف اما من حيث الطعم كالحلو والحامض أو اللون كالاسود والابيض أو الحجم كالصغير والكبير أو الكيفية كالحار والبارد (فان قيل) الزوجان لابد وأن يكونا اثنين فما الفائدة فى اثنين (أجيب) بانه قيل انه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم أن المراد النوع أو الشخص فلما قال اثنين علم أنه تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد فكما أن الناس وان كان فيهم الآن كثرة فابتداؤهم من زوجين اثنين بالشخص آدم وحواء فكذا القول فى جميع الاشجار والزروع الخامس منها قوله تعالى (يغشى) أى يغطى (الليل) بظلمته (النهار) أى النهار المضىء بضوئه فيصير كل منهما على ما قدره الله تعالى لهما فى الدهر من الزيادة والنقصان وذلك من الحكم الدالة على التدبير والدنيا الظاهرة لكل ذى عقل انها بتدبيره بفعله واختياره وقهره واقتداره وقرأ شعبة وحمزة والكسائى بفتح الغين وتشديد الشين والباقون بسكون الغين وتخفيف الشين ولما ذكر تعالى هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة ختمها وناطها بالتفكر فقال تعالى (ان فى ذلك) أى الذى وقع الحديث عنه من الآيات (لآيات) أى دلالات (لقوم يتفكرون) أى يجتهدون فى الفكر فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر والتدبر تصرف القلب فى طلب معانى الاشياء ثم انه تعالى ذكر دليلا ظاهرا جدا بقوله تعالى (وفى الارض) أى التى أنتم سكانها تشاهدون منها مشاهدة لا تقبل الشك (قطع) اى بقاع مختلفة (متجاورات) اى متقاربات يقرب بعضها من بعض واحدة طيبة والاخرى سبخة لا تنبت

دونه لا يفهمون شيء

سورة الرعد

(قوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ختم الآية هنا بيتفكرون لان [illegible] المذكور فى [illegible]

والقدرة أي ان من فوق العرش الى ما تحت الثرى في حفظه وتدبيره وفي الاحتياج اليه
وتقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما فيه كفاية وثانيها قوله تعالى (وسخر) أي ذلل
(الشمس والقمر) لمنافع خلقه مقهوران يجريان على ما يريد (كل) منهما (يجري) في فلكه
(لأجل مسمى) أي الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وعند مجيء ذلك الوقت
تنقطع هذه الحركات وتبطل تلك التسييرات كما وصف الله تعالى ذلك في قوله اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وعن ابن
عباس للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم انها تعود مرة
أخرى الى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا
فالمراد بقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى هذا وتحقيقه أنه تعالى قدر لكل واحد من تلك
الكواكب سيرا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء وحينئذ يلزم أن يكون لها
بحسب كل لحظة ولمحة حالة أخرى ما كانت حاصلة قبل ذلك ٭ ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل
قال (يدبر الامر) أي يقضي أمر ملكه من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة والاغناء
والافقار ويدخل فيه انزال الوحي وبعثة الرسل وتكليف العباد وفي ذلك دليل عجيب على كمال
القدرة والرحمة وذلك لان هذا العالم المعلوم من اعلى العرش الى ما تحت الثرى أنواع
وأجناس لا يحيط بها الا الله عز وجل والدليل المذكور دل على أن اختصاص كل واحد منها
بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس الا من الله تعالى ومن المعلوم أن من اشتغل
بتدبير شيء آخر فانه يشغله شأن عن شأن فالعاقل اذا تأمل في هذه الآية علم أنه تعالى يدبر عالم
الاجساد وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن
تدبير وذلك يدل على أنه تعالى متعال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته عن مشابهة المحدثات
والممكنات ٭ ولما كان هذا بيانا شافيا لا لبس فيه قال تعالى (يفصل) أي يبين (الآيات) التي
برزت الى الوجود وتدبيره الدالة على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة على ما يدعاه
فيفرقها ويباين بينها ابانة لا لبس فيها تقريبا لعقولكم وتدريبا لفهومكم لتعلموا أنها فعل
الواحد المختار ٭ ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل دالا على تمام القدرة وغاية الحكمة
وكان البعث لفصل القضاء والحكم بالعدل واظهار العظمة هو محط الحكمة علل ذلك بقوله
(لعلكم) يا أهل مكة (بلقاء ربكم) بالبعث (توقنون) فتعلموا أن من قدر على خلق هذه
الاشياء وتدبيرها على عظمها وكثرتها قادر على ايجاد الانسان واحيائه بعد موته يروى أن
واحدا قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة
فقال كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسمع نداءهم ويجيب دعاءهم الآن دفعة واحدة
وحاصل الكلام أنه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجو
العالي لا يبعد أن يرد الارواح الى الاجساد وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه أن يدبر من
فوق العرش الى ما تحت الثرى لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله
شأن عن شأن ٭ (تنبيه) ٭ اليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهي سكون
الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك ٭ ولما ذكر تعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال

قوله تقدمه التعبير بالواو في
قوله في الروم أولم يتفكروا
في أنفسهم وفي فاطر أولم
نعمركم وفي أول غافر
وأنذرهم يوم الآزفة وما
تخفي الصدور والله يقضي
بالحق والذين يدعون من

العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى
عليه خافية وقرأ أبو عمرو وخلاد والكسائي بادغام الباء في الفاء والباقون بالاظهار
(تنبيه) هنا آيتان في كل منهما همزتان فقرأ قالون بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية
ويدخل بينهما ألفا على الاستفهام وفي الآية الثانية بهمزة مكسورة وبعدها نون مشددة
على الخبر وورش كذلك الا أنه لا يدخل بين الهمزتين في أئذا ألفا وينقل في الثاني على أصله
وابن كثير يقرأ بالاستفهام فيهما من غير ادخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الاولى وتسهيل
الثانية فيهما وأبو عمرو كذلك مع ادخال ألف بينهما وابن عامر في الاول بهمزة مكسورة بعدها
ذال مفتوحة على الخبر وفي الثاني بهمزة مفتوحة محققة وهمزة مكسورة محققة على
الاستفهام وأدخل هشام بينهما ألفا بخلاف عنه والباقون بهمزتين محققتين الاولى
مفتوحة والثانية مكسورة ولا ألف بينهما في الموضعين *(فائدة)* جميع ما في القرآن من
ذلك أحد عشر موضعا في تسع سور والاحد عشر مكررة فتصير اثنين وعشرين في هذه
السورة موضع والثاني والثالث في سورة الاسراء والرابع في المؤمنون والخامس في النمل
والسادس في العنكبوت والسابع في السجدة والثامن والتاسع في الصافات والعاشر
في الواقعة والحادي عشر في النازعات وأذكر ان شاء الله تعالى في كل سورة من السور
المذكورة مذهبهم في محله (أولئك) أي البعيدون في أنواع البعد عن كل خير (الذين
كفروا بربهم) أي تمادوا في الكفر بسبب الاستهانة بالذي ابتدأ خلقهم ثم رباهم بأنواع
اللطف فاذا أنكروا قدرته على اعادتهم فقد أنكروا ربهم (وأولئك) البعداء البغضاء (الاغلال) يوم
القيامة (في أعناقهم) بسبب كفرهم والغل طوق من حديد تقيد به اليد الى العنق وقيل المراد
بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الاسير الذليل بالغل وقيل انهم مقيدون بالاغلال
لا يرجى فكاكهم (وأولئك) أي الذين لا خسارة أعظم من خسارتهم (أصحاب النار هم فيها
خالدون) أي ثابت خلودهم دائما لا يخرجون منها ولا يموتون * ولما كان صلى الله عليه وسلم
يهددهم تارة بعذاب يوم القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب يوم القيامة
أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهي التي تقدم ذكرها في الآية الاولى وكلما
هددهم بعذاب الدنيا قالوا فجئنا بهذا العذاب وطلبوا منه اتيانه انكارا على سبيل
الطعن واظهار ان الذي يقوله كلام لا أصل له نزل (ويستعجلونك) أي استهزاء وتكذيبا
والاستعجال طلب التعجيل وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدر له (بالسيئة) أي العذاب
(قبل الحسنة) أي الرحمة وذلك أن مشركي مكة كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم *(تنبيه)* قوله قبل الحسنة فيه
وجهان أحدهما متعلق بالاستعجال ظرفا له والثاني أنه متعلق بمحذوف على أنه حال مقدرة
من السيئة قاله أبو البقاء (وقد) أي والحال أنه قد (خلت من قبلهم المثلات) جمع مثلة بفتح
الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها
(وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) والا لم يترك على ظهرها دابة كما قال تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس معناه لذو تجاوز عن

من في السموات ومن في الارض وفي الصلوات لله ويسجد ما في السموات وما في الارض (قلت) لانه ... من ... الرعد والبرق والسحاب ... ثم الاحكام ...

وأخرى صالحة للزرع لا للشجر وأخرى بالعكس وأخرى قليلة الريع وأخرى كثيرته مع انتظام الكل في الارضية وهو من دلائل قدرته تعالى (وجنات) أي بساتين فيها أنواع الاشجار من نخيل وأعناب وغير ذلك كما قال تعالى (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو أبيه يعني أنهما من أصل واحد (وغير صنوان) أي متفرقات مختلفة الاصول وسمى البستان جنة لانه يستر بأشجاره الارض وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص برفع العين واللام والنون الثانية من صنوان والراء من غير مع التنوين في العين واللام والنون وعدم التنوين في الراء والباقون بالخفض في الاربعة وعدم التنوين في الراء ولما كان الماء بمنزلة الاب والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف مع اتحاد الاب والام أعجب وأدل على الاسناد الى الواحد المسبب لا الى شيء من الاسباب قال (تسقى) قراءة ابن عامر وعاصم بالياء على التذكير أي المذكور وقراءة الباقين بالتاء على التأنيث أي الجنات وما فيها (بماء واحد) فتخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا تتأخر عنه ولا تتقدم والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الارواح (ونفضل بعضها على بعض في الاكل) أي في الطعم ما بين حلو وحامض وغير ذلك وفي الشكل والرائحة والمنفعة وغير ذلك وذلك أيضا مما يدل على القادر الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار قال مجاهد وذلك كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم وكانت الارض طينة واحدة في يد أي في قدرة الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقرأ حمزة والكسائي بالياء لمطابق قوله تعالى يدبر الامر والباقون بالنون وقرأ نافع وابن كثير بسكون الكاف والباقون بالرفع (ان في ذلك) أي الامر العظيم الذي ذكرناه (لآيات) أي دلالات (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم بالتدبر والتفكر في الآيات الدالة على وحدانيته تعالى ● ولما ذكر تعالى الدلائل القاهرة الدالة على معرفة المبدا ذكر بعده ما يدل على المعاد بقوله تعالى (وان تعجب) أي يا أكرم الخلق من تكذيب الكفار لك بعد ان كنت تعرف عندهم بالصادق الامين (فعجب) أي حقيق أن يتعجب منه (قولهم) أي منكري البعث (أئذا كنا ترابا) أي بعد الموت (أئنا لفي خلق جديد) أي نخلق بعد الموت كما كنا قبله ولم يعلموا أن القادر على انشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على اعادتهم (وقيل) وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع اقرارهم بأن الله تعالى خلق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد رأوا قدرة الله تعالى وما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم ذلك والعجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقال المتكلمون

انعقله والسبب مقدم على المسبب فناسب تقدم التفكر على التعقل (قوله وقد يسجد من في السموات والارض) ● ان قلت كيف قال ذلك هنا وقال في الحج ان الله يسجد له

نفسه (ومن جهر به) أي أظهره فقد استوى في علمه تعالى المسر بالقول والجاهر به (ومن هو مستخف) أي مستتر (بالليل) أي بظلامه (وسارب) أي ظاهر بذهابه في سربه (بالنهار) والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال ابن عباس وانما أضمرته القلوب وأظهرته الالسنة وقال مجاهد سواء من يقدم على القبائح في ظلمات الليل ومن يأتي بها في النهار الظاهر على سبيل التوالي والتعري (له) يعود الى من في قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل أو للانسان (معقبات) أي ملائكة تعتقبه والذي عليه الجمهور أن المراد بالملائكة الحفظة وانما صح وصفهم بالمعقبات اما لاجل أن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يتعقبون أعمال العباد ويتبعونها بالحفظ والكتب وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقبه فعلى هذا المراد من المعقبات ملائكة الليل والنهار روى عن عثمان أنه قال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك فقال صلى الله عليه وسلم ملك عن يمينك للحسنات وهو أمير على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين اكتب قال لا لعله أن يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فاذا قال ثلاثا قال اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله واستحياءه منا فهو قوله تعالى له معقبات (من بين يديه) أي قدامه (ومن خلفه) أي وراءه وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لربك رفعك وان تجبرت قصمك وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة على محمد لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك ٣ فهذه عشرة أملاك على كل آدمي ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فهم عشرون ملكا على كل آدمي وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله تعالى وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك موكل يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته (فان قيل) الملائكة ذكور فلم ذكر في جمعها جمع الاناث وهو المعقبات (أجيب) بجوابين الاول قال الفراء المعقبات ملائكة معقبة ثم جمعت معقبة معقبات كما قيل أبناوات ورجالات جمع أبناء ورجال والذي يدل على التذكير قوله تعالى يحفظونه والثاني وهو قول الاخفش انما أنثت لكثرة ذلك منها نحو نسابة وعلامة واختلفوا في المراد من قوله تعالى (من أمر الله) على أقوال أحدها انه على التقديم والتأخير والتقدير له معقبات من أمر الله يحفظونه ثانيها ان فيه اضمارا أي ذلك الحفظ من أمر الله أي مما أمر الله تعالى به فحذف الاسم وأبقى خبره ثالثها ان كلمة من معناها الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وباعانته وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أي يحفظون عليه الحسنات والسيئات (فان قيل) ما الفائدة في تخصيص هؤلاء الملائكة مع بني آدم وتسليطهم عليهم (أجيب) بأن الانسان اذا علم أن الملائكة تحصي عليه أعماله كان الى الحذر من المعاصي أقرب لان من اعتقد جلالة الملائكة وعلو مراتبهم فاذا حاول الاقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونه زجره الحياء منهم عن الاقدام عليها كما يزجره اذا حضر من يعظمه من البشر

٣ قوله فهذه عشرة الخ عبارة العلامة عبد السلام على الجوهرة وعدها الطبراني أن عثمان سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلين بالآدمي فقال لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه وآخر عن شماله واثنان من بين يديه ومن خلفه واثنان على جبينه [illegible]

٣ قوله [illegible] الذي يدل على [illegible]

المشركين اذا آمنوا (وان ربك لشديد العقاب) للمصرين على الشرك الذين ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم فى تأخير العذاب عنهم وشديد العقاب اذا عاقب * ولما بين سبحانه وتعالى أن الكفار طعنوا فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم بسبب طعنهم فى الحشر والنشر أولا ثم طعنوا فى نبوته بسبب طعنهم فى صحة ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستئصال ثانيا ثم طعنوا فى نبوته بأن طلبوا منه المعجزة والبينة ثالثا وهو المذكور فى قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أى مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم أنكروا كون القرآن من جنس المعجزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر الكتب واتيان الانسان بتصنيف معين وكتاب معين لا يكون معجزا مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم راغبا فى اجابة مقترحاتهم لشدة التفاته الى ايمانهم قال الله تعالى له (انما أنت منذر) أى ليس عليك الا الانذار والتخويف وليس عليك اتيان الآيات (ولكل قوم هاد) أى نبى يدعوهم الى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون وقرأ ابن كثير فى الوقف بياء بعد الدال وفى الوصل بغير ياء وتنوين الدال والباقون بغير ياء فى الوقف والوصل مع تنوين الدال * ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أخبرهم الله تعالى عن عظيم قدرته وكمال علمه بقوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل انثى) من ذكر وغيره وواحد ومتعدد وغير ذلك (وما تغيض) أى تنقص (الارحام) من مدة الحمل (وما تزداد) أى من مدة الحمل فقد تكون سبعة أشهر وأزيد عليها الى سنتين عند الامام ابى حنيفة والى أربع عند الامام الشافعى والى خمس عند الامام مالك رضى الله تعالى عنهم وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقى فى بطن أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما وقيل ما تنقصه الرحم من الاولاد وتزيد منهم روى ان شريكا كان رابع أربعة فى بطن أمه وقيل من نقصان الولد فيخرج ناقصا والزيادة تمام خلقه وقيل ما تنقص بالسقط عن ان يتم وما يزداد بالتمام وقيل ما تنقص بظهور دم الحيض وذلك انه اذا سال الدم فى وقت الحمل ضعف الولد ونقص بمقدار حصول ذلك قال ابن عباس كلما سال الحيض فى وقت الحمل يوما زاد فى مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر والآية تحتمل جميع ذلك اذ لا تنافى فى هذه الاقوال ويدل لذلك قوله تعالى (وكل شئ) من هذا وغيره من الآيات المقترحات وغيرها (عنده) اى فى علمه وقدرته (بمقدار) فى كيفيته وكميته لا يجاوزه ولا يقصر عنه لانه تعالى عالم بكيفية كل شئ وكميته على الوجه المفصل المبين * (تنبيه) * قوله تعالى عنده يجوز أن يكون مجرور المحل صفة لشئ أو مرفوعه صفة لكل أو منصوبه ظرفا لقوله بمقدار أو ظرفا للاستقرار الذى تعلق به الجار لوقوعه خبرا (عالم الغيب) وهو ما غاب عن كل مخلوق (والشهادة) وهو ما شاهدوه وقيل الغيب هو المعدوم والشهادة هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر فى الحس (الكبير) أى العظيم (المتعال) عن خلقه بالقهر المنزه عن صفات النقص فهو تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وقرأ ابن كثير فى الوقف والوصل بياء بعد اللام والباقون بغير ياء وقفا ووصلا * ولما كان علمه تعالى شاملا لجميع الاشياء قال تعالى (سواء منكم) أى فى علمه تعالى (من أسر القول) أى أخفى معناه فى

الاصنام والكفار فبدأ بذكر من فى السموات لتقدم ذكرهم واتبعهم من فى الارض ولم يذكر من فيها استخفافا بالاصنام والكفار وفى الحج تقدم ذكر المؤمنين وسائر الاديان فقدم ذكر من فى السموات لشرفهم ثم قال ومن فى الارض لتقدم ذكر المؤمنين وفى النحل تقدم ذكر ما خلقه الله عاما ولم يكن فيه ذكر الملائكة والرعد ولا الانس =

بحمداته وفي بعضها أنه ملك يسمى به وهو الذي تسمعون صوته وقد مرت الاشارة الى ذلك في البقرة
وقيل هؤلاء الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعوانا فهم خائفون خاضعون طائعون
وقيل المراد بهم جميع الملائكة وهو الاظهر وقوله تعالى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي
العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من تصيبه (فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون
في الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب أشد في الخصومة روي أن
عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله
فأخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله تعالى على أربد صاعقة فقتلته ورمى عامر بغدة
فمات في بيت سلولية فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت [illegible] الرواية نزلت وعن الحسن
أنه قال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه مم هو
أمن ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعتى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم
ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم على مقالته الاولى وقال أجيب محمدا الى رب لا أراه
ولا أعرفه فانصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى وأخبث فقال ارجعوا اليه
فرجعوا فبينما هم عنده ينازعونه ويدعونه وهو يقول هذه المقالة اذ ارتفعت سحابة فكانت
فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس فجاؤا يسعون ليـ
خبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله [illegible]
فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من أين علمتم قالوا أوحى الله تعالى الى النبي [illegible]
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله (وهو شديد المحال) [illegible]
المفسرون في قوله تعالى وهو شديد المحال قال علي رضي الله عنه شديد الاخذ وقال ابن عباس
شديد الحول وقال مجاهد شديد القوة [illegible]
تعالى (له) أي لله (دعوة الحق) فقال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله
الا الله وقال الحسن الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق (والذين يدعون) [illegible]
الكفار (من دونه) أي غير الله وهي الاصنام (لا يستجيبون) أي الاصنام (لهم) أي [illegible]
(بشيء) مما يطلبونه من نفع أو دفع ضر (الا) أي الا استجابة (كباسط) [illegible]
(كفيه الى الماء) أي على شفير البئر يدعوه (ليبلغ فاه) أي بارتفاعه من البئر اليه (وما هو) أي
الماء (ببالغه) أي فاه أبدا لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته فكذلك ما هم [illegible]
لهم أبدا لأن أصنامهم كذلك وقيل [illegible] واذا قلنا فائدة دعائهم لا آلهتهم كمن أراد أن يغرف الماء
بيده ليشرب فبسط كفيه ناشرا أصابعه ولم يصل كفاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من
شربه ثم انه تعالى عم في أنه لا يستجاب لهم بقوله تعالى (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي
ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم وقيل المراد
بالدعاء في الآية العبادة وقوله تعالى (ولله يسجد من في السموات والارض) يحتمل أن يراد به

وإذا علم أن الملائكة تحصي عليه ذلك لأجل كان ذلك أيضا رادعا له عنها وإذا علم أن الملائكة
يكتبونها كان الردع أكمل ولما دل ذلك على غاية القدرة والعظمة قال تعالى (إن الله) مع
قدرته (لا يغير ما بقوم) أي لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما) أي الذي (بأنفسهم) من الأحوال
الجميلة إلى الأحوال القبيحة (وإذا أراد الله بقوم سوءا) أي هلاكا وعذابا (فلا مرد له) أي
لا يقدر أحد لا من المعقبات ولا من غيرها أن يرد ما نزل بهم من قضائه وقدره (وما لهم) أي إن
أراد الله بهم سوءا (من دونه) أي غير الله (من وال) يلي أمرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم
وقرأ ابن كثير في الوقف بإثبات الياء بعد اللام دون الوصل والباقون بغير ياء بعد اللام وقفا
ووصلا ولما خوف الله تعالى بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا أتبعه بذكر آيات تشبه النعم
والإحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه بقوله تعالى (هو
الذي يريكم البرق خوفا) أي للمسافرين من الصواعق (وطمعا) أي للمقيم في المطر وقيل
إن كل شيء يحصل في الدنيا يحتمل الخير والشر فهو خير بالنسبة إلى قوم وشر بالنسبة إلى آخرين
كذلك المطر خير في حق من يحتاج إليه في أوانه وشر في حق من يضره ذلك إما بحسب المكان
وإما بحسب الزمان والبرق معروف وهو لمعان يظهر من بين السحاب (وينشئ) أي يخلق
(السحاب الثقال) أي بالمطر (تنبيه) خوفا وطمعا مصدران ناصبهما محذوف أي
تخافون خوفا وتطمعون طمعا ويجوز غير ذلك والسحاب قال علي بن أبي طالب رضي الله
تعالى عنه غربال الماء وهو غيم ينسحب في السماء وهو اسم جنس جمعي واحده سحابة وأكثر
المفسرين على أن الرعد في قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده) على أنه اسم للملك الذي يسوق
السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه ولا يرد ذلك عطف الملائكة عليه في قوله تعالى
(والملائكة) أي تسبحه (من خيفته) أي الله لأنه أفرد بالذكر تشريفا له كما في قوله تعالى
وملائكته ورسله وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود على النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب قال ابن الأثير والمخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلف ويضرب
به الصبيان بعضهم بعضا وهي آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه وقد جاء تفسيره المخراق
في حديث آخر وهو سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب وعن ابن عباس أنه قال من سمع
صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير
فإن أصابته صاعقة فعلي ديته وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك
الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفي بعض الأخبار يقول
الله تعالى لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل وأطلعت الشمس عليهم بالنهار ولم
أسمعهم صوت الرعد وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يؤمر
٣ وإنه يحوز الماء في نقرة إبهامه وإنه يسبح الله تعالى إذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته
بالتسبيح فعندها ينزل المطر وعن الحسن أن الرعد خلق من خلق الله ليس بملك وقد اختلفت
الروايات في ذلك ففي بعضها أنه ملك موكل بالسحاب وفي بعضها أنه ملك ينعق بالغيث
كما ينعق الراعي بغنمه وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادي الإبل

بحداثه

بالصريح فاقتضت الآية ما في السموات وما في الأرض فقال في كل آية ما يناسبها (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) قاله هنا وفي القصص والعنكبوت والروم بإسقاط الله وفي الإسراء وفي سبأ في موضعين

٣ قوله وإنه يحوز كذا في النسخة المطبوعة وفي بعض النسخ وأنه يحوز على صيغة جمع يحوز اهـ مصححه

فقال تعالى (قل) لهؤلاء المشركين (الله خالق كل شئ) أى مما يصح أن يكون مخلوقا فهو من
العموم الذى يراد به الخصوص فلا يدخل فى ذلك صفات الله تعالى واذا كان لا خالق غيره فلا
يشاركه فى العبادة أحد فوجب أن يتفرد بالالهية كما قال تعالى (وهو الواحد) أى الذى لا يجانسه
شئ وكل ما سواه لا يخلو عن مماثل يماثله وأين رتبة من يماثل من رتبة من لا مثل له (القهار) الذى
كل شئ تحت قهره فيدخل تحت قضائه ومشيئته وارادته ثم ضرب تعالى مثلا للحق والباطل
بقوله تعالى (أنزل من السماء) أى السحاب أو السماء نفسها (ماء) أى مطرا (فسالت أودية) أى
أنهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه
وتنكيرها لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع (بقدرها) أى بقدرها الذى علم الله تعالى أنه
نافع غير ضار أو بمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا رابيا) أى عاليا عليه وهو ما على
وجهه من قذر ونحوه (ومما يوقدون عليه فى النار) أى من جواهر الارض كالذهب والفضة
والنحاس والحديد (ابتغاء) أى طلب (حلية) أى زينة (أو متاع) أى ينتفع به كالاوانى اذا
أذيبت وآلات الحرب والحرث والمقصود من هذا بيان منافعها (زبد مثله) أى مثل زبد السيل
وهو خبثه الذى ينفيه الكير ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حفص وحمزة والكسائى بالياء
على الغيبة على أن الضمير للناس واضماره للعلم به والباقون بالتاء على الخطاب (كذلك) أى مثل
هذا الضرب العلى الرتب المتين السبب (يضرب الله) أى الذى له الامر كله (الحق والباطل)
أى مثلهما فانه تعالى مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث فى الارض بأن يثبت بعضه فى منابعه
ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار ومثل الباطل فى قلة نفعه وسرعة
زواله بزبدهما وهو قوله تعالى (فأما الزبد) أى من السيل وما أوقد عليه من الجواهر (فيذهب
جفاء) قال أبو حيان منصوب على الحال أى مضمحلا متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له وقال ابن الانبارى متفرقا
[illegible] على الحال (وأما ما ينفع الناس) من الماء من الجواهر الذى هو مثل الحق (فيمكث
فى الارض) أى يبقى ثابتا فيها لينتفع به أهلها (كذلك) أى مثل ذلك الضرب (يضرب) أى يبين
(الله) الذى له الاحاطة الكاملة بالعلم والقدرة (الامثال) فيجعلها فى قوالب الوضوح وان كانت فى
غاية الغموض قال أهل المعانى هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل وان علا على
الحق فى بعض الاوقات والاحوال فان الله تعالى يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد
الذى يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى الماء الصافى الذى ينتفع به وكذلك الصفو من هذه
الجواهر يبقى ويذهب الخلو الذى هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض
كذلك الحق والباطل وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الماء الصافى
الذى ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كمثل الزبد الذى لا ينتفع به البتة ثم انه
تعالى لما ذكر الحق والباطل ذكر ما لاهلهما من الثواب والعقاب فقال تعالى (للذين استجابوا
لربهم) أى أجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد والعدل والنبوة وبعث الاموات والتزام
الشرائع الواردة على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (الحسنى) قال ابن عباس ٣ وقال أهل
المعانى الحسنى هى المنفعة العظمى فى الحسن وهى المنفعة الخالصة عن شوائب المضرة الدائمة

[illegible] الذكور فيها امر جاوزناه
[illegible] من عباده
فى [illegible] وان كان افاد
موافقة الاول [illegible]
الرزق فيه [illegible]
[illegible]
لانه نزل فى [illegible]
[illegible] الكافر [illegible]

٣ قوله قال ابن عباس وقال
أهل المعانى هكذا بالاصل
فلينظر ما قاله ابن عباس
اه مصححه

السجود على حقيقته وهو وضع الجبهة وعلى هذا فيكون قوله تعالى (طوعا) للملائكة والمؤمنين من الثقلين حالتي الشدة والرخاء وقوله تعالى (وكرها) للكافرين والمنافقين الذين أكرهوا على السجود بالسيف وأن يراد به التعظيم والاعتراف بالعبودية فكل من في السموات والارض معترف بعبودية الله تعالى كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وأن يراد به الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل * (تنبيه) * قوله تعالى طوعا وكرها اما مفعول من أجله واما حال أي طائعين وكارهين واختلف في تفسير قوله تعالى (وظلالهم بالغدو) أي البكر (والآصال) أي العشايا أي تسجد فقال أكثر المفسرين كل شخص سواء كان مؤمنا أو كافرا فان ظله يسجد لله قال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله تعالى وهو طائع وظل الكافر يسجد لله تعالى وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري ولا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال عقولا وأفهاما تسجد بها لله وتخشع وقيل المراد من سجود الظلال ميلها من جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس وهي منقادة مستسلمة في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين * (تنبيه) * الغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع الاصل والاصل جمع أصيل وهو ما بين العصر الى غروب الشمس * ولما بين تعالى ان كل من في السموات والارض ساجد لله تعالى عدل الى الرد على عباد الاصنام بقوله تعالى (قل) يا أشرف الخلق على الله تعالى لقومك (من رب السموات والارض) أي من مالكهما وما فيهما ومدبرهما وخالقهما (قل الله) أي أجب عنهم بذلك ان لم يقولوه ولا جواب لهم غيره ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه ولقنهم الجواب به وروي أنه لما قال للمشركين ذلك عطفوا عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله تعالى فأجاب بذلك ثم ألزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام بقوله تعالى (قل) لهم (أفاتخذتم من دونه) أي غير الله (أولياء) أي أصناما تعبدونها (لا يملكون لانفسهم نفعا) يجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه فكيف يملكون لكم ذلك وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال في أتخذتم عند التاء والباقون بالادغام ثم ضرب الله تعالى مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن وانما مثل الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا فكذلك الكافر لا يهتدي سبيلا * ثم ضرب الله مثلا للايمان والكفر بقوله تعالى (أم هل تستوي الظلمات) أي الكفر (والنور) أي الايمان الجواب لا وقرأ شعبة وحمزة والكسائي يستوي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث وأما اللام من هل هنا فلا تدغم على القراءتين (أم جعلوا لله شركاء) والهمزة للانكار وقوله تعالى (خلقوا كخلقه) صفة شركاء أي خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا (فتشابه الخلق) أي خلق الشركاء بخلق الله (عليهم) من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله ولا ما خلق آلهتهم فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم وهذا استفهام انكار أي ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق * ولما كان من المعلوم قطعا أن جوابهم ان الخالق كله الله لزمتهم الحجة

افقه الله تعالى في السور
الاربع ولتقدم ذكر افقه
الرزق او اضح الثلاثة
ولتقدم ذكر الاضمار في
الشورى وزاد في العنكبوت
من عباده وهو موافقة لبسط
الكلام على الرزق

زيادة حقيقة والثاني يبارك له في عمره فكأنه قد زيد فيه وعن ابن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا انقطعت
رحمه وصلها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تأتي يوم القيامة لها ألسنة ذلقة الرحم
تقول أي رب قطعت والامانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي رب كفرت وعن
الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من خراسان قال اتقوا
الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو أحسن كل الاحسان وكانت له دجاجة فأساء اليها لم
يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أي وعيده عموما [illegible]
(ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) اى
على طاعة الله تعالى وعن معاصيه وفي كل ما تكرهه النفس [illegible] قال ابن عباس صبروا على أمر
الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن الملاذ [illegible]
الكل واحد [illegible] (ابتغاء)
اى طلب (وجه ربهم) أي رضاه لا لطلب غيره من جزاء أو سمعة أو رياء [illegible]
الدنيا أو نحو ذلك (وأقاموا الصلاة) اى المفروضة وقيل [illegible]
والنفل (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة [illegible] الزكاة
فالاولى أن يؤديها سرا وان كان يتهم بترك أدائها فالاولى أن يؤديها علانية وقيل المراد بالسر
صدقة التطوع وبالعلانية الزكاة وقيل المراد بالسر ما يؤديه من الزكاة بنفسه وبالعلانية
ما يدفعه الى الامام (ويدرؤن) أي يدفعون (بالحسنة السيئة) كالجهل بالحلم والاذى بالصبر
روى عن ابن عباس قال يدفعون بالصالح من العمل السيء من العمل [illegible]
الحسنات يذهبن السيئات وقال صلى الله عليه وسلم [illegible]
السر بالسر والعلانية بالعلانية وعن عقبة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [illegible]
الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من قدر عفا وعن ابن كيسان اذا أذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا [illegible]
أن شقيقا البلخي دخل على ابن المبارك متنكرا فقال له من أين أنت فقال من بلخ فقال هل
تعرف شقيقا قال نعم فقال وكيف طريقة أصحابه قال اذا منعوا صبروا واذا أعطوا شكروا
فقال ابن المبارك طريقة كلابنا هكذا فقال شقيق وكيف ينبغي أن يكون الامر فقال
الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا واذا أعطوا آثروا (أولئك) أي الموصوفون بما ذكر (لهم
عقبى الدار) وبينها تعالى بقوله (جنات عدن) أي اقامة لا انفكاك لها يقال عدن بالمكان اذا
أقام به ثم استأنف بيان تمكنهم بها بقوله تعالى (يدخلونها) ولما كانت الدار لا تطيب بدون
الاحبة قال تعالى عاطفا على الضمير المرفوع (ومن صلح من آبائهم) أي الذين كانوا سببا في

(قلت) المعنى قال الامام ان الله أنزل على [illegible] آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة لكن الاضلال والهداية من الله [illegible]

الخالصة عن الانقطاع المقرونة بالتعظيم والاجلال ولم يذكر تعالى الزيادة ههنا لانه تعالى ذكرها
في سورة أخرى وهي قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة هذا مآل اهل الحق وأما مآل اهل
الباطل فهو ما ذكره بقوله جل من قائل (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة فلهم أنواع ثلاثة
من العذاب والعقوبة فالنوع الاول قوله تعالى (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به) أي جعلوه فكاك أنفسهم بغاية جهدهم لان المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته
وكل ما سواه فهو انما يحبه لكونه وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضرر والالم
والتعب وكان مالكا لما يساوي عالم الاجناس والارواح فانه يرضى بأن يجعله فداء نفسه لان
المحبوب بالعرض لابد وأن يكون فداء لما كان محبوبا بالذات والكناية في به عائدة الى ما في قوله
ما في الارض والنوع الثاني من أنواع العذاب الذي أعده الله تعالى لهم ما ذكره بقوله تعالى
(أولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه وعن النخعي بأن يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر
منه شيء وانما نوقشوا لانهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن
معشوقهم الذي هو الدنيا وبقوا محرومين من الفوز بسعادة خدمة المولى والنوع الثالث من
عقوباتهم ما ذكره بقوله تعالى (ومأواهم) أي مرجعهم (جهنم) وذلك لانهم كانوا غافلين
عن الاشتغال بخدمة المولى عاشقين للذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيحترقون على
مفارقتها وليس عندهم شيء آخر يجبر هذه المصيبة فلذلك كان مأواهم جهنم ثم انه تعالى وصف
هذا المأوى بقوله عز من قائل (وبئس المهاد) اي الفراش والمخصوص بالذم محذوف أي
جهنم ونزل في حمزة وأبي جهل وقيل في عمار وأبي جهل (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك
الحق) أي يؤمن به ويعمل بما فيه وهو حمزة أو عمار رضي الله تعالى عنهما (كمن هو أعمى) أي
أعمى البصيرة ولا يؤمن به ولا يعمل بما فيه وهو أبو جهل قال ابن الخازن في تفسيره وحمل الآية
على العموم أولى وان كان السبب خصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن هو
لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشده (انما
يتذكر) اي يتعظ (أولو الالباب) أي أصحاب العقول الذين يطلبون من كل صورة معناها
ويأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون من ظاهر كل حديث الى سره ولبابه (الذين يوفون بعهد
الله) أي ما عاقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله تعالى اليهم
في كتبه (ولا ينقضون الميثاق) أي ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبينهم وبين
العباد فهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) أي من الايمان والرحم
وغير ذلك والاكثرون على أن المراد به صلة الرحم عن أبي موسى ان عبد الرحمن بن عوف عاد أبا
الدرداء فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يحكي عن ربه تعالى
أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال
بتته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه
ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الاجل وفيه قولان أحدهما وهو المشهور أنه يزاد في عمره

لفظه له في غير العنكبوت
وفي أول موضعي سبأ
اختصارا (قوله قل ان الله
يضل من يشاء ويهدي اليه
من أناب) ان قلت كيف
طابق هذا الجواب قوله
لولا أنزل عليه آية من ربه

زيادة

البغضاء (لهم اللعنة) أى الطرد والبعد (ولهم سوء الدار) والدار لهم هى جهنم وليس لهم فيها الا ما يسوء الصائر اليها وانما حكم تعالى على من نقض عهده فى قبول التوحيد والنبوة بانهم ملعونون فى الدنيا ومعذبون فى الآخرة فكأنه قيل لو كانوا أعداء الله تعالى لما فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات فى الدنيا فأجاب الله تعالى بقوله تعالى (الله يبسط الرزق) أى يوسعه (لمن يشاء ويقدر) أى يضيقه على من يشاء سواء فى ذلك الطائع والعاصى ولا تعلق لذلك بالكفر والايمان فقد يوجد الكافر موسعا عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن موسعا عليه دون الكافر فالدنيا دار امتحان ولما كانت السعة مظنة الفرح الا لمن وفقه الله تعالى قال الله تعالى (وفرحوا) أى كفار مكة فرح بطر (بالحياة الدنيا) أى بما نالوه فيها لا فرح سرور بفضل الله والعافية عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا) أى بكمالها (فى الآخرة) أى فى جنبها (الا متاع) أى حقير متلاشى [illegible] الراكب وهى ما يتعجله من تمرات أو شربة ماء سويق أو نحو ذلك (ويقول الذين كفروا) [illegible] (لولا) أى هلا (أنزل عليه) أى على هذا الرسول (آية) أى علامة بينة (من ربه) أى المحسن اليه كالعصا واليد للموسى والناقة لصالح لنهتدى بها فنؤمن به وأصرّوا على ذلك [illegible] (قل) أى لهؤلاء المعاندين (ان الله يضل من يشاء) اضلاله فلا تغنى عنه الآيات شيأ [illegible] كل آية (ويهدى) أى يرشد (اليه) أى الى دينه (من أناب) أى رجع اليه كالذين [illegible] عن غيهم من العشرة المشهود لهم بالجنة وغيرهم ولو سألتم الله تعالى [illegible] الآيات ولكن تضرعوا الى الله تعالى فى طلب الهداية وقوله تعالى (الذين آمنوا) بدل من أناب أو خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن) أى تسكن (قلوبهم بذكر الله) [illegible] وريبا منه أو بذكر رحمته ومغفرته [illegible] الدالة على وجوده أو بالقرآن الذى هو أقوى المعجزات [illegible] [illegible] (فان قيل) قد قال الله تعالى [illegible] اذا ذكر الله [illegible] والوجل ضد الاطمئنان فكيف [illegible] بانهم اذا ذكروا العقاب والحساب أن يقصروا على المعاصى [illegible] وعدم بالثواب والرحمة [illegible] [illegible] (الا [illegible]) الذى له الجلال والاكرام لا بغيره (تطمئن) أى تسكن (القلوب) [illegible] تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) [illegible] فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال [illegible] خير لهم وكرامة وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية قال الرازى وهذا القول ضعيف لانه ليس فى القرآن الا العربى لا سيما واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر وعن أبى هريرة وأبى الدرداء ان طوبى شجرة فى الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة فى جنة عدن أصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح

[illegible margin note]

اتحادهم فيشمل ذلك الآباء والامهات وان علوا (وأزواجهم وذرياتهم) أي الذين تسببوا عنهم والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم ويقال ان من أعظم موجبات سرورهم أن يجتمعوا فيتذاكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص منها والفوز بالجنة ولذلك قال الله تعالى في صفة أهل الجنة انهم يقولون ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وفي ذلك دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقترن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع وفسر ابن عباس الصلاح بالتصديق فقال يريد من صدق بما صدقوا وان لم يعمل مثل أعمالهم قال الرازي قوله وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو ماتت عنه وما روي عن سودة أنه لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله أحشر في جملة نسائك كالدليل على ما ذكرنا اهـ وعلى هذا من تزوجت بغيره قيل انها تخير بينهما ثم زاد تعالى في ترغيبهم بقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم) لان الاكثار من تردد رسل الملك أعظم في الفخر وأكثر في السرور والعز ولما كان اتيانهم من الاماكن المعتادة مع القدرة على غيرها أدل على الادب والكرم قال تعالى (من كل باب) قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم (سلام عليكم) أي فأضمر القول هنا لدلالة الكلام عليه (بما صبرتم) على أمر الله والباء السببية أي بسبب صبركم أو البدلية أي بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه (فان قيل) بم يتعلق قوله بما صبرتم قال الزمخشري بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم وقال البيضاوي متعلق بعليكم أو بمحذوف لا بسلام فان الخبر فاصل مع أن الزمخشري قال ويجوز أن يتعلق بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم وهذا أظهر ورد الاول بأن الممنوع منه انما هو المصدر المؤول بحرف مصدري وفعل والمصدر هنا ليس كذلك ه ولما تم ذلك تسبب عنه قوله تعالى (فنعم عقبى الدار) وهي المسكن في قرارها بما بالابنية التي يحتاج اليها والمرافق التي ينتفع بها والعقبى الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خير أو شر والمخصوص بالمدح محذوف أي عقباكم ولما ذكر تعالى صفات السعداء وما يترتب عليها من الاحوال الشريفة العالية أتبعها بذكر أحوال الاشقياء وذكر ما يترتب عليها من الاحوال المخزية المكربة وأتبع الوعد بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان كاملا فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله) أي فيعملون بخلاف موجبه والنقض التفريق الذي ينفي تأليف البناء (من بعد ميثاقه) أي الذي أوثقه عليهم من الاقرار والقبول (ويقطعون ما) أي الذي (أمر الله به أن يوصل) وذلك في مقابلة قوله من قبل والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل فجعل من صفات هؤلاء القطع بالضد من ذلك الوصل والمراد به قطع ما يوجب الله تعالى وصله أي لما له من المحاسن الجلية والخفية التي هي عين الصلاح ويدخل في ذلك وصل الرسول صلى الله عليه وسلم بالموالاة والمعاونة ووصل المؤمنين ووصل الارحام ووصل سائر من له حق (ويفسدون) أي يوقعون الفساد (في الارض) أي فساد كان منها بالظلم وتهييج الفتن والدعاء الى غير دين الله تعالى (أولئك) أي البعداء

البغضاء

والمعجزات أو هو كلام جرى مجرى التعجب من قولهم لان الآيات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على النبي صلى الله عليه وسلم كانت أكثر من ان تشتبه على العاقل فلما طلبوا بعدها آيات أخر

الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبق من علمنا فيهم (فان قيل) لم حذفت
التاء في قوله تعالى أو كلم به الموتى وثبتت في الفعلين قبله (أجيب) بانه من باب التغليب لان الموتى
يشمل المذكر والمؤنث (بل لله الامر) اى القدرة على كل شئ (جميعا) وهذا اضراب عما تضمنه
لو من معنى النفي اى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لكن الارادة لم تتعلق
بذلك لعلمه تعالى بانه لا يلين قلوبهم ويزيد لذلك قوله تعالى (افلم ييأس الذين آمنوا) من ايمانهم
مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم الى أن معناه افلم يعلم الذين آمنوا (أن) اى بانه (لو يشاء
الله) اى الذى له صفات الكمال (لهدى الناس جميعا) اى الى الايمان من غير آية ولكنه تعالى
لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا) اى جميع الكفار (تصيبهم بما) اى
بسبب ما (صنعوا قارعة) اى نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلاء تارة بالجدب وتارة بالسلب
وتارة بالقتل وتارة بالاسر وغير ذلك واختلف في الكفار على قولين فقيل أراد به جميع
الكفار لان الوقائع الشديدة التي وقعت لبعض الكفار من [illegible] توجب حصول الغم في قلب
الكل وقيل المراد الكفار من أهل مكة والالف واللام للعهد السابق ويدل لهذا قول
ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (او تحل)
اى تنزل ولابستها القارعة (قريبا من دارهم) [illegible] عن أبي [illegible] او تحل
أنت يا محمد بجيشك قريبا من دارهم مكة كأهل الحديبية (حتى يأتي وعد الله) بالنصر
والظفر ورسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] بفتح مكة أو بالنصر على جميع الكفرة وقيل نزول
عيسى عليه السلام [illegible] على الارض كافر [illegible]
القيامة لان الله [illegible] (ان الله لا يخلف الميعاد) [illegible]
كلامه تعالى ولما كان الكفار [illegible]
[illegible]
[illegible] (ولقد استهزئ برسل من قبلك) [illegible]
[illegible] (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
تعالى [illegible] على المشركين [illegible] وما يكون [illegible]
فقال تعالى (أفمن هو قائم) أى رقيب (على كل نفس بما كسبت) اى عملت من خير وشر وهو
الله تعالى القادر على كل الممكنات العالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات ولا بد لهذا
الكلام من جواب فان من موصولة صلتها هو قائم والموصول مرفوع بالابتداء وخبره
محذوف تقديره كمن ليس بهذه الصفة وهي الاصنام التي لا تنفع ولا تضر ودل على هذا المحذوف
قوله تعالى (وجعلوا لله شركاء) ونظيره قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الآية تقديره
كمن قسا قلبه يدل عليه قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وانما حسن حذفه كون الخبر
مقابلا للمبتدأ وقد جاء مبينا كقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله تعالى (قل سموهم) فيه

أفمن هو رقيب على كل نفس صالحة وطالحة يعلم ما كسبت من خير وشر [illegible] كمن ليس كذلك [illegible] لا تضر ولا تنفع [illegible]

الله تعالى بانواع التسبيح وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية ابن قرة عن أبيه يرفعه طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة وفي رواية عن أبي هريرة انه قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تفتق لعبدي عما يشاء فتتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتتفتق له عن راحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وقيل طوبى فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضم ما قبلها مصدر الطاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا (وحسن مآب) أي حسن المنقلب (كذلك) أي مثل ارسال الرسل الذين قدمنا الاشارة اليهم في آخر سورة يوسف ولغيرها (أرسلناك في أمة) أي جماعة كثيرة (قد خلت من قبلها) أي تقدمتها (أمم) طال اذاهم لانبيائهم ومن آمن بهم واستهزاؤهم بهم في عدم الاجابة حتى كأنهم تواصوا بهذا القول فليس ببدع ارسالك اليهم (لتتلو) أي لتقرأ (عليهم) أي على أمتك (الذي أوحينا اليك) من القرآن وشرائع الدين (وهم) أي والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) أي بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شئ وقال قتادة هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعني مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن أي انهم يكفرون به ويجحدونه قال البغوي والمعروف ان الآية مكية وسبب نزولها ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد ان الرحمن الذي أنكرتم معرفته (هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت) أي اعتمدت عليه في أموري كلها (واليه متاب) أي مرجعي ومرجعكم روي ان أهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرض الاسلام عليهم فقال له عبد الله بن أمية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى يتفسح المكان علينا واجعل لنا فيها أنهارا نزرع فيها وأحي لنا بعض اموتانا لنسألهم أحق ما تقول ام باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى وسخر لنا الريح حتى نركبها الى البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان فلست بأهون على ربك من سليمان فنزل قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) اى نقلت عن أماكنها (او قطعت) اى شققت (به الارض) من خشية الله تعالى عند قراءته فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) أي بأن يحيوا وجواب لو محذوف أي لكان هذا القرآن لانه في غاية ما يكون من الصحة واكتفى بمعرفة السامعين مراده وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقيل تقديره لما آمنوا ونقل عن الفراء ان جواب لو هي الجملة من قوله وهم يكفرون ففي الكلام تقديم وتأخير وما بينهما اعتراض وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به

لمن كان على خلاف
صفتكم (قوله أفمن هو قائم
على كل نفس بما كسبت)
فان قلت كيف طابقه قوله
وجعلوا لله شركاء
(قلت) فيه محذوف تقديره

لاغير وفي ترتيب النظم اطماع للمتقين واقناط للكافرين واختلف في قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) على قولين الاول انهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالكتاب القرآن (يفرحون بما انزل اليك) من أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والاحكام والقصص (ومن الاحزاب) اى الجماعات من اليهود والنصارى وسائر الكفار (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة فان قيل) الاحزاب ينكرون كل القرآن (أجيب) بانهم لا ينكرون كل ما في القرآن لانه ورد فيه اثبات الله تعالى واثبات علمه وقدرته وحكمته وأقاصيص الانبياء والاحزاب لا ينكرون كل هذه الاشياء والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة وباهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام واصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثمانية من اليمن واثنان وثلاثون من أرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه والاحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكره في القرآن فرحوا به فانزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه يعني مشركي مكة حين كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعني مسيلمة فانزل الله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون ثم انه تعالى لما بين هذا جمع كل ما يحتاج المرء اليه في معرفة المبدا والمعاد وبينه بالفاظ قليلة فقال (قل) اى يا اكرم الخلق على الله تعالى (انما أمرت) اى وقع الى الامر الجازم الذى لا شك فيه ولا تغير من له الامر كله (ان اعبد الله) اى وحده ولذلك قال (ولا أشرك به) شيأ (اليه) وحده (أدعوا واليه مآب) أى مرجعي للجزاء لا الى غيره (وكذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم (أنزلناه) أى القرآن (حكما) والحكم فصل الامر على الحق (عربيا) بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن حكما لان فيه جميع التكاليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وروى ان المشركين كانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم الى ملة آبائه فوعده الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب بان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله تعالى عنها بقوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) أى الكفار فيما يدعونك اليه من ملتهم (بعد ما جاءك من العلم) أى بانك على الحق وان قبلتك هي الكعبة (ما لك من الله من ولي) أى ناصر (ولا واق) اى مانع من عذابه قال ابن عباس الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ونزل لما عير الكفار النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا) أى نساء ينكحونهن فكان لسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة (وذرية) أى أولادا فانت مثلهم وكانوا يقولون أيضا لو كان رسولا من عند الله لكان أى شئ طلبناه منه من المعجزات أتى به فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أى بارادته لان المعجزة الواحدة كافية في ازالة العذر والعلة وفي اظهار الحجة والبينة وأما الزائد عليها فهو مفوض الى مشيئة الله

ينكر بعضه
الاحزاب من
المنكرين
(قلت) هو جواب
فيما
معناه قل انما أمرت
ولا
أنزل الي بأن اعبد الله
لبعضه
أشرك به فانكارهم
وتوحيده
انكار لعبادة الله
(قوله وقد ذكر الذين

تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقون أن يذكروا بأسمائهم الحقيقية فإنهم إذا عرفت حقائقهم أنها حجارة أو غير ذلك مما هو مركز العجز ومحل الفقر عرف ما هم عليه من سفاهة العقول وركاكة الآراء ثم قيل أرجعهم عن ذلك إلى الإقرار بأنهم من جملة عبيده (أم تنبئونه) أي تخبرونه (بما لا يعلم) وعلمه محيط بكل شيء (في الأرض) من كونها آلهة ببرهان قاطع (أم) تسمونهم شركاء (بظاهر من القول) أي بحجة قاطعة تقال بالفم وكل ما لا يعلم فليس بشيء وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز ولما كان التقدير ليس لهم على شيء من ذلك برهان قاطع ولا قول ظاهر بني عليه قوله تعالى (بل زين) أي وقع التزيين بأمر من لا يرد أمره على يد من كان من شياطين الإنس أو شياطين الجن (للذين كفروا مكرهم) أي أمر هم الذي أرادوا به ما يراد بالمكر من إظهار شيء وإبطان غيره وذلك أنهم أظهروا أن شركاءهم آلهة حقا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس بهم في الباطن إلا التقليد للآباء وأظهروا أنهم يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى وليشفعوا لهم وهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فصار كل ذلك من فعلهم فعل الماكر (وصدوا) غيرهم (عن السبيل) أي طريق الهدى الذي لا يقال لغيره سبيل فإن غيره عدم بل العدم خير منه فهم لم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه فضلوا وأضلوا وليس ذلك بعجيب فإن الله أضلهم (ومن يضلل الله) أي الذي له الأمر كله بإرادة ضلاله (فما له من هاد) وقرأ ابن كثير بإثبات الياء بعد الدال في الوقف دون الوصل والباقون بغير ياء وقفا ووصلا وكذلك من واق وكذا ولا واق ولما أخبر الله تعالى بتلك الأمور المذكورة بين أنه جمع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة بقوله تعالى (لهم عذاب في الحيوة الدنيا) بالقتل والأسر والذل والإهانة واغتنام الأموال والمحن ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) أي أشد في المشقة بسبب القوة والشدة وكثرة الأنواع والدوام وعدم الانقطاع ثم بين تعالى أن أحدا لا يقيهم من عذابه بقوله تعالى (وما لهم من الله من واق) أي مانع يمنعهم إذا أرادهم بسوء في الدنيا ولا في الآخرة والواقي فاعل من الوقاية وهي الحجز بما يدفع الأذية ولما ذكر تعالى عذاب الكفار في الدنيا والآخرة أتبعه بذكر ثواب المتقين بقوله تعالى (مثل) أي صفة (الجنة) أي التي هي مقرهم (التي وعد المتقون) واختلف في إعراب ذلك على أقوال الأول قال سيبويه مثل الجنة مبتدأ وخبره محذوف والتقدير فيما قصصناه عليك مثل الجنة والثاني قال الزجاج مثل الجنة جنة من صفتها كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد أسمر والرابع الخبر (أكلها) أي ما يؤكل فيها (دائم) لأنه الخارج عن العادة فقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة أوصاف الأول تجري من تحتها أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الثاني أن أكلها دائم لا ينقطع أبدا بخلاف جنة الدنيا والثالث قوله تعالى (وظلها) أي دائم ليس كظل الدنيا لا تنسخه الشمس ولا غيرها إذ ليس فيها شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول ثم إنه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين تعالى أنها للمتقين بقوله تعالى (تلك) أي الجنة العالية الأوصاف (عقبى) أي آخر أمر (الذين اتقوا) أي الشرك ثم كرر الوعيد للكافرين بقوله تعالى (وعقبى) أي منتهى أمر (الكافرين النار)

أفمن شرح الله صدره للإسلام تقديره كمن قسا قلبه يدل لقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله (قوله قل إنما أمرت أن أعبد الله) إن قلت كيف اتصل هذا بقوله قبله ومن

يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت ما يشاء يعني الشمس بيانه قوله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله تعالى عند النوم فمن أراد موته أمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وقيل ان الله تعالى يثبت في أول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه وأثبت حكما آخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل ان الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب وقيل هذا في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها الدعاء والصدقة (وعنده) تعالى (أم الكتاب) أصل الكتب والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الاصل للشيء أما ومنه أم الرأس للدماغ وأم القرى لمكة وكل مدينة فهي أم لما حولها من القرى فكذلك أم الكتاب هو الذي يكون أصلا لجميع الكتب وفيه قولان الاول أنه اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وجميع حوادث العالم العلوي والسفلي مثبتة فيه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح وأثبت فيه أحوال جميع الخلق الى قيام الساعة والقول الثاني ان أم الكتاب أصله الذي لا يغير منه شيء وهو الذي كتبه في الازل وقال ابن عباس في رواية عكرمة هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو ما يشاء منه ويثبت وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء وعلى هذا فالكتاب الذي يمحو منه ويثبت هو الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق وعن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوتة لله فيه في كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه هو ولما كان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزاء استعجال السيئة مما توعدوا به وكانت النفس ربما تمنت وقوع ذلك البعض وإثباته للؤمن به غيرة تقربا بالفصل للنزاع قال تعالى (وإما نرينك بعض الذي نعدهم) أي من العذاب وأنت حي كما تريد أو تريد أصحابك قبل وفاتك فذلك شافي لك من أعدائك والوعد الخير عن خير مضمون والوعيد الخبر عن شر مضمون والمعنى ههنا عليه وسماه وعدا لتمنيهم إياه في طلب نزوله منزلة الوعد (أو نتوفينك) أي قبل أن نريك ذلك فلا لوم عليك ولا عتب (فإنما عليك البلاغ) أي ليس عليك الا تبليغ الرسالة إليهم وليس عليك ان تجازيهم ولا أن تأتيهم بالمقترحات والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ وإما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (وعلينا الحساب) أي علينا أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم * (تنبيه) * قال أبو حيان هنا شرطان لان المعطوف على الشرط شرط فيقدر لكل شرط ما يناسب أن يكون جزاء مرتبا عليه والتقدير وإما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك شافيك من أعدائك وإما نتوفينك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب وقد مرت الإشارة الى ذلك * ولما وعد الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يريه بعض ما يعده أو يتوفاه قبل ذلك بين تعالى ان آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت بقوله تعالى (أولم يروا) أي كفار مكة (أنا نأتي الارض) أي

عمم باعتبار الخلق
(سورة ابراهيم عليه السلام)
(قوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه)
فان قلت هذا يقتضي ان النبي صلى الله عليه

تعالى ان شاء أظهرها وان لم يشأ لم يظهرها لا اعتراض لاحد عليه فى ذلك * ولما توعدهم صلى
الله عليه وسلم بنزول العذاب وظهور النصرة له ولقومه وتأخر ذلك عنهم قالوا لو كان نبيا صادقا
لما ظهر كذبه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (لكل أجل) أى مدة (كتاب) أى مكتوب قد
أثبت فيه ان أمر كذا يكون فى وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والاتيان بالآيات
وغيرها ثباتا ونسخا على ما تقتضيه الحكمة * ولما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمر بخلافه غدا وما سبب ذلك الا أنه يقوله من
تلقاء نفسه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (يمحو الله ما يشاء) أى محوه من الشرائع والاحكام
وغيرها بالنسخ فيرفعه (ويثبت) ما يشاء اثباته من ذلك بأن يقره ويمضى حكمه كقوله تعالى
ما ننسخ من آية الى قوله تعالى ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم
بسكون الثاء المثلثة وتخفيف الباء الموحدة والباقون بفتح الثاء وتشديد الباء الموحدة
* (تنبيه) فى هذه الآية قولان أحدهما أنها عامة فى كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ وهذا
مذهب عمر وابن مسعود وغيرهما قالوا ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول فى
الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كان
يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها وان كنت
كتبتنى على الشقاوة فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعندك أم الكتاب ومثله عن ابن مسعود وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى بعض الآثار ان الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فيرد
الى ثلاثة أيام والرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيرد الى ثلاثين سنة وروى
ان الله تعالى ينزل أى أمره فى آخر ثلاث ساعات تبقى من الليل فينظر فى الساعة الاولى منهن فى أم
الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت والقول الثانى ان هذه الآية خاصة فى
بعض الاشياء دون بعض واختلفوا على هذا القول فقال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء
من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه وقال ابن عباس يمحو
الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة واستدل لهذا بما رواه حذيفة بن
أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة
بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يارب أذكر
أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقضى ربك ما يشاء
ويكتب الملك ثم يقول يارب أشقى أم سعيد فيكتبان فيكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم
تطوى الصحف فلا يزاد ولا ينقص وقال عطية عن ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى
ثم يرجع لمعصية الله تعالى فيموت على ضلالة فهو الذى يمحو والذى يثبت يعمل الرجل بطاعة
الله فيموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن يمحو ما يشاء أى من جاء أجله يذهب به
ويثبت من لم يجئ أجله الى أجله وعن سعيد بن جبير قال يمحو ما يشاء من ذنوب العباد
فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة
ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وقال السدى

ان قلت كيف قال لهم مكر ثم نفاه عنهم واثبته لهم بقوله فلله المكر جميعا (قلت) معناه ان مكر الماكرين مخلوق له ولا يضر الا بارادته فاثباته لهم باعتبار الكسب ونفيه

وقال ابن عباس يريد أبا جهل قال الرازي والاول هو الوجه [illegible] أوفق قراءة الجمع كما مر * ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه عطف عليه بعد شرح ما استتبعه قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) أي [illegible] لانك [illegible] مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل يوما انه قادر عليها [illegible] كانه قيل فما أقول لهم فقال تعالى (قل) لهم (كفى بالله) الذي له الاحاطة الكاملة (شهيدا) أي بليغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر وما بطن (بيني وبينكم) فانه [illegible] بالحق وتصحيح [illegible] ما أظهر لي من الآيات وأوضح من الدلالات [illegible] المعارضة وقد [illegible] أعلى من [illegible] الشهادة [illegible] بأن الامر كما [illegible] والمعجزة فعل مخصوص من وجه القطع بكونه [illegible] من عند الله واختلف في قوله تعالى (ومن عنده علم الكتاب) فروى العوفي عن ابن عباس [illegible] علماء اليهود والنصارى أي ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل [illegible] صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله [illegible] الدلائل الدالة على [illegible] شهد به وأنكره من أنكره منهم [illegible] الكتاب [illegible] عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وقال الحسن [illegible] والزجاج [illegible] ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى قال الحسن لا والله لا يعني الا الله [illegible] يستحق العبادة بالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم [illegible] البقاعي [illegible] لا يزيد والفقيه لانه جائز في الجملة [illegible] برهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة [illegible] هذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] المؤمنين [illegible]

سورة إبراهيم عليه السلام [illegible]

الا قوله تعالى ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله الآيتين فهي [illegible] ثمانمائة [illegible] وثلاثون كلمة [illegible] وفيها ثلاثة آلاف وأربعمائة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم (قوله تعالى (الر) تقدم الكلام [illegible] وقوله تعالى (كتاب) خبر لمبتدأ محذوف أي هذا القرآن كتاب [illegible] والجملة بعده صفة يجوز أن يرتفع بالابتداء [illegible] وجاز الابتداء بالنكرة لانها موصوفة [illegible] تقديره كتاب أي كتاب يعني عظيما من بين الكتب [illegible] (أنزلناه إليك) يا أشرف الخلق عند الله تعالى (لتخرج الناس) أي عامة قومك وغيرهم بدعائك اياهم (من الظلمات) أي الكفر وأنواع الضلالة (إلى النور) أي الايمان والهدى قال الرازي والآية دالة على أن

نقصد أرض هؤلاء الكفرة (ننقصها من أطرافها) يعني ما يفتح الله تعالى على المسلمين من ديار الشرك أرضا بعد أرض حوالي أرضهم هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة قال هو قبض الناس وعن الشعبي مثله وعطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء ويشهد لهذا ما رواه عمرو بن العاص أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي انما مثل الفقهاء كمثل الاكف اذا قطعت لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر واذا هلك الاول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد ابن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم ثم أثبت تعالى لنفسه أمرا كليا فقال (والله) أي الملك الاعلى (يحكم) في خلقه بما يريد لا (لا معقب) أي راد لان المعقب هو الذي يعقب فعله (لحكمه) وقد حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره *(تنبيه)* محل جملة لا معقب لحكمه النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد بلا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وهو) عز وجل مع تمام القدرة (سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا وقوله تعالى (وقد مكر الذين من قبلهم) أي من كفار الامم الماضية قبل مكروا بانبيائهم مثل نمرود مكر بابراهيم وفرعون مكر بموسى واليهود مكروا بعيسى ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فلله المكر جميعا) أي ان مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه وارادته لانه تعالى هو الخالق لجميع أعمال العباد فالمكر لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره ففيه أمان له صلى الله عليه وسلم من مكرهم فكأنه قيل اذا كان حدوث المكر من الله تعالى وتأثيره في الممكور به من الله وجب ان لا يكون الخوف الا من الله تعالى لا من أحد من المخلوقين وذهب بعض المفسرين الى أن المعنى فلله جزاء المكر وذلك أنهم لما مكروا بالمؤمنين بين الله تعالى أنه يجازيهم على مكرهم قال الواحدي والاول أظهر القولين بدليل قوله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) أي ان أكساب العباد معلومة لله تعالى وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة لاحد على الفعل والترك فكان الكل من الله فيجازيهم على أعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد للكفار الماكرين ثم انه تعالى أكد ذلك التهديد بقوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالالف بعد الكاف على الافراد والكاف مفتوحة والفاء مكسورة مخففة والباقون بالالف بعد الفاء على الجمع فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشددة فمن قرأ الافراد أراد الجنس كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر ليوافق قراءة الجمع وقال عطاء المستهزؤن وهم خمسة والمقتسمون وهم ثمانية وعشرون

وسلم انما بعث الى العرب خاصة فكيف الجمع بينه وبين قوله قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقوله وما أرسلناك الا كافة للناس قلت قومه هم العرب ونزوله بلسانهم

الازمان (الا بلسان) أي لغة (قومه) أما بالنسبة إلى الرسول فلانه تعالى بين أن سائر الانبياء
كانوا مبعوثين إلى قومهم خاصة وأما أنت يا محمد فمبعوث إلى عامة البشر وكان هذا الانعام في
حقك أكمل وأفضل وأما بالنسبة إلى عامة الخلق فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث رسولا الا
بلسان أولئك القوم (ليبين لهم) ما أمروا به فيفهموه عنه بيسر وسرعة لان ذلك أسهل لفهم
أسرار تلك الشريعة والوقوف على حقائقها وأبعد عن الغلط والخطا * (تنبيه) * تمسك
طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بظاهر هذه الآية على أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل
لغير العرب من وجهين الاول ان القرآن لما كان نازلا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزا بسبب
ما فيه من الفصاحة الا العرب وحينئذ لا يكون القرآن حجة الا عليهم الثاني قالوا ان قوله تعالى
وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك يدل على انه
مبعوث إلى العرب فقط ورد عليهم بان المراد بالقوم أهل دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله
تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل إلى الثقلين لان التحدي كما وقع مع الانس
وقع مع الجن بدليل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم بين سبحانه وتعالى ان الاضلال والهداية
بمشيئته بقوله تعالى (فيضل الله من يشاء) اضلاله (ويهدي من يشاء) هدايته فانه تعالى هو
المضل الهادي وليس على الرسل الا التبليغ والبيان والله تعالى هو الهادي المضل يفعل
ما يشاء (وهو العزيز) في ملكه فلا راد لما يشاء (الحكيم) في صنعه فلا يهدي ولا يضل
الا لحكمة * ولما بين تعالى انه انما أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام إلى الناس ليخرجهم من
الظلمات إلى النور وذكر كمال انعامه عليه وعلى قومه في ذلك الارسال وفي تلك البعثة أتبع
ذلك بشرح بعثة سائر الانبياء إلى أقوامهم وكيفية معاملة أقوامهم لهم ليكون ذلك تصبيرا له
صلى الله عليه وسلم على أذى قومه وارشادا له إلى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى على
العادة المألوفة قصص بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فبدأ بذكر قصة موسى عليه السلام
فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وفلق
البحر وانفجار العيون من الحجر واظلال الجبل والمن والسلوى وسائر معجزاته (أن أخرج
قومك) أي بني اسرائيل (من الظلمات) أي الكفر والضلال (إلى النور) أي الايمان
والهدى * (تنبيه) * يجوز ان تكون أن مصدرية أي بأن أخرج والباء في بآياتنا للحال وهذه
للتعدية ويجوز ان تكون مفسرة للرسالة بمعنى أي ويكون المعنى أي أخرج قومك من
الظلمات أي قلنا له أخرج قومك كقوله تعالى وانطلق الملأ منهم ان امشوا (وذكرهم بأيام
الله) قال ابن عباس بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بأيام
العرب أي بوقائعهم وفي المثل من ير يوما ير به قال الرازي معناه من رأى في يوم سروره بمصرع
غيره رأى غيره في يوم آخر بمصرع نفسه وقال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس والمعنى
عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم
وعلى من قبلهم ممن آمنوا بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله
وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل فيما سلف من الايام مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهم من

(قوله لا يقدرون مما كسبوا على شيء) قدم مما كسبوا على شيء لان الكسب هو المقصود بالذكر ... وان كان الشيء ... ذلك كاف ... لان على

طرق الكفر والبدع كثيرة وان طريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على أن طرق الجهل والكفر كثيرة وأن طريق العلم والايمان ليس الا واحدا (تنبيه) قال القائلون بأن معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول احتجوا بهذه الآية وذلك يدل على أن معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق التعليم وأجيب بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كالمنبه وأما المعرفة فهي انما تحصل من الدليل وقوله تعالى (باذن ربهم) متعلق بالاخراج أي بتوفيقه وتسهيله ويبدل من الى النور (الى صراط) أي طريق (العزيز) أي الغالب (الحميد) أي المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد وفي قوله (الله) قراءتان فقرأ نافع وابن عامر برفع الهاء وصلا وابتداء على انه مبتدأ خبره (الذي له ما في السموات وما في الارض) أي ملكا وخلقا وقرأ الباقون بالجر على أنه بدل أو عطف بيان وما بعده صفة * (تنبيه) * ذهب جماعة من المحققين الى أن قولنا الله جار مجرى الاسم العلم لذات الله سبحانه وتعالى وذهب قوم آخرون الى أنه لفظ مشتق قال الرازي والحق عندنا هو الاول لان الامة لما اجتمعت على أن قولنا لا اله الا الله يوجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا الله جار مجرى الاسم العلم وقد قال تعالى هل تعلم له سميا أي هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك يدل على أن قولنا الله اسم لذاته المخصوصة ولذا استشكل قراءة الجر اذ الترتيب الحسن أن يذكر الاسم ثم يذكر عقبه الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور وأما الخالق الله فلا يحسن وأجيب عن ذلك بأنه لا يبعد أن تذكر الصفة أولا ثم يذكر الاسم ثم تذكر الصفة مرة أخرى كما قال المبرد بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير قوله تعالى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض والآية تقتضي حصر ما في السموات وما في الارض له لا لغيره وذلك يدل على أنه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله وأنه تعالى خالق لاعمال العباد لانها حاصلة في السموات والارض فوجب القول بأن أعمال العباد معنى كونها مملوكة له والملك عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدورة لله واذا ثبت أنها مقدورة لله وجب وقوعها بقدرة الله والا لكان العبد قد منعه تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف على الكفار بالوعيد فقال تعالى (وويل للكافرين) أي الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيأ البتة بل هو مملوك لله تعالى لانه من جملة ما في السموات وما في الارض وويل مبتدأ وجاز الابتداء به لانه دعاء كسلام عليكم وللكافرين خبره وقوله تعالى (من عذاب شديد) أي بعذبهم في الآخرة متعلق بويل ولا يضر الفصل بالخبر ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين يستحبون) أي يختارون (الحيوة الدنيا على الآخرة) أي يؤثرونها عليها (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن قبول دين الله (ويبغونها) أي السبيل (عوجا) أي معوجة والاصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير (أولئك) أي الموصوفون بهذه الصفات (في ضلال بعيد) أي عن الحق واسناد البعد الى الضلال اسناد مجازي لان البعد هو الضلال عنهم عن الباقي الى الفاني * ثم ذكر ما يجري مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول) أي في زمن من

بغفر ما قبله أو متضمنة لاخراج حقوق العباد (قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قال ذلك هنا وقال بعد وعلى الله فليتوكل المتوكلون لان الايمان سابق على التوكل

الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة والاشتغال بكفران النعم يوجب
العذاب الشديد وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده أن منافع الشكر ومضار
الكفران لا تعود إلا إلى صاحب الشكر وصاحب الكفران وأما المعبود والمشكور فإنه
متعال عن أن ينتفع بالشكر أو يستضر بالكفران فلا جرم قال تعالى (وقال موسى إن
تكفروا أنتم) يا بني إسرائيل (ومن في الأرض) وأكده بقوله تعالى (جميعا) أي من الثقلين
فإنما ضرر ذلك يعود على أنفسكم وحرمتموها الخير كله (فإن الله لغني) عن جميع خلقه فلا
يزداد بشكر الشاكرين ولا ينقص بكفر الكافرين (حميد) أي محمود في جميع أفعاله لأنه فيها
متفضل عادل وقوله تعالى (ألم يأتكم) يا بني إسرائيل (نبأ) أي خبر (الذين من قبلكم قوم
نوح) وكانوا أهل الأرض (و) نبأ (عاد) قوم هود وكانوا أشد الناس أبدانا (و) نبأ (ثمود)
قوم صالح وكانوا أقوى الناس على نحت الصخور وبناء القصور يحتمل أن يكون من كلام
موسى أو كلام مبتدأ من الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو استفهام تقرير وقوله
تعالى (والذين من بعدهم) أي بعد هؤلاء الأمم الثلاثة (لا يعلمهم إلا الله) فيه قولان الأول أن
يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم إلا الله تعالى لأن المذكور في القرآن جملة فأما ذكر العدد
والعمر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول الثاني أن المراد ذكر أقوام ما بلغنا أخبارهم
أصلا كذبوا رسلا لم نعرفهم أصلا ولا يعلمهم إلا الله ولذلك كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية
قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب إلى آدم عليه السلام وقد نفى الله علمها عن
العباد وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون ونظير هذه الآية قوله
تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان في انتسابه لا يجاوز معد بن
عدنان بن أدد وقال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم وتعلموا من النجوم ما تستدلون به
على الطريق قال الرازي والقول الثاني أقرب ولما (جاءتهم) أي هؤلاء الأقوام الذين تقدم
ذكرهم (رسلهم بالبينات) أي الدلائل الواضحات والمعجزات الباهرات أبوها وأتوا
ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى (فردوا) أي الأمم (أيديهم في أفواههم) وفي ذلك احتمالات
الأول أن الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى
عضوا عليكم الأنامل من الغيظ والثاني أنهم لما سمعوا كلام الأنبياء عجبوا منه وضحكوا
على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع
يده على فيه والثالث أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك إلى الأنبياء أن كفوا عن
هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث والرابع أنهم أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وإلى
ما تكلموا به من قولهم الكفر كما حكى الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وقالوا إنا كفرنا بما
أرسلتم به) أي على زعمكم أي إن هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق
هذا هو الأمر الثاني الذي أتوا به وقيل الضمير في ردوا راجع للرسل عليهم السلام وفيه وجهان
أحدهما أن الكفار أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على أفواههم ليسكتوا ويقطعوا
الكلام والثاني أن الرسل لما أيسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي أنفسهم على أفواه أنفسهم

العذاب ليرغبوا في الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب وقيل بأيام الله
لحوق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء
العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين (ان في ذلك) اي التذكير
بالنعم (لآيات) على وحدانية الله تعالى وعظمته (لكل صبار) اي كثير الصبر على الطاعة
وعن المعصية (شكور) اي كثير الشكر للنعم وانما خص الصبور والشكور بالاعتبار
بالآيات وان كان فيها عبرة للكل لانهم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات
فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله تعالى هدى للمتقين فان الانتفاع لا يمكن حصوله الا ان
يكون صابرا شاكرا أما من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة ولما أمر الله تعالى موسى ان
يذكرهم بأيام الله حكى عنه انه ذكرهم بها بقوله تعالى (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة
الله عليكم) وقوله (اذ أنجاكم من آل فرعون) ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي اذكروا انعام
الله عليكم في ذلك الوقت (يسومونكم سوء العذاب) بالاستعباد (ويذبحون) اي تذبيحا
كثيرا (أبناءكم) اي المولودين (ويستحيون) اي يستبقون (نساءكم) أحياء وذلك لقول
بعض الكهنة ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملك فرعون (فان قيل) لم
ذكر في سورة البقرة يذبحون بغير واو وذكره هنا مع الواو (أجيب) بانها انما حذفت
في سورة البقرة لانه تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو
وهنا أدخل الواو فيه لانه نوع آخر لانهم كانوا يعذبونهم بانواع من العذاب غير الذبح فليس
تفسيرا للعذاب (وفي ذلكم بلاء) اي انعام وابتلاء (من ربكم عظيم) لان الابتلاء يكون ابتلاء
بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فان قيل) تذبيح الابناء فيه
بلاء وأما استحياء النساء فكيف فيه ابتلاء (أجيب) بانهم كانوا يستحيونهن ويتركونهن
تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك ابتلاء وقوله تعالى (واذ) اي واذكروا اذ (تأذن ربكم) فهو
أيضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى أذن كتوعد وأوعد غير انه أبلغ لما في التفعل
من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل نعمتي بالتوحيد والطاعة
(لأزيدنكم) نعمة الى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم فان الشكر قيد الموجود وصيد
المفقود والشكر عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه
الطريقة ثم قد يرتقي العبد عن تلك الحالة الى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات الى
النعمة ولا شك ان منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى ومعرفته وأما الزيادة
في النعمة فهي على قسمين روحانية وجسمانية فالاولى هي ان الشاكر يكون أبدا في مطالعة
أقسام نعمة الله تعالى وأنواع فضله وكرمه وأما الثانية فلان الاستقراء دل على ان كل من
كان اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر نسأل الله تعالى القيام بواجب
شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه ويفعل ذلك باهلنا وأحبابنا ثم انه تعالى
لما ذكر ما يستحقه الشاكر ذكر ما يستحقه مقابله بقوله تعالى (ولئن كفرتم) أي جحدتم
النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه (ان عذابي لشديد) اي لمن كفر نعمتي ولا
يشكرها ومن عادة أكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد ولما بين موسى ان

الاشتغال

نفي الاقتدار وما
كسبوا استفتاحي (قوله
وأنزل من السماء ماء) قاله
هنا بدون لكم وقاله في النمل
بذكر لكم اكتفاء هنا
بذكره بعد لا سيما وقد ذكر
مكررا (قوله انهم من

بسلطان مبين) اى بحجة ظاهرة على صدقكم * ولما حكى الله تعالى عن الكفار شبهاتهم فى الطعن فى النبوة حكى عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام جوابهم عنها بقوله تعالى (قالت لهم رسلهم) مجيبين لهم (ان) اى ما (نحن الا بشر مثلكم) كما قلتم فسلموا أن الامر كذلك لكنهم بينوا أن التماثل فى البشرية لا يمنع من اختصاص بعض بمنصب النبوة بقولهم (ولكن الله يمن) اى يتفضل (على من يشاء من عباده) بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالاته (وما كان) اى ما صح واستقام (لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) اى الا بامره لانا عبيد مربوبون فليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتيكم بما اقترحتموه وانما هو أمر متعلق بمشيئة الله تعالى فله أن يخص كل نبى بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل) بامر حتم (المؤمنون) اى يثقوا به فلا نخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم فانا توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله فان الروح متى كانت مشرقة بالمعارف الالهية مشرقة باضواء عالم الغيب قلما تبالى بالاحوال الجسمانية وقلما تقيم لها وزنا فى حالتى السراء والضراء فلهذا توكلوا على الله وعولوا على فضله وقطعوا أطماعهم عمن سواه وهم والامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا اوليا الا ترى الى قولهم (ومالنا ألا نتوكل على الله) اى اى عذر لنا فى أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) اى وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد فان من فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة يقبح عليه أن يرجع فى أمر من الامور الى غير الحق وفى هذه الآية دلالة على أنه تعالى يعصم أولياءه والمخلصين فى عبوديته عن كيد أعدائهم ومكرهم وقرأ أبو عمرو بسكون الباء والباقون بالرفع وكذلك لرسلهم سكن أبو عمرو السين ورفعها الباقون ثم قالوا (ولنصبرن على ما آذيتمونا) فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد وأن يصير غالبا قاهرا والباطل لا بد وأن يصير مغلوبا مقهورا ثم قالوا (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فان قيل اى فرق بين التوكلين (أجيب) بان الاول لاستحداث التوكل والثانى طلب دوامه اى فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم * ولما حكى الله تعالى عن الانبياء عليهم السلام انهم اكتفوا فى دفع شرور أعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه وحياطته حكى عن الكفار أنهم بالغوا فى السفاهة بقوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم) حين عجزوا عن ان قهروا احتجاجهم عليهم (لنخرجنكم من أرضنا) اى التى لنا الآن الغلبة عليها (أو لتعودن فى ملتنا) اى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم أيها الرسل واما عودكم الى ملتنا اى ديننا (فان قيل) هذا يوهم ظاهره أنهم كانوا على ملتهم قبل ذلك (أجيب) بان العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد يقولون ما عدت أراه عاد لا يكلمنى ما عاد لفلان مال وقد أجمعت الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤا على التوحيد لا يعرفون غيره ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعات على الواحد وقيل أو لتعودن فى ملتنا اى الى ما كنتم عليه قبل ادعاء الرسالة من السكوت عنه ذكرنا فيه وعدم التعرض له بالطعن والقدح * ولما ذكر

السلام لوالديه وهما كافران والاستغفار للكافر حرام (قلت) الذى ... ان اماما واغفر لوالدى ... آدم وحواء او ارادهما (قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون)

فان من ذكر كلاما عند قوم وانكروه وخافهم فذلك المتكلم ربما وضع يده على فم نفسه وغرضه ان يعرفهم انه لا يعود الى ذلك الكلام البتة والامر الثالث قولهم (وانا لفي شك مما اي شيء (تدعوننا) ايها الرسل (اليه) اي من الدين (مريب) اي موجب الريبة اي موقع في الريبة والشبهة والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه (فان قيل) انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر (اجيب) بانهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كانهم حصل لهم شبهة توجب الشك لهم فقالوا ان لم ندع الجزم واليقين في كفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم ولما قال هؤلاء الكفار للرسل ذلك (قالت لهم رسلهم) مجيبين (أفي الله شك) اي هل تشكون في الله وهو استفهام انكار اي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه منها قوله تعالى (فاطر) اي خالق (السموات والارض) اي وما فيهما من الانفس والارواح والارزاق وقرأ ابو عمرو رسلهم هنا وفيما في جاءتهم رسلهم باسكان السين والباقون بالرفع ولما اقاموا الدليل على وجود الله تعالى وصفوه بكمال الرحمة بقولهم (يدعوكم) اي الى الايمان بعثنا وقولهم (ليغفر لكم) اللام متعلقة بيدعو اي لاجل غفران ذنوبكم كقوله

دعوت لما نابني مسورا * فلبى فلبي يدي مسور

ويجوز ان تكون معدية كقولك دعوتك لزيد والتقدير يدعوكم الى غفران ذنوبكم وقوله (من ذنوبكم) قال السيوطي من زائدة فان الاسلام يغفر به ما قبله او تبعيضية لاخراج حقوق العباد اه اي والمغفور لهم ما بينهم وبين الله تعالى قال الرازي والعاقل لا يجوز له المصير الى كلمة من كلام الله تعالى بانها زائدة من غير ضرورة اه وقال في الكشاف ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يوقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين وان لا يسوي بين الفريقين في المعاد اه قال الرازي واما قول الكشاف فهو من باب الطامات لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا (ويؤخركم) اي ولا يفعل بكم فعل من تهددون من الملوك في المعاجلة في الاهلاك ان خالفهم بل يؤخرهم (الى اجل مسمى) اي الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم به والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما آمنتم (فان قيل) اليس قال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال هنا ويؤخركم الى اجل مسمى (اجيب) بان الاجل على قسمين معلق ومبرم (قالوا) اي الامم مجيبين للرسل (ان) اي ما (انتم) ايها الرسل (الا بشر مثلنا) اي لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله تعالى الى البشر رسلا لجعلهم من جنس اي من البشر في زعم القائلين افضل وقول الكشاف وهم الملائكة جار على مذهبه (تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) اي ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأتونا

الهاء عائدة من باب نسبة الشيء الى سببه كما يقال فتنتهم الدنيا واصل الاضلال وفاعله في الحقيقة هو الله (قوله ربنا اغفر لي ولوالدي) ان قلت كيف استغفر ابراهيم عليه

وليس وراءه الا الخناق مهرب * ومعنى الآية على هذا ان الكافر بعد الخيبة يدخل جهنم
لامر الثاني ما ذكره تعالى بقوله (ويسقى) أي في جهنم (من ماء صديد) وهو ما يسيل من
وف أهل النار مختلطا بالقيح والدم جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب هو
يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (فان قيل) علام عطف ويسقى (أجيب) بانه عطف
لى محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد (يتجرعه) أي
كلف أن يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته وحرارته ونتنه (ولا يكاد يسيغه) أي ولا يقدر على
تلاعه قال الزمخشري دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة
كقوله تعالى لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (فان قيل) كيف الجمع على هذا
جه بين يتجرعه ولا يكاد يسيغه (أجيب) بجوابين أحدهما أن المعنى ولا يسيغ جميعه
كأنه يتجرع البعض وما أساغ الجميع والثاني ان الدليل الذي ذكرناه دل على وصول ذلك
شراب الى جوف ذلك الكافر لان ذلك ليس باساغة لان الاساغة في اللغة اجراء الشراب
الحلق واستطابة المشروب والكافر يتجرع ذلك الشراب على كراهية ولا يسيغه أي
ستطيبه ولا يشربه شربا مرة واحدة وعلى هذين الوجهين يصح حمل لا يكاد على نفي المقاربة
امر الثالث ما ذكره تعالى بقوله تعالى (ويأتيه الموت) أي أسبابه المقتضية له من أنواع
عذاب (من كل مكان) أي من سائر الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول
ره وابهام رجله (وما هو بميت) فيستريح وقال ابن جريج تتعلق نفسه عند حنجرته فلا
رج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة الامر الرابع ما ذكره
الى بقوله تعالى (ومن ورائه) أي ومن بين يديه بعد ذلك العذاب (عذاب غليظ) أي شديد
ل وقت يستقبله أشد مما قبله وقيل هو الخلود في النار وقيل هو قطع الانفاس وحبسها في
جساد ولما ذكر تعالى أنواع عذابهم بين بعده أن سائر أعمالهم تصير باطلة ضائعة وذلك
و الخسران الشديد بقوله تعالى (مثل) أي صفة (الذين كفروا بربهم أعمالهم) أي الصالحة
صدقة وصلة رحم وفك أسير واقراء ضيف وبر والدين في عدم الانتفاع بها (كرماد اشتدت
يح في يوم عاصف) أي شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه كما قال تعالى
يقدرون) أي الكفار يوم الجزاء (مما كسبوا) أي عملوا في الدنيا (على شيء) أي لا يجدون
وابا لفقد شرطه وهو الايمان وقرأ نافع الرياح بالجمع والباقون بالافراد (ذلك) اشارة الى
لالهم مع حسبانهم أنهم محسنون (هو الضلال البعيد) أي الخسران الكبير لان أعمالهم
اعت وهلكت فلا يرجى عودها * (تنبيه) * في ارتفاع قوله تعالى مثل أوجه أحدها وهو
هب سيبويه أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا وتكون
لة من قوله تعالى أعمالهم كرماد مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل
الهم كرماد والثاني وهو مذهب الفراء التقدير مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد
ف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وهو قوله تعالى أعمالهم ومثله قوله تعالى
م القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين كذبوا على
مسودة الثالث أن يكون التقدير صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد

ونظيره في الامر قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أي داوموا ... لا ... لوازم ... على ...

الكفار هذا الكلام قال تعالى (فأوحى اليهم) اى الرسل (ربهم) وقوله تعالى (لنهلكن
الظالمين) اى الكافرين حكاية تقتضى اضمار القول أو اجرى الايحاء مجرى القول لانه
ضرب منه (ولنسكننكم الارض) اى أرضهم (من بعدهم) اى بعد هلاكهم ونظيره قوله
تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقوله تعالى
وأورثكم أرضهم وديارهم قال الزمخشري وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره
ورثه الله داره قال ولقد عاينت هذا فى مدة قريبة كان لى خال يظلمه عظيم القرية التى أنا فيها
ويؤذينى فيه فمات ذلك العظيم وملكنى الله ضيعته فنظرت يوما الى أبناء خالى يترددون فيها
ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا
لله تعالى (ذلك) اى النصر وايراث الارض (لمن خاف مقامى) اى موقفى وهو موقف الحساب
لان ذلك الموقف موقف الله الذى يوقف فيه عباده يوم القيامة ونظيره وأما من خاف مقام
ربه وقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقيل ذلك لمن خاف مقامى اى خافنى فالمقام
مقحم مثل ما يقال سلام على المجلس العالى والمراد السلام على فلان (وخاف وعيد) قال ابن
عباس ما أوعدت من العذاب وهذا يدل على أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده لان
العطف يقتضى المغايرة وفى تفسير قوله تعالى (واستفتحوا) قولان أحدهما طلب الفتح
اى واستنصروا الله تعالى على أعدائهم وهو كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
والثانى الفتح الحكم والقضاء أى واستحكموا الله وسألوه القضاء بينهم وهو مأخوذ من
الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فعلى القول الاول
المستفتح هم الرسل لانهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما أيسوا من ايمانهم قال
نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على أموالهم وقال
لوط انصرنى على القوم المفسدين وعلى القول الثانى قال الرازى فالاولى أن يكون المستفتح
هم الامم وذلك أنهم قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا ومنه قول كفار قريش
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وكقول آخرين ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين (وخاب) اى خسر وهلك (كل جبار) اى متكبر عن طاعة الله
وقيل هو الذى لا يرى فوقه أحدا وقيل هو المتعظم فى نفسه المتكبر على اقرانه واختلفوا فى
قوله تعالى (عنيد) فقال مجاهد معاند للحق ومجانبه وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق
وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذى يأبى ان يقول لا اله الا الله وقيل هو المعجب بما
عنده ولما حكم تعالى على الكافر بالخيبة ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه
بأمور الاول قوله تعالى (من ورائه) اى أمامه (جهنم) اى هو صائر اليها قال أبو عبيدة هو
من الاضداد وقال الشاعر

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

ويقال أيضا الموت وراء كل أحد وقال تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى
أمامهم وقال ثعلب هو اسم لما توارى عنك سواء كان خلفك أم قدامك فيصح اطلاق لفظ
وراء على خلف وقدام وقال ابن الانبارى وراء بمعنى بعد قال الشاعر

(ان قلت) كيف يخشه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وهو أعلم الخلق بالله (قلت) المراد دوام خشيته عن ذلك كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقوله ولا تدع مع الله الها آخر

كنتم لنا تبعا فاضللنا كم ولما كان الموجب لقولهم هذا الجزع قالوا (سواء علينا) اى نحن
وانتم (أجزعنا أم صبرنا) اى مستو علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لانه يصرف
الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (ما لنا من محيص) اى منجى ومهرب مما نحن فيه
من العقاب * (تنبيه) * يحتمل ان يكون هذا من كلام المتبوعين وان يكون كلام الفريقين
ويؤيد الثاني ما روى انهم يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون ذلك
قال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار استغاثوا بالخزنة كما قال الله تعالى وقال الذين
في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم أولم تك
تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة
والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما
يئسوا مما عنده قال بعضهم لبعض ذلك * ولما ذكر تعالى المناظرة التي وقعت بين الرؤساء
والاتباع من كفرة الانس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين اتباعه بقوله
تعالى (وقال الشيطان) الذي هو أول المتبوعين في الضلال ورأس الضالين والمستكبرين
(لما قضي الامر) أى أحكم وفرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أخذ أهل
النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر من نار فيجتمع
أهل النار اليه باللوم فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله (ان الله وعدكم وعد الحق) أى
بالبعث والجزاء على الاعمال فصدقكم (ووعدتكم) أن لا جنة ولا نار ولا حشر ولا حساب
(فأخلفتكم) أى الوعد فلم أقل شيئا الا كان زيفا فاذا تحققتم ذلك مع كوني عدوكم وتركتم ربكم
هو وليكم * (تنبيه) * في الآية اضمار من وجهين الاول ان التقدير ان الله وعدكم وعد
الحق فصدقكم كما تقدم تقديره ووعدتكم فاخلفتكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على
صدق ذلك الوعد لانهم كانوا يشاهدونها وليس وراء العيان بيان ولانه ذكر في وعد الشيطان
الخلاف فدل ذلك على الصدق في وعد الله تعالى الثاني أن قوله ووعدتكم فاخلفتكم
والوعد يقتضي مفعولا ثانيا وحذف هنا للعلم به والتقدير ووعدتكم أن لا جنة ولا نار ولا
حشر ولا حساب كما تقدم ولما بين غروره وبين سهولة اغترارهم زيادة في تنديمهم قال (وما كان
لي عليكم من سلطان) أى سلطان فيه شدة اى قوة وقدرة أقهركم على الكفر والمعاصي
وألجئكم على متابعتي وقوله (الا أن دعوتكم) استثناء منقطع قال المفسرون لان الدعاء ليس
من جنس السلطان فمعناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لي) محكمين الشهوات لان النفس
تدعو الى هذه الاحوال الدنيوية ولا تتصور كيفية السعادات الاخروية والكمالات النفسانية
لتدعو اليها ويرغب فيها كما قال والآخرة خير وأبقى قال الرازي وعندي انه يمكن أن يقال
كلمة الا هنا استثناء حقيقي لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة تكون
بالقهر والقسر وتارة تكون بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من أنواع
التسلط اه ثم قال لهم (فلا تلوموني) أى لانه ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة (ولوموا

الذكر اى القرآن المشتمل
ذلك اعترافهم بذنوبهم
(قلت) انما قالوا استهزاء
وسخرية لا اعترافا كما قال
فرعون لقومه ان
رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون اراده حذف اى

عرضه مصون وماله مبذول الرابع أن تكون أعمالهم بدلا من قوله مثل الذين كفروا والتقدير مثل أعمالهم وقوله تعالى كرماد هو الخبر وقيل غير ذلك وقوله تعالى (ألم تر) أي تنظر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على الالتفات (أن الله خلق السموات) على عظمها وارتفاعها (والأرض) على تباعد أقطارها واتساعها وقوله تعالى (بالحق) أي بالحكمة والوجه الذي يحق أن تخلق عليه متعلق بخلق وقرأ حمزة والكسائي بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وخفض الارض والباقون بغير ألف بعد الخاء وفتح اللام والقاف ونصب الارض (إن يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت) بدلكم (بخلق جديد) أطوع منكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه كما قال تعالى (وما ذلك على الله بعزيز) أي بممتنع فانه تعالى قادر بذاته ولا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا أن يؤمن به ويعبد رجاء ثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء ولما ذكر تعالى أصناف عذاب هؤلاء الكفار وذكر عقيبه أن أعمالهم تصير محبطة باطلة ذكر كيفية مجادلتهم عند تمسك أتباعهم بهم وكيفية افتضاحهم عندهم بقوله تعالى (وبرزوا) أي الخلائق من قبورهم (لله جميعا) والتعبير فيه وفيما يأتي بالماضي وإن كان معناه الاستقبال لتحقق وقوعه لان كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود ونظيره ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار • (تنبيه) • البروز في اللغة الظهور بعد الاستتار وهو في حق الله تعالى محال فلا بد من تأويله وهو من وجهين الاول أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية الثاني أنهم خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله تعالى وحكمه • ثم حكى الله تعالى عنهم أن الضعفاء يقولون للرؤساء هل تقدرون على دفع عذاب الله تعالى عنا بقوله تعالى (فقال الضعفاء) أي الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الرأي (للذين استكبروا) أي المتبوعين الذين طلبوا الكبر وادعوه فاستغووهم به حتى تكبروا على الرسل وقوله تعالى (إنا كنا لكم تبعا) يصح أن يكون مصدرا نعت به للمبالغة أو على اضمار مضاف وأن يكون جمع تابع أي تابعين لكم في تكذيب الرسل فكنتم سبب ضلالنا وقد جرت عادة الاكابر بالدفع عن أتباعهم المساعدين لهم على أباطيلهم (فهل أنتم) أي في هذا اليوم (مغنون) أي دافعون (عنا من عذاب الله) أي من انتقامه (من شيء) فان قيل فما الفرق بين من في عذاب الله وبين من في شيء (أجيب) بان الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو من بعض عذاب الله ويجوز أن يكونا للتبعيض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما حكى الله تعالى عن الذين استكبروا أنهم (قالوا لو هدانا الله) أي الذي له صفات الكمال (لهديناكم) أي لو أرشدنا الله تعالى لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكنه لم يهدنا فضللنا

وسلم من جميع ما نزلا الجهله بصفاته

• (سورة الحجر) •

(قوله وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) انقلت كيف وصفوه بالتنزيل مع قولهم انه مجنون عليه

بقوله تعالى (خالدين فيها) وهو حال مقدرة والمعنى يحصل لهم من وجهين أحدهما قوله
تعالى (بإذن ربهم) لأن تلك المنافع إنما كانت بتقدير الله تعالى وإعانته والثاني قوله تعالى
(تحيتهم فيها سلام) لأن بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة والملائكة يحيونهم بها كما قال تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والرب يحييهم أيضا بهذه التحية كما قال تعالى
سلام قولا من رب رحيم ويحتمل أن يكون المراد أنهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع آفات
الدنيا وحسراتها ونجوا من آلامها وأسقامها وأنواع همومها وغمومها لأن السلام مشتق من
السلامة ولما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ذكر مثلا يبين
الحال في حكم هذين القسمين بقوله تعالى (ألم تر) أي ألم تنظر والخطاب يحتمل أن يكون للنبي صلى
الله عليه وسلم ويدخل معه غيره وأن يكون لكل فرد من الناس أي ألم تر أيها الإنسان (كيف
ضرب الله) أي اعتمد بكل شيء علما وقدرة (مثلا) [illegible]
فسر المثال الثاني بالأول ثم بينه بقوله تعالى (كلمة طيبة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين هي
لا إله إلا الله (كشجرة طيبة) قال ابن مسعود وأنس هي النخلة وعن ابن عباس هي شجرة
في الجنة وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ضرب مثل
المؤمن شجرة فأخبروني ما هي قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي ووقع
في قلبي أنها النخلة فذهبت أقول هي النخلة [illegible] وأنا أصغر القوم
فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكان أحب إلي من حمر النعم ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة قيل الحكمة في تشبيه الإنسان بالنخلة من بين
سائر الأشجار أن النخلة أشبه الأشجار بالإنسان [illegible]
[illegible] إذا قطع رأسها [illegible]
من فضلة طينة آدم عليه السلام [illegible]
[illegible] (أصلها ثابت) أي في الأرض (وفرعها) [illegible] (في السماء) [illegible]
[illegible]
[illegible] (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) [illegible]
[illegible]
[illegible] في كل سنة مرة وقال قتادة ستة أشهر [illegible]
الربيع [illegible] كل [illegible] لأن ثمر النخل يؤكل [illegible]
منها الجمار والطلع والبلح والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس
[illegible] الطري الرطب [illegible] قال العلماء وجه الحكمة في تمثيل كلمة
الإخلاص بالشجرة لأن الإيمان ثابت في قلب المؤمن كثبوت أصل هذه الشجرة في الأرض
وعمله يصعد إلى السماء كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فكذلك
فرع هذه عال في السماء وتنال بركته وثوابه كل وقت والمؤمن كلما قال لا إله إلا الله صعدت إلى
السماء وجاءت بركتها وخيرها وثوابها ومنفعتها ولأن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء
عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق القلب وقول

أنفسكم) لأنكم سمعتم دلائل الله تعالى وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم
أن لا تلتفتوا إلي ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى
بإجابتي ومتابعتي من غير حجة ولا دليل (فإن قيل) لم قال الشيطان فلا تلوموني وهو ملوم بسبب
إقدامه على تلك الضلالة والوسوسة الباطلة (أجيب) بأنه أراد لا تلوموني على فعلكم ولوموا
أنفسكم عليه لأنكم عدلتم عما وضح لكم من هداية الله تعالى لكم * ثم قال تعالى حكاية
عن الشيطان أنه قال (ما أنا بمصرخكم) أي بمغيثكم فيما يخصكم من العذاب فأزيل صراخكم
منه (وما أنتم بمصرخي) أي بمغيثي فيما يخصني منه وقرأ ما عدا حمزة بفتح الياء مع التشديد وقرأ
حمزة بكسر الياء مع التشديد على الأصل في التقاء الساكنين لأن ياء الإعراب ساكنة وياء
المتكلم أصلها السكون فلما التقيا كسرت لالتقاء الساكنين قال البيضاوي وهو أصل
مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع حركة ياء الإضافة اهـ فقوله أصل
مرفوض أي متروك عند النحاة وإلا فهو قراءة متواترة عند القراء تجب المصير إليها لأنها
وردت من رب العالمين على لسان سيد المرسلين وقول القراء وإمامهن وهم القراء فإنه قل من
سلم منهم من الوهم مدفوع وقد قال أبو حيان هي قراءة متواترة نقلها السلف واقتفى آثارهم
فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل اللغة
أنها لغة لكن قل استعمالها ونص قطرب على أنها لغة في بني يربوع ونص على أنها صواب
أبو عمرو بن العلاء السائل عنها والقاسم بن معن من رؤساء الكوفيين قال الله تعالى حكاية
عن الشيطان أنه قال (إني كفرت بما أشركتمون من قبل) أي كفرت اليوم بإشراككم إياي
من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره
بإشراككم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
الشفاعة يقول عيسى ذلك النبي الأمي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور مجلسي من أطيب
ريح شمها أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي ثم يقول
الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير الشيطان هو الذي
أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم أنت فاشفع لنا فإنك أنت أضللتنا
فيقوم فيثور مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدكم
وعد الحق الآية قال في الكشاف وقوله (إن الظالمين) أي الكافرين (لهم عذاب أليم) أي
قول من كلام الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله تعالى ما سيقول
في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من
الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا
ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم * ولما بالغ سبحانه وتعالى في شرح حال الأشقياء من الوجوه
الكثيرة شرح أحوال السعداء وما أعد لهم من الثواب العظيم والأجر الجزيل وذلك أن
الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخالصة إليها الإشارة بقوله تعالى
(وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) وكونها دائمة أشير إليها

يا أيها الذي نزل عليك الذكر (قوله ونحن الوارثون) * إن قلت كيف قال ذلك والوارث من يتجدد له الملك بعد فناء المورث والله تعالى لم يتجدد له ملك لأنه لم يزل

* قوله فيثور مجلسي من أطيب وقوله الآتي فيثور مجلسه أنتن هكذا بالأصول التي بأيدينا وليحرر لفظ الحديث اهـ مصححه

سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته فيقال له على الشك عشت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ احدهم في الدنيا ما انبتت شيئاً تنهشه وتؤمر الارض فتنضم عليه حتى تختلف اضلاعه نسأل الله الثبات لنا ولوالدينا ولاحبابنا في الدنيا والآخرة انه كريم جواد ثم انه تعالى عاد الى وصف الكافرين فقال (ألم تر) اى تنظر يا المخاطب بما تقدم (الى الذين بدلوا) والتبديل جعل الشئ مكان غيره (نعمة الله) اى التى اسبغها عليهم من كلمة التوحيد ومن جميع النعم التى من جملتها تيسير الرزق وغير ذلك بان جعلوا مكان شكرها (كفرا) وهم يدعون أنهم اشكر الناس للاحسان واعلاهم همما في الثناء وابعدهم عن الجفاء (واحلوا) اى انزلوا (قومهم) اى الذين تابعوهم في الكفر بالاضلال [illegible] (دار البوار) اى الهلاك مع ادعائهم انهم أرغب الناس في [illegible] البخارى في التفسير انهم كفار اهل مكة وقوله تعالى (جهنم) عطف بيان (يصلونها) اى يدخلونها (وبئس القرار) اى المقر هى (وجعلوا لله) اى الذى [illegible] خلقهم ولا رزقهم لانه الكمال كله (أندادا) اى شركاء وقوله تعالى (ليضلوا عن سبيله) اى دين الاسلام فيه قراءتان قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء من ضل يضل والباقون بضم الياء من اضل يضل وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته [illegible] كالغرض ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الانواع الثلاثة من الاعمال القبيحة قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) اى تهديدا لهم فانهم لا يكونون في قبول [illegible] (تمتعوا) [illegible] قال (فان مصيركم) اى مرجعكم (الى النار) في الآخرة وانما أمره الله تعالى [illegible] على سبيل التهديد والوعيد [illegible] بالنفس والمال بقوله تعالى (قل لعبادى) [illegible] (الذين آمنوا) [illegible] (يقيموا الصلاة) [illegible] (سرا وعلانية) [illegible]

[illegible]

[illegible]

حيث تفصل كل نفس ۞ اذا ما خفت من [illegible]

اى تبالى به اى كثرت به الا لاقل عليه (سرا وعلانية) اى يتصدقون او يزكون [illegible] سرا والعلانية وقيل المراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة [illegible] في انتصابهما سرا وعلانية وجوه احدها أن يكونا على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين والثانى على الظرف اى وقتى سر وعلانية والثالث على المصدر اى انفاق سر وانفاق علانية ولما أمرهم الله تعالى باقامة الصلاة والانفاق أشار الى عدم التراخى بذلك بقوله عز وجل (من قبل أن يأتى يوم) اى عظيم جدا ليس كشئ من الايام التى تعرفونها (لا بيع فيه) اى فيشترى المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدى به نفسه (ولا خلال) اى مخالة اى صداقة تنفع في ذلك اليوم قال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة فكأنه تعالى يقول

اللسان وعمل بالابدان ثم نبه تعالى على عظم هذا المثل ليقبل على تدبره ليعلم المراد منه فيلزم فقال (ويضرب الله) اى الذى له الاحاطة الكاملة (الامثال للناس لعلهم يتذكرون) اى يتعظون فان فى ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى المعقولة فيحصل الفهم التام والوصول الى المطلوب ولما ذكر مثل حال السعداء اتبعه بمثل حال الاعداء فقال (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هى الحنظل وقيل الثوم وقيل الكشوث بمثلثة فى آخره قال الجوهرى نبت يتعلق باغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق فى الارض قال الشاعر

هى الكشوث فلا أصل ولا ورق ❊ ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

وقيل شجرة الشوك (اجتثت) اى استؤصلت (من فوق الارض) اى عروقها قريبة منه (ما لها من قرار) اى اصل ولا عرق فكذلك الكفر بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات ولا قوة وعن مجاهد انه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها فى الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها يوم القيامة ❊ ولما وصف الله سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة فى الآية المتقدمة اخبر بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) انه تعالى يثبتهم بها (فى الحيوة الدنيا) اى فى القبر وقيل قبل الموت (وفى الآخرة) اى يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل فى القبر على القول الثانى ❊ ولما وصف الكلمة الخبيثة فى الآية المتقدمة اخبر بقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) اى الكفار انه تعالى لا يهديهم للجواب الصواب (ويفعل الله ما يشاء) اى ان شاء هدى وان شاء أضل لا اعتراض عليه روى عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وروى عن انس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع فى القبر وتولى عنه أصحابه يسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم فاما المؤمن فيقول اشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا أنه يفسح له فى قبره ثم رجع الى حديث انس قال واما المنافق او الكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا ادرى كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من دفنها وانصرف الناس قال انه الآن يسمع خفق نعالكم اتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وانيابهما مثل صياصى البقر واصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن نبيه فان كان ممن يعبد الله تعالى قال كنت أعبد الله ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة فيقال له على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له فى حفرته وان كان من أهل الشك قال لا ادرى

ويسمون بذلك ايضا مجازا ثم اذا ماتوا خلصت الاملاك كلها لله تعالى عن ذلك التعلق فبهذا الاعتبار صح وارثا ونظير ذلك قوله تعالى لمن الملك اليوم والملك له ازلى وابدى

الكثيرة فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها فضل الله عند أخذها وصفات وهما كونك
ظلوما كفارا ولي وصفان عند إعطائها وهما كوني غفورا رحيما والمقصود كأنه يقول إن
كنت ظلوما فأنا غفور وإن كنت كفارا فأنا رحيم أعلم عجزك وتقصيرك فلا أقابل تقصيرك
إلا بالتوقير ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة ولما بين الله تعالى
بالدلائل المتقدمة أن لا معبود إلا الله سبحانه وتعالى وأنه لا يجوز عبادة غير الله ألبتة حكى عن
إبراهيم عليه السلام مبالغة في إنكار عبادة الأوثان بقوله تعالى (وإذ) أي واذكر لهم
مذكرا بأيام الله خبر إبراهيم إذ (قال إبراهيم رب) أي المحسن إلي بإجابة دعائي (اجعل هذا
البلد) أي مكة (آمنا) أي ذا أمن وقد أجاب الله تعالى دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان
ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (فإن قيل) أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا
آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا (أجيب) بأن المسؤول في الأول أن يجعله من جملة البلاد
التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يزيل عنها الصفة التي كانت حاصلة لها وهي الخوف
ويجعل لها تلك الصفة وهي الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (فإن قيل) كيف
أجاب الله تعالى دعاءه مع أن جماعة من الجبابرة قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها (أجيب)
بجوابين أحدهما أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه
جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله تعالى فلم يقدر أحد على خراب مكة
(فإن قيل) يرد على هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين
من الحبشة (أجيب) بأن قوله تعالى اجعل هذا البلد يعني إلى قرب يوم القيامة وخراب الدنيا
فهو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين والجواب الثاني أن المراد
جعل أهلها آمنين كقوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وهذا الجواب عليه أكثر المفسرين
وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن في بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويتخطف
الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى أن من التجأ إلى مكة أمن على نفسه وماله
وحتى أن الوحوش إذا كانت خارجة الحرم استوحشت وإذا كانت داخلة الحرم استأنست
لعلمها أنه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن حاصل بحمد الله تعالى بمكة وحرمها (واجنبني)
أي بعدني (وبني أن) أي عن أن (نعبد الأصنام) أي اجعلنا في جانب غير جانب عبادتها (فإن
قيل) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادة الأصنام
(أجيب) بأنه عليه الصلاة والسلام إنما سأل ذلك هضما للنفس وإظهارا للحاجة والفاقة إلى
فضل الله في كل المطالب وفي ذلك دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه إياهم
(فإن قيل) كان كفار قريش من أبنائه مع أنهم كانوا يعبدون الأصنام فكيف أجيب دعاؤه
(أجيب) بأن المراد من كان موجودا حال الدعاء ولا شبهة أن دعوته كانت مجابة فيهم أو أن هذا
الدعاء مخصوص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال عليه السلام في آخر الآية فمن
تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فإنه ليس منه ونظيره قوله تعالى إنه ليس من
أهلك إنه عمل غير صالح والصنم المنحوت على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر
فهو وثن قاله الطبري ولذا لما سئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الأصنام فقال ما عبد أحد

وقال في غير هذه
عليه وسلم والاخر قول في
السورة بعدهم (قوله
عامة المؤمنين
فقالوا سلاما قال انا منكم
وجلون) حذف منه قبل
قال اختصارا اما في هود فقال
سلام فما لبث أن جاء بعجل

انفقوا أموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق في مثل هذا اليوم الذي لا يحصل
فيه مبايعة ولا مخالة ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
(فان قيل) كيف نفى الله تعالى المخالة في هاتين الآيتين مع انه تعالى اثبتها في قوله تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (اجيب) بان الآية الدالة على نفي المخالة محمولة
على نفي المخالة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخالة محمولة على
حصول المخالة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى * ولما طال الكلام في وصف
احوال السعداء واحوال الاشقياء وكانت العمدة العظمى والمنزلة الكبرى في حصول
السعادات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وفي حصول الشقاوة فقدان ذلك ختم تعالى احوال
الفريقين بقوله تعالى (الله) اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء ثم اتبعه بالدلائل الدالة على
وجوده وكمال علمه وقدرته وذكر هنا عشرة انواع من الدلائل اولها قوله تعالى (الذي خلق
السموات) وثانيها قوله تعالى (والارض) وهما اكبر خلقا منكم واعظم شانا وثالثها قوله
تعالى (وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم
والملبوس * (تنبيه) * الله مبتدأ وخبره الذي خلق ورزقا مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له
حال منه ويصح أن يكون المراد بالسماء هنا السحاب اشتقاقا من السمو والارتفاع وأن يكون
الجرم المعهود فينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض وقد ذكرت ذلك في
سورة البقرة وفي غيرها ورابعها قوله تعالى (وسخر لكم الفلك) أي السفن (لتجري في البحر)
أي بالركوب والحمل (بامره) أي بمشيئته وارادته وخامسها قوله تعالى (وسخر لكم الانهار)
اي ذللها لكم تجرونها حيث شئتم لان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزروع والثمرات ولا في
الشراب فكان ذلك نعمة من الله تعالى وسادسها وسابعها قوله تعالى (وسخر لكم الشمس
والقمر) حال كونهما (دائبين) اي جاريين في فلكهما لا يفتران في سيرهما وانارتهما
وتأثيرهما في ازالة الظلمة واصلاح النبات والحيوان الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا
وذهابها والشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة وهي افضل من القمر لكثرة نفعها
والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله تعالى وانعامه وثامنها
وتاسعها قوله تعالى (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان عليكم بالضياء والظلمة والزيادة
والنقصان وذلك من نعم الله تعالى على عباده حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار
ليبتغوا من فضله وعاشرها قوله تعالى (وآتاكم من كل ما سألتموه) أي بما أنتم محتاجون اليه
على حسب مصالحكم فانتم سائلوه بالقوة * ولما ذكر سبحانه وتعالى بعض ما أنعم به على عباده
بين أن العبد عاجز عن حصرها وعدها بقوله تعالى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) أي
لا تضبطوا عدها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا أرادوا أن يعدوها على الاجمال واما على
التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله تعالى (ان الانسان) أي الكافر وقال ابن عباس
يريد أبا جهل (لظلوم) أي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كفور لنعم ربه وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع (فان قيل) لم قال تعالى هنا ان الانسان لظلوم
كفار وفي النحل ان الله لغفور رحيم (أجيب) بانه تعالى يقول للعبد اذا حصلت لك النعم

عليك اعني بالاضافة
لمناسب ماقبله من قوله
لما خلقت بيدي (قوله
ونزعنا ما في صدورهم من
غل اخوانا) قاله هنا
زيادة اخوانا لانه نزل في
اصحاب رسول الله صلى الله

فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع
عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل وقالت يا ابراهيم
أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وهو لا يلتفت
اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا
كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه
وقال ربنا اني أسكنت من ذريتي حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضعه وتشرب
من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال
يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه
ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى من أحد فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن
عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت
صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث
فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه
وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف قال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف
من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا الضيعة
فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من
الارض كالرابية يأتيه السيل فيأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة
من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فنظروا طائرا فقالوا
ان هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فاذا هم
بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك
فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس فألفى ذلك أم اسمعيل وهي
تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب
الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت
أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل وتمام هذه القصة في سورة البقرة ثم قال
(ربنا ليقيموا الصلوة) اللام لام كي متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي القفر
الذي لا شيء فيه الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وعمارة
مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم
متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين
الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانها المقصود بالذات
من اسكانهم هناك والمقصود من الدعاء توفيقهم لها (فاجعل أفئدة) أي قلوبا محترقة
بالاشواق (من الناس) ومن للتبعيض والمعنى واجعل أفئدة بعض الناس (تهوى)
أي تميل (اليهم) ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس
والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى

او افئده قوله وجهلون
وما هو دال على او افئده
قوله فصيحة (قوله قد دنا)
انه الى الناس (بيتا) اسناد
القاعي الى الملائكة
مجاز اذ الفاعل حقيقة
هو الله تعالى وهذا اه

من بنى اسمعيل عمّا واحتج بقوله تعالى واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام انما كانت انصاب
الحجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر
أى يطوفون به أسابيع تشبيها بالكعبة ويسمونه الدوار بضم الدال المشددة وقد تفتح قال
الجوهرى دوار بالضم صنم وقد يفتح فاستحب أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت قال
الرازى وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز أن يريد بهذا الدعاء الا عبادة غير الله
والحجر كالصنم فى ذلك ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم أنه قال (رب انهن) أى الاصنام (أضللن
كثيرا من الناس) بعبادتهم لها ♦(تنبيه)♦ اتفق كل الفرق على أن قوله أضللن مجاز لانها
جمادات والجماد لا يفعل شيأ البتة الا انه لما حصل عند عبادتها أضيف اليها كما تقول فتنتهم
الدنيا وغرتهم أى افتتنوا بها واغتروا بسببها ثم قال (فمن تبعنى) أى على التوحيد (فانه منى)
أى فانه جار مجرى بعضى لفرط اختصاصه بى وقربه منى (ومن عصانى) أى فى غير الدين (فانك
غفور رحيم) وهذا صريح فى طلب الرحمة والمغفرة لاولئك العصاة واذا ثبت حصول هذه
الشفاعة فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثبت حصولها فى حق محمد صلى الله عليه وسلم
لانه مأمور بالاقتداء به كما قال تعالى اتبع ملة ابراهيم وقيل ان هذا الدعاء كان قبل أن يعلم
ابراهيم ان الله لا يغفر الشرك وقيل انك قادر أن تغفر له وترحمه بان تنقله عن الكفر الى الاسلام
وقيل المراد من هذه المغفرة أن لا يعاجلهم بالعقاب بل يمهلهم حتى يتوبوا قال الرازى واعلم
أن هذه الاوجه ضعيفة والاقوى ما قررناه أولا ♦(تنبيه)♦ حكى الله سبحانه وتعالى عن ابراهيم
عليه السلام فى هذا الموضع انه طلب من الله تعالى سبعة أمور الاول طلب من الله تعالى نعمة
الامان وهو رب اجعل هذا البلد آمنا المطلوب الثانى أن يرزقه الله تعالى التوحيد ويصونه
عن الشرك وهو قوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام المطلوب الثالث قوله (ربنا انى أسكنت
من ذريتى) أى بعض ذريتى أو ذرية من ذريتى فحذف المفعول على هذا القول وهم اسمعيل
ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد) هو وادى مكة المشرفة لكونه فى فضاء
منخفض بين جبال تجرى فيه السيول (غير ذى زرع) أى لا يكون فيه من الزرع شئ فانه حجرى
لا ينبت كقوله تعالى قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج (عند بيتك
المحرم) أى الذى حرمت التعرض له والتهاون به وجعلت ما حوله حرما لمكانه أو لانه لم يزل معظما
ممتنعا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه أن يجتنب أو لانه محرم عظيم الحرمة لا يحل
انتهاكه أو لانه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه
أو لانه أمر الصائرين اليه أن يحرموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم من قبل أو لانه حرم
موضع البيت حين خلق السموات والارض وحفه بسبعة املاك وهو مثل البيت المعمور
الذى بناه آدم فرفع الى السماء السادسة وروى ان هاجر كانت أمة لسارة فوهبتها لابراهيم
عليه السلام فولدت منه اسمعيل فقالت سارة كنت أريد أن يهب الله لى ولدا من خليله
فمنعنيه ورزقه خادمتى وغارت عليهما وقالت لابراهيم بعدهما عنى وناشدته بالله أن
يخرجهما من عندها فنقلهما الى مكة واسمعيل رضيع حتى وضعهما عند البيت عند دوحة

خصيف فلما رأى ابليس
لا نصل اليهم ذكرهم
واد بمن منهم خفية (قوله
لا قول) اى لا تقف وبه
حرف هو دونه فى التعبير
عن الشئ الواحد بمتساويين
وخص ما هنا بالاول

وهو في موضع الحال * ولما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لا على وجه الافصاح والتصريح قال (ان ربي) أي المحسن الى (لسميع الدعاء) أي لمجيبه (فان قيل) الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه (أجيب) بان هذا من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده * المطلوب الخامس قوله (رب اجعلني مقيم الصلوة) أي معدلا لها ومواظبا عليها * (تنبيه) * في الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الاصنام يدل على أن ترك المنهيات لا يحصل الا من الله تعالى وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة يدل على ان فعل المأمورات لا يحصل الا من الله تعالى وذلك تصريح بان ابراهيم عليه السلام كان مصرا على ان الكل من الله تعالى وقوله تعالى (ومن ذريتي) عطف على المنصوب في اجعلني أي واجعل بعض ذريتي كذلك لان كلمة من في قوله ومن ذريتي للتبعيض وانما ذكر هذا التبعيض فلانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين * المطلوب السادس أنه عليه السلام لما دعا الله تعالى في المطالب المذكورة دعا الله تعالى في أن يقبل دعاءه فقال (ربنا وتقبل دعاء) قال ابن عباس يريد عبادتي بدليل قوله تعالى وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وقيل دعائي المذكور * المطلوب السابع قوله (ربنا) أي أيها المالك لامورنا المدبر لنا (اغفرلي) فان قيل ان طلب المغفرة انما يكون بعد سابقة ذنب (أجيب) بان المقصود من ذلك الالتجاء الى الله تعالى وقطع الطمع الا من فضله وكرمه ورحمته ثم أشرك معه أقرب الناس اليه وأحقهم بشكره فقال (ولوالدي) فان قيل كيف جاز أن يستغفر لوالديه وكانا كافرين (أجيب) بوجوه الاول ان المنع منه لا يعلم الا بتوقيف فلعله لم يجد منه منعا وظن كونه جائزا الثاني أراد بوالديه آدم وحواء الثالث كان ذلك بشرط الاسلام وقال بعضهم كانت أمه مؤمنة ولذلك خص أباه بالذكر في قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه * ثم دعا لمن تبعه في الدين من ذريته وغيرهم بقوله (وللمؤمنين) أي المعريقين في هذا الوصف (يوم يقوم) أي يوجد ويظهر (الحساب) وقيل أراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خليله ابراهيم عليه السلام وفيه بشارة عظيمة للمؤمنين بالمغفرة فنسأل الله تعالى أن يغفرلنا ولوالدينا ولمشايخنا ولاحبابنا ولمن نظر في هذا التفسير ودعا لمن كان سببا فيه بالمغفرة * ولما بين تعالى دلائل التوحيد ثم حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله تعالى أن يصونه عن الشرك وطلب منه أن يوفقه للاعمال الصالحة وان يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة عقبه بقوله تعالى مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) لان الغفلة معنى يمنع الانسان عن الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال والمقصود من ذلك التنبيه على انه ينتقم للمظلوم من الظالم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بانه لا يعاملهم معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا عنه وعن سفيان ابن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من

قوله (تنبيه) ان قلت لا حاجة الى تخصيصها لانه يكفي في جمع الآية والقرينة وحدها انما والقرينة واحدة (قلت) جمع ارا ... ما يقتضي من ... بالضرورة ... خطاب ابراهيم ... ونسبة ... ولو امكن ... من قومه

والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون وقال ابن عباس لو قال أفئدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم ولما دعا لهم بالدين دعا لهم بالرزق فقال (وارزقهم من الثمرات) ولم يقل وارزقهم الثمرات وذلك يدل على أن المطلوب بالدعاء ايصال بعض الثمرات اليهم ويحتمل أن يكون المراد بايصال بعض الثمرات اليهم ايصالها اليهم على سبيل التجارات كما قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الصيفية والربيعية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب وأن يكون المراد عمارة القرى بالقرب منها لتحصيل تلك الثمار وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال ابراهيم ذلك رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم (لعلهم يشكرون) يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لاداء العبادات واقامة الطاعات فان ابراهيم عليه السلام بين انه انما طلب تيسير المنافع على أولاده لاجل أن يتفرغوا لاقامة الطاعات واداء الواجبات * ولما طلب عليه السلام من الله تعالى تيسير المنافع لاولاده وتسهيلها عليهم ذكر انه لا يعلم عواقب الاحوال ونهاية الامور في المستقبل فانه تعالى هو العالم بها والمحيط باسرارها فقال (ربنا انك تعلم ما نخفى) أى نسر (وما نعلن) وهذا هو المطلوب الرابع والمعنى أنك أعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منا وقيل ما نخفى من الوجد بسبب حصول الفرقة بينى وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء وقيل ما نخفى من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا واختلف في قوله تعالى (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) فقيل من تتمة قول ابراهيم عليه السلام يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ في أى مكان والاكثرون على انه قول الله تعالى تصديقا لابراهيم فيما قال كقوله تعالى وكذلك يفعلون ولفظة من تفيد الاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شئ ما ولما أتم ابراهيم عليه السلام ما دعا به أتبعه الحمد على ما رزقه من النعم بقوله تعالى (الحمد لله) أى المستجمع لصفات الكمال (الذى وهب لى) أى أعطانى (على الكبر) أى وهب لى وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من المعجزة (اسمعيل واسحق) ومقدار ذلك السن غير معلوم من القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقال ابن عباس ولد اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة (فان قيل) ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء عند ما اسكن اسمعيل وأمه في ذلك الوادى وفي ذلك الوقت ما ولد اسحق فكيف يمكنه أن يقول ذلك (أجيب) بان هذا يقتضى ان ابراهيم انما ذكر هذا الكلام في زمن آخر لا عقب ما تقدم من الدعاء قال الرازى ويمكن أيضا أن يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق وان كان ظاهر الروايات بخلافه انتهى *(تنبيه)* قوله على الكبر بمعنى مع كقوله

انى على ما ترين من كبرى * أعلم من حيث يؤكل الكتف

يقول خواص الملك ربنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك وفي ذلك اظهار لمزيد قربهم بالملك (قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك

في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم (وضربنا) اى وبينا (لكم الامثال) في القرآن أن عاقبتهم عادت الى الوبال والخزى والنكال مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المعجل وذلك في كتاب الله تعالى كثير ولما ذكر تعالى صفة عقابهم أتبعه بذكر كيفية مكرهم بقوله تعالى (وقد مكروا مكرهم) اى الشديد العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم واختلف في عود الضمير في مكروا على وجوه الاول أن يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لان الضمير يعود الى أقرب مذكور والثانى الى قوم محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وأنذر أى يا محمد الناس وقد مكر قومك مكرهم وذلك المكر هو الذى ذكر الله تعالى في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك (وعند الله مكرهم) اى ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه وقيل ان مكرهم لا يزيل أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه في الآية قولا آخر وهو أنها نزلت في نمروذ الجبار الذى حاج ابراهيم في ربه فقال نمروذ ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أصعد الى السماء فأعلم ما فيها ثم أمر نمروذ صاحبه فاتخذ لنفسه تابوتا وجعل له بابا من أعلاه وبابا من أسفله وربط قوائمه الاربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الاربع من التابوت عصا أربعة وعلق على كل واحدة منها قطعة لحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت فلما أبصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت في جو الهواء فطارت يوما حتى أبعدت في الهواء فقال نمروذ لصاحبه افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمروذ لصاحبه افتح الباب الاعلى ففتح فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى أيها الطاغى أين تريد قال عكرمة كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بالدم فقال كفيت اله السماء وذلك لطائر أصابه السهم فقيل سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفيت اله السماء فأمر نمروذ صاحبه أن يصوب الخشب التى علق عليها اللحوم ففعل فهبطت النسور وهبطت الى الارض فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد حدث في السماء حدث وأن القيامة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى (وان كان مكرهم) أى من القوة والفخامة (لتزول منه الجبال) قال الرازى ولا حاجة في تأويل الآية الى هذا فانه لم يجئ فيه خبر صحيح معتمد انتهى والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها في القرار والثبات وقرأ الكسائى بفتح اللام الاولى ورفع الاخيرة والباقون بكسر الاولى وفتح الثانية والتقدير على القراءة الاولى وان كان من شأنه تزول منه الجبال وقيل ان نافية واللام لتأكيد النفى (فلا تحسبن الله) الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته (مخلف وعده رسله) من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين كما قال تعالى انا لننصر رسلنا وقال تعالى كتب الله لاغلبن أنا ورسلى (فان قيل) هلا قال مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثانى على الاول (أجيب) بانه تعالى قدم ذلك ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله

(والرهبانية) كذب اصحابها ... او ... الجبابرة واتباعهم ... (فان قلت) ... [illegible] ... (قلت) ...

عليه (فان قيل) كيف يليق به صلى الله عليه وسلم أن يحسب الله موصوفا بالغفلة وهو أعلم الناس به (أجيب) بوجوه الاول أن المراد به التثبت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله تعالى لا تدع مع الله الها آخر والثانى ان المقصود منه بيان انه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لاجل غفلته عن ذلك الظلم والثالث ان المراد ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير والرابع أن يكون هذا الكلام وان كان خطابا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الظاهر الا أنه يكون فى الحقيقة خطابا مع الامة ثم بين تعالى انه (انما يؤخرهم) أى عذابهم (ليوم) موصوف بخمس صفات الصفة الاولى قوله تعالى (تشخص فيه الابصار) أى أبصارهم لا تقر مكانها من هول ما ترى فى ذلك اليوم الصفة الثانية قوله تعالى (مهطعين) أى مسرعين الى الداعى أو مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكن الصفة الثالثة قوله تعالى (مقنعى رؤسهم) أى رافعيها اذ الاقناع رفع الرأس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم أنهم رافعو رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء يطرق بصره الى الارض وقال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد الصفة الرابعة قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أى بل تثبت عيونهم شاخصة لا يطرفون بعيونهم ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان قد شغلهم ما بين أيديهم الصفة الخامسة قوله تعالى (وأفئدتهم) أى قلوبهم (هواء) أى خالية من العقل لفرط الحيرة والدهشة وقال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت فى حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أماكنها * (تنبيه) * اختلفوا فى وقت حصول هذه الصفات فقيل انها عند المحاسبة بدليل انه تعالى انما ذكر هذه الصفات عقب وصف ذلك بانه يوم يقوم الحساب وقيل انها تحصل عندما يتميز فريق عن فريق فالسعداء يذهبون الى الجنة والاشقياء الى النار وقيل يحصل عند اجابة الداعى والقيام من القبور قال الرازى والاول أولى (وأنذر الناس) يا محمد أى خوفهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (يوم يأتيهم العذاب) أى الذى تقدم ذكره وهو شخوص أبصارهم وكونهم مهطعين مقنعى رؤسهم (فيقول الذين ظلموا) أى كفروا (ربنا أخرنا) أى بان تردنا الى الدنيا (الى أجل قريب) أى الى امد واحد من الزمان قريب (نجب دعوتك) أى بالتوحيد ونتدارك ما فرطنا فيه (ونتبع الرسل) فيما دعونا اليه فيقال لهم توبيخا (أولم تكونوا أقسمتم) أى حلفتم (من قبل) فى الدنيا (ما لكم) وأكد النفى بقوله (من زوال) أى ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور كما قال فى آية أخرى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وكانوا يقولون لا زوال لنا من هذه الحياة الى حياة أخرى ومن هذه الدار الى دار المجازاة لا انهم كانوا ينكرون أن يزولوا عن حياة الى موت أو عن شباب الى هرم أو عن غنى الى فقر ثم انه تعالى زادهم توبيخا آخر بقوله تعالى (وسكنتم) فى الدنيا (فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر من الامم السابقة (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) أى وظهر لكم بما تشاهدون

كان من اهلاكهم وقلب المدينة على من فيها وامطار الحجارة على من غاب منها ووحد ثانيا باعتبار وصف قرية قوم لوط وانها اشار اليها بقوله وانها لبسبيل مقيم (قوله واقد

الكافر كل كافر مع شيطان في غل وقال عطاء هو مثل قوله تعالى وإذا النفوس زوجت أي
قرنت فتقرن نفوس المؤمنين بنفوس الحور العين ونفوس الكافرين بقرنائهم من الشياطين
وقيل هو قرن بعض الكفار ببعض فتضم تلك النفوس الشقية والأرواح الكدرة الظلمانية
بعضها إلى بعض لكونها متشاكلة متجانسة وتتنادى ظلمة كل واحدة منها إلى الأخرى وقال
ابن زيد قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال الصفة الثانية قوله تعالى (سرابيلهم)
أي قمصهم جمع سربال وهو القميص (من قطران) وهو شيء يتحلب من شجر يسمى الأبهل
فيطبخ وتطلى به الإبل الجرب فيحرق الجرب بحرارته وحدته وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف
ومن شأنه أنه يتسارع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار
حتى يصير ذلك الطلاء كالسرابيل فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب لذع القطران
وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح وأيضاً التفاوت بين قطران
القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين النارين الصفة الثالثة قوله تعالى (وتغشى) أي تعلو
(وجوههم النار) ونظيره قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب وقوله تعالى يوم يسحبون
في النار على وجوههم ولما كان موضع العلم والجهل هو القلب وموضع الفكر والوهم هو
الرأس وأثر هذه الأحوال يظهر في الوجه فلهذا خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار
العقاب فيهما فقال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وقال في الوجه وتغشى
وجوههم النار وقوله تعالى (ليجزي الله) متعلق ببرزوا (كل نفس ما كسبت) أي من خير
أو شر وهذا أولى من قول الواحدي المراد منه أنفس الكفار لأن ما سبق ذكره لا يليق أن
يكون جزاء لأهل الإيمان ولما كان حساب كل نفس جديراً بأن يستعظم قال (إن الله سريع
الحساب) أي لا يشغله حساب نفس عن حساب أخرى ولا شأن عن شأن وقوله تعالى (هذا)
إشارة إلى القرآن الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور نزل منزلة الحاضر أو إلى
السورة (بلاغ) أي كفاية في الإيصال (للناس) أو الموعظة بهم وقوله تعالى
(ولينذروا) أي وليخوفوا (به) عطف على محذوف وذلك المحذوف متعلق ببلاغ تقديره أي
لينصحوا ولينذروا وقيل الواو مقحمة ولينذروا متعلق ببلاغ (وليعلموا) أي بما فيه من الحجج
على وحدانية الله تعالى (أنما هو) أي الله (إله واحد) فيستدلوا بذلك على أن الله واحد
لا شريك له (وليذكر) بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ (أولوا الألباب) أي أصحاب
العقول الصافية من الأكدار والأفهام الصحيحة فإنه موعظة لمن اتعظ (تنبيه) ذكر سبحانه
وتعالى لهذا البلاغ ثلاث فوائد مستفادة من قوله تعالى ولينذروا به وما بعده والحكمة في
إنزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد
واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها
بمحمد وآله وفعل ذلك بوالدينا وأحبابنا وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله
عليه وسلم قال من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام
وعدد من لم يعبد حديث موضوع قال العلامة ابن جماعة في شرح منظومة ابن فرح التي أولها
غرامي صحيح فرع من غرائب الجويني يكفر واضع الحديث أي والمشهور عدم تكفيره

ولا جان (قلت) لأن في يوم
القيامة مواقف ففي بعضها
يسألون وفي بعضها لا يسألون
وفي هود ولا تكلم نفس إلا بإذنه
وتقدم نظيره في ...
[illegible]

تعالى ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدل به على انه تعالى اذا لم يخلف وعده أحدا واذ ليس من شأنه اخلاف المواعيد فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله) اى ذو الجلال والاكرام (عزيز) اى غالب يقدر ولا يقدر عليه (ذو انتقام) اى ممن عصاه وقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التى تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وقوله تعالى (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل التغيير وقد يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفى الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل آخر ومنه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتمل كل واحد من هذين المفهومين فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير أوصافها وأنشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ❊ ولا الدار بالدار التى كنت تعلم

فتبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتستوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لاحد أخرجاه فى الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهى البيضاء الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقى وهو الخبز الابيض الجيد الفائق المائل الى الحمرة كأن النار ميلت بياضه وجهه الى الحمرة وقوله ليس فيها معلم لاحد يعنى ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيئتها وصفتها وزوال جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل به وعن ابن مسعود انه قال تبدل الارض بارض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وعن الضحاك أيضا من فضة كالصحائف وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم فى الظلمة دون الحشر قال الرازى واعلم انه لا يبعد أن يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم والسموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين (وبرزوا) اى خرجوا من قبورهم (لله) اى لحكمه والوقوف بين يديه تعالى للحساب (الواحد) اى الذى لا شريك له (القهار) اى الذى لا يدافعه شئ عن مراده كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولما وصف نفسه سبحانه وتعالى بكونه قهارا بين عجزهم وذلتهم بقوله تعالى (وترى) يا محمد اى تبصر (المجرمين) اى الكافرين (يومئذ) اى يوم القيامة ثم ذكر تعالى من صفات عجزهم وذلتهم أمورا الصفة الاولى قوله تعالى (مقرنين) أى مشدودين (فى الاصفاد) جمع صفد وهو القيد قال

واحدا كذب جميع الرسل لاتفاقهم فى دعوة الناس الى توحيد الله تعالى (قوله فوربك لنسألنهم اجمعين) ❊ ان قلت كيف قال ذلك هنا وقال فى الرحمن فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس

بآية القتم والهاء الامل أتبعه بما يؤكد الزجر بقوله تعالى (وما أهلكنا من قرية) أي من
القرى والمراد أهلها ومن مزيدة (الا ولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب محدود مكتوب
في اللوح المحفوظ لهلاكها *(تنبيه)* المستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل
أن لا تدخلها الواو كقوله تعالى الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف
كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب *(فائدة)* رسم كتاب هنا باثبات
الالف ثم بين تعالى الآية السابقة بقوله تعالى (ما تسبق) وأكد الاستغراق بقوله تعالى
(من أمة) وقيل من مزيدة كقولك ما جاءني من أحد أي أحد وبين ان المراد بالكتاب الاجل
بقوله تعالى (أجلها) أي الذي قدرناه لها (وما يستأخرون) أي عنه *(تنبيه)* أنث الامة
أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ في الاول وعلى المعنى في الثاني قال البقاعي وانما ذكره لئلا
يصرفوه الى خطابه صلى الله عليه وسلم تهتكا وفي الآية دليل على أن كل من مات أو قتل فانما
مات بأجله وان من قال يجوز أن يموت قبل أجله مخطئ * ولما بالغ تعالى في تهديد الكفار ذكر
شبههم في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي
القرآن في زعمه (انك لمجنون) انما نسبوه الى الجنون اما لانهم كانوا يستبعدون كونه رسولا
حقا من عند الله لان الرجل اذا سمع كلاما مستبعدا من غيره فربما قال به جنون واما لانه عليه
الصلاة والسلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا أنها جنون ويدل
عليه قوله تعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ثم أتبعوه ما هو كالدليل على قولهم فقالوا
(لوما) أي هلا (تأتينا بالملائكة) أي يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (ان كنت من
الصادقين) في ادعائك الرسالة وان هذا القرآن من عند الله ولما كان لهم أمران أجاب
الله تعالى عن قولهم الثاني لانه أقرب بقوله تعالى (ما ننزل الملائكة الا بالحق) أي الا تنزيلا
ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونهم ويشهدون لكم
بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي أو العذاب وقرأ شعبة بضم
التاء مع فتح الزاي ورفع الملائكة وحفص وحمزة والكسائي بنون الاولى مضمومة والثانية
مفتوحة وكسر الزاي ونصب الملائكة والباقون بالتاء مفتوحة مع فتح الزاي ورفع الملائكة
وشدد التاء البزي في الوصل وأما الزاي فهي مشددة للجميع من يفتح ومن يكسر (وما كانوا)
أي الكفار (اذا) أي اذ تأتيهم الملائكة (منظرين) أي لزوال الامهال عنهم فيهلكوا في الحال
ان لم يؤمنوا ويصدقوا وكان حينئذ يفوت ما قضيناه من تأخيرهم واخراج من أردنا ايمانه
من اصلابهم ثم أجاب تعالى عن الاول بقوله ان مؤكدا لتكذيبهم (انا نحن) بما لنا من
العظمة والقدرة (نزلنا) أي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام (الذكر) أي القرآن
(وانا له لحافظون) أي من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها
لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه كلمة واحدة أو حرفا
واحدا وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخلها على بعضها

سورة الحجر مكية بالاجماع

وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وعدد حروفها ألفان وسبعمائة وستون حرفا

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذي أسبغ نعمه على سائر بريته فعجزت عن وصفه الافكار (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بنجاتهم من النار وقوله تعالى (الر) ذكر فيه الفتح والامالة أول يونس وقيل معناه أنا الله أرى وقدمنا الكلام على أوائل السور في أول سورة البقرة وقوله تعالى (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أي هذه الآيات (آيات الكتاب) أي القرآن والاضافة بمعنى من وقوله تعالى (وقرآن مبين) أي مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة وقيل المراد بالكتاب هو السورة وكذا القرآن وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل وبالقرآن هذا الكتاب ثم بين سبحانه وتعالى حال الكفار يوم القيامة بقوله تعالى (ربما يود) أي يتمنى (الذين كفروا) اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين في ذلك اليوم (لو كانوا مسلمين) وقيل حين يعاينون حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت ورب للتكثير فانه يكثر منهم تمني ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك الا في أحيان قليلة فان قيل لم دخلت رب على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضي أجيب بان المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود وقرأ عاصم ونافع بتخفيف باء ربما والباقون بالتشديد قال أبو حاتم أهل الحجاز يخففون ربما وقيس وبكر يثقلونها ولما تمادوا في طغيانهم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ذرهم) أي دعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال كالتقرب في أنه طلب القرب حالا بعد حال (ويلههم الأمل) أي ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن أخذ حظهم من الطاعة وعن الاستعداد للمعاد قرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي برفع الهاء والميم والباقون بكسر الهاء ورفع الميم وأما الوقف فالجميع بكسر الهاء والكلام على الهاء الثانية وأما الهاء الاولى فمكسورة للجميع وقفا ووصلا * ولما كان هذا أمرا لا يشتغل به الأحمق تسبب عنه التهديد بقوله تعالى (فسوف يعلمون) أي ما يحل بهم بعد ما فسحنا لهم في زمن التمتع من سوء صنيعهم وهذا قبل الامر بالقتال *(تنبيه)* في الآية دليل على أن ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي الى طول الامل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين والاخبار في ذم الامل كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وعن علي رضي الله تعالى عنه انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق ولما هددهم تعالى

استعلام واستخبار

* سورة الحجر *

(قوله حين تعاينون وحين يرحمون) قدم الارادة على السمع مع انها مؤخرة عنه في الواقع لان الاتمام وقت الارادة

عتوهم في الكفر (إنما سكرت أبصارنا) أي سدت عن الإبصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة الباقين بالتشديد (بل نحن قوم مسحورون) أي قد سحرنا محمد بذلك أي كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات كانشقاق القمر وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله وقيل الضمير في يعرجون للمشركين أي فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من العجائب لما آمنوا لعنادهم وكفرهم وقالوا إنما سحرنا وقرأ الكسائي بإدغام لام بل في النون والباقون بالاظهار ولما أجاب الله تعالى عن شبهة منكري النبوة والقول بالنبوة متفرع على القول بالتوحيد ذكر دلائل التوحيد منها سماوية ومنها أرضية وبدأ منها بذكر الدلائل السماوية فقال مفتتحا بحرف التوقع (ولقد جعلنا) بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة (في السماء بروجا) قال الليث البروج واحدها برج من بروج الفلك والبروج هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور يقال تبرجت المرأة اذا ظهرت وأراد بها المنازل التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الأسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو وهذه البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تدور السنة ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما [illegible] وقال مجاهد هي النجوم العظام قال أبو [illegible] وأظهر ابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام (وزيناها) أي السماء بالشمس والقمر والنجوم والأشكال والهيئات البهيجة (للناظرين) أي المعتبرين المستدلين بها على وحدانية خالقها [illegible] هو الله الذي أحسن كل شيء خلقه [illegible] (وحفظناها من كل شيطان رجيم) أي مرجوم [illegible] ملعون قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الأرض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا والله هذا الحدث وقوله تعالى (إلا من استرق السمع) بدل من كل شيطان رجيم وقيل استثناء منقطع أي لكن من استرق السمع واستراق السمع اختلاسه قال ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب كما قال تعالى (فأتبعه شهاب مبين) وهو شعلة من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البريق يشبه شهاب النار

بتأخير فيه عن مواخر وبالواو وفي اتقفوا وقال في فاطر بتقديم [illegible] وحذف الواو [illegible] على القياس [illegible] اذا الفاء [illegible] الاول التي [illegible] ومواخر [illegible]

التحريف والتبديل والزيادة والنقصان (فان قيل) فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في
المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه (أجيب) بان جمعهم
القرآن في المصحف كان من أسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما أراد حفظه قيضهم لذلك
قال أصحابنا وفي هذه الآية دلالة قوية على كون البسملة آية من أول كل سورة لان الله تعالى
قد وعد بحفظ القرآن والحفظ لا معنى له الا أن يبقى مصونا من الزيادة والنقصان فلو لم تكن
البسملة آية من القرآن لما كان مصونا عن التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن
يظن بالصحابة أنهم زادوا لجاز أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه
حجة وقيل الضمير في له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وانا له لحافظون ممن أراده
بسوء فهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس * ولما أساء الكفار عليه صلى الله عليه وسلم في
القول وخاطبوه بالسفاهة وقالوا انك لمجنون وكان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الأنبياء قال
سبحانه وتعالى تسلية له على وجه ردا عليهم (ولقد أرسلنا من قبلك) أي رسلا فحذف ذكر
الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى (في شيع) اي فرق (الاولين) من باب اضافة الصفة الى
الموصوف كقوله تعالى حق اليقين ومواشيعة المتابعة بعضهم بعضا في الاحوال التي يجتمعون
عليها في الزمن الواحد والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المجتمعة المتفقة كلمتهم على مذهب
وطريقة وقال الفراء الشيع هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم
الانسان (وما يأتيهم) عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل على مضارع الا
وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال والاصل وما كان يأتيهم (من رسول)
اي على اي وجه كان (الا كانوا به) جملة وطها (يستهزئون) كاستهزاء قومك بك فاصبر
فاصبر كما صبروا (كذلك) اى مثل ادخالنا التكذيب في قلوب هؤلاء المستهزئين بالر[سل]
(نسلكه) اى ندخله (في قلوب المجرمين) اى كفار مكة المستهزئين (لا يؤمنون به) اى بالنبي صلى
الله عليه وسلم وقيل بالقرآن وفي الآية دليل على أن الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار
والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون ومنه قوله تعالى ما سلككم
في سقر وقيل الضمير في نسلكه يعود للذكر لأن الضمير في به يعود اليه وجملة لا يؤمنون به حال
من ذلك الضمير والمعنى على هذا مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا به غير
مؤمن به قال البيضاوي وهذا الاستدلال ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في
المرجوع اليه اه وما اعتمدت الضمير عليه في ذلك هو ما قاله ابن الخازن وجرى عليه الجلال
السيوطي وقوله تعالى (وقد خلت سنة الاولين) أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم
أنبياءهم وعيد شديد لكفار مكة بأنه ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة وقال الزجاج
قد مضت سنة الله في أن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم قال الرازي وهذا أليق بظاهر اللفظ
وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بادغام تاء التأنيث في السين والباقون بالاظهار وقوله تعالى
(ولو فتحنا عليهم بابا من السماء) الآية هو المراد في سورة الانعام في قوله تعالى ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس الآية أي الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة فلو أنزلنا الملائكة (فظلوا فيه)
أي فظلت الملائكة (يعرجون) أي يصعدون في الباب وهم يرونها عيانا (لقالوا) أي من

تشكرون) وحد الآية هي
هذه السورة في خمسة
مواضع نظر المدلولها وجمعها
في موضع لمناسبة قوله
قبلها مسخرات (قوله
وترى الفلك مواخر فيه
ولتبتغوا من فضله) قاله هنا

والملابس والمعادن وغيرها (و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين) من العبيد والانعام والدواب
والطير فانكم تنتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله تعالى وبعض
الجهال يظنون في أكثر الامر انهم هم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد وذلك خطأ فان
الله هو الرزاق يرزق الخادم والمخدوم والمملوك والمالك لانه تعالى خلق الاطعمة والاشربة
وأعطى القوة الغاذية والهاضمة والا لم يحصل لاحد رزق (فان قيل) صيغة من مختصة بمن
يعقل (أجيب) بانه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله تعالى حيث قال وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فغلب من يعقل على غيره حكى ان الماء
قد قل في بعض الاودية والجبال واشتد الحر قال بعضهم فرأيت بعض تلك الوحوش رفعت
رؤسها الى السماء عند اشتداد عطشها قال فرأيت الغيم قد أقبلت وأمطرت وامتلأت
الاودية *(تنبيه)* قيل لا يجوز أن يكون ومن لستم له برازقين مجرورا عطفا على الضمير
المجرور لا يقال أخذت منك وزيدا الا باعادة الخافض كما في قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح والراجح الجواز كما قرئ قوله تعالى تساءلون به والارحام بالجر في
القراآت السبع وهذا أعظم دليل لما بين سبحانه وتعالى أنه أنبت لهم كل شئ موزون
وجعل لهم معايش أشعر بذكرها والسبب لذلك فقال تعالى (وان) أي وما (من شئ) أي مما
ذكر وغيره من الاشياء الممكنة وهي لا نهاية لها (الا عندنا خزائنه) أي قادرون على ايجاده
وتكوينه أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وروى جعفر
ابن محمد عن أبيه عن جده قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر والخزائن جمع
خزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشئ وقيل أراد مفاتيح الخزائن وقيل المطر لانه سبب
الارزاق لبني آدم والوحش والطير والدواب بمعنى عنده الاعيان [illegible]
وتدبيره (وما ننزله) من بقاع القدرة (الا بقدر معلوم) أي على حسب المصالح وقيل [illegible]
أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا ينزل من السماء قطرة الا ومعها ملك يسوقها حتى الى
حيث يريد الله [illegible] ولما أتم ما أراد من آيتي السماء والارض [illegible]
ما تشاهدون [illegible] خزائن قدرته بقوله تعالى (وأرسلنا الرياح) [illegible]
وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع المر (لواقح) أي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب
فهي لاقحة يقال ناقة لاقحة اذا حملت الولد وقال ابن مسعود يرسل الله تعالى الريح فتحمل الماء
فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر وقال عبيد بن عمير يبعث الله تعالى
الريح المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما
ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر وعن ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثا النبي صلى الله
عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها ريحا وعن عائشة رضي الله عنها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وخير
ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وقرأ حمزة بالافراد
والباقون بالجمع (فأنزلنا) أي بعظمتنا بسبب تلك السحاب التي حملتها الريح (من السماء) أي
الطبقة أو جهتها أو السحاب لان الاسباب المترتبة يسند الشئ تارة الى القريب منها وتارة

هذا الخ (قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق) هذا من عكس التشبيه اذ مقتضى الظاهر ان الخطاب [illegible] العكس [illegible] الاوثان [illegible] تعالى [illegible] الكامل [illegible]

(قوله المترتبة) هكذا بالاصل الطبع وفي بعض النسخ المتقاربة وفي بعض المترافقة اهـ مصححه

ولا يخطئ أحدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله ومنهم من
يخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قضى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو
السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه
فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها الآخر الى لسان
الساحر أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب
معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعها من
السماء (فان قيل) اذا جاز أن يسمع الشيطان أخبار الغيوب من الملائكة خرج الاخبار عن
المغيبات عن كونه معجزا دليلا على الصدق لان كل غيب يخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قام
فيه الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه معجزا دليلا على الصدق (أجيب) بأنا أثبتنا كون محمد
صلى الله عليه وسلم رسولا بسائر المعجزات ثم بعد العلم بنبوته نقطع بأن الله تعالى أعجز الشياطين
عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيب معجزا ولما شرح الله تعالى
الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الارضية وهي أنواع النوع الاول
قوله تعالى (والارض مددناها) قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء قال البغوي يقال انها
مسيرة خمسمائة سنة في مثلها دحيت من تحت الكعبة (فان قيل) فهل يدل ذلك على أنها بسيطة
أو كرة عظيمة على ما يقوله أرباب الهيئة (أجيب) بأنه ليس في الآية دلالة على شيء من ذلك
لان الارض على تقدير كونها كرة فهي في غاية العظمة والكرة العظيمة ترى كالسطح المستوي
وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وسيأتي زيادة على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة
والنازعات النوع الثاني قوله تعالى (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت واحدها راس
والجمع راسية وجمع الجمع رواسي وهو كقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم قال ابن
عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرساها الله تعالى بالجبال
الثقال لكي لا تميد بأهلها وقيل ان الله تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الارض
ونواحيها لانها كالاعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال النوع
الثالث قوله تعالى (وأنبتنا فيها) واختلف في عود ضمير فيها فقيل يعود الى الارض لان أنواع
النبات المنتفع به تكون في الارض وقيل الى الجبال لانها أقرب مذكور ولقوله تعالى (من كل
شيء موزون) وانما يوزن ما يتولد من الجبال والاولى عوده اليهما واختلفوا في المراد بالموزون
فقال ابن عباس أي معلوم وقال مجاهد أي مقدار معين تقتضيه حكمته وقال الحسن أعني به
الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن
والاولى أنه جميع ما ينبت في الارض والجبال لان ذلك نوعان أحدهما ما يستخرج من المعادن
وجميع ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون وبعضه بالكيل وهو يرجع الى الوزن لان
الصاع والمد مقدران بالوزن (وجعلنا لكم فيها) أي انعاما منا وتفضلا عليكم (معايش) وهي
بالياء جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم

العطف على لام العلة في قوله لتأكلوا منه وتقدم في فاطر وجه المناسبة ما قبله من تقديم الجار والمجرور على ما بعده في قوله ومن كل تأكلون لحما طريا وحذف الواو لعدم المعطوف عليه

وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي (من صلصال) أي من الطين الشديد
اليابس الذي لم تصبه نار اذا نقرته سمعت له صلصلة أي صوتا وقال ابن عباس هو الطين اذا
نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال
الفراء هو طين خلط برمل فصار له صوت عند نقره وقال الرازي قال المفسرون خلق الله تعالى
آدم من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة فصار صلصالا لا يدري أحد ما يراد به ولم يروا
شيأ من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح (من حمإ) أي طين أسود منتن (مسنون) أي
مصور بصورة الآدمي وقال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن وقال مجاهد هو المنتن المتغير
قال البغوي وفي بعض الآثار ان الله تعالى خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيرا أسود ثم خلق
منه آدم عليه السلام قال ابن الخازن والجمع بين هذه الاقوال على ما ذكره بعضهم ان الله تعالى
لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه الاشارة بقوله تعالى ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وحمي حتى اسود وانتن
ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله تعالى من حمإ مسنون ثم ان ذلك الطين الاسود المتغير صوره الله
صورة انسان أجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة واليه الاشارة
بقوله تعالى من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس بحر الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان
بشرا سويا ولما ذكر سبحانه وتعالى خلق الانسان ذكر ما خلقه قبل من الجان فقال تعالى
(والجان) قال ابن عباس هو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر وابليس أبو الشياطين
وفي الجن مسلمون وكافرون ويأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني آدم وأما الشياطين
فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد له ويأكلون
ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون
وهم الشياطين قال ابن الخازن والاصح ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار
سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتي
المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر وانتصب الجان بفعل يفسره (خلقناه من قبل)
أي قبل خلق الانسان (من نار السموم) أي من ريح حارة تدخل مسام الانسان فتقتله من
قوة حرارتها قال الرازي فالريح الحارة فيها نار ولها لفح كما ورد في الخبر انها من فيح جهنم انتهى
ويقال السموم بالنهار والحرور بالليل وقال الكلبي عن أبي صالح السموم نار لا دخان لها
والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء وبين الحجاب فاذا أحدث الله تعالى أمرا
خرقت الحجاب فهوت الى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب وعن ابن عباس
هذه السموم جزء من سبعين جزأ من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الآية وعن الضحاك
عن ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلقت
الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وأما الملائكة فخلقوا من النور * ولما ذكر الله
تعالى حدوث الانسان الاول واستدل بذكره على وجود الاله القادر المختار ذكر بعده واقعته
بقوله تعالى (واذ) أي واذكر يا أشرف الخلق قول ربك عز وجل اذ (قال ربك) أي المحسن
اليك بتشريف أبيك آدم عليه السلام لتشريفك (للملائكة اني خالق بشرا) أي حيوانا

(فان قلت) المراد بمن الاصنام فكيف جيء بمن المختصة باولي العلم (قلت) خاطبهم على معتقدهم لانهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أولي العلم

الى البعيد (ماء) وهو جسم مائع سيال به حياة كل حيوان من شأنه الاغتذاء (فأسقيناكموه) اى جعلناه لكم سقيا يقال سقيته ماء يشرب به واسقيته اى مكنته منه ليسقى به ماشيته ومن يريد وثق سبحانه وتعالى عن غيره ما أثبته أولا لنفسه بقوله (وما أنتم له) أى لذلك الماء (بخازنين) أى ليست خزائنه بأيديكم والخزن وضع الشئ فى مكان مهيإ للحفظ فثبت أن القادر عليه واحد مختار ومن دلائل التوحيد الاحياء والاماتة كما قال تعالى (وانا لنحن نحيى) أى انا بهذه الصفة على وجه العظمة فنحيى بها من نشاء من الحيوان بروح البدن ومن الروح بالمعارف ومن النبات بالنمو وان كان أحدهما حقيقة والآخر مجازا لان الجمع جائز (ونميت) أى انا بهذه الصفة فنبرز بها من عظمتنا ما نشاء (ونحن الوارثون) أى الارث التام اذا مات الخلائق الباقون بعد كل شئ كما كنا ولا شئ فليس لاحد تصرف باماتة ولا احياء فثبت بذلك الوحدانية والفعل بالاختيار فلما ثبت بهذا كمال قدرته وكانت آثار القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم) وهو من تقدم بموته أولا من لدن آدم فيكون فى موته كأنه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من أهله مجتهدا بالعلاج فى تأخيره (ولقد علمنا المستأخرين) أى الذين تمد فى أعمارهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا كأنهم يسابقون الى ذلك وان عاجلوا الموت بشرب سم ونحوه أو عاجله لهم غيرهم بضربهم بسيف أو غيره فعرف من ذلك قطعا أن الفاعل واحد مختار وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين الاموات وبالمستأخرين الاحياء وقال عكرمة المستقدمين من خلق الله تعالى والمستأخرين من لم يخلق وقال الحسن المستقدمين فى الطاعة والخير والمستأخرين المبطئين عنه وقيل المستقدمين من القرون الاول والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المستقدمين فى الصفوف والمستأخرين فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان فى الرجال من فى قلبه ريبة فيتأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء من فى قلبها ريبة فتتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فقال النبى صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها (تنبيه) فى سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم فكان بعضهم يستقدم حتى يكون فى أول صف حتى لا يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون فى آخر صف فاذا ركع نظر من تحت ابطه فنزلت والثانى أن النبى صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ولنشترين دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) أى المستقدمين والمستأخرين للجزاء وتوسط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لا غيره وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله تعالى (انه حكيم) أى باهر الحكمة متقن فى أفعاله (عليم) وسع علمه كل شئ ولما استدل سبحانه وتعالى بتخليق الحيوانات على صحة التوحيد فى الآية المتقدمة أردفه بالاستدلال بتخليق الانسان على هذا المطلوب بقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) قال الرازى والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه آدم عليه السلام ونقل فى كتب الشيعة عن محمد بن على الباقر أنه قال قد انقضى قبل آدم الذى هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر ثم سمى انسانا لظهوره

في خطابهم لانهم بالغوا في عبادتها حتى صارت عندهم أصلا في العبادة والخالق فرعا فاء الانكار على وفق ذلك انهم هموا المراد على معتقدهم

أجيب) بجوابين الاول أن المراد التأبيد وذكر القيامة أبعد غاية تذكرها الناس في كلامهم كقوله تعالى ما دامت السموات والارض في التأبيد والثاني أنه مذموم مدعو عليه باللعن في السموات والارض الى يوم القيامة من غير أن يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا يقترن اللعن معه فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب أن شدة العذاب تذهل عنه ولما جعله الله تعالى رجيما ملعونا الى يوم القيامة فكان قائلا يقول فماذا قال فقيل (قال رب) اعترف بالعبودية والاحسان اليه (فأنظرني) أي أخرني والانظار تأخير المحتاج للنظر في أمره والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) أي الناس أراد أن يجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث (قال) الله تعالى مجيبا للاول دون الثاني بقوله تعالى (فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وهو المعلوم [illegible] عند الله وهو النفخة الاولى وما بينهما مدة موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد (فان قيل) كيف أجابه الله تعالى الى ذلك الامهال (أجيب) بأنه انما أجابه الى ذلك لزيادة بلائه وشقاوته وعذابه لا لاكرامه ورفع مرتبته وانما أجيب لذلك كأنه قيل فاذا فعل ابليس (قال رب) أي أيها المحسن والمربي لي (بما أغويتني) أي بسبب ما قدرت علي من الغواية والباء مصدرية وجواب القسم (لأزينن) أي أقسم باغوائك اياي لأزينن (لهم في الارض) أي في الدنيا وهو كقوله فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا أن في ذلك الموضع أقسم بعزة الله وهي من صفات الذات وهنا أقسم باغواء الله وهي من صفات الافعال والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الافعال والراجح فيها الصحة (ولاغوينهم) أي بالاضلال عن الطريق الحميدة بالقبائح المزينة في قلوبهم ولا علم لهم (أجمعين) [illegible] الغواية وقوله (الا عبادك منهم المخلصين) قرأه ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه الباقون بفتح اللام أي الذين أخلصتهم [illegible] الاشتغال بالعبادة [illegible] ابليس المخلصين [illegible] [illegible] الاستثناء [illegible] [illegible] الكتب [illegible]

القشيري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال سر استودعته قلب من أحببت من عبادي ولما ذكر ابليس أنه يغوي بني آدم الا من عصمه الله بتوفيقه وتضمن هذا الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارادته (قال) تعالى (هذا) أي الذي ذكرته من حال المستثنى والمستثنى منه (صراط) أي طريق (علي مستقيم) أي لا انحراف عنه لاني قضيت به وحكمت به عليك وعليهم ولو لم تقل أنت. ولما قال ابليس لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين أوهم هذا أن له سلطانا على عباد الله غير المخلصين فبين تعالى كذبه أنه ليس له سلطان على أحد من عبيد الله سواء أكانوا مخلصين

(قوله) [illegible] الاموات
لا يذوق [illegible]
احترازا عن أموات
بعضهم أحياء كالملائكة
والبعض [illegible]
وفيها [illegible]
أمر [illegible]

كثيفاً يباشر ويلاق والملائكة والجن لا يباشرون للطف أجسامهم عن ابصار البشر والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان وقوله تعالى (من صلصال من حمإ مسنون) تقدم تفسيره (فاذا سويته) أى عدلته وأتممته وهيأته لنفخ الروح فيه بالفعل (ونفخت فيه من روحي) أى خلقت الحياة فيه وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل وأضاف الروح اليه تشريفاً كما يقال بيت الله وهو ما يصير به الروح عالماً وأشرف منه ما يصير به العالم عاملاً خاشعاً وسيأتي الكلام على الروح ان شاء الله تعالى في سورة سبحان عند قوله تعالى ويسألونك عن الروح (فقعوا) أى اسقطوا (له) تعظيماً حال كونكم (ساجدين) وتقدم في سورة البقرة الكلام على من الخاطب بالسجود وهل هو كل الملائكة أو ملائكة السموات أو ملائكة الارض وهل هو سجود انحناء أو غيره (فسجد الملائكة) وقوله تعالى (كلهم أجمعون) قال سيبويه هذا تأكيد بعد تأكيد وسئل المبرد عن ذلك فقال لو قال فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بأسرهم سجدوا ثم عند هذا بقي احتمال وهو أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت آخر فلما قال أجمعون ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه أجود لأن أجمعين معرفة ٣ فلا يكون حالا وقوله تعالى (الا ابليس) أجمعوا على أن ابليس كان مأموراً بالسجود لآدم واختلفوا في انه هل كان من الملائكة أم لا وقد سبقت هذه المسئلة على الاستقصاء في سورة البقرة وقوله تعالى (أبى أن يكون مع الساجدين) أى لآدم استئناف تقديره ان قائلا قال هل سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه (قال) الله تعالى له (يا ابليس مالك ألا تكون) أى أن تكون ولا مزيدة أى ما منعك أن تكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم أكن لأسجد لبشر) جسماني كثيف واللام لتأكيد النفي أى لا يصح مني وينافي حالي أن أسجد وأنا ملك روحاني لبشر (خلقته من صلصال من حمإ مسنون) وهو أخس العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف * (تنبيه) * قال بعض المتكلمين انه تعالى أوصل هذا الخطاب الى ابليس على لسان بعض رسله وضعف لان ابليس قال في الجواب لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة وظاهره يقتضي أن الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وأن ابليس تكلم مع الله بغير واسطة فكيف يعقل هذا مع ان مكالمة الله تعالى من غير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة ورئيسهم * (وأجيب) * بان مكالمة الله تعالى انما تكون منصباً عالياً اذا كانت على سبيل الاكرام والاعظام فأما اذا كانت على سبيل الاهانة والاذلال فلا (قال) الله تعالى له (فاخرج منها) أى من الجنة وقيل من السموات وقيل من زمرة الملائكة وقد تقدم الكلام على ذلك أيضاً في سورة الاعراف (فانك رجيم) أى مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان رجيم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) أى هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حيث يجازى العباد بأعمالهم مثل قوله تعالى مالك يوم الدين (فان قيل) كلمة الى تفيد حصر انتهاء الغاية فهذا يفيد ان اللعنة لا تحصل الا الى يوم الدين وعند القيامة تزول اللعن

(قوله أموات غير أحياء) ان قلت ما فائدة قوله غير أحياء بعد قوله أموات في وصف الاصنام ونظيره قوله تعالى ألهم أرجل يمشون بها الآية

٣ قوله فلا يكون حالا انظر من ادعى حالية اجمعون مع انه معرفة اه مصححه

والتقى ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقيا كونه آتيا بجميع أنواع التقوى لأن
الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يكون آتيا بالتقوى لأن كل فرد من أفراد الماهية
يجب كونه مشتملا على تلك الماهية (في جنات) أي بساتين قال الرازي أما الجنات فأربعة
قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فيكون المجموع أربعة وقوله
لمن خاف مقام ربه جنتان يؤكد ما قلناه لأن من آمن بالله لا ينفك قلبه من الخوف من الله تعالى
قوله تعالى ولمن خاف يكفي في صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة وقوله تعالى (وعيون)
قال الرازي يحتمل أن يكون المراد منها ما ذكره الله تعالى في قوله مثل الجنة التي وعد المتقون
فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من
عسل مصفى ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الأنهار (فإن قيل)
هل كل واحد من المتقين مختص بعيون أو تجري تلك العيون بعضها إلى بعض (أجيب)
بأن كل واحد من الوجهين محتمل فيجوز أن يختص كل واحد بعين ينتفع هو بها ومن يختص به
من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل أن يجري
من بعضهم إلى بعض لأنهم مطهرون عن الحقد والحسد وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص
برفع العين والباقون بالكسر وقرأ بكسر التنوين في الوصل أبو عمرو وابن ذكوان وعاصم
وحمزة والباقون بالضم ولما كان المنزل لا يحسن إلا بالسلامة والأنس قال تعالى (ادخلوها)
أي يقال لهم ذلك (بسلام) أي سالمين من كل آفة مصاحبين (آمنين) من ذلك دائما ولما
كان الأنس لا يكمل إلا بالجنس مع كمال المودة وصفاء القلوب عن الكدر قال تعالى (ونزعنا)
أي بما لنا من العظمة والقدرة (ما في صدورهم من غل) أي حقد كامن في القلب ويطلق
على الشحناء والعداوة والحسد والبغضاء فكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لأنها
كامنة في القلب يروى أن المؤمنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم
يؤمر بهم إلى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد حالة كونهم (إخوانا)
أي متصافين حالة كونهم (على سرر) جمع سرير وهو مجلس رفيع موطأ للسرور وهو
مأخوذ منه لأنه مجلس سرور قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد على سرر من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعاء إلى الجابية (متقابلين) لا يرى
بعضهم قفا بعض فإن التقابل التواجه وهو نقيض التدابر ولا شك أن المواجهة أشرف
الأحوال وعن مجاهد رضي الله تعالى عنه تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون في جميع
أحوالهم متقابلين * (تنبيه) * ليس المراد الأخوة في النسب بل المراد الأخوة في المودة
والمخالطة كما قال تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وعن الجنيد أنه قال
ما أحلى الاجتماع مع الأصحاب وما أمر الاجتماع مع الأضداد وقوله تعالى (لا يمسهم فيها
نصب) أي إعياء وتعب وجهد ومشقة استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير في متقابلين
وقوله تعالى (وما هم منها بمخرجين) المراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمالا بلا نقصان
وفوزا بلا حرمان * ولما ذكر تعالى أحوال المتقين وأحوال غيرهم أتبع ذلك بقوله تعالى
(نبئ) أي خبر يا أفضل الخلق (عبادي) إخبارا جليلا (أني أنا) أي وحدي (الغفور) أي

آلهم مع الجاهل بخلاف المؤمنين فانهم معاونون ؟
انه يوم القيامة (قوله
ليحملوا أوزارهم
كاملة يوم القيامة ومن
أوزار الذين يضلونهم) أي
ليحملوا أوزار كفرهم

هكذا بياض بالاصل

اولم يكونوا مخلصين بل ومن اتبع منهم ابليس باختياره صار تبعاله ولكن حصول تلك المتابعات أيضا ليس لاجل ابليس وأوهم ان له على بعض عباد الله سلطانا فبين تعالى كذبه وذكر تعالى انه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا بقوله تعالى (ان عبادى) أى المؤمنين كلهم (ليس لك) أى بوجه من الوجوه (عليهم سلطان) أى اقتدار كلهم عما يرضينى ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عن ابليس وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى وقال تعالى فى آية أخرى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (الا من اتبعك) أى بتعمد منه ورغبة فى اتباعك (من الغاوين) أى ومات من غير توبة فانى جعلت لك عليهم سلطانا بالتزيين والاغواء وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وقيل ان الاضافة للتشريف فلا تشمل الا الخلص فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا وفائدة سوقه بصورة الاستثناء على تقدير الانقطاع الترغيب فى رتبة التشريف بالاضافة اليه والرجوع عن اتباع العدو الى الاقبال عليه لان ذوى الانفس الأبية والهمم العلية يتنافسون فى ذلك المقام ويرونه كما هو الحق أعلى مرام (وان جهنم لموعدهم) أى الغاوين وهم ابليس ومن تبعه (أجمعين) ثم بين تعالى أنهم متفاوتون فيها بقوله تعالى (لها) أى لجهنم (سبعة أبواب) أى سبع طبقات قال على رضى الله تعالى عنه أتدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض وان الله تعالى وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها على بعض قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية * (تنبيه) * تخصيص العدد لان أهلها سبع فرق وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيآت فكانت مواردها الابواب السبعة ولما كانت هى بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت أبواب الجنان ثمانية قال تعالى (لكل باب) أى منها (منهم) أى من الغاوين خاصة لايشاركهم فيها مخلص (جزء) أى نصيب وقرأ شعبة بضم الزاى والباقون بالسكون (مقسوم) أى معلوم فلكل دركة قوم يسكنونها قال الضحاك فى الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة المجوس وفى السادسة أهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى أو قال على أمة محمد ولما شرح الله تعالى أحوال أهل العقاب أتبعه بصفة أهل الثواب بقوله تعالى مؤكدا لانكار المكذبين بالبعث (ان المتقين) أى الذين اتقوا الشرك بالله تعالى كما قال جمهور الصحابة والتابعين وهو الصحيح لان المتقى هو الآتى بالتقوى مرة واحدة كما أن الضارب هو الآتى بالضرب مرة واحدة والقاتل هو الآتى بالقتل مرة واحدة فكما انه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضاربا أو قاتلا كونه آتيا بجميع أنواع الضرب

في النحل (قوله وما يشعرون أيان يبعثون) * ان قلت كيف عاب الاصنام بانهم لا يعلمون مع ان المؤمنين كذلك (قلت) معناه وما يشعر الاصنام متى يبعث عبادها فكيف تكون

إسحق عليه السلام كما ذكر في هود وتقدم ذكر القصة هنالك بأسرها (قال) ابراهيم عليه
السلام (أبشرتموني) أي بالولد وقوله (على أن مسني الكبر) حال أي مع مسه اياي (فان قيل)
كيف قال (فبم) أي فبأي شيء (تبشرون) أي [illegible] ذلك بيانا شافيا مع انهم قد بينوا
ما بشروا به وما فائدة هذا الاستفهام (أجيب) بأنه أراد أن يعرف أن الله تعالى هل يعطيه الولد
مع بقائه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا الاستفهام أن العادة
جارية بأنه لا يحصل في حال الشيخوخة التامة وإنما يحصل في حال الشباب أو أنه استفهام تعجب
ويدل لذلك قولهم (قالوا بشرناك بالحق) قال ابن عباس يريدون بما قضاه الله تعالى والمعنى أن
الله تعالى قضى أن يخرج من صلب إبراهيم إسحق ويخرج من صلب إسحق قدرة مثل ما أخرج
من صلب آدم وقولهم (فلا تكن) أي بسبب تبشيرنا (من القانطين) أي الآيسين فيه نهي
لإبراهيم عليه السلام عن القنوط ونهي الإنسان عن الشيء لا يدل على كونه فاعلا لذلك [illegible]
عنه كما في قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ثم حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام
أنه (قال ومن يقنط) أي ييأس من هذا الشأن (من رحمة ربه) أي المحسن إليه [illegible]
(الا الضالون) أي المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح فيجهلون من تمام القدرة وأنه لا تعجزه
ممكنة ولا تنقصه طاعة وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون والباقون بفتحها [illegible]
عليه السلام البشرى ورأى أنهم [illegible] على غير الصفة التي يأتي بها الملائكة وكان
هو وغيره من العارفين بالله يعلمون بأنه ما ينزل الملائكة الا بالحق كان ذلك سببا لأن يسألهم عن
أمرهم أولا وبعده كله ولذلك (قال) عليه السلام (فما) أي فما السبب (خطبكم) أي شأنكم
قال أبو حيان والخطب لا يكاد يقال الا في الأمر الشديد [illegible] وقال الرازي انه لا [illegible]
(أيها المرسلون) فإنكم ما جئتم إلا لأمر عظيم [illegible] (قالوا إنا [illegible])
أي أرسلنا العزيز الحكيم الذي [illegible] (الى قوم) أي
ذوي منعة (مجرمين) أي كافرين وهم قوم لوط وقوله تعالى (إلا آل لوط) فيه وجهان
أحدهما [illegible] على أنه مستثنى من [illegible]
كأنهم إلا آل لوط [illegible] قوله تعالى (إنا لمنجوهم أجمعين) [illegible]
استئنافا [illegible] لكونهم لم يجرموا ويكون الإرسال [illegible]
لوط لإهلاكهم [illegible] الثاني أنه استثناء منقطع لأن آل لوط [illegible]
البتة فيكون قوله تعالى (إنا لمنجوهم أجمعين) جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بآل لوط لأن المعنى
لكن آل لوط منجوهم وقرأ حمزة والكسائي بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون بفتح
النون وتشديد الجيم وقوله تعالى (إلا امرأته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم على الأول
وعلى الثاني لا يكون إلا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل (إنا لمنجوهم)
اعتراضا وقوله تعالى (قدرنا) قرأ شعبة بتخفيف الدال والباقون بالتشديد (إنها لمن الغابرين)
أي من الباقين في العذاب لكفرها (فائدة) معنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار
غيره يقال قدر هذا الشيء بهذا أي اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الأقوات أي جعلها
على مقدار الكفاية ويفسر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله تعالى عليه وقدره عليه أي جعله

للمؤمنين (الرحيم) بهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء من عبادي وأني والباقون
بالسكون وأما الهمزة في نبئ فأبدلها حمزة في الوقف فقط وكذا الهمزة من نبئهم ونقل عن
حمزة كسر الهاء في الوقف (وأن عذابي) أي بعدي للعصاة (هو العذاب الأليم) أي المؤلم
* (تنبيه) * في هذه الآية لطائف الأولى أنه سبحانه وتعالى أضاف العباد إلى نفسه وهذا
تشريف عظيم ألا ترى أنه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
الثانية أنه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التأكيدات بألفاظ ثلاث أولها قوله تعالى
إني وثانيها قوله أنا وثالثها إدخال حرف الألف واللام على قوله تعالى الغفور الرحيم ولما
ذكر العذاب لم يقل إني أنا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الأليم
الثالثة أنه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ إليهم هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله على
نفسه في التزام المغفرة والرحمة والرابعة أنه لما قال نبئ عبادي كان معناه نبئ كل من كان
معترفا بعبوديتي وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك يدخل فيه المؤمن العاصي
وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة
فأمسك منها عنده تسعة وتسعين وأرسل في خلقه رحمة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله
من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار
وعن عبادة رضي الله تعالى عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم
العبد قدر عفو الله ما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه أي قتلها وروي أنه صلى الله
عليه وسلم مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون وتذكر الجنة والنار بين
أيديكم فنزل نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم ولما بالغ تعالى في تقرير النبوة ثم أردفه بذكر
دلائل التوحيد ثم ذكر تعالى عقبه أحوال القيامة ووصف الأشقياء والسعداء أتبع ذلك
بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليكون سماعها مرغبا في العبادة الموجبة للفوز
بدرجات الأولياء ومحذرا عن المعصية الموجبة لاستحقاق دركات الأشقياء وابتدأ من ذلك
بقصة إبراهيم عليه السلام فقال تعالى (ونبئهم) أي خبر يا أشرف المرسلين عبادي (عن ضيف
إبراهيم) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل عليه السلام (فإن قيل) الضيف
هو المنضم إلى غيره لطلب القرى (أجيب) بأن هؤلاء سموا بهذا الاسم لأنهم على صورة
الضيف فهو من دلالة التضمن وقيل أيضا لمن يدخل دار إنسان ويلتجئ إليه يسمى ضيفا
وإن لم يأكل (إذ دخلوا عليه) أي إبراهيم وكان يكنى أبا الضيفان كان لقصره أربعة أبواب
لكي لا يفوته أحد (فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما (قال) إبراهيم عليه
السلام بلسان الحال أو المقال (إنا) أي أنا ومن عندي (منكم وجلون) أي خائفون وكان
خوفهم لامتناعهم من الأكل أو لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت والوجل اضطراب النفس
لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) أي لا تخف (إنا) رسل ربك (نبشرك بغلام) أي ولد ذكر في
غاية القوة ليس كأولاد الشيوخ ضعفا وقرأ حمزة بفتح النون وسكون الباء وضم الشين
مخففة والباقون بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة (عليم) أي ذي علم كثير هو

مباشرة ومثل او بعض
اوزار كفرون اضلوهم
بتسببهم في كفرهم فمن
زائدة او تبعيضية واما
قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى فمعناه وزرا
لامدخل لها فيه ولا تعلق

قال بعضهم (يستبشرون) اى باضياف لوط طمعا فيهم وليس فى الآية دليل على المكان الذى
جاؤه الا ان القصة تدل على انهم جاؤا دار لوط وقيل ان الملائكة لما كانوا فى غاية الحسن اشتهر
خبرهم حتى وصل الى قوم لوط وقيل امرأة لوط أخبرتهم بذلك قال الرازى وبالجملة فالقوم
قالوا نزل بلوط ثلاثة من المرد ما رأينا أصبح وجها ولا أحسن شكلا منهم فذهبوا الى دار
لوط طلبا منهم لاولئك المرد والاستبشار اظهار السرور ولما وصلوا اليه (قال) لهم لوط
(ان هؤلاء ضيفى) أى وحق على الرجل اكرام الضيف (فلا تفضحون) فيهم يقال فضحه
يفضحه اذا أظهر من أمره ما يلزمه به العار واذا قصد الضيف بسوء كان ذلك اهانة لصاحب
المنزل ثم أكد ذلك بقوله (واتقوا) أى خافوا (الله) فى أمرهم (ولا تخزون) اى ولا تخجلونى
فيهم بقصدكم اياهم بفعل الفاحشة من الخزاية وهى الحياء أو لا تذلونى بسببهم من الخزى
وهو الهوان (قالوا) أى قومه فى جواب قوله لهم (أولم ننهك عن العالمين) أي عن ان تضيف
أحدا من العالمين وقيل اولم ننهك ان تدخل الغرباء المدينة فانا نطلب منهم الفاحشة وقيل
اولم ننهك ان تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم
عنهم بقدر وسعه ثم (قال) لهم (هؤلاء بناتى) أى نساء القوم لان كل امة أولاد نبيها رجالهم
بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتى فانكحوهن وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم
(ان كنتم فاعلين) اى ما أقول لكم او قضاء الشهوة والكلام فى ذلك قد مر بالاستقصاء
فى سورة هود وقرأ نافع بفتح ياء بناتى والباقون بسكونها قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم على لسان ملائكته (لعمرك) اى وحياتك وما اقسم بحياة أحد غيره وذلك يدل على انه
أكرم الخلق على الله تعالى (انهم لفى سكرتهم) أى شدة غفلتهم التى أزالت عقولهم (يعمهون)
أى يتحيرون الخطاب للوط عليه السلام قالت له الملائكة ذلك أى فكيف يعقلون قولك
ويلتفتون الى نصيحتك * (تنبيه) * لعمرك مبتدأ محذوف الخبر وجوبا وانهم وما فى حيزه
جواب القسم تقديره لعمرك قسمى او يمينى انهم والعمر والعمر بالفتح والضم واحد وهو
البقاء الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على
ألسنتهم بالعمرى ولعمرك (فأخذتهم الصيحة) اى صيحة هائلة مهلكة وقيل هى صيحة جبريل
عليه السلام قال الرازى ليس فى الآية دليل على ذلك فان ثبت بدليل قوى قيل به والا فليس
فى الآية دليل الا انهم جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله تعالى (مشرقين) اى داخلين فى وقت
الشروق وهو بزوغ الشمس حال من مفعول أخذتهم ثم بين سبحانه وتعالى ما تسبب عن
الصيحة معقبا لها بقوله تعالى (فجعلنا) اى بما لنا من العظمة والقدرة (عاليها) اى مدائنهم
(سافلها) بان رفعها جبريل عليه السلام الى السماء واسقطها مقلوبة الى الارض (وأمطرنا
عليهم) اى أهل المدائن التى قلبت المدائن لاجلهم (حجارة من سجيل) اى طين طبخ بالنار
(تنبيه) دلت الآية الكريمة على ان الله تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب احدها
الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها انه جعل عاليها سافلها وثالثها انه أمطر عليهم حجارة من
سجيل وتقدمت الاشارة الى ذلك فى سورة هود (ان فى ذلك) اى المذكور من هذه الانواع
(لآيات) اى دلالات على وحدانية الله تعالى (للمتوسمين) أى للناظرين المعتبرين جمع

شيئا ما عملوا وقيل ما فى
الزمر ذوقوا ما كنتم
تكسبون وبعده فما أغنى
عنهم ما كانوا يكسبون
(قوله انما قولنا لشئ اذا
أردناه ان نقول له كن فيكون)
ان قلت هذا يدل على

قوله الخطاب للوط الخ هذا
[illegible] الى [illegible]
بالاصح [illegible]
ولعله او الخطاب الخ
كما تدل عليه عبارة
الكشاف اه مصححه

على مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا (فإن قيل) لم اسند الملائكة فعل التقدير الى أنفسهم مع انه لله عز وجل (اجيب) بانهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وانما يظهرون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هنا ۞ ولما بشر الملائكة عليهم السلام ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بانهم مرسلون بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ابراهيم عليه السلام الى لوط وآله وهذه هي القصة الثانية المذكورة في هذه السورة قال تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون) ههنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرأ قالون والبزي وأبو عمرو باسقاط واحدة منهما مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدالها حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين وكذا وجاء أهل المدينة (قال) لهم (انكم قوم منكرون) لانهم دخلوا عليه هجما فاستنكرهم وخاف من دخولهم لاجل شر يوصلونه اليه ولاجل انهم كانوا شبابا مردا حسان الوجوه فخاف ان يهجم قومه عليهم بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله عليه السلام انكم قوم منكرون أي لا اعرفكم ولا أعرف انكم من أي الاقوام أنتم ولاي غرض دخلتم علي فعند ذلك (قالوا) اي الملائكة (بل جئناك بما) اي بالعذاب الذي (كانوا) أي قومك (فيه يمترون) اي يشكون في نزوله بهم والجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرض له من حيث انه لا يرجع الى نفسه فيما هو عليه ثم اكدوا ما ذكروه بقولهم (وأتيناك بالحق) اي باليقين الذي لا يشك فيه ثم اكدوا هذا التأكيد بقولهم (وانا لصادقون) اي فيما أخبرناك به (فاسر باهلك) اي فاذهب بهم في الليل (بقطع من الليل) أي في طائفة من الليل وقيل هي آخره قال الشاعر

افتحي الباب وانظري في النجوم ۞ كم علينا من قطع ليل بهيم

كأنه طال عليه الليل فخاطب صحيحته بذلك او كان يحب طول الليل للوصال وقرأ نافع وابن كثير بوصل همزة فاسر بعد الفاء من السرى والباقون بالقطع وهما بمعنى (واتبع ادبارهم) اي وكن على آثار أهلك وسر خلفهم وتطلع على أحوالهم (ولا يلتفت منكم احد) أي لئلا يرى ما نزل بهم من البلاء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط (وامضوا حيث تؤمرون) اي الى المكان الذي أمركم الله بالمضي اليه قال ابن عباس هو الشام وقال المفضل حيث يقول لكم جبريل وذلك ان جبريل أمرهم ان يمضوا الى قرية معينة ما عمل أهلها عمل قوم لوط وقيل الى الاردن وقيل الى مصر ۞ (تنبيه) ۞ حيث هنا على بابها من كونها ظرف مكان مبهم ولابهامها تعدى اليها الفعل من غير واسطة (وقضينا) أي واوحينا (اليه) ولما ضمن قضينا معنى الايحاء تعدى بالى ومثله وقضينا الى بني اسرائيل وقوله تعالى (ذلك الامر) مبهم تفسيره (ان دابر هؤلاء مقطوع) اي مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد وقوله تعالى (مصبحين) حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء اي يتم استئصالهم في الصباح (وجاء أهل المدينة) اي مدينة من مدائن قوم لوط وهي سدوم بسين مهملة وذال معجمة واخطأ من

الزمر ما كسبوا موافقة
لما قبل كل منها او بعده
او قبله وبعده اذ ما هنا
قبله ما كانوا يعملون من سوء
ويعملون مرتين وقبل
في الجاثية ما كنتم تعملون
وعملوا الصالحات وبعده

الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وعن جابر رضي الله تعالى عنه مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها ولما ذكر تعالى هذه القصص تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه اذا سمع ان الامم السالفة كانوا يعاملون أنبياء الله بمثل هذه المعاملات سهل تحمل تلك السفاهة قال تعالى (وما خلقنا السموات والارض) اي على ما هما من العلو والسعة والارض على ما لها من المنافع والغرائب (وما بينهما) من هؤلاء المشركين المكذبين وعذابهم ومن المياه والرياح والسحاب المسبب عنه النبات وغير ذلك (الا بالحق) اي الا خلقا ملتبسا بالحق فيتفكر فيه من وفقه الله تعالى ليعلم النشأة الآخرة فيجدد النشأة الاولى (وان الساعة) اي القيامة (لآتية) لا محالة فيجازي الله تعالى كل أحد بعمله ثم انه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفح عن سيئاتهم بقوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل) اي اعرض عنهم اعراضا لا جزع فيه ولا تعجل بالانتقام منهم وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازي وهو بعيد لان المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخا انتهى والاول جرى عليه البغوي وجماعة من المفسرين ثم علل تعالى هذا الامر بقوله (ان ربك) اي المحسن اليك الآمر لك بهذا (هو) اي وحده (الخلاق) اي المتكرر منه هذا الفعل (العليم) اي البالغ العلم بكل المعلومات فليست أقوالهم وأفعالهم الا منه سبحانه وتعالى لانه خالقها وقد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فلا بد عليه من أخذ حقك منهم فنعم المولى ونعم النصير ولما صبره الله تعالى على أذى قومه وأمره بان يصفح الصفح الجميل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى بها أفضل خلقه بقوله تعالى (ولقد آتيناك) اي أعطيناك بما لنا من العظمة والقدرة كما آتينا [illegible] (سبعا) يكون كل سبع منها [illegible] الفاتحة ان السبع هي أم القرآن الجامعة لجميع معاني القرآن التي أسسناها عليها [illegible] زيادة في [illegible] بتكريرها [illegible] بعضها والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة لانها سبع آيات وهذا ما عليه أكثر المفسرين روي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع المثاني رواه البخاري وقيل المراد سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية البسملة وقيل الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع وقوله تعالى (من المثاني) صفة للسبع وهو جمع واحده مثناة والمثناة كل شيء يثنى اي يجعل اثنين من قولك ثنيت الشيء ثنيا اي عطفته وضممت اليه آخر ومنه يقال لركبتي الدابة ومرفقيها مثاني لانها تثنى بالفخذ والعضد ومثاني الوادي معاطفه وأما تسمية الفاتحة بالمثاني فلوجوه الاول أنها تثنى في كل صلاة بمعنى أنها تقرأ في كل ركعة الثاني أنها تثنى بما بعدها في القراءة [illegible] الثالث أنها قسمت قسمين اثنين لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والحديث مشهور وقد ذكرته

فلان ذلك الخطاب يكون لان الخطاب ايجاد فيجب ان يكون المخاطب موجودا قبل الخطاب لا انما يكون [illegible] بالخطاب (قوله [illegible]) وما في السموات وما في الارض من دابة [illegible]

متوسم وهو الناظر في السمة حتى يعرف حقيقة الشئ وسمته (وانها) اى هذه المدائن
(لبسبيل) اى طريق قريش الى الشام (مقيم) اى لم يندرس بل يشاهد دون ذلك ويرون
أثره أفلا يعتبرون ثم قال سبحانه وتعالى مشيرا الى زيادة الحث على الاعتبار بالتأكيد (ان
في ذلك) أى هذا الامر العظيم (لآية) اى علامة عظيمة في الدلالة على وحدانيته تعالى
(للمؤمنين) اى كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف ان ذلك انما كان لاجل ان الله
تعالى انتقم لانبيائه من اولئك الجهال اما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على حوادث
العالم ووقائعه * ثم ذكر تعالى القصة الثالثة وهي قصة شعيب عليه السلام بقوله تعالى (وان)
مخففة من الثقيلة اى وانه (كان) أى جبلة وطبعا (اصحاب الايكة) وهم قوم شعيب عليه
السلام وقد ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الشعراء والايكة الشجرة الكثيفة وقيل الشجر
الملتف وقال ابن عباس هي شجر المقل وقال الكلبي الايكة الغيضة أى غيضة شجر بقرب
مدين (لظالمين) اى عريقين في الظلم بتكذيبهم شعيبا عليه السلام (فانتقمنا منهم) اى
بسبب ذلك قال المفسرون اشتد الحر فيهم أياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا
عن آخرهم وقوله تعالى (وانهما) فيه قولان الاول ان المراد قرى قوم لوط والايكة
والقول الثاني ان الضمير للايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل
بذكرها على مدين فجاء بضميرهما (لبامام) اى طريق (مبين) أى واضح والامام اسم لما يؤتم به
قال الفراء انما جعل الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصل
الى الموضع الذي يريده * ثم ذكر تعالى القصة الرابعة وهي قصة صالح عليه السلام بقوله تعالى
(ولقد كذب اصحاب الحجر) وهم ثمود قوم صالح عليه السلام وديارهم بين المدينة الشريفة
والشام (المرسلين) اى كلهم بتكذيب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك لان
الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع من حيث اثبات
الرسالة بالمعجزة على حد سواء ثم اتبع ذلك قوله تعالى (وآتيناهم) اى بما لنا من العظمة
والقدرة على يد رسولهم صالح عليه السلام (آياتنا) اى آيات الكتاب المنزل على نبيهم
او معجزات كالناقة وكان فيها آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظم خلقها وقرب
ولادتها وغزارة لبنها وانما اضاف الآيات اليهم وان كانت لنبيهم صالح عليه السلام
لانه مرسل من ربهم اليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) أى الآيات (معرضين) اى
تاركين لها غير ملتفتين اليها لا يتفكرون فيها ثم أخبر تعالى عنهم انهم كانوا مثل هؤلاء في الأمن
من العذاب والغفلة عما يراد بهم مع انهم كانوا أشد منهم فقال تعالى (وكانوا
ينحتون) والنحت قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح (من الجبال) أى التى
تقدم انا جعلناها رواسي (بيوتا آمنين) عليها من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب
الاعداء لوثاقتها لا كبيوتكم التي لا بقاء لها على أدنى درجة وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص
برفع الباء والباقون بكسرها (فاخذتهم الصيحة) اى صيحة العذاب (مصبحين) اى وقت الصبح
(فما اغنى) اى مادفع (عنهم) الضر والبلاء (ما كانوا يكسبون) اى يعملون من بناء البيوت

ان المعدوم شئ وعلى ان
خطاب المعدوم جائز مع
ان الاول منتف عند اكثر
العلماء والثاني بالاجماع
(قلت) اما تسميته شيأ
فمجاز بالاول واما الثاني

عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به إليهم بقوله تعالى (وقل إني أنا النذير) من عذاب الله أن ينزل عليكم إن لم تؤمنوا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون (المبين) أي البين الإنذار وقوله تعالى (كما أنزلنا) أي العذاب (على المقتسمين) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى سموا بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة إنهم قسموا سور القرآن فقال واحد هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وإنما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد إنهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفر بعضهم ببعضها وقال قتادة أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لأن أقوالهم تقسمت في القرآن فقال بعضهم إنه سحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين وقال ابن السائب سموا المقتسمين لأنهم اقتسموا طرق مكة وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين وقال انطلقوا فتفرقوا على طرق مكة حيث يمر بكم أهل الموسم فإذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم إنه مجنون وليقل بعضكم إنه كاهن وليقل بعضكم إنه ساحر وليقل بعضكم إنه شاعر فذهبوا وقعدوا على طرق مكة يقولون ذلك لمن يمر بهم من حجاج العرب وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام نصبوه حكما فإذا جاؤوا وسألوه عما قال أولئك فيقول صدقوا فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقوله تعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) نعت للمقتسمين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى جزؤوا القرآن أجزاء فآمنوا بما وافق التوراة والإنجيل وكفروا بالباقي وقال مجاهد قسموا كتاب الله ففرقوه وبدلوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول بعضهم سورة آل عمران لي وقيل اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الأولين وقيل هم أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير الأولين بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم

*(فصل) في بيان عضين وهي الفرقة والعضد من التفرقة وتقدم معنى جعلهم القرآن كذلك وقيل العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضه وهي عاضهة وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة أي الساحرة والمستسحرة وقيل هو من العضه وهو الكذب والبهتان يقال عضهه عضها وعضيهة أي رماه بالبهتان وقيل جمع عضة ومعناه من قولهم عضيت الشيء أعضيه إذا فرقته وجعلته أجزاء وذلك أنهم جعلوا القرآن أعضاء مفرقة فقال بعضهم سحر وقال بعضهم أساطير الأولين ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين بقوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) فيكون الضمير عائدا على المقتسمين لأنه الأقرب ويحتمل أن يعود على جميع المكلفين لأن ذكرهم تقدم في قوله تعالى وقل إني أنا النذير المبين أي لجميع الخلق قال جماعة من المفسرين يسألون عن لا إله إلا الله وقال أبو العالية يسألون عما كانوا يعبدون وما

أراد هنا عموم كل دابة ولم يقترن بتغليب فأتى بها التي تعم النوعين وفي تلك وإن أراد العموم لكنه اقترن بتغليب من وفي كون العقلاء في قوله فهم [illegible]

فى وجه تسميتها سبعا لانه عند ذكرها الرابع أنها قسمان اثنان ثناء ودعاء وأيضا النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثانى حق العبودية وهو الدعاء الخامس أن كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وأما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى *(تنبيه)* من فى من المثانى اما للبيان واما للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان ان أردت الاسباع قال الزمخشرى ويجوز أن تكون كتب الله كلها مثانى لانها تثنى عليه لما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها وقوله تعالى (والقرآن العظيم) أى الجامع لجميع معانى الكتب السماوية المتكفل بخيرى الدارين مع زيادات لا تحصى فيه أوجه أحدها أنه من عطف بعض الصفات على بعض أى الجامع بين هذين النعتين الثانى أنه من عطف العام على الخاص اذ المراد بالسبع اما الفاتحة واما الطوال فكأنه ذكر مرتين بجهة الخصوص ثم باندراجه فى العموم الثالث أن الواو مقحمة ولما عرف سبحانه وتعالى رسوله عظيم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين وهو انه آتاه سبعا من المثانى والقرآن العظيم نهاه عن الرغبة فى الدنيا بقوله تعالى (لا تمدن عينيك) أى لا تشغل سرك وخاطرك بالالتفات (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أى أصنافا من الكفار والزوج فى اللغة الصنف وقد أوتيت القرآن العظيم الذى فيه غنى عن كل شئ قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه من أوتى القرآن فرأى ان أحدا أوتى فى الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وتأول سفيان بن عيينة هذه الآية بقول النبى صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أى لم يستغن وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا تمدن عينيك أى لا تتمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا وقيل أتت من بعض البلاد سبع قوافل ليهود قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها فى سبيل الله تعالى فقال الله تعالى لقد أعطيتكم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع وقرر الواحدى هذا المعنى فقال انما يكون مادا عينيه الى الشئ اذا أدام النظر نحوه وادامة النظر الى الشئ تدل على استحسانه وتمنيه وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يستحسن من متاع الدنيا روى أنه نظر الى نعم بنى المصطلق وقد عبست فى أبوالها وأبعارها وهو أن تجف أبوالها وأبعارها على أفخاذها اذا تركت من العمل أيام الربيع فتكثر شحومها ولحومها وهى أحسن ما تكون وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقوله تعالى (ولا تحزن عليهم) نهى له عن الالتفات اليهم ان لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار ولما نهاه سبحانه وتعالى عن الالتفات الى أولئك الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع لفقراء المسلمين بقوله تعالى (واخفض جناحك) أى ألن جانبك (للمؤمنين) أى العريقين فى هذا الوصف واصبر نفسك معهم وارفق بهم * ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله

بالسجود عن الانقياد فيما لا يعقل والسجود على الجبهة فيمن يعقل فهو جمع بين الحقيقة والمجاز وانما لم يغلب العقلاء من الدواب على غيرهم كما فى آية والله خلق كل دابة من ماء لانه

أوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وروى البغوي بسنده عن ابن جبير قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله الي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى
الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (فإن قيل) أي
فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات (أجيب) بأن
المراد منه واعبد ربك في جميع زمان حياتك فلا تخل لحظة من لحظات الدنيا بدون العبادات
عن عمر رضي الله تعالى عنه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا
عليه إهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور
الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها
وقال اشتريت بمائتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله الى ما ترون وما رواه البيضاوي تبعا
للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

سورة النحل مكية

إلا قوله تعالى وإن عاقبتم الى آخر السورة وحكى الأصم عن بعضهم أن كلها مدنية وقال
آخرون من أولها الى قوله كن فيكون مدني وما سواه مكي وعن قتادة بالعكس وتسمى
سورة النعم والمقصود من هذه السورة الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار
منزه عن شوائب النقص وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحل لما ذكر من شأنها في دقة
الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج من بطونها أعسالها
وجعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة والضارة وغير ذلك من الأمور ودورها بالنعم واضح
وهي مائة وثمانية وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف
وسبعمائة وسبعة أحرف (بسم الله) أي الذي أحاط بجميع الكمال شأنه فعلا (الرحمن) أي الذي
عمت نعمته جليل خلقه وحقيره وصغيره وكبيره (الرحيم) أي الذي خص من شاء بنعمه الباطنة
كما أسبغ عليهم الظاهرة وقوله تعالى (أتى أمر الله) فيه وجهان أحدهما أنه ماض لفظا مستقبل
معنى إذ المراد به يوم القيامة وإنما أبرزه في صورة ما وقع وانقضى تحقيقا له ولصدق المخبر به
والثاني أنه على بابه والمراد مقدماته وأوائله وهو نصر رسوله صلى الله عليه وسلم أي جاء أمر الله
ودنا وقرب فإنه يقال في الكلام المعتاد أتاك وقد وقع إجراء للماضي به وقربه مجرى الواقع
ويقال لمن طلب الإعانة وقرب حصولها جاءك الغوث أي أتى أمر الله وعدا (فلا تستعجلوه)
وقوعا قبل مجيئه فإنه واقع لا محالة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة
كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى قال ابن عباس كان مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا قال النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وروى أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار
بعضهم لبعض إن هذا أي محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن

فإن مصيركم الى النار
وقد يطلق ... تكبر وقلا
وقال في المنكبين
ولبثموا ... أوب
بالام والباء وصل القدم
أزهر ... على الاقدم

أجابوا به المرسلين (فان قيل) كيف الجمع بين قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وبين قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان (أجيب) بان النفي ينصرف الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه مواقف يسئلون في بعضها ولا يسئلون في بعض آخر ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (فاصدع) اى اجهر بعلو وشدة فارقا بين الحق والباطل وقرأ حمزة والكسائي باشمام الصاد الساكنة قبل الدال والباقون بالصاد خالصة (بما) اى بسبب ما (تؤمر) به أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة روى عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (واعرض) اى اعراض من لا يبالي (عن المشركين) بالصفح الجميل عن الاذى والاجتهاد في الدعاء ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة قال بعض المفسرين كالبغوي وهذا منسوخ بآية القتال قال الرازي وهو ضعيف لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم فلا يكون منسوخا ولما كان هذا الصدع في غاية الشدة عليه صلى الله عليه وسلم لكثرة ما يلقى عليه من الاذى خففه سبحانه وتعالى بقوله معللا له (انا) اى بما لنا من العظمة والقدرة (كفيناك المستهزئين) اى شر الذين هم عريقون في الاستهزاء وهم خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث ووصف سبحانه وتعالى هؤلاء بقوله تعالى (الذين يجعلون مع الله الها آخر) وقيل ليس بصفة بل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فسوف يعلمون) اى عاقبة أمرهم في الدارين ولما ذكر سبحانه وتعالى ان قومه يسفهون عليه ولا سيما أولئك المقتسمون قال له تعالى (ولقد نعلم) اى تحقق وقوع علمنا (انك) اى على ما لك من الحلم وسعة البطان (يضيق صدرك) اى يوجد ضيقه ويتجدد (بما يقولون) اى من الاستهزاء والتكذيب بك وبالقرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك فعند هذا قال تعالى (فسبح) ملتبسا (بحمد ربك) اى نزهه عن صفات النقص وقال الضحاك قل سبحان الله وبحمده وقال ابن عباس فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) اى من المصلين روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقدمت معناه في سورة البقرة (تنبيه) اختلف الناس كيف صار الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فقال العارفون المحققون اذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات يتنور باطنه ويشرق قلبه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها وقال بعض الحكماء اذا نزل بالانسان بعض المكاره ففزع الى الطاعات فكأنه يقول يارب يجب على عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات فانا عبدك بين يديك فافعل بي ما تشاء (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال ابن عباس يريد الموت وسمي الموت يقينا لانه أمر متيقن وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم

عن تغليبا للعقلاء (قوله ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) قاله هنا وفي الروم بالتاء باضمار القول اى قل لهم تمتعوا كان قوله قل تمتعوا

ن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال أتزعم
أن الله يحيي هذا العظم بعد ما قد رم فنزلت هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من
يحيي العظام وهي رميم قال الخازن في تفسيره والأصح أن الآية عامة في كل ما يقع فيه
الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم أولى ولما كان أشرف الأجسام الموجودة
في العالم السفلي بعد الانسان سائر الحيوانات وأشرفها الأنعام ذكرها بقوله تعالى
(والأنعام) أي الأزواج الثمانية الضأن والمعز والإبل والبقر ونصبه بفعل يفسره
(خلقها) قال الواحدي تم الكلام عند قوله والأنعام خلقها ثم ابتدأ فقال (لكم فيها
دفء) أي ما يدفأ به من اللباس والأكسية ونحوها المتخذة من الأصواف والأوبار والأشعار
ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله والأنعام خلقها لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها
[illegible] قال الرازي قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف [illegible] قوله [illegible]
[illegible] والدليل عليه أنه عطف عليه ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال
ولما ذكر تعالى الأنعام ذكر ما فيها من المنافع الأول قوله تعالى لكم فيها دفء [illegible]
الثاني قوله تعالى (ومنافع) أي ولكم فيها منافع من نسلها ودرها وركوبها والحمل عليها وسائر
ما ينتفع به من الأنعام وإنما عبر تعالى عن ذلك بلفظ المنفعة وهو اللفظ الدال على الوصف
الأعم لأن الدر والنسل قد ينتفع به في الأكل وقد ينتفع به في البيع [illegible]
[illegible] بالثياب وسائر الضروريات فعبر عن جملة هذه الأقسام بلفظ المنافع ليتناول الكل
النوع الثالث قوله تعالى (ومنها تأكلون) فإن قيل تقديم الظرف يفيد الحصر [illegible]
[illegible] بالأشياء [illegible] (أجيب) بأن الأكل [illegible]
[illegible] الناس في معايشهم وأما [illegible]
[illegible] في الأغلب [illegible]
[illegible] في الأكل [illegible] الأنعام (فإن قيل) [illegible]
[illegible] (أجيب) [illegible]
[illegible] (ولكم فيها جمال) أي زينة (حين تريحون) [illegible]
[illegible] (وحين تسرحون) أي تخرجونها بالغداة الى المرعى [illegible]
[illegible] الوقتين وجل أهلها [illegible] الناظرين اليها (فإن قيل) لم قدم [illegible]
[illegible] (أجيب) بأن الجمال في الاراحة أظهر اذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع [illegible]
[illegible] لأهلها [illegible] بخلاف تسريحها الى المرعى [illegible]
[illegible] البطون ضامرة الضروع ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية [illegible]
[illegible] الاراحة النوع الرابع قوله تعالى (وتحمل أثقالكم) جمع ثقل وهو متاع
[illegible] (الى بلد) أي غير بلدكم أردتم السفر اليه (لم تكونوا بالغيه) أي غير واصلين اليه
[illegible] الإبل (إلا بشق الأنفس) أي إلا بكلفة ومشقة والشق بكسر الشين نصف الشيء أي لم
تكونوا بالغيه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها وقال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن
[illegible] الشام والى مصر قال الواحدي والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل لشق عليكم

بعض ما تقولون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزل اقترب للناس حسابهم
فأشفقوا وانتظروا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله
فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل
فلا تستعجلوه فاطمأنوا فلما كان الكفار قالوا انا لا نعبد هذه الاصنام الا لتشفع لنا
عند الله تعالى فتخلصنا من هذا العذاب المحكوم به فأجابهم الله تعالى بقوله تعالى (سبحانه)
أي تنزيها له (وتعالى عما يشركون) أي تبرأ سبحانه وتعالى بالاوصاف الحميدة عن أن يكون له
شريك في ملكه وقرأ حمزة والكسائي أتى بالامالة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالفتح وقرأ حمزة والكسائي عما تشركون في الموضعين بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه
والباقون بالياء على الغيبة على تلوين الخطاب أو على ان الخطاب للمؤمنين أولهم ولغيرهم
ولما أجاب سبحانه وتعالى الكفار عن شبهتهم بقوله تنزيها لنفسه عما يشركون وكان
الكفار قالوا هب ان الله تعالى قضى على بعض عبيده بالشر وعلى آخرين بالخير ولكن كيف
يمكنك أن تعرف هذه الامور التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أسرار
الله تعالى وأحكامه في ملكه وملكوته فأجابهم الله تعالى بقوله (ينزل الملائكة) قال ابن
عباس يريد بالملائكة جبريل وحده قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان ذلك الواحد
رئيسا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الزاي والباقون بتشديدها والمراد (بالروح) الوحي
أو القرآن فان القلوب تحيا به من موت الجهالات وقوله تعالى (من أمره) أي بارادته حال من
الروح (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أنذروا) أي خوفوا الكافرين بالعذاب
وأعلموهم (أنه) أي الشأن (لا اله الا أنا) أي لا اله غيري وقوله تعالى (فاتقون) أي خافون فيه
رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود (تنبيه) في قوله تعالى ان أنذروا ثلاثة أوجه أحدها
انها المفسرة لان الوحي فيه ضرب من القول والانزال بالروح عبارة عن الوحي قال تعالى
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا الثاني أنها المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
محذوف الثالث أنها المصدرية التي من شأنها نصب المضارع ووصلت بالامر كقولهم
كتبت اليه بأن قم والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وان النبوة عطائية
ولما وحد سبحانه وتعالى نفسه ذكر الآيات الدالة على وحدانيته من حيث انها تدل على
أنه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة بقوله تعالى (خلق
السموات) أي التي هي السقف المظل (والارض) أي التي هي البساط المقل (بالحق) أي
أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى)
أي تعاليا فات الوصف (عما يشركون) به من الاصنام ولما كان خلق السموات والارض
غيبا تقدمه وكان خلق الانسان على هذه الصفة شهادة فتكون أقوى في الدلالة
على وحدانيته تعالى قال تعالى (خلق الانسان) أي هذا النوع (من نطفة) أي آدم عليه
السلام من مطلق الماء ومن تفرع منه بعد زوجه حواء من ماء مقيد بالدفق الى أن
صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) أي شديد الخصومة (مبين) أي بينها روي ان أبي

ومضمونها في قوله ليكفروا
بما آتيناهم ومضمونها
غائب (قوله ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم ما ترك عليها)
أي على الارض من دابة
قال ذلك هنا وقال في فاطر

واقتصر على هاتين المنفعتين بالذكر لانهما معظم المقصود ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله تعالى في الانعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من ذلك تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال الواحدي لو دلت هذه الآية على تحريم أكل هذا الحيوان لكان تحريم أكلها معلوما في مكة لاجل ان هذه السورة مكية ولو كان الامر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين ان لحوم الحمر الاهلية حرمت عام خيبر اي وذلك في المدينة باطلا لان التحريم لما كان حاصلا قبل هذا اليوم لم يكن لتخصيص هذا التحريم بهذه السنة فائدة قال الرازي وهذا جواب حسن متين وقال ابن الخازن والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه ودار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا به جمعا بين النصين ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الانواع من الحيوان ذكر باقيها على سبيل الاجمال بقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) وذلك لان أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان في شرح عجائب أحوالها لكان المذكور بعد كتبه المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر فكان أحسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل يوم وقت السحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل كل يوم منهم سبعون ألفا البيت المعمور وفي الكعبة أيضا سبعون ألفا لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة سبحان من له هذا الملك العظيم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وفسرت هذه الآية بالسوس في النبات والدود في الثمار وفسرها بعضهم بما اعد الله تعالى لاهل الجنة في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والمراد ان الله تعالى لا نهاية لمخلوقاته ثم قال تعالى (وعلى الله) اي الذي له الاحاطة بكل شيء (قصد السبيل) اي بيان الطريق المستقيم بالحجج والدلائل وشرحها بالارسال وانزال الكتاب لاجل مصالح العباد او عليه مستقيم من سلكه لا يضل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذا أضاف اليه القصد وقال (ومنها) اي السبيل (جائر) اي حائد عن الاستقامة (فان قيل) هذه الآية تدل على ان الله تعالى يجب عليه الارشاد والهداية الى الدين وازاحة العلل والاعذار كما قال به المعتزلة لانه تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكلمة على للوجوب قال تعالى ولله على الناس حج البيت (أجيب) بان المراد على الله تعالى بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب الصحيح (فان قيل) لم غير اسلوب الكلام حيث قال في الاول وعلى الله قصد السبيل وفي الثاني ومنها جائر دون وعليه جائر (أجيب) بان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض ثم قال تعالى (ولو شاء) هدايتكم (لهداكم) الى قصد السبيل (أجمعين) فتهتدون اليه باختيار منكم قال الرازي وهذا يدل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره ولما ذكر تعالى نعمه على

كما قال [illegible] عباس [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وخص ابن عباس هذه البلاد لان متاجر أهل مكة كانت الى هذه البلاد (فان قيل) المراد من قوله تعالى والانعام خلقها لكم الابل فقط بدليل أنه وصفها الى آخر الآية بقوله وتحمل أثقالكم الى بلد وهذا الوصف لا يليق الا بالابل (أجيب) بان المقصود من هذه الآيات تعديد منافع الانعام فبعض تلك المنافع حاصل في الكل وبعضها مختص بالبعض والدليل عليه أن قوله ولكم فيها جمال حاصل في البقر والغنم مثل حصوله في الابل ٭ (تنبيه) ٭ احتج منكرو كرامات الاولياء بهذه الآية فانها تدل على أن الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد الى بلد الا بشق الانفس وحمل الاثقال على الابل ومثبتو الكرامات يقولون ان الاولياء قد ينتقلون من بلد الى بلد آخر بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة وكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلا واذا بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بها في سائر الصور اذ لا قائل بالفرق وأجاب المثبتون بانا نخصص عموم هذه الآية بالادلة الدالة على وقوع الكرامات (ان ربكم) أي الموجد لكم والمحسن اليكم (لرؤف) أي بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بمايرضيه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة والباقون بالمد (رحيم) أي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب وقوله تعالى (والخيل) أي الصاهلة وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط (والبغال) أي المتولدة بينها وبين الحمير (والحمير) أي الناهقة عطف على الانعام أي وخلق هذه الحيوانات (لتركبوها) أي لاجل ان تركبوها وفي نصب قوله تعالى (وزينة) أوجه أحدها انه مفعول من أجله وانما وصل الفعل الى الاول باللام في قوله تعالى لتركبوها والى هذا بنفسه لاختلاف شرطه في الاول وهو عدم اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب المخاطبون بخلاف الثاني الثاني انها منصوبة على الحال وصاحب الحال اما مفعول خلقها واما فاعل لتركبوها فهو مصدر أقيم مقام الحال الثالث أن ينتصب بتقدير فعل قدره الزمخشري بقوله وخلقها زينة وقدره ابن عطية وغيره بقوله وجعلها زينة الرابع أنه مصدر لفعل محذوف أي وتتزينون بها زينة ٭ (تنبيه) ٭ احتج القائلون وهم ابن عباس والحكم وأبو حنيفة ومالك بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية قالوا منفعة الاكل أعظم من منفعة الركوب فلو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكره تعالى علمنا أنه يحرم أكله لان الله تعالى خص الانعام بالاكل حيث قال تعالى ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل واحتج القائلون باباحة أكل اللحم من الخيل وهم سعيد بن جبير وعطاء وشريح والحسن والشافعي بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة وبما روي عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن في الخيل وفي رواية أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجابوا عن هذه الآية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك

الآية تقتضي مؤاخذة الهوى بظلم الظالم وذلك لا يحسن من الحكيم (قلت) المراد بالظلم هنا الكفر وبالدابة الدابة الكافر الظالمة وهي

أشياء تدل على أنه الفاعل المختار بقوله تعالى (وسخر لكم) أي أيها الناس لاصلاح
أحوالكم (الليل) للسكون (والنهار) للمعاش ثم ذكر آية النهار فقال (والشمس) أي لمنافع
اختصاصها ثم آية الليل فقال (والقمر) لامور علقها به (والنجوم) أي الآيات أسبابها
ثم نبه على تغيرها بقوله تعالى (مسخرات) أي بأنواع التغير لما خلقها له على أوضاع دبرها
(بأمره) أي بإرادته لما اقتضاه حكمه وصلاح ما به قوام كم دلالة على وحدانيته تعالى وفعله تعالى
بالاختيار ولو شاء تعالى لاقام أسبابا غيرها أو أغنى عن الاسباب وقرأ ابن عامر برفع الاربع
وهي الشمس والقمر والنجوم ومسخرات على الابتداء والخبر ووافقه حفص في الاثنين
الاخيرين والنجوم مسخرات لا غير والباقون بالنصب عطفا على ما قبله في الثلاثة الاول وفي
الرابع وهو مسخرات على الحال ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الاشياء وجعلها مسخرات
لمنافع عباده ختم ذلك بقوله (ان في ذلك) أي التسخير العظيم (لآيات) أي دلالات متعددة كثيرة
عظيمة (لقوم يعقلون) أي يتدبرون فيعلمون أن جميع الخلق تحت قدرته وتدبيره وتسخيره
لما أراده منهم وقوله تعالى (وما ذرأ) أي خلق (لكم في الارض) عطف على الليل أي
وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات وقيل انه في موضع نصب بفعل محذوف أي
وخلق هكذا قدره أبو البقاء وكأنه استبعد تسلط سخر على ذلك فقدره لائقا وقوله تعالى
(مختلفا) حال منه وقوله تعالى (ألوانه) أي في الخلقة والهيئة والكيفية فاعل به (ان في ذلك
لآية لقوم يذكرون) أي يتعظون ٭ (تنبيه) ٭ ختم تعالى الآية الاولى بالتفكر لان ما فيها
يحتاج الى تأمل ونظر وختم الثانية بالعقل لان مدارما تقدم عليه وختم الثالثة بالتذكر لانه
نتيجة ما تقدم وجمع الآيات في الثانية دون الاولى والثالثة لان ما نيط بها أكثر ولذلك ذكر معها
العقل ولما استدل سبحانه وتعالى على اثبات الاله أولا بأجرام السموات والارض وثانيا
ببدن الانسان وثالثا بعجائب خلقة الحيوان ورابعا بعجائب النبات ذكر خامسا عجائب
العناصر وبدأ بالاستدلال بعنصر الماء بقوله تعالى (وهو) أي لا غيره وقرأ قالون وأبو عمرو
والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها (الذي سخر البحر) أي ذلله وهيأه لما تريدون منه
من الحيوانات والجواهر وغير ذلك قال علماء الهيئة ثلاثة أرباع كرة الارض غائصة في
الماء وذلك هو البحر المحيط ويحصل في هذا الربع المسكون سبعة أبحر قال تعالى والبحر
يمده من بعده سبعة أبحر والبحر الذي سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار ومعنى تسخيرها للخلق
بأمر وهو جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها بالركوب وبالغوص وبغير ذلك
فمنافع البحار كثيرة وذكر سبحانه وتعالى منها هنا ثلاثة منافع الاولى قوله تعالى (لتأكلوا منه)
أي بالاصطياد وغيره من أنواع الاحتيال (لحما طريا) لا تجدونه فيه ولا في البر وهو أرطب
اللحوم فيسرع اليه الفساد فيبادر الى أكله عند ذلك وفي ذلك دلالة على كمال قدرته تعالى وذلك
ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري لانه لما خرج من
البحر الملح الزعاق الطري في غاية العذوبة علم انه بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان
الله تعالى قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه) أي
بجهدكم في الغوص وما يتبعه (حلية) أي اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ

ثم من خلقنا كم من تراب ثم من نطفة الآية وقوله نسقيكم مما في بطونه) كذا بخط المؤلف الذي ... فلا اذكرا ... بطونها ... هنا الانعام ... قال الزمخشري ...

عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر لانه من أعظم النعم على عباده فقال (هو) اى لا غيره مما تدعى فيه الالهية (الذى أنزل) اى بقدرته الباهرة (من السماء) اما من نفسها أو من غيرها أو من جهتها أو من السحاب كما هو مشاهد (ماء) اى واحدا تعرفونه بالذوق والبصر (لكم منه) اى من ذلك الماء (شراب) اى تشربونه وقد بين تعالى فى آية أخرى ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شئ حى (فان قيل) ظاهر هذا ان شرابنا ليس الا من المطر (أجيب) بانه تعالى لم ينف أن نشرب من غيره وبتقدير الحصر لا يمتنع ان يكون الماء العذب تحت الارض من جملة ماء المطر سكن هناك بدليل قوله فى سورة المؤمنون وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض (ومنه) اى من الماء (شجر) اى ينبت بسببه والشجر هنا كل نبات من الارض حتى الكلأ وفى الحديث لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعنى الكلأ (فان قيل) قال المفسرون فى قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان المراد من النجم ما ينجم من الارض مما ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق (أجيب) بان عطف الجنس على النوع وبالضد مشهور وأيضا فلفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم اذا اختلط أصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرياح اذا اختلطت وقال تعالى حتى يحكموك فيما شجر بينهم ومعنى الاختلاط حاصل فى العشب والكلأ فوجب اطلاق لفظ الشجر عليه ويصح ان يكون المراد بالشجر هنا ما له ساق لان الابل تقدر على رعى ورق الاشجار الكبار وحينئذ فاطلاق الشجر على الكلأ مجاز (فيه) اى الشجر (تسيمون) اى ترعون مواشيكم يقال أسمت الماشية اذا خليتها ترعى وسامت هى اذا رعت حيث شاءت قال الزجاج أخذ ذلك من السومة وهى العلامة لانها تؤثر فى الارض برعيها علامات وقال غيره لانها تعلم للارسال فى المرعى ولما ذكر تعالى الحيوانات تفصيلا واجمالا ذكر الثمار تفصيلا واجمالا بقوله تعالى (ينبت) اى الله (لكم به) اى بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذى يقتات به كالحنطة والشعير والارز لان به قوام البدن وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة فيه وثلث بذكر النخيل لان ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه شبه النخيل فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر تعالى سائر الثمار اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده لان الحبة الواحدة تقع فى الطين فاذا مضى عليها مقدار معين من الوقت نفذ فى داخل تلك الحبة أجزاء من رطوبة الارض ونداوتها فتنتفخ الحبة فينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الارض الى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة فى قعر الارض وهذه الغائصة هى المسماة بعروق الشجرة ثم ان تلك الشجرة لا تزال تزداد وتنمو وتقوى ثم تخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ثم ان تلك الثمار تشتمل على أجسام مختلفة الطبائع مثل العنب فان قشره وعجمه باردان يابسان كثيفان ولحمه وماؤه حاران رطبان لطيفان والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ان فى ذلك لآية) بينة على ان فاعل ذلك تام القدرة يقدر على الاعادة وانه مختار يفعل ذلك فى الوقت الذى يريده وانما تحصل معرفة ذلك (لقوم يتفكرون) فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته فيؤمنون ثم ذكر سبحانه وتعالى

وقاله فى العنكبوت باثباتها ليوافق التعبير بها قوله قبل ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء واثبتوها فى قوله فى الحج لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليوافق التعبير بالقبل فى قوله

تسميتها باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينها فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها
فأنكر عليهم ذلك بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق (فإن قيل) من لا يخلق إن أريد به جميع
ما عبد من دون الله كان ورود من واضحاً لأن العاقل يغلب على غيره فيعبر عن الجميع بمن
ويجيء أيضاً بما جاز وإن أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم (أجيب) بأنهم
سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم ألا ترى إلى قوله تعالى على أثره والذين تدعون
من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون وإلى قول الشاعر

بكيت إلى سرب القطا إذ مررن بي ٭ فقلت ومثلي بالبكاء جدير
أسرب القطا هل من يعير جناحه ٭ لعلي إلى من قد هويت أطير

فأوقع من على سرب القطا لما عاملها معاملة العقلاء وقيل للمشاكلة بينه وبين ما يخلق وقيل
المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله تعالى ألهم أرجل
يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن
هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن
يعبدوا ولما كان هذا القدر ظاهراً غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه إلى دقيق الفكر
والنظر بل بمجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل ختم تعالى ذلك بقوله تعالى (أفلا تذكرون)
ما تشاهدونه من ذلك ولو من بعض الوجوه فتؤمنون (تنبيه) احتج أهل السنة بهذه
الآية على أن العبد غير خالق لأفعال نفسه لأنه تعالى ميز نفسه عن الأشياء التي يعبدونها بصفة
الخالقية لأن الغرض من قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق بيان تميزه عن هذه الأصنام بصفة
الخالقية وأنه إنما استحق الإلهية والمعبودية بكونه تعالى خالقاً فوجب أن العبد لو كان
خالقاً لشيء لوجب كونه إلهاً معبوداً ولما كان ذلك باطلاً علمنا أن العبد لا يقدر على الخلق
والإيجاد ولما كانت المقدورات لا تحصى وأكثر النعم على العباد بقدر [illegible] قال تعالى
عليهم بما ساقه من غير سبب منهم (وإن تعدوا) تكلفكم (نعمة الله) أي إنعام الملك الأعظم الذي
[illegible]
[illegible] فيما أنعم به عليكم وما خلق لكم [illegible]
الأشياء [illegible]
[illegible] (لا تحصوها) أي لا تطيقوا عدها ولا تبلغه طاقتكم [illegible]
وإعراضكم عن شكرها والعبد وإن أتعب نفسه في القيام بالطاعات والعبادات وبالغ
في شكر نعم الله تعالى فإنه يكون مقصراً لأن نعم الله كثيرة وأنواعها عظيمة وعقل الخلق
قاصر عن الإحاطة بمباديها فضلاً عن غاياتها لكن الطريق إلى ذلك أن يشكر الله تعالى على
جميع نعمه مفصلها ومجملها (إن الله لغفور) أي لتقصيركم في القيام بشكر ما يجب للنعمة كما
يجب عليكم (رحيم) بكم فوسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي
وقوله تعالى (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) فيه وجهان الأول أن الكفار مع كفرهم كانوا
يسرون أشياء وهو ما كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون أي وما يظهرون من

والمرجان (تلبسونها) اى نساؤكم ومن بعضكم فكأن اللابس أنتم ولان زينة النساء بالحلى انما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينتهم وهذه المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) اى السفن (مواخر) اى تمخر الماء اى تشقه بجريها (فيه) اى مقبلة ومدبرة وذلك أنك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر بريح واحدة وقال مجاهد تمخر الريح السفن يعنى أنها اذا جرت يسمع لها صوت وقال الحسن مواخر يعنى مملوءة متاعا وقوله تعالى (ولتبتغوا) اى لتطلبوا عطف على تأكلوا وما بينهما اعتراض وقيل عطف على محذوف تقديره لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا (من فضله) اى من سعة رزقه بركوبها للتجارة وللوصول الى البلدان الشاسعة (ولعلكم تشكرون) الله على هذه النعم التى أنتم عاجزون عنها ولا تحصونها ثم انه تعالى ذكر بعض النعم التى خلقها الله تعالى فى الارض بقوله تعالى (وألقى فى الارض رواسى) أى جبالا ثوابت (أن تميد) اى كراهة ان تميل وتضطرب (بكم) وقيل لئلا تميل بكم والاول قدره البصريون والثانى قدره الكوفيون وقد تقدم مثل ذلك فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا روى ان الله تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وقوله تعالى (وأنهارا) عطف على رواسى لان الالقاء بمعنى الخلق والجعل ألا ترى أنه تعالى قال فى آية أخرى وجعل فيها رواسى من فوقها وقال تعالى وألقيت عليك محبة منى وذكر تعالى الانهار بعد الجبال لان معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (و) جعل لكم فيها (سبلا) اى طرقا مختلفة تسلكون فيها فى أسفاركم والتردد فى حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان (لعلكم تهتدون) اى بتلك السبل الى مقاصدكم والى معرفة الله تعالى فلا تضلون (و) جعل لكم فيها (علامات) اى من الجبال وغيرها جمع علامة تهتدون بها فى أسفاركم ولما كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات وأوضحها برا وبحرا ليلا ونهارا نبه على عظمها بالالتفات الى مقام الغيبة لافهام العموم لئلا يظن ان الخطاب مخصوص والامر لا يتعداه فقال تعالى (وبالنجم) اى الجنس (هم) اى أهل الارض كلهم وأولى الناس بذلك المخاطبون وهم قريش ثم العرب كلها لفرط معرفتهم بالنجوم (يهتدون) وقدم الجار تنبيها على أن الدلالة بغيره بالنسبة اليه سافلة وقيل المراد بالنجم الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقيل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم ولما ذكر سبحانه وتعالى من عجائب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكانت هذه الاشياء المخلوقة المذكورة فى الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحدانيته وأنه تعالى المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام العاجزة التى لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شئ (أفمن يخلق) أى هذه الاشياء الموجودة وغيرها (كمن لا يخلق) شيأ من ذلك بل على ايجاد شئ ما فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة وترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى (فان قيل) ذلك الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق (أجيب) بانهم لما جعلوا غير الله مثل الله تعالى

وفى الثانيه جمع كما هو الشائع (قوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) اى من جنسكم كما قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم (قوله وبنعمة الله هم يكفرون) قاله هنا بزيادة

وشاهدا (ما يسرون) اى ما يخفون مطلقا أو بالنسبة الى بعض الناس (وما يعلنون) اى
يظهرون فيجازيهم بذلك وانما كان فى ذلك معنى التهديد على ذلك لقوله تعالى (انه) اى
العالم بالسر والعلن (لا يحب المستكبرين) اى على خلقه فبالاولى بالمستكبرين على التوحيد
واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى عدم محبته لهم انه يعاقبهم وعن ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر
فقال رجل يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال
الكبر بطر الحق وغمص الناس ومعنى بطر الحق انه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله ومعنى
غمص الناس استحقارهم وازدراؤهم ولما بالغ سبحانه وتعالى فى دلائل التوحيد واورد
الدلائل القاهرة فى ابطال مذاهب عبدة الاصنام قال تعالى عاطفا على قلوبهم منكرة (واذا
قيل لهم) اى لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وقوله تعالى (ماذا) استفهامية و(ذا) موصولة
اى ما الذى (أنزل ربكم) على محمد صلى الله عليه وسلم واختلف فى قائل هذا القول فقيل كلام
بعضهم لبعض وقيل قول المسلمين لهم وقيل قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله
عليه وسلم (قالوا) مكابرين فى انزال القرآن هو (أساطير) اى أكاذيب (الاولين) مع [illegible]
بعجزهم عن معارضته بأقصر سورة منه مع علمهم بأنهم أفصح الناس وأنه لا يكون من احد
من الناس متقدم أو متأخر قول الا قالوا أبلغ منه (فان قيل) هذا كلام متناقض لانه لا يكون
منزلا من ربهم وأساطير (أجيب) بأنهم قالوه على سبيل السخرية كقوله ان رسولكم الذى
ارسل اليكم لمجنون واللام فى قوله تعالى (ليحملوا) لام العاقبة كما فى قوله تعالى فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وذلك انهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كانت عاقبتهم
بذلك ان يحملوا (أوزارهم) اى ذنوبهم التى هم عليها (كاملة) [illegible]
يكفر عنهم شئ بسبب البلايا التى أصابتهم فى الدنيا وأعمال البر التى عملوها فى الدنيا
بصلة [illegible] أوزارهم (يوم القيامة) التى لا [illegible] قال الامام الرازى وهذا
يدل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا فى حق الكل
لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة (و) يحملون أيضا (من) بعض (أوزار)
الجهلة الضعفاء (الذين يضلونهم) وقوله تعالى (بغير علم) حال من مفعول يضلونهم اى يضلون
من لا يعلم أنهم ضلال أو من الفاعل وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم
لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل وانما حصل للرؤساء الذين
أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع لانهم سعوا بهم الى الضلال [illegible]
فاشتركوا فى الاثم وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا
الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى
ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا أخرجه مسلم
ومعنى الآية والحديث أن الرئيس والكبير اذا سن سنة حسنة أو سيئة فتبعه عليها

أذاه صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى بانه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت والوجه الثاني أنه تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وجهرها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ❁ ثم وصف تعالى هذه الاصنام بصفات ❁ الاولى المذكورة في قوله تعالى (والذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) أي الاصنام وتعتقدون انها آلهة وقرأ عاصم بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) أي يصورون من الحجارة وغيرها (فان قيل) قوله تعالى في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على أن هذه الاصنام لا تخلق شيأ وهم يخلقون وهذا هو المعنى المذكور في هذه الآية المذكورة فما فائدة هذا التكرار (أجيب) بان فائدته أن المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيأ فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيأ وهم يخلقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار فكأنه تعالى بدأ بشرح نقصهم في ذواتهم وصفاتهم فبين أولا أنها لا تخلق شيأ ثم بين ثانيا أنها كما لا تخلق غيرها فهي مخلوقة كغيرها ❁ الصفة الثانية قوله تعالى (أموات) أي جمادات لا أرواح لها (غير أحياء) اذ الاله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت (فان قيل) علم من قوله أموات أنها غير أحياء فما الفائدة في ذكره (أجيب) بان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا وأجساد الحيوانات التي تبعث بعد موتها وأما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها وقيل ذكر لتأكيد بيان الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم في نهاية الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغبي فقد يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة وغرضه الاعلام بكون المخاطب في غاية الغباوة لأنه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة ❁ الصفة الثالثة قوله تعالى (وما يشعرون) أي الاصنام (أيان) أي وقت (يبعثون) أي وما تعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه وتعالى وقيل الضمير راجع للاصنام قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار وقيل المراد بقوله تعالى والذين تدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله تعالى انهم أموات أي لابد لهم من الموت غير أحياء أي باقية حياتهم وما يشعرون أي لا علم لهم بوقت بعثهم ❁ ولما زيف سبحانه وتعالى طريقة عبدة الاصنام وبين فساد مذهبهم قال تعالى (الهكم) أي أيها الخلق جميعا المعبود بحق (الله) أي المتصف بالالهية على الاطلاق بالنسبة الى كل أوان وكل زمان وكل مكان (واحد) لا يقبل التعدد الذي هو مثار النقص بوجه من الوجوه لان التعدد يستلزم امكان التمانع المستلزم للعجز المستلزم للبعد عن رتبة الالهية (فالذين) أي فتسبب عن هذا أن الذين (لا يؤمنون بالآخرة) أي دار الجزاء ومحل اظهار الحكم الذي هو ثمرة الملك والعدل الذي هو مدار العظمة (قلوبهم منكرة) أي جاحدة للوحدانية (وهم) أي والحال انهم بسبب انكار ذلك (مستكبرون) أي متكبرون عن الايمان بها (لا جرم) أي حقا (ان الله يعلم) علما غيبيا

وشاهدها

يكفرون فلا تزال هم
لالتبست الغيبة بالخطاب
بان تبدل الياء تاء (قوله
يعبدون من دون الله ما لا
يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا ولا
يستطيعون) غلب فيه
من يعقل على من لا يعقل

الذين عرباهم جرهم الذين نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان ببابل من العرب طائفة قديمة قبل ابراهيم عليه السلام انتهى وقد يقال انه كان لسان أكثر الناس بالسريانية فلا ينافي ذلك (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف لا يكون إلا من فوقهم (أجيب) بأنهم قد لا يكونون تحته فلما قال تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم دل على أنهم كانوا تحته وحينئذ يفيد هذا الكلام بأن الأبنية قد تهدمت وهم ماتوا تحتها ۞ ولما ذكر الله تعالى حال أصحاب المكر في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة بقوله عز وجل (ثم يوم القيامة يخزيهم) أي يذلهم ويهينهم بعذاب النار (ويقول) لهم الله تعالى على لسان الملائكة توبيخا (أين شركائي) أي في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون) أي تخالفون المؤمنين (فيهم) أي في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون والباقون بفتحها (قال) أي يقول (الذين أوتوا العلم) أي من الأنبياء والمؤمنين وقال ابن عباس يريد الملائكة (ان الخزي) أي الذل والهوان (اليوم) أي يوم الفصل الذي يكون للفائز فيه العاقبة المأمونة (والسوء) أي كل ما يسوء (على الكافرين) أي العريقين في الكفر الذين تكبروا على غيرهم بغير الحق وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكاية لكون الخطاب من بعده (تنبيه) في الآية دلالة على ان ماهية الخزي وماهية السوء في يوم القيامة مختصة بالكافرين وهذا ينفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم ويؤكده قول موسى عليه السلام انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف عذاب هؤلاء الكافرين من وجه آخر فقال سبحانه وتعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) أي تقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه عليهم السلام وقرأ حمزة في هذه الآية وفي الآية الآتية بالياء على التذكير لأن الملائكة ذكور والباقون بالتاء على التأنيث لأن لفظ الجمع مؤنث (ظالمي أنفسهم) أي بأن عرضوها للعذاب المخلد بكفرهم (فألقوا السلم) أي استسلموا وانقادوا حين عاينوا الموت قائلين (ما كنا نعمل من سوء) أي شرك وعدوان فتقول لهم الملائكة (بلى) أي بل كنتم تعملون أعظم السوء ثم علل تكذيبهم بقوله تعالى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) أي فلا فائدة لكم في انكاركم فهو يجازيكم به ولما كان هذا الفعل مع العلم سببا للدخول في جهنم قال تعالى (فادخلوا) أي أيها الكفرة (أبواب جهنم) أي أبوابها بطبقاتها ودركاتها (خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها) أي جهنم لا تخرجون منها وانما قال تعالى ذلك لهم ليكون أعظم في الخزي والغم وفي ذلك دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض ثم قال تعالى (فلبئس مثوى) أي مأوى (المتكبرين) عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الرسل ولما بين تعالى أحوال الكذبين ذكر أحوال المتقين بقوله تعالى (وقيل للذين اتقوا) أي خافوا عقاب الله (ماذا) أي أي شيء (أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل خيرا وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر شاعر كاهن كذاب مجنون ولو لم تلقه خير لك فيقول السائل أنا شر وافد ان رجعت الى قومي دون أن أدخل مكة وألقاه فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم

يستطيعون [illegible] من الرزق بل الأسطوانة [illegible] الرزق [illegible] الا [illegible] الأسطوانة بجوانبه الاسطوانة

جماعة عملوا بها فان الله تعالى يعطيهم ثوابه وعقابه حتى يكون ذلك الثواب والعقاب مساويا
لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة أو القبيحة وليس المراد بأن
الله يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الرؤساء ويدل لذلك قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى *(تنبيه)* قال
الواحدي لفظة من في قوله تعالى ومن أوزار ليست للتبعيض لانها لو كانت كذلك لنقص عن
الاتباع بعض الاوزار وقد قال صلى الله عليه وسلم لا ينقص ذلك من آثامهم شيأ لكنها
للجنس كما قدرت ذلك في الآية الكريمة أي ليحملوا من جنس أوزار الاتباع وقيل انها
للتبعيض وجرى عليه البيضاوي تبعا للزمخشري (ألا ساء) أي بئس (ما يزرون) أي يحملون
حملهم هذا وفي هذا وعيد وتهديد لهم (فان قيل) ان الله تعالى حكى هذه الشبهة عن القوم ولم
يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فما السبب في ذلك (أجيب) بأن السبب فيه انه تعالى
بين كون القرآن معجزا بطريقين الاول انه صلى الله عليه وسلم تحداهم أولا بكل القرآن وثانيا
بعشر سور وثالثا بسورة فعجزوا عن المعارضة وذلك يدل على كونه معجزا الثاني انه تعالى
حكى هذه الشبهة بعينها في آية أخرى وهي قوله تعالى اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا
وأبطلها بقوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض ومعناه ان القرآن يشتمل
على الاخبار بالغيوب وذلك لا يتأتى الا ممن يكون عالما بأسرار السموات والارض ولما ثبت
كون القرآن معجزا بهذين الطريقين وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا كثيرة لا جرم
اقتصر في هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجري مجرى الجواب عن هذه الشبهة ثم انه
سبحانه وتعالى بالغ في وصف وعيد هؤلاء الكفار بقوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم) أي من
رأوا آثارهم ودخلوا في ديارهم (فأتى الله) أي أمره (بنيانهم من القواعد) أي من جهة العمد
التي بنوا عليها مكرهم (فخر) أي سقط (عليهم السقف من فوقهم) وصار سببا لهلاكهم وقرأ أبو
عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم
الميم وأما الوقف فحمزة بضم الهاء على أصله والباقون بالكسر (وأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون) أي من جهة لا تخطر ببالهم وهذا على سبيل التمثيل أي التشبيه والتخييل لافساد
ما أبرموه من المكر بالرسل فجعل الله هلاكهم فيما أبرموه كالقوم بنوا بنيانا وعمدوه
بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن تضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من
حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل ليصعد الى
السماء قال ابن عباس كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب كان طوله
فرسخين فأهب الله تعالى الريح فألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته قال البغوي
ولما سقط الصرح تبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا
فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى فأتى الله بنيانهم
من القواعد أي أتى أمره بخراب بنيانهم من أصله فخر عليه وعلى قومه السقف أي أعلى
البيوت من فوقهم فهلكوا *(تنبيه)* قال ابن الخازن في قول البغوي وكان لسان الناس
قبل ذلك بالسريانية نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان أهل

والانعام ما ترك كونه انتهوا
على ظاهره صحت افراد
الضمير نظرا الى لفظ ما وجمع
الظاهر نظرا الى معناها
(فان قلت) ما فائدة نفي
استطاعة الرزق بعد نفي
ملكه (قلت) ليس في

بأنه مرهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكأنهم فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا
الجنة أي هي خاصة لكم كأنكم فيها • ولما طعن الكفار في القرآن بقولهم أساطير الأولين
ذكر أنواع التهديد والوعيد ثم أتبعه بذكر الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيرا عاد إلى بيان أن
هؤلاء الكفار لا ينزجرون عن كفرهم وأقوالهم الباطلة إلا إذا جاءتهم الملائكة أو أتاهم أمر
ربك فقال تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم وقرأ حمزة والكسائي
بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث وتقدم توجيه ذلك (أو يأتي أمر ربك) أي يوم
القيامة وقيل العذاب وقيل إنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل الله تعالى ملكا
من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك
إلا أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك وعلى كلا التقديرين فقد قال تعالى (كذلك) أي مثل
ما (فعل) هؤلاء هذا الفعل البعيد الشنيع فعل (الذين من قبلهم) من الأمم السالفة كذبوا
رسلهم فأهلكوا (وما ظلمهم الله) بإهلاكهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بكفرهم
وتكذيبهم الرسل فاستوجبوا ما نزل بهم (فأصابهم) أي فتسبب عن ظلمهم لأنفسهم أن أصابهم
(سيئات) أي عقوبات أو جزاء سيئات (ما عملوا وحاق) أي نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن)
لكبرهم عن قبول الحق فكانوا يستهزؤن والحيق لا يستعمل إلا في الشر وقرأ حمزة بالإمالة
والباقون بالفتح (وقال الذين أشركوا) للنبي صلى الله عليه وسلم استهزاء ومنعا للبعثة
والتكليف (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) لأنهم اعتقدوا أن كل [illegible]
كذلك فيمتنع جواز بعثة الرسل وهو اعتقاد باطل فإن الله تعالى [illegible] بالإيمان والتوحيد
ثم قالوا لهم (ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من السوائب والبحائر والحامي [illegible]
[illegible]
الأسماء في قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله [illegible] (كذلك فعل الذين
من قبلهم) أي من تقدم هؤلاء من الكفار من الأمم الماضية [illegible]
[illegible]
[illegible] (فهل على الرسل إلا البلاغ) أي [illegible]
فليس عليهم [illegible]
المعنى [illegible] الأمم كلها [illegible]
من أراد [illegible] المراج [illegible]
ويقويه قوله تعالى (ولقد) أي والله لقد (بعثنا) أي على ما لنا من العظمة التي من اعترض عليها
قصم (في كل أمة) من الأمم الذين من قبلكم (رسولا) أي كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه
وسلم رسولا (أن اعبدوا الله) أي الملك الأعلى وحده وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة بكسر
النون في الوصل والباقون بالضم (واجتنبوا الطاغوت) أي الأوثان أن تعبدوها (فمنهم
من هدى الله) أي وفقهم للإيمان بإرشاده (ومنهم من حقت) أي وجبت (عليه الضلالة)
أي في علم الله تعالى فلم يوفقهم ولم يرد هداهم • (تنبيه) • في هذه الآية أبين دليل على أن

الآية (فان قيل) لم رفع الاول وهو قولهم أساطير الاولين ونصب الثانى وهو قولهم خيرا
(أجيب) بانه ذكر ذلك للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد وذلك أنهم لما سألوا الكفار
عن المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا أساطير الاولين وليس
هو من الانزال فى شئ لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألوا المؤمنين عن المنزل على النبى
صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وطابقوا الجواب عن السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال
فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين
أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى حياة طيبة أو ان للذين أتوا بالاعمال الصالحات الحسنة
لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى أضعاف كثيرة أو انه
تعالى بين أن اعترافهم بذلك الاحسان فى هذه الدنيا حسنة أى جزاؤهم على احسانهم هل
جزاء الاحسان الا الاحسان ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال أخبر عن حالهم فى الآخرة
فقال (ولدار الآخرة) أى الجنة (خير) أى ما أعد الله لهم فى الجنة خير مما حصل لهم فى الدنيا ثم
مدحها ومدحهم بقوله تعالى (ولنعم دار المتقين) أى دار الآخرة فحذف المتقدم ذكرها وقال
الحسن هى الدنيا لان أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة وقوله تعالى (جنات) أى بساتين
(عدن) أى اقامة خبر مبتدا محذوف ويصح أن يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها) أى تلك
الجنات حالة كونها (تجرى من تحتها) أى من تحت غرفها (الانهار) ثم كأن سائلا سأل عما فيها
من الثمار وغيرها فاجيب بأن (لهم فيها ما يشاؤن) أى ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين مع
زيادات غير ذلك فهذه الآية تدل على حصول كل الخيرات والسعادات فهى أبلغ من قوله
تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين لان هذين القسمين داخلان فى قوله تعالى لهم فيها
ما يشاؤن مع أقسام أخرى وعلى أن الانسان لا يجد كل ما يريده فى الدنيا لان قوله لهم فيها
ما يشاؤن يفيد الحصر (كذلك) أى مثل هذا الجزاء العظيم (يجزى الله) أى الذى له الكمال
كله (المتقين) أى الراسخين فى صفة التقوى ثم حث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على
أن الصبرة قبال الموت فقال (الذين تتوفاهم الملائكة) أى تقبض أرواحهم وقوله تعالى
(طيبين) كلمة مختصرة جامعة للمعانى الكثيرة وذلك لانه يدخل فيه اتيانهم بكل ما أمروا به
واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرئين عن
الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرئين عن العلائق الجسمانية متوجهين الى حضرة
القدس ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الارواح وانها لم تقبض الا مع البشارة بالجنة حتى
صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتألم بالموت وأكثر المفسرين على أن هذا التوفى
هو قبض الارواح كما مر وان كان الحسن يقول انه وفاة الحشر واستدل بقوله تعالى ادخلوا
الجنة لانه لا يقال عند قبض الارواح فى الدنيا ادخلوا الجنة وأجاب الاكثرون بما سياتى
وأدغم أبو عمرو التاء فى الطاء بخلاف عنه ثم بين تعالى ان الملائكة (يقولون) لهم عند الموت
(سلام عليكم) فتسلم عليهم أو تبلغهم السلام من الله تعالى كما روى ان العبد المؤمن اذا
أشرف على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره
بالجنة ويقال لهم فى الآخرة هذا جواب الاكثرين (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) أو انهم

على اكتساب الحق بخلاف
هؤلاء فانهم لا يملكون
ولا يستطيعون ان يملكوا
(قوله عبدا مملوكا لا يقدر
على شئ) فائدة ذكر مملوكا
بعد قوله عبدا الاحتراز عن

مفترين على الله الكذب ثم بين سبحانه وتعالى تيسير الاعادة بقوله تعالى (إنما قولنا) اى
بما لنا من العظمة والقدرة (لشئ) ابداء واعادة (اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) اى
يتسبب عن ذلك القول انه يكون * (تنبيه) * قوله تعالى قولنا مبتدأ وأن نقول خبره فيكون
وكن من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا أردنا حدوث شئ فليس الا ان
نقول له احدث فيحدث عقب ذلك من غير توقف (فان قيل) قوله تعالى كن ان كان خطابا مع
المعدوم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود فكان أمرا بتحصيل الحاصل وهو محال
(أجيب) بان هذا تمثيل لنفى الكلام والمعاياة وخطاب مع الخلق بما يعقلون ليس هو خطاب
المعدوم لان ما أراده فهو كائن على كل حال وعلى ما اراده من الاسراع ولو أراد خلق الدنيا
والآخرة بما فيهما من السموات والارض فى قدر لمح البصر لقدر على ذلك ولكن خاطب
العباد بما يعقلون وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى يشتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى ويكذبنى وما ينبغى له أما شتمه
اياى فيقول ان لى ولدا وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدنى كما بدأنى وفى رواية كذبنى ابن آدم
ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق
باهون على من اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الله الاحد الصمد الذى لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقرأ ابن عامر والكسائى بفتح النون من يكون عطفا على نقول
أو جوابا للامر والباقون بالرفع ولما حكى الله تعالى عن الكفار انهم أقسموا بالله جهد
أيمانهم على انكار البعث والقيامة دل ذلك على انهم تمادوا فى الغى والجهل والضلال
وفى مثل هذه الحالة لا يبعد اقدامهم على ايذاء المسلمين والى [illegible] عليهم و [illegible] عليهم على
المؤمنين أن يهاجروا من تلك البلاد [illegible] تعالى ثم ذكر الله تعالى [illegible]
المهاجرين من الحسنة فى الدنيا والآخرة بقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله) اى فى حقه
ولوجهه لا لغرض [illegible] (من بعد ما ظلموا) وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله
تعالى عنهم ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم الى الله تعالى منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين
الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة أو المحبوسين المعذبين بمكة بعد هجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار بن ياسر وأبو جندل بن سهيل أخذهم
المشركون بمكة فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فأما بلال فكان أمية بن خلف يخرجه
الى بطحاء مكة فى شدة الحر ويعذبه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشتراه
منهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأعتقه واشترى معه ستة آخرين أسلموا مع بلال وقال أنا رجل
كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو
بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم
يريد لو لم يخلق الله النار لأطاعه (لنبوئنهم) أى لننزلنهم (فى الدنيا) دارا (حسنة) وهى المدينة
وقيل لنحسنن اليهم فى الدنيا بأن نفتح لهم مكة ونمكنهم من أهلها الذين ظلموهم وأخرجوهم منها
وقيل أراد بالحسنة فى الدنيا التوفيق والهداية الى الدين (ولأجر الآخرة) وهى الجنة والنظر
الى وجهه الكريم (أكبر) أى أعظم (لو كانوا يعلمون) أى الكفار والمتخلفون عن الهجرة

قوله وما أمر الساعة الا
(كلمح البصر أو هو أقرب) ان
كان البصر أو أقل وهو [illegible]
قلبه أو اللحظ [illegible]
[illegible] ذلك
(قلت) أو هنا [illegible] فى الراو
[illegible]
[illegible]

الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء
لا اعتراض عليه فيما حكم به لسابق علمه ثم التفت سبحانه وتعالى الى مخاطبتهم اشارة الى أنه
لم يبق بعد هذا الدليل القطعي في نظر البصيرة الا الدليل المحسوس للبصر فقال تعالى (فسيروا)
اى فان كنتم أيها المخاطبون في شك من أخبار الرسل فسيروا (في الارض) اى جنسها
(فانظروا) اى اذا سرتم ومررتم بديار المكذبين وآثارهم ثم أشار تعالى بالاستفهام الى أن
أحوالهم مما يجب ان يسئل عنه للاتعاظ به فقال (كيف كان عاقبة) اى آخر امر
(المكذبين) اى من عاد ومن بعدهم من الذين بلغتم أخبارهم ممن قلدتموهم في الكفر
من أسلافكم لعلكم تعتبرون * ولما كان من المحقق انه ليس بعد الايصال في الاستدلال
الى الامر المحسوس الا العناد أعرض عنهم ملتفتا الى الرؤف بهم الشفيق عليهم محمد صلى الله
عليه وسلم فقال مسليا له (ان تحرص على هداهم) فتطلبه بغاية جهدك واجتهادك
وقد اضلهم الله تعالى لا تقدر على ذلك ثم قال تعالى (فان الله لا يهدى من يضل) اى من يريد
ضلاله وهو من لم حقت عليه الضلالة وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر
الدال والباقون بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول قال البيضاوي وهو أبلغ ثم قال
تعالى (وما لهم) أى هؤلاء الذين أضلهم الله وجميع من يضله (من ناصرين) أى وليس
لهم أحد ينصرهم في الدنيا والآخرة عند مجازاتهم على الضلالة لينقذوهم مما يلحقهم عليه
من الوبال كما فعل بالمكذبين ممن قبلهم ثم حكى الله عن هؤلاء القوم انهم ينكرون الحشر
والنشر بقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أى غاية اجتهادهم فيها (لا يبعث الله من يموت)
وذلك أنهم قالوا ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت أجزاؤه
وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه
وعدمه فكذبهم الله تعالى في قولهم بقوله تعالى (بلى) أى يبعثهم بعد الموت فان لفظة بلى
اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان وأوجده من العدم
ولم يكن شيئا فالذى أوجده ولم يكن شيئا قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية
أهون من الاولى وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما
المقدر أى وعد ذلك وعدا وحقه حقا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك أى لا علم لهم بوصلهم
لذلك لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله تعالى ولا هم يقبلون
أقوال الدعاة اليه الذين أيدهم الله بروح منه لتقيدهم بما يوصل اليه عقولهم انها قاصرة على
عالم الشهادة لا يمكنها الترقي منه الى عالم الغيب بغير واسطة منه سبحانه وتعالى فلذلك ترى
الانسان منهم يأبى ذلك استبعادا وهو خصيم مبين وقوله تعالى (ليبين لهم الذى يختلفون
فيه) يتعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين
والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) في قولهم
(لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) وقولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز أن يتعلق بقوله
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أى بعثنا ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله

لم يجمع ولم يثن مع ان
المضروب به المثل اثنان
مملوك ومن رزقه الله
رزقا حسنا (قلت) جمع
المالك
باعتبار جنس
والمالكين أو نظرا الى
ان اقل الجمع اثنان

لمبين لكل التكاليف والاحكام هو النبي صلى الله عليه وسلم فالقياس ليس بحجة (أجيب) بانه صلى الله عليه وسلم لما بين ان القياس حجة فمن رجع في تبيين الاحكام والتكاليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات) فيه اضمار تقديره المكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وبالقرآن في أذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء ثم انه تعالى ذكر في تهديدهم أربعة أمور الاول قوله تعالى (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون واصحابه فاذا هم في بطنها لا يقدرون على نوع تقلب بمعاينة لا غيرها الثاني قوله تعالى (أو يأتيهم العذاب) على غير تلك الحال (من حيث لا يشعرون) به فيأتيهم بغتة فيهلكهم كما فعل بقوم لوط عليه السلام الثالث قوله تعالى (أو يأخذهم) اى الله بعذابه (في) حالة (تقلبهم) ومشاعرهم حاضرة وقواهم صحيحة وفي تفسير هذا التقلب وجوه اولها انه تعالى يأخذهم بالعقوبة في أسفارهم فانه تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما انه قادر على اهلاكهم في الحضر (فما هم بمعجزين) اى بفائتين العذاب بسبب ضربهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله تعالى حيث كانوا ثانيها انه تعالى يأخذهم بالليل والنهار وفي حال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وثالثها ان الله تعالى يأخذهم في حال ما يتقلبون في قضايا أفكارهم فيحول الله بينهم وبين اتمام تلك الحيل وحمل لفظ التقلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى وقلبوا لك الامور فانهم اذا قلبوها فقد تقلبوا فيها الامر الرابع قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) وفي تفسير التخوف قولان الاول التخوف تفعل من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعنى انه تعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخيفهم أولا ثم يعذبهم بعده وتلك الاخافة هو انه تعالى يهلك فرقة فتخاف التي تليها فيأتيهم العذاب والثاني التخوف بمعنى التنقص اى انه تعالى ينقص شيأ بعد شيء في أنفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفه اذا تنقصه وكان عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون في هذه الآية فسكتوا فقال شيخ من هذيل هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير

تخوف (اى تنقص) الرحل (اى رحل ناقته) منها تامكا (اى سناما) قردا
(اى مجتمعا كأنه متلبد وهو بسكون الراء) كما تخوف عود النبعة السفن

والنبعة بالضم واحدة النبع وهو شجر يتخذ منه السفن والسفن بفتح السين والفاء ما ينحت به الشيء وهو فاعل تخوف ومفعوله عود فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ومعنى البيت ان رحل ناقته ينقص سنامها القرد أو المرتفع كما ينقص السفن عود النبعة (فان ربكم) أى المحسن اليكم باهلاك من يعجزوا بقاء من يريد وقوله تعالى (لرؤف) قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة والباقون بالمد ومعناه بليغ الرحمة فلم يعجل العقوبة ووسع لكم فاطمة أم فاطمة والبه أشار بقوله تعالى (رحيم) أى حيث لم يعاجلهم بالعذاب ولما خوف سبحانه وتعالى المشركين بالانواع الاربعة المذكورة من العذاب أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال العالم العلوي والسفلي وتدبير أحوال الارواح والاجسام ليظهر لهم أنه مع كمال هذه

وقوع النسخ في الاخبار وهو جائز عند الاشاعرة مطلقا خلافا للمعتزلة

۳ (قوله فهل الاية متضمن ... حكم الحد) [illegible] ... والجد وانما حذف ... فصله عليه كما في قوله

۲ قوله فيما لا يتغير حكمه الخ ... بالاصل ولعله ... مصححه

ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم وقيل انه راجع الى المهاجرين أى لو كانوا يعلمون ذلك لزاد وافى اجتهادهم وصبروا وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله به فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أفضل ثم يقرأ هذه الآية وقوله تعالى (الذين صبروا) أى على الشدائد وعلى مفارقة الوطن الذى هو حرم الله وعلى المجاهدة وبذل الاموال والانفس فى سبيل الله محله رفع على تقديرهم أو نصب على المدح ويجوز أن يكون تابعا للموصول قبله نعتا أو بدلا أو بيانا فمحله (وعلى ربهم يتوكلون) أى منقطعين اليه مفوضين الامر كله اليه *(تنبيه)* ذكر الله تعالى فى هذه الآية الصبر والتوكل وهما مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق وأما التوكل فهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق كما مرت الاشارة اليه فالاول هو مبدأ السلوك والثانى هو آخر الطريق ومنتهاه * ونزل لما أنكر مشركو مكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الى الامم من طوائف البشر (الا رجالا) لا ملائكة بل آدميين هم فى غاية الاقتدار على الصبر والتوكل الذى هو محط الرحال (نوحى اليهم) بواسطة الملائكة فعادة الله جارية مستمرة من أول مبتدا الخلق الى الآن لم يبعث رسولا الا من البشر (فاسئلوا أهل الذكر) اى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما أمرهم الله تعالى بسؤالهم لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب اهل علم وقد أرسل اليهم رسلا مثل موسى وعيسى عليهما السلام من البشر وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد أن يخبروهم ان الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك فربما زالت هذه الشبهة وقال ابن عباس يريد أهل التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر يعنى التوراة والذكر هو التوراة وقال الزجاج معناه اسألوا كل من يذكر بعلم وتحقيق ولما كان عندهم أحسن من ذلك سماع أخبار الامم قبلهم أشار اليه بقوله تعالى (ان كنتم) أى جبلة وطبعا (لا تعلمون) فلكونكم لا تعلمونه وأنتم الى تصديقه أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (بالبينات) متعلق بمحذوف اى أرسلناهم بالحجج الواضحة وقيل التقدير ان كنتم لا تعلمون بالبينات (والزبر) أى الكتب فاسألوا اهل الذكر وقيل انه متعلق بمحذوف جواب لسؤال مقدر كأنه قيل بم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر وقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والذكر هو القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتذكير (لتبين للناس) كافة أى بما أعطاك الله تعالى من الفهم الذى فقت فيه جميع الخلق واللسان الذى هو أعظم الالسنة وأفصحها وقد أوصلك الله تعالى فيه الى رتبة لم يصل اليها احد (ما نزل) أى ما وقع تنزيله (اليهم) من هذا الشرع المؤدى الى سعادة الدارين بتبيين المجمل وشرح ما أشكل من علم أصول الدين الذى رأسه التوحيد ومن البعث وغيره فان القرآن فيه محكم وفيه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل فيطلب بيانه من السنة (ولعلهم يتفكرون) فيما أنزل اليهم اذا نظروا أساليبه الفائقة ومعانيه العالية الرائقة فيعتبرون (فان قيل) ان هذه الآية تدل على ان

قوله الى مائة الف او يزيدون
وقوله كالحجارة او اشد
قسوة واورد على الاخير
ان بل للاضراب وهو
رجوع عن الاخبار وهو
محال على الله تعالى ويجاب بمنع
انه مثال بناء على جواز

بخصوصه فقال (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض) وقوله تعالى (من دابة) يجوز ان
يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما تدب
الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي
يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم
بقوله تعالى (والملائكة) خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز
ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله تعالى والملائكة ملائكة الارض من الحفظة
وغيرهم (فان قيل) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف
عبر عن النوعين بلفظ واحد (أجيب) بان المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم
وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله تعالى وانه غير ممتنع عليه وكلا السجودين يجمعهما معنى
الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قيل) لم جيء بما دون من تغليبا
للعقلاء من الدواب على غيرهم (أجيب) بانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان
متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم (وهم) اى الملائكة
(لا يستكبرون) عن عبادته ثم قال في صفتهم بقوله تعالى دلالة على انهم كغيرهم في الوقوف
بين الخوف والرجاء (يخافون ربهم) اى الموجد لهم المدبر لامورهم المحسن اليهم خوفا مبتدأ
(من فوقهم) اشارة الى علو الخوف عليهم وغلبته لهم أو ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وقوله تعالى وانا فوقهم
قاهرون والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له أو تقرير لان من خاف الله
لا يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) اى من الطاعة والتدبير وفي ذلك دليل على ان
الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين
الخوف والرجاء كما مرت الاشارة اليه وانهم معصومون من الذنوب لان قوله تعالى وهم
لا يستكبرون يدل على انهم منقادون لخالقهم وانهم ما خالفوه في امر من الامور كما قال تعالى
لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون [illegible] كل ما سوى الله تعالى سواء كان
من عالم الارواح أم من عالم الاجساد فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه [illegible]
عن الشرك وبالاشراك [illegible] عن الكل بقوله تعالى (وقال الله)
لهم لاجل تعظيم المقام بالاسم الاعظم الجامع (لا تتخذوا) اى لا تكلفوا انفسكم الى
الصانع المجبولة عليه فقال الاله واحد أن تأخذوا في اعتقادكما (الهين اثنين) فان قيل انما
جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة
لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان
فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى
الهين اثنين (أجيب) باجوبة أولها قال الرازي وهو الاقرب عندي ان الشيء اذا كان مستنكرا
مستقبحا فمن أراد المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات
سببا لوقوف العقل على ما فيه من القبح والقول بوجود الهين مستقبح في العقول فان أحدا من
العقلاء لم يقل بوجود الهين متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال فالمقصود من تكرار

القدرة الباهرة والقوة القاهرة المتناهية لا يعجز عن ايصال العذاب اليهم على أحد تلك الاقسام الاربعة وقوله تعالى (أولم يروا) قرأه حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب على نسق ما قبله والباقون بالياء على الغيبة (الى ما خلق الله من شئ) أى من الاجرام التى لها ظل كشجر وجبل (تتفيؤ) أى تميل (ظلاله عن اليمين والشمائل) جمع شمال أى عن جانبي كل واحد منهما وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشئ أى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقال قتادة والضحاك أما اليمين فاول النهار وأما الشمائل فآخر لان الشمس وقت طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تقع الظلال الى الجانب الغربي فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربي وقعت الظلال فى الجانب الشرقي والظلال فى أول النهار تبتدئ من يمين الفلك على الربع الغربي من الارض ومن وقت انحدار الشمس من وسط الفلك تبتدئ من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقي من الارض (فان قيل) ما السبب فى ذكر اليمين بلفظ الواحد والشمائل بصيغة الجمع (أجيب) باشياء الاول انه وحد اليمين والمراد الجمع ولكنه اقتصر فى اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدبر الثانى قال الفراء كأنه اذا وحد ذهب الى واحد من ذوات الظلال واذا جمع ذهب الى كلها وذلك لان قوله الى ما خلق الله من شئ لفظه واحد ومعناه الجمع على ما مر فيحتمل كلا الامرين الثالث ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم * (تنبيه) * الهمزة للاستفهام وهو استفهام انكار أى قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بمعنى الذى ومن شئ بيان لها (فان قيل) كيف بين الموصول وهو مبهم بشئ وهو مبهم بل أبهم مما قبله (أجيب) بان شيأ قد اتضح وظهر بوصفه بالجملة بعده وهو تتفيؤ ظلاله وقيل الجملة بيان لما وقوله تعالى (سجدا لله) حال من الظلال جمع ساجد كشاهد وشهد وراكع وركع واختلف فى المراد من السجود على قولين أحدهما ان المراد منه الاستسلام والانقياد يقال سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل ويقال اسجد للقرد فى زمانه أى اخضع له وقال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر أى متواضعة والثانى ان هذه الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله تعالى عليها هذا اللفظ وكان الحسن يقول أما ظلك فيسجد لربك وأما أنت فلا تسجد لربك فبئسما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلى وهو لا يصلى وقيل ظل كل شئ يسجد لله سواء أكان ذلك الشئ ساجدا أم لا قال الرازى والاول أقرب الى الحقائق العقلية والثانى أقرب الى الشبهات الظاهرة وقوله تعالى (وهم داخرون) اى صاغرون حال أيضا من الظلال فينتصب عنه حالان وقيل حال من الضمير المستتر فى سجدا فهى حال متداخلة (فان قيل) الظلال ليست من العقلاء فكيف جاز جمعها بالواو والنون (أجيب) بانه تعالى لما وصفها بالطاعة والدخور أشبهت العقلاء أو ان فى جملة ذلك من يعقل فغلب * ولما حكم على الظلال بما يعم أصحابها من جماد وحيوان وكان الحيوان أشرف من الجماد رقى الحكم اليه

قوله أولم تروا وقرأه الخ كذا فى نسخة بخطه وما وقع فى الطبعة الاولى غير سديد اه مصحح

يدلك انتهى أى والشمر وخص الحر والظل بالذكر لان الخطاب بالقرآن أول ما وقع بالحجاز والوقاية من الحر أهم عند أهله لان الحر عندهم أشد من البرد والظل مطلوب العباد من

ما يكون منتفعا به وأعظم الاشياء في النفع هو الايمان فثبت أن الايمان نعمة والمسلمون
مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان والنعم اما دينية واما دنيوية أما النعم الدينية
فهي اما معرفة الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل به والنعم الدنيوية اما نفسانية واما
بدنية واما خارجية وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحته أنواع خارجة عن الحصر كما قال
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مرت الاشارة الى ذلك عند ذكر هذه الآية ولما كان
الخلاص لهم مع ادعائهم الوهية غيره أمرا مستبعدا عبر باداة التراخي والبعد في قوله تعالى
(ثم اذا مسكم) اي أصابكم أدنى مس (الضر) بزوال نعمة مما أنعم به عليكم قال ابن عباس
يريد الاسقام والامراض والحاجة (فاليه) اي لا الى غيره (تجأرون) اي ترفعون أصواتكم
بالاستغاثة لما ركز في فطرتكم الاولية السليمة من انه لا كاشف ولا مجيب من الشدة الا هو (ثم اذا
كشف) سبحانه وتعالى (الضر) اي الذي مسكم (عنكم) ونبه على مسارعة الانسان
في الكفران فقال (اذا فريق) اي جماعة هم أهل فرقة وضلالة (منكم) ايها العباد
(بربهم) الذي تفرد بالانعام عليهم (يشركون) اي يوقعون الاشراك بعبادة غيره (ليكفروا
بما آتيناهم) اي من النعم (تنبيه) في هذه اللام وجهان الاول انها لام كي فيكون المعنى
على هذا انهم انما أشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر الثاني أنها لام العاقبة كما في
قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما
آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ثم انه تعالى توعدهم بعد ذلك بقوله تعالى
(فتمتعوا) اي باجتماعكم على عبادة الاصنام وهذا لفظ أمر والمراد منه التهديد كقوله تعالى
قل آمنوا به أو لا تؤمنوا وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (فسوف تعلمون) عاقبة
أمركم وما ينزل بكم من العذاب ولما بين تعالى بالدلائل القاطعة فساد أقوال اهل الشرك
والتشبيه شرع في تفاصيل أقوالهم وبيان فسادها فالنوع الاول قوله تعالى (ويجعلون) اي
المشركون (لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام وغيرهما تقربا اليها [illegible]
[illegible] (تنبيه) في الضمير في قوله تعالى لما لا يعلمون وجهان الاول انه عائد الى الاصنام لانها
[illegible] جماد لا تعلم [illegible] الثاني انه عائد الى المشركين [illegible]
[illegible] ويعتقدون [illegible] انها تنفعهم وتشفع لهم وليس الامر كذلك [illegible]
وتعالى [illegible] يوم القيامة بقوله تعالى (تالله لتسألن) سؤال توبيخ وفيه
التفات من الغيبة الى الخطاب وهو من بديع الكلام وبليغه (عما كنتم تفترون) على الله من
أنه أمركم بذلك (تنبيه) في وقت هذا السؤال احتمالان الاول انه يقع عند القرب من الموت
الثاني انه يقع في الآخرة قال الرازي وهذا أولى النوع الثاني قوله تعالى (ويجعلون لله
البنات) ونظيره قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كانت خزاعة وكنانة
يقولون الملائكة بنات الله قال الرازي أظن ان العرب انما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة
لاستتارهم عن العيون فأشبهوا النساء في الاستتار فأطلقوا عليهم البنات قال ابن عادل وهذا
الذي ظنه ليس بشيء فان الجن أيضا مستترون عن العيون ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات ولما
حكى الله تعالى عنهم هذا القول قال تعالى (سبحانه) وفيه وجهان الاول ان يكون المراد تنزيه

فقالوا عند
جوابهم [illegible] هؤلاء
[illegible] آلهتهم [illegible]
شركاؤنا فأقروا [illegible]
انكارهم [illegible]
من الذنب فكان [illegible]
القول على وجه الاعتراف
مقرين بالذنب لا على [illegible]

اثنين تأكيد التثنية عنه وتوقيف العقل على ما فيه من القبح الثاني ان قوله تعالى الهين لفظ
واحد يدل على أمرين ثبوت الاله وثبوت التعدد فاذا قيل لا تتخذوا الهين لم يعرف من هذا
اللفظ ان النهي وقع عن اثبات الاله أو عن اثبات التعدد أو عن مجموعهما فلما قال
لا تتخذوا الهين اثنين ظهر ان قوله لا تتخذوا نهي عن اثبات التعدد فقط الثالث في الآية
تقديم وتأخير والتقدير لا تتخذوا اثنين الهين الرابع ان الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية
دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على ان المعنى به منهما
والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به
ألا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية
لا الوحدانية ثم علل تعالى ذلك النهي بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال جل ذكره
(انما هو) اى الاله المفهوم من لفظ الهين الذي لا يستحق غيره ان يطلق عليه هذا الضمير
الاعجاز الا انه لا يطلق اطلاقا حقيقيا الا على من وجوده من ذاته (اله) اى مستحق هذا الوصف
على الاطلاق (واحد) لا يمكن ان يثنى بوجه ولا ان يجزأ بغاية وغير غاية لتناهيه المطلق عن كل
شئ واحتياج كل شئ اليه ولما دلت الدلائل على انه لا بد للعالم من اله وثبت ان القول بوجود
الهين محال وثبت انه لا اله الا الواحد الاحد الفرد الصمد قال تعالى بعده (فاياي فارهبون)
اى خافون دون غيري والرهبة مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى
خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات لانه أبلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه ومن ان
يجيء ما قبله على لفظ المتكلم ولما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك
له في الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيده وفي ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك
قوله تعالى (وله) اى الله وأعاد الضمير في قوله تعالى له على الله الاسم الاعظم الدال بالاصالة على جميع
الاسماء الحسنى (ما في السموات والارض) اى ما نشاهده وغيره فكيف يتصور ان يكون شئ
من ذلك الها وهو مملوك مع كونه محتاجا الى الزمان والمكان وغيرهما (وله الدين) اى الطاعة
وقوله تعالى (واصبا) أي دائما حال من الدين والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال
ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة أو بالموت الا الحق
سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة أبدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة
دائما أبدا وقوله تعالى (أفغير الله) أي الذي له العظمة كلها (تتقون) استفهام انكار والمعنى
أنكم بعدما عرفتم ان اله العالم واحد وعرفتم أن كل ما سواه محتاج اليه في وقت دوامه وبقائه
فبعد العلم بذلك كيف يعقل أن يكون للانسان رغبة في غير الله تعالى أو رهبة من غير الله تعالى
ولما بين تعالى أن الواجب على العاقل أن لا يتقي غير الله بين أنه يجب عليه أن لا يشكر احدا
الا الله تعالى بقوله تعالى (وما بكم من نعمة) أى من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة
الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد أو جاه (فمن الله) هو المتفضل على عباده فيجب عليكم
شكره على جميع انعامه لان الشكر انما يجب على النعمة فثبت بهذا أن العاقل يجب عليه أن
لا يخاف وأن لا يشكر الا الله تعالى (تنبيه) احتج أصحابنا بهذه الآية على أن الايمان حصل
بخلق الله فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فمن الله ينتج أن الايمان من الله وأيضا النعمة عبارة عن كل

شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) فان قلت ما فائدة قولهم ذلك مع انه تعالى عالم به (قلت) لما أنكروا الشرك بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين عاقبهم الله وأنطق باصمات السنتهم

والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغا لا مزاد عليه فكيف يليق بالعاقل أن يثبت ذلك لإله عالم مقدس عال عن مشابهة جميع المخلوقات ونظير هذه الآية قوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى ثم قال تعالى (للذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم الكفار (مثل السوء) أي الصفة السوء بمعنى القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح (ولله المثل الأعلى) أي الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله (فإن قيل) كيف جاء المثل الأعلى مع قوله تعالى فلا تضربوا لله الأمثال (أجيب) بأن المثل الذي يضربه الله تعالى حق وصدق والذي يذكره غيره باطل (وهو العزيز) الذي لا يتم عليه شيء فلا نظير له (الحكيم) الذي لا يقع شيء إلا في محله ولما حكى الله تعالى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين أنه تعالى يمهل هؤلاء الكفار ولا يعاجلهم بالعقوبة إظهاراً للفضل والرحمة والكرم بقوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) أي بسبب كفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) أي على الأرض وإنما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها (من دابة) أي أن الله تعالى لو آخذ الناس بظلمهم لأهلك جميع الدواب التي على وجه الأرض (فإن قيل) اسم الناس جنس يشمل الكل فيدخل في ذلك الأنبياء فيدل ذلك على عدم عصمتهم (أجيب) بأن ذلك العام مخصوص بقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فالمذكور في هذه الآية إما كل العصاة المستحقين للعقاب وإما الذين تقدم ذكرهم من المشركين وهم الذين أثبتوا لله البنات أو جميع الكفار بدليل قوله تعالى إن شر الدواب عند الله الذين كفروا وقال قتادة قد فعل الله تعالى ذلك في زمن نوح عليه السلام فأهلك جميع الدواب التي على وجه الأرض إلا ما كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروي أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه سمع رجلاً يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله إن الحبارى لتموت في وكرها هزلاً من ظلم الظالم وقال ابن مسعود [illegible] [illegible] [illegible] (ولكن يؤخرهم) أي يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (إلى أجل مسمى) أي إلى منتهى آجالهم وانقضاء أعمارهم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) أي لا يؤخرون ساعة من الأجل الذي جعله الله تعالى لهم ولا يتقدمون عنه ● (تنبيه) هنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرأ قالون والبزي وأبو عمرو بإسقاط إحدى الهمزتين مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وإبدالها ألفاً وعنه والباقون بتحقيق الهمزتين ثم ذكر تعالى النوع الثالث من الأقاويل الفاسدة التي كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم قوله (ويجعلون لله ما يكرهون) لأنفسهم من البنات وأراذل الأموال والشركاء في الرياسة ثم وصف الله تعالى جرأتهم مع ذلك بقوله تعالى (وتصف) أي وتقول (ألسنتهم الكذب) أي مع ذلك مع أنه قول لا ينبغي أن يتخيله عاقل ثم بينه بقوله تعالى (أن لهم الحسنى) أي عنده أي الجنة كقوله تعالى ولئن

في قولكم [illegible] (فإن قلت) [illegible] الأصنام [illegible] (قلت) [illegible] (فإن قلت) [illegible]

ذاته عن نسبة الولد اليه الثانى تجبب الخلق من هذا الامر والجهل الصريح وهو وصف
الملائكة بالانوثة ثم نسبتها بالولدية الى الله تعالى قيل فى التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب
الوجه لاول وانما ذكر الله تعالى ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا لانفسهم
مع لزوم الحاجة والضعف بقوله تعالى (ولهم ما يشتهون) من البنين وقد يكونون أعداء
أعدائهم ثم انه تعالى ذكر ان الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه فكيف
يثبته لله تعالى فقال (واذا بشر أحدهم بالانثى) اى أخبر بولادتها (ظل وجهه) اى صار
أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشويش كما ان بياض الوجه واشراقه كناية عن الفرح والسرور (وهو كظيم) اى مملوء غيظا
على المرأة ولا ذنب لها بوجه والبشارة فى أصل اللغة الخبر الذى يغير البشرة من حزن أو سرور ثم
خص فى عرف اللغة بالسرور ولا يكون الا بالخبر الاول فالمراد بالبشارة هنا الاخبار كما مر وقول
الرازى ان اطلاقه على الخير والشر داخل فى الحقيقة خلاف المشهور (يتوارى) اى يختفى
(من القوم) اى من الرجال الذين هو فيهم (من سوء ما بشر به) خوفا من التعيير وذلك ان
العرب كانوا فى الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة أحدهم توارى عن القوم الى ان يعلم ما ولده
فان ولد له ذكر ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما يتردد ماذا يفعل
بذلك الولد (أيمسكه) أى يتركه بغير قتل (على هون) هوان وذل (أم يدسه فى التراب) وذكر الضمير
فى يمسكه ويدسه نظرا للفظ الولد أو لكون الانثى ولدا كما علم مما مر قال ابن ميلق قال
المفسرون كانت المرأة اذا أدركها المخاض احتفرت حفرة وجلست على شفيرها فان وضعت
ذكرا أظهرته وظهر السرور على أهله وان وضعت أنثى استأذنت مستولدها فان شاء أمسكها
على هون وان شاء أمرها بالقائها فى الحفرة وردت التراب عليها وهى حية لتموت انتهى وعن
قيس بن عاصم أنه قال يارسول الله انى وأدت ثمان بنات فى الجاهلية فقال له صلى الله عليه
وسلم أعتق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبى الله انى ذو ابل قال أهد عن كل واحدة منهن
هديا وروى أن رجلا قال يارسول الله والذى بعثك بالحق ما أجد حلاوة الاسلام منذ أسلمت
فقد كانت لى فى الجاهلية ابنة فأمرت امرأتى أن تزينها فأخرجتها فلما انتهيت الى واد فيه بئر
بعيدة القعر ألقيتها فيها فقالت يا أبت قتلتنى فكلما ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال صلى الله
عليه وسلم ما كان فى الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما فى الاسلام يهدمه الاستغفار وكانوا
فى الجاهلية مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحفر الحفرة ويدفنها فيها الى ان تموت ومنهم من
يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية
خوفا من أن يطمع فيهن غير الاكفاء وتارة خوفا من الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة وكان
الذى منهم يريد أن يحيى ابنته تركها حتى تكبر ثم يلبسها جبة من صوف أو شعر ويجعلها
ترعى الابل والغنم فى البادية قال الله تعالى (ألا ساء) أى بئس (ما يحكمون) حكمهم هذا
وذلك لانهم بالغوا فى الاستنكاف من البنت الى أعظم الغايات فاولها أنه يسود وجهه
وثانيها أنه يختفى من القوم من شدة نفرته عن البنت وثالثها ان الولد محبوب بحسب
الطبيعة ثم انه بسبب نفرته عنها يقدم على قتلها وذلك يدل على أن النفرة عن البنت

اعلام من لا يعلم وأنهم
المعاندون وأعظمهم غضب الله
قالوا ذلك رجاء أن يسلم
الله الاصنام ذنوبهم فيخفف
عنهم العذاب (فالقوا)
أى الشركاء كالاصنام
اليهم القول فسر القول
بقوله انكم لكاذبون أى

والاستنكاف

وما يتعلق به وختمه بما اصابه القلوب فى الايمان والعلم بعد موتها بالكفر والجهل وكان
المقصود الاعظم من القرآن تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضاء
والقدر والفعل بالاختيار وكان اجل هذه المقاصد الالهيات شرع فى ذكر الوحدانية
والقدرة والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم اعلم ان أدلة ذلك
أكثر من أوراق الاشجار وأجلى من ضياء النهار فعطف على قوله والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون قوله جامعا فى الدليل بين العالم العلوى والعالم السفلى (والله) اى الذى له الامر كله
(أنزل من السماء) فى الوقت الذى يريده (ماء) بالمطر والثلج والبرد (فأحيا به) اى بذلك الماء
(الارض) بانواع النبات (بعد موتها) اى يبسها (ان فى ذلك) المذكور (لآية) اى دلالة
واضحة على كمال قدرته تعالى (لقوم يسمعون) اى سماع تدبر وانصاف ونظر لان سماع
القلوب هو النافع لا سماع الآذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع
ومن لم يسمع بقلبه فكأنه اصم لم يسمع فلم ينتفع بالآيات ومن الدلائل المذكورة فى هذه
الآية الاستدلال بعجائب أحوال الحيوانات وهو قوله (وان لكم فى الانعام لعبرة) اى
اعتبارا اذا تفكرتم فيها وعرفتم كمال قدرتنا وقوله تعالى (نسقيكم مما فى بطونه) استئناف
لبيان العبرة وانما ذكر لفظ الضمير لان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع كالرهط والقوم
ولأمن اللبس والدلالة على قوة المعنى لكونها سورة النعم وأنثه فى سورة المؤمنون للمعنى فان
الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى باب ما لا ينصرف فى الاسماء المفردة الواردة على أفعال
كقولهم ثوب أكياش بالتحتية بين معجمتين ضرب من الثياب يغزل مرتين ومن قال انه جمع نعم
جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة بفتح النون
تقول سقيته حتى روى قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا والباقون بضمها من قولك اسقاه
اذا جعل له شرابا كقوله تعالى وأسقيناكم ماء فراتا ولما كان فى موضع العبرة تخلص اللبن
من غيره قدم قوله تعالى (من بين فرث) وهو الثفل الذى ينزل الى الكرش فاذا خرج منه لم
يسم فرثا (ودم لبنا خالصا) أى صافيا خلقه الله وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغى عليه أحدهما بلون أو رائحة أو طعم روى عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما اذا أكلت البهيمة العلف واستقر فى كرشها طحنته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا
وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجرى الدم فى العروق واللبن
فى الضرع ويبقى الفرث فى الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر
وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
(سائغا للشاربين) أى سهل المرور فى الحلق وقيل لم يغص أحد باللبن قط * (تنبيه) * قال أهل
التحقيق اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع المختار فكذلك يدل على امكان الحشر
والنشر وذلك لان هذا العشب الذى يأكله الحيوان انما يتولد من الماء والارض فخالق العالم
دبر تدبيرا آخر بقلب ذلك الدم لبنا ثم دبر تدبيرا آخر فاحدث من ذلك اللبن السمن والجبن
فهذا الاستقرار يدل على انه تعالى قادر على ان يقلب هذه الاجسام من صفة الى صفة ومن
حالة الى حالة فاذا كان كذلك لم يمتنع أيضا أن يكون قادرا على أن يقلب أجزاء أبدان الاموات

اللطف بالاجابة الى الشفاعة
لهم ودفع العذاب عنهم
فلا تنافى (قوله ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء)
ان قلت اذا كان كذلك
فكيف اختلفت الائمة فى
كثير من الاحكام (قلت)

رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ولا جهل أعظم ولا احكم سوأ من أن تقطع بأن من تجعل
له ما تكره أن يجعل له ما تحب فكأنه قيل ما لهم عنده فقيل (لا جرم) اى لا ظن ولا تردد في
(أن لهم النار) اي هي جزاء الظالمين وقيل لا جرم بمعنى حقا (وأنهم مفرطون) اى متركون فيها
أو مقدمون اليها وقرأ نافع بكسر الراء اى متجاوزون الحد والباقون بالفتح (فان قيل) انهم لم
يقروا بالبعث فكيف يقولون ان لنا الحسنى عند الله (أجيب) بانهم قالوا ان كان محمد صادقا
في البعث بعد الموت فان لنا الجنة وقيل انه كان في العرب جمع يقرون بالبعث والقيامة وانهم
كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا
حشر فانه يحشر معه مركوبه ثم بين تعالى أن مثل هذا الصنيع الذي يصدر من مشركي قريش
قد صدر من سائر الامم السابقين في حق الانبياء المتقدمين بقوله تعالى (تالله) اى الملك الاعلى
(لقد أرسلنا) اى بما لنا من القدرة رسلا من الماضين (الى أمم من قبلك) كما أرسلنا
الى هؤلاء (فزين لهم الشيطان) اى المحترق بالغضب المطرود باللعنة (أعمالهم) الخبيثة
من الكفر والتكذيب كما زين لهؤلاء فضلوا كما ضلوا فاهلكناهم وهذا يجري مجرى التسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم والمزين في الحقيقة هو الله
تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له
قدرة على أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله تعالى شقاوته سلطه
الله عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم اليوم) اى في الدنيا وانما عبر باليوم عن زمانها أي
فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية أي لا ولي لهم
غيره وهو عاجز عن نصرة نفسه فكيف ينصرهم وقيل الضمير لقريش أي زين الشيطان
للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولي هؤلاء القوم يغرهم ويغويهم وقيل يجوز أن يقدر
مضاف أي فهو ولي أمثالهم والولي القرين والناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ
الوجوه (ولهم عذاب اليم) اى مؤلم في الآخرة * ثم ذكر تعالى انه مع هذا الوعيد
الشديد قد اقام الحجة وازاح العلة بقوله تعالى (وما انزلنا) اى بما لنا من العظمة من جهة العلو
(عليك) يا أشرف المرسلين (الكتاب) اى القرآن (الا لتبين لهم) اى للناس (الذي اختلفوا
فيه) من امر الدين مثل التوحيد والشرك واثبات المعاد ونفيه فانه كان فيهم من ينكر
البعث ومنهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب ومثل تحريم الحلال كالبحيرة والسائبة وتحليلهم
أشياء محرمة كالميتة (فان قيل) اللام في لتبين لهم تدل على ان افعال الله تعالى معللة بالاغراض
كقوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
(اجيب) بانه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه الى التأويل وقوله تعالى (وهدى
ورحمة) اى واكراما عظيمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما
لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخلت اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما
ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل ولما كان ذلك رعاية لهم وهم على ضلالهم
نفاه بقوله تعالى (لقوم يؤمنون) ونظيره قوله تعالى في أول البقرة هدى للمتقين وانما خص
المؤمنين بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به كما في قوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها
لانه انما انتفع بانذاره هذا القوم فقط * ولما اقتضى الدليل على أن قلوبهم منكرة استكبارا

فاه ونفاه
للاصنام نطقا هنا ونفاه
عنها في قوله في الكهف
فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
(قلت) اثبت لهم هنا
النطق بتكذيب المشركين
في دعوى عبادتهم لها
في الكهف
والنفي عنهم

• جعلت اعراض الكرام سكرا • اى تنقلت باعراضهم بان جعلتها نقلا وتفاولتها والنقل ما يتنقل به على الشراب قال البغوى وأولى الاقاويل ان قوله تعالى تتخذون منه سكرا منسوخ انتهى ويدل له قول الحسن ذكر الله نعمته عليهم فى الخمر قبل أن يحرمها عليهم وروى عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما احل من ثمرها وروى عنه ايضا السكر الحرام منه والرزق [illegible] ثم قال تعالى (ان فى ذلك) المذكور (لآية) اى دلالة على قدرته تعالى (لقوم يعقلون) اى يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله تعالى فيحتجون بها على وجود الاله القادر الحكيم • ولما بين تعالى أن اخراج الالبان واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الها قادرا مختارا حكيما ذكر أن اخراج العسل الذى جعله الله تعالى شفاء للناس من دابة ضعيفة وهى النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا المقصود بقوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل) ومن الالهام قال الضحاك الهمها ولم يرسل اليها رسولا والمراد من الالهام انه تعالى قرر فى نفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقلاء من البشر وبيانه من وجوه الاول ما ذكر الله تعالى بقوله (أن اتخذى) اى بان اتخذى ويجوز أن تكون مفسرة لان فى الايحاء معنى القول (من الجبال بيوتا) تأوين اليها واوكارا وهى ما تبنيه لتتعسل فيه [illegible] فمن البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طبعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم مثل تلك البيوت الا بآلات وانظار دقيقة الثانى انه ثبت فى الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة باشكال سوى المسدسات كأن كانت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال فانه يبقى بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب الثالث ان النحل يحصل فيما بينها واحد كالرئيس للبقية وذلك الواحد يكون اعظم جثة من الباقى ويكون نافذ الحكم على تلك البقية وهم يخدمونه ويحملونه عند طيرانه وذلك ايضا من الاعاجيب الرابع انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا ردها الى وكرها ضربوا الطبول وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى أوكارها وهذه ايضا حالة عجيبة فلما امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والكياسة كان ليس الا على سبيل الالهام وهو حالة شبيهة بالوحى والوحى قد ورد فى حق الانبياء كقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وفى حق الاولياء قال تعالى واذ أوحيت الى الحواريين وبمعنى الالهام فى حق البشر قال تعالى واوحينا الى أم موسى وفى حق سائر الحيوانات خاصة قال الزجاج يجوز أن يقال سمى هذا الحيوان نحلا لان الله نحل الناس العسل الذى يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهى مؤنثة فى لغة الحجاز ولذلك انثها الله تعالى وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده الا الهاء (و) اتخذى (من الشجر) أى الصالحة بيوتا (و) اتخذى (مما يعرشون) أى الناس فيعود تلك الاماكن وذلك أن النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر والكهوف ومنه أهلى وهو

الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله وما ينطق عن الهوى أو على الاتباع بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين الآية أو على القياس بقوله فاعتبروا يا أولى الابصار

الى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث
والقيامة أمر ممكن غير ممتنع وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها
يكون موافقا لتغذية الطفل مشتملة على حكمة عجيبة يشهد صريح العقل بانها لا تحصل
الا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر وبيانه من وجوه الاول انه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا
يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شرابا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا
لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب الى أن يكمل انهضامه في المعدة ويجذب ما صفا
منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا من
العجائب التي لا يمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى خروج ذلك
الجسم من المعدة انفتح فحصول الانطباق تارة والانفتاح تارة أخرى بحسب الحاجة وبقدر
المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم الثاني عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى
في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة ومسام ضيقة وجعلها بحيث اذا اتصل المص والحلب بتلك الحلمة
انفصل اللبن عنها ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا كان لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء
واللطافة وأما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في
الداخل فالحكمة في احداث تلك الثقب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حلمة الثدي
انها تكون كالمصفاة فكل ما كان لطيفا خرج وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل
ولم يخرج فبهذا الطريق يصير اللبن خالصا موافقا لبدن الطفل سائغا للشاربين الثالث أنه
تعالى ألهم ذلك الطفل الى المص فان الام كلما ألقمت حلمة الثدي في فم الطفل فذلك الطفل في
الحال يأخذ في المص ولولا أن الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل
المخصوص والا لم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي وقوله تعالى (ومن ثمرات النخيل
والاعناب) متعلق بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أي من
عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم عليه وقوله تعالى (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف
عن كنه الاسقاء قال الواحدي الاعناب عطف على الثمرات لا على النخيل لانه يصير التقدير
ومن ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليس له ثمرة أخرى (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب
والدبس والخل * (تنبيه) * في تفسير السكر وجوه الاول هو الخمر سميت بالمصدر من
سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى
في معرض الانعام (أجيب) عن ذلك بوجهين احدهما ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر
نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية كان في الوقت الذي كانت الخمر فيه غير محرمة
وممن قال بنسخها النخعي والشعبي الثاني أن الآية جامعة بين العتاب والمنة فالعتاب بالنسبة
الى السكر والمنة بالنسبة الى رزقا حسنا الوجه الثاني أن السكر هو النبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد فهو حلال عند أبي حنيفة
رحمه الله تعالى الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام
لعينها وهذا يقتضي أن يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من أثبت هذه المغايرة قال انه
النبيذ المطبوخ الوجه الثالث أن السكر هو الطعام قاله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر

جعلت

ـكر الاحكام ايس
ـه وما عليه فيه بل
ـم المنصوص عليه
ـهما مستنبط منه
ـرق الاستنباط مختلفة
ـصها بالاحالة اما على
ـنة بقوله تعالى وما آتاكم

الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) من الأوجاع كما قال ابن عباس وابن مسعود
اما بعضها كما دل عليه تنكير شفاء واما الكل بانضمامه الى غيره اذ قل معجون من المعاجين
لم يذكر الاطباء فيه العسل أو يدونه بنفسه وبهذا سقط ما قيل انه يضر بأصحاب الصفراء ويهيج
الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن
شفاء لما في الصدور وفي رواية عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وروى نافع أن ابن عمر
ما كانت قرحة ولا شيء الا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه
فيه شفاء للناس وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ان أخي يشتكي بطنه فقال صلى الله عليه وسلم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال
قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله
فبرأ فكأنما نشط من عقال فقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه
صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي الالهي أن العسل الذي أمره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك
فلما لم يظهر نفعه في الحال قال صدق الله يعني فيما وعد من أن فيه شفاء للناس وكذب بطن
أخيك يعني باستعجالكم الشفاء في أول مرة وقال مجاهد الضمير في فيه شفاء للناس راجع
للقرآن لأن فيه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس وعلى
هذا تتم قصة تولد العسل من النحل عند قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم
ابتدأ وقال فيه شفاء للناس أي في هذا القرآن قال الرازي وهذا القول ضعيف ويدل عليه
وجهان الأول أن الضمير في قوله تعالى فيه شفاء للناس يجب عوده الى أقرب المذكورات
وما ذاك الا قوله تعالى شراب مختلف ألوانه وأما الحكم بعود هذا الضمير الى القرآن مع أنه غير
مذكور فيما سبق فهو غير مناسب والثاني ما روي عن أبي سعيد الخدري المتقدم ثم انه تعالى
ختم الآية بقوله تعالى (ان في ذلك) أي المذكور (لآية لقوم يتفكرون) أي في اختصاص
النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة مثل بناء البيوت المسدسة وسعيها في ذلك فيعتبرون
ويستدلون بذلك على وحدانية مقدرها وقدرة خالقها وفي هذه السورة [illegible] قال آيات [illegible]
[illegible] تتابع وختمها تارة بالعقل وتارة بالتذكر وتارة بالتفكر [illegible]
ثم انه تعالى لما [illegible] ونبههم على [illegible] فقال [illegible] ذاق [illegible]
الادلة على ذلك فقال (والله) أي الذي يحيط بكل شيء قدرة وعلما (خلقكم) أي أوجدكم من العدم
وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) أي عند انقضاء آجالكم على اختلاف
الانسان فلا الصغير يمنعه عن الموت ولا الكبير على أن يتقدم فمنكم من يموت على حال قوته
(ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي أخسه من الهرم والخرف قال بعض العلماء عمر الانسان
له أربع مراتب سن الطفولية والنمو وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية
سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى
أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل والمرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين
الى الستين وهذه المرتبة يشرع فيها الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم
المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى آخر العمر [illegible] وستون سنة [illegible]

مضمحلا الماء له اذ هو باطلها
انما غذاكم الله وهو خير لكم
ما عندكم ينفد وما عند الله
باق فقيل ما هذا الماء أي الذي
[illegible] في اوله
ثم [illegible] الذي [illegible] ابدا
من بعد ما قضى [illegible] الآية

الذي يأوي الى البيوت وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الاماكن حتى يأوي اليها وذكر ذلك بحرف التبعيض لانها لاتبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من الكرم أو سقف ولا في كل مكان منها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بكسرها ﴿تنبيه﴾ ظاهر قوله تعالى اتخذي أمر وقد اختلفوا فيه فمن الناس من يقول لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول ولا يبعد أن يتوجه عليها من الله أمر ونهي وقال آخرون بل المراد منه أنه تعالى خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وسياق الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة النمل عند قوله تعالى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ﴿ولما كان أهم شئ للحيوانات بعد الراحة من هم المقيل أكل شئ به فقال﴾ (ثم كلي من كل الثمرات) أي من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها وذكر ذلك بحرف التراخي اشارة الى عجيب الصنع في ذلك وتيسيره لها ﴿تنبيه﴾ لفظ من هذه للتبعيض أو لابتداء الغاية ﴿ولما كان ذلك كله وكان من المعلوم عادة أن تعاطيه لا يكون الا بمشقة عظيمة في البعد الى سبيله على خرق العادة في تيسيره لها بقوله تعالى﴾ (فاسلكي سبل ربك) أي الطرق التي ألهمك الله تعالى أن تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمار وقوله تعالى (ذللا) جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توعرت ولا تضلي عن العود فيها وان بعدت وقيل من الضمير في اسلكي أي منقادة لاربابها حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان آخر حيث شاؤا أو أرادوا لا تستعصي عليهم وقوله تعالى (يخرج من بطونها) فيه عدول عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم (شراب) أي عسل (مختلف ألوانه) ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما أكل من الثمار والازهار ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وقال الرازي انه رأى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق الشجر فيجمعه النحل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا انا نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب بان كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها أي من أفواهها انتهى والاول كما قال ابن الخازن وغيره أظهر لانا نشاهد ان العسل يوجد فيه طعم تلك الازهار التي يأكلها النحل وكذا يوجد لونها وريحها وطعمها فيه أيضا ويعضد هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت ما هذه الريح التي أجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط والعرفط شجر الطلح له صمغ يقال له المغافير كريه الرائحة فمعنى جرست نحله العرفط أكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا أنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا خلاف الظاهر لان لفظ البطن اذا أطلق لم يرد به الا العضو المعروف بطن الانسان وغيره (فيه) أي الشراب

والاعتبار النظري الاستدلال الذات يحصل بهما القياس (قوله ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قاله هنا بلفظ ما وفي الزمر بلفظ الذي موافقة في كل

فالعجز عن قدرها العجز نقصه * ولا يزيلك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه * ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

*(تنبيه) هذا التفاوت ليس مختصا بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له قال الرازي وقد كنت مصاحبا لبعض الملوك في بعض الأسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه فكانت الجنائب الكثيرة تقاد بين يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما حضرت الأطعمة الشهية والفواكه الكثيرة العطرة عنده وما كان يمكنه أن يتناول شيئا منها وكان من الفقراء من هو صحيح المزاج وقوي البنية كامل القوة وما كان يجد ملء بطنه طعاما فذلك الملك وإن كان يفضل هذا الفقير في المال إلا أن هذا الفقير كان يفضل ذلك الملك في الصحة والقوة وهذا باب واسع إذا اعتبره الإنسان عظم تعجبه فيه فنسأل الله تعالى أن يغنينا من فضله وأن يرضينا بما قسم لنا إنه كريم جواد * ثم ضرب الله تعالى مثلا للذين جعلوا لله شركاء بقوله تعالى (فما الذين فضلوا) أي في الرزق وهم الموالي (برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم) أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها بينهم وبين مماليكهم (فهم) أي المماليك والموالي (فيه سواء) أي شركاء يقول الله تعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقناهم سواء فكيف يجعلون بعض عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني وقيل معنى الآية أن الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا فهم في رزقه سواء فلا يحسبن الموالي أنهم يردون أرزاقهم على مماليكهم من عند أنفسهم بل ذلك رزق الله أجراه على أيدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان أن الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وأن الموالي والمماليك في ذلك الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك وإنما ذلك رزق أجراه الله على أيديهم فالرازق للمالك والمملوك هو الله تعالى ولما قرر سبحانه وتعالى هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل تأمل ذلك أنها إنما هي منة على الخلق فقال (أفبنعمة الله) في تقرير هذه البيانات وإيضاح هذه البينات (يجحدون) أي يكفرون وفي ذلك إنكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره وجعلوا له شركاء يضيفون إليهم بعض ما أنعم به عليهم فيسوون بينهم وبينه في ذلك وقرأ شعبة بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم إنه تعالى ذكر نوعا آخر من أحوال الناس ليستدل به على وجود الإله المختار الحكيم وتنبيها على إنعام الله تعالى على عبيده بمثل هذه النعم بقوله تعالى (والله) أي الذي له تمام القدرة وكمال العلم (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم لتستأنسوا بها ولتكون أولادكم منكم فخلق حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال والنساء وهو خطاب عام فتخصيصه بآدم وحواء فقط خلاف الدليل والمعنى أنه تعالى خلق النساء لتتزوج بهن الذكور ومعنى من أنفسكم كقوله تعالى فاقتلوا أنفسكم فسلموا على أنفسكم أي بعضكم بعضا ونظيره قوله تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) والحفدة جمع حافد وهو المسرع بالخدمة المسارع

(فوا يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) إن قلت ما معنى اضافة النفس الى النفس مع ان النفس لا نفس لها (قلت) النفس تقال للروح وللجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم

النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمسة وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من العجز والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفي رواية عنه كان يقول اللهم اني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات (لكي لا يعلم بعد علم شيأ) أي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في نقصان القوة والعقل وسوء الفهم * (تنبيه) * هل ذلك عام في المسلم والكافر أو مختص بالكافر فيه قولان أحدهما انه عام والقول الثاني انه مختص اذ المسلم لا يزداد بطول العمر الا كرامة على الله تعالى ولا يقال في حقه انه رد الى أرذل العمر قال الرازي والدليل عليه قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فبين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما ردوا الى أسفل السافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر الى هذه الحالة وقال في قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤا القرآن وقال ابن عباس قوله ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا يؤيد ما مر (ان الله عليم) بمقادير أعمارهم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفي ذلك تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى الطباع كما يقول الطبائعيون لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ * ولما ذكر تعالى المفاوتة في الاعمار المنادية بابطال الطبائع الموجبة للمسابقة الى الاعتبار لأولي الابصار الخوف كل لحظة من مصيبة الموت أتبعها بالمفاوتة في الارزاق فقال (والله) أي الذي له الامر كله (فضل بعضكم) أيها الناس (على بعض في الرزق) فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم فيجعل الضعيف العاجز الجاهل أغنى من القوي المحتال العالم فترى أكيس الناس وأكثرهم عقلا يفني عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك وترى أجلف الخلق وأقلهم عقلا ونهما تفتح له أبواب الدنيا فكل شيء خطر بباله أو دار في خياله فانه يحصل له بسهولة ولو كان السبب في ذلك هو جهل الانسان وعقله لوجب أن يكون الاعقل أفضل في هذه الاحوال فلما رأينا ان الاعقل أقل نصيبا وان الاجهل الاخس أوفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام كما قال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فاتقوا الله وأجملوا في طلب الرزق وأقبلوا بجمع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار وأنشد سفيان بن عيينة يقول

كم من قوي قوي في تقلبه * مهذب الرأي عنه الرزق منحرف

ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط * كأنه من خليج البحر يغترف

(وحكي) أن سليمان المهلبي أرسل الى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم فردها الخليل وكتب اليه هذه الابيات

أبلغ سليمان اني عنه في سعة * وفي غنى غير اني لست ذا مال

شحا بنفسي أني لا أرى أحدا * يموت جوعا ولا يبقى على حال

كرر فيها وفي قوله بعد ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الآية ان ربك لطول الكلام بين الاخبار قيل ومثله أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون

ما لكا أي شيئا من المال والثاني أنه بدل من رزقا أي لا يملكون لهم شيئا قال ابن عادل وهذا غير
مفيد اذ من المعلوم أن الرزق شيء من الاشياء ويؤيد ذلك أن البدل لا يأتي الا لاحد معنيين
البيان أو التأكيد وهذا ليس فيه بيان لانه أعم ولا تأكيد والثالث انه منصوب برزقا على انه
اسم مصدر واسم المصدر يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك اه ولما كان من لا يملك شيئا قد
يكون موصوفا باستطاعة أن يتملكه بطريق من الطرق نفى الله تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (ولا
يستطيعون) أي وليس لهم نوع استطاعة أصلا (فان قيل) انه تعالى قال ويعبدون من
دون الله ما لا يملك فعبر عن الاصنام بصيغة ما وهي لغير العاقل ثم جمع بالواو والنون فقال ولا
يستطيعون وهو مختص بمن يعقل (أجيب) بانه عبر عنها بما اعتبارا باعتقادهم انها آلهة وفي
تفسير قوله تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) وجهان الاول قال أكثر المفسرين لا تشبهوا
الله بخلقه فانه واحد لا مثل له ولا شبيه ولا نظير بل من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه
فكيف يشبه الخالق بالمخلوق والرازق بالمرزوق والقادر بالعاجز الثاني ان عبدة الاوثان
كانوا يقولون ان اله العالم أجل وأعظم من ان يعبده الواحد منا بل نحن نعبد الاكابر
أو نعبد هؤلاء الاصنام ثم ان الاكابر والاصنام يعبدون الاله الاكبر الاعظم كما ان أصاغر
الناس يخدمون أكابر حضرة الملك وأولئك الاكابر كانوا يخدمون الملك فكذا ههنا (ان الله)
أي الذي له الامر كله ولا أمر لغيره (يعلم) أي خطأ ما أنتم عليه من ضرب الامثال (وأنتم
لا تعلمون) ذلك وقيل معناه وأنتم لا تعلمون ما عليكم من العذاب العظيم بسبب عبادة هذه
الاصنام ولو علمتموه لتركتم عبادتها ولما ختم تعالى ابطال مذهب عبدة الاصنام بسلب
العلم الذي هو مناط السداد عنهم أكد ذلك بضرب مثل بقوله تعالى (ضرب الله) أي الذي له
كمال العلم وتمام القدرة (مثلا) بالاحرار والعبيد ثم أبدل من مثلا (عبدا) ثم وصفه بقوله تعالى
(مملوكا) أخرج به الحر لان العبد يطلق على الحر بالنسبة الى الله تعالى ولما ... بقوله تعالى (لا يقدر
على شيء) أخرج المكاتب ومن فيه شائبة حرية وهذا مثل لما أشركوه ثم عطف على عبدا قوله
(ومن) أي حرا ... نكرة موصوفة ليطابق عبدا (رزقناه منا رزقا حسنا) أي ... واسعا
(فهو ينفق منه) ... بقوله تعالى (سرا وجهرا) أي يتصرف فيه كيف يشاء ... وهذا
مثل للاله ... انكارا عليهم بقوله تعالى (هل يستوون) أي ... المثل
المثل بهم ... لا يسوغ لعاقل أن يسوى بينهما ...
مقتدر والآخر ... ويستدل بذلك على ان الله تعالى له
القدرة التامة في كل شيء ... (تنبيه) ... جواب
هل يستوون هؤلاء أم لا يستوون وقوله تعالى (الحمد لله) قال ابن عباس الحمد لله على ما فعل بأوليائه
وأنعم عليهم بالتوحيد وقيل المعنى ان كل الحمد له وليس شيء من الحمد للاصنام لانه لا نعمة لها
على أحد لانها جماد عاجز أي انما الحمد لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه تعالى أهل
المحامد والثناء الحسن وكأنهم قالوا نحن نعلم ذلك فقيل (بل أكثرهم) أي الكفار (لا يعلمون)
لكونهم يسوون غيره به ومن نفى عنه أصل العلم الذي هو أعلى صفات الكمال كان في عداد الانعام
فهم لذلك يشبهون به ما ذكر ويضربون له الامثال الباطلة ويضيفون نعمه الى غيره ثم انه

(قوله لا ...) ... كانوا يقولون ... (قوله ولا ...) ... النون ... بالعاقل ...

(قوله ...) ... بالاحرار والعبيد ... وفي نسخة ... ولعل ... به فاصل ... الناسخ اه مصحح

الى الطاعة ومنه قول القانت والدك نسعى ونحفد أى نسرع الى طاعتك هذا أصله فى اللغة واختلف فيه أقوال المفسرين فقال ابن مسعود والنخعى الحفدة أختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود انهم أصهاره فهو بمعنى الاول وعلى هذا يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من أعانك فهو حفيدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقال الكلبى ومقاتل البنون هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل الذين اسعوا امنه أى أولاد المرأة من الزوج الاول قال الرازى والاولى دخول الكل فيه لان اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك قال الزمخشرى ويجوز أن يراد بالحفدة البنون أنفسهم كأنه قيل جعل لكم منهن أولادا هم بنون وهم حافدون أى جامعون بين الامرين انتهى ومع هذا فالمشهور ان الحافد ولد الولد من الذكور والاناث ﴿فائدة﴾ قال الاطباء وأهل الطبيعة المنى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما فى الذكورة واذا انصب من الخصية اليسرى ثم انصب الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد أنثى تاما فى الانوثة واذا انصب الى الخصية اليمنى وانصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان ذكرا فى طبيعة الاناث واذا انصب الى الخصية اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد أنثى فى طبيعة الذكور وحاصل كلامهم ان الذكور غالب عليهم الحرارة واليبوسة والغالب على الاناث البرودة والرطوبة وهذه العلة ضعيفة فان فى النساء من مزاجها فى غاية السخونة وفى الرجال من مزاجه فى غاية البرودة فخالق الذكر والانثى هو الاله القادر الحكيم ﴿ولما ذكر تعالى انعامه على عبيده بالمنكوح وما فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعومات الطيبة فقال ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ سواء كانت من النبات وهى الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من الحيوان والمراد بالطيب المستلذ أو الحلال ومن فى من الطيبات للتبعيض لان كل الطيبات فى الجنة وما طيبات الدنيا الا أنموذج منها واختلف فى تفسير قوله تعالى ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ فقال ابن عباس يعنى بالاصنام وقال مقاتل يعنى بالشيطان وقال عطاء يصدقون ان لى شريكا وصاحبة وولدا ﴿وبنعمت الله هم يكفرون﴾ أى بان يضيفوها الى غير الله تعالى ويتركون اضافتها الى الله تعالى وقيل الباطل ما سول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم من هذه الطيبات وتحريم الخبائث ﴿فائدة﴾ رسمت نعمت هنا بالتاء ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء والكسائى يقرأ بالامالة ﴿ولما شرح الله تعالى الدلائل على صحة التوحيد واتبعها بذكر أقسام النعم العظيمة اتبعها بالرد على عبدة الاصنام فقال ﴿ويعبدون من دون الله﴾ أى غيره ﴿ما لا يملك لهم رزقا﴾ اى تاركين عبادة من بيده جميع الارزاق وهو ذو الملك المطلق الذى رزقهم من الطيبات ويعبدون غيره ثم بين تعالى جهة الرزق بقوله تعالى ﴿من السموات والارض﴾ اما الرزق الذى يأتى من جانب السماء فالمطر وأما الذى من جانب الارض فالنبات والثمار التى تخرج منها وقوله تعالى ﴿شيأ﴾ فيه ثلاثة أوجه أحدها انه منصوب على المصدر اى لا يملك لهم

التقديم وجملة الانسان وعين الشئ وذاته كما يقال نفس الذهب والفضة مجموعة اى ذاتها فالمراد بالنفس الاولى الانسان وبالثانية ذاته فكأنه قال يوم يأتى كل انسان يجادل

آنات متعاقبة والله تعالى قادر على إقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات فلذلك قال أو هو أقرب الا أنه لما كان أسرع الأحوال والحوادث في عقولنا وأفكارنا هو لمح البصر لا جرم ذكره ثم قال أو هو أقرب تنبيها على ما مر ولا شبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك فالمراد اذ بل هو أقرب وقال الزجاج المراد به الإبهام على المخاطبين لأنه تعالى يأتي بالساعة اما بقدر لمح البصر أو بما هو أسرع وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر أو هو أقرب مبالغة كقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ان الله) أي الملك الأعظم (على كل شيء قدير) فيقدر على أن يحيي الخلائق دفعة واحدة كما قدر على احيائهم فانه تعالى مهما أراده كان في أسرع ما يكون ثم انه تعالى عاد الى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فعطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا قوله عز وجل (والله) أي الذي له العظمة كلها (أخرجكم) بقدرته وعلمه (من بطون أمهاتكم) حال كونكم عند الاخراج (لا تعلمون شيئا) من الأشياء قل أو جل فالذي أخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطون الأرض بلا فرق بل بطريق الأولى وقرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة والباقون بضمها وقرأ حمزة بكسر الميم والباقون بفتحها ثم عطف على أخرجكم قوله تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) آلات لازالة الجهل الذي وقعت الولادة عليه وفتق مواضعها وسواها وعدلها وأنتم في البطون حيث لا تصل اليه يد ولا تمكن من شق شيء منها آلة فالذي قدر على ذلك في البطن ابداعا قادر على اعادته في بطن الأرض بل بطريق الأولى قال البقاعي ولعله تعالى جمعهما أي الأبصار والأفئدة دون السمع لأن التفاوت فيهما أكثر من التفاوت فيه بالايعاء الآتية والأفئدة هي القلوب التي هيأها الله تعالى للفهم واصلاح البدن بما أودعها من الحرارة اللطيفة للمعاني الدقيقة (لعلكم تشكرون) لتصيروا بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواعظ وأبصرتم الآيات في حال يرجى فيها شكركم لما أفاض عليكم من لطائف صنعه بأن تعرفوا ما له من العلم والقدرة فتعبدوه وحده لأنعامه عليكم بهذه الحواس التي تستعملونها في شكر من أنعم بها عليكم (فان قيل) عطف وجعل لكم السمع على أخرجكم يقتضي أن يكون جعل السمع والبصر متأخرين عن الاخراج من البطون مع أن الأمر ليس كذلك (أجيب) بأن حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضا اذا حملنا السمع على الاسماع والابصار على الرؤية زال السؤال ثم انه تعالى ذكر دليلا آخر على كمال قدرته وحكمته بقوله تعالى (ألم يروا الى الطير مسخرات) أي مذللات للطيران (في جو السماء) أي في الهواء بين الخافقين بما لا يقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها في السمع والبصر وزيادتكم عليها بالعقول فعلم قطعا أنه تعالى خلق الطير خلقة معها يمكنه الطيران فيها والا لما أمكن ذلك لأنه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره مرة أخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الجو خلقة لطيفة رقيقة يسهل خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا مع ذلك (ما يمسكهن) في الجو عن الوقوع (الا الله) أي الملك الأعظم فان جسد الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يمتنع بقاؤه

لما بين الآية فبالغ في الحذف لكونه ذا مبالغة في القساوة واتباعها في الحمل بما هو على القياس ولان الحذف ثم دون الحذف هنا

(سورة الاسراء)

تعالى ضرب لعبدة الاوثان مثلا آخر بقوله تعالى (وضرب الله مثلا) ثم أبدل منه (رجلين)
ثم استأنف البيان لما أجمل فقال (أحدهما أبكم) وهو الذى ولد أخرس فكل أبكم أخرس
وليس كل أخرس أبكم وروى ثعلب عن ابن الاعرابى الابكم الذى لا يسمع ولا يبصر ووصف الله
تعالى هذا الرجل بصفة ثانية بقوله تعالى (لا يقدر على شئ) لانه لا يفهم ولا يفهم وفى ذلك
اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ثم وصفه الله تعالى بصفة ثالثة بقوله تعالى (وهو)
أى ذلك الابكم العاجز (كل على مولاه) أى ثقيل على من ولى أمره ويعوله قال أهل المعانى
أصله من الغلظ الذى هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته فلم تقطع وكل اللسان
اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينهض فيه ثم وصفه تعالى
بصفة رابعة بقوله (أينما يوجهه) أى يرسله ويصرفه ذلك المولى (لا يأت بخير) لانه عاجز
لا يحسن ولا يفهم قيل هذا مثل شركائهم الذين هم عيال ووبال على عبدتهم ووبخهم الله
تعالى بقوله (هل يستوى هو) أى هذا الموصوف بهذه الصفات الاربع (ومن) أى ورجل
آخر على ضد صفته فهو ناطق قادر عالم فطن قوى خبير مبارك ميمون (يأمر) أى ورجل آخر
يأمر غيره لما له من العلم والقدرة (بالعدل) أى يبذل النصيحة لغيره (وهو) فى نفسه ظاهرا وباطنا
(على صراط) أى طريق واضح (مستقيم) أى عامل فيه بما يأمر به قيل هذا مثال المعبود
بالحق الذى يكفى عابديه جميع المؤن وهو دال على كمال علمه وتمام قدرته وقيل المراد من هذا
الابكم عبد لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان فيه
خير ومولاه وهو عثمان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم وقيل المراد
كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة وكل حر موصوف بتلك الصفات الحميدة وهذا
القول كما قال الرازى أولى من الاول لان وصفه تعالى اياهما بكونهما رجلين يمنع من حمل
ذلك على الوثن وكذلك بالبكم وبالكل وبالتوجه فى جهات المنافع وكذلك وصف الآخر بانه
على صراط مستقيم يمنع من حمله على الله تعالى وأيضا المقصود تشبيه صورة بصورة فى أمر
من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدى الصورتين مغايرة للاخرى وأما القول
الثانى فضعيف أيضا لان المقصود ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك
غير مختص بشخص معين بل اذا حصل التفاوت فى الصفات المذكورة فانه يحصل المقصود
ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه بكمال العلم بقوله تعالى (ولله) أى لا لغيره (غيب السموات
والارض) وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل الغيب
ههنا هو قيام الساعة فان علمه غائب عن أهل السموات والارض ثم وصف سبحانه وتعالى كمال
قدرته بقوله تعالى (وما أمر الساعة) وهو الوقت الذى يكون فيه البعث (الا كلمح البصر) أى
الا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها والمعنى وما أمر قيام الساعة فى السرعة
والسهولة الا كطرف العين والمراد منه تقدير كمال القدرة ومعنى قوله تعالى (أو هو أقرب)
ان لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها ولا شك
أن الحدقة مؤلفة من أجزاء فلمح البصر عبارة عن المرور على جملة تلك الاجزاء التى منها تألف
الحدقة ولا شك أن تلك الاجزاء كثيرة والزمان الذى يحصل فيه لمح البصر مركب من

قيل ولم يك من المشركين
ولسبب نزول هذه الآية
لانها نزلت تسلية للنبى صلى
الله عليه وسلم حين قتل عمه
حمزة ومثل به فقال صلى
الله عليه وسلم لامثلن بهم
ولا صبرن فانزل الله
تعالى ولئن صبرتم لهو خير

[illegible] أصوافها وأوبارها وأشعارها وسائر أنواع الثياب أشرف الا أنه تعالى ذكر ذلك النوع لانه
كان النعم عليهم أشد واعتيادهم للبسها أكثر ولما كانت السرابيل نوعا واحدا لم يكرر
[illegible] فقال (وسرابيل) اى دروعا من حديد وغيرها (تقيكم بأسكم) اى حربكم أى
الطعن والضرب فيها ولما عدد الله تعالى أنواع نعمه قال (كذلك) اى كاتمام هذه
النعمة المتقدمة (يتم نعمته عليكم) فى الدنيا والدين بالهدايات والارشاد الى طريق النجاة والمنافع
التنبيه على دقائق ذلك (لعلكم) يا أهل مكة (تسلمون) اى تخلصون لله الربوبية وتعلمون
انه لا يقدر على هذه الانعامات أحد سواه وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان
تولوا) فلم يقبلوا منك وآثروا لذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة فى الكفر (فانما عليك
[illegible] (البلاغ المبين) هذا من باب اقامة السبب مقام المسبب [illegible] أى
[illegible] لانك قد أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر [illegible] وهو البلاغ
[illegible] على السبب وذلك لان [illegible] مقام [illegible] وهذا قبل الامر
بالقتال ثم انه تعالى ذمهم بانهم (يعرفون نعمة الله) اى الآلاء العظام التى عدد بعضها فى
هذه السورة وغيرها (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقال السدى نعمة الله يعنى محمدا
صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هى الاسلام وهو من أعظم النعم التى أنعم الله
بها على عباده ثم انهم كفروا به وأنكروه وجحدوه واختلفوا فى معنى قوله تعالى (وأكثرهم
الكافرون) مع أنهم كلهم كانوا كافرين على وجوه الاول انما قال تعالى وأكثرهم لانه
كان فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف أو كان ناقص العقل فأراد بالاكثر
البالغين الاصحاء الثانى ان يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وذلك لان فيهم من لم يكن معاندا
بل كان جاهلا بصدق الرسول [illegible] كونه نبيا صادقا من عند الله الثالث انه
ذكر الاكثر والمراد الجميع لان أكثر الشئ يقوم مقام الكل [illegible] ذكر الاكثر كذكر الجميع
[illegible]
[illegible]
[illegible] (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) [illegible]
[illegible] اذا جئنا من كل أمة بشهيد [illegible] على
[illegible] يوم القيامة [illegible] على [illegible]
ان كان تعالى [illegible] وقوله تعالى (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فيه وجوه أحدها
لا يؤذن لهم فى الاعتذار كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون الثانى لا يؤذن لهم فى كثرة
الكلام الثالث لا يؤذن لهم فى الرجوع الى دار الدنيا الى التكليف الرابع لا يؤذن لهم
حال شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع كلهم ليشهد الشهود (فان قيل) ما معنى ثم هنا
(أجيب) بان معناها انهم يمنعون أى يبتلون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أطم منها
انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا ادلاء بحجة (ولا هم يستعتبون) اى
لا يزال عتابهم وهى ما يعتبون عليه ويلامون يقال استعتبت فلانا بمعنى أعتبته اى أزلت

القامات وقال [illegible] انكروا
الدليل على [illegible]
ثم ان [illegible]
بيت المقدس [illegible]
[illegible]
على [illegible]
فى امر [illegible] صلى الله عليه

في الجو ما لها من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجو هو الله تعالى وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على أنه خطاب العامة والباقون بالياء على الغيبة (ان في ذلك) المذكور (لآيات) أى دلالات (لقوم يؤمنون) وخصهم بذلك لانهم هم المنتفعون بها وان كانت هذه الآيات آيات لكل العقلاء ثم ذكر تعالى نوعا آخر من دلائل التوحيد بقوله تعالى (والله) اى الذي له الحكمة البالغة (جعل لكم من بيوتكم) وأصل البيت المأوى ليلا ثم اتسع فيه (سكنا) اى موضعا تسكنون فيه * (تنبيه) * البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وهذا القسم من البيوت لا يمكن نقلها بل الانسان ينتقل اليها والقسم الثاني القباب والخيام والفساطيط واليها الاشارة بقوله تعالى (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) المتخذة من الادم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) اى تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) اى وقت ترحالكم وعبر باليوم لان الترحال في النهار (ويوم اقامتكم) اى وقت الحضر أو وقت النزول وهذا القسم من البيوت يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح العين والباقون بالسكون وأضاف قوله تعالى (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الى ضمير الانعام لانها من جملتها قال المفسرون وأهل اللغة الاصواف للضأن والاوبار للابل والاشعار للمعز (أثاثا) اى ما يلبس ويفرش (ومتاعا) اى ما يتجر به وقيل الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمله في الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل ويتزين به واختلف في معنى قوله تعالى (الى حين) فقيل الى حين تبلى وقيل الى حين الموت وقيل الى حين بعد حين وقيل الى يوم القيامة * (تنبيه) * في نصب أثاثا وجهان أحدهما انه منصوب عطفا على بيوتا اى وجعل لكم من أصوافها أثاثا والثاني انه منصوب على الحال واعلم ان الانسان اما أن يكون مقيما أو مسافرا والمسافر اما أن يكون غنيا يستصحب معه الخيام أولا فالقسم الاول أشار اليه بقوله تعالى جعل لكم من بيوتكم سكنا وأشار الى القسم الثاني بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا وأشار الى القسم الثالث بقوله تعالى (والله) اى الذي له الجلال والاكرام (جعل لكم) اى من غير حاجة منه تعالى (مما خلق) من شجر وجبال وأبنية وغيرها وقوله تعالى (ظلالا) جمع ظل تتقون به شدة الحر وقوله تعالى (وجعل لكم) مع غناه المطلق (من الجبال أكنانا) جمع كن موضع تسكنون فيه من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها (وجعل لكم) اى امتنانا منه عليكم (سرابيل) جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال من قميص أو درع أو جوشن أو غيره اى وسواء كان من صوف أو كتان أو قطن أو غير ذلك (تقيكم الحر) ولم يقل تعالى والبرد لتقدمه في قوله تعالى فيها دفء وقيل انه اكتفى بأحد المتقابلين وقيل كان المخاطبون بهذا الكلام العرب وبلادهم حارة فكانت حاجتهم الى ما يدفع الحر فوق حاجتهم الى ما يدفع البرد كما قال تعالى ومن

(قوله الذي أسرى بعبده ليلا) قال بعبده دون نبيه أو حبيبه لئلا تضل به أمته كما ضلت أمة المسيح به أشار حيث دعته الها أو لأن وصفه بالعبودية المضافة الى الله تعالى أشرف

إصوافها

أنفسهم وورد أنه تعالى قال شهيدا عليهم فيجب أن يكون غيرهم وأيضا قال من كل أمة فيجب
أن يكون ذلك الشهيد من الأمة وآحاد هذه الأعضاء لا يصح وهو إمام من الأمة ثم بين تعالى
أنه أزاح علتهم فيما كلفوا به فلا حجة لهم ولا معذرة بقوله تعالى (ونزلنا) أي بعظمتنا بحسب
التدريج والتنجيم (عليك) يا خير خلق الله (الكتاب) أي القرآن الجامع للهدى (تبيانا) أي
بيانا بليغا (لكل شيء) (فإن قيل) كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء (أجيب) بأن المعنى
من كل شيء من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع
النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقد قال تعالى وما ينطق عن الهوى وحثا على الإجماع
في قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته اتباع
أصحابه والاقتداء بآثارهم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت
السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء
(وهدى) أي من الضلالة (ورحمة) لمن آمن به وصدقه (وبشرى) بالجنة (للمسلمين) أي
الموحدين خاصة ولما استقصى سبحانه وتعالى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب
أتبعه بقوله (إن الله) أي الملك المستجمع لصفات الكمال (يأمر بالعدل) قال ابن عباس
في بعض الروايات العدل شهادة أن لا إله إلا الله (والإحسان) أداء الفرائض وقال في رواية
أخرى العدل خلع الأنداد والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب
لنفسك فإن كان مؤمنا أحببت أن يزداد إيمانا وإن كان كافرا أحببت أن يكون أخاك
في الإسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوحيد والإحسان هو الإخلاص فيه وقال
آخرون يعني بالعدل في الأفعال والإحسان في الأقوال فلا تفعل إلا ما هو عدل ولا تقل إلا
ما هو إحسان وأصل العدل المساواة في كل شيء من غير زيادة ولا نقصان فالعدل هو المساواة
في المكافأة إن خيرا فخير وإن شرا فشر والإحسان أن تقابل الخير بأكثر منه والشر بأن تعفو
عنه وعن الشعبي قال عيسى بن مريم إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك ليس الإحسان
[illegible] أن تحسن إلى من أحسن إليك وقيل العدل الإنصاف [illegible]
الاعتراف [illegible] والإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك [illegible] محمد بن كعب القرظي
قال دعاني عمر بن عبد العزيز فقال صف لي العدل فقلت بخ سألت عن أمر جسيم كن لصغير
الناس أبا ولكبيرهم ابنا وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك (وإيتاء) أي ومن الإحسان إيتاء
(ذي القربى) أي القرابة القربى والبعدى فيندب أن تصلهم من فضل ما رزقك الله فإن لم يكن
لك فضل فدعاء حسن وتودد وروى أبو سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن
أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم إن أهل هذا البيت ليكونون فجارا فتنمى أموالهم ويكثر
عددهم إذا وصلوا أرحامهم ولما أمر تعالى بالمكارم نهى عن المساوي بقوله تعالى
(وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس أي الزنا فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها وقال
غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع الأقوال والأفعال
المذمومة جميعها (والمنكر) قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا
يعرف في شريعة أو سنة (والبغي) هو الاستعلاء على الناس والتجبر عليهم قبل أن أعجل

صلى الله عليه وسلم أو
أمر بعضه أشياء من
أمور الوحي فإنه ما ينطق
الكفار وجميعه بلا [illegible]
[illegible] اختيار وبلا
مطابقا لما أو إرشاد [illegible]
ولما [illegible] في الإسراء

عنهاه (واذا رأى الذين ظلموا) اى ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى (العذاب) اى عذاب
جهنم بعد الموقف وشهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم) ذلك العذاب (ولاهم ينظرون) اى
لا يمهلون* ولما بين تعالى حاصل أمرهم فى البعث وما بعده وكان من أهم أمرهم فى
الموقف مع شركائهم الذين كانوا يرجونهم عطف على ذلك بقوله تعالى (واذا رأى) اى بالعين
يوم القيامة (الذين اشركوا شركاءهم) اى الآلهة التى كانوا يدعونها شركاء من الشياطين
وغيرها (قالوا ربنا) اى يا من أحسن الينا ودبرنا (هؤلاء شركاؤنا) أضافوهم الى أنفسهم لانه
لا حقيقة لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجبة لضرهم ثم بينوا المراد بقولهم (الذين كنا
ندعوا) اى نعبدهم (من دونك) ليقربونا اليك فاكرمنا لاجلهم جريا على مناهجهم فى الدنيا
فى الجهل والغباوة فخاف شركاؤهم من عواقب هذا القول والاقرار عليه سطوات الغضب
(فالقوا) اى الشركاء (اليهم) اى المشركين (القول) اى بادروا به حتى كان اسراعهم اليه
اسراع شئ ثقيل يلقى من علو وأكدوا قولهم فقالوا (انكم لكاذبون) فى جعلنا شركاء و
انكم عبدتمونا حقيقة وانما عبدتم أهواءكم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا
يبعد أن تنطق الاصنام بذلك يومئذ فانهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما
كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (والقوا) اى الشركاء (الى الله) اى
الملك الاعلى (يومئذ) اى يوم القيامة (السلم) اى الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا
(وضل) اى غاب (عنهم) اى الكفار (ما كانوا يفترون) اى من أن آلهتهم تشفع لهم* ولما
ذكر تعالى وعيد الذين كفروا أتبعه بوعيد من ضم الى كفره صد الغير عن سبيل الله بقوله
تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) اى ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن
الدخول فى الايمان بالله وبرسوله (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم
(بما كانوا يفسدون) اى بكونهم مفسدين بصدهم وقيل زدناهم عذابا بحيات وعقارب
كأمثال البخت يستغيثون بالهرب منها الى النار ومنهم من ذكر أن لكل عقرب ستمائة فقرة
فى كل فقرة ثلثمائة قلة من سم وقيل عقارب لها أنياب كالنخل الطوال ثم كرر سبحانه وتعالى
التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفهمته الآية السابقة وهو أن الشهادة تقع على
الامم لا لهم وتكون بحضرتهم فقال (ويوم) اى وخوفهم أو واذكر لهم يوم (نبعث) اى بما لنا
من القدرة (فى كل أمة) من الامم والامة عبارة عن القرن والجماعة (شهيدا عليهم) قال ابن
عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبى شاهد على أمته وهو أعدل شاهد عليها (من
أنفسهم) اى منهم لان كل نبى انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من
كفر وايمان وطاعة وعصيان (وجئنا) بما لنا من العظمة (بك) يا خير المرسلين (شهيدا على
هؤلاء) اى الذين بعثناك اليهم وهم أهل الارض وأكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم
ولذلك لم تقيد بعثته بشئ وقال أبو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من
أعضاء الانسان حتى انها تشهد عليه وهو الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد
واللسان قال والدليل عليه ما قاله فى صفة الشهيد أنه من أنفسهم وهذه الاعضاء لاشك أنها من

ويسلم من بيت المقدس دون مكة لانه هاجر الى الآفاق فطوف بقدمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم ببركة أثر قدمه أولانه مجمع أرواح الانبياء فاراد الله تعالى ان يشرفهم بزيارته

انفسهم

وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بإظهار الدال عند الجيم والباقون بالإدغام وعن جابر رضي الله عنه قال نزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الإسلام فقال تعالى وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها فلا يحملنكم قلة محمد وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام (إن الله) أي الذي له الإحاطة الكاملة (يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى لنقض العهد مثلا فقال (ولا تكونوا) أي في نقض العهد (كالتي نقضت غزلها) أي ما غزلته [illegible] (من بعد قوة) أي إبرام وإحكام [illegible] (أنكاثا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل قال مقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها [illegible] وقيل ريطة [illegible] وكانت خرقاء [illegible] [illegible] مثل [illegible] وفلكة [illegible] على قدرها وكانت تغزل من الصوف والشعر والوبر هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن وكان هذا دأبها [illegible] بمكة تسمى خرقاء مكة تغزل فإذا أبرمت غزلها نقضته [illegible] أباه وقال قتادة لو [illegible] امرأة نقضت غزلها [illegible] [illegible] ضربه الله [illegible] [illegible] في قوله تعالى (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) [illegible] رغدا [illegible] للدخل ما يدخل في الشيء [illegible] والدخل [illegible] [illegible] الوفاء [illegible] (أن) [illegible] (تكون) [illegible] [illegible] [illegible] (هي أربى) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] (ليبينن لكم) [illegible] أعمالكم [illegible] [illegible] [illegible] لا خلاف [illegible] (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) أي متفقة على [illegible] وهو دين الإسلام (ولكن يضل من يشاء) [illegible] تعالى لأنه تام الملك ولو كان الذي أضله على أحسن الحالات (ويهدي) بفضله (من يشاء) ولو كان على أخس الحالات والأحوال فلا تكونون [illegible] لا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى (ولتسألن عما كنتم تعملون) في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء [illegible]

العاصي عقابا البغي ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لدك الباغي ونص تعالى على البغي
بعد دخوله في المنكر اهتماما به كما بدأ بالفحشاء لذلك وقال ابن عيينة في هذه الآية العدل استواء
السر والعلانية والإحسان أن تكون سريرته خيرا من علانيته والفحشاء والمنكر والبغي
أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعض العلماء إن الله تعالى ذكر من المأمورات
ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الإنصاف والمساواة في الأقوال
والأفعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهو ما قبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان وهو
أن يعفو عمن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه وذكر في مقابلته المنكر وهو أن ينكر إحسان
من أحسن إليه وذكر إيتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم والشفقة عليهم
وذكر في مقابلته البغي وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حقوقهم ولما كان هذا المذكور
من أبلغ المواعظ نبه عليه بقوله تعالى (يعظكم) أي يأمركم بما يرقق قلوبكم من مصاحبة
الثلاثة الأول وهي العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ومجانبة الثلاثة الأخيرة وهي
الفحشاء والمنكر والبغي (لعلكم تذكرون) أي لكي تتعظوا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى
وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وفيه إدغام التاء في الأصل
في الذال وروى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود أنه قال أعظم آية في كتاب الله تعالى
الله لا إله إلا هو الحي القيوم وأجمع آية في كتاب الله للخير والشر الآية التي في النحل إن الله
يأمر بالعدل والإحسان وأكثر آية في كتاب الله تفويضا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وأشد آية في كتاب الله تعالى رجاء قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه على سبيل الإجمال فما من شيء يحتاج إليه الناس
في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى به أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية وعن قتادة ليس
من خلق حسن كان من أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويخشونه إلا أمر الله تعالى به
وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه وعن عكرمة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى آخر الآية فقال له يا ابن
أخي أعد علي فأعادها عليه فقال الوليد والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر
وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر ولما قررت هذه الجمل التي جمعت جميع المأمورات
والمنهيات ما ضاق عنه الدفاتر والصدور وشهد لها المعاندون من بلغاء العرب أنها بلغت من
البلاغة مبلغا يحصر به غاية المعروف ذكر بعض تلك الأقسام وبدأ بما هو مع جمعه أهم وهو
الوفاء بالعهد بقوله تعالى (وأوفوا) أي أوقعوا الوفاء الذي لا وفاء في الحقيقة غيره (بعهد
الله) أي الملك الأعلى الذي عاهدكم عليه بأدلة العقل من التوحيد والبيع والإيمان وغيرها
من أصول الدين وفروعه (إذا عاهدتم) بتقلبكم له بإذعانكم لامتثاله (ولا تنقضوا الأيمان)
واحترز عن لغو اليمين بقوله تعالى (بعد توكيدها) أي تشديدها فتحنثوا فيها وفي ذلك دليل
على أن المراد بالعهد غير اليمين لأنه أعم منه وقرأ أبو عمرو بإدغام الدال في التاء بخلاف عنه
(و) الحال أنكم (قد جعلتم الله) أي الذي له العظمة كلها (عليكم كفيلا) أي شاهدا ورقيبا

(قوله باركنا حوله) هو أعم من أن يقال باركنا عليه أو فيه لإفادته شمول البركة لما أحاط بالمسجد من أرض الشام بالمنطوق وللمسجد بمفهوم الأولى (قوله وإن أسأتم فلها) اللام للاختصاص

وقرأ

العيش في الطاعة وقال الحسن هي القناعة لأن عيش المؤمن في الدنيا وإن كان فقيراً أطيب
من عيش الكافر وإن كان غنياً لأن المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله تعالى وذلك بتقديره
وتدبيره تعالى وعرف أن الله تعالى محسن كريم حكيم يضع الأشياء في محالها فكان المؤمن
راضياً بقضاء الله وبما قدره له ورزقه إياه وعرف أن مصلحته في ذلك القدر الذي رزقه
فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر والجاهل بهذه
الأصول فدائم الحرص على طلب الرزق فيكون أبداً في حزن وتعب وعناء وحرص في الدنيا
ولا ينال من الرزق إلا ما قدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال
السدي الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها
وقال مجاهد وقتادة هي الجنة لأنه لا يموت فيها وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك
وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا أن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة ولا مانع من أن المؤمن
الكامل يحصل جميع ذلك ثم إن الله تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ولنجزينهم أجرهم) أي في
الدنيا والآخرة (بأحسن ما كانوا يعملون) أي من الطاعة وقد مر تفسيره ولما قال تعالى
ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون أرشد إلى العمل الذي به تخلص أعماله من
الوسواس بقوله تعالى (فإذا قرأت القرآن) أي أردت قراءته (فاستعذ) أي إن شئت جهراً
وإن شئت سراً قال الشافعي رضي الله تعالى عنه والإسرار أولى في الصلاة وفي قول يجهر كما يفعل
خارج الصلاة (بالله) أي سل الذي له الكمال كله أن يجيرك (من الشيطان) أي المحترق باللعنة
(الرجيم) أي المطرود عن الرحمة من أن يصدك بوساوسه عن اتباعه ويدخل في ذلك جميع
المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بإقدار الله تعالى إياهم على ذلك
وقيل المراد إبليس خاصة والاستعاذة باللسان لا [illegible] والظاهر [illegible]
[illegible] من أعدى [illegible] ظاهر الآية [illegible]
[illegible] وأفتى سائر الفقهاء [illegible] والعادة
[illegible]
[illegible] الله [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
قال [illegible] والرسول [illegible]
أعلم سورة في القرآن [illegible] الحمد لله رب العالمين وفي رواية الموطأ أنه صلى الله عليه وسلم [illegible]
وأنه قال له كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة قال أبي فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت إلى
آخرها فظاهر هذا يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة وهذا مذهب جماعة من الصحابة
والتابعين وهو قول أبي هريرة وإليه ذهب داود الظاهري قالوا لأن قارئ القرآن
يستحق ثواباً عظيماً وربما حصل الوسواس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أو لا فإذا
استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب خالصاً والذي ذهب إليه الأكثرون من
الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار أن الاستعاذة مقدمة على القراءة
قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ بالله وتبتم على ذلك قالوا إذا قدرت ذلك

والمراد من كل وجه
والمكروه [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا [illegible]
[illegible]
[illegible]
(وإذا بدلنا آية مكان
[illegible]

تعالى *ولما حذر سبحانه وتعالى عن نقض العهد والأيمان مطلقا قال تعالى (ولا تتخذوا
أيمانكم دخلا) أي فسادا ومكرا وخديعة (بينكم) وليس المراد منه التحذير عن نقض
مطلق الأيمان والالزم التكرار الخالى عن الفائدة في موضع واحد بل المراد نهي أولئك
الأقوام المخاطبين بهذا الخطاب عن نقض ايمان مخصوصة أقدموا عليها فلهذا المعنى قال
المفسرون المراد نهي الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم عن نقض العهد لأن قوله تعالى
(فتزل) أي فيكون ذلك سببا لأن تزل (قدم) هي في غاية العظمة (بعد ثبوتها) أي عن
مركزها التي كانت به من دين أو دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها لا يليق بنقض عهد
قبله وانما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائعه *(تنبيه)*
فتزل منصوب باضمار ان على جواب النهي وزلل القدم مثل يذكر لكل من وقع في بلاء بعد
عافية او سقط في ورطة بعد سلامة او محنة بعد نعمة (وتذوقوا السوء) أي العذاب في الدنيا
(بما) أي بسبب ما (صددتم) أي أنفسكم ومنعتم غيركم بأيمانكم التي قد أردتم بها الافساد
ونفاه الحق (عن سبيل الله) أي دينه وذلك أن من نقض العهد سهل على غيره طرق نقض
العهد فيستن به (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم) أي ثابت غير منفك اذا متم على ذلك
ثم أكد سبحانه وتعالى هذا التحذير بقوله تعالى (ولا تشتروا) أي ولا تكلفوا أنفسكم لجاجا
وتركا للنظر أن تأخذوا وتستبدلوا (بعهد الله) الذي له الكمال كله (ثمنا قليلا) أي من حطام
الدنيا وان كنتم ترونه كثيرا ثم علل قلته بقوله تعالى (انما عند الله) أي الذي له الجلال
والاكرام من ثواب الدارين (هو خير لكم) ولا يعدل عن الخير الى غيره الا طوج ناقص العقل
ثم شرط علم خيريته لكونهم من ذوي العلم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون) أي ان كنتم من أهل
العلم والتمييز فتعلمون فضل ما بين العوضين *ثم بين ذلك بقوله تعالى (ما عندكم) أي من متاع
الدنيا ولذاتها (ينفد) أي يفنى فصاحبه منغص العيش أشد ما يكون به اغتباطا بانقطاعه
(وما عند الله) أي الذي له الأمر كله من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (باق) أي دائم وروي عن أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب دنياه أضر
بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقرأ ابن كثير باق في الوقف
بالياء والباقون بغير ياء وأما في الوصل فالجميع بالتنوين (ولنجزين الذين صبروا) على الوفاء
بما يرضيه من الأوامر والنواهي في السراء والضراء (أجرهم) أي ثواب صبرهم (بأحسن
ما كانوا يعملون) أي بجزاء أحسن من أعمالهم أو يجزيهم على أحسن أعمالهم وذلك لأن
المؤمن قد يأتي بالمباحات وبالمندوبات وبالواجبات ولا شك أن الواجبات والمندوبات مما يثاب
على فعلها لا على فعل المباحات وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون قبل الجيم أي ولنجزين نحن
والباقون بالياء أي وليجزين الله ثم انه تعالى رغب المؤمنين في الايمان بكل ما كان من شرائع
الاسلام بقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) اذ لا اعتداد بأعمال الكفار في
استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فان قيل) من عمل صالحا يفيد العموم
فما فائدة من ذكر او انثى (أجيب) بأنه ذكر دفعا للتخصيص بأحد الفريقين واختلف في قوله
تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) فقال سعيد بن جبير وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي

بلفظ حسنا موافقة
للفواصل قبلها وبعدها
(قوله وجعلنا الليل
والنهار آيتين) ان قلت
لم ثنى الآية هنا وأفردها
في قوله وجعلناها وابنها
آية (قلت) لتباين الليل

لا يعلمون) اي المقلدين للكفرة (فان قيل) ظاهر الآية ان القرآن لا ينسخ بالسنة لقوله تعالى
واذا بدلنا آية مكان آية فمقتضاه ان الآية لا تنسخ الا بآية اخرى (أجيب) بأن هذه الآية دلت
على انه تعالى يبدل آية بآية ولا دلالة فيها على انه لا يبدل آية الا بآية وأيضا فجبريل عليه
السلام ينزل بالسنة كما ينزل بالآية * ولما كان المشركون يقولون ان محمدا انما يتعلم هذه
القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم نزل قوله
تعالى (ولقد نعلم) اي علما مستمرا (أنهم يقولون انما يعلمه بشر) واختلف في البشر الذي قال
المشركون ان النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم منه فقيل هو عبد لبني عامر بن لؤي يقال له يعيش
كان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عبد لبني الحضرمي صاحب كتب
وكان اسمه جبرا فكانت قريش تقول عبد بني الحضرمي يعلم خديجة وخديجة تعلم محمدا وقيل
كان بمكة نصراني أعجمي اللسان اسمه بلعام ويقال ابن ميسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان
الفارسي وبالجملة فلا فائدة في تعداد هذه الاسماء والحاصل ان القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه
الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه ويزعم انه انما عرفها بالوحي وهو كاذب فيه فأجاب
الله تعالى عنه تكذيبا لهم فيما رموه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب بقوله تعالى
(لسان الذي يلحدون) اي يميلون (اليه) أي انه يعلمه (أعجمي) اي لا يعرف
لغة العرب وهو مع ذلك ألكن في التأدية غير مبين (وهذا) أي القرآن (لسان عربي مبين)
اي ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمي وروى ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم
وحسن اسلامه (ان الذين لا يؤمنون) اي لا يصدقون كل تصديق مستمر (بآيات الله) اي
الذي له العظمة كلها (لا يهديهم الله) اي لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان (ولهم عذاب أليم)
اي مؤلم في الآخرة ثم أخبر الله تعالى ان الكفار هم المفترون بقوله تعالى (انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بآيات الله) اي القرآن بقولهم انما يعلمه بشر (وأولئك) اي البعداء [illegible]
[illegible] (هم الكاذبون) اي الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله أعظم الكذب
[illegible] الكذب لا يؤمنون [illegible] كل [illegible]
[illegible] ثم [illegible] (من كفر بالله)
اي [illegible] (من بعد ايمانه) اي الذي اتصف بصفات الجلال بان قال او عمل ما يدل على الكفر
(من بعد ايمانه) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم (الا من أكره) اي على التلفظ بالكفر فتلفظ
به (وقلبه مطمئن بالايمان) فلا شيء عليه لان محل الايمان هو القلب وروى ان قريشا أكرهوا
عمارا وأبويه ياسرا وأمه سمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وقالوا انك أسلمت من أجل
الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيل في الاسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها
وهو كاره بقلبه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا
امتلأ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ما لك ان عادوا لك فعد لهم
بمثل ما قلت * (تنبيه) * في الآية دليل على اباحة التلفظ بالكفر وان كان الافضل أن يتجنب

في الآية الكريمة ومثل ذلك قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام اذا أكلت فسم أي اذا أردت ان تأكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم واذا سافرت فتأهب أي اذا أردت السفر فتأهب وأيضا الوسوسة انما تحصل في اثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم أن للشيطان قدرة على التصرف في ابدان الانسان أزال الله تعالى ذلك الوهم وبين انه لا قدرة له البتة الا على الوسوسة بقوله تعالى (انه ليس له سلطان) اى بحيث لا يقدر المسلط عليه على الانفكاك عنه (على الذين آمنوا) اى بتوفيق ربهم لهم (وعلى ربهم) وحده (يتوكلون) اى على أوليائه المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته وعن سفيان الثوري قال ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لا يغفر لهم ثم وصل تعالى بذلك ما أفهمه من ان له سلطانا على غيرهم بقوله (انما سلطانه) اى الذي يمكن به غاية التمكن بامكان الله تعالى له (على الذين يتولونه) اى يحبونه ويطيعونه (والذين هم به) اى بالله تعالى (مشركون) وقيل الضمير راجع الى الشيطان والمعنى هم بسببه مشركون بالله ولما كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ناسخة لها يقولون ان محمدا يستهزئ باصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه نزل (واذا بدلنا) اى بقدرتنا بالنسخ (آية) سهلة كالعدة فانها بعد اشهر وعشر وقتال الواحد من المسلمين لاثنين من الكفار أو شاقة كتحريم الخمر وايجاب الصلوات الخمس فجعلناها (مكان آية) شاقة كالعدة بحول ومصابرة عشرة من الكفار أو سهلة كالآيات المتضمنة لاباحة الخمر والتبديل رفع الشيء ووضع غيره مكانه (والله) اى الذي له الاحاطة الشاملة (أعلم بما ينزل) من المصالح بحسب الاوقات والاحوال بنسخ أو غيره (قالوا) اى الكفار (انما انت) يا محمد (مفتر) اى متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم بعد ذلك تنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض والمعنى والله أعلم بما ينزل من الناسخ والمنسوخ والتغليظ والتخفيف اى هو أعلم بجميع ذلك ومصالح العباد وهذا توبيخ للكفار على قولهم انما أنت مفتر اى اذا كان هو أعلم بما ينزل فما لهم ينسبون محمدا الى الافتراء لاجل التبديل والنسخ (بل أكثرهم) وهم الذين يستمرون على الكفر (لا يعلمون) حكمة فائدة النسخ والتبديل ولا يميزون الخطأ من الصواب فان الله تعالى أعلم بمصالح العباد كما ان الطبيب يأمر المريض بشربة ثم بعد مدة ينهاه عنها ويأمره بغيرها بضد تلك الشربة ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم بقوله تعالى (قل) ان واجهك بذلك منهم (نزله) اى القرآن بحسب التدريج لاجل اتباع المصالح باحاطة علم المتكلم به (روح القدس) اى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد روح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم (من ربك بالحق) اى متلبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) اى ليثبت بالقرآن قلوب الذين آمنوا فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى) اى بيانا واضحا (وبشرى

(قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) لا ينافي قوله وكفى بنا حاسبين لان في يوم القيامة مواقف مختلفة ففي موقف يكل الله حسابهم الى أنفسهم وعلمه محيط به

نوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول ظاهرا وأنهم لما صبروا على عذاب المشركين

كأنهم فتنوا أنفسهم وإن عاد على المشركين فهو ظاهر أي فتنوا المؤمنين لأن أولئك

فتونين هم المستضعفون الذين حملهم أولياء المشركين على الردة والرجوع عن الإيمان فبين

الى أنهم هاجروا (ثم جاهدوا وصبروا) على الطاعة (إن ربك من بعدها) أي الفتنة

غفور) أي بليغ الإكرام (رحيم) فهو يغفر لهم ويرحمهم * (تنبيه) حذف خبر إن الأولى

لالة خبر الثانية عليه أو مقدر بما سبق (يوم) أي اذكر يوم (تأتي كل نفس) أي وإن عظم

رمها (تجادل) أي تحاج (عن نفسها) أي لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة (فإن قيل)

ا معنى النفس المضافة إلى النفس (أجيب) بأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره

النفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل

نسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار

نها كقولهم هؤلاء الذين أضلونا وما كنا مشركين (وتوفى كل نفس) صالحة أو غير صالحة

ما عملت) أي جزاء من جنسه (وهم لا يظلمون) أي شيئا ولما هدد تعالى الكفار بالوعيد

لشديد في الآخرة هددهم أيضا بآفات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف بقوله تعالى

وضرب الله) أي المحيط بكل شيء (مثلا) ويبدل منه (قرية) هي مكة والمراد أهلها (كانت

منة) أي ذات أمن يأمن بها أهلها في زمن الخوف قال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا

يتخطف الناس من حولهم والأمن في مكة كان كذلك لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض

ون أهل مكة فإنهم كانوا أهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم

التكريم (مطمئنة) أي قارة بأهلها لا يحتاجون فيها إلى نجعة وانتقال بسبب زيادة الأمن

كثرة العدد وقوة المدد وكف الله تعالى الناس عنها ووجود ما يحتاج إليه أهلها (فإن قيل)

لاطمئنان هو الأمن فيلزم التكرار (أجيب) بأن قوله تعالى آمنة إشارة إلى الأمن وقوله تعالى

طمئنة أي لا يحتاجون فيها إلى نجعة كما مر وقيل إشارة إلى الصحة لأن هواء ذلك

لبلد كان ملائما لأمزجتهم فلذلك اطمأنوا إليه واستقروا قالت العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية

لأمن والصحة والكفاية (يأتيها) أي على سبيل التجدد والاستمرار (رزقها رغدا) أي واسعا

طيبا (من كل مكان) بر وبحر بتيسير الله تعالى * ولما كانت النعمة تجر إلى البطر غالبا نبه

عالى على ذلك بقوله تعالى (فكفرت بأنعم الله) أي الذي له الكمال كله وأنعم جمع نعمة قال

لزمخشري على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع وقال قطرب هي جمع نعم والنعم النعمة يقال

هذه أيام نعم وطعم فلا تصوموا وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس (فإن قيل) الأنعم جمع قلة فكأن

تلك القرية كفرت بأنواع قليلة من نعم الله فعذبها الله تعالى فلم يقل تعالى كفرت بنعم عظيمة

فاستوجبوا العذاب (أجيب) بأن المقصود التنبيه بالأدنى على الأعلى فإن كفران النعم القليلة

إذا أوجب العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى وبأن الله تعالى أنعم عليهم بالنعمة العظيمة وهو

محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في إيذائه (فأذاقها الله) أي المحيط بكل شيء (لباس

الجوع) بعد رغد العيش سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وقيل إن القرية غير مكة

أو
أمرناهم بالطاعة ففسقوا وقال
كثرناهم
أمرته وآمرته بالقصر
والمد بمعنى كثرته وقيده
بالمترفين وإن كان الأمر
لا يختص بهم لأن صلاحهم
أو فسادهم مستلزم لصلاح

عنه اعزاز الدين كما فعله أبواه ولما روى ان مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال أنا أصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيأ له واختلف الائمة في وقوع الطلاق بالاكراه فقال الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى لا يقع طلاق المكره وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقع واستدل الشافعي بقوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره اى لا أثر له ولا عبرة به وقال عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال أيضا لا طلاق في اغلاق اى اكراه وتمسك أبو حنيفة بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له وهذا قد طلقها وأجيب بان الآية مخصوصة بغير ذلك جمعا بين الادلة (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به (فعليهم غضب) اى غضب لم تبين جهة عظمه لكونه (من الله) أي الملك الاعظم (ولهم) أي بظواهرهم وبواطنهم (عذاب عظيم) في الآخرة لارتدادهم على أعقابهم (ذلك) أي الوعيد العظيم (بأنهم) أي بسبب أنهم (استحبوا) أي أحبوا حبا عظيما (الحياة الدنيا) الكائنة الحاضرة الفانية فآثروها (على الآخرة) الباقية الفاخرة لانهم رأوا ما فيه المؤمنون من الضيق والكافر من السعة (وأن الله) أي الذي له الغنى المطلق (لا يهدي القوم الكافرين) أي لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل (أولئك) أي البعداء البغضاء (الذين طبع الله) أي الملك الذي لا أمر لاحد معه (على قلوبهم) أي ختم عليها واستوثق ولما كان التفاوت في السمع نادرا وحده بقوله تعالى (وسمعهم) أو يعني اسماعهم ليناسب قوله تعالى (وأبصارهم) فصاروا بعدم انتفاعهم بهذه المشاعر كأنهم لا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون (وأولئك) أي الابعاد من كل خير (هم الغافلون) عما يراد بهم من العذاب في الآخرة (لا جرم) أي لا شك (انهم في الآخرة هم الخاسرون) أي أكمل الناس خسارة لان الله تعالى وصفهم بست صفات الاولى انهم استوجبوا غضب الله تعالى الثانية انهم استوجبوا العذاب الاليم الثالثة انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الرابعة أن الله تعالى حرمهم من الهداية الخامسة انه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادسة انه جعلهم من الغافلين عن العذاب الشديد يوم القيامة اذ كل واحدة من هذه الصفات من أعظم الاحوال المانعة من الفوز بالخيرات والسعادات ومعلوم انه تعالى انما أدخل الانسان في الدنيا ليكون كالتاجر الذي يشتري بطاعته سعادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع العظيمة عظم خسرانه فلهذا السبب حكم تعالى عليهم بالخسران * ولما ذكر تعالى حال من كفر بالله من بعد ايمانه وحال من أكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتن بقوله تعالى (ثم ان ربك) اى المحسن اليك (للذين هاجروا) الى المدينة الشريفة بالولاية والنصر وقوله تعالى (من بعد ما فتنوا) قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء على اسناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم الفاء وكسر التاء على فعل ما لم يسم فاعله ووجه القراءة الاولى انه عاد الضمير على المؤمنين فالمعنى

حساب العبد الى نفسه وقيل من يرد مناقشته في الحساب يحاسبه بنفسه ومن يرد مسامحته يكل حسابه اليه (قوله اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) اى أردنا منهم الفسق

نعمة بالتاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالهاء والباقون بالتاء والكسائي يقف بالامالة ثم قال

تعالى قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير

باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) في سورة البقرة فلا اعادة في تفسيرها وقرأ أبو عمرو وعاصم

وحمزة فمن اضطر في الوصل بكسر النون والباقون بالضم (تنبيه) ان حصر المحرمات في هذه

الاشياء الاربعة مذكور ايضا في سورة الانعام عند قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي الي محرما

على طاعم يطعمه الآية وفي سورة المائدة في قوله تعالى أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى

عليكم واجمعوا على أن المراد بقوله الا ما يتلى عليكم هو قوله تعالى في سورة البقرة حرمت

عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وقوله تعالى في المائدة والمنخنقة والموقوذة

والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم فهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال تعالى

وما ذبح على النصب وهو احد الاشياء الداخلة تحت قوله تعالى وما أهل به لغير الله فثبت أن

هذه السور الاربعة دالة على حصر المحرمات في هذه الاربعة وكان منها سورتان مكيتان وسورتان

مدنيتان فان سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله بالمدينة فمن أنكر حصر

التحريم في هذه الاربعة الا ما خصه الاجماع والدلائل القاطعة كان في محل أن يخشى

عليه لان هذه السور دلت على أن حصر المحرمات في هذه الاربعة كان مشروعا ثابتا في أول

زمان مكة وآخره وأول زمان المدينة وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعا

للاعذار وازالة للشبهة ه ولما حصر المحرمات في هذه الاربع بالغ في تأكيد ذلك الحصر

وزيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه الاربعة تارة وفي النقصان عنها أخرى فقال

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) [illegible]

كانوا يحرمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام [illegible]

[illegible] خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فقد زادوا في المحرمات وزادوا ايضا في المحللات [illegible]

[illegible] الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله [illegible]

[illegible] هذا حلال وهذا حرام [illegible]

[illegible]

[illegible] هذا حلال وهذا حرام [illegible]

ولهذا (فان قيل) [illegible] الى الكذب [illegible]

الكذب) عن ذلك (أجيب) بأن قوله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب [illegible]

الذي على الله فاعاد [illegible] الزائدة [illegible] وهو [illegible]

[illegible] ولا تقولوا

للذي تصف ألسنتكم الكذب [illegible] هذا حلال وهذا حرام [illegible]

وقيل اللام في لتفتروا لام العاقبة [illegible] (فان قيل) ما معنى

وصف ألسنتهم الكذب (أجيب) بأن هذا من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين

الكذب ومحضه واذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم

وجهها يصف الجمال أي هي جميلة وعينها تصف السحر أي هي ساحرة فلما أرادوا المبالغة

لانهم اضربت بهم الأزمة (ومثل مكة يكون غير مكة (والخوف) بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم

(تنبيه) استعير الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير عزة

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له ولو نظر الى المستعار لقال ضافي الرداء أي سابغه ومعنى البيت اذا ضحك المسؤول ضحكة أيقن السائل بذلك التبسم استرقاق رقاب ماله وانه يعطي بلا خلاف وقد ينظر الى المستعار له كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار ولو نظر الى المستعار منه لقال تعالى في الآية وكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهذا نهاية ما يقال في الاستعارة وقال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى

اذا ما الضجيع ثنى جيدها * تثنت عليه فكانت لباسا

ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومثله قول الشاعر

وقد لبست بعد الزبير مجاشع * لباس التي حاضت ولم تغسل الدما

كأن العار لما باشرهم والتصق بهم كأنهم لبسوه وقوله تعالى فاذاقها نظير قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم ونظير قول الشاعر * دونك ما جنيته فاحس وذق * وقوله تعالى (بما كانوا يصنعون) يجوز أن تكون ما مصدرية اي بسبب صنعهم أو بمعنى الذي والعائد محذوف أي بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو في يصنعون عائد على أهل البلد وقيل قرية نظيره قوله تعالى أو هم قائلون بعد قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها ولما ذكر الله تعالى المثل ذكر الممثل له فقال تعالى (ولقد جاءهم) اي أهل هذه القرية (رسول منهم) من نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب) قال ابن عباس يعني الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل الذي كان يوم بدر (وهم ظالمون) اي في حال تلبسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام ثم قال تعالى (فكلوا) اي أيها المؤمنون (مما رزقكم الله) قال ابن عباس يريد من الغنائم وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم فاذن في الحمل اليهم فحمل الطعام اليهم فقال الله تعالى كلوا مما رزقكم الله قال الرازي والقول ما قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية انما حرم عليكم الميتة يعني أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا مما رزقكم الله (حلالا طيبا) وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهي الميتة والدم * ولما أمرهم تعالى بأكل الحلال أمرهم بشكر النعمة بقوله تعالى (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) اي تطيعون *(تنبيه)* رسمت

خيرهم او فساده (قوله من كان يريد العاجلة) الآية فان قلت قضيته ان من لم يترك الدنيا يكون من أهل النار وليس كذلك (قلت) المراد من لم يرد باسلامه وعبادته الا الدنيا

تقدمت

تعالى انى جاعلك للناس اماما وقرأ هشام ان ابراهام وملة ابراهام بالالف بعد الهاء فيهما
وقرأ الباقون بالياء فيهما الصفة الثانية قوله تعالى (قانتا لله) اى مطيعا لله قائما باوامره
الصفة الثالثة قوله تعالى (حنيفا) اى مائلا عن الباطل قال ابن عباس انه أول من اختتن
وأقام مناسك الحج وضحى وهذه السنة الحنيفية الصفة الرابعة قوله تعالى (ولم يك من
المشركين) اى انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين فى الصغر والكبر وقد ابطل
عبادة الاصنام والكواكب بقوله لا أحب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى
ان القوم ألقوه فى النار وذلك دليل اثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله ربى الذى يحيى
ويميت ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيف يحيى الموتى ليحصل له زيادة الطمأنينة قال الرازى
ومن وقف على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان غريقا فى بحر علم التوحيد
الصفة الخامسة قوله تعالى (شاكرا لانعمه) فان قيل لفظ الانعم جمع قلة ونعمة الله تعالى
على ابراهيم عليه السلام كانت كثيرة فلم قال شاكرا لانعمه (اجيب) بانه ذكر القلة للتنبيه
على انه كان لا يخل بشكر القليلة فكيف بالكثيرة وروى انه عليه الصلاة والسلام كان
لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بقوم من الملائكة فى صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا اليه ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا
لله على انه عافانى وابتلاكم بهذا البلاء الصفة السادسة قوله تعالى (اجتباه) اى اصطفاه
للنبوة واختاره لخلته الصفة السابعة قوله تعالى (وهداه الى صراط مستقيم) اى وهداه
الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم ونظيره قوله تعالى وان هذا صراطى
مستقيما فاتبعوه الصفة الثامنة قوله تعالى (وآتيناه فى الدنيا حسنة) قال قتادة حببه
الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه اما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر واما
كفار قريش وسائر العرب فلا فخر لهم الا به وحقيقة القول ان الله تعالى اجاب دعاءه فى قوله
واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وقال آخرون هو قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم وقيل اولادا ابرارا على الكبر الصفة التاسعة قوله تعالى (وانه فى الآخرة
لمن الصالحين) فان قيل لم لم يقل تعالى فى اعلى مقامات الصالحين (اجيب) بانه تعالى
حكى عنه انه سأل ربه فقال رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين فقال تعالى وانه فى الآخرة لمن
الصالحين تنبيها على انه تعالى اجاب دعاءه ثم ان كونه من الصالحين لا ينفى ان يكون فى
اعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين ذلك فى آية اخرى وهى قوله سبحانه وتلك حجتنا
آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ولما وصف الله تعالى ابراهيم عليه السلام
بهذه الصفات العالية الشريفة امر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه مشيرا الى علو
مرتبته بحرف التراخى بقوله تعالى (ثم اوحينا اليك) يا أشرف الرسل وقيل اتى بثم للتراخى اى
لتراخى أيامه عن ايام ابراهيم عليهما افضل الصلاة والسلام (ان اتبع ملة ابراهيم) فى
التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب
فهمه ولا بعد فى ان يفهم منه ذلك الهجرة ايضا وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا
بشريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقوله تعالى

كما صوم الصحابة لان فى
صحبة الملائكة وقيام
الجيش بان يقولوا الله
أدبنا و رزقنا الجنة
احسانا منا ولانه لو
صحبهم الرفق لكان قد
جاءهم بالمقود بنواياته

فى وصف الوجه بالجمال ووصف العين بالسحر ونحو ذلك * ثم انه تعالى أوعد المفترين بقوله
تعالى (ان الذين يفترون على الله) اى الذى له الكمال كله (الكذب) منكم ومن غيركم
(لا يفلحون) اى لا يفوزون بخير لان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب ونفى الله تعالى عنه
الفلاح لانه الفوز بالخير والنجاح ثم بين تعالى ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب
بقوله تعالى (متاع قليل) اى منفعة قليلة تنقطع عن قرب لفنائه وان امتد ألف عام
(ولهم) بعده (عذاب أليم) اى مؤلم فى الآخرة ولما بين تعالى ما يحل ويحرم لاهل الاسلام
أتبعه ببيان ما يخص اليهود به من المحرمات بقوله تعالى (وعلى الذين هادوا) اى اليهود
(حرمنا) عليهم عقوبة لهم بعدوانهم وكذبهم على ربهم (ما قصصنا عليك) يا أجل المرسلين
(من قبل) اى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية
(وما ظلمناهم) اى بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا) اى دائما طبعا لهم وخلقا مستقرا
(أنفسهم) خاصة (يظلمون) بالبغى والكفر فضيقنا عليهم معاملة بالعدل وعاملناكم انتم حيث
ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واحذروا غوائل النقمة * ولما بين تعالى هذه النعمة الدنيوية
عطف عليها نعمة هى أكبر منها جدا استقلالا بالكل ظالم وبين عظمها بحرف التراخى فقال
تعالى (ثم ان ربك) اى المحسن اليك (للذين عملوا السوء) وهو يتناول كل ما لا ينبغى فدخل فيه
الكفر وسائر المعاصى (بجهالة) اى بسببها أو ملتبسين بها ثم الجهل بالله وبعقابه وعدم
التدبر فى العواقب فكل من عمل سوأ انما يفعله بالجهالة أما الكفر فلأن أحدا لا يرضى به مع
العلم بكونه كفرا الا انه لو لم يعتقد كونه حقا فانه لا يختاره ولا يرتضيه وأما المعصية فلأن العالم
لم تصدر منه المعصية ما لم تصر الشهوة غالبة للعقل فثبت أن كل من عمل السوء فانما يقدم عليه
بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك) اى الذنب ولو كان عظيما وانتهوا وأعلى ما أذنبوه
خالقهم (وأصلحوا) بالاستمرار على ذلك (ان ربك) اى المحسن اليك بتسهيل دينك وتيسيره (من
بعدها) اى التوبة (لغفور) اى بليغ الستر لما عملوا من السوء (رحيم) اى بليغ الرحمة بهم
بالاكرام تفضلا منه ونعمة * ولما دعاهم الله تعالى الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساويها
بقبوله لمن أقبل اليه وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين لاجرم ذكره الله
تعالى فى آخر هذه السورة ووصفه بتسع صفات الصفة الاولى قوله تعالى (ان ابراهيم
كان أمة) اى لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى أشخاص كثيرة
كقول القائل

وليس لله (اى من الله) بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

اى أن يجمع صفاتهم فى شخص واحد وقال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا
فلهذا المعنى كان وحده أمة واحدة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى زيد بن عمرو بن نفيل
يبعثه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم تبق الارض الا وفيها أربعة عشر يدفع الله تعالى بهم
عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه كان وحده وقيل أمة فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة
من أمه اذا قصده واقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله

المراد بالعطاء هنا الرزق والله سوى فى عطائه بين العباد المطيع والعاصى فلا تفاوت بينهم فى اصل الرزق وانما التفاوت بينهم فى مقادير الاملاك وانما لم يمنع الله الكفار الرزق

تعالى

يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها فهؤلاء هم المشار إليهم بقوله تعالى ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة أي ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها ويفهموا
الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني أصحاب الفطرة السليمة والخلقة
الأصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان فهم
أوسط الأقسام وهم المشار إليهم بقوله تعالى والموعظة الحسنة أي ادع هؤلاء بالموعظة
الحسنة القسم الثالث أصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء هم المشار إليهم بقوله تعالى
وجادلهم بالتي هي أحسن أي حتى ينقادوا إلى الحق ويرجعوا إليه (إن ربك) المحسن
إليك بالتخفيف عنك (هو أعلم) أي من كل من يتوهم فيه علم (بمن ضل عن سبيله
وهو أعلم بالمهتدين) أي أنه سبحانه وتعالى أعلم بالفريقين فمن كان فيه خير كفاه
الوعظ والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب في حديد بارد
فما عليك إلا البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فليس
ذلك إليك وهذا قبل الأمر بالقتال وقوله تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به) فيها أقوال أحدها وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وأبي بن كعب والشعبي
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنه
وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم
استرطبتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أما إنها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئاً من جسده النار فلما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمه حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط أوجع لقلبه منه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فإنك ما علمتك إلا فعالاً للخيرات وصولاً للرحم ولولا حزن
من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن ظفرني الله بهم
لأمثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أراد وكفر عن
يمينه [illegible] لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقير البطون
والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين إلا مثلوا به إلا حنظلة بن الراهب فإن أباه أبا عامر
الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظفرنا الله عليهم
لنزيدن على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها أحد من العرب بأحد القول الثاني
أن هذا كان قبل الأمر بالسيف والجهاد حين كان المسلمون قد أمروا بالقتال مع من يقاتلهم
ولا يبدؤوا بالقتال وهو مثل قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا وفي هذه
الآية أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا القول الثالث أن
المقصود من هذه الآية نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والنخعي
وابن سيرين قال الرازي وحمل هذه الآية على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء
الترتيب في كلام الله وهو في غاية البعد بل الأصوب عندي أن يقال إنه تعالى أمر محمداً صلى
الله عليه وسلم بدعوة الخلق إلى الدين الحق بإحدى الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة
الحسنة والجدال بالطريق الأحسن ثم إن تلك الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم

لا تجعل مع الله إلهاً آخر
فتقعد مذموماً مخذولا)
قال ذلك هنا ثم قال ولا
تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوماً محسوراً ثم
قال ولا تجعل مع الله إلهاً

(حنيفا) حال من النبي صلى الله عليه وسلم ويصح ان يكون حالا من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان من المشركين) كرره ردا على من زعم من اليهود والنصارى انهم على دينه وقوله سبحانه وتعالى (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) فيه قولان الاول روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة وقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من أعمالكم فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى عليه السلام أيضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم أي اليهود بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب يوم الجمعة على من كان قبلكم فاختلفوا فيه وهدانا الله له فهم لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (فان قيل) هل في العقل وجه يدل على ان الجمعة أفضل من السبت والاحد فان أهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة أيام وبدأ تعالى بالخلق والتكوين في يوم الاحد وتم في يوم الجمعة فكان يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا يوم السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذان الوجهان معقولان لنا فما وجه جعل يوم الجمعة عيدا (اجيب) بان يوم الجمعة هو يوم التمام والكمال وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور فجعل يوم الجمعة يوم العيد أولى من هذا الوجه القول الثاني اختلافهم في السبت هو انهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة (وان ربك) أي المحسن اليك بطواعية أصحابك لك (ليحكم بينهم) أي هؤلاء المختلفين (يوم القيامة) وهو يوم اجتماع جميع الخلائق (فيما كانوا فيه يختلفون) فيحكم للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب ولما أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم باتباع ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين الشيء الذي أمره بمتابعته فيه بقوله تعالى (ادع) أي كل من يمكن دعوته ممن بعثت اليه (الى سبيل ربك) أي المحسن اليك بتسهيل السبيل الذي تدعو اليه واتباعه وهو الاسلام الذي هو الملة الحنيفية (بالحكمة) أي المقالة المحكمة وهو الدليل الواضح المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) أي الدعاء الى الله تعالى بالترغيب والترهيب بالخطابات المقنعة والعبارات النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) أي وجادل معانديهم (بالتي) أي بالمجادلة التي (هي أحسن) كالدعاء الى الله تعالى بآياته والدعاء الى حججه بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير غلظ ولا تعنف فان ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شبههم وقيل المراد بالحكمة القرآن أي ادعهم بالقرآن والموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة والامر بالمجادلة التي هي أحسن الاعراض عن أذاهم وعدم التقصير في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية السيف وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام القسم الاول العلماء الكاملون وهم أصحاب العلوم الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين

ذلك من صفات الجهلاء والله منزه عن ذلك لأنه حكيم كريم ولان اعطاء الرزق لجميع العباد عدل وعدل الله عام وهبة الهداية فضل والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله

الى التصريح وهو قوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وفي المرتبة الثالثة أمر بالصبر على سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة كأنه ذكر الوعيد على فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا أي عن استيفاء الزيادة والذين هم محسنون أي في ترك أصل الانتقام فكأنه تعالى قال ان أردت ان أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين وهذه المعية بالرحمة والفضل والتربية وفي قوله تعالى اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله وفي قوله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته أوص فقال ان الوصية في المال ولا مال لي ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل ❁ (تنبيه) ❁ قال بعضهم ان قوله تعالى وان عاقبتم الى لهو خير للصابرين منسوخ بآية السيف قال الرازي وهذا في غاية البعد لان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوى الى الله تعالى وترك التعدي وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها أو ليلته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية حديث موضوع قال الرازي في آخر هذه السورة يقول مصنف الكتاب الحق عزيز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعد والوصل هجر والحقائق مصونة والمعالي في غيب الغيب مكنونة والاسرار فيما وراء أقفال العزة مخزونة وبيد الخلق القيل والقال والكمال ليس الا لله تعالى ذي الاكرام والاجلال

سورة الاسراء وتسمى سبحان وبني اسرائيل مكية

الا وان كادوا الآيات الثمان مائة وعشر آيات أو احدى عشرة والف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون حرفا

(بسم الله) الملك المالك لجميع الامر (الرحمن) لكل ما أوجده بعبادته (الرحيم) لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه وقوله تعالى (سبحان) اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما فيقطع عن الاضافة ويمنع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون قال الاعشى في مدحه عامر بن الطفيل

قد قلت لما جاءني فخره ❁ سبحان من علقمة الفاخر

أي العجب منه اذ يفخر والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبوا منه الشاهد في سبحان حيث جعله علما على التنزيه فمنعه الصرف وعلقمة المذكور صحابي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيخ فأسلم وبايع واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حوران فمات بها (الذي أسرى بعبده) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو أشرف عباده على الاطلاق وأحقهم بالاضافة اليه وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أسرى بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (ليلا) نصب على الظرف والاسراء سير الليل وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره الى تقليل مدته فكان هذا الامر الجليل في جزء يسير من الليل والى أنه عليه الصلاة والسلام لم يحتج في الاسراء والعروج الى سدرة المنتهى وسماع الكلام من العلي

الكبر أحدهما أو كلاهما وأما الثانية فخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا وهو المراد به وذلك ان امرأة بعثت صبيا اليه مرة بعد أخرى تسأله قميصا ولم يكن عليه ولا له

واسلافهم والحكم عليهم بالكفر والضلالة وذلك مما يشوش قلوبهم ويوحش صدورهم ويحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعى بالقتل تارة وبالضرب ثانيا وبالشتم ثالثا ثم ان ذلك الداعى المحق اذا سمع تلك السفاهات لابد وان يحمله طبعه على تاديب اولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فعند هذا أمر المحقين فى هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذى يجب حمل الآية عليه (فان قيل) فهل تقدحون فيما روى أنه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على ترك المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية (أجيب) بانه لا حاجة الى القدح فى تلك الرواية لان تلك الواقعة داخلة فى عموم هذه الآية فيمكن التمسك فى تلك الواقعة بعموم هذه الآية وذلك لا يوجب سوء الترتيب فى كلام الله تعالى ❁(تنبيه)❁ أمر الله تعالى برعاية العدل والانصاف فى هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب المرتبة الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به أى ان رغبتم فى استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه فى عدل الله تعالى ورحمته وفى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به دليل على ان الاولى له أن لا يفعل كما أنك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح كان معناه أن الاولى بك أن لا تأكلها فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض أن الاولى تركه المرتبة الثانية الانتقال من التعريض الى التصريح وهو قوله تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وهذا تصريح بان الاولى ترك ذلك الانتقام لان الرحمة أفضل من القسوة والانتفاع أفضل من الانتقام وقرأ الهوقالون وأبو عمرو والكسائى بسكون الهاء والباقون برفعها المرتبة الثالثة هو الامر الجازم بالترك وهو قوله تعالى (واصبر) لانه فى المرتبة الثانية ذكر ان الترك خير وأولى وفى هذه المرتبة الثالثة صرح بالامر بالصبر فى هذا المقام ❁ ولما كان الصبر فى هذا المقام شديدا شاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته بقوله تعالى (وما صبرك الا بالله) أى الملك الاعظم الذى شرع لك هذا الشرع الاقوم فذلك بتوفيقه ومعونته وهذا هو السبب الكلى الاصلى ثم ذكر بعده ما هو السبب الجزئى القريب بقوله سبحانه وتعالى (ولا تحزن عليهم) أى فى شدة كفرهم فتبالغ فى الحرص الباخع للنفس (ولا تك فى ضيق) ولو قل كما أشار اليه بتنوين التحقير (مما يمكرون) أى من استهزائهم ومكرهم بك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وكانك به وقد أتى فاصبر فان الله معزك ومظهر دينك وقرأ ابن كثير بكسر الضاد والباقون بفتحها ❁(تنبيه)❁ هذا من الكلام المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة فى الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا فى الصفة فكان المعنى ولا يكن الضيق فيك الا أن الفائدة فى قوله تعالى ولا تك فى ضيق هو أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به فكانت الفائدة فى ذكر هذا اللفظ هذا المعنى المرتبة الرابعة قوله تعالى (ان الله) أى الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه (مع الذين اتقوا) أى وجد منهم الخوف من الله تعالى واجتنبوا المعاصى (والذين هم محسنون) فى أعمالهم والشفقة على خلقه وهذا يجرى مجرى التهديد لان فى المرتبة الاولى رغبة فى ترك الانتقام على سبيل الرمز وفى الثانية عدل عن الرمز

آخر فتاقى فيهم . ايوما
سحو واو لا تكرروها
لان الاولى فى الدنيا والثالثة
فى الآخرة وانا طاب فيهما
للنبى صلى الله عليه وسلم
على الرابع والمراد به غيره
كما فى آية اما يبلغن عندك

فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل قد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبابي ودعوالي بخير ثم عرج بي الى
السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد
أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي
ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل
ومن معك قال محمد فقيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بي
ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت فقال جبريل فقيل
ومن معك قال محمد فقيل قد أرسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب بي
ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل
ومن معك قال محمد فقيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي
ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابراهيم فاذا هو مسند ظهره
الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى
السدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله
ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها قال صلى الله عليه وسلم
فأوحى الى عبده ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى
موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك
فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى
ربي فقلت له أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى [illegible]
قد حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف [illegible]
لا تطيق ذلك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى [illegible]
[illegible] في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر [illegible]
[illegible]
[illegible] حتى انتهيت الى موسى [illegible]
التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق [illegible]
وروي أنه قال [illegible]
عن [illegible] واذا [illegible]
سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذان يا جبريل قال
أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الي البيت المعمور
ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت
عليها وأمتك قال ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى وساق
الحديث ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاعلى الى رياضة بصيام ولا غيره بل كان مهيأ لذلك متأهلا له فأقامه تعالى من الفرش الى العرش (من المسجد الحرام) اى بعينه وهو الذى يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل بالبراق وقيل كان نائما فى الحطيم وقيل فى بيت أم هانئ بنت أبى طالب قال البقاعى وهو قول الجمهور والمراد بالمسجد حينئذ الحرم لانه فناء المسجد (الى المسجد الاقصى) اى بيت المقدس الذى هو بعيد المسافة حينئذ وأبعد المسجدين الاعظمين مطلقا من مكة المشرفة بينهما أربعون ليلة فصلى بالانبياء كلهم ابراهيم وموسى ومن سواهما على جميعهم أفضل الصلاة والسلام ورأى من آياتنا الكبرى ما قدرناه كما سيأتى فى حديث المعراج ورجع بين أظهركم الى المسجد الاقرب منكم فى ذلك الجزء اليسير من الليل وأنتم تضربون أكباد الابل فى هذه المسافة شهرا ذهابا وشهرا ايابا ثم وصفه تعالى بما يقتضى تعظيمه وانه أهل للقصد بقوله تعالى (الذى باركنا حوله) اى بما لنا من العظمة بالمياه والاشجار وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحى ومنه يحشر الناس يوم القيامة وموطن العبادات ومعدن الفواكه والارزاق والبركات وبارك تعالى حوله لاجله فما ظنك به نفسه فهو أبلغ من باركنا فيه ثم منه الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى مالم يبلغه بشر غيره صلى الله عليه وسلم قال البقاعى ولعل حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور أفهامهم عن ادراك أدلته لو أنكر بخلاف الاسراء فانه أقام دليله عليهم بما شاهدوه من الامارات التى وصفها لهم وهم قاطعون بانه صلى الله عليه وسلم لم يرها فصل ذلك لما بان صدقه بما ذكر من الامارات أخبر بعد ذلك من أراد الله تعالى بالمعراج ثم ذكر سبحانه وتعالى الغرض من الاسراء بقوله تعالى (لنريه) بعينه وقلبه (من آياتنا) أى عجائب قدرتنا السماوية والارضية كما أرينا أباه الخليل عليه السلام ملكوت السموات والارض (انه) أى الله (هو السميع) لجميع الاقوال (البصير) أى العالم بأحوال عباده فيكرم ويقرب من شاء منهم وقيل انه أى هذا العبد الذى اختصصناه بالاسراء هو أى خاصة السميع أى اذنا وقلبا بالاجابة لنا والاذعان لاوامرنا البصير بصرا وبصيرة بدليل ما أخبر به من الآيات وصدقه من الدلالات حتى نعت ما سألوه عنه من بيت المقدس ومن أمر عيرهم وغيرهما مما هو مشهور فى قصة الاسراء واختلف هل أسرى بروحه أو جسده صلى الله عليه وسلم فعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها كانت تقول ما فقدت جسد النبى صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه والاكثرون على أنه أسرى بجسده فى اليقظة وتواترت الاخبار الصحيحة على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام أصبت الفطرة قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بى الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بى الى السماء الثانية

فيمن فيه نزعه ودفعه … اليه فدخل وقت الصلاة … الخروج فى المدينة فدخل … عليه أصحابه فرآه على … ذلك الصفة فلاموه على … ذلك فأنزل الله تعالى … يا ولك الناس محشورا

… له الذى هو أبلغ كلام غير … مستقيم اه

جالسون على عقبة ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس والله
قد أشرقت فقال آخر والله هذه العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين والاورق من الابل الذي في لونه بياض الى سواد وهو أطيب الابل
لحما كما قال الجوهري ومنها ما روى عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي وعرج
بي الى السماء فلما جئنا الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال
جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد قال فأرسل اليه قال نعم ففتح فلما علونا السماء
الدنيا فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل
شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم
وهذه الاسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن
شماله أهل النار واذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى أتى
الى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس
ابن مالك فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف
منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مر
جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بادريس قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال
فقلت من هذا قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح
قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ
الصالح قال فقلت من هذا قال عيسى ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح قال فقلت من هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة
الانصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] عن قتادة عن أنس [illegible]
[illegible] فقال جبريل [illegible]
[illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
البراق [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
فأتاه جبريل باناء [illegible] لبن [illegible] عليه [illegible]
اللبن فقال له جبريل [illegible] أصاب الله بك [illegible] ولذلك كان صلى
الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم ووصل [illegible] السماء [illegible] الى أن قال ثم عرج بي الى
سدرة المنتهى وأخبره جبريل أن أعمال بني آدم تنتهي الى السدرة وانها مقر الارواح فهي
نهاية لما ينزل مما فوقها ولما يصعد اليها مما دونها وهي مقام جبريل عليه السلام
نزل صلى الله عليه وسلم عن البراق [illegible] الرفرف [illegible] فقعد عليه [illegible]

[Marginal note:] [illegible] بالمخلوقين [illegible] الاولى (قوله [illegible]) [illegible]

ليلة أسري به الى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم ومنها
ما رواه قتادة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن
ليلة الاسراء به قال بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم
واليقظان وذكر بين رجلين وأتيت بطست من ذهب مملوء حكمة وايمانا فشق من النحر
الى مراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم حشي ثم أعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن
بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون
البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته وساق بقية الحديث ومنها ما روي أنه صلى
الله عليه وسلم كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص
القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت أم
هانئ بثوبه فقال مالك قالت أخشى أن يكذبك الناس وقومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني
فخرج اليهم وروي أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بذي طوى
قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس
وعائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فظعت
بأمري وعرفت أن الناس يكذبونني فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلا حزينا فمر به
أبو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ هل استفدت من شيء قال نعم أسري بي الليلة قال الى أين
قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فقال أبو جهل يا معشر بني كعب
ابن لؤي هلموا فانفضت اليه المجالس فجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني
قال نعم اني قد أسري بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا
قال نعم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى
رجال الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة الى بيت
المقدس قال أوقد قال ذلك قالوا نعم قال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا تصدقه على ذلك قال اني
لأصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء في غدوة أو روحة فسمي الصديق قال وفي
القوم من كان يأتي المسجد الأقصى فقالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى قال نعم
قال فذهبت أنعت وأنعت فما زلت أنعت حتى التبس علي قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه
حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب
ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهي أهم الينا هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت على عير بني
فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته
وشربته ثم وضعته كما كان فاسألوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا اليه قالوا هذه
آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان
فانكسرت يده فاسألوهما عن ذلك قالوا وهذه آية قالوا فأخبرنا عن عيرنا متى تجيء قال مررت
بها بالتنعيم قالوا فأخبرنا عن عدتها وأحمالها وهيآتها ومن فيها فقال هيئتها كذا وكذا وفيها فلان
وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه
آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيأ وبينه حتى أتوا كداء

لهما غيره وربما قالا منهما
من الشاق ما كان
ينالهما منه في حال الصغر
(قوله ولا تقربوا الزنا) هو
أعم من ان يقال ولا تزنوا
لقصد النهي عن مقدمات
الزنا كاللمس والقبلة

نهر آخر عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هو
الكوثر الذى خبأ لك ربك وذكر فى آخره ما يشبه أنه صلى الله عليه وسلم قال فى آخر الحديث
ثم علا بى حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى
فأوحى اليه وذكرت عائشة ان الذى دنا فتدلى جبريل عليه السلام وسيأتى الكلام على ذلك
ان شاء الله تعالى فى سورة النجم (فان قيل) قوله تعالى لنريه من آياتنا يدل على انه تعالى ما أراه
الا بعض الآيات لان كلمة من تفيد التبعيض وقال فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض أى ملكه فيلزم أن يكون معراج
ابراهيم أفضل من معراج محمد عليهما السلام (أجيب) بانه لما أضيفت الآيات الى الله
تعالى دل على انها أفضل مما أراه ابراهيم (تنبيه) قال النووى فى شرح مسلم قد جاء فى رواية
شريك فى حديثه أوهام أنكرها عليه العلماء فيها منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط
لم يوافق عليه وان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر
شهرا وقال الحربى كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهرى
كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين قال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد
فشا الاسلام بمكة والقبائل وقيل كان الاسراء فى رجب وقيل فى رمضان قال النووى وأشبه
الاقوال قول الزهرى وابن اسحق ومما يدل على أنه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى أسرى بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقوله صلى الله عليه وسلم
أتيت بالبراق وهو اسم للدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به
واشتقاقه من البرق لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه وتلألئه والحلقة باسكان
اللام جمعها حلق بفتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط فى الامور وتعاطى
الاسباب وان ذلك لا يقدح فى التوكل اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله فجاءنى جبريل باناء
من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه استعارة [illegible] فاخترت اللبن وقوله
جبريل اخترت الفطرة يعنى فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة الفطرة لكونه سهلا طيبا
[illegible] طاهرا سائغا للشاربين وسليم العاقبة لا قبح فيه وأما الخمر فانها أم الخبائث وجالبة
لانواع الشر فى الحال والمآل وقوله حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال
جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن ان يقول انا فلان ولا يقول انا فقط لانه مكروه [illegible] أبواب
السماء أو الباب [illegible] عليها حرسا وقوله باب السماء وقد أرسل اليه وفى الرواية الاخرى
وقد بعث اليه مقصوده للاسراء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة
والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الانبياء
فيه استحباب لقاء أهل الفضل بالصلاح والبشر والترحيب والكلام الحسن وان كان الزائر
أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان فى وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب وغيره من
أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز
الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ذهب بى الى السدرة المنتهى هكذا وقع فى
هذه الرواية بالالف واللام وفى باقى الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من

قوله عليه خيام الخ هكذا فى
النسخ ولعله محرف عن قوله
عليه حبائل من لؤلؤ وزبرجد
اه

الاولى فى التكلف وان هذا
القصص دائم فى غالب الآيات
كقوله يا أيها النبى وقوله
سبحان الذى أسرى وقوله
الذى أنزل على عبده القرآن
هذا فى مقام [illegible]
الكون [illegible]

قوله الحلقة [illegible]
والفصيح الحلقة بالتسكين اه
صحح

جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة له فأنس به فقال له لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فما منا الا له مقام معلوم وما أسرى الله بك يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل ثم ودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف والملك يمشي به الى أن ظهر لمستوى سمع فيه صرير الاقلام في الالواح وهي تكتب ما يجري به الله تعالى في خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده قال تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج بي في النور زجة فافرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره معه فعلم أن الرفرف ما تدلى الا ليكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل لما بلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف وكذلك الرفرف لما وصل الى مقام لا يتعداه زج به في النور فصار النور من جميع نواحيه وأعطى علما آخر لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني وأنا في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله الي لا انظر اليه فما سألوني عن شيء الا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل جعد كأنه من رجال شنوأة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام وعن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلى الله لي بيت المقدس وذكر الحديث وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره (فان قيل) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف تصلي الانبياء بعد الموت وهم في دار الآخرة (اجيب) بأن صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس يحتمل أن الله تعالى جمعهم له ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروره بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما حكم صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل هم أفضل منهم وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فالانبياء بعد الموت أولى وأما حكم صلاتهم فيحتمل أنها بالذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل أن الله تعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بحقائق الامور وروى عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وساق حديث المعراج بقصته قال فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان قال ما هذان يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو

طيران ذكرهما قبله بذكره وقاله في الكهف [؟] ذكره قبل وبعد ايضا لعدم [؟] أي قوله الناس على وقـ[؟] أي قوله هنا الا في قوله في هذا القرآن هنا الا في الآية الثالثة اهتماما بالتمييز لانهم المذكورون بالناس

من الآيات البينات في هذا الوقت اليسير أتبعه ما منح في السير من مصر الى الارض المقدسة
من الآيات في مدة طويلة لموسى عليه الصلاة والسلام الذي كان أعظم الأنبياء بركة على
هذه الأمة ليلة الاسراء لما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى في
تخفيف الصلاة حتى رجعت من خمسين الى خمس مع أجر خمسين فقال (وآتينا) أي بعظمتنا
(موسى الكتاب) أي التوراة (وجعلناه) أي الكتاب بما لنا من العظمة (هدى لبني
اسرائيل) بالحمل على العدل في التوحيد والاحكام وأسرينا بموسى عليه السلام وبقومه
من مصر الى بلاد المسجد الاقصى فأقاموا سائرين اليها أربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من
خرج الا المتقين الموفين بالعهد فقد بان الفضل بين الاسراءين كما بان الفضل بين الكتابين
فذكر الاسراء أولا دليل على حذف مثله أولا ٣ فالآية من الاحتباك ثم نبه على ان المراد من
ذلك كله التوحيد اعتقادا وعبادة بقوله تعالى (ألا) أي لئلا (يتخذوا) على قراءة أبي عمرو
بالياء على الغيبة وقرأ غيره بالتاء على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (من
دوني وكيلا) أي ربا تكلون اليه أموركم وذلك هو التوحيد فلا مرتبة أعلى ولا درجة
أشرف ولا نعمة أعظم من أن يصير المرء غريقا في بحر التوحيد وأن لا يتوكل في أمر من الامور
الا على الله تعالى فان نطق نطق بذكر الله وان تفكر تفكر في دلائل تنزيه الله وان طلب طلب
من الله فيكون كله لله وبالله والى الله وقوله تعالى (ذرية) نصب على الاختصاص في قراءة أبي
عمرو وعلى النداء عند الباقين أي يا ذرية (من حملنا) أي في السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك
الماء الذي طبق ما تحت أديم السماء ونبه تعالى على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله تعالى (مع
نوح) ففي ذلك تذكير بانعام الله تعالى عليهم وانجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في
السفينة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام
ويافث فالناس كلهم من ذرية أولئك قال البقاعي لان الصحيح ان من كان معه من غير ذريته
ماتوا ولم يعقبوا ولم يقل ذرية نوح ليعلم انهم عقب أولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى
ثم انه تعالى أثنى على نوح حثا على الاقتداء به في التوحيد كما اقتدى به آباؤهم في ذلك بقوله
تعالى (انه كان عبدا شكورا) أي بليغ الشكر الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله
تعالى به عليه فيما خلق له روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذي
أطعمني ولو شاء أجاعني وفي رواية انه يسمي اذا أكل ويحمد اذا فرغ واذا شرب قال الحمد لله
الذي سقاني ولو شاء أظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني واذا احتذى
قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه
في عافية ولو شاء حبسه وفي رواية انه كان يقول الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى منفعته في
جسدي وأخرج عني أذاه وفي رواية انه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من مر به
فان وجده محتاجا آثره * ولما ذكر تعالى انعامه على بني اسرائيل بانزال التوراة عليهم
وبانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد بقوله تعالى
(وقضينا) أي وأوحينا (الى بني اسرائيل) أي الى بني عبدنا يعقوب عليه السلام الذي كان
أطوع أهل زمانه وحيا مقطوعا مبتوتا ٣ (في الكتاب) أي التوراة التي قدمنا وصلناها اليهم على

٣ قوله دليل على حذف مثله أولا هكذا في الاصول التي بأيدينا والظاهر ان هنا سقطا والتقدير دليل على حذف مثله ثانيا وذكر ايتاء الكتاب ثانيا دليل على حذف مثله أولا اهـ مصححه

بلسان القال كما في المؤمن وبلسان الحال كما في سائر الموجودات اذ كل موجود يدل على قدرته تعالى وفي ذلك جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز عند الشافعي رضي الله عنه

٣ قوله مبتوتا هنا وفيما سيأتي قريبا القياس مثبتا لانه من أثبت الرباعي اهـ مصححه

المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها
من أمر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها مثل القلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة
الكبيرة التي تسع قربتين أو أكثر وقوله ثم رجعت الى ربي قال النووي معناه رجعت الى الموضع
الذي ناجيته منه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله لم أزل أرجع بين موسى وبين ربي معناه بين
موضع مناجاة ربي وقوله فقرض علي أي خمسين صلاة الى قوله فوضع عني خمسا وفي رواية
شطرها وفي رواية عشرا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس
وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهو رواية شريك ورواية الخمس رواية قتادة
وهو أثبت من شريك والمراد حط عني خمسا الى آخره ثم قال هي خمس وهي خمسون يعني خمسين
في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ
الشيء قبل فعله وفي الحديث انه شق صدره ليلة المعراج وقد شق صدره أيضا في صغره وهو عند
حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما زاده من الكرامة ليلة المعراج
وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم انه يجوز استعمال الذهب انا وليس الامر كذلك لان
هذا الفعل من فعل الملائكة وهم مباح لهم استعمال الذهب أو لعل هذا كان قبل تحريمه وقوله
ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري قد يقال الحكمة والايمان من المعاني والافراغ
صفة الاجسام فما معنى ذلك (أجيب) بانه يحتمل أنه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الايمان
والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من أحسن المجاز وقوله
في صفة آدم فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث
بانه نسم بنيه يعني أرواح بنيه (فان قيل) أرواح المؤمنين في السماء وأما أرواح الكفار فتحت
الارض السفلى فكيف تكون في السماء (أجيب) بانه يحتمل ان أرواح الكفار تعرض على
آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبر بما رأى وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على
أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على حال الكافر منهم وقوله في ادريس
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قد اتفق المؤرخون انه هو اخنوخ جد نوح فيكون
جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن
الصالح كما قال آدم وابراهيم (وأجيب) بانه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو
من ذرية ابراهيم فليس هو جد نوح قاله القاضي عياض وقال النووي ليس في هذا الحديث
ما يمنع كون ادريس أبا نبينا صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله
تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان ابنا لان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة انتهى وانما أطلت في
بيان ذلك لان الكلام مع الاحبة يحلو ولولا خوف الملل ما اقتصرت على ذلك فقد قال بعض
المفسرين لا أعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها كافة الانبياء
ما تضمنته هذه السورة ولكن في هذا القدر كفاية لاولي الالباب * ولما ثبت بهذه الخارقة
ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة وما جاءه صلى الله عليه وسلم

ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة الآية (قوله تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) ضمير فيهن عائد الى السموات والارض والتسبيح وهو التنزيه شامل للتسبيح

منكم عند ارادة القتال وغيره من المهمات والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ولما حكى الله تعالى عنهم انهم لما عصوا سلط الله عليهم اقواما
قصدوهم بالقتل والنهب والسبى ولما تابوا ازال عنهم تلك المحنة واعاد عليهم الدولة فعند ذلك
ظهر انهم ان اطاعوا الله فقد احسنوا الى انفسهم وان اصروا على المعصية فقد اساؤا على
انفسهم وقد تقرر فى العقول ان الاحسان الى النفس حسن مطلوب وان الاساءة اليها قبيحة
فلهذا المعنى قال تعالى (ان احسنتم) اى بفعل الطاعة على حسب الامر فى الكتاب الداعى الى
العدل والاحسان (احسنتم لانفسكم) اى لان ثوابها لها (وان اسأتم) بارتكاب المحرمات
والافساد (فلها) اى الاساءة لان وبالها عليها قال النحويون وانما قال وان اسأتم فلها للتقابل
والمعنى فاليها او فعليها كما فى [illegible] ان حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى
يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها اى اليها * (تنبيه) * قال اهل الاشارات هذه الآية
تدل على ان رحمة الله غالبة على غضبه بدليل انه تعالى لما حكى عنهم الاحسان اعاده مرتين
فقال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر على ذكرها مرة
واحدة فقال تعالى وان اسأتم فلها ولولا ان جانب الرحمة غالب والا لما كان كذلك ثم قال
(فاذا جاء وعد الآخرة) اى ثانية فى الافساد وهو الوقت الذى حدد للانتقام [illegible]
(ليسوؤا) اى بعثناهم عليكم عبادا لنا ليسوؤا (وجوهكم) اى ليجعلوا آثار الاساءة بادية فيها
وحذف متعلق اللام لدلالة الاول عليه وقرأ الكسائى بعد اللام نون مفتوحة على
التوحيد والضمير فيه لله والباقون بالياء المفتوحة واما الهمزة التى بعد الواو التى بعد السين
فقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص بضم الهمزة ومدها والباقون بفتح الهمزة ولا مد
وقوله تعالى (وليدخلوا المسجد) عطف على ليسوؤا والمراد بيت المقدس لا مسجد الاقصى كما كم
[illegible] فى تلك المدة الطوال واعطيناكم [illegible]
[illegible] الاكرام [illegible] الامر [illegible]
[illegible]
[illegible]
هذا الدين الكريم [illegible] (كما دخلوه) اى الاعداء (اول مرة) [illegible]
[illegible] (وليتبروا) اى ليهلكوا ويدمروا [illegible]
(ما علوا) اى [illegible] (تتبيرا) اى اهلاكا قال الزجاج
كل شئ جعلته مكسرا ومفتتا فقد تبرته ومنه قيل تبر الزجاج وتبر الذهب لمكسره ومنه قوله
تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال الرازى وهذه المرة الاخيرة هى
اقدامهم على قتل زكريا ويحيى عليهما السلام قال البيضاوى فسلط الله عليهم الفرس
مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل بردوس قيل دخل
صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم
يقبل منا فقال ما صدقتمونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت
منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى اى خطابا للدم

[illegible] كذا ولاجل
[illegible]
[illegible]
(قوله) [illegible]
[illegible]
[illegible]
لان الاولى [illegible]
فى الدنيا [illegible]

قوله والا لما كان كذا الصواب
والمناسب حذف والا اه
مصحح

لسان موسى عليه السلام وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله تعالى (لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن (في الارض) أي أرض الشام قاله السيوطي وقال الرازي أرض مصر ويوافق الاول قول البقاعي أي المقدسة التي كأنها لشرفها هي الارض (مرتين) اي افسادتين قال في الكشاف اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والاخرى قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم وقال البيضاوي الاولى مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا وقيل أرميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن) أي بما صرتم اليه من البطر لنسيان المنعم (علوا كبيرا) بالظلم والتمرد لانه يقال لكل متجبر قد علا وتعظم (فاذا جاء وعد اولاهما) اي أول مرتي الفساد وهو الوقت الذي حددناه لهم الانتقام فيه (بعثنا عليكم عبادا لنا) اي لاجل ان لكم بهم كما قال تعالى (اولى باس شديد) اي اصحاب قوة في الحرب واختلف فيهم فقال في الكشاف سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وقال ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا وقال البيضاوي عبادا لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الخزري وهو بختنصر أي منسوب الى الخزر وهو ضيق العين وصغرها وهو الذي قتله داود وقيل جالوت من الناس وذكر الرازي في ذلك قولين الاول ان الله تعالى سلط عليهم بختنصر فقتل منهم أربعين ألفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى أرض نفسه فبقوا هناك في الذل الثاني ان الله تعالى ألقى الرعب من بني اسرائيل في قلوب المجوس فلما كثرت المعاصي فيهم أزال الله ذلك الرعب عن قلوب المجوس فقصدوهم وبالغوا في قتلهم وافنائهم واهلاكهم وأخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال افسدوا المرة الاولى فارسل الله عليهم جالوت فقتلهم وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم بختنصر وعن ابن مسعود قال كان أول الفساد من قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك القبط وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال الاولى قتل زكريا والاخرى قتل يحيى قال الرازي واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الاقوام باعيانهم بل المقصود هو انهم لما أكثروا من المعاصي سلط الله عليهم أقواما فقتلوهم وافنوهم ثم قال الله تعالى (فجاسوا) أي ترددوا لطلبكم (خلال الديار) أي وسطها للقتل والغارة قال البيضاوي فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك أولوا البعث بالتخلية انتهى وفي ذلك تعريض بالزمخشري فانه قال في كشافه (فان قلت) كيف جاز ان يبعث الله تعالى الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وجل اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (وكان) أي ذلك البعث ووعد العقاب به (وعدا مفعولا) أي قضاء كائنا لازما لاشك في وقوعه ولابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أي الدولة والغلبة (عليهم) حتى تبتم عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد في زمن داود بقتله جالوت وذلك بعد مائة سنة (وأمددناكم بأموال) تستعينون بها على قتال عدوكم (وبنين) تتقوون بهم (وجعلناكم أكثر) من عدوكم (نفيرا) أي عشيرة تنفر

(ان قلت) يمنع من شموله الثاني قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم لانه مفقود فيها (قلت) الخطاب فيه للكفار وهم لم يفقهوا تسبيح الموجودات لانهم اثبتوا لله شركا وزوجا وولدا

سبيل التجديد والاستمرار والبناء على العلم (الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم أجرا
كبيرا) هو الجنة والنظر الى وجه الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وسكون الباء
الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشددة (فان
قيل) قال هنا أجرا كبيرا وفي الكهف أجرا حسنا (أجيب) بوقوع ذلك موافقة للفواصل
قبل وبعد في كل منهما * الصفة الثالثة قوله تعالى (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا) أي
أحضرنا وهيأنا (لهم عذابا أليما) وهو النار في الآخرة وهو عطف على أن لهم أجرا كبيرا
والمعنى أنه تعالى بشر المؤمنين بنوعين من البشارة بثوابهم وبعقاب أعدائهم نظيره قولك
بشرت زيدا بانه سيعطى وبان عدوه سيمنع (فان قيل) كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب (أجيب)
بأن هذا مذكور على سبيل التهكم أو انه من باب اطلاق أحد الضدين على الآخر كقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها أو عطف على يبشر باضمار يخبر (فان قيل) هذه الآية واردة في شرح أحوال
اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة (أجيب) بأن أكثر اليهود ينكرون الثواب
والعقاب الجسمانيين وبأن بعضهم قال لن تمسنا النار الا أياما معدودات فهم بهذا القول صاروا
كالمنكرين للآخرة * ولما بين سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والانسان
قد يقدم على ما لا فائدة فيه نبه بقوله تعالى (ويدع الانسان بالشر) عند ضجره على نفسه وأهله
وماله (دعاءه) أي مثل دعائه (بالخير) ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك روي أن
النبي صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فسألته ماله فشكا
فرحمته فأرخت كتافه فهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع أن يقطع الله تعالى يديها فقال النبي صلى
الله عليه وسلم وقال اللهم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له
وقيل المراد النضر بن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك الآية فأجاب الله تعالى دعاءه وضربت رقبته يوم بدر صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا
بما تعدنا وآخرون يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك للجهل ولاعتقاد
ان محمدا كاذب وقيل المراد أن الانسان قد يبالغ في الدعاء طلبا للشيء يعتقد أن
خيره فيه مع أن ذلك الشيء يكون منبع شره وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما
يقدم على مثل هذا العمل لكونه عجولا مغترا بظواهر الامور غير متفحص عن حقائقها
وأسرارها كما قال تعالى (وكان الانسان) أي الجنس (عجولا) أي يسارع الى كل ما يخطر بباله
ولا ينظر الى عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط
(تنبيه) حذفت واو يدع أي التي هي لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب
لحذفها لفظا في العربية لانها لما كانت لا تظهر في اللفظ حذفت في الخط ونظيره قوله تعالى
سندع الزبانية وسوف يؤت الله المؤمنين ويوم يناد المنادي فما تغن النذر قال الفراء ولو كتب
ذلك بالواو والياء لكان صوابا وقال الرازي أقول هذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد عصم هذا
القرآن المجيد عن التحريف والتغيير فان اثبات الواو والياء في أكثر ألفاظ القرآن وعدم
اثباتها في هذه المواضع المعدودة يدل على أن هذا القرآن نقل كما سمع وان أحدا لم يتصرف

قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله قبل أن لا يبقى أحد منهم فهدأ أي سكن وقال الواحدي فبعث الله تعالى عليهم بختنصر البابلي المجوسي أبغض خلقه اليه فسبى بني اسرائيل وخرب بيت المقدس قال الرازي أقوال التواريخ تشهد ان بختنصر كان قبل وقت عيسى ويحيى وزكريا بسنين متطاولة ومعلوم ان الملك الذي انتقم من اليهود ملك الروم يقال له قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم ولا يتعلق غرض من أغراض تفسير القرآن بمعرفة أعيان هؤلاء الأقوام انتهى * ولما انقضى ذلك كان كأنه قيل هل بقي لهم نصرة على عدوهم فقال تعالى (عسى ربكم أن يرحمكم) يابني اسرائيل بعد انتقامه منكم فترد الدولة اليكم ثم بعد أن أطمعهم فزعهم بقوله تعالى (وان عدتم) أي الى المعصية (عدنا) أي الى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى قال القفال انما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الأعراف خبرا عن بني اسرائيل واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم قال وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء ثم الباقي منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان ثم قال تعالى (وجعلنا) أي بعد ذلك بعظمتنا (جهنم) أي التي تلقى داخلها بالتجهم والكراهة (للكافرين) وذكر الوصف الظاهر موضع الضمير لبيان تعلق الحكم به على سبيل الرسوخ سواء في ذلك هم وغيرهم وقوله تعالى (حصيرا) يحتمل أن يكون فعيلا بمعنى الفاعل أي جعلناها حاصرا لهم ويحتمل أن يكون بمعنى مفعول أي جعلناها موضعا محصورا لهم والمعنى ان عذاب الدنيا وان كان شديدا قويا الا انه قد يتفلت بعض الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص منه اما بالموت واما بطريق آخر وأما عذاب الآخرة فانه يكون حاصرا للانسان محيطا به لا رجاء في الخلاص عنه فهؤلاء الأقوام لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة ما يكون محيطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه أبدا * ولما بين سبحانه وتعالى كتاب موسى عليه السلام الذي أنزل عليه فعصاه بنو اسرائيل ومحا بيت المقدس في تلك المدة المتطاولة وجعله هدى لبني اسرائيل صادق الوعد والوعيد بين تعالى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه نبذة سبب مسيره اليه في ذلك ووصفه بثلاثة أنواع من الصفات الأولى قوله تعالى (ان هذا القرآن) أي الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس (يهدي للتي) أي الى الطريق التي (هي أقوم) أي أصوب من كل طريق فقوله تعالى للتي هي أقوم نعت لموصوف محذوف كما تقرر ويصح أن يقدر الملة والشريعة أي يهدي الى الملة والشريعة التي هي أقوم الملل والشرائع ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال في القرآن كقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن وقيل الى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا اله الا الله * (تنبيه) * لفظ أفعل قد جاء بمعنى الفاعل كقوله الله أكبر أي الله الكبير وكقولنا الأشج والناقص أعدلا بني مروان فأقوم يحتمل أن يكون كذلك وأن يبقى على ظاهره * الصفة الثانية قوله تعالى (ويبشر المؤمنين) أي الراسخين في هذا الوصف ولهذا قيدهم بيانا لهم بقوله (الذين) أي يصدقون ايمانهم بأنهم (يعملون) أي على

من كلام البعث والثانية من كلام الله حين جازاهم على كفرهم وانكارهم البعث فقال مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا الآية وقال هنا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وفي الكهف ذلك

الاشياء النافعة لهم في الدنيا والدين مثل آيتي الليل والنهار وغيرهما كان منعما عليهم بوجوه
النعم وذلك يقتضي وجوب اشتغالهم بخدمته وطاعته فلا جرم كل من ورد عرصة القيامة فإنه
يكون مسؤولا عن أعماله وأقواله كما قال تعالى (وكل انسان ألزمناه) أي بعظمتنا (طائره) أي
عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر لأن العرب كانوا اذا أرادوا الاقدام على عمل من الاعمال
وأرادوا أن يعرفوا أن ذلك العمل يسوقهم الى خير أو الى شر اعتبروا أحوال الطير وهو
انه يطير بنفسه أو يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهو يطير متيامنا أو متياسرا أو صاعدا الى
الجو الى غير ذلك من الاحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد منها على أحوال
الخير والشر والسعادة والنحوسة فلما كثر ذلك منهم سموا نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء
باسم لازمه فقوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه أي وكل انسان ألزمناه عمله (في
عنقه) الذي هو محل التزين بالقلادة ونحوها ومحل الشين بالغل ونحوه فان كان عمله خيرا كان
كالقلادة والحلي في العنق وهذا مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل في عنقه وهو مما يشينه
وقال مجاهد ما من مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد قال الرازي
والتحقيق في هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار مخصوص من
العقل والفهم والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه أن يتجاوز ذلك
المقدار وأن ينحرف عنه بل لا بد وأن يصل اليه ذلك القدر بحسب الكمية والكيفية
فتلك الاشياء المقدرة كأنها تطير اليه وتصير اليه فلهذا المعنى لا يبعد أن يعبر عن تلك الاحوال
المقدرة بلفظ الطائر فقوله تعالى ألزمناه طائره في عنقه كناية عن كل ما قدره الله تعالى ومضى في علمه
حصوله فهو لازم له وواصل اليه غير منحرف عنه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم جف
القلم بما هو كائن الى يوم القيامة انتهى ملخصا ثم قال تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا) أي
مكتوبا فيه عمله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك
ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن
شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج
لك يوم القيامة ونحوه قوله (يلقاه منشورا) صفتان لكتابا وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح اللام
وتشديد القاف على البناء للمفعول من لقيته كذا أي استقبلته به والباقون بفتح الياء
وسكون اللام وتخفيف القاف وأمال الالف بعد القاف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه اذا لقي كتابه يوم القيامة يوم العرض قيل له (اقرأ كتابك)
أي بنفسك (كفى بنفسك اليوم) الذي تنكشف فيه الستور وتظهر جميع الامور (عليك
حسيبا) أي حاسبا بليغا فانك تعطى القدرة على قراءته أميا كنت أو قارئا ولا ترى فيه زيادة ولا
نقصا ولا تقدر أن تنكر منه حرفا وان أنكر لسانك شهدت عليك أركانك فيا لها من قدرة
باهرة وقوة قاهرة ونصفة ظاهرة قال الحسن عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك
وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت أنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي
فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (فان قيل) قد قال تعالى وكفى بنا حاسبين
فكيف الجمع في ذلك (أجيب) بأن المراد بالحسيب هنا الشهيد أي كفى بنفسك اليوم شاهدا

(ان قلت) لم خص ذلك
بالذكر (قلت) لانه أجرى على
عادتهم من التيمن [illegible]
بالسانح والتشاؤم [illegible]
والشمال [illegible]
[illegible]

فيه بقدار فهمه وقوة عقله ولما بين تعالى ما أوصل من نعم الدين وهو القرآن أتبعه بما أوصل اليهم من نعم الدنيا فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على تمام العلم وشمول القدرة آية الليل كالآيات المتشابهة وآية النهار كالمحكمة فكما أن المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به الا بهاتين الآيتين (فمحونا) أي بعظمتنا الباهرة (آية الليل) أي طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه فجعلناها لا يبصر فيها المرئيات كما لا يبصر الكتاب اذا محي (وجعلنا) بما لنا من القدرة (آية النهار مبصرة) أي مبصرا فيها بالضوء فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور الى ظلمة ومن الظلمة الى النور وكان الانسان بجهلته التي يدعو اليها طبعه وتأنيه الداعي اليه عقله من انتقال من نقصان الى كمال ومن كمال الى نقصان كما أن القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزأ ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزأ فجعلها مع نور الشمس وحكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواء عليا رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر قال هو أثر المحو ه (تنبيه) ه المراد من الآيتين نفس الليل والنهار فالاضافة للبيان أي انه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا أما الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام وهو من أقوى الدلائل على أنهما غير موجودين بذاتهما بل لا بد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلأن مصالح الدنيا لا تتم الا بالليل والنهار فلولا الليل ما حصل السكون والراحة ولولا النهار لما حصل الكسب والتصرف وقيل الليل والنهار ظرفان والتقدير وجعلنا آيتين في الليل والنهار والمراد بالآيتين على هذا الشمس والقمر وأما تكوير هذا على هذا وهذا على هذا ثم ذكر تعالى بعض المنافع المرتب على ذلك بقوله تعالى (لتبتغوا) أي تطلبوا طلبا شديدا (فضلا من ربكم) أي المحسن اليكم فيهما بضياء هذا تارة ونور هذا أخرى (ولتعلموا) بفصل هذا عن هذا (عدد السنين والحساب) لأن الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والأيام والشهور والسنين والعدد للسنين والحساب لما دون السنين وهي الشهور والأيام والساعات وبعد هذه المراتب الأربعة لا يحصل الا التكرار كما أنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف وليس بعدها الا التكرار ولما ذكر تعالى أحوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وقد ذكر تعالى في آيات كثيرة منافعهما كقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وكقوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وشرح تعالى حالهما وفصل ما فيهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق كان ذلك تفصيلا نافعا وبيانا كاملا فلا جرم قال تعالى (وكل شيء) أي لكم اليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) أي بيناه تبيينا وهو كقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وكقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقوله تدمر كل شيء بأمر ربها وانما ذكر تعالى تفصيلا لأجل توكيد الكلام وتقريره فكأنه قال فصلناه تفصيلا ولما بين تعالى انه أوصل الى الخلق أصناف

بالمنافات في قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ليكون الوعد والوعيد ظاهرين للمستمعين (قوله والقمر فطلا بعض الشين) على بعض وآشفادا ودنبوا)

قسم عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء بنظر وقسم أشرك عن تقليد محض وقسم لم الحق
عانده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجوده عن نظر قاصر اضعف في مزاجه
قسم أشرك عن نظر أخطأ فيه وقسم عطل بعدما أثبت لا عن نظر بلغ فيه أقصى القوة هكذا
قسم محي الدين بن عربي في الباب العاشر من الفتوحات المكية نقل ذلك عنه شيخ وقته الشيخ
عبد الوهاب الشعراني ونقل عن السيوطي ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغهما الدعوة
الله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا
يعذب ويدخل الجنة قال وهذا مذهب لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه
والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الامام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الاصحاب
قال السيوطي وقد ورد في الحديث أن الله تعالى أحياهما له حتى آمنا به وعلى ذلك جماعة
من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وأبو القاسم بن عساكر وأبو حفص بن شاهين والسهيلي
والقرطبي والطبري وابن المنير وابن سيد الناس وابن ناصر الدين الدمشقي والصفدي وغيرهم
والاولى لنا الامساك عن ذلك فان الله تعالى لم يكلفنا بذلك ونكل الامر في ذلك الى الله تعالى
ونقول كما قال النووي لما سئل عن طائفة ابن عربي تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم
ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولما أشار تعالى الى عقاب الخالية وأسبابه وعرف
أنه بتقديره وان قدره لا يمنع حقوق العذاب بقوله تعالى (واذا أردنا) أن نهلك قرية الحياة
الطيبة في الدنيا والآخرة ألقينا في قلوب أهلها امتثال أوامرنا والتقيد باتباع رسلنا واذا
أردنا (ان نهلك قرية) في الزمن المستقبل (أمرنا) أي بما لنا من القدرة التامة التامة
(مترفيها) أي منعميها الذين لهم الامر والنهي بما لا يكون أمرهم الله تعالى بالطاعة والخير
على لسان رسله (ففسقوا فيها) أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله وقال صاحب الكشاف ظاهر
اللفظ يدل على أنه تعالى يأمرهم بالفسق فيفسقون الا أن هذا مجاز ومعناه أنه يفتح عليهم
أبواب الخيرات والراحات فعند ذلك تمردوا وطغوا وبغوا قال والدليل على أن ظاهر اللفظ
يقتضي ما ذكرناه ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته
فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور به قيام وقراءة فكذا هنا لما قال أمرناهم ففسقوا وجب
أن يكون المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا لا يقال يشكل هذا بقولهم أمرته فعصاني وخالفني
فان هذا كلام لا يفهم منه أني أمرته بالمعصية والمخالفة لانا نقول ان المعصية منافية للامر
ومناقضة له فيكون كونها مأمورا بها محالا فلهذه الضرورة ترك هذا الظاهر انتهى قال
الرازي ولقائل أن يقول كما أن قوله أمرته فعصاني يدل على أن المأمور به شيء غير المعصية من
حيث ان المعصية منافية للامر ومناقضة له فكذلك قوله أمرته ففسق يدل على ان المأمور به
غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضده فكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به كما أن كونه
معصية ينافي كونها مأمورا بها فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق
وهذا الكلام في غاية الظهور ولم أدر لم أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت
أن الحق ما ذكره الكل وهو أن المعنى أمرناهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة والقوم
خالفوا ذلك الامر عنادا وأقدموا على الفسق (فحق عليها القول) أي الذي توعدناهم به على

كالعباس والفضل أو بكونه
هذا هو في آية بعض الزبور
وهي الكتب أو أراد به
ما فيه ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم من الزبور وهي بعض
الزبور زبورا كما هي بعض
القرآن قرآنا قال تعالى

عليك أو ان القيامة مواقف مختلفة ففي موقف يكل الله تعالى حسابهم الى أنفسهم وعلمه محيط بهم وفي آخر يحاسبهم هو وقوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له لا ينجي غيره (ومن ضل فانما يضل عليها) أي اثمه عليها فلا يضر في ضلاله سواه كما قال الكلبي دلالة على ان العبد متمكن من الخير والشر وانه غير مجبور على عمل بعينه أصلا لان قوله تعالى من اهتدى الى آخره انما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد أما المجبور على احد الطرفين الممنوع عن الطرف الثاني فهذا لا يليق به هذا مذهب أهل السنة والجماعة فاتبعه ترشد ثم انه تعالى أعاد تقرير أن كل أحد مختص بأثر عمل نفسه بقوله تعالى (ولا تزر) أي نفس (وازرة) أي آثمة أي لا تحمل (وزر) نفس (أخرى) بل انما تحمل وزرها فقط (فان قيل) ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم فاذا لم يوف يؤخذ من سيآت المظلوم وتطرح على الظالم (أجيب) بأن ذلك بسببه فهو كفعله (فان قيل) قد ورد أن الميت يعذب ببكاء أهله (أجيب) بأن ذلك محمول على ما اذا أوصى بذلك وكان ذلك الفعل كقول طرفة بن العبد

اذا مت فانعيني بما أنا أهله * وشقي على الجيب يا ابنة معبد

وعليه حمل الجمهور الاخبار الواردة بتعذيب الميت على ذلك (فان قيل) ذنب الميت فيما اذا أوصى أو أمر بذلك فلا يختلف عذابه بامتثالهم وعدمه (أجيب) بأن الذنب على السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده من سن سنة سيئة الخ وقال الشيخ أبو حامد ان ماذكر محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ثم قال تعالى (وما كنا) أي على ما لنا من القدرة (معذبين) أحدا (حتى نبعث رسولا) يبين له ما يجب عليه فمن بلغته دعوته فخالف أمره واستكبر عن اتباعه عذبناه بما يستحقه وهذا أمر قد تحقق بارسال آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم قال تعالى ولقد أرسلنا في كل أمة رسولا وقال تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فان دعوتهم الى الله تعالى قد انتشرت وعمت الاقطار واشتهرت (فان قيل) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله تعالى وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستحقاقهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (أجيب) بان بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين فهلا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل وفي الآية دليل على أن لا وجوب قبل الشرع * (فائدة) * في حكم أهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة عشر قسما ستة سعداء وأربعة أشقياء وثلاثة تحت المشيئة * فأما السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة فانه كان يقول اذا سئل هل لهذا العالم اله البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه وقسم ألقى في نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به في عالم الغيب وقسم اتبع ملة حق ممن تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران * وأما الاشقياء فقسم عطل لا عن نظر بل عن تقليد

وقال يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية (ان قلت) لم نكر الزبور هنا وعرفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور (قلت) يجوز أن يكون الزبور من الاعلام التي تستعمل بال وبدونها

عبودية وخدمة ولكن غاية قدرتنا أن نشتغل بعبادة بعض المقربين من عباد الله بأن
نشتغل بعبادة كوكب أو ملك من الملائكة ثم ان الملك أو الكوكب يشتغل بعبادة الله تعالى
فهؤلاء يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق وهذه طريقة فاسدة فلاجرم أنه لم ينتفع بها ثانيها
انهم قالوا اتخذنا هذه التماثيل على صورة الانبياء والاولياء والمراد من عبادتها أن تصير تلك
الانبياء والاولياء شفعاء لنا عند الله وهذا الطريق أيضا فاسد فلاجرم لم ينتفع بها ثالثها أنه
نقل عن أهل الهند أنهم يتقربون الى الله تعالى بقتل أنفسهم تارة وباحراق أنفسهم أخرى وهذه
الطريقة أيضا فاسدة فلاجرم لم ينتفع بها وكذا القول في جميع الفرق المبطلين الذين يتقربون
الى الله تعالى بمذاهبهم الباطلة الثالث قوله تعالى (وهو مؤمن) لان الشرط في كون أعمال البر
مقتضية للثواب هو الايمان فاذا لم يوجد لم يحصل المشروط وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه
ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ثم انه تعالى أخبر عند
وجود هذه الشروط بقوله تعالى (فأولئك) أى العالو الرتبة لجمعهم الشرائط الثلاثة (كان
سعيهم مشكورا) أى مقبولا مثابا عليه بالتضعيف وبعضهم يفتح له أبواب الدنيا مع ذلك
كداود وسليمان عليهما السلام ويستعمله فيما يعانيه مرضاة الله تعالى وبعضهم يزوى عنه
كرامة له لا هوانا به فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده فالحاصل أنه ان وجدت عنده
الدنيا لم تضره وان عدمت عنه لم تضره وانما التشريف وغيره عند الله تعالى بالاعمال

(تنبيه) كل من أتى بفعل فاما أن يقصد به تحصيل خيرات الدنيا واما أن يقصد به خيرات
الآخرة واما أن يقصد به مجموعهما واما أن لا يقصد به واحدا منهما فان قصد به تحصيل الدنيا
فقط أو تحصيل الآخرة فقط فالله ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية وأما القسم الثالث
فينقسم الى ثلاثة أقسام لانه اما أن يكون طلب الآخرة راجحا أو مرجوحا أو يكون الطلبان
متعادلين فان كان طلب الآخرة راجحا فهل يكون هذا العمل مقبولا عند الله تعالى فيه رأيان
أحدهما أنه غير مقبول لقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى أنه قال أنا أغنى الاغنياء
عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه وأيضا طلب رضوان الله اما أن يكون
سببا مستقلا لكونه باعثا على ذلك الفعل وداعيا اليه واما أن لا يكون فان كان الاول
امتنع أن يكون لغيره مدخل في ذلك البعث والدعاء لان الحكم اذا أسند الى سبب تام كامل
امتنع أن يكون لغيره مدخل فيه وان كان الثاني فيكون الداعي الى ذلك الفعل هو المجموع
وذلك المجموع ليس هو طلب رضوان الله لان المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب أن
يكون مغايرا لطلب رضوان الله فوجب أن لا يكون مقبولا الرأي الثاني أنه مقبول لان طلب
الآخرة لما كان راجحا على طلب الدنيا تعارض المثل بالمثل فبقي القدر الزائد داعية خالصة
لطلب الآخرة فوجب كونه مقبولا وأما اذا كان طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين أو كان
طلب الدنيا راجحا فقد اتفقوا على أنه غير مقبول الا أنه على كل حال خير مما اذا كان طلب الدنيا
خاليا بالكلية عن طلب الآخرة وأما القسم الرابع وهو الاقدام على الفعل من غير داع فهذا
مبني على أن صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي أم لا فالذين يقولون انه
يتوقف على حصول الداعي قالوا هذا القسم ممتنع الحصول والذين قالوا لا يتوقف قالوا هذا

الضمير لما أتى به والمراد
فيهما قل ادعوا الذين
زعمتموهم آلهة من دونه
الله أى غيره اشفعوا لكم كشف
ضركم (فان قلت) كيف
قال من دونه مع ان المشركين
مازعموا غير الله الا دونه

لسان رسولنا (فدمرناها تدميرا) أي أهلكناها باهلاك أهلها وتخريب ديارهم وخص
المترفين بالذكر لأن غيرهم يتبعهم ولأنهم أسرع الى الحماقة وأقدر على الفجور وقيل معناه كثرنا
وروى الطبراني وغيره حديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج والسكة
بكسر السين وتشديد الكاف الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة قال ذلك الجوهري
وروى أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمرك هذا حقيرا
فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأمر أي سيكثر ويكبر وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي
الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد
اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين اصبعيه الابهام والتي تليها
قالت زينب قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث أي الشر وويل
يقال لمن وقع في مهلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله تعالى (وكم أهلكنا) أي بما لنا من العظمة
وبين مدلول كم بقوله تعالى (من القرون) أي المكذبين (من بعد نوح) كعاد وثمود من الامم
الماضية يخوف به الكفار أي كفار مكة قال عبد الله بن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة
وقيل مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم
وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم مازلنا نعد له حتى تمت له
مائة سنة ثم مات وقال الكلبي القرن ثمانون سنة وقيل أربعون ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم (وكفى بربك) أي المحسن اليك (بذنوب عباده خبيرا بصيرا) أي عالما ببواطنها
وظواهرها فكم من انسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم استقرت عاقبته على خلاف ذلك
وكم من شخص ترونه مجتهدا في العبادة فاذا خلا بارز ربه بالعظائم وتقديم الخبير لتقديم متعلقه
* ولما قرر أنه سبحانه وتعالى عالم ببواطن عباده وظواهرهم قسمهم الى قسمين الاول قوله تعالى
(من كان يريد العاجلة) أي الدنيا مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها) أي العاجلة بأن نفيض
عليه من منافعها (ما نشاء) أي من البسط والتقتير (لمن نريد) أي أن نفعل به ذلك فقيد تعالى
الامر بقيدين أحدهما تقييد المعجل بارادته ومشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا
الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثير منهم يتمنون ذلك
البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة * (تنبيه) * لمن نريد بدل بعض من
كل من الضمير في له باعادة العامل تقديره لمن نريد تعجيله ويقال ان الآية في المنافقين كانوا
يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها وهذا هو
المناسب لقوله تعالى (ثم جعلنا له جهنم يصلاها) أي في الآخرة (مذموما) أي مفعولا به الذم
(مدحورا) أي مدفوعا مطرودا مبعدا وان ذكره البيضاوي بصيغة قيل * ثم ذكر تعالى القسم
الثاني وشرط فيه ثلاثة شروط الاول قوله تعالى (ومن أراد الآخرة) أي أراد بعمله ثواب
الآخرة فانه ان لم يرد ذلك لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وقوله
صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الثاني قوله تعالى (وسعى لها سعيها) وذلك يقتضي أن
يكون ذلك العمل من باب القرب والطاعات وكثير من الضلال يتقربون بعبادة الاوثان ولهم
فيها تأويلات أحدها انهم يقولون اله العالم أجل وأعظم من أن يقدر الواحد منا على اظهار

سبب عن الاول كما تقرر * ولما ذكر تعالى ما هو الركن الاعظم في الايمان أتبعه بذكر ما هو من
شعائر الايمان وشرائعه وذلك أنواع الاول أن يشتغل الانسان بعبادة الله تعالى و يحترز عن
عبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى (وقضى) أي أمر (ربك) أي المحسن اليك وقوله
تعالى (الا تعبدوا) أي أنت وجميع أهل دعوتك وهم جميع الناس (الا اياه) فيه وجوب
عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم
ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله تعالى فكان هو
المستحق للعبادة لا غيره * (تنبيه) * روى ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية
كان الاصل ووصى ربك فالتصقت احدى الواوين بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان
على القضاء ما عصى الله أحد قط لان خلاف قضاء الله ممتنع وهذا القول كما قاله الرازي بعيد
جدا اذ لو فتح هذا الباب لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن
عظيم في الدين ويندفع ما قاله بما فسر قضى به * ولما أمر تعالى بعبادة نفسه أتبعه بالامر ببر
الوالدين بقوله تعالى (وبالوالدين) أي وأحسنوا بالوالدين أو وأوقعوا الاحسان بهما (احسانا) أي بأن
تبروهما ليكون الله معكم فانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون * (تنبيهان) * أحدهما
المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى والامر ببر الوالدين من وجوه الاول أن السبب الحقيقي
لوجود الانسان هو تخليق الله تعالى وايجاده والسبب الظاهري هو الابوان فأمر الله تعالى
بتعظيم السبب الحقيقي ثم أتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهري الثاني ان الموجود اما قديم
واما محدث ويجب أن تكون معاملة الانسان مع الموجود القديم بالتعظيم والعبودية ومع
المحدث باظهار الشفقة وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله واحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة انعامهما على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه اشارة الى التعظيم لامر الله تعالى وقوله تعالى وبالوالدين احسانا اشارة الى
الشفقة على خلق الله الثالث ان الاشتغال بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق
سبحانه وتعالى وقد يكون بعض المخلوقين منعما عليك وشكره ايضا واجب لقوله صلى الله عليه
وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد من الخلائق نعمة على الانسان مثل ما للوالدين
لان الولد قطعة من الوالدين قال النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وأيضا شفقة الوالدين على
الولد عظيمة وايصالهما الخير الى الولد أمر طبيعي واحترازهما عن ايصال الضرر اليه أمر
طبيعي أيضا فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة بل هي أكثر من كل نعمة تصل من
الانسان الى الانسان وأيضا حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام
الابوين في ذلك الوقت واصلا الى الولد واذا وقع الانعام على هذا الوجه كان موقعه عظيما
وأيضا فايصال الخير الى الغير قد يكون لداعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا
الغرض فكان الانعام فيه أتم وأكمل فثبت بهذه الوجوه أنه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على
غيره مثل ما للوالدين على الولد فلهذا بدأ الله بشكر نعمة الخالق وهو قوله تعالى وقضى ربك أن
لا تعبدوا الا اياه ثم أردفه بشكر نعمة الوالدين وهو قوله تعالى وبالوالدين احسانا (فان
قيل) الوالدان انما طلبا تحصيل اللذة لانفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله

الفعل لا أثر له في الباطن وهو محرم في الظاهر لانه عبث * ثم انه تعالى قال (كلا) أي من الفريقين مريد الدنيا ومريد الآخرة (نمد) أي بالعطاء ثم أبدل من كلا قوله تعالى (هؤلاء) أي الذين طلبوا الدنيا فقط (وهؤلاء) أي الذين طلبوا الآخرة فقط (من عطاء ربك) أي المحسن اليك ان ضيق على مؤمن فبالحماية من الدنيا الفانية التي انما هي لعب ولهو وان وسع فبالاستعمال فيها على حسب ما يرضيه (وما كان عطاء ربك) أي الموجد لك المدبر لامرك (محظورا) أي ممنوعا في الدنيا عن مؤمن ولا كافر بل هو ملء السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والثمار وأقوات الناس والبهائم وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى حتى لو اجتمع كل الناس على جمعه ليلا ونهارا ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لاعياهم ولم يقدروا عليه فسبحان الجواد المعطي المانع ثم انه تعالى أمر بالنظر في عطائه هذا على وجه مرغب في الآخرة مزهد في الدنيا بقوله تعالى (انظر) أي أيها الانسان أو يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فأوسعنا على مؤمن وقترنا على مؤمن آخر وأوسعنا على كافر وقترنا على كافر آخر وبين سبحانه وتعالى وجه الحكمة في التفاوت في سورة الزخرف بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية وقال تعالى في آخر سورة الانعام ورفع بعضكم فوق بعض درجات * (تنبيه) * كيف نصب اما على التشبيه بالظرف واما على الحال وهي معلقة لانظر بمعنى فكر وأبصر ولما نبه تعالى على ان ما نراه من التفضيل انما هو ببعض قدرته أخبر أن ما بعد الموت كذلك بقوله تعالى (وللآخرة أكبر) أي أعظم (درجات وأكبر تفضيلا) من درجات الدنيا ومن تفضيلها فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فان كان الانسان تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبأن تقوى رغبته في طلب الآخرة أحرى لانها دار القامة روى أن قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله تعالى عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولما بين تعالى ان الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا فقط وهم أهل العذاب ومنهم من يريد طاعة الله وهم أهل الثواب ثم شرط في ذلك ثلاثة شروط فصل تلك المجملات وبدأ أولا بشرح حقيقة الايمان وأشرف أجزاء الايمان هو التوحيد ونفي الشريك والاضداد بقوله تعالى (لا تجعل مع الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (الها آخر) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والاولى أنه للانسان فيكون خطابا عاما لكل من يصلح أن يخاطب به (فتقعد) أي فيتسبب عن ذلك أن تقعد أي تصير في الدنيا قبل الآخرة (مذموما مخذولا) لان المشرك كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان ولانه قد ثبت بالدليل أنه لا اله ولا مدبر الا الله تعالى فحينئذ تكون جميع النعم حاصلة من الله تعالى فمن أشرك بالله فقد أضاف بعض تلك النعم الى غير الله فاستحق الذم والخذلان * (تنبيه) * قال الواحدي قوله تعالى فتقعد انتصب لأنه وقع بعد الفاء جوابا للنهي وانتصابه باضمار أن كقولك لا تنقطع عنا فنجفوك والتقدير لا يكن منك انقطاع فيحصل أن نجفوك فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بحرف الفاء وانما سماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء وأن الثاني

تعالى بل مع الله على وجه
الشرك (قلت) في الكلام
تقديم وتأخير تقديره قل
ادعوا الذين من دون الله
زعمتم انهم شركاء (قوله وما
[illegible] أن نرسل بالآيات الا
أن كذب بها الاولون) أي

لا تضجر منهما قال الزجاج أف معناه النتن وهذا قول مجاهد لانه قال معنى قوله فلا تقل لهما
أف أى لا تتقذرهما كما انهما كانا لا يتقذرانك حين كنت تخرأ وتبول وفى رواية اخرى عن
مجاهد اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما أف فلقد بالغ سبحانه وتعالى بالوصية بهما
حيث شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما فى سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر
في مراعاتهما حتى لم يرخص فى ادنى كلمة تنفلت من التضجر مع موجبات الضجر ومع
احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها فى الاستطاعة وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم
وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم
ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وسئل الفضيل بن عياض عن بر
الوالدين فقال لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقرأ نافع وحفص بالتنوين فى الفاء مع الكسر
وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسر الفاء من غير تنوين النوع الثانى
قوله تعالى (ولا تنهرهما) اى لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره اذا
استقبله بكلام يزجره قال تعالى واما السائل فلا تنهر (فان قيل) المنع من التأفيف يدل على
المنع من الانتهار بالاولى فما فائدة ذكره (اجيب) بان المراد بالمنع من التأفيف المنع من
اظهار الضجر بالقليل او الكثير والمراد من منع الانتهار المنع من اظهار المخالفة فى القول
على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما النوع الثالث قوله تعالى (وقل لهما قولا كريما) اى حسنا
جميلا كما يقتضيه حسن الادب وهو ما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يقول يا
ابتاه يا اماه وسئل سعيد بن المسيب رضى الله عنه عن القول الكريم فقال هو قول العبد
المذنب للسيد الفظ الغليظ وعن عطاء ان تتكلم معهما بشرط ان لا ترفع اليهما بصرك
ولا تشد اليهما نظرك لان هذين الفعلين ينافيان القول الكريم (فان قيل) ان ابراهيم
الخليل عليه السلام قال لابيه آزر انى اراك وقومك فى ضلال مبين فخاطبه بالاسم وهو استخفاف
به واضافه الى الضلال (اجيب) بان حق الله تعالى مقدم على حق الابوين فاقدام ابراهيم
عليه السلام على ذلك الايذاء انما كان تقديما لحق الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى (واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة) اى تواضع لهما بالاحتمال لامرهما وترك المخالفة فالمراد المبالغة
فى التواضع [illegible] بالاوامر والنواهى [illegible] الانسان [illegible] المراد
المبالغة فى التواضع وهذه استعارة بليغة قال القفال فى تقريره وجهان الاول ان الطائر
اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن
التربية فكأنه قال للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك
والثانى ان الطائر اذا اراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع واذا اراد ترك الطيران
خفض جناحيه فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين (فان قيل) كيف اضاف
الجناح الى الذل والذل لا جناح له (اجيب) بوجهين الاول انه اضيف الجناح الى الذل كما يقال
حاتم الجود فكأن المراد هناك حاتم الجواد فكذا هنا المراد واخفض لهما جناحك الذليل
الثانى ان مدار الاستعارة على التخييل فلما جعل للذل جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال
يدا وللقرة زماما فى قوله

كيف قال رب ارحمهما الى
آخره مع انه تعالى لا يجوز
عليه ارادة (قلت) الدعاء
مجاز عن [illegible]
قال وما [illegible] الارسال
بالآيات الا [illegible]
الاية [illegible]

في عالم الآفات والمخافات فأي انعام للابوين على الولد حتى ان بعض المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للموت والفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا على قبري هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد وقال في ترك التزوج والولد

وتركت فيهم نعمة العدم التي * فيهم لقد سبقت نعيم العاجل

ولو انهم ولدوا لعانوا شدة * ترميهم في موبقات الآجل

وقيل لاسكندر استاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال أستاذي أعظم منة لانه تحمل أنواع الشدائد عند تعليمي فأوقعني في نور العلم وأما الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المأثورة المشهورة خير الآباء من علمك (أجيب) بانه وان كان له في أول الامر طلب لذة الوقاع الا أن الاهتمام بايصال الخيرات اليه ودفع الآفات عنه من أول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر أليس أنه أعظم من جميع ما يصل اليه من جهات الخيرات والمبرات فسقطت تلك الشبهات (التنبيه الثاني) ان لفظ الآية يدل على معان كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الى الوالدين منها أنه تعالى قال في الآية المتقدمة ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم أردفه بهذه الآية المشتملة على الاعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة وجعل من جملتها البر بالوالدين وذلك يدل على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التي تفيد سعادة الآخرة ومنها انه تعالى بدأ بذكر الامر بالتوحيد وثنى بطاعة الله تعالى وثلث ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة ومنها انه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين بل قال وبالوالدين احسانا فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام بهما ومنها انه تعالى قال احسانا بلفظ التنكير والتنكير يدل على التعظيم أي احسانا عظيما كاملا لان احسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات لا تحصل المكافأة لان انعامهما عليك على سبيل الابتداء وفي الامثال المشهورة ان البادي بالبر لا يكافأ ولما كان سبحانه وتعالى عالما بما في الطباع من ملال الولد لهما عند أخذهما في السن قال تعالى (اما) مؤكدا بادخال ما على ان الشرطية لزيادة التقرير للمعنى اهتماما بشأن الوالدين (يبلغن عندك الكبر) أي كائنين يضطرا اليك في حالة الضعف والعجز لا كون لهما كافل غيرك فيصيرا عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله (أحدهما أو كلاهما) وقرأ حمزة والكسائي بألف بعد الغين وكسر النون فالالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما وأحدهما بدل منه وكلاهما عطف عليه فاعلا أو بدلا (فان قيل) هلا كان كلاهما توكيدا لا بدلا (أجيب) بأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا لاثنين فوجب أن يكون مثله (فان قيل) لم لا يجوز أن يكون أحدهما بدلا وكلاهما توكيدا ويكون ذلك عطفا للتوكيد على البدل (أجيب) بان العطف يقتضي المشاركة فجعل أحدهما بدلا والآخر توكيدا خلاف الاصل وقرأ الباقون بغير ألف وفتح النون والاعراب على هذا ظاهر وجميع القراء يشددون النون ثم انه تعالى أمر الانسان في حق والديه بخمسة أشياء الاول منها قوله تعالى (فلا تقل لهما أف) أي

قوله هذا جناه أبي الخ الذي في ابن خلكان انه بيت شعر وهو

هذا جناه أبي علي
وما جنيت على أحد

اه مصححه

على رسلهم لما أرسلناها الى قاهلكناهم ولو أرسلناها الى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الهلاك وقد حكمنا بامهالهم لتتم أمر الذي صلى الله عليه وسلم ولا نعجل بالعقوبة (فان قلت)

رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم
أنف رجل أدرك أبويه الكبر فلم يدخلاه الجنة ومنها ما روى ان رجلا شكا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أباه وانه يأخذ ماله فدعاه فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا
وانا قوى وفقيرا وانا غنى فكنت لا امنعه شيأ من مالى واليوم انا ضعيف وهو قوى وانا فقير
وهو غنى ويبخل على بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا
الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق
حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها
سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها واظمأت لك نهارها قال لقد جازيتها قال
ما فعلت قال حججت بها على عنقى قال ما جزيتها وعن ابن عمر انه رأى رجلا فى الطواف يحمل
امه ويقول

انا لها مطية لا تنفر * اذا الركائب نفرت لا تنفر
ما حملت وارضعتنى اكثر * الله ربى ذو الجلال الاكبر

تظننى جزيتها يا ابن عمر قال لا والله ولا زفرة واحدة * ولما كان ما ذكر فى حق الوالدين عسيرا
جدا يحذر من التهاون به اشار بقوله تعالى (ربكم) اى المحسن اليكم فى الحقيقة فانه هو الذى
عطف عليكم من يربيكم وهو الذى اطلعكم على ذلك (اعلم) اى من كل احد (بما فى نفوسكم)
من قصد البر بهما وغيره فلا يظهر احد لكم غير ما يبطن فان ذلك لا ينفعه ولا ينجيه الا ان يحمل
نفسه على ما يكون سببا لرضاهما (ان تكونوا صالحين) اى متقين مخلصين فى نفس الامر
والصلاح استقامة الفعل على ما يدعو الدليل اليه واشار تعالى الى انه لا يكون ذلك الا بمجاهدة
النفس وترجيعها كرة بعد كرة بقوله تعالى (فانه كان للاوابين) اى الرجاعين الى الخير مرة اثر
مرة بعد جماح أنفسهم عنه (غفورا) اى بالغ الستر عن وقع منه تقصير فرجع عنه فانه مغفور له
* ولما حث تعالى على الاحسان للوالدين باخلاص عمم بالامر بالاحسان الى كل ذى قرابة
برحم وغيره بقوله تعالى (وآت ذا القربى) من جهة الاب والام وان بعد (حقه) والخطاب
لكل أحد أن يؤتى أقاربه حقوقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة
والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محتاجين وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند
الامام أبى حنيفة وقال الشافعى لا يلزم الانفاق الا الوالد على ولده والولد على والده وقيل
المراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) آت (المسكين) حقه وان لم يكن قريبا
(و) آت (ابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله لكونه منقطعا * ولما رغب تعالى فى
البذل وكانت النفس قلما يكون فعلها قواما بين الافراط والتفريط أتبع ذلك بقوله تعالى (ولا
تبذر) بتفريق المال سرفا وهو بذله فيما لا ينبغى وقد كانت الجاهلية تبذر أموالها فى الفخر
والسمعة وتذكر ذلك فى أشعارها فأمر الله تعالى بالنفقة فى وجوهها مما يقرب منه ويزلف
اليه وفى قوله تعالى (تبذيرا) تنبيه على أن الارتفاع عن ساحة التبذير أولى من الهبوط الى
مضيق الشح والتقتير والتبذير بسط اليد فى المال على حسب الهوى وقد سئل ابن مسعود
عن التبذير فقال انفاق المال فى غير حقه وأما الجود فهو اتباع أمر الله تعالى فى حقوق المال
وعن مجاهد لو أنفق الانسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا

الهالكة باقية فى بلاد
العرب قريبة من حدودهم
يبصرها صادرهم وواردهم
(قوله فظلموا بها) أى بالناقة
الباء للسببية لان
الظلم يتعدى بنفسه فالمعنى
فظلموا أنفسهم بقتلها أى

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فاثبت للشمال يدا وللقرة زماما ووضع زمامها في يد الشمال فكذا هنا ومن ظريف ما حكى أن أبا تمام لما نظم قوله

لا تسقني ماء الملام فانني * صب قد استعذبت ماء بكائي

جاء رجل بقصعة وقال له أعطني شيأ من ماء الملام فقال له حتى تأتيني بريشة من جناح الذل يريد أن هذا مجاز استعارة لذلك وقال بعضهم

راشوا جناحي ثم لوه بالندى * فلم أستطع من حبهم أن أطيرا

الخامس قوله تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي لا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله أن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك وهذا اذا كانا مسلمين فان كانا كافرين فان الدعاء لهما بالرحمة منسوخ بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى بل يدعو الله تعالى لهما بالهداية والارشاد فاذا هديا فقد رحمهما وسئل بعضهم عن بر الوالدين فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه * (تنبيه) * قد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها ما روى عن أبي هريرة أنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحسن الناس بصحبتي فقال أمك ثم أمك ثم أباك ثم أباك ثم أدناك فادناك ٣ ومنها عنه أيضا أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ومنها ما روى عنه أيضا أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومنها ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال أحي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد ومنها ما رواه الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين ومنها ما روى عن أبي الدرداء أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فاحفظ ان شئت أو ضيع ومنها ما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال ذلك واصل اليه ولا شئ أنفع لهم من الاستغفار ولو كان شئ أفضل منه لأمركم به في الوالدين ولقد كرر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الوصية بالوالدين ومنها ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب ان البار بوالديه لا يموت ميتة سوء ومنها ما روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما ومنها ما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(الناقة مبصرة) أي دالة كما يقال الدليل مرشد وهاد (فان قلت) ما وجه ارتباط هذا بما قبله (قلت) لما أخبرنا بأن الأولين كذبوا بالآيات المقترحة عين منها ناقة صالح لأن آثار ديارهم

٣ قوله من أحسن الناس الخ هكذا بالاصول التي بأيدينا والذي في صحيح مسلم من أحق الناس بحسن الصحبة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك وذكر روايات أخرى ليس منها هذه الرواية فليحرر لفظ الحديث اه مصححه

قوله أنفع لهم هكذا في الاصول ولو جرى على ما قبله لأفرد ولعله راجع الى الاموات المفهومين من الميت اه

ولا تبسطها كل البسط فتعطي جميع ما عندك * (تنبيه) * ما ذكر من قصة جابر تبع فيه الكشاف
والبيضاوي والرازي وغيرهم قال الولي العراقي لم أقف عليه وكذا قال الحافظ ابن حجر وقد
يقال من حفظ حجة على من لم يحفظ (فتقعد) اي فتصير كالقعد (ملوما) أي بالغا في [illegible]
بالامر به عند الله لان ذلك [illegible] عند الخلق وعند الناس لانه يلوم نفسه وأصحاب
أيضا يلومونه على تضييع المال بالكلية (محسورا) اي منقطعا بك لذهاب ما تقوى به قال
القفال شبه حال من أنفق كل ماله بمن انقطع في سفر بسبب انقطاع مطيته لان ذلك المقدار
من المال كانه مطية تحمل الانسان الى آخر السنة [illegible] ان ذلك البعير يحمله ويبلغه
الى آخر المنزل فاذا انقطع ذلك البعير في وسط الطريق عاجزا متحيرا فكذلك الانسان اذا
أنفق مقدار ما يحتاج اليه في مدة شهر في أول شهر بقي في وسط ذلك الشهر عاجزا متحيرا ومن [illegible]
ذلك خصلة [illegible] أهل العطايا [illegible] ان اتفاقه عليهم [illegible] وتقريره [illegible]
معاده ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ان ربك) اي [illegible] (يبسط الرزق) اي
يوسعه (لمن يشاء) البسط دون غيره (ويقدر) اي يضيقه [illegible] لان الرب
هو الذي يربي [illegible] ويرفع حاجته [illegible] الصواب
فيوسع الرزق على البعض ويضيق على البعض [illegible] قال تعالى ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض [illegible] (انه كان بعباده خبيرا) أي بالغ [illegible]
(بصيرا) أي بالغ البصر [illegible]
في انه ربي العباد ليس لاجل بخل بل لاجل [illegible]
عباده كيف يشاء * [illegible]
مالك (ولا تقتلوا أولادكم) [illegible]
املاق) أي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولم يحصل
[illegible]
ورغب الله تعالى في الاحسان الى الاولاد [illegible]
الاناث فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب
اقدامهم على النهب والغارة وأيضا كانوا يخافون أن [illegible] فقدا كانوا
يحتاجون الى انكاحهن من غير أكفاء وفي ذلك عار [illegible] فنهاهم الله تعالى عن ذلك فان

وقال [illegible]
[illegible]
[illegible]

وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفي الوضوء سرف قال نعم وإن كنت على نهر جار ثم نبه تعالى على قبح التبذير بإضافته إياه إلى أفعال الشياطين بقوله تعالى (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي على طريقتهم أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف أو هم قرناؤهم وهم في النار على سبيل التوعد ثم إنه تعالى بين صفة الشيطان بقوله تعالى (وكان الشيطان) أي هذا الجنس البعيد من كل خير المحترق بكل شر (لربه) أي للذي أحسن إليه بإيجاده وتربيته (كفورا) أي ستورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة ونعمته الباهرة مع الجهد في أن يطاع لأنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله قال بعض العلماء خرجت هذه الآية على وفق عادة العرب وذلك لأنهم كانوا يجمعون الأموال بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها في الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عن الإسلام وتوهين أهله وإعانة أعدائه فنزلت هذه الآية تنبيها على قبح أفعالهم في هذا الباب وقوله تعالى (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) نزل في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الأحايين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك لانتظار رزق من الله يرجوه أن يأتيه فيعطيه (فقل لهم) أي في حالة الإعراض (قولا ميسورا) أي ذا يسر بشرح صدورهم وبسط رجائهم لأن ذلك أقرب إلى طريق المتقين المحسنين قال أبو حيان روي أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل يقول يرزقنا الله تعالى وإياكم من فضله انتهى وقد وقع هذا الابتغاء موضع الفقدان لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سببا للابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ثم أمر تعالى نبيه بما وصف له عباده المؤمنين في الإنفاق في سورة الفرقان بقوله تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فقال تعالى (ولا تجعل يدك) أي بالبخل (مغلولة) أي كأنها بالمنع مشدودة بالغل (إلى عنقك) أي لا تستطيع مدها أي لا تمسك عن الإنفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلولة الممنوعة من الانبساط (ولا تبسطها) بالبذل (كل البسط) فتبذر بحيث لا يبقى في يدك شيء ذكر الحكماء في كتب الأخلاق أن لكل خلق طرفي إفراط وتفريط وهما مذمومان والخلق الفاضل هو العدل والوسط فالبخل إفراط في الإمساك والتبذير إفراط في الإنفاق وهما مذمومان والمعتدل هو الوسط وعن جابر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبي فقال يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعا أي قميصا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قميصه فقال للصبي من ساعة إلى ساعة هذا متعلق بمحذوف أي أخرها من ساعة ليس لنا فيها درع إلى ساعة يظهر لنا فيها درع فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزع قميصه فأعطاه وقعد عريانا أي في إزار ونحوه فأذن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك

صحيفة (قوله وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن قلت هذا يدل على [illegible] الإرسال بالآيات وقوله قبل وما منعنا أن نرسل بالآيات يدل على عدمه (قلت) أراد بالآيات هنا العجب

وقال مجاهد راجعة الى المقتول في قوله تعالى ومن قتل مظلوما اى ان المقتول منصور في الدنيا
بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقال قتادة راجعة لولي
المقتول اى انه منصور على القاتل باستيفاء القصاص أو الدية فليكتف بهذا القدر ولا يطمع
في الزيادة وقيل راجعة الى القاتل الظالم اى ان القاتل يكفي منه باستيفاء القصاص ولا يطلب
منه زيادة لانه منصور من عند الله تعالى بتحريم طلب الزيادة منه أو انه اذا عوقب في الدنيا
بازيد مما فعل نصر في الآخرة وقيل راجعة الى الدم وقيل الى الحق ولما ذكر تعالى النهي عن
اتلاف النفوس أتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال لان اشياء بعد النفوس الاموال
وأحق الناس بالنهي عن اتلاف أموالهم هو اليتيم لانه لصغره وضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره
باتلاف ماله فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن اتلاف أموالهم بقوله تعالى (ولا تقربوا
مال اليتيم) عبر بالقربان الذي هو قبل الاخذ بالفعل مبالغة فهو أبلغ من قوله تعالى ولا تأكلوها
اسرافا وبدارا وفي تفسير قوله تعالى (الا بالتي هي أحسن) وجهان الاول الا بالتصرف الذي
ينميه ويكثره الثاني وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال اذا احتاج أكل بالمعروف واذا أيسر
قضاه فان لم يوسر فلا شيء عليه ولما كان الولي تبقى ولايته على اليتيم (حتى يبلغ أشده) وسيأتي ... الرشد
منه بعد بلوغه كما بين تعالى ذلك في آية أخرى وهي قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولما نهى سبحانه وتعالى عن ثلاثة
أشياء وهي الزنا والقتل وأكل مال اليتيم أتبعها بثلاثة أوامر الاول قوله تعالى (وأوفوا
بالعهد) اى اذا عاهدتم الله تعالى على فعل المأمورات وترك المنهيات أو الناس على فعل أو قول
جائز وفي تفسير قوله تعالى (ان العهد كان مسؤلا) وجوه الاول ان المراد ان صاحب العهد كان
مسؤلا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية الثاني ان العهد
كان مسؤلا اى مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ... الثالث ان يكون ذلك تخييلا كأن
يقال للعهد لم نكثت وهلا أوفى بك تبكيتا للناكث كما تسأل الموؤدة ... قتلت وكقوا
... لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين ...
... الامر الثاني قوله تعالى (وأوفوا الكيل اذا كلتم) اى لغيركم
... بخلاف ما اذا كلتم لانفسكم ... تنقصوا ... الامر الثالث
قوله تعالى (وزنوا) اى وزنا ملتبسا (بالقسطاس) اى ميزان العدل ... الموازين
وزاد في تأكيده معناه فقال (المستقيم) دون شيء من الحيف ... والقسطاس رومي عرب
ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان الاعجمي اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حفص وحمزة والكسائي بكسر
القاف والباقون بضمها (ذلك) اى الامر العالي الرتبة الذي أمرناكم به من الايفاء بالتمام
والكمال (خير) لكم في الدارين الدنيا والآخرة من التطفيف بالكيل أو الوزن من حيث ان
الانسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة وان تراءى
لكم ان التطفيف خير (وأحسن تأويلا) اى عاقبة في الدارين اما في الدنيا فلانه اذا اشتهر
بالاحتراز عن التطفيف عول الناس عليه ومالت القلوب اليه وحصل له الاستغناء في الزمان

الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدا وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور والاناث وأما ما يخاف من الفقر في البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر وقد يخاف أيضا في العاجزين من البنين وكما أنه سبحانه وتعالى يفتح أبواب الرزق على الذكور فكذلك على الاناث ولما كان في قتل الاولاد حظ من البخل وفي فعل الزنا داع من الاسراف أتبعه به فقال تعالى (ولا تقربوا الزنا) أدنى قرب ولو بفعل شيء من مقدماته وانما أتى تعالى بالقربان تعظيما له لما فيه من المفاسد الجائرة الى القتل بالقتل وتضييع النسب والتسبب في ايجاد نفس بالباطل وغير ذلك ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى مؤكدا بلاغا في التنفير عنه لما للنفس من شدة الداعية اليه (انه كان فاحشة) أي فعلة ظاهرة القبح زائدته وقد نهانا الله تعالى عن الفحشاء في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء الآية (وساء) أي وبئس الزنا (سبيلا) أي طريقا طريقه ثم نهى سبحانه وتعالى عن القتل مطلقا عن التقييد بالاولاد بغير حق بقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أي بالاسلام والعهد (الا بالحق) وهو المبيح للقتل من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بالله بعد ايمانه أو زنى بعد احصانه أو قتل نفسا بغير حق ومثل انتقال المسلم من دين الاسلام الى دين الكفر انتقال كافر من دين الى دين آخر سواء كان ذلك الدين يقر عليه أم لا ومن ذلك قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا واختلف الفقهاء في أشياء غير ذلك منها أن تارك الصلاة كسلا هل يقتل فعند الشافعي يقتل بشروط معلومة وعند أبي حنيفة لا يقتل التارك كالزاني ومنها أن عمل اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجب قتل الفاعل كالزاني وعند أبي حنيفة لا يوجبه ومنها أن الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري عمدا هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجبه وعند أبي حنيفة لا يوجبه ومنها أن القتل بالمثقل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب ومنها أن الامتناع من أداء الزكاة هل يوجب القتل اختلفوا فيه في زمان أبي بكر رضي الله عنه ومنها أن اتيان البهيمة هل يوجب القتل فعند أكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجبه ولكل ممن ذكرنا أدلة يستدل بها رضي الله تعالى عنهم أجمعين ثم قال تعالى (ومن قتل مظلوما) أي بأي ظلم كان من غير أن يرتكب ما يبيح قتله (فقد جعلنا لوليه) أي سواء كان قريبا أم بعيدا (سلطانا) أي أمرا متسلطا به وقوله تعالى (فلا يسرف في القتل) قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي أيها الولي والباقون بالياء على الغيبة أي الولي وفسر الاسراف بوجوه الاول أن يقتل القاتل وغير القاتل وذلك أن أولياء المقتول كانوا اذا قتل واحد من قبيلة شريفة قتلوا خلقا من القبيلة الدنيئة فنهى الله تعالى عنه وحكم بقتل القاتل وحده الثاني ان الاسراف هو أن لا يرضى بقتل القاتل فان الجاهلية كانوا يقصدون أشرف القبائل ثم يقتلون منهم قوما معينين ويتركون القاتل الثالث ان الاسراف هو أن لا يكتفي بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع أعضاءه قال القفال ولا يبعد حمله على الكل لأن جملة هذه المعاني مشتركة في كونها اسرافا واختلف في رجوع الهاء الى ماذا في قوله تعالى (انه كان منصورا)

في القرآن أو معناه الملعون آكلوها وهم الكفرة أو الملعونة بمعنى المذمومة وهي مذمومة في القرآن بقوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الأثيم وبقوله تعالى طلعها

بقوله تعالى (ان السمع والبصر) وهما طريقا الادراك (والفؤاد) الذى هو آلة الادراك ثم هوّل تعالى الامر بقوله تعالى (كل أولئك) اى هذه الاشياء العظيمة العالية النافع البديعة التكوين * (تنبيه) * أولاء وجميع أسماء الاشارة يشاربها العاقل وغيره كقول الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

يجوز فى ذم فتح الميم وكسرها وضمها وقوله بعد منزلة اللوى اى بعد مفارقتها والاضافة فى منزلة اللوى للبيان وهو ممدود ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والايام صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان له (كان عنه) اى بوعد لا خلف فيه (مسؤلا) بسؤال يخصه * (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على ان الجوارح مسؤلة وفيه وجوه الاول ان معناه ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسؤل لان السؤال لا يصح الا ممن كان عاقلا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان كقوله تعالى واسئل القرية اى أهلها والمعنى انه يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل سماعه ولم نظرت ما لم يحل نظره ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه الثانى ان تقرير الآية ان أولئك الاقوام كلهم مسؤلون عن السمع والبصر والفؤاد فيقال لهم استعملتم السمع فيماذا أفى الطاعة أم فى المعصية وكذا القول فى بقية الاعضاء وذلك لان الحواس آلات النفس والنفس كالامير لها والمستعمل لها فى مصالحها فان استعملها فى الخيرات استوجب الثواب وان استعملها فى المعاصى استحق العقاب الثالث ان الله تعالى يخلق الحياة فى الاعضاء ثم انها تسئل لقوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فكذلك لا يبعد ان يخلق العقل والحياة والنطق فى هذه الاعضاء ثم انها تسئل وروى عن شكل بن حميد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله علمنى تعويذا أتعوذ به فاخذ بيدى ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وشر قلبى وشر منيى قال حتى حفظتها قال سعد والمنى ماؤه النهى الثانى قوله تعالى (ولا تمش فى الارض) اى جنسها (مرحا) اى ذا مرح وهو شدة الفرح والمراد من الآية النهى عن ان يمشى الانسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة قال الزجاج ولا تمش فى الارض مختالا فخورا ونظيره قوله تعالى فى سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال تعالى فى سورة لقمان واقصد فى مشيك واغضض من صوتك وقال تعالى فيها ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ثم علل تعالى النهى عن ذلك بقوله تعالى (انك لن تخرق الارض) اى تقطعها حتى تبلغ آخرها بكبرك (ولن تبلغ الجبال طولا) اى بتطاولك وهو تهكم بالمختال لان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بشئ ليس فى التذلل وفى ذلك اشارة الى ان العبد ضعيف لا يقدر على خرق أرض ولا وصول الى جبال فهو محاط به من فوقه ومن تحته بنوعين من الجمادات وهو أضعف منهما بكثير والضعيف المحصور لا يليق به التكبر فكانه قيل له تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله محصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوى وقيل ذكر ذلك لان من مشى مختالا يمشى مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال

أمر عظيم وهو هنا كذلك لانه لم يفعله الله فمن بقوله لا يتمكن فى بقية الاقلام اغفروا لكم (قوله فان أرق) كانه بينه فاولئك يقرؤن كلامهم ولا يظلمون فتيلا) ان قلت لم خصهم

القليل وكم رأينا من الفقراء من اشتهر واعتقد الناس بالامانة والاحتراز عن الخيانة انقلبت القلوب عليهم بحصلت الاموال الكثيرة لهم واما في الآخرة فالفوز بالثواب العظيم والخلاص من العقاب الاليم والتأويل وهو تفعيل من الأول وهو الرجوع وأفعل التفضيل هنا لاستعمال النصفة بارخاء العنان اى على تقدير ان يكون في كل منهما خير فهذا المعنى الذى ذكرناه أزيد خيرا والعاقل لا يرضى لنفسه بالدون * ولما شرح الله تعالى الاوامر الثلاثة عاد الى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة أشياء أولها قوله تعالى (ولا تقف) اى لا تتبع أيها الانسان (ما ليس لك به علم) من قول أو فعل وحاصله يرجع الى النهى عن الحكم بما لا يكون معلوما وهو قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة واختلف المفسرون فيها فقال ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك وقال قتادة لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل المراد النهى عن القذف وقيل المراد النهى عن الكذب وقيل المراد نهى المشركين عن اعتقاداتهم وتقليدهم أسلافهم لان الله تعالى نسبهم في تلك العقائد الى اتباع الهوى فقال تعالى ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقيل القفو هو البهت وأصله من القفا كأنه يقال خلفه وهو في معنى الغيبة قال صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال رواه الطبراني وغيره وردغة بسكون الدال وفتحها عصارة أهل النار وقال الكميت

ولا أرمي البرئ بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

يقال قفيتنا المقول والحواصن النساء العفائف واللفظ عام يتناول الكل فلا معنى للتقييد * (تنبيه) * يقال قفوت أثر فلان أقفو اذا اتبعت أثره وسميت قافية الشعر قافية لان البيت يقفو البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار أقدام الناس أو آثار أقدامهم ويستدلون بها على أحوال الناس وقال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا وسمي القفا قفا لانه مؤخر بدن الانسان فان من يتبعه يقفوه (فان قيل) ان هذه الآية تدل على منع القياس فانه لا يفيد الا الظن والظن مغاير للعلم (أجيب) بان ذلك عام دخله التخصيص فان الحكم في الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة وبان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعيا أم ظنيا واستعماله بهذا المعنى شائع ذائع وقد استعمل في مسائل كثيرة منها ان العمل بالفتوى عمل بالظن ومنها ان العمل بالشهادة عمل بالظن ومنها الاجتهاد في طلب القبلة ولا يفيد الا الظن ومنها قيم المتلفات وأرش الجنايات لا سبيل اليها الا بالظن ومنها الفصد والحجامة وسائر المعالجات تبنى على الظن ومنها بعث الحكمين في الشقاق قال تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لا معلوم ومنها ان الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون ويبنى على هذا الظن أحكام كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن في مقابر المسلمين ومنها الاعتماد على صدق الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وبناء الامر على تلك الظنون وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح بأن الظن معتبر فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن ثم علل تعالى النهى محذوفا

في القرآن بقوله تعالى
انها شجرة تخرج في أصل
الجحيم (قوله أرأيتك هذا
الذي كرمت على) قال هنا
الخطاب كنظيره
يتكرر في الانعام
في أرأيتكم
لدلالته على ان الخطاب به

الثاني ان هذه الاحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان
والملل ولا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة من هذا الاعتبار الثالث ان الحكمة
عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به كما مرت الاشارة اليه فالامر بالتوحيد عبارة عن
القسم الاول وسائر التكاليف عبارة عن تعليم الخيرات حتى يواظب عليها ولا ينحرف عنها
فثبت ان الاشياء المذكورة من هذه الآيات عين الحكمة وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان هذه الآيات كانت في الواح موسى عليه السلام وجعل سبحانه وتعالى فاتحتها قوله
تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وخاتمتها قوله تعالى (ولا تجعل مع الله الها آخر) تنبيها على ان
التوحيد مبدأ الامور ومنتهاها وان من قصد بفعل او ترك غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة
وملاكها ورتب عليه ما هو عائدة الشرك في قوله تعالى اولا (لا تجعل مع الله) أي في الدنيا وثانيا
ما هو نتيجته في العقبى فقال (فتلقى) أي فيفعل بك في الآخرة (في جهنم) من الالقاء
فهو [illegible] القدرة على التدارك [illegible] حال كونك (ملوما) [illegible]
(مدحورا) أي مبعدا من رحمة الله [illegible] ذكر هاهنا [illegible] في الآية الاولى قوله
تعالى مذموما مخذولا وفي هذه الآية ملوما مدحورا والفرق بين الذم واللوم ان الذم ذكر
ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل
القبيح وما الذي حملك عليه فهذا هو اللوم فاول الامر يصير مذموما وآخره يصير ملوما والفرق
بين المخذول والمدحور ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اي ضعفت
والمدحور هو المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة فكونه مخذولا عبارة عن ترك
اعانته وتفويضه الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانته فيصير اول الامر مخذولا وآخره
مدحورا وقوله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله
والهمزة للانكار أي أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنين لم
يجعل فيهم نصيبا لنفسه (واتخذ من الملائكة اناثا) أي [illegible]
[illegible]
[illegible] (انكم لتقولون قولا عظيما) [illegible]
[illegible] والاجزاء [illegible] في كونه [illegible]
لذاته [illegible] اشرف [illegible]
تعالى [illegible] وايضا جعلوا الملائكة الذين هم من اشرف [illegible]
يقدر على [illegible] الارض [illegible] غاية [illegible] وكان في هذا [illegible]
البيان [illegible] الى ان [illegible] مثل هذا الاعراض عن امثال هذا
البيان فقال تعالى (ولقد صرفنا) أي بينا [illegible] بانواع طرق البيان من العبر والحكم
والامثال والاحكام والحجج والاعلام [illegible] والوعد والوعيد والامر والنهي والمحكم والمتشابه
الى غير ذلك (في هذا القرآن) أي في مواضع منه من الامثال كما قال تعالى ولقد صرفنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل [illegible] لفظة في زائدة كما في قوله تعالى واصلح لي في ذريتي [illegible]
[illegible] كما يأتي ان شاء الله تعالى في الاحقاف والتصريف في اللغة صرف الشيء من

طولا انه مشيت على صدور وقدميك قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب وروى أبو هريرة
رضى الله عنه قال ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى
فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض
تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه غير مكترث وقوله تعالى (كل ذلك) اشارة الى ما نهى عنه
مما تقدم فان الذى تقدم منهيات ومأمورات وجملة ذلك من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها
آخر الى هنا خمسة وعشرون وها أنا أسردها لتسهل معرفتها فأولها لا تجعل مع الله الها
آخر وثانيها وثالثها وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه لاشتماله على تكليفين الامر بعبادة الله
تعالى والنهى عن عبادة غيره رابعها وبالوالدين احسانا خامسها فلا تقل لهما أف سادسها
ولا تنهرهما سابعها وقل لهما قولا كريما ثامنها واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
تاسعها وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا عاشرها وآت ذا القربى حقه حادى عشرها
والمسكين ثانى عشرها وابن السبيل ثالث عشرها ولا تبذر تبذيرا رابع عشرها فقل لهم
قولا ميسورا خامس عشرها ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك سادس عشرها ولا تبسطها كل
البسط سابع عشرها ولا تقتلوا أولادكم ثامن عشرها ولا تقتلوا النفس تاسع عشرها
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا عشروها فلا يسرف فى القتل حادى عشريها
وأوفوا بالعهد ثانى عشريها وأوفوا الكيل ثالث عشريها وزنوا بالقسطاس المستقيم
رابع عشريها ولا تقف ما ليس لك به علم خامس عشريها ولا تمش فى الارض مرحا فكل هذه
تكليفات بعضها أوامر وبعضها نواه فالمنهى عنه هو الذى قال تعالى فيه (كان سيئه عند ربك
مكروها) أى يبغضه والعاقل لا يفعل ما يكرهه المحسن اليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح
الهمزة وبالتاء منونة منصوبة وقرأ الباقون بضم الهمزة والهاء مضمومة متصلة بواو
والمعنى على هذا ظاهر أى أن سيئ ثالث الاقسام يكون مكروها وأما على القراءة الاولى فسيئة
خبر كان وأنث حملا على معنى كل ثم قال مكروها حملا على لفظها وقال الزمخشرى ان السيئة فى
حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ
سيئة وسيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر
ومؤنث وفى نصب مكروها أوجه أحدها أنه خبر ثان لكان الثانى أنه بدل من سيئة وضعف بأن
البدل بالمشتق قليل الثالث أنه حال من الضمير المستتر فى عند ربك لوقوعه صفة لسيئة الرابع
أنه نعت لسيئة وانما ذكر وصف سيئة لان تأنيثه وتأنيث موصوفه مجازى ورد بأن ذلك انما يجوز
حيث أسند الى المؤنث المجازى أما اذا أسند الى ضميره فلا نحو الشمس طالعة فلا يجوز طالع
وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة فى الاوامر والنواهى (مما أوحى اليك)
يا أشرف الخلق (ربك) أى المحسن اليك (من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل
به وانما سميت هذه الامور حكمة لوجوه الاول ان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع
الطاعات والخيرات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة فالآتى بمثل هذه الشريعة
لا يكون داعيا الى دين الشيطان بل الفطرة الاصلية تشهد بأنه يكون داعيا الى دين الرحمن

بذلك مع ان أصحاب
الشمال كذلك (قلت) لان
أصحاب الشمال اذا
نظروا الى ما فى كتابهم من
الفضائح والقبائح أخذهم
من الحياء والخجل والخوف

وقال ابراهيم النخعي وان من شيء جماد وحي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف
وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله تعالى حيوانا كانت أو جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده
يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه
ماء قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله
فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل وعن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي
بعثت اني لاعرفه الآن وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع فلما اتخذ له
المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء في هذه
الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات
والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته
ولطيف حكمته فكأنها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح قال البغوي والاول أصح
وهو المنقول عن السلف وقال ابن عادل ان القول الاول أصح لما دلت عليه الاحاديث وانه
منقول عن السلف قال البغوي واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي
ان يوكل علمه اليه (ولكن لا تفقهون) أي لا تفهمون (تسبيحهم) أي لأنه ليس بلغتكم (انه
كان حليما غفورا) ولما ذكر سبحانه وتعالى اثبات الالهية اتبعه بذكر تقرير النبوة بقوله
تعالى (واذا قرأت القرآن) أي الذي لا يدانيه واعظ ولا يساويه مفهم وهو تبيان لكل شيء
(جعلنا) أي بما لنا من العظمة (بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) أي
يحجب قلوبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم والانتفاع به قال قتادة هو الاكنة فالمستور بمعنى الساتر
كقوله تعالى كان وعده مأتيا مفعول بمعنى فاعل وقيل مستورا عن أعين الناس فلا يرونه
وفسره بعضهم بالحجاب عن الاعين الظاهرة كما روي عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت تبت يدا أبي
لهب جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر رضي الله عنه فلم
تره فقالت لابي بكر أين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله
فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ به رأسه فقال ابو بكر ما رأتك
يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة (على قلوبهم
أكنة) اي اغطية كراهة (أن يفقهوه) أي يفهموه أي يفهموا القرآن حق فهمه (وفي
آذانهم وقرا) اي ثقلا يمنع سماعهم وعن اسماء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
ومعه ابو بكر اذ اقبلت امرأة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تقول
مذمما ابينا ودينه قلينا وأمره عصينا فقال أبو بكر يا رسول الله معها فهر اخشاها عليك
فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فجاءت وما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت اني رأيت قريشا قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب
الكعبة ورب هذا البيت ما هجاك وروي عن ابن عباس ان أبا سفيان والنضر بن الحرث وابا
جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويستمعون حديثه فقال النضر يوما

فيوضحه اذ جاءهم الهدى)
قال ذلك هنا وقاله في
الكهف بزيادة
ويستغفروا ربهم لان
المعنى هنا ما منعهم من
الايمان بمحمد الا قولهم
أبعث الله بشرا رسولا

جهة الى أخرى ثم صار كناية عن التبيين قاله أبو حيان وقوله تعالى (ليذكروا) متعلق بصرفنا وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف من غير تشديد من الذكر الذي هو بمعنى التذكر والباقون بفتح الذال والكاف مع تشديدهما (وما يزيدهم) أي التصريف (الا نفورا) أي تباعدا عن الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني ذلك لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا * ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء المشركين ولا تيأس من رجوع بعضهم (لو كان معه آلهة كما تقولون) من هذه الاقوال التي لو قالها أعظمكم في حق أدناكم وهو يريد بها حقيقتها لصار ضحكة للعباد (اذا لابتغوا) أي طلبوا طلبا عظيما (الى ذي العرش) أي صاحب السرير الاعظم المحيط الذي من ناله كان منفردا بالتدبير (سبيلا) أي طريقا سالكين يوصلون به اليه ليقهروه ويزيلوا ملكه كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض أو ليتخذوا عنده يدا تقربهم اليه وقرأ ابن كثير وحفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وادغم ابو عمرو الشين من العرش في السين بخلاف عنه ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه فقال عز من قائل (سبحانه) اي تنزه التنزه الاعظم عن كل شائبة نقص (وتعالى) اي علا على العلو بصفات الكمال (عما يقولون) اي من هذه النقائص التي لا يرضاها لنفسه احد من عقلاء خلقه (علوا) اي تعاليا (كبيرا) اي متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجوب والبقاء لذاته ﴿تنبيه﴾ جعل العلو مصدر التعالي ومصدره تعاليا كما قدرته فهو المراد ونظيره قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا (فان قيل) ما الفائدة في وصف ذلك العلو بالكبير (اجيب) بان المنافاة بين ذاته وصفاته سبحانه و بين ثبوت الصاحبة والولد والشركاء والاضداد والانداد منافاة بلغت في القوة والكمال الى حيث لا تعقل الزيادة عليها لان المنافاة بين الواجب لذاته و بين الممكن لذاته و بين القديم والمحدث و بين الغني والمحتاج منافاة لا تعقل الزيادة عليها فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم استأنف تعالى بيان عظمة هذا التنزيه مقرونا بالوصف بالكمال فقال (تسبح) اي توقع التنزيه الاعظم (له) اي الاله الاعظم الذي تقدم وصفه بالجلال والاكرام خاصة (السموات السبع والارض) اي السبع (ومن فيهن) اي من ذوي العقول (وان) اي وما واغرق في النفي فقال (من شيء) اي ذي عقل او غيره (الا يسبح بحمده) اي يقول سبحان الله العظيم و بحمده او يقول سبحان الله و بحمده وقال ابن عباس وان من شيء حي الا يسبح بحمده وقال قتادة يعني الحيوانات والناميات وقال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وعن المقداد بن معدي التراب يسبح ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح والورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح والماء يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح والثوب يسبح ما دام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح وقال السيوطي في جواب سؤال عن ذلك

قد نفت آية الاسرى بجمعت * وصف الحياة كرطب الزرع والشجر
فيابس نبات لا تسبيح منه كذا * ما زال عن موضع كالقطع للحجر

اليمين خاصة وانما خصهم
بذلك لانهم يعلمون انهم
لا يعقلون ويعتقدون
ذلك بخلاف اصحاب
الشمال فانهم يعتقدون
او يظنون انهم يعقلون
قوله وما منع الناس أن

عادة القرآن بإثبات التوحيد والنبوة والمعاد وقدم الدلالة على الأولين وختم بإثبات جهالهم
في النبوة مع ظهورها أتبع ذلك أمرا جليا في ضلالهم عن السبيل في أمر المعاد وقرره غاية
التقرير وحرره أتم تحرير قال تعالى حكاية عنهم (وقالوا) أي المشركون المنكرون للتوحيد
والنبوة والبعث مع اعترافهم بأنا ابتدأنا خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت أنا نحيي الأرض
بعد موتها وقولهم (أئذا) استفهام إنكاري كأنهم على ثقة من عدم ما ينكرونه والعامل في
إذا فعل من لفظ مبعوثون لا هو فإن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها فالمعنى أنبعث إذا (كنا) أي
بجملة أجسامنا كونا لازما (عظاما ورفاتا) أي حطاما مكسرا مفتتا أو غبارا وقال الفراء هو
التراب وهو قول مجاهد ويؤيده أنه قد يكرر في القرآن ترابا وعظاما ويقال للتبن الرفات لأنه
دقاق الزرع (أئنا لمبعوثون) حال كوننا مخلوقين (خلقا جديدا) * (تنبيه) * تقرير شبهة هؤلاء
الضلال هي أن الإنسان جفت أعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك
الأجزاء بسائر أجزاء العالم فالأجزاء المائية تختلط بمياه العالم والأجزاء الترابية تختلط بالتراب
والأجزاء الهوائية تختلط بالهواء فكيف يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يعقل
عود الحياة إليها بأعيانها مرة أخرى هذا تقرير شبهتهم (وأجيب) عنها بأنها لا تتم إلا بالقدح في
كمال علم الله تعالى وفي كمال قدرته فإنه تعالى قادر على كل الممكنات فهو قادر على إعادة التأليف
والتركيب والحياة والعقل إلى تلك الأجزاء بأعيانها فمن سلم كمال علم الله تعالى وكمال قدرته زالت
عنه هذه الشبهة بالكلية ولما كان كأنه قيل فماذا يقال لهم في الجواب فقال (قل) لهم
يا أشرف الخلق لا تكونوا رفاتا بل (كونوا) أصلب من التراب (حجارة) أي هي في غاية اليبس
(أو حديدا) أي زائدا على يبس الحجارة بشدة اتصال الأجزاء * (تنبيه) * ليس المراد به أمر
الإلزام بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله تعالى عن الإعادة وذلك كقول القائل أتطمع في
وأنا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب منك حقي (أو خلقا) غير ذلك (مما
يكبر) أي يعظم عظمة كبيرة (في صدوركم) أي عما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد
شيء منها فإن الله تعالى قادر على إعادة الحياة إليها وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأكثر
المفسرين إنه الموت فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت أي لو كنتم الموت بعينه
لأميتنكم ولأبعثنكم وقيل السموات والأرض والجبال لأنها من أعظم المخلوقات (فسيقولون)
عنادا في الاستهزاء (من يعيدنا) إذا كنا كذلك (قل الذي فطركم) أي ابتدأ خلقكم (أول مرة)
ولم تكونوا شيئا يعيدكم بالقدرة التي ابتدأكم بها فكما لم تعجز تلك القدرة عن البداءة فهي لا تعجز
عن الإعادة (فسينغضون) أي يحركون (إليك رؤسهم) تعجبا واستهزاء كأنهم في شدة جهلهم على
غاية البصيرة من العلم بما يقولون والنغض والإنغاض تحريك بارتفاع وانخفاض (ويقولون)
استهزاء (متى هو) أي البعث والقيامة قال الرازي واعلم أن هذا السؤال فاسد لأنهم حكموا
بامتناع الحشر والنشر بناء على الشبهة التي تقدمت ثم إن الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكنا
في نفسه فقولهم متى هو كلام لا تعلق له بالبحث فإنه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكن الوجود
في نفسه وجب الاعتراف بإمكانه فأما أنه متى يوجد فذلك لا يمكن إثباته من طريق العقل بل
إنما يمكن إثباته بالدليل السمعي فإن أخبر الله تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف وإلا فلا سبيل إلى

لا تعالى
ويستغفروا ربهم
بقوله سنة الأولين وهم قوم
نوح وهود وصالح وشعيب
حيث أمروا بالاستغفار
فنوح قال استغفروا ربكم
إنه كان غفارا وهود قال
يا قوم استغفروا ربكم ثم

ما أدرى ما يقول محمد غير أنى أرى شقتيه يتحركان بشئ وقال أبو سفيان انى لأرى بعض ما يقوله الاحقا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو لهب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد تلاوة القرآن قرأ قبلها ثلاث آيات وهى فى سورة الكهف انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وفى سورة النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفى حم الجاثية أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركة هذه الآيات عن عيون المشركين (واذا ذكرت ربك) أى المحسن اليك واليهم (فى القرآن وحده) أى مع الاعراض عن آلهتهم كأن قلت وأنت تتلو القرآن لا اله الا الله * (تنبيه) * فى نصب وحده وجهان أحدهما أنه منصوب على الحال وان كان معرفة لفظا لانه فى قوة النكرة اذ هو فى معنى منفردا والثانى أنه منصوب على الظرف (ولوا على أدبارهم نفورا) اى هربا من استماع التوحيد * (تنبيه) * فى نفورا وجهان أحدهما مصدر من غير اللفظ مؤكد لان التولى والنفور بمعنى والثانى أنه حال من فاعل ولوا وهو حينئذ جمع نافر كقاعد وقعود وشاهد وشهود والضمير فى ولوا يعود الى الكفار وقيل يعود الى الشياطين وان لم يجر لهم ذكر قال المفسرون ان القوم كانوا عند استماع القرآن على أقسام منهم من كان يلهو عند استماعه وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه ويساره اخوان من ولد قصى يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار ومنهم من كان اذا سمع من القرآن ما ليس فيه ذكر الله تعالى يقرأ لهم وهم لا يفهمون منه شيأ ومنهم من اذا سمع آيات فيها ذكر الله تعالى وذم المشركين ولوا نفورا وتركوا ذلك المجلس ولما كانوا ربما ادعوا السمع والفهم فشككوا بعض من لم يرسخ ايمانه أتبعه تعالى بقوله تعالى (نحن أعلم) اى من كل عالم (بما يستمعون) اى يبالغون فى الاصغاء والميل لقصد السمع (به) من الآذان والقلوب أو بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن (اذ يستمعون) اى يصغون بجهدهم (اليك) اى الى قراءتك (واذ) اى حين (هم) ذو (نجوى) اى يتناجون بأن يرفع كل منهم بصره الى صاحبه بعد اعراضهم عن الاستماع ثم ذكر تعالى ظرف النجوى بقوله تعالى (اذ) وهو بدل من اذ قبله (يقول الظالمون) وقولهم (ان) اى ما (تتبعون الا رجلا مسحورا) اى مخدوعا مغلوبا على عقله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعو اليه أشراف قريش من المشركين ففعل ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتى تطيعكم العرب وتدين لكم العجم فأبوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبى صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوة الى الله تعالى يقولون ان تتبعون الا رجلا مسحورا (فان قيل) انهم لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح أن يقولوا ان تتبعون الا رجلا مسحورا (أجيب) بأن معناه ان اتبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسحورا وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان وعاصم وحمزة بكسر التنوين فى الوصل والباقون بالضم ثم قال تعالى (انظر كيف ضربوا) اى هؤلاء الضلال (لك الامثال) التى هى أبعد شئ عن صفتك من قولهم كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك (فلا) اى فتسبب عن ذلك أنهم لا (يستطيعون سبيلا) اى وصولا الى طريق الحق * ولما برت

هلا بعثها لكل وجه لوان التجانس بين التآنس والتنافر بين التغاير والعرف فى الكهف ما منعهم عن الايمان والاستغفار الا ان تأتيهم سنة الاولين ازداد فيها

من النصفة بقوله تعالى (ربكم أعلم بكم) فعلم أن قوله تعالى ان الشيطان الى آخره جملة
اعتراضية بين المفسر والمفسر وسكن أبو عمرو الميم واختلاسها عند الباء بخلاف عنه وكذا أعلم
بمن ثم استأنف تعالى (ان يشأ) اى رحمتكم (يرحمكم) اى بهدايتكم (أو ان يشأ) تعذيبكم
(يعذبكم) اى باضلالكم فلا تحتقروا أيها المؤمنون المشركين فتقطعوا بأنهم من أهل النار
فتعيروهم بذلك فانه يجر الى غيظ القلوب فلا فائدة لأن الخاتمة مجهولة ولا تتجاوزوا فيهم
ما أمركم الله به من قول وفعل ثم رقى الله الخطاب الى أعلى الخلق ورأس أهل الشرع
ليكون من دونه أولى بالدخول فيه فقال تعالى (وما أرسلناك) اى مع ما لنا من العظمة الغنية
عن كل شيء (عليهم وكيلا) اى حفيظا وكفيلا تقسرهم على ما يرضي الله وانما أرسلناك عليهم
مبينا ما أمرت به بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بمداراتهم وقد مر أن هذا قبل الاذن
بالقتال فهو منسوخ بآية السيف ولما ذكر الاعلمية بهم انتقل تعالى الى الخبر بما هو أعم من ذلك دائرا
الخطاب على أعلم خلقه بقوله تعالى (وربك) أى المحسن اليك أن جعلناك أكمل الخلق (أعلم بمن
في السموات والارض) فضلا عن علمه بكم فلا يختص علمه بكم بل يتعلق بجميع الموجودات والمعدومات
ويتعلق بجميع ذوات الارضين والسموات فيعلم تعالى حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المفاسد
والمصالح ويعلم اختلاف صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وجميع ما هم عليه سبحانه
وتعالى لا يخفى عليه خافية فيفضل بعض الناس على بعض على حسب احاطة علمه وشمول قدرته
وبعض النبيين على بعض كما قال تعالى (ولقد فضلنا) بما لنا من العظمة (بعض النبيين) سواء
كانوا رسلا أم لا (على بعض) بعد أن جعلنا الكل فضلا للتقوى كل منهم واحسانه تخصيصا كلا
منهم بفضيلة كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء فلا ينكر أحد
من العرب أو بني اسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي صار بالاسراء مقدما
على جميع الخلائق فاذا فضل ما شاء بما يشاء من التقدم الاله والعلم الشامل رقى الناس بالرفعة
ولا عيب بالمال والرئاسة على أصل يعلى الله به بشرى (وآتينا) بعظمتنا (داود
زبورا) يعني ... الانجيل فلا تنكروا أن نؤتي محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن وهو بعد
آتيناه ... (فان قيل) ما السبب في تخصيص داود عليه السلام بالذكر هنا
(أجيب) بأوجه الأول أنه تعالى ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وآتينا داود
زبورا يعني أن داود أعطي ملكا عظيما ثم انه تعالى لم يذكر ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب
تنبيها على أن التفضيل الذي ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين لا بالمال الثاني أنه
تعالى كتب في الزبور أن محمدا خاتم الانبياء وأن أمته خير الامم قال تعالى ولقد كتبنا في
الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته
(فان قيل) هلا عرفه كما في قوله ولقد كتبنا في الزبور (أجيب) بأن التنكير هنا يدل على تعظيم
حاله لأن الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب وكان معنى التنكير أنه كامل في كونه كتابا
ويجوز أن يكون زبورا علما فاذا دخلت عليه أل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور كانت
للمح الاصل كعباس والعباس وفضل والفضل الثالث ان كفار قريش ما كانوا أهل نظر
وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون انه لا نبي بعد

(يرحمكم) قال شيخنا يتعين ... ذلك هنا ... في ... المكسور ... الاعلمية ... القول ... المكسور

مقرفته لانه تعالى بين فى القرآن أنه لا يطلع أحدا من الخلق على وقته المعين فقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال انما علمها عند ربى وقال تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها فلاجرم قال تعالى (قل عسى أن يكون قريبا) قال المفسرون عسى من الله واجب ومعناه أنه قريب اذ كل آت قريب وأمال متى وعسى حمزة والكسائى امالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يوم يدعوكم) بدل من قريبا والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعوكم أى بالنداء الذى يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال تعالى يوم ينادى المناد من مكان قريب روى أن اسرافيل ينادى أيها الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودى كما كنت (فتستجيبون) أى تجيبون والاستجابة موافقة الداعى فيما دعا اليه وهى الاجابة الا أن الاستجابة تقتضى طلب الموافقة فهى آكد من الاجابة واختلف فى معنى قوله تعالى (بحمده) فقال ابن عباس بأمره وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك فيحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقال قتادة بمعرفته وطاعته وقال أهل المعانى تستجيبون بحمده اى تستجيبون حامدين كما تقول جاء بغضبه اى جاء غضبان وركب الامير بسيفه اى وسيفه معه وقال الزمخشرى بحمده حال منهم اى حامدين وهى مبالغة فى انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعنى أنك تحمل عليه وتقسر عليه قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه (وتظنون ان) اى ما (لبثتم الا قليلا) اى مع استجابتكم وطول لبثكم ولشدة ما ترون من الهول فعندها تستقصرون مدة لبثكم فى الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقال الحسن معناه تقريب وقت البعث فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل فهذا يرجع الى استقلال مدة اللبث فى الدنيا وقيل المراد استقلال مدة لبثهم فى برزخ القيامة لانه لما كان عاقبة أمرهم الدخول فى النار استقصروا لبثهم فى برزخ القيامة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثاء المثلثة عند التاء المثناة والباقون بالادغام * ولما ذكر تعالى الحجة القطعية فى صحة المعاد وهو قوله تعالى قل الذى فطركم أول مرة قال تعالى (وقل) يا محمد (لعبادى) اى المؤمنين لان لفظ العباد فى أكثر آيات القرآن مختص بالمؤمنين قال تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول وقال تعالى فادخلى فى عبادى وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله (يقولوا) للكفار الذين كانوا يؤذونهم الكلمة (التى هى أحسن) ولا يكافؤهم على سفههم بل يقولون يهديكم الله وكان هذا قبل الاذن بالقتال وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعفو وقيل أمر المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلة التى هى أحسن وقيل الاحسن قول لا اله الا الله ثم علل تعالى بقوله تعالى (ان الشيطان) اى البعيد عن الرحمة المحترق باللعنة (ينزغ بينهم) اى يفسد ويغرى بعضهم على بعض ويوسوس لهم لتقع بينهم المشارة والمشاقة وأصل النزغ الطعن وهم غير معصومين فيوشك ان يأتوا بما لا يناسب الحال ثم علل تعالى هذه العلة بقوله تعالى (ان الشيطان كان) اى فى قديم الزمان وأصل الطبع كونا هو مجبول عليه (للانسان عدوا) اى بليغ العداوة (مبينا) اى بين العداوة ثم فسرته لى التى هى أحسن بما علمهم بهم

توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا وصالح قال فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب وشعيب قال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربى رحيم ودود (قوله قل كفى بالله

الله تعالى فى هلاكها (كان ذلك) اى الامر العظيم (فى الكتاب) اى اللوح المحفوظ (مسطورا) اى مكتوبا قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال وما اكتب قال القدر ما كان وما هو كائن الى الابد الابد اخرجه الترمذى * ولما كان كفار قريش قد تحكموا واقترحوا عليهم الآيات وكان صلى الله عليه وسلم اشد حرصه على ايمان كل احد يحب ان الله تعالى يجيبهم الى مقترحهم طمعا فى ايمانهم فاجاب الله تعالى بقوله (وما منعنا) اى على ما فى الناس الحكمة التى لا تخرقها شئ ولا يمنعها مانع (ان نرسل بالآيات) اى التى اقترحها كفار قريش الا لاشتراك العلم فى قولهم فاتنا باية كما ارسل الاولون وقال آخرون ان نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وقال سعيد بن جبير انهم قالوا انك تزعم انه كان قبلك انبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من [illegible] الموتى فائتنا بشئ من هذه المعجزات فكأنه لا آيات عندهم [illegible] الشهادة بما وقع من (ان كذب بها) اى بالمقترحات (الاولون) وعادتنا جارية بان من لا مثل الاولين ان لتبقى منهم لا يؤمن بالمقترحات كما هو ديدنهم [illegible] من انواعهم وهو ذلك والسعداء لا تحتاج فى ايمانهم الى انكم اجبنا امة الحق [illegible] فانا لا دلالة اهل الضلالة منهم الا كذا فقد شاهم لانه مقابحة الا من ابى الا بالايمان بالمقترحات من كذب بها قال ابن عباس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحى الجبال عنهم ليزرعوا فالارض فطلب صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط انهم ان لم يؤمنوا اهلكتهم فسأل صلى الله عليه وسلم لا اريد ذلك فقد قال الله تعالى [illegible] الامم السالفة [illegible] استئصالها [illegible]

[illegible]

[illegible] الاولون ثم كذبوا بها [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والتحكم على الله [illegible] الا [illegible]

قريش [illegible] ثم قال تعالى (وما نرسل بالآيات) اى المقترحات (الا تخويفا) لهم من نزول العذاب فان خافوا والا اهلكوا بعذاب الاستئصال من كذب بالآيات المقترحات وبعدها الآيات من كذبه بها كالمعجزات وآيات القرآن فامره من بعث اليهم مؤخر الى يوم القيامة (فان قيل) المقصود الاعظم من اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدعى فكيف حصر المقصود من اظهارها فى التخويف (اجيب) بانه لما كان هو الحاصل والغالب على القوم صدق فكأنه هو المقصود والمطالب القوم من النبي صلى الله عليه وسلم تلك الآيات المقترحات واجاب الله تعالى بان اظهارها ليس بمصلحة صار ذلك سببا لجراءة اولئك الكفار بالطعن فيه وان يقولوا لو كنت رسولا حقا من

السموات والارض قادرا لان ما هنا خبر ان وما فى [illegible] وخبرها [illegible] الماء وما فى [illegible] وكان [illegible] دخول الباء [illegible]

موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله عليهم كلامهم بانزال الزبور على داود وروى البخاري في التفسير عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه لتسرج فكان يقرأ قبل ان يفرغ اى القرآن قال البقاعي ومن اعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذي هذا مقامه فيه صريحا وكذا ذكر النار مع خلو التوراة عن ذلك اما البعث فلا ذكر له فيها أصلا وأما النار فلم يذكر شيء مما يدل عليها الا الجحيم في موضع واحد وأما الزبور فذكر فيه النار والهاوية والجحيم في غير موضع انتهى وقرأ حمزة بضم الزاي والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دونه) اى من سواه كالملائكة وعزير والمسيح وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي بضم اللام من قل وكسرها عاصم وحمزة كل هذا في حال الوصل وأما الابتداء فالجميع ابتدؤا بهمزة مضمومة (فلا يملكون كشف الضر) اى البؤس الذي من شأنه أن يمرض الجسم كله (عنكم) حتى لا يدعوا شيأ منه (ولا تحويلا) له الى غيركم فقال ابن عباس انها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم وقيل ان قوما عبدوا نفرا من الجن فاسلم النفر من الجن وبقي أولئك القوم متمسكين بعبادتهم فنزلت فيهم هذه الآية وقيل ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فنزل قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه وليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في وصفهم (أولئك الذين يدعون) اى يدعونهم الكفار ويتألهونهم (يبتغون) اى يطلبون طلبا عظيما (الى ربهم) اى المحسن اليهم (الوسيلة) اى المنزلة والدرجة والقربة لاعمالهم الصالحة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يليق بالاصنام البتة وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم * (تنبيه) * أولئك مبتدأ وخبره يبتغون ويكون الموصول نعتا أو بيانا أو بدلا والمراد باسم الاشارة الانبياء أو الملائكة الذين عبدوا من دون الله والمراد بالواو العباد لهم ويكون العائد على الذين محذوفا والمعنى أولئك الانبياء الذين يدعونهم المشركون لكشف ضرهم يبتغون الى ربهم الوسيلة (أيهم أقرب) أي يتسابقون بالاعمال مسابقة من يطلب كل منهم أن يكون اليه أقرب ولديه أفضل (ويرجون رحمته) رغبة فيما عنده (ويخافون عذابه) فهم كغيرهم موصوفون بالعجز والحاجة فكيف يدعونهم آلهة وقيل معناه ان الكفار ينظرون أيهم أقرب الى الله تعالى فيتوسلون به ثم علل خوفهم بأمر عام بقوله تعالى (ان عذاب ربك) أي المحسن اليك برفع انتقام الاستئصال منه عن أمتك (كان) أي كونا لازما (محذورا) جديرا بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم لما شوهد من اهلاكه للقرون الماضية * ولما قال تعالى ان عذاب ربك كان محذورا بين بقوله تعالى (وان) أي وما (من قرية) الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا) أي كل قرية أي أهلها لابد وان يرجع حالهم الى أحد أمرين اما الاهلاك بالموت والاستئصال واما العذاب بالقتل وأنواع البلاء وقال مقاتل أما الصالحة فبالموت وأما الطالحة فبالعذاب وقال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن

الاصل اتصل وصفت
اسم به وهو قوله تعالى بلهم
خالق السموات والارض (قوله
اولم يروا أن الله الذي خلق
السموات والارض قادر)
وفي الاحقاف بلفظ بقادر
وفي يس اوليس الذي خلق

الترك يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقيت سالمة لا تعمل فيها
النار وترى النعامة تبلع الجمر وتبلع الحديد المحمى باحماء النار فلا يضرها ثم أقرب من ذلك انه
تعالى جعل في الشجر نارا فلا تحرقه قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا (فان
قيل) ليس في القرآن لعن هذه الشجرة (أجيب) عن ذلك بوجوه الاول المراد لعن الكفار
الذين يأكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن أصحابها على
المجاز الثاني ان العرب تقول لكل طعام ضار انه ملعون الثالث ان اللعن في اللغة الابعاد ولما
كانت هذه الشجرة مبعدة عن صفات الخير سميت ملعونة وقيل ان الشجرة الملعونة في القرآن
هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا الآية وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل وعن ابن
عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب ولما ذكر سبحانه وتعالى أنه يرسل
بالآيات تخويفا قال هنا أيضا (ونخوفهم فما يزيدهم) اى الكافرين والتخويف بالقرآن
(الا طغيانا كبيرا) اى تجاوزا للحد في غاية العظم فبتقدير أن يظهر الله تعالى لهم المعجزات
التي اقترحوها لم يزدادوا بها الا تماديا في الجهل والعناد فاقتضت الحكمة أن لا يظهر الله لهم
ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فانهم قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا
بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون
من الآيات * ولما نازع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه واقترحوا عليه
الاقتراحات الباطلة لامرين الكبر والحسد أما الكبر فلان تكبرهم كان يمنعهم من الانقياد وأما
الحسد فلانهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة فبين تعالى ان هذا الكبر والحسد هما
اللذان حملا ابليس على الخروج عن الايمان والدخول في الكفر بقوله تعالى (واذ) اى واذكر
اذ (قلنا) بما لنا من العظمة التي لا ينقض مرادها (للملائكة) حين خلقنا أباك آدم وفضلناه
(اسجدوا لآدم) اى امتثالا للامر (فسجدوا الا ابليس) اى ابى أن يسجد لكونه عن سعة
علمه الكاملة لم يفهم ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذلك معنى قوله تعالى (قال) اى منكرا
متكبرا (أأسجد) اى خضوعا (لمن خلقت) حال كون اصله (طينا) فكفر بنسبته الله الى الجور
مفضلا انه أفضل من آدم عليه السلام من حيث ان الفروع ترجع الى الاصول وان النار
التي هي أصله أكرم من الطين الذي هو أصل آدم وذهب عنه ان الطين أنفع من النار وعلى
تقدير التنزل فالجواهر كلها من جنس واحد والله تعالى هو الذي أوجدها من العدم يفضل
بعضها على بعض بما يحدث فيها من الاعراض وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في سبع سور وهي
البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص والكلام المستقصى فيها تقدم
في البقرة ولعل هذه القصة انما كررت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان في محنة عظيمة
من قومه وأهل زمانه فكأنه تعالى يقول ألا ترى ان أول الانبياء هو آدم عليه السلام ثم انه
كان في محنة شديدة من ابليس وان الكبر والحسد كل منهما بلية عظيمة ومحنة عظيمة للخلق وقرأ
نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا ولم
يدخل ورش وابن كثير بينهما ألفا ولورش أيضا ابدال الثانية ألفا واذا وقف حمزة سهل الثانية
كقراءة ابن كثير وقرأ هشام بالتحقيق في الثانية والتسهيل وادخال ألف بينهما وقرأ الباقون

لموسى عليه السلام
سحروا بل كان يؤمن به
سحرا وافتعلات
(قلت) ولكن
لو نظرت نظرا صحيحا
تخشى فوات
مصالحه
دعوى الالوهية لو صدقوه
(قوله) وانى لاظنك يا فرعون

عند الله لا تثبت بهذه المعجزات التي اقترحناها كما أتى بها موسى وغيره من الانبياء فعند هذا قوى الله تعالى قلبه وبين له انه ينصره ويؤيده فقال تعالى (و) اذكر يا أشرف الخلق (اذ قلنا لك ان ربك) أي المتفضل بالاحسان اليك بالرفق لامتك (أحاط بالناس) علما وقدرة فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فلا يقدرون على أمر من الامور الا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهتم باقتراحهم وامض فيما أمرك به من تبليغ الرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك كما وعدك بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقيل ان المراد بالناس أهل مكة بمعنى أنه يغلبهم ويقهرهم روى أنه لما تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول حين ورد بدرا والله كأني أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف تعالى على وما نرسل بالآيات قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) أي التي شاهدتها ليلة الاسراء (الا فتنة) أي امتحانا واختبارا (للناس) لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفر به كثير ممن كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا فلهذا السبب كانت امتحانا وروى البخاري في الصحيح عن ابن عباس انه قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وتقدم أنه قول الاكثر فهم سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وما قاله بعضهم من ان الرؤيا تدل على انها رؤيا منام ضعيف اذ لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة يقال رأيته بعيني رؤية ورؤيا

(فائدة) قال بعض العلماء كانت اسراآته صلى الله عليه وسلم أربعا وثلاثين مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها قال ومما يدل على أن الاسراء ليلة فرض الصلاة كانت بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث أنه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به في النور ولم ير معه أحدا اذ الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش قال ومما يدلك على أن الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش ولما كان قد أخبر صلى الله عليه وسلم ان شجرة الزقوم تنبت في أصل الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمها الى الاسراء في ذلك بقوله تعالى (والشجرة الملعونة في القرآن) لان فيها امتحانا أيضا بل قال بعض المفسرين هي على التقديم والتأخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس واختلف في هذه الشجرة فالاكثرون قالوا انها شجرة الزقوم المذكورة في قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فكانت الفتنة في ذكر هذه الشجرة من وجهين الاول أن أبا جهل قال زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول في النار شجرة والنار تأكل الشجر فكيف تولد فيها الشجر والثاني قال ابن الزبعرى ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد فتزقموا منه فأنزل الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الآيات وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك فان الله تعالى قادر على أن يجعل الشجر من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد

الخ (قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) فان قلت كيف قال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت ذلك مع ان فرعون لم يعلم ذلك لانه لو علم ذلك لم يقل

كالرجالة للراجل والجد في الاصل جمعه بالخيل والرجل قال الرازي وهذا أقرب وقال الزمخشري
هو كلام ورد مورد التمثيل مثل في تسلطه على من يغويه بمغوار وقع على قوم فصوّت بهم صوتا
يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى
استأصلهم والخيل تقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقد تقع على
الافراس خاصة وقرأ حفص عن عاصم بكسر الجيم وسكنها الباقون جمع راجل كصاحب
وصحب وراكب وركب ورجل بالكسر والضم لغتان مثل حدث وحدث وهو مفرد اريد به
الجمع الرابع قوله تعالى (وشاركهم في الاموال والاولاد) أما المشاركة في الاموال فقال
مجاهد هو كل ما اصيب من حرام او انفق في حرام وقال قتادة هو جعلهم البحيرة والسائبة
والوصيلة والحام وقال الضحاك هو ما يذبحونه لآلهتهم وقال عكرمة هو تبتيكهم آذان
الانعام وقيل هو جعلهم من أموالهم شيئا لغير الله كقولهم هذا لله وهذا لشركائنا ولا منافاة
بين جميع هذه الاقوال وأما المشاركة في الاولاد فقال عطاء عن ابن عباس هو تسمية الاولاد
بعبد شمس وعبد العزى وعبد الحارث وعبد الدار ونحوها وقال الحسن انهم هودوا
اولادهم ونصروهم ومجسوهم وروى عن جعفر بن محمد ان الشيطان يقعد على ذكر
الرجل فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل ويقال في [illegible]
هذه الاقوال أيضا ما تقدم وروى ان رجلا قال لابن عباس ان امرأتي استيقظت وفي فرجها
شعلة نار قال ذلك من وطء الجن وفي الآثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب أخرجتني
من الجنة لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدني
قال استفزز من استطعت منهم بصوتك الآية فقال آدم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لا
أستطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال [illegible] قال الحسنة بعشرة أمثالها
والسيئة بمثلها قال يا رب زدني قال التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد قال زدني فقال يا عبادي
الذين أسرفوا الآية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتبا فما قرائي قال
الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال [illegible]
[illegible] قال كل مسكر قال وأين مسكني قال الحمام قال وأين مجلسي قال
الاسواق قال وما صوتي قال المزامير قال وما مصائدي قال النساء الخامس قوله تعالى (وعدهم)
أي من المواعيد الباطلة كتسويفهم [illegible] ومن الاولاد ومن دلالة
شفاعة الآلهة والكرامة على الله تعالى بالانساب الشريفة وتسويف التوبة وايثار
العاجل على الآجل ونحو ذلك وقوله تعالى (وما يعدهم الشيطان) من باب الالتفات واقامة
الظاهر مقام المضمر ولو جرى على سنن الكلام الاول لقال وما تعدهم [illegible] وقوله
تعالى (الا غرورا) فيه أوجه أحدها انه نعت لمصدر محذوف وهو [illegible] والاصل
الا وعدا غرورا الثاني انه مفعول من أجله أي ما يعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور
الثالث انه مفعول به على الاتساع أي ما يعدهم الا الغرور نفسه والغرور تزيين الباطل بما
يظن انه حق (فان قيل) كيف ذكر الله تعالى هذه الاشياء لابليس وهو يقول ان الله لا يأمر
بالفحشاء (اجيب) بان هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اعمل

وانما عبر بالظن لمقابل
قول فرعون اني لاظنك
[illegible] فكأنه قال ان
ظننت [illegible] ظنا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بتحقيقهما بلا ادخال ولما أخبر تعالى بتكبره كان كأنه قيل ان هذه الوقاحة عظيمة واجتراء على الجناب الأعلى فهل كان منه غير ذلك قيل (قال أرأيتك) أي أخبرني وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش وجه ثان وهو ان يبدلها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق (هذا الذي كرمت علي) لم كرمته علي مع ضعفه وقوتي فكأنه قيل لقد أتى بالغاية في اساءة الأدب فما كان بعد هذا فقيل قال مقسما لأجل استبعاد ان يجترئ أحد هذه الجراءة على الملك الأعلى (لئن أخرتن) أي أيها الملك الأعلى تأخيرا ممتدا (الى يوم القيامة) حيا متمكنا وجواب القسم الموطأ له باللام (لأحتنكن) أي بالاغواء (ذريته) أي لاستولين عليهم استيلاء من جعل في حنك الدابة الأسفل حبلا يقودها به فلا تأبى عليه وقرأ نافع وأبو عمرو بزيادة ياء بعد النون في أخرتني عند الوصل وحذفها في الوقف وأثبتها ابن كثير وصلا ووقفا وحذفها الباقون وقفا ووصلا اتباعا للرسم ولما علم أنه لا يقدر على الجميع قال (الا قليلا) وهم أولياؤك الذين حفظتهم مني كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فان قيل) كيف ظن ابليس هذا الظن الصادق بذرية آدم (أجيب) بأوجه الأول انه سمع الملائكة يقولون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فعرف هذه الأحوال الثاني انه وسوس الى آدم ولم يجد له عزما فقال الظاهر ان أولاده يكونون مثله في ضعف العزم الثالث انه عرف انه مركب من قوة بهيمية شهوية وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية وقوة سبعية غضبية وعرف ان بعض تلك القوى تكون هي المستولية في بعض أول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الأمر ومن كان كذلك كان ما ذكره ابليس لازما له ثم كأنه قيل ماذا قال عدو الله الاجتراء فما قال له ربه بعد ذلك فقيل (قال) له (اذهب) أي امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه وتقدم في الحجر انه انما يؤخر الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم ينفخ في الصور لا انه يؤخر الى يوم القيامة كما طلب وقرأ أبو عمرو وخلاد والكسائي بادغام الباء الموحدة في الفاء وأظهرها الباقون ولما حكم تعالى بشقاوته وشقاوة من أراد طاعته له تسبب عنه قوله تعالى (فمن تبعك منهم) أي أولاد آدم عليه السلام (فان جهنم) أي الطبقة النارية التي تجهم داخلها (جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء أتباعك تجزون ذلك (جزاء موفورا) أي مكملا وافيا باستحقاق على أعمالكم الخبيثة ولما طلب ابليس الامهال من الله تعالى الى يوم القيامة لأجل ان يحتنك ذرية آدم ذكر الله تعالى له أشياء الأول اذهب أي امض كأمر فاني أمهلتك هذه المدة وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء الثاني قوله تعالى (واستفزز) أي استخف (من استطعت منهم) أن تستفزه وهم الذين سلطانك عليهم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله تعالى فهو من جند ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء واللهو واللعب الثالث قوله تعالى (واجلب) أي صح (عليهم) من الجلبة وهي الصياح (بخيلك ورجلك) واختلفوا في الخيل والرجل على أقوال الأول روى أبو الضحى عن ابن عباس انه قال كل راكب او راجل في معصية الله تعالى وعلى هذا فخيله ورجله كل من شاركه في الدعاء الى المعصية الثاني يحتمل ان يكون لابليس جيش من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل الثالث ان المراد منه ضرب المثل

مثبورا) أي هالكا (أو مطرودا أو خاسرا (فان قلت) كيف قال له لأظنك مع انه يعلم انه مثبور (قلت) الظن هنا بمعنى العلم كما في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم

اخرى رفيعة جليلة على الانسان وذكر فيها أربعة أنواع النوع الاول قوله تعالى (ولقد كرمنا) أي بعظمتنا تكريما عظيما (بني آدم) وحذف متعلق التكريم فلهذا اختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم فانه يأكل بيده وعن الرشيد انه أحضر طعاما عنده فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه وروي عن ابن عباس انه قال بالعقل وقال الضحاك بالنطق والتمييز وقيل على سائر الحيوان بالنمو وعلى النامي بالحياة وعلى سائر الحيوان بالنطق وقال عطاء بتعديل القامة وامتدادها والدواب منكبة على وجوهها قال بعضهم وينبغي ان يشترط مع هذا شرط وهو طول القامة مع استكمال القوة العقلية والحسية والحركية والا فالاشجار أطول قامة من الانسان وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بان سخر لهم سائر الاشياء وقيل بانهم خير أمة أخرجت للناس وقيل بحسن الصورة قال تعالى وصوركم فأحسن صوركم ولما ذكر الله تعالى خلقة الانسان وهي ولقد خلقنا الانسان الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين قال الرازي فان شئت فتأمل عضوا واحدا من أعضاء الانسان وهي العين فخلق الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم أحاط بذلك البياض سواد الاشفار ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق ذلك البياض سواد الشعر وليكن هذا المثال الواحد انموذجا لك في هذا الباب انتهى واستدل أيضا لشرف الانسان بان الموجود اما أن يكون أزليا وأبديا وهو الله تعالى واما أن لا يكون لا أزليا ولا أبديا وهو عالم الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أخس الاقسام واما أن يكون أزليا ولا يكون أبديا وهذا ممتنع الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما أن لا يكون أزليا ولكنه يكون أبديا وهم الانسان والملك ولا شك ان هذا القسم أشرف من القسم الثاني والثالث وذلك يقتضي كون الانسان أشرف من أكثر المخلوقات النوع الثاني قوله تعالى (وحملناهم في البر) على الدواب وغيرها (في البحر) على السفن [illegible] لا [illegible] ما يركبه او يطعمه فهم صاحب لها [illegible] الاختيار [illegible] النوع الثالث قوله تعالى (ورزقناهم من الطيبات) أي المستلذات من الزاد والاقوات وذلك لان الاغذية اما حيوانية واما نباتية وكلا القسمين فان الانسان انما يتغذى بألطف أنواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما لا يحصل الا للانسان النوع الرابع قوله تعالى (وفضلناهم) أي الجنس باستعمال العقل وفي هذا ما فضلناهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين (على كثير ممن خلقنا) أي بعظمتنا التي ثلث له [illegible] وأكد الفعل بالمصدر اشارة الى [illegible] التفضيل فقال تعالى (تفضيلا) * (تنبيه) ظاهر الآية يدل على فضلهم على كثير من خلقه لا على الكل وقال قوم فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهو قول ابن عباس واختيار الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط وقال الكلبي فضلوا على جميع الخلائق كلهم الا على

يجعل له عوجا لان أحنى [illegible] القرب يستلزم الاقامة (قلت) فائدته التأكيد فرب [illegible] وصف كتاب الله العظيم أو وصف نبيه الله قائم عدل [illegible] الحكمة [illegible] كذا [illegible]

ما شئت فسوف ترى وكما يقال اجهد جهدك فسوف ترى ما ينزل بك * ولما قال الله تعالى له
افعل ما تقدر عليه قال تعالى (إن عبادي) أي الذين أهلتهم للإضافة إلي فقاموا بحق عبوديتي
بالتقوى والإحسان (ليس لك عليهم سلطان) أي فلا تقدر أن تغويهم وتحملهم على ذنب
لا يغفر فإني وفقتهم للتوكل علي فكفيتهم أمرك (وكفى بربك) أي الموجد لك (وكيلا) أي
حافظا لهم منك * ولما ذكر تعالى أنه الوكيل الذي لا كافي غيره أتبعه بعض أفعاله الدالة على
ذلك بقوله تعالى (ربكم) أي المتصرف فيكم هو (الذي يزجي) أي يجري (لكم الفلك)
ومنها التي حملكم فيها مع أبيكم نوح عليه الصلاة والسلام (في البحر لتبتغوا) أي لتطلبوا
(من فضله) الربح وأنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم ثم أنه تعالى علل ذلك بقوله عز وجل
(إنه) أي فعل سبحانه وتعالى ذلك لأنه (كان) أي أزلا وأبدا (بكم رحيما) حيث هيأ لكم
ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه *(تنبيه)* الخطاب في قوله ربكم وفي
قوله تعالى إنه كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا ومصالحها وأما قوله تعالى
(وإذا مسكم الضر) أي الشدة (في البحر) خطاب للكفار بدليل قوله تعالى (ضل) أي غاب
عن ذكركم وخواطركم (من تدعون) أي تعبدون من الآلهة (إلا إياه) وحده
فأخلصتم له الدعاء لعلمكم أنه لا ينجيكم سواه (فلما نجاكم) من الغرق وأوصلكم بالتدريج
(إلى البر أعرضتم) عن الإخلاص له ورجعتم إلى الإشراك (وكان الإنسان) أي هذا النوع
(كفورا) أي جحودا للنعم بسبب أنه عند الشدة يتمسك بفضله ورحمته وعند الرخاء والراحة
يعرض عنه ويتمسك بغيره وقوله تعالى (أفأمنتم) الهمزة فيه للإنكار والفاء للعطف على
محذوف تقديره أنجوتم من البحر فأمنتم بعد خروجكم منه (أن نخسف بكم جانب البر)
نقلبه بكم في أي جانب كان منه لأن قدرتنا على التعذيب في الماء والتراب على السواء فعلى
العاقل أن يستوي خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب (أو) أمنتم أن (نرسل عليكم) من
جهة الفوق شيئا من أمرنا (حاصبا) أي نمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم
لوط قال الله تعالى إنا أرسلنا عليهم حاصبا وقيل الحاصب الريح (ثم لا تجدوا لكم) أيها الناس
(وكيلا) ينجيكم من ذلك ولا من غيره كما لم تجدوا في البحر وكيلا غيره (أم أمنتم) أي جاوزت بكم
الغباوة حدها فلم تجوزوا ذلك (أن نعيدكم فيه) أي البحر الذي تضطركم إلى ذلك فتقسركم
عليه وإن كرهتم (تارة أخرى) بأسباب تضطركم إلى أن ترجعوا فتركبوه (فنرسل عليكم
قاصفا من الريح) أي ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتكسر فلككم (فنغرقكم) في
البحر الذي أعدناكم فيه بقدرتنا (بما كفرتم) أي بسبب إشراككم وكفرانكم نعمة
الإنجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) أي مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم *(تنبيه)* تارة
بمعنى مرة وكرة فهي مصدر وتجمع على تير وتارات قال الشاعر

وإنسان عيني يحسر الماء تارة * فيبدو وتارات يجم فيغرق

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم جميع هذه الخمسة
بنون العظمة والباقون بياء الغيبة والقراءة الأولى على سبيل الالتفات من الغائب في قوله
تعالى ربكم إلى آخره والقراءة الثانية على سنن ما تقدم من الغيبة * ثم إن الله تعالى ذكر نعمة

العود والثاني في حال الصلاة أو الأول واقع في قراءة القرآن أو سماعه والثاني في غير ذلك

(سورة الكهف)

(قوله قيما) * إن قلت ما فائدة ذكره بعد قوله ولم

الفلالة التي في ظهر النواة والنقير وهي النقرة التي في ظهر النواة وروى مجاهد عن ابن عباس قال الفتيل هو الوسخ الذي يفتله الانسان بين سبابته وابهامه (فان قيل) لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أهل الشمال يقرؤنه (أجيب) بان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فيستولي الخوف على قلوبهم ويثقل لسانهم فيعجزون عن القراءة الكاملة وأما أصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لاجرم أنهم يقرؤن كتابهم على أحسن الوجوه ثم لا يقنعون بقراءتهم وحدهم بل يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه جعلنا الله تعالى وجميع أحبابنا منهم ثم قال الله تعالى (ومن كان) منهم (في هذه) أي الدار (أعمى) أي ضالا يعمل في الافعال فعل الاعمى في أخذ الانسان لا يهتدي الى أخذ ما ينفعه وترك ما يضره ولا يميز بين حسن وقبيح (فهو في الآخرة أعمى) أي أشد عمى عما كان عليه في هذه الدار لانه لا يجد فيها ولا يهتدي الصواب لم يقل تعالى أشد عمى كما يقال في الخلق اللازمة كالعمى واحد فعل العور والحمرة والسواد وشبهها لان هذا مراد به عمى القلب الذي من شأنه التزيد والحدوث في كل لحظة شيئا بعد شيء (وأضل سبيلا) لان هذه الدار دار الاكتساب والترقي في الاسباب وأما الآخرة فليس فيها شيء من ذلك وقال عكرمة جاء نفر من أهل اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرؤا ما قبلها فقرؤا ربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله تفضيلا فقال ابن عباس من كان أعمى في هذه النعم التي قد رأى وعاين فهو في الآخرة التي لم يعاين ولم ير أعمى وأضل سبيلا وعلى هذا فالاشارة في قوله هذه الى النعم المذكورة في الآيات المتقدمة وحمل بعضهم العمى الثاني على عمى العين والبصر كما قال تعالى ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وهذا العمى زيادة في عقوبتهم [illegible] في الآيات المتقدمة أقسام نعمه على خلقه وأتبعها بذكر درجات الخلق في الآخرة وشرح أحوال السعداء [illegible] من الاغترار [illegible] أرباب الضلال والانخداع بكلماتهم المشتملة على المكر والتلبيس فقال تعالى (وان كادوا) أي قاربوا وان هذه المخففة [illegible] عصمة الله تعالى لانها كانت ان هذه هي المخففة من الثقيلة أتى باللام الفارقة بينها وبين النافية في قوله (ليفتنونك) أي ليخدعونك فاتحة [illegible] واختلف في سبب نزول هذه الآية فروى عطاء عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا أن لا نجبي في الصلاة بفتح الجيم والباء الموحدة المشددة أي لا ننحني فيها ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمتعنا باللات والعزى سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها وفي رواية وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك رسول الله صلى الله

الثامنة كاف قوله وقعت أواجها وقال الزمخشري وغيره هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الصفة الواقعة حالا من المعرفة تقول جاءني رجل

[illegible] الاخلاص [illegible] والانعام [illegible] الاسلام [illegible] الاخرة [illegible] الاية [illegible]

طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وأشباههم وقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى جميع الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله تعالى وأكثرهم كاذبون أى كلهم وروى جابر يرفعه قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لاأجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان والاولى كما قاله بعض المفسرين كالبغوى وابن عادل أن يقال عوام الملائكة أفضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة عنده رواه البغوى ورواه الواحدى فى بسيطه (فان قيل) قال تعالى فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وقال فى آخرها وفضلناهم فلابد من الفرق بين التكريم والتفضيل والالزم التكرار (أجيب) بأنه تعالى فضل الانسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية كالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة ثم انه سبحانه وتعالى عرضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والاخلاق الفاضلة ولما ذكر تعالى أنواع كرامات الانسان فى الدنيا شرح أحوال درجاته فى الآخرة بقوله تعالى (يوم) أى اذكر يوم (ندعوا) أى بمالنا من العظمة (كل أناس) أى منكم (بامامهم) الامام فى اللغة كل من ائتم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالنبى امام أمته والخليفة امام رعيته والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذى يقتدون به فى الصلاة وذكروا فى تفسير الامام هنا أقوالا أحدها امامهم نبيهم روى ذلك مرفوعا عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فينادى يوم القيامة ياأمة ابراهيم ياأمة موسى ياأمة عيسى ياأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى الاتباع ياأتباع نمرود ياأتباع فرعون ياأتباع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفر الثانى أن امامهم كتابهم الذى أنزل عليهم فينادى فى القيامة ياأهل القرآن ياأهل التوراة ياأهل الانجيل الثالث امامهم كتاب أعمالهم قال تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب اماما قال الزمخشرى ومن بدع التفاسير أن الامام جمع أم وان الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم وان الحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وأن لاتفتضح أولاد الزنا قال وليت شعرى أيهما أبدع البدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته قال ابن عادل وهو معذور لان أما لايجمع على امام هذا قول من لايعرف الصناعة ولا لغة العرب (فمن أوتى) أى من المدعوين (كتابه) أى كتاب عمله (بيمينه) وهم السعداء أولو البصائر فى الدنيا (فأولئك يقرؤن كتابهم) ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه من الحسنات (ولا يظلمون) ينقص حسنة تامين ظالم ما (فتيلا) أى شيأ فى غاية القلة والحقارة بل يزدادون بحسب اخلاص النيات وطهارة الاخلاق وزكاء الاعمال (تنبيه) الفتيل القشرة التى فى شق النواة تسمى بذلك لانه اذا رام الانسان اخراجه انفتل وهذا مثل يضرب للشئ الحقير التافه ومثله القطمير وهو

لبعض شراحه وانتصب هو بقدر تقديره لكن جعله فيما (قوله انعلم) اى الحزبين (الخ) اى لنعلمه علم ظهور ومشاهدة (قوله وتامهم كلهم) الواو فيه زائدة وقيل مستأنفة وقيل واو

رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه
ويراه الناس عازماً على الخروج إلى الشام فيدخلون في دين الله فنزلت هذه الآية فرجع
وهذا قول الكلبي وعلى هذا فالآية مدنية والمراد بالأرض أرض المدينة وقال قتادة ومجاهد
الأرض أرض مكة والآية مكية هم المشركون أن يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بنفسه قال ابن عادل تبعاً للرازي وهذا
أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وهذا اختيار الزجاج وكثير في
التنزيل ذكر الأرض والمراد منها مكان مخصوص كقوله تعالى أو ينفوا من الأرض أي من
مواضعهم وقوله تعالى حكاية عن أخي يوسف فلن أبرح الأرض يعني الأرض التي كان قصدها
لطلب الميرة (فإن قيل) قال تعالى وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك يعني
أهل مكة فإذا أهلها [illegible] كرة تعالى أنهم أخرجوه وقال تعالى وإن كادوا ليستفزونك من
الأرض ليخرجوك منها فكيف الجمع بينهما على القول الثاني (أجيب) بأنهم هموا بإخراجه
وهو صلى الله عليه وسلم ما خرج بسبب إخراجهم وإنما خرج بأمر الله تعالى [illegible] فلا تناقض
(وإذاً) أي وإذا أخرجوك (لا يلبثون خلافك) أي بعد إخراجهم لك أو خروجك (إلا) زمناً
(قليلاً) وقد كان كذلك على القول الثاني فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته وعلى القول الأول
قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الخاء
وسكون اللام والباقون بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألف قال الشاعر
عفت الديار (أي اندرست) خلافهم أي (خلفهم) فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا
الشواطب النساء اللاتي يشققن الجريد [illegible]
والخوص الأخضر [illegible]
[illegible] (سنة) أي [illegible]
(من قد أرسلنا قبلك) أي في الأزمان الماضية (من رسلنا) [illegible]
[illegible]
[illegible] (تحويلا) أي [illegible]
[illegible] الأمر بالطاعة وأشرف الطاعات [illegible]
قال تعالى [illegible] صلى الله عليه وسلم (أقم الصلاة) [illegible]
[illegible]
كل سوء [illegible]
إلى أن الصلاة أعظم [illegible] واستهزائهم [illegible] الإيذاء [illegible] كان صلى
الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ثم عين له الأوقات بقوله تعالى (لدلوك الشمس) في
هذه اللام قولان أحدهما أنها بمعنى بعد أي بعد دلوك الشمس ومثله قول متمم

فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

والثاني أنها على بابها لأنها إنما تجب بزوال الشمس والدلوك مصدر دلكت الشمس وفيه
أقوال أحدها أنه الزوال وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر وأكثر التابعين ويدل لذلك قوله

عليه وسلم ولم يجبهم فقالوا يا رسول الله انا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا
فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم مالم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت
عليه وسلم فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك فصاح عليهم عمر وقال أما تر
صلى الله عليه وسلم قد أمسك عن الكلام كراهة لما تذكرونه فأنزل الله تعالى
وقال سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود فتمنعه قريش
حتى تلم بآلهتنا وتمسها فحدث صلى الله عليه وسلم نفسه ما علي أن أفعل ذلك
لها كاره بعد أن يدعوني حتى استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى
لا اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك فنزلت وان كا
(عن الذي أوحينا اليك) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفتري) أي
غيره) أي مالم نقله (واذا) أي لو ملت الى ما دعوك اليه (لاتخذوك) أي بغاية الر
أي لوالوك وصافوك وأظهروا للناس أنك موافق لهم على كفرهم وراض
يكن خليل الكفار لم يكن خليل الله تعالى والحال أبصرت رشدك فلزمت أمر
على عامهم اتماما للفضل الذي فضلناك على كل مخلوق (ولولا أن ثبتناك) أي على الحق
(لقد كدت) أي قاربت (تركن) أي تميل (اليهم) أي الى الاعداء (شيئا) أي
حبتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكن عصمناك فمنعناك أن تقرب من
من أن تركن اليهم لان كلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره تقول لولا زيد لهلك
ان وجود زيد منع من حصول الهلاك لعمرو فكذلك ههنا قوله تعالى ولولا أن
كدت تركن اليهم معناه لولا حصل تثبيت الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فكا
مانعا من حصول قرب الركون وهذا صريح في أنه عليه الصلاة والسلام ما هم بإ
الداعي اليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه (اذا) أي لو قاربت الركو
اليهم (لاذقناك ضعف) عذاب (الحيوة وضعف) عذاب (الممات) أي مثلي ما يعذ
الدنيا والآخرة وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الم
الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل المراد
عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر والسبب في تضعيف هذا العذا
نعمة الله تعالى في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر فكانت ذنوبهم أ
العقوبة المستحقة عليها أكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
يضاعف لها العذاب ضعفين وقيل الضعف من أسماء العذاب (ثم لا تجد لك) أ
أعظم الخلق وأعلاهم مرتبة وهمة (علينا نصيرا) أي مانعا يمنعك من عذابنا و
سبب نزول قوله تعالى (وان) أي وانهم (كادوا) أي الاعداء (ليستفزونك) أ
بعداوتهم (من الارض ليخرجوك منها) قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله
هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا أبا القاسم ان الانبيا
بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت الى الشام آمنا بك وا
علمنا أنه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله يمنعك م

ومعه آخر وهو ربت زيد
وبعده صفة وضعفه قوله
وما أهلكنا من قرية الا ولها
كتاب معلوم وفائدتها
تأكيد اتصال الصفة
بالموصوف والدلالة على
أن اتصافه بها أمر ثابت

وت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالانسان لما قام من منامه فكأنه انتقل
المو ت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة
هد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقليب الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة فحينئذ يستنير
قلبه بنور هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه فان اكثر الخلق وقعوا في أمراض القلوب
حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والتكاثر وهذه الدنيا مثل دار المرضى اذا كانت
وأهمن المرضى والانبياء كالاطباء الحاذقين والمريض ربما كان يقوى مرضه فلا يعود
العلاجات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا ينقاد للطبيب ويخالفه في اكثر
لان الطبيب اذا كان مشفقا حاذقا فانه يسعى في ازالة ذلك المرض بكل طريق يقدر عليه
ن لم يقدر على ازالته فانه يسعى في تقليله او في تخفيفه فلما كان مرض الدنيا مستوليا على
الخلق ولا علاج له الا بالدعوة الى معرفة الله سبحانه وتعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج
اق على النفوس وقل من يقبله وينقاد له لا جرم أن الانبياء اجتهدوا في تقليل هذا المرض
ملوا الخلق على الشروع في الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم لانه مما ينفع
ازالة هذا المرض ثم حث سبحانه وتعالى على التهجد لافضليته وأرشد اليه بقوله عز من قائل
ومن الليل) أي وعليك أو وقم بعض الليل (فتهجد به) أي واترك الهجود للصلاة يقال هجد
تهجد نام ليلا وهجد وتهجد سهر فهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجد قاله
الصحاح والضمير في به للقرآن والمراد من الآية قيام الليل للصلاة النافلة فلا يحصل
التهجد الا بصلاة تقع بعد نوم وكانت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته
الاقتداء بقوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بما في
الصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه وبقي الوجوب
حقه صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أي زيادة لك مختصة بك وروى عن
أنس رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة
كم الوتر والسواك وقيام الليل والصحيح أنه نسخ في حقه أيضا ودليل النسخ ومسلم وقد
روت أحاديث كثيرة في قيام الليل منها ما روى عن المغيرة بن شعبة أنه قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال أفلا أكون عبدا شكورا ومنها ما روى عن زيد بن خالد الجهني أنه قال لأرمقن صلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين
ثم صلى ركعتين طويلتين ثم ركعتين طويلتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما
ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة ٣ فلهذا قيل انها أكثر الوتر وهو أحد قولي الشافعي والمرجح عنده
ان اكثره احدى عشرة ركعة لما رواه أبو سلمة أنه سأل عائشة رضي الله تعالى عنها عن صلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة
ركعة أي وترا يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن
حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فقلت يا رسول الله أتنام
قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنام ولا ينام قلبي ومنها ما روى عن أنس بن مالك قال

ومن شاء كفره كفر بناء على ان
الضمير في به لله كما قاله ابن
عباس رضي الله عنهما
(قوله يحلون فيها من
أساور من ذهب) بناء على ان ذلك
اللباس في الدنيا حرام على
الرجال فكيف وعد الله

٣ قوله فذلك الخ هكذا
بالاصل والمعدود هنا
احدى عشرة ركعة الا
ان كان المراد بقوله ثم
أوتر انه أتى بثلاث ركعات
فليحرر الحديث اه مصححه

صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقول أهل اللغة ان الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة والثاني الغروب وهو قول ابن مسعود ونقله الواحدي في البسيط عن علي رضي الله تعالى عنه وبه قال ابراهيم النخعي والضحاك والسدي وهو اختيار الفراء وكما يقال للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة يقال لها أيضا اذا غربت دالكة لانها في الحالين زائلة قال الازهري والثالث انه من الزوال الى الغروب وقال في القاموس دلكت الشمس غربت أو اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء فحينئذ في هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب بناء على استعمال المشترك في معانيه أما في الظهر والمغرب فواضح لما مر وأما العصر فلان أول وقتها أول أخذ الشمس في الاصفرار وأدل دليل على ذلك أنه تعالى غيا الاقامة لوقت العشاء بقوله تعالى (الى غسق الليل) أي ظلمته وهو وقت صلاة عشاء الآخرة والغاية أيضا هنا داخلة في السياق وقد أجمعوا على أن المراد من قوله تعالى (وقرآن الفجر) أي صلاة الصبح وهو منصوب قيل على الاغراء أي وعليك بقرآن الفجر ورد بان أسماء الافعال لا تعمل مضمرة وقال الفراء انه منصوب بالعطف على الصلاة في قوله تعالى أقم الصلاة والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وحينئذ تدخل الصلوات الخمس في هذه الآية قال ابن عادل كالرازي وحمل كلام الله تعالى على ما يكون أكثر فائدة أولى انتهى وسميت صلاة الصبح قرآنا لاشتمالها عليه وان كانت بقية الصلوات أيضا مشتملة عليه لانه يطول فيها في القراءة ما لا يطول في غيرها فالمقصود من قوله تعالى وقرآن الفجر الحث على طول القراءة فيها أكثر من غيرها لان التخصيص بالذكر يدل على كونها أكمل من غيرها ولما كان القيام عن المنام يشق على من غلبه ظهر اغير مضمر لان المقام مقام تعظيم فقال (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار قال الرازي ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب انا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا أتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لهم وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا وهذا يدل على ان التغليس أولى من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الوقت ففي ذلك الوقت ظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار وأما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت التنوير فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فقوله كان مشهودا يدل على ان التغليس أفضل وأيضا الانسان اذا شرع في صلاة الصبح من أول هذا الوقت فكانت الظلمة القوية في العالم فاذا امتدت القراءة في أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء والظلمة مناسبة

فليؤمن ومن شاء فليكفر) فان قلت في هذا اباحة الكفر (قلت) لا لان هذا اتخاذ كرم ثم سد يد الهم بناء على ان الضمير في شاء للمن وعليه الجمهور والمعنى فمن شاء الله ايمانه آمن

واشفع تشفع ليس أحد الا تحت لوائك والاخبار في الشفاعة كثيرة وفي هذا القدر كفاية لاولي الابصار جعلنا الله تعالى وجميع أحبابنا من أهلها الداخلين تحت شفاعة سيد الانبياء والمرسلين آمين واختلف أهل التفسير في قوله تعالى (وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) فقال ابن عباس والحسن أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق مكة نزل حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقال الضحاك أخرجني مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مدخل صدق ظاهرا عليها بالفتح وقال مجاهد أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق وقيل ادخلني القبر مدخل صدق عند البعث وقيل ادخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل ادخلني في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملتقى بالكرامة والجامع لهذه الاقوال ما جرى عليه القاضي في تفسيره بقوله في كل مكان تريد أن تدخل فيه ومن حيث ما تخرج منه وأخرى مدخل صدق فيه [illegible] في الداخل بأن يسأل لأنه صادق في قوله [illegible] الوجه [illegible] لا يحكم عند الله وجيها وأخرجني من كل ما تخرجني منه مخرج صدق [illegible] المدخل والمخرج الادخال والاخراج [illegible] اضافة المدخل والمخرج الى الصدق مدحهما كأنه سأل الله تعالى ادخالا حسنا واخراجا حسنا لا يرى فيهما ما يكره ثم سأل الله تعالى ان يرزقه التقوية والتأييد بالنصر والقدرة فقال (واجعل لي من لدنك) اى من عندك (سلطانا نصيرا) اى حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه [illegible] بقوله تعالى (والله يعصمك من الناس) [illegible] الى الاكثرين [illegible] الغالبون وقال تعالى ليظهره على الدين كله [illegible] على الاديان [illegible] على الدين وعده تعالى [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] على أهل مكة وقال [illegible] قتادة [illegible] قال [illegible] [illegible] [illegible] لم يحاربوا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال الله تعالى [illegible] [illegible] [illegible] فالله تعالى أخبر بالاخبار بقوله تعالى (وقل) [illegible] (جاء الحق) [illegible] (وزهق) اى ذهب وهلك (الباطل) وهو كل ما عدا الحق ثم [illegible] بقوله تعالى (ان الباطل) اى وان ارتفعت له دولة وصولة (كان) [illegible] (زهوقا) أى لا يبقى بل يزول على أسرع الوجوه وقت ٣ وأسرع [illegible] قضاه الله تعالى من الازل وروى البخاري في التفسير عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب لوجهه وعن ابن عباس كانت لقبائل العرب أصنام يحجون اليها وينحرون لها

اقرؤها بعد تقدمها المدخل على المخرج أى لا تجعله فيها ولا تنسبه في جهة غيرها ولم تجعلها منفية من الحق [illegible] من الدنيا (قوله ما كان له الدنيا) الأجل ان [illegible] لم يكن لا [illegible] خيرا منها) ان قلت

٣ قوله على أسرع الوجوه وقت ما كان بالفتح وأصل الظاهر وقتا بالنصب ظرفية اه مصححه

ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه وما نشاء ان نراه نائما الا رأيناه وفي رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيأ ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيأ ثم قال تعالى (عسى أن يبعثك ربك) اى المحسن اليك (مقاما محمودا) اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعاني لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا في شئ ثم حرمه كان عارا والله أكرم من ان يطمع احدا في شئ ثم لا يعطيه ذلك وأما المقام المحمود فقال الواحدي أجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى وقال حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فقال هذا هو المراد من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ويدل للاول أحاديث منها ما روى عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منكم ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيأ ومنها ما روى عن جابر انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة * ومنها ما روى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب بسؤال ربه بغير علم ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصابها قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني فيقول ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم أشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقول ارفع يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه قال ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة فاقول يا رب ما بقي الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مقاما محمودا يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى

المؤمنين بها في الجنة
(قلت) عادة ملوك الفرس
والروم لبس الاساور
والتيجان دون من عداهم
فلذلك وعد الله المؤمنين
بها لانهم ملوك الآخرة
(قوله ويدخل جنته)

وألف بعد همزة وأمال الالف بعد الهمزة السوسي وشعبة وخلاد بخلاف عن السوسي وأمالها ورش بين بين وأمال الهمزة والنون حمزة خلف والكسائي وفتح الباقون (وإذا مسه الشر) أي هذا النوع وإن قل (كان يؤسا) أي شديد اليأس عما أبعده من رحمة ربه والحاصل أنه إن فاز بالنعمة والدولة اغتر بها ونسي ذكر الله وإن بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الاسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله فهذا المسكين محروم أبدا عن ذكر الله تعالى ونظيره قوله تعالى فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن وكذلك إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا الآية ونسبة الشر إليه بطريق الإضافة إليه وإلى الشيطان عليه لعنة الله ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل كل) من الشاكر والكافر (يعمل على شاكلته) أي طريقته التي تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خير أو شر (فربكم) أي المحسن إليكم بأنواع الإحسان الذي خلقكم وصوركم (أعلم) من كل أحد (بمن هو) منكم (أهدى سبيلا) أي أوضح طريقا واتباعا للحق فيشكر ويجزيه أحسن الجزاء ومن هو منكم أضل سبيلا فيجعل له العقاب لأنه يعلم ما طبعهم عليه في أصل الخلقة وغيره تعالى إنما يعلم أمور الناس في طبائعهم بالتجربة وقد روى الإمام أحمد لكن بسند منقطع عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا وإذا سمعتم برجل تغير عن طبعه فلا تصدقوا فإنه يصير إلى ما جبل عليه واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ويسألونك) أي تعنتا وامتحانا (عن الروح) فعن عبد الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض اسألوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت إنه يوحى إليه فقمت فلما انجلي عنه قال ويسألونك عن الروح (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وقال ابن عباس إن قريشا اجتمعوا فقالوا إن محمدا نشأ فينا بالصدق والأمانة وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة فسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبي فاسألوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها وعن الروح فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثنتي عشرة ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وقول الرازي ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه

هنا بزيادة وثم بحجة توسعة في التعبير عن المعنى بتساو بينا (قوله ان ترني أنا أقل منك مالا وولدا) فائدة ذكر أنا في مثل ذلك التصحيح الحرف المبتدأ كافي قوله أنا

فشكا البيت الى الله تعالى فقال أي رب الى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فأوحى الله تعالى الى البيت انى سأحدث لك نوبة جديدة فأملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية * ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح جاء جبريل عليه السلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكث بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد ورمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد قال الزمخشري وشكاية البيت والوحي اليه تخييل وتمثيل * ولما بين سبحانه وتعالى الالهيات والنبوات والحشر والنشر والبعث واثبات القضاء والقدر ثم أتبعه بالامر بالصلاة ونبه على ما فيها من الاسرار وكان القرآن هو الجامع لجميع

ذلك أتبعه ببيان كونه شفاء ورحمة بقوله تعالى (ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) أي ما هو شفاء في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمريض * (تنبيه) * في من هذه ثلاثة أوجه أحدها لبيان الجنس قاله الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وأبو البقاء ورد عليهم أبو حيان بان التي للبيان لابد ان يتقدمها ما تبينه لا ان تتقدم عليه وهنا قد وجد تقديمها عليه الثاني أنها للتبعيض وأنكره الحوفي لانه يلزم ان لا يكون بعضه شفاء وأجاب أبو البقاء بان منه ما يشفي من المرض وهذا قد وجد بدليل رقية بعض الصحابة سيد الحي الذي لدغ بالفاتحة فشفي من المرض فيكون التبعيض بالنسبة للامراض الجسمانية والا فهو كله شفاء للابدان والقلوب من الاعتقادات وغيرها الثالث أنها لابتداء الغاية وهو كما قال ابن عادل واضح (و) من العجب ان هذا الشفاء (لا يزيد الظالمين) وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه باعراضهم عما يجب قبوله (الا خسارا) اي نقصانا لانه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم أعرضوا عنه فكان اعراضهم ذلك زيادة في كفرهم كما ان قبول المؤمنين له واقبالهم على تدبره زيادة في ايمانهم وفي الدارمي عن قتادة قال ما جالس أحد القرآن فقام عنه الا بزيادة أو نقصان ثم قرأ هذه الآية * ثم انه تعالى ذكر السبب الاصلي في وقوع هؤلاء الكافرين الجاهلين الضالين في أودية الضلال ومقامات الخزي والنكال وهو حب الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم أن ذلك انما يحصل بسبب جدهم واجتهادهم فقال تعالى (واذا أنعمنا) أي بما لنا من العظمة (على الانسان) أي هذا النوع هؤلاء وغيرهم وقال ابن عباس ان الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة قال الرازي وهذا بعيد بل المراد أن نوع الانسان اذا أنعمنا عليه (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا اذ شأن نوع الانسان أنه اذا فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر وصار غافلا عن عبودية الله متمردا عن طاعة الله كما قال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى (ونأى) عن ذكر الله (بجانبه) اي لوى عطفه وبعد بنفسه كأنه مستغن بأمره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين ومعنى النأي في اللغة البعد والاعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه وقرأ ابن ذكوان بألف ممدودة بعد النون وتأخير الهمزة مثل جاء وفي هذه القراءة تخريجان أحدهما من ناء ينوء اي نهض والثاني انه مقلوب من نأى فيكون بمعنى قال ابن عادل ولكن متى أمكن عدم القلب فهو أولى وقرأ الباقون بالهمزة بعد النون

كيف قال الكافر ذلك وهو ينكر البعث (قلت) معناه ولئن رددت الى ربي على زعمك ليعطيني هنالك خيرا منها ونظيره قوله في فصلت ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعم

تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم تحصل المعارف والعلوم فهي لا تزال تكون في التغير من
حال الى حال وفي التبديل من نقصان الى كمال والتغير والتبديل من امارات الحدوث فقوله قل
الروح من امر ربي يدل على انهم سألوه ان الروح هل هي حادثة او قديمة فاجاب بانها حادثة
واقعة بتخليق الله تعالى وتكوينه وهو المراد من قوله تعالى قل الروح من امر ربي ثم استدل
على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال وهو المراد بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا
فهذا ما نقوله في هذا الباب انتهى وهو نص لطيف ولما بين سبحانه وتعالى انهم ما آتاهم من العلم
الا قليلا بين انه لو شاء ان يأخذ منهم ذلك القليل أيضا لقدر عليه بقوله تعالى (ولئن شئنا) اي
ومشيئتنا لا يعارضها شيء واللام موطئة للقسم واجاب عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط
فقال (لنذهبن) اي بما لنا من العظمة ذهابا محققا (بالذي أوحينا اليك) بان نمحو حفظه من
القلوب وكتابته من الكتب وهذا وان كان أمرا خارقا للعادة الا أنه تعالى قادر عليه (ثم) اي
بعد الذهاب به (لا تجد لك به علينا وكيلا) اي لا تجد من تتوكل عليه في رد شيء منه واعادته
مسطورا محفوظا وقوله تعالى (الا رحمة من ربك) استثناء متصل لانه مندرج في قوله وكيلا
والمعنى الا ان يرحمك ربك فيرده عليك او منقطع فتقدر لكن عند البصريين او بل رحمة من
ربك عند الكوفيين والمعنى ولكن رحمة من ربك او بل رحمة من ربك تركته غير مذهوب به
وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن قال الرازي وهذا تنبيه على ان لله تعالى على جميع
العلماء نوعين من المنة احدهما تسهيل ذلك العلم عليهم والثاني ابقاء حفظه عليهم فعلى كل ذي
علم ان لا يغفل عن هاتين النعمتين وعن القيام بشكرهما وهو منة من الله تعالى عليه بحفظ
العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ (فان قيل) كيف يذهب القرآن وهو كلام
الله تعالى (اجيب) بان المراد محو ما في المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود
اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في
صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون
في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة
حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول
يا رب أتلى ولا يعمل بي وفي رواية لابن مسعود أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر
ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء
فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه ابناؤنا
ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب وقوله
تعالى (ان فضله كان) اي ولم يزل (عليك كبيرا) فيه قولان احدهما المراد منه ان فضله كان
عليك كبيرا بسبب ابقاء العلم والقرآن عليك ثانيهما أن المراد أن فضله كان عليك كبيرا بسبب
أنه جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين وأعطاك المقام المحمود وقد أتم عليك أيضا بابقاء العلم
والقرآن عليك ونزل حين قال الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن
(قل) اي لهؤلاء البعداء (لئن اجتمعت الانس) الذين تعرفونهم وتعرفون ما أوتوا من البلاغة
والحكمة والذين لا تعرفونهم (والجن) الذين يأتون كهانهم ويعلمونهم بعض المغيبات عنهم

تسهيل الفرض والتقدير (قوله وحشرناهم) اتى به ماضيا مع ان ما قبله مضارعا يوم نسيرها ويوم تسير الجبال وترى الارض بارزة ليدل على ان حشرهم كان قبل التسيير والبروز

موقوعه أن ما قبله الخ هو كذا بالاصل ولعل استقامة العبارة أن يقال مع أن ما قبله مضارع لان قوله ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة الخ

وذكر من جملة ذلك كيف يليق به أن يقول انى لا أعرف هذه المسئلة مع أنها من المسائل
المشهورة المذكورة مع جمهور الخلق غير لائق لان ذلك كان علامة على نبوته قال الزمخشرى فبين
لهم القصتين وأبهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم انتهى واختلفوا فى
الروح الذى وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام وهو قول الحسن
وقتادة وروى عن على أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله
تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس وليسوا بملائكة
ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش
لو شاء أن يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل صورة
خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين يقوم يوم القيامة على يمين
العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى عند الحجب السبعين وأقرب الى الله تعالى وهو ممن
يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق أهل السموات من نوره
وقيل الروح هو القرآن وقيل المراد منه عيسى فانه روح الله تعالى وكلمته ومعناه أنه ليس كما
تقوله اليهود ولا كما تقوله النصارى وقال بعضهم هو الروح المركب فى الخلق الذى يحيا به
الانسان قال البغوى وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا
مات لا يفوت منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال
قوم عرض وقال قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب
والعلم والعلو والبقاء ألا ترى أنه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه
الصفات واذا خرج ذهب الكل قال البغوى وأولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل
وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا بدليل قوله تعالى قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا اى فى جنب علم الله
تعالى * (تنبيه) * اختلف فى الخطاب بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقيل هو النبى
صلى الله عليه وسلم وقيل اليهود فانهم يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير وقيل عام روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم انت
معنا فيه فقال نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام
والبحر يمده الآية قال الزمخشرى وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة يدوران مع الاضافة
فيوصف الشئ بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التى أوتيها العبد
خير كثير فى نفسها الا أنها اذا أضيفت الى علم الله فهى قليلة وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم
يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك اخباره كان علما لنبوته قال البغوى والاول أصح
أن الله استأثر بعلمه انتهى وعن ابى يزيد لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح
وقال الرازى قوله تعالى قل الروح من امر ربى من فعل ربى وهذا الجواب يدل على انهم سألوه
أن الروح قديمة او حادثة فقال بل هى حادثة وانما حصلت بفعل الله وتكوينه وايجاده ثم
احتج على احداث الروح بقوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعنى ان الروح فى مبدا الفطرة

ربك وقوله انى انا الله
(قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا) خير هنا ليست على
بابها اذ غيره الله لا يثيب
ولا يحصل طاعته فى
العاقبة فيكون الله خيرا
منه ثوابا وعقبا وذلك على

(والملائكة قبيلا) أي عيانا ومقابلة ننظر إليه لا يخفى علينا شيء منه وقال الضحاك هو جمع قبيلة أي أصناف الملائكة قبيلة قبيلة قال ابن عباس كفيلا أي يكفلون بما تقول ثم ساقوا قولهم (أو يكون لك) أي خاصة بك (بيت من زخرف) أي ذهب كامل الحسن والزينة ثم ساقوا قولهم (أو ترقى) أي تصعد (في السماء) درجة درجة ونحن ننظر إليك صاعدا (ولن نؤمن) أي نصدق مذعنين (لرقيك) أي أصلا (حتى تنزل) وحققوا معنى كونه من السماء بقولهم (علينا كتابا) بمعنى كونه في رق أو نحوه بقولهم (نقرؤه) يأمرنا فيه باتباعك روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا البختري بن هشام وعبد الله بن أمية وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام والعاصي بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنهم بدا لهم في أمره بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم أن رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا وأشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به وإن تقبلوه فهو حظكم وإن تردوه أصبر لأمر الله قالوا فإن لم تفعل فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك وسله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال صلى الله عليه وسلم ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء فعل ذلك بكم فقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أمية وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب وقال له عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أومن

وغيرهم وترك الملائكة لانهم لا عهد لهم بشئ من التحدى ولانهم كانوا وسايط (على ان ياتوا بمثل هذا القرآن) فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لا ياتون بمثله) أى لا يقدرون على ذلك فالقرآن معجز فى النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام فى أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله * (تنبيه) * فى قوله تعالى لا ياتون بمثله قولان أظهرهما انه جواب القسم الموطأ له باللام والثانى أنه جواب الشرط واعتذروا عن رفعه بان الشرط ماض فهو كقوله

* وان أتاه خليل (اى فقير) يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

لان الشرط وقع ماضيا وناقشه أبو حيان بان هذا ليس مذهب سيبويه ولا الكوفيين والمبرد لان مذهب سيبويه فى مثله ان النية به التقديم ومذهب الكوفيين والمبرد أنه على حذف الفاء وهذا مذهب ثالث قال به بعض الناس (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) اى معينا بضم أقوى ما فيه الى أقوى ما فى صاحبه * (تنبيه) * قد تقدم فى سورة البقرة أن الله تعالى قال فاتوا بسورة من مثله وقدمنا الكلام على ذلك وفى وجه كون القرآن معجزا قولان أحدهما أنه معجز فى نفسه والثانى أنه ليس فى نفسه معجزا الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته وكانت الدواعى متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون معجزا والقول الاول أظهر (ولقد صرفنا) اى بينا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) اى من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص وغيرها وقيل صفة لمحذوف اى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فابى أكثر الناس) وهم من هم فى صورة الناس ككفار قريش قد سلبوا معانيهم (الا كفورا) اى جحودا (فان قيل) كيف جاز فابى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا (أجيب) بان أبى متاول بالنفى كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا * ولما تبين بالدليل اعجاز القرآن على وفق دعوى محمد صلى الله عليه وسلم ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير فى أذيال الحيرة وذكروا من ذلك ستة أنواع من المعجزات أولها (وقالوا) اى كفار قريش ومن والاهم (لن نؤمن لك حتى تفجر) أى تفجيرا عظيما (لنا من الارض ينبوعا) أى عينا غزيرة الماء من شانها ان تنبع بالماء ولا ينضب ماؤها وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم مخففة والباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة ثانيها قولهم (أو تكون لك) أنت وحدك (جنة من نخيل وعنب) أى وأشجار عنب عبر عنه بالثمرة لان الانتفاع منه بغيرها قليل (فتفجر الانهار) الجارية (خلالها) اى وسطها (تفجيرا) اى تشقيقا والفجر شق الظلام عن عمود الصبح والفجور شق جلباب الحياء بما يخرج الى الفساد ثالثها قولهم (أو تسقط السماء) اى نفسها (كما زعمت) فيما تتوعدنا به (علينا كسفا) اى قطعا جمع كسفة وهى القطعة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين مثل قطعة وقطع وسدرة وسدر والباقون بسكونها مثل دمنة ودمن وسدرة وسدر وهو نصب على الحال فى القراءتين جميعا كانه قيل أو تسقط السماء علينا مقطعة رابعها قولهم (أو تاتى) معك (بالله) اى الملك الاعظم

كما بينوا تلك الاهوال والعظائم كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك (قوله مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) * ان قلت كيف قال ذلك مع ان

أني بلغت ما أرسلت به إليكم وإنكم عاندتم ومن يشهد الله على صدقه فهو صادق فعند ذلك
قول القائل بأن الرسول يجب أن يكون ملكاً كلام فاسد لا يلتفت إليه ﴿تنبيه﴾
شهيداً نصب على الحال أو التمييز ثم إنه تعالى ذكر ما هو كالتهديد والوعيد بقوله تعالى ﴿إنه كان
بعباده خبيراً بصيراً﴾ يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا يذكرون هذا إلا لمحض
الحسد وحب الرياسة والاستنكاف من الانقياد للحق ولما تقدم أنه تعالى أعلم بالمهتدي
والضال عطف عليه قوله تعالى ﴿ومن يهد الله﴾ بأن يخلق الهداية في قلبه ﴿فهو المهتدي﴾ لا يمكن
أحداً غيره أن يضله ﴿تنبيه﴾ أثبت نافع وأبو عمرو الياء بعد الدال مع الوصل دون الوقف
وحذفها الباقون وقفاً ووصلاً ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم﴾ أي الضالين ﴿أولياء﴾ يهدونهم ﴿من
دونه﴾ ولا ينفعونهم بشيء أراد الله تعالى غيره ولما كان يوم القيامة يظهر الله فيه لكل أحد
ما كان يعمله نبه على ذلك بقوله تعالى ﴿ونحشرهم﴾ بنون العظمة أي نجمعهم بكره ﴿يوم القيامة﴾
الذي هو محط الحكمة ﴿على وجوههم﴾ مسحوبين عليها إهانة لهم فيها كما لم يذلوها بالسجود لنا
قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم أي عليها روى أبو هريرة رضي الله عنه قيل
يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم
على وجوههم قال حكماء الإسلام إن الكفار أرواحهم شديدة التعلق بالدنيا ولذاتها وليس لها
تعلق بعالم الأرواح ومعرفة الله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة
إلى الدنيا لا جرم كان حشرهم على وجوههم وأما قوله تعالى ﴿عمياً وبكماً وصماً﴾ فقد استشكله
نافع بن الأزرق على ابن عباس فقال أليس قد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال تعالى سمعوا لها
تغيظاً وزفيراً وقال تعالى دعوا هنالك ثبوراً وقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
وقال تعالى حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون
ويتكلمون فكيف قال تعالى هنا عمياً وبكماً وصماً أجاب ابن عباس وغيره بأوجه
الأول قال ابن عباس عمياً لا يرون شيئاً يسرهم صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم بكماً لا ينطقون بحجة
الثاني قال عمياً عن النظر أي عما جعله الله تعالى لأوليائه وبكماً عن مخاطبة الله
[illegible] الثالث قال بعضهم إنه حين يقال
لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون
الرابع أنهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا أن يقرؤوا كتبهم ولا
أن يسمعوا الإلزام حجة الله تعالى عليهم إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم
الله تعالى عمياً وبكماً وصماً قال الرازي والجواب الأول أولى لأن الآيات السابقة تدل على أنهم في
النار يبصرون ويسمعون ويصيحون ثم بين تعالى مكانهم بقوله تعالى ﴿مأواهم جهنم كلما خبت﴾ أي سكن
لهبها ﴿خبت﴾ أي أخذت في السكون بأن أكلت لحومهم وجلودهم ﴿زدناهم سعيراً﴾
توقداً بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة متسعرة فكأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله
تعالى بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر بإظهار التاء
عند الزاي وأدغمها الباقون ثم بين علة تعذيبهم الذي أجمع عليهم من قضى بضلالته بقوله تعالى
﴿ذلك﴾ أي العذاب العظيم ﴿جزاؤهم بأنهم﴾ أي أهل الضلالة ﴿كفروا بآياتنا﴾ القرآنية وغيرها

نعلم أنه دونه المقدر عليه [illegible] أن [illegible] أقوله الآيات [illegible] هذا [illegible] الكون) [illegible] على الخروج [illegible] وهو [illegible] الآية [illegible]

لك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فانزل الله هذه الآية وفيها اشارة الى أنه ليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها اذ لو فتح هذا الباب لزم أن لا ينتهي الامر فيه الى مقطع وكلما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمعجز اقترحوا عليه بمعجز آخر ولا ينتهي الامر فيه الى حد ينقطع عنده عناد المعاندين وتعنت الجاهلين مع أنه صلى الله عليه وسلم أعطى من الآيات والمعجزات ما أغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الاصابع وما أشبه ذلك ﴿ ولما تم تعنتهم وكان ما ذكروه من الطلب ليس من الله تعالى الجواب عنه أمره الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء البعداء والاشقياء (سبحان ربي) أي تعجبا من اقتراحاتهم وتنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر بصيغة الماضي والباقون قل بصيغة الامر (هل كنت الا بشرا) لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر (رسولا) كما كان من قبلي من الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على أيديهم بما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى يتخيروها هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ولو فتحنا عليهم بابا ونحو ذلك ﴿ ولما أمر بما تضمن أنه كاخوانه من الرسل في كونه بشرا أتبعه قوله عطفا على فأبى أو وقالوا (وما منع الناس) أي قريشا ومن قال بقولهم لما لهم من الاضطراب (أن يؤمنوا) أي لم يبق لهم مانع من الايمان والجملة مفعول منع (اذ جاءهم الهدى) أي الدليل القاطع على الايمان وهو القرآن وغيره من الادلة وقرأ أبو عمرو وهشام بادغام ذال اذ عند الجيم والباقون بالاظهار وأمال الالف بعد الجيم حمزة وابن ذكوان بخلفه واذا وقف حمزة على جاءهم سهل الهمزة مع المد والقصر (الا أن قالوا) فاعل منع أن قالوا أي منكرين عليه غاية الانكار متعجبين متهكمين (أبعث الله بشرا رسولا) لان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر ولو بعث الله تعالى رسولا الى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجابهم الله تعالى بقوله (قل) أي لهؤلاء المطرودين عن الرحمة (لو كان في الارض ملائكة يمشون) عليها كالآدميين (مطمئنين) أي مستوطنين فيها كالبشر (لنزلنا عليهم) مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل عليه السلام على الانبياء من البشر وحقق الامر بقوله تعالى (من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد لتمكنهم من التلقي منه لانهم كلهم بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لان رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم اذ الشيء عن شكله أفهم وبه آنس واليه أحن وله آلف الا من فضله الله تعالى بتغليب روحه على نفسه وبتغليب عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقي من الملك كالمرسلين ثم أجابهم الله تعالى جوابا آخر بقوله عز وجل (قل كفى بالله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما وأمال الالف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (شهيدا بيني وبينكم) على أني رسوله اليكم ليظهر المعجزات على وفق دعواي

في حق المؤمنين لان اجتناب الكبائر لا يتحقق مع وجود الكفر أو يقال الاولى في حق المؤمنين أيضا لكن يجوز ان تكتب الصغائر ليشاهدها العبد يوم القيامة ثم تكفر عنه

وجوه الاول ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج لابد وأن يحبس ما به يدفع الحاجة وأن يمسكه لنفسه الا أنه قد يجود به لاسباب من خارج فثبت أن الاصل في الانسان البخل الثاني أن الانسان انما يبذل لطلب الثناء والحمد وليخرج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق الا ليأخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل الثالث أن المراد بهذا الانسان المعهود السابق وهم الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا والمقصود سبحانه وتعالى أن أكثر الناس يجحدوا الآيات لكونه تعالى حكم بخذلانهم ومن حكم بخذلانه لا يمكن هدايته شرع يسلي نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما اتفق لمن قبله من الانبياء بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) اى واضحات واختلف في هذه الآيات فقال ابن عباس والضحاك هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال مجاهد وعطاء هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات وقال البقاعي وهي كما في التوراة العصا ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهائم ثم البرد الكبار التي أنزلها الله تعالى مع النار المضطرمة فكانت تهلك كل ما مرت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد ثم الظلمة ثم موت الابكار من الآدميين وجميع الحيوان ثم قال وقد نظمتها بالترتيب حفظا لها فقلت

عصا قمل موت البهائم ظلمة ☆ جراد دم ثم الضفادع والبرد
وموت بكور الآدمي وغيره ☆ من الحي آيات الذي عصى وانفرد

قال وكأنه عد اليد مع العصا آية ولم تعد اليد لانه لم يظهر بها ضرر عليهم اه وقال البيضاوي هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وذكر محمد بن كعب القرظي الطمس والحجر بدل النتق ونقص من الثمرات وقال كان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارا حجرين والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجرا وقال بعضهم هي آيات الكتاب وهي أحكام يدل عليها ما روي عن صفوان بن عسال أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمعك صارت له أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيأ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرئ الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يديه وقالوا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك أن تقتلنا اليهود وقال الرازي اعلم أنه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه السلام احدها أنه تعالى أزال العقدة من لسانه قيل في التفسير ذهب أعجمها وصار فصيحا ثانيها انقلاب العصا حية ثالثها تلقف الحية حبالهم وعصيهم مع كثرتها رابعها اليد البيضاء وخمسة أخرى وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعاشر شق البحر وهو قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر والحادي عشر الحجر وهو قوله تعالى أن اضرب بعصاك الحجر والثاني عشر اظلال الجبل وهو قوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة والثالث عشر انزال المن والسلوى عليه وعلى قومه

وكانوا كل يوم يزدادون كفرا وهم عازمون على الدوام على ذلك ما بقوا (وقالوا) انكارا للقدرة بما
(أئذا كنا عظاما ورفاتا) متفرقين في الارض ثم كرروا الانكار كأنهم على ثقة من أمرهم هذا
الذي بطلانه أوضح من الشمس بقولهم (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) فنحن نريهم جزاء على هذا
الانكار المكرر الخلق الجديد في جلودهم ولحومهم مكررا كل لحظة قال تعالى كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ثم أتبعه بقاطع في بيان جهلهم بقوله تعالى
(أولم يروا) أي يعلموا بعيون بصائرهم علما هو كالرؤية بعيون أبصارهم لما قام عليه من
الدلائل بعضه من الشواهد الجلائل (أن الله الذي خلق السموات) جمعها لما دل على ذلك
من الحس ولما لم تكن الارض مثلها أفردها مريدا الجنس الصالح للجميع بقوله تعالى
(والارض) على كبر أجرامها وعظم احكامها وقوله تعالى (قادر على أن يخلق مثلهم) فيه
قولان الاول المعنى قادر على أن يخلقهم ثانيا فعبر عن خلقهم ثانيا بلفظة المثل كما يقول المتكلمون
ان الاعادة مثل الابتداء الثاني أن المراد قادر على أن يخلق عبيدا آخرين يوحدونه ويقرون
بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا فهو كقوله تعالى ويأت
بخلق جديد وقوله تعالى ويستبدل قوما غيركم قال الواحدي والقول هو الاول لانه أشبه بما
قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور ان البعث والقيام أمر ممكن الوجود في نفسه أردفه
ببيان أن لوقوعه في الوجود وقتا معلوما عند الله وهو قوله تعالى (وجعل لهم أجلا لا ريب) أي
لا شك (فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون الا كفورا) أي بعد هذه الدلائل الظاهرة
أبوا الا الكفر والجحود ولما قال الكفار لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا
اجراء الانهار والعيون في بلدتهم لتكثر أموالهم وتتسع عليهم معيشتهم بين تعالى أنهم لو ملكوا
خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء المتعنتين (لو أنتم) أي
دون غيركم (تملكون خزائن) عبر بصيغة منتهى الجموع لان المقام جدير بالمبالغة (رحمة ربي)
أي خزائن رزقه وسائر نعمه وذلك غير متناه (اذا لامسكتم) أي لوقع منكم الامساك عن
الانفاق في بعض الوجوه التي تحتاجونها (خشية) أي مخافة عاقبة (الانفاق) أي الوصول الى
الفقر فكان المعنى انكم لو ملكتم من الخير والنعم خزائن لا نهاية لها لبقيتم على الشح والدناءة
وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح وقول البيضاوي تبعا للزمخشري أنتم مرفوع بفعل
يفسره ما بعده قال الزمخشري تقديره لو تملكون جرى فيه على مذهب الكوفيين من أن لو يليها
الفعل مقدرا كما يليها ظاهرا والبصريون يمنعون ايلاءها مضمرا الا في شذوذ كقول حاتم لو ذات
سوار لطمتني وأصل هذا المثل ان [illegible] عطلاء من الحلي والهيئة لطمت حاتما على نحر الناقة
وقالت له بعمو أنا أردنا فصدها والفصد عندهم أن يقطع عرق من عروق ٣ ثم يجمع
دمها فيشوى وقيل أصله ان المرأة المذكورة لطمت رجلا فقال لو ذات سوار لطمتني لاحتملها
فصار مثلا يضرب لكريم يلطمه الدنيء ثم استدل على صحة هذا المفروض بالشاهد من مضمون
قولهم (وكان) أي جبلة وطبعا (الانسان) أي الذي من شأنه الانس بنفسه فهو لذلك لا يعقل
الامور حق عقلها (قتورا) أي بخيلا (تنبيه) فتح الياء في ربي نافع وأبو عمرو وسكنها الباقون
وهم على مراتبهم في المد (فان قيل) قد يوجد في جنس الانسان من هو جواد كريم (أجيب) من

فانه يدل على انه من الملائكة (قلت) في ذلك قولان أحدهما انه من الجن لظاهر هذه الآية ولانه له ذرية كفرة ولانه أكفر الكفرة بخلاف الملائكة لا ذرية لهم ولا يعصون

٣ قوله عرق من عروق هكذا بالنسخ ولعله عرق من عروق البعير أو نحو ذلك اه مصححه

التمكن مما هم عليه من الكفر والعناد ثم أخذه تعالى بعذابهم بسطوته عاقبة من كان قبلهم
وأكثرهم وأشد بقوله تعالى (فأغرقنا) أي فعقيب ذلك أن رددنا كيده في نحره كما قال
تعالى ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتخلص
له تلك البلاد والله تعالى أهلك فرعون وجعل تلك الأرض خالصة لموسى ولقومه فأدخله البحر
حين أخذ في بني إسرائيل فأنجاهم وأغرق الفرعون (ومن معه جميعا) كما جرت به سنة الله
تعالى فيمن عاند بعد أن رأى الخوارق وكفر النعمة وأفرط في البغي [illegible]
هؤلاء مثل ذلك ولا سيما إذا أخرجوا رسولنا من بين أظهرهم ففي هذه الآية وأمثالها بشارة له صلى
الله عليه وسلم فإن الله تعالى يسلك به في النصرة والتمكين سبيل إخوانه من الرسل عليهم الصلاة
والسلام (وقلنا من بعده) أي الإغراق (لبني إسرائيل) الذين كانوا تحت يده أذلاء من العبيد
لتقواهم وإحسانهم (اسكنوا الأرض) أي التي أراد أن يستفزكم منها (فإذا جاء) أي جاء أخرة فا
(وعد الآخرة) أي القيامة بعد أن سكنتم الأرض أحياء ودفنتم فيها أمواتا (جئنا) أي بما
لنا من العظمة والقدرة (بكم) منها (لفيفا) أي جميعا أنتم وإياهم مختلطين لا تحكم لأحد على آخر
ولا دفع لأحد عن آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا ثم نميز بعضكم عن بعض ثم عطف
سبحانه وتعالى على قوله تعالى ولقد صرفنا قوله عز وجل (وبالحق) أي من المعاني الثابتة التي
لا ريب فيها إلا بغيره (أنزلناه) نحن أي القرآن فهو ثابت لا يزول كما أن الباطل هو الذاهب
الزائل وهذا القرآن الكريم مشتمل على أشياء لا تزول ولا تتغير لأنه مشتمل على دلائل التوحيد
وصفات الجلال والإكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير نبوة الأنبياء وإثبات الحشر والنشر
والقيامة وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ويشتمل أيضا على شريعة باقية لا يتطرق إليها النقض
والتغيير والتحريف وأيضا هذا القرآن تكفل الله تعالى بحفظه من تحريف الزائغين وتبديل
الجاهلين كما قال تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (وبالحق) لا بغيره (نزل) هو [illegible]
إليهم على لسانك بعد إنزاله عليك كما أنزله [illegible] محفوظا بالتحفظ [illegible]
فهو من غير تحريف ولا تبديل [illegible] ما وقع في كتاب اليهود والنصارى [illegible]
(وما أرسلناك) بإنزال الحق بما لنا من العظمة (إلا مبشرا) للمطيع (ونذيرا) للعاصي [illegible]
العقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار لا هداية [illegible]
اتفقوا به الأقاويس علمك من كفرهم شيء ثم إن الله تعالى أخبر بأن الحكمة في إنزال [illegible]
مفرقا بقوله عز وجل (وقرآنا) أي وفصلنا أو وأنزلنا قرآنا (فرقناه) أي أنزلناه منجما في
أوقات متطاولة قال سعيد بن جبير نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء
السفلى ثم فصل في السنين التي نزل فيها قال قتادة كان بين أوله وآخره عشرون سنة وقيل ثلاث
وعشرون سنة والمعنى قطعناه آية آية وسورة سورة ولم ننزله (لتقرأه على الناس) أي عامة
(على مكث) أي مهل وتؤدة ليفهموه (ونزلناه) من عندنا بما لنا من العظمة (تنزيلا) بعضه
إثر بعض متفرقا حسب الوقائع لأنه أتى في فصلها وأعون على الفهم [illegible] التأمل المنازل
من نجومه في مدة ما بين النجمين لغرابة ما فيه من المعاني ثم إن الله تعالى هددهم على لسان نبيه

الجن الإنس [illegible]
في الاستثناء منفصل [illegible]
بين الآ[illegible]
[illegible]
ان قلت [illegible]
ان الشر[illegible]
أو[illegible]
[illegible]

والرابع عشر والخامس عشر قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
والسادس عشر الطمس على أموالهم حجارة من النخل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير
روي أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب عن قوله تعالى تسع آيات بينات فذكر محمد بن كعب
في جملة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز هكذا يجب أن يكون الفقيه
ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور
وفوم وعدس وحمص كلها حجارة وقوله تعالى (فاسأل) أي يا أعظم خلقنا (بني إسرائيل) يجوز
أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين
ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ويجوز أن يكون الخطاب له
خاصة وأمره بالسؤال ليتبين له كذبهم مع قومهم أي فاسأل بني إسرائيل عامة الذين نبهوا
قريشا على السؤال عن الروح كما في بعض الروايات وعن أهل الكهف وذي القرنين وعن
حديث موسى عليه السلام والمؤمنين منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (إذ) أي عن ذلك حين
(جاءهم) أي جاء آباءهم فوقع لهم من التكذيب بعد إظهار المعجزات الباهرات ما وقع لك (فقال)
أي فذهب إلى فرعون فأمره بإرسالهم معه فأبى فأظهر له الآيات واحدة بعد أخرى فتسبب
عن ذلك ضد ما يقتضيه الحال وهو أن قال (له فرعون) عتوا واستكبارا (إني لأظنك يا موسى
مسحورا) أي مخدوعا مغلوبا على عقلك فكل ما تشاء عنك فهو من آثار السحر وهذا كما قالت
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم إن تتبعون إلا رجلا مسحورا وقال في موضع آخر ساحر وإنهم
ربما أطلقوا اسم المفعول مريدين اسم الفاعل مبالغة لأنه كالمخبر عن الفعل وفي الأمر بسؤال
اليهود تنبيه على ضلالهم ولما لم يؤمن فرعون على تواتر تلك الآيات وعظمها كأنه قيل فما قال
موسى عليه السلام فقيل (قال) لفرعون (لقد علمت) بفتح التاء قراءة غير الكسائي وقرأ
الكسائي بضمها على إخباره عن نفسه (ما أنزل هؤلاء) أي الآيات (إلا رب السموات والأرض)
أي خالقهما ومدبرهما حال كون هذه الآيات (بصائر) أي بينات يبصر بها صدقي وأما السحر
فإنه لا يخفى أنه خيال لا حقيقة له ولكنك تعاند * (تنبيه) * قوله تعالى هؤلاء الكلام عليه من
جهة الهمزتين كالكلام على هؤلاء إن كنتم في البقرة وقد تقدم الكلام على ذلك * ثم حكى الله
تعالى أن موسى قال لفرعون (وإني) أي وإن ظننتني يا فرعون مسحورا (لأظنك يا فرعون
مثبورا) أي ملعونا مطرودا ممنوعا من الخير فاسد العقل فعارضه موسى بذلك وشتان بين
الظنين فإن ظن فرعون كذب صرف لعناده لرب العالمين لوضوح مكابرته لأبصاره التي كشف
عنها غطاؤها فهي أوضح من الشمس وظن موسى عليه السلام قريب إلى الصحة واليقين من
تظاهر أماراته لأن هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات قاهرة ولا يرتاب العاقل أنها من عند
الله وفي أنه تعالى أظهرها لأجل تصديق وأنت منكرها فلا يحملك على هذا الإنكار إلا
الحسد والعناد والبغي والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والثبور
(فأراد) أي فتسبب عن هذا الذي هو موجب للإيمان في العادة أن فرعون أراد (أن
يستفزهم) أي يستخف موسى ومن آمن معه ويخرجهم فيكونوا كالماء إذا سال من قولهم
فز الجرح إذا سال (من الأرض) بالنفي والقتل ليتمكن منهم كما أراد هؤلاء أن يستفزوك منها

عطاه مهملة مفتوحة كما وروى
عنه ابن عباس كما روى
ذلك عن ابن عباس
عنه أيضا أنه كان من خزان
الجنة وهم جماعة من
الملائكة يسمون الجن فكان في
جنق ما أوله كان في
سابق علمه تعالى اه

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالدعاء يقول يا الله يا رحمن فسمعه أهل مكة فأقبلوا
عليه فأنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية وعن ابن عباس أن ذكر الرحمن
كان في القرآن قليلا في أول ما أنزل وكان الذين قد أسلموا من اليهود يسوءهم قلة ذلك لكثرته في
التوراة كابن سلام وابن يامين وابن صوريا وغيرهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فقالت قريش ما بال محمد كان يدعو إلها واحدا
وهو الآن يدعو اثنين ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة فنزل وهم بذكر الرحمن هم كافرون
ونزل أيضا قوله تعالى قالوا وما الرحمن وفرح مؤمنو أهل الكتاب وهو قوله تعالى الذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب أي مشركي قريش من ينكر بعضه وعن ابن
عباس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن
إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أمان من السرقة فإن رجلا من المهاجرين
تلاها حين أخذ مضجعه فدخل عليه سارق فجمع ما في البيت وحمله والرجل ليس بنائم حتى
انتهى إلى الباب فوجد الباب مردودا فوضع الكارة ففعل ذلك ثلاث مرات فضحك صاحب
الدار فقال إني أحصنت بيتي (فإن قيل) إذا قال الرجل ادع زيدا أو عمرا فإنه يفيد أن زيدا
مغاير لعمرو فيوهم أن الله تعالى غير الرحمن وبذلك تقوى شبهة أبي جهل لعنه الله تعالى
(أجيب) بأن الدعاء هنا بمعنى التسمية لا بمعنى النداء والتسمية تتعدى إلى مفعولين يقال
دعوته زيدا ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم
لا المسمى وأو للتخيير فمعنى الآية ادعوا باسم الله أو ادعوا باسم الرحمن أي اذكروه بهذا الاسم
أو اذكروه بذلك الاسم فقوله ادعوا الله فيه … ادعوا الرحمن فيه … من أفعال الرحمة
والكرم وإنما تخصيص هذين الاسمين بالذكر يدل على أنهما أشرف من سائر الأسماء وتقديم
اسم الله على اسم الرحمن يدل على أن قولنا الله أعظم الأسماء وتقدم الكلام في ذلك في تفسير
بسم الله الرحمن الرحيم والتنوين في قوله تعالى (أياما تدعوا) عوض من المضاف إليه وما صلة
للإبهام المؤكد لما في أيا والمعنى أيا تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله تعالى (فله الأسماء الحسنى)
لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء أنها
مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم وتقدم ذكر الأسماء الحسنى في الأعراف عند
قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وبعض الأحاديث الواردة في تعدادها … ووقف
حمزة والكسائي على الألف بعد الياء ووقف الباقون على الألف بعد الميم …

ونزل قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) فروى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه
وسلم كان يرفع صوته بالقراءة فإذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فأوحى الله تعالى إليه
ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله تعالى عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع
أصحابك (وابتغ بين ذلك سبيلا) وروي أنه صلى الله عليه وسلم طاف الليل على دور أصحابه فكان
أبو بكر رضي الله تعالى عنه يخفي صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار
وجاء أبو بكر وعمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لم تخفي صوتك فقال أناجي ربي
وقد علم حاجتي وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان فأمر النبي صلى

قوله فإن قال … [illegible] … لأن أصحابه … [illegible]

صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل) لهؤلاء الضالين (آمنوا به) أي القرآن (أو لا تؤمنوا) فالإيمان به غير محتاج إليكم ولا موقوف عليكم لأنكم إن آمنتم به كان إحساناً لكم والإلم تضروا إلا أنفسكم فاختاروا أما تريدون فإن إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالاً وامتناعكم منه لا يورثه نقصاناً وقوله تعالى (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أي من قبل إنزاله ممن آمن به من بني إسرائيل تعليل له أي إن لم تؤمنوا به وأنتم أهل جاهلية وشرك فإن خيراً منكم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم (إذا يتلى عليهم) أي القرآن (يخرون للأذقان) منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام قال الزجاج الذقن مجمع اللحيين وكما يبتدئ الإنسان بالخرور إلى السجود فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذقن وقيل إن الأذقان كناية عن اللحى والإنسان إذا بالغ عند السجود في الخشوع والخضوع ربما مسح لحيته على التراب فإن اللحية يبالغ في تنظيفها فإذا عفرها الإنسان بالتراب في معرض المبالغة فقد أتى بغاية التعظيم وقيل إن الإنسان إذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الأرض في معرض السجود كالمغشي عليه فيكون حينئذ خروره على الذقن فقوله يخرون للأذقان كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته (فإن قيل) لم قال يخرون للأذقان سجداً ولم يقل يسجدون (أجيب) بأن المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم إلى ذلك حتى كأنهم يسقطون (فإن قيل) لم قال يخرون للأذقان ولم يقل على الأذقان (أجيب) بأن العرب تقول إذا خر الرجل فوقع لوجهه خر للذقن ثم بين أن ذلك ليس سقوط اضطرار بل من كل جهة بقوله تعالى (سجداً) أي فعلوا ذلك لما يعلمون من حقيقة ما أوتوا من العلم السالف وما في قلوبهم من الإيمان والخشية حين (ويقولون) أي على وجه التجديد المستمر (سبحان ربنا) تنزيهاً له عن خلف الوعد (إن) أي إنه (كان) أي كوناً لا ينفك (وعد ربنا) أي المحسن إلينا بالإيمان وما تبعه من وجوه العرفان (لمفعولا) أي دون خلف ولا بد أن يأتي جميع ما وعد به في الكتب المنزلة وبشر به من بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال الفرقان عليه ومن الثواب والعقاب وهو تعريض بقريش حيث كانوا يستهزؤن بالوعد في قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً وغيره مما فيه الطعن في قدرة الله تعالى القادر على كل شيء وقوله تعالى (ويخرون للأذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال والسبب فإن الأول للشكر عند إنجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله (ويزيدهم) أي سماع القرآن (خشوعاً) أي خضوعاً وتواضعاً ولين قلب ورطوبة عين ❊ ولما طالت الكلمات في المناظرة مع المشركين ومنكري النبوات والجواب عن شبهاتهم أتبعها ببيان كيف يدعون الله ويطيعونه وكيف يذكرونه في وقت الاشتغال بأداء العبودية فقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات ليلة وهو ساجد يا الله يا رحمن فسمعها أبو جهل وهم لا يعرفون الرحمن فقال إن محمداً ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر مع الله تعالى يقال له الرحمن فأنزل الله تعالى هذه الآية أي إن شئتم قولوا يا الله وإن شئتم قولوا يا رحمن وعن عائشة رضي الله تعالى عنها

المراد بالولاية هنا اتباع
الناس إياهم فيما أمروهم به
من المعاصي فالإعجاز
من هذا لأنه من لوازمها
من أظلم ممن ذكر
(قوله ومن أظلم ممن ذكر) بآيات ربه فأعرض عنها
هنا بالفعل الدال على التعقيب
لأنها هنا في الأحياء من

وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت أخرجه مسلم وروي أن قول العبد الله أكبر خير من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الآية يقال أفصح الصبي في منطقه فهم ما يقول وعن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الأنعام وختمت بخاتمة هذه السورة وأما ما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري وتبعهما ابن عادل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية فحديث موضوع

سورة الكهف مكية

إلا واصبر نفسك الآية وهي مائة وعشر آيات وألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا

(بسم الله) الذي لا كفء له ولا شريك (الرحمن) الذي أنعم على عباده على أوضح الطرق بإنزال هذا الكتاب (الرحيم) المتفضل على من اختصه بالصواب وهو قوله تعالى (الحمد لله) تقدم الكلام عليه مستقصى في أول الفاتحة (الذي أنزل على عبده الكتاب) أي القرآن رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيها على أنه أعظم إنعامه وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن إنزال القرآن نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم أما كونه نعمة عليه فلأن الله تعالى أطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والإكرام وأسرار أحوال الملائكة والأنبياء وأحوال القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط أحد العالمين بالآخر ولا شك أن ذلك من أعظم النعم وأما كونه نعمة علينا فلأنه مشتمل على التكاليف والأحكام والوعد والوعيد والثواب والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل أحد ينتفع به بمقدار طاقته وفهمه فلما كان نعمة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أمرنا أن نحمده على هذه النعم الجزيلة وقال تعالى على عبده لما في كل من الوصف بالعبودية والإضافة إليه سبحانه وتعالى من الإعلام بتشريفه وإشارة إلى أنه الذي أسري به إلى حضرات تجليات بعض آياته ثم إنه تعالى وصف الكتاب بوصفين الأول قوله تعالى (ولم يجعل له) أي فيه (عوجا) أي اختلافا وتناقضا كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا [illegible] من الكتاب الوصف الثاني قوله تعالى (قيما) قال ابن عباس يريد مستقيما أي معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط قال الرازي وهذا عندي مشكل لأنه لا معنى لنفي الاعوجاج إلا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم يوجب التكرار بل الحق أن المراد من كونه قيما كونه سببا لهداية الخلق وأنه يجري مجرى

قوله [illegible] العدد [illegible]

أعظم نعمه [illegible] الأوامر [illegible] (قوله عوجا) [illegible]

الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وعمر أن يخفض صوته قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها وأبي هريرة ومجاهد قالت عائشة هي الدعاء وروى هذا مرفوعا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية انما ذلك في الدعاء والمسئلة قال عبد الله بن شداد كان اعراب من بني تميم اذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون فأنزل الله تعالى هذه والمخافتة خفض الصوت والسكون يقال صوت خفيت أي خفيض ويقال للرجل اذا مات قد خفت أي انقطع كلامه وخفت الزرع اذا ذبل والمستحب من ذلك التوسط وهو أن يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود أنه قال من لم يخافت لم يسمع أذنيه وقد مدح الله تعالى المؤمنين بقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عز من قائل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وبعضهم قال الآية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال الرازي وهو بعيد ولما أمر الله تعالى أنه لا يذكر ولا ينادى الا بأسمائه الحسنى علم كيفية التحميد بقوله تعالى (وقل الحمد لله) اى المالك الاعظم ثم ذكر سبحانه وتعالى من صفات التنزيه والجلال وهي السلوب ثلاثة أنواع الاول قوله تعالى (الذي لم يتخذ) اى لكونه محيطا بالصفات الحسنى (ولدا) والسبب فيه وجوه الاول أن الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء ذلك الشيء فكل من له ولد فهو مركب من الاجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد الثاني أن كل من له ولد فانه يمسك جميع النعم لولده فاذا لم يكن له ولد أفاض تلك النعم على عبيده الثالث أن الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفنائه فلو كان له ولد لكان منقضيا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام في كل الاوقات فوجب أن لا يستحق الحمد على الاطلاق * النوع الثاني من الصفات السلبية قوله تعالى (ولم يكن له) بوجه من الوجوه (شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يعرف حينئذ أن هذه النعم والمنافع حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر * النوع الثالث قوله تعالى (ولم يكن له ولي من الذل) أي ولم يوال من أجل مذلة به يدفعها بموالاته والسبب في اعتباره أنه لو جاز عليه ولي يلي أمره كان مستوجبا الاعظم أنواع الحمد ومستحقا لاقسام الشكر فنفى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا أو اضطرارا أو ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيرا) أي وعظمه تعظيما على نفي اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته روى الامام أحمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك الى آخر السورة وعن ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدونه في السراء والضراء

اعرضوا بالموت فلم يؤمنوا (قوله نسيا حوتهما) ان قلت كيف قال ذلك مع ان الناسي يوشع وحده (قلت) نسبة النسيان اليهما مجاز والمراد أحدهما

وأكده بقوله (ولا لآبائهم) الذين يقتطعون بتقليدهم في الدين حتى في هذا الذي لا يتخيله عاقل ولو أخطؤوا في تصرف دنيوي لم يتبعوهم فيه (فإن قيل) اتخاذ الله ولدا محال في نفسه فكيف قيل ما لهم به من علم (أجيب) بأن انتفاء العلم بالشيء قد يكون للجهل بالطريق الموصل إليه وقد لا يكون لأنه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به ونظيره قوله تعالى ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به الوجه الثاني (كبرت) أي عظمت (كلمة) أي ما أكبرها من كلمة وصور فظاظة اجترائهم على النطق بها بقوله تعالى (تخرج من أفواههم) أي لم يكفهم خطورها في أنفسهم وترددها في صدورهم حتى تلفظوا بها وكأن صدورهم بها على وجه التكرير كما يشير إليه التعبير بالمضارع *(تنبيه)* سميت هذه كلمة كما يسمون القصيدة كلمة * ثم بين تعالى ما أفهمه الكلام من أنه كما أنهم لا علم لهم بذلك لا علم لأحد به أصلا لأنه لا وجود له فقال تعالى (إن) أي ما (يقولون إلا كذبا) أي قولا لا حقيقة له بوجه من الوجوه * ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على إيمان قومه شفقة عليهم وغيرة على المقام الإلهي الذي ملأ قلبه تعظيما خفض عليه سبحانه وتعالى بقوله تعالى (فلعلك باخع) أي قاتل (نفسك) من شدة الغم والوجد وأشار تعالى إلى شدة نفرتهم وسرعة مفارقتهم وعظيم مباعدتهم بقوله عز من قائل (على آثارهم) أي حين تولوا عن التوحيد وعن إجابتك (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي القرآن المتجدد تنزيله على حسب التدريج (أسفا) منك على ذلك والأسف شدة الحزن والغضب (فإن قيل) ذلك يدل على حدوث القرآن (أجيب) بأنه محمول على الألفاظ وهي حادثة ثم بين سبحانه وتعالى علة إرشاده إلى الإعراض عنهم بغير ما قدر عليه من التبليغ للبشارة والنذارة بأنهم لم يخرجوا عن مراده تعالى وأن الإيمان لا يقدر على إدخاله قلوبهم غيره بقوله عز وجل (إنا) أي إنا لا نفعل ذلك لأنا (جعلنا ما على الأرض) من الحيوان والنبات والشجر والأنهار والمعادن وغير ذلك وقال بعضهم بل المراد الناس فهم زينة الأرض وبالجملة فليس في الأرض إلا المواليد الثلاثة وهي المعادن والنبات الشامل للشجر والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الإنسان (زينة لها) أي الأرض قيل المراد أهلها أي زينة لأهلها قال الرازي ولا يمتنع أن يكون ما يحسن به الأرض زينة لها كما جعل الله السماء مزينة بالكواكب ولما أخبر تعالى بزينتها أخبر تعالى بعلته بقوله تعالى (لنبلوهم) أي نعاملهم معاملة المختبر (أيهم أحسن عملا) بالإخلاص الخدمة لربه فنجازيه بما كان له منهم ظاهرا فإن الله تعالى يعلم السر وأخفى لتقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بأن من أظهر موافقة الأمر فله الفوز من الزينة حال الرؤية ومن اجترأ على مخالفة الأمر بما أتيناه استحق العقوبة فكأنه تعالى يقول يا محمد إني خلقت الأرض وزينتها وأخرجت منها أنواع المنافع والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ثم إنهم يكفرون ويتمردون ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم فأنت أيضا يا محمد لا ينبغي أن تنتهي في الحزن بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق * ثم إنه تعالى لما بين أنه تعالى زين الأرض لأجل الامتحان والابتلاء لا لأجل أن يبقى الإنسان فيها متنعما بها أبدا زهد فيها بقوله تعالى (وإنا لجاعلون ما عليها) من

(قوله [illegible] أسفا) قال بعضهم [illegible] الغضب والحزن الأسف لأنه الغضب والحزن كما يكون في الغضب يكون في الحزن [illegible] الكلام [illegible]

من يكون قيما للاطفال فالارواح البشرية كالاطفال والقرآن كالقيم المشفق القائم بمصالحهم وقال قبل ذلك ان الشئ يجب أن يكون كاملا فى ذاته ثم يكون مكملا لغيره ويجب أن يكون تاما فى ذاته ثم يكون فوق التمام بأن يفيض عنه كمال الغير فقوله تعالى ولم يجعل له عوجا اشارة الى كونه كاملا فى ذاته وقوله قيما اشارة الى كونه مكملا لغيره ونظيره قوله تعالى فى سورة البقرة فى صفة الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقوله لا ريب فيه اشارة الى كونه فى نفسه بالغا فى الصحة وعدم الاخلال الى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله هدى للمتقين اشارة الى كونه سببا لهداية الخلق ولكمال حالهم فقوله تعالى ولم يجعل له عوجا قائم مقام قوله تعالى لا ريب فيه وقوله تعالى قيما قائم مقام قوله تعالى هدى للمتقين واختلف النحويون فى نصب قوله تعالى قيما على أوجه الاول قال فى الكشاف لا يجوز جعله حالا من الكتاب لان قوله تعالى ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله تعالى أنزل فهو داخل فى حيز الصلة وانه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب أن ينتصب بمضمر والتقدير ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه تعالى اذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة قال فان قلت فما فائدة الجمع بين نفى العوج واثبات الاستقامة وفى أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد ورب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح الوجه الثانى انه حال ثانية والجملة المنفية قبله حال أيضا كما مر وتعدد الحال لذى حال واحد جائز والتقدير أنزله غير جاعل له عوجا قيما الوجه الثالث أنه حال أيضا ولكنه بدل من الجملة قبله لانها حال وابدال المفرد من الجملة اذا كانت بتقدير مفرد جائز ولما ذكر تعالى أنه أنزل على عبده هذا الكتاب الموصوف بما ذكر أردفه ببيان ما لاجله أنزله بقوله عز وجل (لينذر) أى يخوف الكتاب الكافرين (بأسا) أى عذابا (شديدا من لدنه) أى صادرا من عنده وقرأ شعبة باسكان الدال وكسر النون والهاء وصلة الهاء بياء والباقون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء وابن كثير على أصله بضم الهاء فى الوصل بواو (ويبشر المؤمنين) اى الراسخين فى هذا الوصف وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء التحتية وسكون الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم التحتية وفتح الموحدة وكسر الشين مشددة (الذين يعملون الصالحات) وهى ما أمر به خالصا وذلك الشاق مفتاح الايمان (أن لهم) أى بسبب أعمالهم (أجرا حسنا) هو الجنة حال كونهم (ماكثين فيه أبدا) بلا انقطاع أصلا فان الابد زمان لا آخر له وقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) معطوف على قوله تعالى لينذر بأسا شديدا من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف عليه فالاول عام فى حق كل كافر والثانى خاص بمن أثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية بأنه اذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلى كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال فكذا ههنا هذا العطف يدل على أن أقبح أنواع الكفر اثبات الولد لله تعالى

* (تنبيه) * الذين أثبتوا لله ولدا ثلاث طوائف الاولى كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله الثانية النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله الثالثة اليهود الذين قالوا عزير ابن الله * ثم انه تعالى أنكر على القائلين ذلك من وجهين الاول قوله تعالى (ما لهم به) أى القول (من علم) أى أصلا لانه مما لا يمكن أن يتعلق العلم به لانه لا وجود له ولا يمكن وجوده ثم قرر تعالى هذا المعنى

اذا الفاء فلا ما اقترن بالفاء لانه
جعل خبرا لا جزاء الشرط
ثم يجيء الفاء وجعل قبل
الكلام من جملة الشرط
فعطفه عليه بالفاء وجزاء
الشرط قوله قال اقتلت نفسا

صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث رستم واسفنديار
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر فيه الله تعالى وحذر قومه ما أصاب من
كان قبلهم من الامم وكان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام وقال أنا والله يا معشر قريش أحسن
حديثا منه فهلموا فأنا أحدثكم بأحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم قال ان
قريشا بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن
محمد وصفته فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى
قدما المدينة فسألا الأحبار اليهود عن أحوال محمد فقال لهم اليهود سلوه عن ثلاثة عن فتية
ذهبوا في الدهر الاول فان حديثهم عجيب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها
وسلوه عن الروح وما هي فان اخبركم فهو نبي والا فهو متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا
قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد واخبراهم بما قالته اليهود فجاؤا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسألوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا
عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لم ينزل عليه وحي ويشق
عليه ذلك ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة اهل الكهف وفيها معاتبة الله تعالى
اياه على حزنه عليهم وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف ثم بدأ بالفتية فقال (اذ)
اى واذكر اذ (اوى الفتية) وهم اصحاب الكهف المنزل عليهم جمع فتى وهو الشاب الكامل
والشباب اقبل الى الحق واهدى للسبيل من الشيوخ (الى الكهف) فارين على ايمانهم من
قومهم الكفار واختلفوا في سبب مصيرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحق بن يسار مرج
أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت
وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من
الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم
فلا يترك في قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله ثم نزل مدينة اهل
الكهف وهي افسوس فلما نزلها كبر على اهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه
واتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم في اماكنهم ويخرجوهم اليه فخيرهم بين
القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى ان يعبد
غير الله تعالى فيقتل فلما رأى ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل
فيقتلون ويقطعون ثم يجعل ما قطع من اجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب
من ابوابها حتى عظمت الفتنة فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة
والصيام والدعاء والتسبيح وكانوا من أشراف المدينة ومن أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر
بكوا وتضرعوا الى الله تعالى وجعلوا يقولون ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة
وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبيناهم على ذلك وقد دخلوا مصلى لهم أدركهم
الشرط فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى فقالوا لهم ما خلفكم
عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا فرفعوا أمرهم الى دقيانوس فقال اتجمع الناس للذبح
لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستهزؤن بك ويعصون أمرك فلما سمع ذلك بعث اليهم

لك ... ولا ذكره
زيادة المواجهة
فصل زيادة الوصية مرة
بالعتاب على ترك
ثانية (قوله ما لم تستطع)
ما في الاول بالتاء على

جميع ذلك الزينة لا يصعب علينا فنيه (صعيدا) اي فتاتا (جرزا) اي يابسا لا ينبت ونظيره قوله تعالى كل من عليها فان وقوله تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتخصيص الاهلاك بما على الارض يوهم بقاء الارض الآن سائر الآيات على أن الارض أيضا لا تبقى كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض * ولما ان القوم تعجبوا في قصة أصحاب الكهف وسألوها النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان قال تعالى (أم حسبت) اي ظننت على ما لك من العقل الرزين والرأي الرصين (ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) على ما زعم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود والعرب والواقع انهم كانوا من العجائب ابدعها واعجبها بالنسبة الى كثرة آياتنا فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلثمائة سنة وأكثر في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل واختلف في الرقيم فقيل هو اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت

* وليس بها الا الرقيم مجاورا *

وصيدهم (وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا أي فناءهم) والقوم في الكهف همد (أي نوم) وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم وقصصهم وجعل على باب الكهف قال البغوي وهذا أظهر الاقاويل وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون غير أصحاب الكهف كانوا ثلاثة يطلبون الكلأ أو نحوه لاهلهم فأخذهم المطر فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت عليهم بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل منهم وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة والفصيلة ولد الناقة اذا انفصل عن أمه فبلغت ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء والصدع الشق والصداع وجع الرأس وقال آخر كان في فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت الي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت أخاف الله تعالى فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان هرمان وكان لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيم فلم أرجع حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير وقد قدمنا سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله تعالى ويسئلونك عن الروح * وذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه القصة مشروحا فقال كان النضر بن الحرث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله

لا يكون الا في الشر وقتل النفس اعظم من مجرد خرق السفينة فناسب كل ما هو فيه ولذا قال في خرق السفينة الم اقل انك بعدها وفي قتل الغلام الم اقل لك

ان في غضبا عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمري ما كنت لأجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا
الله فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة فقد كنت أجلت لهم
أجلا ولو شاؤا لرجعوا في ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم
أرسل الى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم وقال اخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا
له أما نحن فلم نعصك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة ثم
انطلقوا فارتقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدري ما يصنع
بالفتية فألقى الله تعالى في قلبه أن يسد باب الكهف عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم بذلك
ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف
يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما
يصنع بهم وقد توفى الله تعالى أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه
ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس
يكتمان ايمانهما همّا أن يكتبا شأن الفتية وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما
في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما
مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من يفتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه
وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات وقومه وقرون بعده كثيرة وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم لما أووا
الى الكهف (فقالوا) أي عقيب استقرارهم فيه (ربنا آتنا من لدنك) أي من عندك (رحمة)
توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من عدوك (وهيئ لنا من أمرنا) أي من الأمر الذي نحن
عليه من مفارقة الكفار (رشدا) الرشد والرشد والرشاد نقيض الضلال وفي تفسير اللفظ
وجهان الأول أن التقدير هيئ لنا أمرا ذا رشد أي حتى نصير بسببه راشدين مهتدين الثاني
اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك رشدا ولما أجابهم سبحانه وتعالى عبر عن ذلك
بقوله تعالى (فضربنا) أي عقيب هذا القول واستقبله (على آذانهم) عبارة عن المنع أي
أنمناهم نومة لا تنبههم الأصوات الموقظة وحذف المفعول الذي هو الحجاب كما قال بني على
امرأته يريدون بنى عليها القبة ثم بين تعالى انه اضرب على آذانهم (في الكهف) أي
المعهود وهو ظرف مكان وقوله تعالى (سنين) ظرف زمان وقوله تعالى (عددا) أي ذوات عدد
يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من
نهار وقال الزجاج اذا قل الشيء فهم مقدار عدده فلم يحتج الى أن يعد واذا كثر احتاج الى أن
يعد (ثم بعثناهم) أي أيقظناهم من ذلك النوم (لنعلم) أي علم مشاهدة وقد سبق نظير هذه
الآية في القرآن كثيرا منها ما سبق في سورة البقرة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على
عقبيه وفي آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد نبهنا على ذلك في محله (أي الحزبين)
أي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أحصى لما لبثوا أمدا) واختلفوا في الحزبين المختلفين
فقال عطاء عن ابن عباس المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك
وأصحاب الكهف وقال مجاهد الحزبان من الفتية أصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا

قوله بنجلوس كذا في كثير من
النسخ وفي بعضها ينجلوس
بالحاء وفي الجمل بالجيم وفي
حاشية الجمل ان [illegible] لوس
والعلم عند الله اهـ مصححه

الاول اشتمل على حرف
وفعل وفاعل ومفعول
فناسبه الطف تخفيفا
بخلاف مفعول الثاني فانه
اسم واحد وهو قوله نقبا
فناسبه البقاء على الاصل
(قوله فاردت ان اعيبها)

فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا
الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا أنفسكم أسوة سراة أهل مدينتكم اختاروا اما
ان تذبحوا لآلهتنا واما أن أقتلكم فقال له كبيرهم واسمه مكسلمينا ان لنا الها ملء السموات
والارض عظمته لن ندعو من دونه الها أبدا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا
اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع ما بدا لك وقال أصحابه
مثل ما قال فلما قالوا ذلك أمر الملك بنزع لباسهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال
سأفرغ لكم وأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل لكم ذلك الا أني أراكم
شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وترجعون
الى عقولكم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق الى مدينة أخرى قريبة منهم لبعض أموره
فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأتمروا بينهم أن
يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف
قريب من المدينة فيمكثوا فيه ويعبدوا الله تعالى حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه
فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق
منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اذا أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال
كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب
ما تريدون مني لا تخشوا جانبي أنا أحب أحباب الله عز وجل فناموا حتى أحرسكم وقال ابن
عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه
فخرجوا من البلد الى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن اسحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل
غير الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء وجه الله تعالى وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال
له تمليخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجملهم وأجلدهم وكان اذا دخل
المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم
يأخذ ورقه وينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا
أصحابه بشيء ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا في ذلك ما شاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة
وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا يشتري
لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل وأخبرهم ان الجبار قد دخل
المدينة وأنهم قد ذكروا والتمسوا من عظماء المدينة ففزعوا ووقعوا سجودا يدعون
ويتضرعون ويتعوذون من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا
وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا وذلك مع غروب الشمس
ثم جعلوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم
في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون
ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس فالتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض
عظمائه وعظماء المدينة لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا

الاصل وفي اثنائه نسخ
بعد ذهاب قطعة الا انه الفرع
ذلك في قوله فما
وعكس
اسطاعوا ان يظهروه وما
استطاعوا له نقبا الى قوله

الاعظم (كذبا) بنسبة الشريك اليه تعالى ثم قال بعض الفتية لبعض (واذ) اى وحين
(اعتزلتموهم) اى قومكم (وما يعبدون) أى واعتزلتم معبودهم وقوله (الا الله) يجوز ان
يكون استثناء متصلا على ما روى انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما كان
أهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية بانهم
لم يعبدوا غير الله تعالى (فأووا الى الكهف) اى الغار الذى فى الجبل (ينشر) اى يبسط (لكم)
ويوسع عليكم (ربكم) اى المحسن اليكم (من رحمته) ما يكفيكم به المهم من أمركم فى الدارين
(ويهيئ لكم من أمركم) اى الذى من شأنه ان يهمكم (مرفقا) اى ما ترتفقون به وتنتفعون
وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء
والباقون بكسر الميم وفتح الفاء قال الفراء وهما لغتان واشتقاقهما من الارتفاق وكان
الكسائى لا يذكر فى مرفق الانسان الذى فى اليد الا كسر الميم وفتح الفاء والفراء يجيز الفتح فى
الامر وفى اليد وقيل هما لغتان الا ان الفتح أقيس والكسر أكثر والخطاب فى قوله تعالى
(وترى الشمس) للنبى صلى الله عليه وسلم او لكل أحد وليس المراد ان من خوطب به رآه
هذا المعنى ولكن العادة فى المخاطبة تكون على هذا النحو ومعناه انك لو رأيتهم لرأيتهم على هذه
الصورة (اذا طلعت تزاور) أى تميل (عن كهفهم ذات اليمين) اى ناحيته (واذا غربت
تقرضهم) اى تعدل عنهم (ذات الشمال) اى فلا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الله
تعالى زواها عنهم وقيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت
الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على شماله وقرأ السوسى بامالة الراء
المنقلبة بعد الراء فى الاصل بخلاف عنه والباقون بالفتح والدال ... على اصولهم فى الوقف
وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة ... والباقون بالفتح ...
وابن كثير وابو عمرو ونافع تزاور بتشديد الزاى ... وابن عامر بسكون الزاى
ولا ألف بعدها وتشديد الواو ... وحمزة والكسائى ...
الزاى والواو ولا ... ولما بين الله تعالى ... الشمس ...
... وهم فى متسع من الكهف ... (وهم فى فجوة منه) ...
الكهف ... ثم ...
العجيب بقوله تعالى (ذلك) اى المذكور (من آيات الله) اى دلائل قدرته (من يهد
الله) اى الذى له الامر كله ... كاصحاب الكهف (فهو المهتد) ...
فمن كان ... لا ... الاشارة الى ان ... واصلوا الى
وجوههم ... ثم ... الكرامة ... الاختصاص ...
العظيمة وان كل من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذى اصاب الفلاح واهتدى الى
السعادة وقرأ نافع وابو عمرو بزيادة ياء بعد الدال فى الوصل دون الوقف والباقون بحذفها
وقفا ووصلا (ومن يضلل) أى يضلله الله تعالى ولم يرشده كدقيانوس وأصحابه (فلن تجد له
وليا) أى معينا (مرشدا) اى يرشده للحق ثم انه تعالى عطف على ما مضى بقية خبرهم بقوله
تعالى (وتحسبهم) اى لو رأيتهم ايها المخاطب (ايقاظا) اى منتبهين لان اعينهم منفتحة

افساد عقيدة واثباته
انه ام مقر فى الدار
افساد ... الة ... ل
وانها من ... الع ...
فانه ... الى قد ... كـ
فعل ... الانـ ... والا ...
... بما ... نفسه

في أمرهم كم لبثوا ويدل له قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا
ربكم أعلم بما لبثتم فالحزبان هما هذان وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا
ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا
في مدة لبثهم * (تنبيه) * أحصى فعل ماض أي أيهم ضبط أمد أوقات لبثهم وأما من جعله
أفعل تفضيل فقال في الكشاف ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد
ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير
القرآن ممتنع فكيف به ثم قال الله تعالى (نحن) أي بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة
(نقص عليك) بأشرف انطاق (نبأهم) أي خبرهم العظيم قصا ملتبسا (بالحق) أي الصدق
(انهم فتية) أي شبان (آمنوا بربهم) أي المحسن اليهم الذي تفرد بخلقهم ورزقهم ثم وصفهم
الله تعالى بقوله (وزدناهم) بعد ان آمنوا (هدى) بما قذفناه في قلوبهم من المعارف (وربطنا
على قلوبهم) أي قويناها فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد فكانت حالهم في الجلوة
حالهم في الخلوة (اذ قاموا) أي وقت قيامهم بين يدي الجبار دقيانوس من غير مبالاة به حين
عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) وذلك لانه كان يدعو الناس
الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية
الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشرك والانداد بقولهم (لن ندعو من دونه الها) لان ما سواه
عاجز والله (لقد قلنا اذا) أي اذا دعونا من دونه غيره (شططا) أي قولا ذا بعد عن الحق جدا
وقال مجاهد كانوا أبناء عظماء مدينتهم خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال
رجل منهم هو أكبر القوم اني لاجد في نفسي شيئا ما أظن أن أحدا يجده قالوا ما تجد قال أجد
في نفسي ان ربي رب السموات والارض قالوا نحن كذلك في أنفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا
رب السموات والارض وقال عطاء قالوا ذلك عند قيامهم من النوم قال الرازي وهو بعيد
لان الله تعالى استأنف قصتهم بقوله تعالى نحن نقص عليك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب
الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد
لهم عظيم في زي وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التي يعبدونها وقد قذف الله تعالى في قلوب
الفتية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه فقالوا في أنفسهم
نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل
شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل أمره من غير ان يظهر
ذلك ثم خرج آخر فخرجوا كلهم جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد
يكتم صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ثم يفشي كل واحد سره الى
صاحبه ففعلوا فاذا هم جميعا على الايمان واذا بكهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم
لبعض (هؤلاء قومنا) وان كانوا أسن منا وأقوى وأجل في الدنيا (اتخذوا من دونه آلهة)
أشركوهم معه تعالى لشبهة واهية (لولا) أي هلا (يأتون عليهم بسلطان) أي دليل (بين) أي
ظاهر مثل ما نأتي نحن على تفرد معبودنا بالادلة الظاهرة فتسبب عن عجزهم عن دليل أنهم
أظلم الظالمين لذلك قالوا (فمن أظلم) أي لا أحد أظلم (ممن افترى) أي تعمد (على الله) أي الملك

قاله الخضر في خرق السفينة وقال في قتل الغلام فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه وفي اقامة جدار اليتيمين فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما لان الاول في الظاهر

رعبا فأنزع جميعهم وقرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم والباقون بتخفيفها والسوسي
بابدال الهمزة ياء على أصله وقفا ووصلا وحمزة في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسائي
رعبا بضم العين والباقون بسكونها (وكذلك) أي كما فعلنا بهم ما ذكرنا آية (بعثناهم) أي
أيقظناهم آية (ليتساءلوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضا [illegible]
فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا با
أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) مستفهما من اخوانه (كم لبثتم)
نائمين في هذا الكهف من ليلة أو يوم وهذا يدل على أن هذا القائل استشعر طول لبثهم لما رأى
من هيئتهم أو بغير ذلك من الامارات (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لانهم دخلوا الكهف
طلوع الشمس وبعثوا آخر النهار فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم فلما نظروا الى
طول أظفارهم وشعورهم (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) فأحالوا العلم على الله تعالى قال ابن عباس
القائل ذلك هو رئيسهم تمليخا رد علم ذلك الى الله تعالى وعلم أن مثل هذا التغيير لا يحصل الا في
الايام الطويلة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثاء المثلثة عند التاء والباقون بالادغام
ثم لما علموا أن الأمر ملتبس عليهم لا طريق لهم الى علمه أخذوا في شيء آخر مما يهمهم (فابعثوا
أحدكم بورقكم هذه) أي بفضتكم وقرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة بسكون الراء والباقون
بكسرها والورق اسم للفضة سواء كانت مضروبة أم لا ويدل عليه ما روي أن عرفجة اتخذ
أنفا من ورق ويقال لها الرقة وفي الحديث في الرقة ربع العشر (الى المدينة) أي التي خرجتم
منها وهي مدينة طرسوس وهذه الآية تدل على أن السعي في امساك الزاد أمر مهم مشروع
وانه لا يبطل التوكل على الله تعالى [illegible]
أن لا صحب الاسباب الا الله تعالى [illegible]
دون التوكل على الاتفاقات [illegible]
تعالى [illegible]
[illegible]
[illegible]
لهم بالامر فاذا نفد واحد [illegible]
الرحمن (فلينظر أيها أزكى طعاما) قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لان عامة أهل
بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون ايمانهم وقال مجاهد كانت [illegible]
أزكى طعاما أي أبعد عن الشبهة [illegible] حرام وقيل أيها أكثر وقيل أيها
أرخص قال الزجاج قوله أيها رفع بالابتداء وأزكى خبره وطعاما تمييز [illegible]
أي أي أهلها أزكى أي أحل وقيل [illegible] عائد على الاهل [illegible] والدليل عليه ان
السياق (فليأتكم) ذلك الاحد (برزق منه) لنأكل (وليتلطف) أي وليكن في ستر وكتمان
في دخول المدينة وشراء الاطعمة حتى لا يعرف (ولا يشعرن) أي ولا يخبرن (بكم أحدا) من
أهل المدينة (انهم) أي أهل المدينة (ان يظهروا) أي يطلعوا (عليكم يرجموكم) أي

لانه يكون ابقى لها جمع يقظ بكسر القاف (وهم رقود) اى نيام جمع راقد قال الزجاج لكثرة تقلبهم يظن انهم ايقاظ والدليل عليه قوله تعالى (ونقلبهم) أى فى ذلك حال نومهم تقلبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم (ذات) اى فى الجهة التى هى صاحبة (اليمين) منهم (وذات الشمال) ايصال الروح النسيم بجميع أبدانهم ولا يتأثر ما يلى الارض منها بطول المكث *(تنبيه)* اختلف فى مقدار مدة التقليب فعن أبى هريرة انهم فى كل عام تقليبتين وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم تسع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا تسع سنين وقيل لهم تقليبة واحدة فى يوم عاشوراء قال الرازى وهذه التقديرات لا سبيل للعقل اليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف انتهى ولهذا قلت بحسب ما ينفعهم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فائدة تقلبهم لئلا تأكل الارض لحومهم ولا ثيابهم اه قال الرازى وهذا أعجب من ذلك لانه تعالى لما قدر على ان يمسك حياتهم ثلثمائة سنة واكثر أفلا يقدر على حفظ أجسادهم أيضا من غير تقليب اه رد هذا العجب بان القدرة صالحة لذلك واكثر بحسب العادة وأما امساك أرواحهم فهو خرق للعادة فلا يقاس عليه (وكلبهم باسط ذراعيه) أى يديه اى ملقيهما على الارض مبسوطتين غير مقبوضتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعتدلوا فى السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب قال المفسرون كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما *(تنبيه)* باسط اسم فاعل ماض وانما عمل على حكاية الحال والكسائى يعمله ويستشهد بالآية الكريمة واكثر المفسرين على أن الكلب من جنس الكلاب وروى عن ابن جريج أنه كان أسدا ويسمى الاسد كلبا فان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبى لهب فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الاسد وقال ابن عباس كان كلبا أغر واسمه قطمير وعن على اسمه ريان واختلف فى قوله تعالى (بالوصيد) فقال ابن عباس هو باب الكهف وقيل العتبة قال السدى والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما أراد موضع الباب والعتبة وقال الزجاج الوصيد فناء البيت وفناء الدار قال الشاعر

بارض فضاء لا يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

وقال مجاهد والضحاك الوصيد الكهف (لو اطلعت عليهم) بكسر الواو على أصل التقاء الساكنين أى وهم على تلك الحالة (لوليت منهم) حال وقوع بصرك عليهم (فرارا) لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة وجعل لهم من الجلالة تدبيرا منه لما أراده بهم حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب اجله (ولملئت منهم رعبا) أى فزعا واختلف فى ذلك الرعب كان لماذا فقال الكلبى لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذى يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل من وحشة المكان وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وتقلبهم من غير حس كالمستيقظ وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب حتى لا يراهم احد وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم

فيه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العظماء فى علوم الحكمة فلم يقدم على القتل الا لحكمة عالية (قوله وجدها اقرب فى عين حمئة) ان قلت الشمس فى السماء

اعينهم فأت ساحرة السلام فيه لا ينزعان تلك الحجارة وبنيا بتلك الحظيرة حتى اذا نزعاها على فم الكهف وأصحاب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان محيي الموتى لهم [illegible]
فجلسوا بين ظهري الكهف جلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم [illegible]
على [illegible] كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في الوانهم شيء ينكرونه
كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون ان ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا [illegible]
صاحب نفقتهم [illegible] الناس في [illegible] عند الجبار دقيانوس [illegible]
كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم انهم قد ناموا [illegible] اطول مما كانوا ينامون [illegible]
بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا لبثنا يوما او بعض يوم [illegible] اعلم بما لبثتم وكل
ذلك في انفسهم يسير فقال لهم تمليخا [illegible] المدينة وهو يريد ان يؤتى به الى [illegible]
للطواغيت او يقتلكم [illegible] فقالوا [illegible]
الا وانه فلا تكفروا بعد ايمانكم اذ دعاكم [illegible] والله [illegible]
فتسمع ما يقال لنا وما الذي يذكر [illegible] ولا تشعرن بنا احدا [illegible]
طعاما واتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به [illegible] اكثر منه [illegible] على
ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي [illegible]
ضربت بطابع دقيانوس [illegible] فانطلق [illegible]
رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الاول [illegible]
هل هذه المدينة التي اعرف [illegible]
فقال اسم هذه المدينة [illegible]
ذهب عقلي والله يحق لي ان اسرع الخروج منها قبل ان اخزى فيها او يصيبني شر فاذا
فأفاق فقال والله لو عجلت الخروج من هذه المدينة قبل ان يفطن بي لكان اكيس [illegible]

[illegible]

يقتلوكم والرجم بمعنى القتل كثير فى القرآن كقوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله لارجمنك
وقوله أن ترجمون وقال الزجاج اى يقتلوكم بالرجم والرجم أخبث أنواع القتل (او يعيدوكم
فى ملتهم) ان انتم لهم (ولن تفلحوا اذا) اى ان دخلتم الى ملتهم (ابدا) بل تكونوا خاسرين
قال بعض العلماء ولا خوف على المؤمن الفار بدينه أعظم من هذين الامرين أحدهما فيه
هلاك النفس وهو الرجم الذى هو أخبث أنواع القتل والآخر هلاك الدين (فان قيل)
أليس انهم لو أكرهوا على الكفر حتى أظهروا الكفر لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن
تفلحوا اذا أبدا (أجيب) بانهم خافوا أنهم لو بقوا على الكفر مظهرين له فقد يميل بهم ذلك
الى الكفر الحقيقى فكان خوفهم بسبب هذا الاحتمال (فان قيل) ما النكتة فى العدول
عن واحدكم الى أحدكم وكل ذلك دال على الوحدة (أجيب) بأن النكتة فيه أن العرب اذا
قالوا أحد القوم أرادوا به فردا منهم واذا قالوا واحد القوم أرادوا رئيسهم والمراد فى القصة
أى واحد كان والقرآن الكريم أنزل بلغتهم فراعى ما راعوا (وكذلك) اى ومثل ما فعلنا بهم من
ذلك الامر العظيم من الربط على قلوبهم والستر والحماية من الظالمين لهم والحفظ لاجسادهم
على مر الزمان وتعاقب الحدثان وغير ذلك (أعثرنا) أى أطلعنا غيرهم (عليهم) يقال عثرت
على كذا علمته وأصله أن من كان غافلا عن شئ فعثر به نظر اليه فعرفه فكان العثر سببا لحصول
العلم فأطلق السبب على المسبب بقوله تعالى (ليعلموا) متعلق باعثرنا والضمير قيل يعود على
مفعول أعثرنا المحذوف تقديره اعثرنا الناس وقيل يعود الى أهل الكهف وهذا هو الظاهر
(ان وعد الله) الذى له صفات الكمال بالبعث للروح والجسم معا (حق) لان قيامهم بعد نومهم
منقلبين فيها ثلثمائة سنة مثل من مات ثم بعث قال بعض العارفين علامة اليقظة بعد
النوم علامة البعث بعد الموت ولما كان من الحق ما قد يداخله شك قال تعالى (وان) اى
وليعلموا أن (الساعة) اى آتية (لا ريب) اى لا شك (فيها) * (تنبيه) * اختلف فى السبب
الذى عرف الناس واقعة أصحاب الكهف فقال محمد بن اسحق ان ملك ذلك البلد رجل
صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقى فى ملكه ثمانية وستين سنة فتحزب الناس فى ملكه
فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على
الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون
ويظهرون على اهل الحق ويقولون لا حياة الا الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد
وجعل الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وأنهم أئمة فى الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون
بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك دخل
بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه ودأب ليله ونهاره زمانا
يتضرع الى الله تعالى ويبكى أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم ان الله
تعالى الذى يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس
شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده
تندوسيس ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين وألقى الله فى نفس رجل
من تلك البلد الذى فيه الكهف أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة

قوله يقال له تندوسيس
الذى فى حياة الحيوان
يقال تاودوسيوس فليحرر
اه

طالعة وغاربة نسخة فذو
القرنين انتهى الى آخر
البنيان فى جهة الغرب
فوجدها واسعة فظن
ان الشمس تغرب فيها
(فان قلت) ذو القرنين
كان نبيا او تقيا حكيما

وأنت غلام شاب وتظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ وشمط كما ترى وحولك سراة هذه
المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار
وإني لأظنني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته
فلما قال ذلك قال لهم تمليخا أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا
سل لا نكتمك شيئا قال ما فعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا
يسمى دقيانوس ولم يكن إلا ملكا هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال
تمليخا إني إذا لحيران وما هو بمصدقي أحد من الناس بما أقول لقد كنا فتية وإن الملك أكرهنا
على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لأشتري
طعاما وأتجسس الأخبار فإذا أنا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل ينجلوس
أريكم أصحابي فلما سمع أريوس ما يقول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله تعالى جعلها
الله تعالى لكم على يدي هذا الغلام فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه فانطلق معه أريوس
واسطيوس وانطلق معهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا
إليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر
الذي كان يأتي فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك
ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم فظنوا أنهم رسل الجبار
دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم
بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأتي أخانا تمليخا فإنه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظر أن نأتيه فبينما
هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذا هم بأريوس وأصحابه وقوف على باب الكهف
فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فقص عليهم النبأ
كله فعرفوا أنهم كانوا نياما بأمر الله تعالى ذلك الزمن الطويل وإنما أوقظوا ليكونوا آية
للناس وتصديقا للبعث وليعلم الناس أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على إثر تمليخا أريوس
فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل
المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلمينا ومحسلمينا
وتمليخا ومطرونس وكشطونس وبيورنس وبطونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس
الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد
عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم فلما قرأوه عجبوا
وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله تعالى وتسبيحه
ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس
وأصحابه سجودا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم
الفتية عن الذي لقوه من ملكهم دقيانوس ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم
الصالح تندوسيس أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله تعالى على ملكك
وجعلها آية للعالمين ليكون لهم نورا وضياء وتصديقا بالبعث فاعجل إلى فتية بعثهم الله تعالى
وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر قام ورجع إليه عقله وذهب

وزنا اي قصدوا
القيام ... [illegible] المراد فلا
فقاتلهم وليس المراد
تحسبانهم ... الا ان المراد انه
ليس له وزن به
انما يقصد
في مقابلة
الحسنات
الباقية الكافرة لاحقة

الذين يبيعون الطعام فاخرج الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم فقال بعني بهذا الورق
طعاما فاخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها الى رجل من
أصحابه فنظر اليها ثم الى آخر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم
جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا خبيئا في الارض منذ زمان
ودهر طويل فلما رآهم تمليخا يتشاورون من اجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن أنهم
فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون
يأتونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق أفضلوا علي قد اخذتم ورقي فامسكوها وأما
طعامكم فليس لي حاجة به فقالوا من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز
الاولين وانت تريد ان تخفيه انطلق معنا وارناه وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت وانك ان لم
تفعل نأت بك السلطان فنسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال ما وجدت شيئا وقال قد
وقعت في كل شيء احذر منه قالوا يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت فجعل تمليخا
لا يدري ما يقول لهم وخاف حتى انه لم يرد اليهم جوابا فلما رأوه لا يتكلم اخذوا كساءه
وطرحوه في عنقه وجعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع من فيها فقيل اخذ رجل عنده
كنز واجتمع عليه اهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا
الفتى من اهل هذه المدينة وما رأيناه قط وما نعرفه فجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم فلما اجتمع
عليه اهل المدينة وكان متيقنا ان اباه واخوته في المدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سيأتونه
اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينظر متى يأتيه بعض اهله فيخلصه من بين ايديهم اذ
اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان
اسم احدهما اريوس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه ينطلق به الى
دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخر من
المجنون وجعل تمليخا يبكي ويرفع راسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض افرغ
اليوم علي صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني بها عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرق
ما بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم يأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا
كنا توافقنا على الايمان بالله سبحانه وتعالى وان لا نشرك به شيئا ولا نفترق في حياة ولا موت
فلما انتهى به الى الرجلين الصالحين ورأى انه لم يذهب به الى دقيانوس افاق وسكن عنه
البكاء فاخذ اريوس واسطيوس الورق فنظرا اليها وعجبا منها ثم قال احدهما اين الكنز الذي
وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن
والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم فقال احدهما ممن انت فقال تمليخا اما انا فكنت ارى
اني من اهل هذه المدينة قالوا فمن أبوك ومن يعرفك بها فانبأهم باسم ابيه فلم يجدوا احدا
يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير
انه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس
بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا حتى ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظرا شديدا
أتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك ونقش هذه الورق وضربها اكثر من ثلاثمائة سنة

قادر على تصغير جرم
الشمس وتوسيع العين
وكبر الارض بحيث تسع
عين الماء الشمس فلم
لا يجوز ذلك ولم نعلم به لقصور
عقولنا عن الاحاطة بذلك
(قوله فلا نقيم لهم يوم

كما تقول قد أكرم وأنت تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً وأن تريد بفعل معنى الاستقبال
الذي هو صالح له ٭ ولما كان قولهم ذلك بغير علم كان (رجماً بالغيب) أي ظناً في الغيبة عنهم
فهو راجع الى القولين معاً ونصب على المفعول له أي لظنهم ذلك (ويقولون) أي المؤمنون
(سبعة وثامنهم كلبهم) قال أكثر المفسرين هذا الأخير هو الحق ويدل عليه وجوه الأول انه
تعالى لما حكى قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعده (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل) وأتبع القولين الأولين بقوله تعالى رجماً بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل
على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان
الأولان وان يكون القول الثالث مخالفاً لهما في كونه رجماً بالغيب الوجه الثاني ان الواو
في قوله تعالى وثامنهم هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على
الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر وتوكيد لصوق الصفة بالموصوف
والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر فكانت هذه الواو دالة على ان الذين كانوا في
الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقول محمد بن اسحق انهم كانوا ثمانية مردود فكأن الله
تعالى حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله تعالى
وثامنهم كلبهم والثامن لا يكون الا بعد السبع وهذه الواو يسمونها واو الثمانية لأن العرب
تعد فتقول واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد كان عندهم سبعة
كما هو اليوم عندنا عشرة ونظير هذه الآية في ثلاث آيات وهو قوله تعالى والناهون عن
المنكر وقوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة
وقوله تعالى ثيبات وأبكاراً قال القفال وقولهم واو الثمانية ليس بشيء بدليل قوله تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو
في النعت الثامن اهـ وقد يجاب بأن ذلك يجري على الغالب الوجه الثالث انه تعالى قال
ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي انه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل وكان ابن عباس يقول أنا
من أولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلبهم وكان علي رضي الله تعالى عنه
يقول كانوا سبعة قال الرازي وأسماؤهم يمليخا مكسلمينا مشلينا وهؤلاء الثلاثة كانوا
أصحاب يمين الملك وعن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء الستة
في مهماته والسابع كشفطيوش وهو الراعي الذي وافقهم لما هربوا من ملكهم
وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم مكسلمينا ويمليخا ومرطونس وبينونس
ودرنواس وكفشططونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم أفسوس ٭ (تنبيه) في
الآية حذف والتقدير سيقولون هم ثلاثة كما تقدم تقديره فحذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه
وقيل الأقوال الثلاثة لأهل الكتاب والقليل منهم أي ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على
الظن ٭ ثم انه تعالى لما ذكر هذه القصة أتبعها بأن نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن شيئين
عن المراء وعن الاستفتاء أما النهي عن المراء فقوله تعالى (فلا تمار) أي تجادل (فيهم) أي
في شأن الفتية (الا مراء) أي جدالاً (ظاهراً) أي غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في
القرآن من غير أن تكذبهم في تعيين ذلك العدد ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب

(سورة مريم عليها السلام)
(قوله يرثني ويرث من آل يعقوب) أي يرث العلم والنبوة لا المال لخبر نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة

همه فقال أحمد الله رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحمتني فلم
تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك فلما نبئ به أهل المدينة
ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا مدينة افسوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه نحو
الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية تندوسيس فرحوا به وخروا سجدا على وجوههم وقام
تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله تعالى
ويحمدونه ثم قالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وحفظك وحفظ
ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا
وتوفى الله أنفسهم وقام الملك تندوسيس اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم
في تابوت من ذهب فلما امسى ونام أتوه في المنام وقالوا له انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكن
خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى
منه فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم الله تعالى حين خرجوا من عندهم
بالرعب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم وقيل ان تمليخا الماضي الى الملك الصالح قال له الملك
من أنت قال انا رجل من أهل هذه المدينة وذكر انه خرج أمس او منذ أيام وذكر منزله وأقواما
لم يعرفهم احد وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمان الاول وأن اسماءهم مكتوبة على
لوح في خزانته فدعا باللوح فنظر في اسمائهم فاذا اسمه مكتوب فذكر اسماء الآخرين فقال
تمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب هو ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف
قال تمليخا دعوني حتى ادخل على اصحابي وابشرهم فانهم ان رأوكم معي ارعبتموهم فدخل
فبشرهم فقبضت روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه أثرهم فلم يهتدوا اليهم ثم وقع
التنازع في امرهم بين اهل المدينة كما قال تعالى (اذ يتنازعون) اي اهل المدينة (بينهم
امرهم) اي أمر الفتية في البناء حولهم (فقالوا) اي الكفار (ابنوا عليهم) اي حولهم
(بنيانا) يسترهم فانهم كانوا على ديننا وقوله تعالى (ربهم اعلم بهم) يجوز ان يكون من كلام الله
تعالى وان يكون من كلام المتنازعين فيهم (قال الذين غلبوا على امرهم) اي امر الفتية
وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم) اي حولهم (مسجدا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف
وقيل ان بعضهم قال الاولى ان نسد باب الكهف عليهم لئلا يدخل أحد عليهم ولا يقف على
أحوالهم انسان وقال الآخرون بل الاولى أن نبني على باب الكهف مسجدا وهذا القول
يدل على أن اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله ومعترفين بالعبادة والصلاة وقيل تنازعوا في
مقدار مكثهم وقيل في عددهم واسمائهم * (تنبيه) * بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع
بنيانة وان يكون مصدرا * ولما ذكر اصحاب الكهف عند النبي صلى الله عليه وسلم وقع
الاختلاف في عددهم كما قال تعالى (سيقولون) اي المختلفون في قصتهم من اهل الكتاب
والمؤمنين فقال بعض اهل الكتاب (ثلاثة رابعهم كلبهم) اي هم ثلاثة رجال ورابعهم كلبهم
بانضمامه اليهم (ويقولون) اي بعضهم (خمسة سادسهم كلبهم) فهذان القولان لنصارى
نجران وقيل الاول قول اليهود والثاني قول النصارى (فان قيل) لم جاءت سين الاستقبال
في الاول دون الآخرين (اجيب) بان في ذلك وجهين ان تدخل الآخرين في حكم السين

وأما قوله وأما من خفت موازينه فأمه هاوية فهو في من غلبت سيئاته على حسناته من المؤمنين فانه يدخل النار لكن لا يخلد فيها

فإذا أتى بالعقد أو العهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه لأجل هذه الآيات فكذا القائل
فيما إذا كان الاستثناء متصلا لأن الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل أن
الاستثناء وحده لا يفيد شيئا فهو جار مجرى بعض الكلمة الواحدة فجملة الكلام كالكلمة
الواحدة المفيدة فإذا لم يكن متصلا أفاد الالتزام التام فوجب الوفاء بذلك الملتزم وقيل إن
قوله تعالى واذكر ربك إذا نسيت كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله قال عكرمة واذكر ربك إذا
غضبت وقال وهب مكتوب في الإنجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب
وقال الضحاك والسدي هذا في الصلاة المنسية قال الرازي وتعلق هذا الكلام بما قبله يفيد
إتمام الكلام في هذه القصة وجعله مستأنفا يصير الكلام مبتدأ منقطعا وذلك لا يجوز وفي

قوله تعالى (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) وجوه الأول أن يكون قوله
تعالى إلا أن يشاء الله ليس مما يحسن تركه وذكره أولى من تركه وهو قوله لأقرب من هذا رشدا
والمراد منه ذكر هذه الجملة الثاني أنه لما وعدهم بشيء وقال معه إن شاء الله فيقول وعسى أن
يهدين ربي لشيء أحسن وأكمل مما وعدتكم به الثالث أن قوله عسى أن يهدين ربي لأقرب
من هذا رشدا إشارة إلى قصة أصحاب الكهف أي لعل الله يؤتيني من البينات والدلائل على
صحة نبوتي وصدقي في ادعاء النبوة ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من قصة أصحاب
الكهف وقد فعل الله تعالى ذلك حين آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم
من ذلك * ثم شرع تعالى في آية هي آخر الآيات المذكورة في قصة أصحاب الكهف
بقوله تعالى (ولبثوا في كهفهم) أي نياما (ثلاثمائة) أي مدة ثلاثمائة (سنين) قال بعضهم هذه
السنون الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها تسع سنين وقد ذكرت في قوله
(وازدادوا تسعا) أي تسع سنين لأن التفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث
سنين لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة أيام وإحدى وعشرين ساعة وخمس
ساعة فالثلاثمائة سنة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية قال الرازي وهذا مشكل لأنه لا يصح
بالحساب هذا القول ويمكن أن يقال لعلهم لما استكملوا ثلاثمائة سنة قرب أمرهم من
الانتباه ثم اتفق ما أوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين
في الوصل والباقون بالتنوين فسنين عطف بيان لثلاثمائة لأنه لما قال ولبثوا في كهفهم
ثلاثمائة لم يعرف أنها أيام أو شهور أو سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا للأول فلهذا كان
ذلك عطف بيان له وقيل هو على التقديم والتأخير أي لبثوا سنين ثلاثمائة وأما وجه القراءة
الأولى فهو أن الواجب في الإضافة أن يقال ثلاثمائة سنة إلا أنه يجوز وضع الجمع موضع
الواحد في التمييز كقوله تعالى بالأخسرين أعمالا وحذف تنوين سنين لدلالة ما تقدم عليه إذ لا
يقال عندي ثلاثمائة درهم وتسعة إلا وأنت تعني تسعة دراهم ولو أردت ثيابا أو غيرها لم يجز
لأنه إلغاز ثم إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم إذا نازعوه في مدة لبثهم في الكهف
بقوله تعالى (قل الله أعلم بما لبثوا) أي فهو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل
الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسع سنين فرد الله تعالى عليهم ذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا

قوله مما هو أعظم كذا
بالنسخ ولعل الأولى إلى
ما اهـ مصححه

[illegible] والنبوة (قوله أنى يكون
لي غلام) إلى آخره [illegible]
[illegible]

الاباتي هي أحسن واما النهي عن الاستفتاء فقوله تعالى (ولا تستفت فيهم) أي ولا تسأل (منهم) اي من أهل الكتاب اليهود (أحدا) عن قصتهم سؤال مسترشد لانه لما ثبت أنه ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استفتائهم وفيما أوحي اليك مندوحة عن غيره ولا سؤال متعنت تريد فضيحة المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق وروي لما سأل أهل مكة عن خبر أهل الكهف قال النبي صلى الله عليه وسلم أخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي خمسة عشر يوما وفي رواية اخرى أربعين يوما نزل (ولا تقولن لشيء) أي لاجل شيء تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشيء (غدا) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة (الا ان يشاء الله) أي الا متلبسا بمشيئته بأن تقول ان شاء الله والسبب في ذلك ان الانسان اذا قال سأفعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد ولم يبعد أيضا ان بقي حيا ان يعوقه عن ذلك الفعل سائر العوائق فاذا لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فلهذا السبب وجب عليه ان يقول ان شاء الله حتى اذا تعذر عليه الوفاء بذلك الوعد لم يصر كاذبا ولم يحصل التنفير (تنبيه) قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لامرأته أنت طالق ان شاء الله لم يقع عليه الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة تعالى لم يقع عليه الطلاق الا اذا علمنا حصول المشيئة ومشيئة الله تعالى غيب لا سبيل لنا الى العلم بحصولها الا اذا علمنا أن متعلق المشيئة وقع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول المشيئة الا اذا وقع الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفت المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد منهما على العلم بالآخر وهو دور فلهذا لا يقع الطلاق وقيل المراد الا أن يشاء الله أي الا ان يأذن لك الله تعالى في ذلك القول والمعنى أنه ليس لك أن تخبر عن نفسك انك تفعل الفعل الفلاني الا أن يأذن لك الله تعالى في ذلك الاخبار وقد احتج القائلون بان المعدوم شيء بهذه الآية لان الشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فوجب تسمية المعدوم بانه شيء (واجيب) بان هذا الاستدلال لا يفيد الا ان المعدوم يسمى بكونه شيئا وعندنا ان السبب فيه ان ما سيوجد يجوز تسميته بكونه شيئا في الحال كما قال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه والمراد سيأتي أمر الله واختلف في معنى قوله تعالى (واذكر ربك اذا نسيت) فقال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن وعند هذا اختلفوا فقال ابن عباس لو لم يحصل التذكر الا بعد مدة طويلة ثم ذكر ان شاء الله كفى في رفع الحنث وعن سعيد بن جبير بعد سنة أو شهر او اسبوع او يوم وعن طاوس لا يقدر على الاستثناء الا في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا أثر له في الكلام ما لم يكن موصولا واحتج ابن عباس بان قوله اذا نسيت غير مختص بوقت غير معين بل هو متناول لكل الاوقات وظاهره ان الاستثناء لا يجب ان يكون متصلا أما عامة الفقهاء فقالوا لو جوزنا ذلك لزم أن لا يستقر شيء من العقود والايمان يحكى ان المنصور بلغه ان أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له الامام ابو حنيفة هذا يرجع عليك لانك تأخذ البيعة بالايمان أفترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضي عنه واستدل له بان الآيات الكثيرة دالة على وجوب الوفاء بالعقد والعهد قال تعالى أوفوا بالعقود وقال تعالى وأوفوا بالعهد

قوله بوقت غير معين كذا بالنسخ والمناسب حذف غير اهـ مصحح

نفسه ومن وقد جمع بينهما في الآية وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء وعلى الاول المراد من آل يعقوب الانبياء لانهم الذين لا يورثون الا العلم

فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار وقد ذكرت ذلك عند قوله تعالى
كانوا من آياتنا عجبا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه به
لو أقسم على الله لأبره ولم يفرق من شيء وشيء فيما يقسم به على الله تعالى ومنها ما روى عن سعيد بن
المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها
التفتت البقرة وقالت إني لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا وأبو بكر وعمر ومنها ما روى عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسمع رعدا أو صوتا في السحاب أن اسق حديقة فلان
قال فغدوت إلى تلك الحديقة فإذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان قلت فما
تصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لأني سمعت صوتا في السحاب
أن اسق حديقة فلان قال أما إذ قلت فإني أجعلها أثلاثا فأجعل لنفسي ولأهلي ثلثا وأجعل
للمساكين وابن السبيل ثلثا وأنفق عليها ثلثا وأما الآثار فكثيرة أيضا ولنبدأ منها ببعض
ما نقل أنه ظهر على يد الخلفاء الراشدين من الكرامات ثم ببعض ما ظهر على يد بعض الصحابة
أما أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن كراماته أنه لما حملت جنازته إلى باب قبر النبي صلى الله عليه
وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالباب فإذا بالباب قد فتح وإذا بهاتف يهتف
من القبر أدخلوا الحبيب إلى الحبيب وأما عمر رضي الله تعالى عنه فقد ظهرت أنواع كثيرة
من كراماته النوع الأول ما روي أنه لما بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية
الحصين فبينما عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتبت تاريخ هذه الكلمة فلما قدم رسول ذلك الجيش فقال
يا أمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فإذا بإنسان يصيح يا سارية الجبل
فاستندنا ظهورنا إلى الجبل فهزم الله تعالى الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت
قال الرازي قلت سمعت بعض المذكرين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لأنه
قال لأبي بكر وعمر أنتما مني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه
وسلم لا جرم قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم النوع الثاني ما روي أن نيل مصر كان
في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة فكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء
الإسلام كتب عمرو بن العاص إلى عمر فكتب عمر على خزفة أيها النيل إن كنت تجري بأمر الله
فاجر وإن كنت إنما تجري بأمرك فلا حاجة بنا إليك فألقيت تلك الخزفة في النيل فجرى ولم يقف
بعد ذلك النوع الثالث لما وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر بالدرة على الأرض وقال اسكني
بإذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك الوقت النوع الرابع وقعت النار في
بعض دور المدينة فكتب عمر على خزفة يا نار اسكني بإذن الله فألقوها في النار فانطفأت في
الحال النوع الخامس ما روي أن رسول ملك الروم جاء إلى عمر وطلب داره فظن أن داره مثل
قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وإنما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب إلى الصحراء رأى
عمر وضع درته تحت رأسه ونام على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال أهل المشرق والمغرب
يخافون هذا الإنسان وهو على هذه الصفة ثم قال في نفسه إني وجدته خاليا فأقتله وأخلص

قوله ولم يفرق من شيء لعله
بين شيء الخ اه

بهامش الاصل (الاصل) الآية
علامة (قلت) كلمة
طلب العلامة على وجود
الرازي بعد ما نسبه المصنف
(قلت) المبادر الى الذكر
يجعل المصنف اذا اطلق

يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا الا يعلمه الا الله (له غيب السموات والارض) اى ماغاب فيهما وخفي من احوال اهلهما فالغيب ما يغيب عن ادراكنا والله عز ذكره لا يغيب عن ادراكه شئ فيكون عالما بهذه الواقعة لا محالة وقوله تعالى (أبصر به واسمع) كلمة ذكرت في التعجب اى ما ابصر الله تعالى بكل موجود وما اسمعه بكل مسموع (ما لهم) أى اهل السموات والارض (من دونه) اى الله (من ولى) اى ناصر (ولا يشرك في حكمه) اى في قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا لانه غني بذاته عن كل أحد وقيل الحكم هنا علم الغيب اى لا يشرك في علم غيبه احدا وقرأ ابن عامر بالتاء فوق قبل الشين وبسكون الكاف على نهي كل احد عن الاشراك والباقون بالياء تحته وضم الكاف * (تنبيه) * احتج اصحابنا رحمهم الله تعالى بهذه القصة على صحة القول بالكرامة للاولياء وقد قدمنا معرفة الولي في سورة يونس عند قوله تعالى ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فمما يدل على جواز كرامات الاولياء القرآن والاخبار والآثار والمعقول * اما القرآن فالمعتمد فيه عندنا آيات الحجة الاولى قصة مريم عليها السلام وقد شرحناها في سورة آل عمران فلا نعيدها الحجة الثانية قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم في النوم سالمين من الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وأن الله تعالى كان يعصمهم من حر الشمس ومن الناس من تمسك أيضا في هذه المسئلة بقوله تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك على أنه غير سيدنا سليمان والسيد جبريل * وأما الاخبار فكثيرة منها ما اخرج في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصبي في زمن جريج وصبي آخر اما عيسى فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له أم فكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه أمه فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي الصلاة خير أم رؤيتها ثم يصلي فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى تم ثلاث مرات وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على أمه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت زانية في بني اسرائيل فقالت لهم أنا أفتن جريجا حتى يزني بي فاتته فلم تقدر على شئ وكان هناك راع يأوي بالليل الى صومعته فلما أعياها جريج راودت الراعي على نفسها فأتاها فولدت ثم قالت ولدي هذا من جريج فأتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه ثم مسح الغلام قال أبو هريرة كأني أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من أبوك فقال الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبناها كما كانت وأما الصبي الآخر فان امرأة كان معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مر بها امرأة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلني مثلها فقالت له أمه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة فكرهت ان اكون مثله وان هذه قيل لها زنيت ولم تزن وقيل لها سرقت ولم تسرق وهي تقول حسبي الله فاحببت ان اكون مثلها ومنها خبر الغار وهو مشهور وفي الصحيح عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت الى غار فدخلوه

أو فالتعجب فرح وسرور لا تعجب انكار واستبعاد والذكور هو ابو يعقوب وقيل هو أخو يوسف وقيل هو أخو زكريا وقيل هو عمران أبي مريم عليهم السلام (قوله قال رب

باسم الله الاعظم ومشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن
الحد والحصر فمن أراده طالعها وأما الدلائل العقلية على جواز الكرامات فمن وجوه
الاول أنه صلى الله عليه وسلم قال حاكيا عن رب العزة من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
فجعل ايذاء الولي قائما مقام ايذائه وتأكد هذا بالخبر المشهور أنه تعالى يقول يوم القيامة
يا ابن آدم مرضت فلم تعدني استسقيتك فما سقيتني استطعمتك فما أطعمتني فيقول يا رب كيف
أفعل هذا وأنت رب العالمين فيقول ان عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته
لوجدت ذلك عندي وكذا في السقي والاطعام فدلت هذه الاخبار على أن أولياء الله يبلغون
هذه الدرجات العالية والمراتب الشريفة فاذا جاز ايصال العبد الى هذه الدرجات فأي بعد
أن يعطيه الله تعالى كسرة خبز أو شربة ماء أو يسخر له كلبا أو دودة الوجه الثاني أنه
صلى الله عليه وسلم قال عن رب العزة ما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب
الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا وقلبا ولسانا ويدا ورجلا في يسمع
وفي يبصر وفي ينطق وفي يمشي وهذا الخبر يدل على أنه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله تعالى
لما قال أنا سمعه وأنا بصره وهذا المقام أشرف من تسخير الحية والسبع واعطاء الخبز والعنب
أو شربة من الماء فلما أوصل برحمته عبده الى هذه الدرجات العالية فأي بعد في أن
يعطيه رغيفا واحدا أو شربة من الماء في مفازة الوجه الثالث لو امتنع اظهار الكرامة
لكان ذلك اما لاجل أن الله تعالى ليس أهلا لان يفعل مثل هذا الفعل أو لاجل أن المؤمن
ليس أهلا لان يعطيه الله هذه العطية والاول قدح في قدرة الله تعالى وهو كفر والثاني
باطل فان معرفة الله تعالى ومحبته وطاعته والمواظبة على ذكره وتقديسه وتمجيده وتهليله
أشرف من اعطاء رغيف واحد في مفازة أو تسخير حية أو أسد فلما أعطاه المعرفة والذكر والشكر
من غير سؤال أولى من أن يعطيه شربة ماء في مفازة فأي بعد فيه واحتج المنكرون للكرامات
بوجوه الاول أن ظهور الافعال الخارقة للعادة جعله الله تعالى دليلا على النبوة فلو حصل
لغير النبي لبطلت هذه الدلالة الوجه الثاني أن الله تعالى قال وتحمل أثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والقول بأن الولي ينتقل من بلد الى بلد بعيد لاجل مهم يطعن في هذا
الوجه طعن في هذه الآية وأيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة الى المدينة الا في
أيام كثيرة مع التعب الشديد فكيف يعقل أن يقال ان الولي ينتقل من بلد نفسه الى الحج في يوم
الواحد الوجه الثالث أن هذا الولي الذي تظهر عليه الكرامات اذا ادعى على انسان
درهما واحدا فهل يطالب بالبينة أم لا فان طالبناه بها كان عبثا لان ظهور الكرامات عليه
يدل على أنه لا يكذب ومع قيام الدليل القاطع كيف يطلب الدليل الظني وان لم نطالبه بها فقد
تركنا قوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي فهذا يدل على أن القول بالكرامة باطل
وأجيب عن الاول بأن الناس اختلفوا هل يجوز للولي دعوى الولاية فقال قوم من المحققين
انه لا يجوز فعلى هذا الفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تكون مسبوقة بدعوى النبوة
والكرامة لا تكون مسبوقة بدعوى الولاية وعلى القول بالجواز فالفرق بينهما أن النبي يدعي
المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها لان المعجزة يجب ظهورها والكرامة

[illegible] الاولى في حق يحيى والثاني في حق عيسى عليهما السلام (قوله وسلام عليه يوم ولد) قاله هنا في قصة يحيى منكرا وقال بعد في قصة عيسى والسلام

الناس منه فلما رفع السيف أخرج الله تعالى من الارض أسدين فقصدا فخاف وألقى السيف من يده وانتبه عمر ولم يرشيأ فسأله عن الحال فذكر له الواقعة وأسلم قال الرازى واقول هذه الواقعة رويت بالآحاد وههنا ما هو معلوم بالتواتر وهو أنه مع بعده عن زينة الدنيا واحترازه عن التكلفات والتهويلات ساس الشرق والغرب وقلب الممالك والدول ولو نظرت فى كتب التواريخ علمت أنه لم يتفق لاحد من أول عهد عمر الى الآن ما تيسر له فانه مع غاية بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك ان هذا من أعظم الكرامات وأما عثمان رضى الله تعالى عنه فاشياء كثيرة منها ما روى عن أنس قال مررت فى الطريق فوقعت عينى على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالى أراكم تدخلون على وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت أجاء الوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن فراسة صادقة ومنها انه لما طعن بالسيف فاول قطرة من دمه سقطت وقعت على المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ومنها أن جهجاها الغفارى انتزع العصا من يد عثمان فكسرها على ركبته فوقعت الاكلة فى ركبته وأما على رضى الله تعالى عنه فاشياء كثيرة أيضا منها ما روى ان واحدا من محبيه سرق وكان عبدا أسود فاتى به الى على فقال أسرقت فقال بلى فقطع يده فانصرف من عند على فلقيه سلمان الفارسى وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك فقال امير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول فقال له سلمان يقطع يدك وتمدحه فقال ولم لا أمدحه وقد قطع يدى بحق وخلصنى من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا فاذا اليد قد برئت وأما ما روى عن بعض الصحابة فشئ كثير نذكر منها شيأ قليلا منها ما روى محمد بن المنكدر عن سفينة قال ركبت البحر فانكسرت سفينتى التى كنت فيها وركبت لوحا من ألواحها فطرحنى اللوح فى خيسة فيها اسد فخرج الاسد الى يريدنى فقلت يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم الاسد الى ودلنى على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعنى ورجع ومنها ما روى ثابت عن أنس ان اسيد بن حضير ورجلا آخر من الانصار تحدثا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة لهما حتى ذهب من الليل زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وكان فى يد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها فلما افترقت بهما الطريق اضاءت للآخر عصاه فمشى حتى بلغ منزله ومنها ما روى انه قيل لخالد بن الوليد ان فى عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلة فطاف بالعسكر فلقى رجلا على فرس ومعه خمر فقال ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه فقال أتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا فاذا هو خل فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال والله هذا دعاء خالد ومنها الواقعة المشهورة وهى ان خالد بن الوليد أكل كفا من السم على اسم الله وما ضره ومنها ما روى ان ابن عمر كان فى بعض أسفاره فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شئ ومنها ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى فى غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا

لا يظهر فى أول السلوك فأراد معرفته أول وجوده بفضل الله آية وجوده بحيث (قوله عن كلام الناس) ولم يكن بعبارا عصيا قال ذلك هنا وقال بعده

اى كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك الارذلون فاطردهم حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا واجعل
لهم مجلسا (واصبر نفسك) اى احبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم) ونظير هذه الآية
قد مضى في سورة الانعام وهو قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه وفي تلك الآية نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الآية أمره
بمجالستهم والصبر معهم وفي قوله تعالى (بالغدوة والعشي) وجوه الاول انهم مواظبون
على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس لفلان عمل الا [illegible]
الثاني المراد صلاة الفجر والعصر الثالث ان المراد بالغداة هو الوقت الذي ينتقل فيه
الانسان من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت الى الحياة والعشي هو
الوقت الذي ينتقل الانسان فيه من الحياة الى الموت ومن اليقظة الى النوم والانسان [illegible]
يكون في هذين الوقتين كثير الذكر لله تعالى عظيم الشكر لآلاء الله ونعمائه وقرأ ابن عامر
بضم الغين المعجمة وسكون الدال وبعدها واو مفتوحة والباقون بفتح الغين والدال والف
بعدها ولرسم في المصحف بالواو هنا وفي سورة الانعام (يريدون) بعبادتهم (وجهه) تعالى اى
رضاه وطاعته لا شيأ من اعراض الدنيا (ولا تعد) اى تنصرف (عيناك عنهم) الى غيرهم
وعبر بالعينين عن صاحبهما فنهى صلى الله عليه وسلم ان ينصرف بصره عنهم لاجل رثاثة
في مجالسة الاغنياء لعلهم يؤمنون وقوله تعالى (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال اى
انك ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا رغبة في زينة الحياة الدنيا ولما امر تعالى
في امره في مجالسة الفقراء من الصحابة نهاه عن [illegible] الالتفات الى اقوال الاغنياء
والمتكبرين بقوله تعالى (ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا) [illegible]
اى عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف (واتبع هواه) [illegible] (وكان أمره
فرطا) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
القلب عن الحق [illegible]
بقوله تعالى أغفلنا قلبه [illegible]
أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم
ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ما الذي كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا فكنا نستمع فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا
وقال أبشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنياء

[illegible]

لا يجب ظهورها وأجيب عن الثانى بان قوله تعالى وقبل اتقاكم الى آخره محمول على المعهود المتعارف وكرامات الاولياء أحوال نادرة فتعتبر كالمستثنيات من ذلك العموم المتعارف وأجيب عن الثالث بان التمسك بالامور النادرة لا يعول عليه فى الشرع فلا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعى ومع هذا فصاحب الكرامة يجب عليه ان يكون خائفا وجلا ولهذا قال المحققون أكثر ما حصل الانقطاع عن حضرة الله انما وقع فى مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أشد انواع البلاء والذى يدل على ان الاستئناس بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه الاول ان الكرامات أشياء مغايرة للحق سبحانه وتعالى فالفرح بالكرامات فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور الوجه الثانى ان من اعتقد فى نفسه انه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل لعمله وقع عظيم فى قلبه ومن كان لعمله وقع عظيم فى قلبه كان جاهلا اذ لو عرف ربه لعلم ان كل طاعات الخلق فى جنب جلال الله تقصير وكل شكر فى جنب آلائه ونعمائه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهى فى مقابلة عزته حيرة وجهل وجدت فى بعض الكتب انه قرئ فى مجلس الاستاذ ابى على الدقاق قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة ان الحق رفع عملك ان لا يبقى عندك ذكر من عملك فى نظرك فان بقى عملك فى نظرك فهو غير مرفوع وان لم يبق عملك فى نظرك فهو مرفوع مقبول الوجه الثالث ان صاحب الكرامة انما وجد الكرامة لاظهار الذل والتضرع فى حضرة الله تعالى فاذا ترفع وتكبر وتجبر بسبب الكرامات فقد بطل ما به وصل الى الكرامات فهذا طريق يؤدى ثبوته الى عدمه فكان مردودا ولهذا المعنى لما ذكر صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول فى آخر كل واحد منها ولا فخر اى لا افرح بهذه الكرامات وانما افخر بالمكرم والمعطى الوجه الرابع انه تعالى وصف عباده المخلصين بقوله تعالى ويدعوننا رغبا اى فى ثوابنا ورهبا اى من عقابنا وقيل رغبا فى وصالنا ورهبا من عتابنا قال بعض المحققين والاحسن ان يقال رغبا فينا ورهبا عنا وفى هذا القدر كفاية لأولى الالباب جعلنا الله تعالى واحبابنا من أهل ولايته بحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم وآله وصحابته ثم انه لما دل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى النبى صلى الله عليه وسلم على انه وحى معجز أمره ان يداوم درسه ويلازم أصحابه بقوله تعالى (واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك) اى القرآن واتبع ما فيه واعمل بما فيه (لا مبدل لكلماته) اى لا احد يقدر على تبديلها او تغييرها غيره وقال بعضهم مقتضى هذا ان لا يتطرق النسخ اليه وأجيب بان النسخ فى الحقيقة ليس تبديلا لان المنسوخ ثابت فى وقته الى وقت طرو الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وهذا الاحتياج ليس مع التفسير المذكور (ولن تجد من دونه) اى الله (ملتحدا) اى ملجأ فى البيان والارشاد وقيل ان لم تتبع القرآن وهو نزل فى عيينة بن حصن الفزارى لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان الفارسى وعليه شملة قد عرق فيها وبيده خوص يشقه ثم ينسجه فقال له أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها فان أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء

هل يوم ولدت مصر فالان
الاول من الله والقليل
منه كثير والثانى من عندى
وال للاستغراق او للعهد
كما فى قوله تعالى كما ارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول اى ذلك

هو كالمهل لان المقصود من شرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يبلغ في احراق الانسان
مبلغا عظيما ثم عطف عليه ذم النار المعدة لهم بقوله تعالى (وساءت) اى النار وقوله تعالى
(مرتفقا) تمييز منقول من الفاعل اى قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله تعالى الآتي في الجنة
وحسنت مرتفقا والا فاى ارتفاق في النار ولما ذكر تعالى وعيد المبطلين اردفه بوعد المحقين
فقال تعالى (ان الذين آمنوا) ولما كان الايمان هو الاذعان للاوامر عطف عليه ما يحقق
ذلك بقوله تعالى (وعملوا الصالحات) ثم عظم جزاءهم بقوله تعالى (انا لا نضيع) اى بوجه من
الوجوه (اجر من احسن عملا) وهذه الجملة خبر ان الذين وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر
والمعنى اجرهم اى نثيبهم بما تضمنه (اولئك لهم جنات عدن) اى اقامة فكأنه قيل فما لهم
فيها فقيل (تجرى من تحتهم) اى من تحت منازلهم (الانهار) وذلك لان افضل المساكن
ما كان يجرى فيه الانهار او الماء فكأنه قيل ثم ماذا فقيل (يحلون فيها) وبنى الفعل للمجهول
لان المقصود وجود التحلية وهي امر تام التحلي بها من الذهب فضلا من الله تعالى ولما
كانت نعم الله لا يحصى نوع منها قال تعالى مبعضا (من اساور) جمع اسورة كاحمرة جمع سوار كما
يلبس ذلك ملوك الدنيا من جبابرة الكفرة في بعض الاقاليم كاهل فارس وقيل من زائدة
وقيل للابتداء ومن في قوله تعالى (من ذهب) للبيان صفة لاساور وتنكيره لتعظيم حسنها
عن الاحاطة به وقيل للتبعيض ولما كان اللباس جزاء العمل فكان من جوده منهم احسنه
الفعل اليهم فقال (ويلبسون ثيابا خضرا) لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة ثم
وصفها بقوله تعالى (من سندس) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه جمع بين
النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفي آية اخرى بطائنها من استبرق
فيكون الغلاظ بطانة للرقيق ثم استأنف الوصف عن حال جلوسهم فيها بانه جلوس الملوك
المتمكنين من النعيم فقال تعالى (متكئين فيها) اى لانهم في غاية الراحة (على الارائك)
جمع اريكة وهي السرير في الحجلة وهي بيت يزين بالثياب والستور والفرش ثم مدح هذا بقوله
تعالى (نعم الثواب) اى الجزاء الجنة ولو لم يكن لها وصف غير ما مدحها به لكفى ولما كان من
الاوصاف ما لا يطلع على كله الا الله تعالى والى ذلك اشار بقوله تعالى (وحسنت) اى الجنة
كلها ومن ذلك بقوله تعالى (مرتفقا) اى مقرا ومرتفقا يرتفق به ولما افتخر الكفار
باموالهم وانصارهم على فقراء المسلمين بين الله تعالى ان ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال
ان يصير الفقير غنيا والغني فقيرا واما الذي يجب الافتخار به فطاعة الله تعالى وعبادته وهي
حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور بقوله تعالى (واضرب لهم) اى
لهؤلاء الاغنياء المتجبرين الذين يستكبرون على المؤمنين ويطلبون طردهم لضعفهم وفقرهم
(مثلا) لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا واعتمدوا عليه وركنوا اليه ولم يشكروا من
آتاهم اياه عليه بل اداهم الى الافتخار والتكبر على من زوى ذلك عنه اكراما له وصيانة عنه
(رجلين) الى آخر الآية واختلف في سبب نزولها فقيل نزلت في رجلين من اهل مكة من بني
مخزوم احدهما مؤمن وهو ابو سلمة وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم والآخر كافر وهو الاسود بن عبد ياليل وهما ابنا عبد الاسد بن عبد ياليل وقيل

والمتفق عليه انما هو مجئ
الرسالة لا مطلق الوحي
والوحي هنا انما هو بشارة
الولد لا بالرسالة (قوله انى
اعوذ بالرحمن منك ان
كنت تقيا) وان قلت كيف
قال ذلك مع انه

بمقدار خمسمائة سنة ه ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان لا يلتفت الى
أولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقراء آمنا بك قال تعالى بعده (وقل الحق) اى وقل
لهؤلاء ولغيرهم هذا الذى جئتكم به فى أمر أهل الكهف وغيرهم من هذا الوجه العرى
المعرى عن العوج الظاهر الاعجاز الباهر الحجج الحق كائنا (من ربكم) المحسن اليكم فى
أمر أهل الكهف وغيرهم من صبر نفسى مع المؤمنين والاعراض عمن سواهم وغير ذلك
لا ما تقولونه فى أمرهم ويجوز ان يكون الحق مبتدأ وخبره الجار بعده (فمن شاء) اى منكم
ومن غيركم (فليؤمن) بهذا الذى قصصناه فيهم وفى غيرهم فهو مقبول مرغوب فيه وان كان
فقيرا رث الهيئة ولم ينفع الا نفسه (ومن شاء) منكم ومن غيركم (فليكفر) فهو أهل لان
يعرض عنه ولا يلتفت اليه وان كان أغنى الناس وأحسنهم هيئة وان تعاظمت هيئته
وهذا لا يقتضى استقلال العبد بفعله كما تقول المعتزلة فعن ابن عباس فى معنى الآية من شاء
الله له الايمان آمن ومن شاء له الكفر كفر ونقل عن على رضى الله عنه انه قال هذه الصيغة
تهديد ووعيد اى فهى كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فان الله تعالى لا ينتفع بايمان المؤمنين
ولا يستضر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود على المؤمن وضرر الكفر يعود على الكافر
كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ه ولما هدد السامعين بما حاصله
اختار كل أمرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله أتبعه بذكر الوعيد والافعال الباطلة وبذكر
الوعد على الايمان والاعمال الصالحة أما الوعيد فقوله تعالى (انا أعتدنا) اى هيأنا بما لنا
من العظمة والقدرة (للظالمين) اى الذين أنفوا عن قبول الحق لاجل ان الذين قبلوه فقراء
ومساكين وكذا كل من لم يؤمن (نارا) وهى الجحيم ثم وصف الله تعالى تلك النار بصفتين الاولى
قوله تعالى (أحاط بهم) كلهم (سرادقها) اى فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل
هو الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل حائط من نار والمراد انه لا مخلص لهم منها
ولا فرجة يتفرجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هى محيطة من كل الجوانب وقيل
هو دخان يغشاهم قبل دخولهم النار يحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط الصفة الثانية
قوله تعالى (وان يستغيثوا) اى يطلبوا الغوث (يغاثوا بماء) ووصف هذا الماء بصفتين
الاولى قوله تعالى (كالمهل) وهو كما فى حديث مرفوع كدردى الزيت وعن ابن مسعود انه
دخل بيت المال وأخرج نفاعة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تلألأت ثم قال هذا هو
المهل وقال أبو عبيدة والاخفش كل شئ أذبته من نحاس أو ذهب أو فضة فهو المهل وقيل
انه الصديد والقيح وقيل انه ضرب من القطران ثم يحتمل ان تكون هذه الاستغاثة لانهم
طلبوا ماء للشرب فيعطون هذا المهل قال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ويحتمل
ان يستغيثوا من حر جهنم فيطلبوا ماء يصبونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء قال
تعالى حكاية عنهم أفيضوا علينا من الماء وقال تعالى فى آية أخرى سرابيلهم من قطران
وتغشى وجوههم النار فاذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذى يعم كل أبدانهم
كالقميص والصفة الثانية للماء قوله تعالى (يشوى الوجوه) اى اذا قرب الى الفم للشرب
فكيف بالفم والجوف ثم وصل تعالى بذلك ذمه فقال تعالى (بئس الشراب) اى ذلك الماء الذى

وأوحينا الى ام موسى انه
وحى الهام وقيل وحى
منام (قلت) لا نسلم ان
الوحى لم ينزل على امرأة
فقد قال مقاتل فى قوله
وأوحينا الى ام موسى انه
كان وحيا بواسطة جبريل

أختك ورأيت كلتا أختيك ومررت بكلتا أختيك وإذا أضيفتا إلى المضمر كانتا في الرفع
بالألف وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقولها مع المضمر بالألف في الأحوال الثلاثة أيضا
وقوله تعالى آتت أكلها حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز
الصفة الرابعة قوله تعالى (وفجرنا خلالهما نهرا) اى وسطهما وبينهما ومنه قوله تعالى
ولأوضعوا خلالكم ومنه يقال خلال القوم اى دخلت القوم وخلالهما وسطهما
ويسقيهما من الماء عند القحط ويزيد بهاؤهما الصفة الخامسة قوله تعالى (وكان له)
اى صاحب الجنتين (ثمر) اى أنواع من المال من غير الجنتين قال ابن عباس من ذهب وفضة
وغير ذلك من أثمر ماله اذا كثر وعن مجاهد الذهب والفضة خاصة أى كان مع الجنتين أشياء
من الاموال ليكون متمكنا من العمارة بالاعوان والآلات وجميع ما يريد وقرأ أبو عمرو
ثمر هنا وثمره الآتي بسكون الميم فيهما بعد ضم الثاء المثلثة وقرأ عاصم بفتح المثلثة والميم
فيهما والباقون بضم المثلثة والميم فيهما وذكر أهل اللغة ان الثمر أنواع المال من الذهب
والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر قال قطرب وكان أبو عمرو بن العلاء يقول الثمر المال
والولد وأنشد للحرث بن حلزة

ولقد رأيت معاشرا ⁂ قد أثمروا مالا وولدا

وقال النابغة

مهلا فداء لك الأقوام كلهم ⁂ وما أثمر من مال ومن ولد

(فقال) أى هذا الكافر (لصاحبه) أى المسلم المجعول مثلا للفقراء المؤمنين (وهو) أى صاحب
الجنتين (يحاوره) أى يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع افتخارا عليه وتقبيحا لحال المسلم بالنسبة
اليه والمسلم يحاوره بالوعظ وتقبيح الركون الى الدنيا (أنا أكثر منك مالا) لما ترى من جنتاى
وترى وقرأ نافع بمد الالف بعد النون والباقون بالقصر هذا في الوصل وأما في الوقف فبالالف
للجميع وسكن قالون وأبو عمرو والكسائي هاء وهو وضمها الباقون [illegible]
(وأعز نفرا) أى أنصارا يقومون معي في المهمات ويعينوني عند الضرورات لأن الأكثر
المال غالبا [illegible] كثر الاتباع من الناس وان لم يطلقوا [illegible] هذا الاسم فان [illegible]
أحوالهم ناطقة [illegible] (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وأفرد
الجنة لارادة الجنس ولدلالة ما أفاده الكلام من أن [illegible] كالمتحدة [illegible]
أو لأنه لا جنة له غيرها لأنه لا حظ له في الآخرة (وهو) أى والحال أنه (ظالم لنفسه) لاعتماده
على ماله والاعراض عن ربه ثم استأنف بيان ظلمه بقوله تعالى (قال ما أظن أن تبيد) أى
تفنى (هذه) أى الجنة (أبدا) لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ثم زاد في الغفلة
والبطر بقصر النظر على الحاضر فأنكر البعث بقوله (وما أظن الساعة قائمة) أى كائنة
استقلالا [illegible] اليه واعتمادا عليه وقوله (ولئن رددت الى ربى) أقسم ان حق
هذه الدار في الساعة اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وعلى ما يزعم
صاحبه أن الساعة قائمة (لأجدن خيرا منها) أى من هذه الجنة (منقلبا) أى مرجعا لأنه
لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الآخرة أفضل منها فأتى بذلك طمعا وتمنيا على الله وادعاء

(ثمر) اى [illegible] وبذلك [illegible] الاحباب انما الاصول [illegible] ربك يقول [illegible] لا [illegible] يكون [illegible] عن الله [illegible]

مثالا لعيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه شبههما برجلين من بني اسرائيل أخوين
أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل تمليخا والآخر كافر واسمه
فطروس وقال وهب قطفير وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت
قصتهما على ما حكى عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكين لهما
ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتقاسماها فاشترى
أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار واني مشتر
منك أرضا في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال صاحبه
اللهم ان فلانا بنى دارا بألف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة بألف دينار فتصدق بها
ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم اني أخطب اليك من نساء
الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا اللهم اني
اشتري خدما ومتاعا من الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت
صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في حشمه فقام اليه فنظر
اليه الآخر فعرفه فقال له فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابتني حاجة بعدك فأتيتك لتصيبني
بخير قال فما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وانك لمن
المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده وروي انه لما أتاه أخذ بيده فجعل يطوف
به ويريه أموال نفسه فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين أي اذكر لهم خبر رجلين (جعلنا
لأحدهما جنتين) أي بستانين يستر ما فيهما من الأشجار من يدخلهما (من أعناب) لأنها من
أشجار البلاد الباردة وتصبر على الحر وهي فاكهة وقوت بالعنب والزبيب والخل وغيرها
ثم انه تعالى وصف الجنتين بصفات الصفة الأولى قوله تعالى (وحففناهما) أي أطفناهما
من جوانبهما (بنخل) لأنها من أشجار البلاد الحارة وتصبر على الحرور وبما ضمنت عن الأعناب
بعض أسباب العاهات وثمرها فاكهة بالبسر والرطب وقوت بالتمر والخل فكان النخل
كالاكليل من وراء العنب * (تنبيه) * الحفاف الجانب وجمعه أحفة يقال أحف به القوم
أي طافوا بجوانبه الصفة الثانية قوله تعالى (وجعلنا بينهما) أي أرض الجنتين (زرعا)
ليحصل شمول الآنة للكل لأن زمان الزرع ومكانه غير زمان أثمار الشجر ومكانه وذلك هو
العمدة في القوت فكانت الجنتان أرضا جامعة لخير الفاكهة وأفضل الأقوات وعمارتهما
متواصلة متشابكة لم يتوسطهما ما يقطعهما ويفصل بينهما مع سعة الأطراف وتباعد الأكناف
وحسن الهيئات والأوصاف الصفة الثالثة قوله تعالى (كلتا) أي كل واحدة من
(الجنتين) المذكورتين (آتت أكلها) أي ما يطلب منها ويؤكل من ثمر وحب كاملا غير
منسوب شيء منهما الى نقص ولا رداءة وهو معنى (ولم تظلم) أي ولم تنقص (منه شيئا) بعهد
في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا والظلم النقصان تقول الرجل ظلمني
حقي أي نقصني * (تنبيه) * كلا اسم مفرد معرفة يؤكد به مذكران معرفتان وكلتا اسم مفرد
ومعرفة يؤكد به مؤنثان معرفتان واذا أضيفا الى المظهر كانا بالألف في الأحوال
الثلاثة كقولك جاءني كلا أخويك ورأيت كلا أخويك ومررت بكلا أخويك وجاءتني كلتا

انما يعوذ من الفاسق
لا من التقي (قلت) معناه
ان كنت ممن يتقي الله فانت
تنتهي عني بتعوذي به
منك وقيل ظنته رجلا
اسمه تقي وكان فاجرا
فتعوذت منه (قوله لأهب)

ولعند ذلك ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يرفيه مكروها ثم ان المؤمن لما اعلم
أجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) اى
والولد ويحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الاول
عمرو باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وابن كثير باثباتها وصلا ووقفا
وقفا ووصلا وقوله تعالى (فعسى ربى) اى فلعل ربى (أن يؤتين) من
خيرا من جنتك) اما فى الدنيا واما فى الآخرة لايمانى جواب الشرط (ويرسل
(حسبانا) جمع حسبانة اى صواعق (من السماء فتصبح) بعد كونها قرة للعين
الأشجار والزروع (صعيدا زلقا) اى ارضا ملساء باستئصال نباتها واشجارها
حتى لايثبت عليها قدم وقوله (او يصبح ماؤها غورا) اى غائرا فى الارض لاتناله
مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع له) اى للماء الغائر (طلبا) بحيث
لا ترده الى موضعه ثم انه اخبر الله تعالى أنه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال
وقعت الاحاطة بالهلاك وبنى للمفعول لان المقصود حاصل باحاطة الهلاك من
مخصوص والدلالة على عمومه (بثمره) اى الرجل المشرك كله واستؤصل
ل منه وما فى الجبل وما يسرحه على البرد والحر ومالا يحصى قال بعض
الله تعالى ارسل عليها نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فاصبح يقلب كفيه) ندما
احداهما على الاخرى تحسرا وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم
ر البطن كما يكنى عن ذلك بعض الكف والسقوط فى اليد لانه فى معنى الندم
أنه قيل فاصبح يندم (على ما انفق فيها) اى فى عمارتها ونمائها (وهى خاوية)
على عروشها) اى دعائمها التى كانت تضمنها فسقطت على الارض وسقطت هى
الى (ويقول) عطف على يقلب او حال من ضميره (يا) للتنبيه (ليتنى) تذكارا لـ
قول عقله وحمقه وعدم اعتماده على الله تعالى من غيره الترك بالاعتماد على
بربى أحدا) كما قال له صاحبه فندم حيث لا ينفعه الندم على ما فرط فى الماضى
الدنيا لا حرصا على الايمان لحصول التوفيق الحقيقى لقصور عقله ووقوعه مع
عادته (فان قيل) ان هذا الكلام يوهم ان جنته انما هلكت بشؤم شركه واين
ع البلاء أكثرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولولا أن يكون الناس أمة
ن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال صلى الله
البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وأيضا لما قال ياليتنى لم أشرك بربى
على الشرك ورغب فى التوحيد فوجب أن يصير مؤمنا ثم قال تعالى بعده
) أى جماعة من نفر الذى افتخر بهم ولا من غيرهم (ينصرونه) مما وقع فيه
عنده لاكها (وما كان) هو (منتصرا) بنفسه بل ابى الامر فى ذلك الا لله
عن الاول بانه لما عظمت حسرته لاجل أنه انفق عمره فى تحصيل الدنيا وكان
لاه عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية بقى محروما من الدنيا والدين وعن

وقال تقول العرب رجل
بخى فهو كره التاء فيه
غور اى مجرى ماغض وغائر
او هو فصل بمعنى فاعل
فهو كرر التاء فيه كما قال فى
قوله ان رحمة الله قريب
من المحسنين أو لوافقه

لكبر أمله علمه بمكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله إن لي عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا (قال له صاحبه) أي المؤمن (وهو) أي والحال أن ذلك الصاحب (يحاوره) أي يراجعه منكرا عليه (أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك آدم من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له (ثم من نطفة) متولدة من أغذية أصلها تراب هي مادتك القريبة (ثم سواك) أي عدلك بعد أن أولدك وطورك في أطوار النشأة (رجلا) أي كاملا إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر على أن يعيده منه ولما أنكر على صاحبه أخبر عن اعتقاده بما يضاد اعتقاد صاحبه فقال مؤكدا لأجل إنكار صاحبه مستدركا لأجل كفرانه (لكنا) أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون وحذفت الهمزة ثم أدغمت النون في مثلها كما قال القائل

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب * وتقلينني لكن إياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك ولما كان سبحانه وتعالى لا شيء أظهر منه ولا شيء أبطن منه أشار إلى ذلك بجعله إضمارا قبل الذكر فقال (هو) أي الظاهر أتم ظهور فلا يخفى أصلا ويجوز أن يكون الضمير للذي خلقك (الله) أي المحيط بصفات الكمال (ربي) وحده لم يحسن إلي خلقا ورزقا أحد غيره وهذا اعتقادي في الماضي والحال وقرأ ابن عامر بإثبات الألف بعد النون وقفا ووصلا لاتباع المرسوم والباقون بإثبات الألف بعد النون وقفا وحذفها وصلا (فإن قيل) قوله لكنا استدراك لماذا (أجيب) بأنه لقوله أكفرت فكأنه قال لأخيه أكفرت بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرو حاضر وذكر القفال في قول المؤمن (ولا أشرك بربي) أي المحسن إلي في عبادتي (أحدا) وجوها أحدها إني لا أرى الفقر والغنى إلا منه فأحمده إذا أعطى وأصبر إذا ابتلى ولا أتكبر عندما ينعم علي ولا أرى كثرة الأموال والأعوان من نفسي وذلك لأن الكافر لما اغتر بكثرة المال والجاه فكأنه قد أثبت لله شريكا في إعطاء العز والغنى وثانيها لعل ذلك الكافر مع كونه منكرا للبعث كان عابد صنم فبين هذا المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء وثالثها أن هذا الكافر لما عجز الله تعالى عن البعث والحشر فقد جعله مساويا للخلق في هذا العجز وإذا أثبت المساواة فقد أثبت الشريك ثم قال المؤمن للكافر (ولولا إذ) أي وهلا حين (دخلت جنتك قلت) عند إعجابك بها ما يدل على تفويضك الأمر فيها وفي غيرها إلى الله تعالى وهو (ما شاء الله) أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على أن ما موصولة أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف أي إقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أهلكها وقرأ ابن ذكوان وحمزة بالإمالة والباقون بالفتح وإذا وقف حمزة وهشام على شاء أبدل الهمزة ألفا مع المد والتوسط والقصر وأظهر إذ عند الدال نافع وابن كثير وعاصم والباقون بالإدغام وهلا قلت (لا قوة إلا بالله) اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونة الله تعالى وإقداره أي لا يقوى أحد في بدنه ولا في غير ذلك إلا بالله وفي الحديث من أعطي خيرا من

الهبة إلى جبريل مجازا أي لا كونه سببا في هبة الولد بواسطة نفخ في درعها فهو من قول جبريل (قوله ولم أك بغيا) لم يقل بغية لما قاله ابن الأنباري من أن بغيا غالب في النساء

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا

ولما بين سبحانه وتعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والانقضاء مشرفة على الزوال والبوار
والفناء بين بقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ادخال هذا [illegible] تحت هذا
الكلي فينعقد به قياس بين الانتاج وهو أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولما كانت زينة
الحياة الدنيا سريعة الانقضاء والانقراض [illegible] أن المال والبنون سريع
الانقضاء والانقراض وما كان كذلك فانه يقبح بالعاقل أن لا يفتخر به أو يفرح بسببه أو يقيم له
في نظره وزنا وهذا برهان ظاهر باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء
المؤمنين بكثرة الأموال ثم ذكر تعالى ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار
من الأغنياء فقال (والباقيات الصالحات خير) أي [illegible] لأن [illegible] الدنيا
منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضي وهذا
معلوم بالضرورة لا سيما وقد ثبت أن خيرات الدنيا حقيرة خسيسة وأن خيرات الآخرة عالية
شريفة والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالا أحدها أنها سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة إلا بالله والقول [illegible] الزيادة
[illegible] فقال روي أن من قال سبحان الله [illegible] من الثواب [illegible] فاذا قال
والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا إله إلا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله أكبر [illegible]
أربعين وتحقيق القول [illegible] الثواب [illegible] الله تعالى
و[illegible] فاذا قال [illegible]
[illegible] هذا [illegible] فاذا [illegible]
[illegible] وتعالى مع كونه [illegible]
[illegible] درجات المعرفة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال [illegible] الله [illegible]
[illegible]
[illegible] الباقيات [illegible]
والتسبيح والحمد لله ولا [illegible] ولا قوة إلا بالله [illegible]
من القول [illegible] الطيبات [illegible]
في ذلك الصلوات وأعمال الحج وصيام رمضان [illegible] ولا إله إلا الله [illegible]
ولا حول ولا قوة إلا بالله [illegible] الكلام الطيب [illegible] كل [illegible] محبة الله تعالى
ومعرفته وخدمته وأما ما عدا ذلك من قول أو عمل الى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن
ذلك لأن كل ما سوى الحق فهو فان لذاته فكان الاشتغال به والالتفات اليه باطلا وضائعا

هذا ما قيل في ان فقراء [illegible]
[illegible] أكام [illegible] أنه [illegible]
[illegible] الأغنياء [illegible]
[illegible] (روي [illegible]) [illegible]
[illegible]

الثاني انه انما ندم على الشرك لاعتقاده أنه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو
انما رغب في ذلك لاجل طلب الدنيا فلذلك لم يقبل الله توحيده وقرأ حمزة والكسائي يكن
بالتحتية على التذكير والباقون بالفوقية على التأنيث ولما أنتج هذا القص قطعا أنه لا أمر
لغير الله تعالى المرجو لنصر أولياءه وبعد اعدائهم ولا اغنائهم بعد فقرهم ولا اذلال أعدائهم بعد
عزهم وكبرهم وافقارهم بعد اغنائهم وحده وان غيره انما هو كالخيال لا حقيقة له صرح بذلك
في قوله تعالى (هنالك) أي في مثل هذه الشدائد العظيمة (الولاية) أي الذي له الكمال كله
وقرأ حمزة والكسائي بكسر الواو أي الملك والباقون بفتحها أي النصرة وقوله تعالى (الحق)
قرأه أبو عمرو والكسائي برفع القاف على الاستئناف والقطع تعظيما لا تنبيها على ان قربهم في
مثل هذه الازمان اليه تعالى دون غيره برهان قاطع على انه الحق وما سواه باطل وان الفخر
بالعرض الزائل من أجهل الجهل وان المؤمنين لا يضيرهم فقرهم ولا يسوء طردهم لا سيما وانه
يوشك ان يعود فقرهم غنى وضعفهم قوة وقرأه الباقون بجرها على الوصف أي الثابت الذي
لا يحول يوما ولا يزول ولا يغفل ساعة ولا ينام ولا يولى امره غيره (هو خير ثوابا) من ثواب غيره
لو كان يثيب (وخير عقبا) أي عاقبة للمؤمنين وقرأ عاصم وحمزة بسكون القاف والباقون
بضمها ونصب على التمييز ولما تم المثل لدنياهم الخاصة بهم التي ابطرتهم فكانت سببا لشقاوتهم
وهم يحسبون انها عين اسعادهم ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس في قلة ثباتها وسرعة
فنائها وان من تكبر كان اخس منها فقال (واضرب) أي صير (لهم) أي لهؤلاء الكفار
المفتخرين بالعرض الفاني المفتخرين بكثرة الاموال والاولاد بعزة النفر وقوله تعالى (مثل
الحيوة الدنيا) مفعول أول ثم فسر المثل بقوله تعالى (كماء) وهو المفعول الثاني (انزلناه)
بعظمتنا وقدرتنا وقال تعالى (من السماء) تنبيها على بلوغ القدرة في امساكه في الهواء
وانزاله في وقت الحاجة (فاختلط) أي فتسبب وتسبب عن انزاله انه اختلط (به نبات الارض)
أي التف بسببه حتى خالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه كما قال تعالى فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت وربت وقيل اختلط ذلك الماء بالنبات حتى روى وازهر وعلى هذا كان حق اللفظ على
هذا التفسير فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه
عكس للمبالغة في كثرته ثم اذا انقطع ذلك بالطريقة حف ذلك النبات (فاصبح هشيما) أي
يابسا متفرقة اجزاؤه (تذروه) أي تفرقه وتفرقه (الرياح) فتذهب به والمعنى انه تعالى شبه
الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح حتى يصير كأنه لم يكن كأنه بقدرة الله تعالى
لم يكن وقرأ حمزة والكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع (وكان الله) أي المختص بصفات
الكمال (على كل شيء) من ذلك وغيره انشاء وافناء واعادة (مقتدرا) أزلا وأبدا بتكوينه
أولا وتنميته وسطا وابطاله آخرا فاحوال الدنيا أيضا كذلك تظهر أولا في غاية الحسن
والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم تأخذ في الانحطاط الى أن تنتهي الى الهلاك والفناء ومثل هذا
الشيء ليس للعاقل أن يبتهج به *(تنبيه)* قوله تعالى فاصبح يجوز أن يكون على بابه فان أكثر
ما يطرق من الآفات صباحا كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه ويجوز أن يكون بمعنى صار من
غير تقييد بصباح كقول القائل

الفواصل (قوله فقولي
إني نذرت للرحمن صوما)
الآية مرتب على مقدر
بينه وبين الشرط تقديره
فاما ترين من البشر أحدا
فسألك الكلام فقولي
إني نذرت الآية وبهذا

بعضهم بعضا تمام الابدان يكونون صفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة
بالكعبة التي تكون بعضها خلف بعض وعلى هذا فالمراد بقوله صفا صفوفا كقوله تعالى
يخرجكم طفلا أي أطفالا ثالثها المراد بالصف القيام كما في قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها
صواف أي قياما وقيل كل أمة صف ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي
فرادى حفاة عراة غرلا وليس المراد حصول المساواة من كل وجه لانهم خلقوا صغارا ولا عقل
لهم ولا تكليف عليهم بل المراد ما [illegible] ويقال لمنكري البعث (بل زعمتم أن) أي أنا (لن نجعل
لكم موعدا) أي مكانا ووقتا نجمعكم فيه هذا اليوم تفخر لكم [illegible] على ألسنة
رسلنا فكنتم مع التعزز على المؤمنين بالاموال والانصار تنكرون البعث والقيامة فالآن
قد تركتم الاموال والانصار في الدنيا [illegible] القيامة والبعث حق [illegible] عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا أيها الناس انكم تحشرون
الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ألا وان أول الخلائق
يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الا وانه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال
فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم فيقال لي انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم
منذ فارقتهم وفي رواية فأقول سحقا سحقا قوله غرلا أي قلفا الغرلة القلفة التي تقطع من
جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا أي بعدا قال العلماء المراد بهم الذين
ارتدوا من العرب بعده وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء [illegible] بعضهم الى
بعض فقال الامر أشد من أن يهمهم ذلك [illegible]
[illegible] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال [illegible]
الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير [illegible]
[illegible]
[illegible] (ووضع الكتاب) [illegible]
(الكتاب) [illegible] دقائق الاعمال [illegible]
ولا [illegible] فيه [illegible]
المذنب وهو صحف الاعمال (فترى المجرمين مشفقين) أي خائفين [illegible]
من الحق وخوف الفضيحة بين الخلائق (مما فيه) من قبائح [illegible]
وأقوالهم (ويقولون) عند معاينتهم ما فيها من السيئات (يا ويلتنا) [illegible] أي
هلكتنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه [illegible] (ما لهذا
الكتاب) أي أي شيء لهذا الكتاب حال كونه على غير حال الكتب (لا يغادر) أي لا يترك (صغيرة
ولا كبيرة) من ذنوبنا وقال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير
الصغيرة اللمم والمسيس والقبلة والكبيرة الزنا (الا أحصاها) أي عدها وأثبتها في الكتاب
ونظيره قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى انا كنا نستنسخ

[illegible]

وأما الحق لذاته فهو الباقي الذي لا يقبل الزوال لا جرم كان الاشتغال بمحبته ومعرفته وطاعته وخدمته هو الذي يبقى بقاء لا يزول ولما كان أهم ما الى من حصل البقاء ليس لكفايته بل لان يحفظ له وقت حاجته قال تعالى (عند ربك) أى المحسن اليك المواهب العالم بالعواقب (خير) من المال والبنين في العاجل والآجل (ثوابا وخير) من ذلك كله (أملا) أى من جملة ما يرجوه فيها من الثواب ويرجوه فيها من الامل لان ثوابها الى بقاء آمالها كل ساعة في تحقق وعد الله وارتقاء وآمل المال والبنين يخاف أن أحوج ما يكون اليهما وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله تعالى خير ثوابا أى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة ولما بين سبحانه وتعالى خساسة الدنيا وشرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة فذكر منها أنواعا النوع الاول قوله تعالى (ويوم) أى واذكر لهم يوم (نسير) بأيسر أمر (الجبال) عن وجه الارض بما وصف القدرة كما نسير نبات الارض بعد أن صار هشيما بالرياح كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب * (تنبيه) ليس في لفظ الآية ما يدل الى أين تسير قال الرازى ويحتمل أن يقال ان الله يسيرها الى الموضع الذى يريد ولم يبين ذلك لخلقه والحق ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم لقوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولقوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم التاء الفوقية وفتح الياء التحتية بعد السين على فعل ما لم يسم فاعله ورفع الجبال باسناد تسير اليها كما في قوله تعالى واذا الجبال سيرت والباقون بالنون المضمومة وكسر الياء التحتية بعد السين باسناد فعل التسيير اليه تعالى نفسه ونصب الجبال لكونه مفعول نسير والمعنى نحن نفعل بها ذلك اعتبارا بقوله تعالى وحشرناهم والمعنى واحد لانها اذا سيرت فمسيرها ليس الا الله تعالى * النوع الثانى قوله تعالى (وترى الارض) بكمالها (بارزة) لا غار فيها ولا صدع ولا جبل ولا نبت ولا شجر ولا ظل فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها وهو المراد من قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقيل انها أبرزت ما في بطنها وقذفت الموتى المقبورين فيها فاذا هى بارزة الجوف والبطن فحذف ذكر الجوف كما قال تعالى وألقت ما فيها وتخلت وقال تعالى وأخرجت الارض أثقالها النوع الثالث قوله تعالى (وحشرناهم) اى الخلائق قهرا الى الوقت الذى تنكشف فيه الخفايا وتظهر القبائح والمغيبات ويقع الحساب فيه على النقير والقطمير والنافذ فيه بصير (فلم نغادر) اى نترك (منهم) اى الاولين والآخرين (أحدا) لانه لا ذهول ولا عجز ونظيره قوله تعالى قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (فان قيل) لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (أجيب) بان ذلك يقال للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك * ولما ذكر تعالى حشرهم وكان من المعلوم أنه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال بانيا الفعل للمفعول على طريقة كلام القادرين ولان المخوف العرض لا لكونه من معين (وعرضوا على ربك) المحسن اليك برفع أوليائك وخفض أعدائك وقوله تعالى (صفا) حال أى مصطفين واختلف في تفسيره على وجوه الاول أن تعرض الخلق كلهم صفا واحدا لا اتساع الارض ظاهرين لا يحجب

كان طفلا وخطاب التكليف انما يكون بعد البلوغ والتمييز (قلت) ذلك لا يدل على انه أوصاه بادائه ذلك في الحال بل أوصاه في الحال بالاداء بعد البلوغ والتمييز أو ان

(فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وإبليس أبو الجن فله ذرية ذكرت معه والملائكة لا ذرية لهم وكررت هذه القصة لهذا المقصود المذكور قال البيضاوي وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن أي إنما يكرر لمناسبة ذلك المحل الذي يذكر فيه (ففسق) أي خرج بترك السجود (عن أمر ربه) أي سيده ومالكه حين أمره والفاء للسببية وفيه دليل على أن الملائكة لا يعصون البتة وإنما عصى إبليس لأنه كان جنيا في أصله والكلام المستوفى فيه تقدم في سورة البقرة ثم إنه تعالى حذر عن اتباعه بقوله تعالى (أفتتخذونه) الخطاب لآدم وذريته والهاء هنا وفيما سيأتي لإبليس والهمزة للإنكار والتعجب أي بعد فسقه واحتقاركم فطرده لأجلكم فيكون ذلك سببا لأن تتخذوه (وذريته) شركائي (أولياء) لكم (من دوني) فتطيعونهم بدل طاعتي وقوله تعالى (وهم لكم عدو) أي أعداء حال ولما كان هذا الفعل أجدر شيء بالذم وصل به قوله تعالى (بئس للظالمين بدلا) من الله إبليس وذريته وكان الأصل لكم ولكنه أبرز الضمير ليعلق الفعل بالوصف لإفادة التعميم وروى مجاهد عن الشعبي قال إني لقاعد يوما إذ أقبل جمال فقال أخبرني هل لإبليس زوجة قلت إن ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض البيضة فتنفلق عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية إبليس لاقيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة والهفاف ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والأيمان الكاذبة ومدح السلع وثبر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله دخل معه وإذا أكل ولم يسم الله أكل معه قال الأعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر فأقول داسم داسم وعن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عني وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه قال فيلتزمه واختلفوا في عود الضمير في قوله تعالى (ما أشهدتهم) على وجوه أحدها وهو الذي ذهب إليه الأكثرون أن المعنى ما أشهدت الذين اتخذتموهم أولياء (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى اقتلوا أنفسكم نفي إحضار إبليس وذريته خلق السموات والأرض وإحضار بعضهم خلق

(قلت) فكيف أوصاهم المراد بالزكاة هنا تزكية النفس وتطهيرها من المعاصي لا زكاة المال (قوله وإن الله ربي وربكم) قال ذلك هنا وقال في الزخرف وإن الله هو ربي

ما كنتم تعملون * (تنبيه) * إدخال التاء في الصغيرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعلة الصغيرة والكبيرة. قال بعض العلماء احتجبوا من الصغائر قبل الكبائر لأن الصغائر هي التي جرتهم إلى الكبائر واحترزوا من الصغائر حذرا من أن تقعوا في الكبائر وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لموبقات (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك) أي الذي رباك بخلق القرآن (أحدا) منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب بل يجازي الأعداء بما يستحقونه تعذيبا لهم ويجازي أولياءه الذين عادوهم بما يستحقون تنعيما لهم. روى الإمام أحمد في المسند عن جابر بن عبد الله أنه سافر إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر يستأذنه فاستأذن عليه قال فخرج بطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته قلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص فخشيت أن تموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس أو قال العباد حفاة عراة بهما قلت وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه حق حتى أقصه منه حتى اللطمة قال فقلنا كيف وإنا نأتي حفاة عراة بهما قال بالحسنات والسيئات وروى الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يحاسب الله الناس في القيامة على ثلاثة يوسف وأيوب وسليمان فيدعو المملوك فيقال ما شغلك عني فيقول جعلتني عبدا لآدمي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك أن عبدني فيؤمر به إلى النار ثم يدعو المبتلى فإذا قال شغلتني بالبلاء دعا أيوب فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ثم يؤتى بالملك في الدنيا مع ما آتاه الله تعالى من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلني الملك عن ذلك فيدعى سليمان فيقول هذا عبدي آتيته أكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك ويؤمر به إلى النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن تزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن جسده فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه كيف عمل به ولما كان المقصود من ذكر الآيات المتقدمة الرد على القوم الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية المذكورة في قوله تعالى (وإذ) أي واذكر إذ (قلنا للملائكة) الذين هم أطوع شيء لأوامرنا المقصود من ذكرها عين هذا المعنى وذلك لأن إبليس إنما تكبر على آدم لأنه افتخر بأصله ونسبه وقال خلقتني من نار وخلقته من طين وأنا أشرف منه في الأصل والنسب فكيف أسجد له وكيف أتواضع له وهؤلاء المشركون عاملوا فقراء المسلمين بعين هذه المعاملة فقالوا كيف نجالس هؤلاء الفقراء مع أنا أناس من أنساب شريفة وهم من أنساب نازلة ونحن أغنياء وهم فقراء ذكر الله تعالى هذه القصة تنبيها على أن هذه الطريقة هي بعينها طريقة إبليس حين أمره الله تعالى في جملة الملائكة بقوله تعالى (اسجدوا لآدم) سجود انحناء بلا وضع جبهة تحية له

ظاهر قوله ما دمت حيا أنه
أوصاه بذلك إلا بعد بلوغه
وعبارته (فإن قلت) الزكاة
إنما تجب على الأغنياء
وعيسى لم يزل فقيرا إلا أنه
[illegible] مكنته في
الأرض مع علمه تعالى بحاله

الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين مع قيام الأدلة التي لا شك فيها وقيل الظن
هنا بمعنى العلم واليقين ولما افتخر هؤلاء الكفار على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأتباعهم
وبين الله تعالى بالوجوه الكثيرة أن قولهم فاسد وشبههم باطلة ذكر فيه المثلين المتقدمين ثم قال
بعده (ولقد صرفنا) وأظهر نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم الدال وأدغمها الباقون (في
هذا القرآن) أي القيم الذي لا عوج فيه بجميع وجوه المعاني (للناس) أي الراسخين والتابعين
بقوله تعالى (من كل مثل) صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا أو أنا حولنا الكلام
وصرفناه في كل وجه من وجوه المعاني وأبرزناه من العبارات الرائقة والأساليب المتناسقة
ما صار به في غرابته كالمثل يتقبله كل من سمعه وتضرب به آباط الإبل في سائر البلاد بين
العباد لتستر به قلوبهم وتبتهج به النفوس فلم يتقبلوه ولم يتركوا الجدال الباطلة كما قال تعالى
(وكان الانسان أكثر شيء) يتأتى منه الجدال وهو لا كثرة بقوله تعالى (جدلا) أي خصومة
قال بعض المحققين والآية دالة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جادلوهم في الدين لأن
الجدال لا يحصل إلا من الطرفين ولهذا قيل أراد بالانسان الكافر وقيل الآية على العموم
قال ابن الخازن وهو الأصح وكذا قال البغوي فعن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله تعالى عنها ليلة فقال
ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول
وكان الانسان أكثر شيء جدلا وقال ابن عباس أراد النضر بن الحرث وجداله في القرآن
وقال الكلبي أراد به أبي بن خلف الجمحي ولما بين سبحانه وتعالى إعراضهم بين موجبه عندهم فقال
تعالى (وما منع الناس) أي الذين جادلوا بالباطل الايمان هذا كان الأصل ولكنه عوض
عن المفعول الثاني بقوله (أن يؤمنوا) ليفيد التجديد وذمهم على الترك (إذ) أي حين (جاءهم
الهدى) أي القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وعطف على المفعول الثاني ما هو أبلغ
منه في الذم في قوله تعالى (ويستغفروا ربهم) أي لا مانع لهم من الإيمان ولا من الاستغفار
والتوبة ولما كان الاستثناء مفرغا أتى بالفاعل فقال (إلا أن) أي طلب أن (تأتيهم سنة
الأولين) أي سنتنا فيهم وهي الاهلاك المقدر عليهم (أو) طلب أن (يأتيهم العذاب قبلا) أي
مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وقيل عذاب الآخرة وقرأ الكوفيون بضم القاف والباء
وحده والباقون بكسر القاف وفتح الباء المواجهة ولما كان ذلك ليس إلى الرسول وانما هو
إلى الله تعالى نبه بقوله تعالى (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين) بالثواب على أفعال الطاعة
(ومنذرين) بالعقاب على أفعال المعصية فطلبهم من الظالمين ما ليس إليهم
(ويجادل الذين كفروا) أي يجددون الجدال كلما أتاهم أمر من قبلنا (بالباطل) من قولهم
ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو كنتم صادقين لأتيتم بما نطلب منكم مع أن ذلك ليس كذلك إنما هو
بيد غير الله من الأمر شيء (ليدحضوا به) أي ليبطلوا بجدالهم (الحق) أي القرآن والمعجزات
المثبتة لصدقهم (واتخذوا آياتي) أي القرآن (وما أنذروا) أي وإنذارهم أو والذي أنذروا به
من العقاب (هزوا) أي استهزاء وقرأ حفص بالواو وقفا ووصلا وحمزة بالواو وقفا لا وصلا

اذ الكفر اشد قبحا من
الظلم ذكره ...
الظلم ذكر بالكفر في المثل الذي
... قصة ...
... المثل الذي ...
... وقال هذا ...
... ومعه ...

ببعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين) اى الذين يضلون الناس ووضع الظاهر موضع المضمر اظهارا لاضلالهم وذما لهم (عضدا) اى اعوانا وانصارا قال الرازي وهو الاقوى عندي ان الضمير عائد الى الكفار الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد عن مجلسك هؤلاء الفقراء من عندك فلا نؤمن بك فكأنه تعالى قال ان هؤلاء الذين أتوا بهذا الاقتراح الفاسد والتعنت الباطل ما كانوا شركائي في تدبير العالم بدليل اني ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم أقدموا على الاقتراح الفاسد قال والذي يؤكد هذا ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات فالاقرب في هذه الآية هو أولئك الكفار وهو قوله تعالى بئس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين أولئك الكفار وثالثها أن يكون المراد من قوله ما اشهدتهم الى آخره دون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم في الازل من أحوال السعادة والشقاوة فكأنه قيل لهم السعيد من حكم الله بسعادته والشقي من حكم الله بشقاوته في الازل وأنتم غافلون عن أحوال الازل فانه تعالى قال ما أشهدتهم الى آخره واذا جهلتم هذه المسألة فكيف يمكنكم أن تحكموا لانفسكم بالرفعة والعلو والكمال ولغيركم بالذل والدناءة بل ربما صار الامر في الدنيا والآخرة على العكس مما حكمتم به ولما قرر تعالى ان القول الذي قالوه في الافتخار على الفقراء اقتدوا فيه بابليس عاد بعده الى التهويل بأهوال القيامة فقال (ويوم) التقدير واذكر لهم يا محمد يوم عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة (يقول) اى الله يوم القيامة لهؤلاء الكفار تهكما بهم وقرأ حمزة بالنون والباقون بالياء (نادوا شركائي) اى ما عبد من دوني وقيل ابليس وذريته ثم بين تعالى ان الاضافة ليست على حقيقتها بل توبيخ لهم فقال تعالى (الذين زعمتم) انهم شركائي أو شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي (فدعوهم) تماديا في الجهل والضلال (فلم يستجيبوا لهم) اى فلم يغيثوهم استهانة بهم واشتغالا بأنفسهم فضلا عن أن يمنعوهم (وجعلنا بينهم) اى المشركين والشركاء (موبقا) اى واديا من أودية جهنم لكون فيه بهلاكهم وهو من وبق بالفتح هلك نقل ابن كثير عن عبد الله بن عمر انه قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلال وقال الحسن البصري عداوة اى يؤول بهم الى الهلاك والتلف كقول عمر رضي الله تعالى عنه لا يكون حبك كلفا ولا بغضك تلفا اى لا يكن حبك يجر الى الكلف ولا بغضك يجر الى التلف وقيل الموبق البرزخ البعيد اى وجعلنا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى برزخا بعيدا يهلك فيه السارى لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان ولما قرر سبحانه وتعالى مالهم مع شركائهم ذكر حالهم في استقرار جهلهم فقال تعالى (ورأى المجرمون) اى العريقون في الاجرام (النار) من مكان بعيد (فظنوا) ظنا (انهم مواقعوها) اى مخالطوها في تلك الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها كما قال تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان مخالطة الشيء للغير اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة (ولم) اى والحال انهم لم (يجدوا عنها مصرفا) اى مكانا ينصرفون اليه لان الملائكة تسوقهم اليها والموضع موضع التحقق ولكن ظنهم جريا على عادتهم في الجهل كما ظنوا اتخاذ الله ولدا بغير علم وما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن

أو بكم بزيادة هو لانه تعالى
ذكر قصة عيسى عليه
السلام هنا بعد توفاه
فاغنى ذلك عن التاكيد
بخلافه ثم ولذلك قال هنا
قوله للذين كفروا وفي
الزخرف قيل الذين ظلموا

وارادته رجلا سواه لقصد تأديبه مثل ان تقول قال أبو حنيفة الثوري وعن سعيد بن جبير قال
قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل
فقال ابن عباس كذب عدو الله ونوف البكالي هو نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي
ويقال انه دمشقي وكانت أمه زوجة كعب الاحبار قاله ابن كثير وحجة الذين قالوا موسى
هذا غير صاحب التوراة أنه يقال بعد ان أنزل عليه التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات
الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لاكثر الانبياء يبعد أن يبعثه بعد ذلك الى التعلم
والاستفادة (وأجيب) بانه لا يبعد أن يكون العالم الكامل في كثرة العلوم يجهل بعض العلوم
فيحتاج في تعلمها الى من هو دونه وهو أمر متعارف وروى البخاري حديث ان موسى قام خطيبا
في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله
تعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال يارب فكيف لي به قال تاخذ حوتا فتجعله
في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم قال (لا أبرح) أي لا أزال
اسير في طلب العبد الذي أعلمني ربي بشأنه (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملتقى بحر الروم وبحر
فارس مما يلي المشرق قاله قتادة أي المكان الجامع لذلك فالقاه هنالك (أو أمضي حقبا) أي
دهرا طويلا والمعنى ان لم اظفر بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعدا لي في لقائه والحقب
قال في القاموس ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة والسنون الجمع [illegible] وقد أخذا حوتا
مشويا في مكتل كما أمر به فكانا كلاهما حتى انتهيا الى الصخرة كما قال تعالى (فلما بلغا مجمع بينهما)
أي بين البحرين قال قتادة اذا افتقدت الحوت فاضطرب [illegible] واضطرب الحوت في المكتل وخرج
وسقط في البحر فلما استيقظا (نسيا حوتهما) أي نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى
عليه السلام تذكيره وقيل الناسي يوشع فقط وهو على حذف مضاف أي نسي أحدهما كقوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فهو مجاز (فاتخذ سبيله في البحر) أي جعله بجعل الله (سربا)
أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ له وذلك ان الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء
فانجاب عنه فبقي كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته [illegible] ان الله تعالى
أمسك الماء عن موضع جريه في الماء فصار طاقا لا يلتئم وكان الحوت كان مشويا فظن عليه
السلام ان المطلوب امامه وظن المراد مجمع البحرين آخر فسارا (فلما جاوزا) ذلك المكان
بالسير بقية يومهما وليلتهما واستمرا الى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى عليه السلام
(لفتاه آتنا) أي أحضر لنا (غداءنا) وهو طعام كل أول النهار لنتقوى به على ما حصل لنا من
الاعياء ولذلك وصل به قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبا ولم يجد موسى النصب حتى
جاوز المكان الذي أمره الله تعالى به وقوله هذا اشارة الى السفر الذي وقع بعد تجاوزهما
الموعد او مجمع البحرين ونصبا مفعول لقينا (قال) له فتاه (أرأيت) أي ما دهاني وقرأ نافع
بتسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه آخر وهو ابدالها حرف مد واسقطها
الكسائي والباقون بالتحقيق (اذ أوينا الى الصخرة) التي بمجمع البحرين (فاني نسيت
الحوت) أي نسيت ان اذكر لك أمره ثم اعتذر عن ذكره بقوله (وما أنسانيه الا الشيطان)
بوسواسه وقرأ حفص بضم الهاء وأمال الالف الكسائي محضة وورش بين بين وبالفتح
والباقون بالفتح وقوله (أن أذكره) لان في محل نصب على البدل من الهاء في انسانيه بدل اشتمال أي

يسيرون في الفكر
[illegible] واعجبت
ثم وصل الى [illegible] واسع
[illegible]
تقديم السمع هنا والبصر
ثم (قوله [illegible])
[illegible] الاستغفار

وسكن الزاي حمزة ورفعها الباقون ولحمزة في الوقف أيضاً النقل وبالسكت ولما حكى الله تعالى عن
الكفار أحوالهم الخبيثة ووصفهم بما يوجب الخزي بقوله تعالى (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم
وهو استفهام على سبيل التقرير (ممن ذكر بآيات ربه) أي المحسن إليه بها وهي القرآن
(فأعرض عنها) تاركاً لما يعرف من تلك العلامات العجيبة وما يوجب ذلك الإحسان من
الشكر (ونسي ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ثم علل تعالى ذلك
الإعراض بقوله تعالى (إنا جعلنا على قلوبهم) جمع وحد إلى أسلوب العظمة وأتى بالجمع لأنه
أنص على ذم كل واحد (أكنة) أي أغطية مستعلية عليها مستولية بدليل سياق العظمة على أنه
لا يدع شيئاً من الخير يصل إليها فهي لا تعي شيئاً من آياتنا ودل تذكير الضمير وإفراده على أن المراد
بالآيات القرآن فقال (أن) أي كراهة أن (يفقهوه) أي يفهموه (وفي آذانهم وقراً) أي ثقلاً
فهم لا يسمعونه حق السمع ولا يعونه حق الوعي (وإن تدعهم) أي تكرر دعاءهم كل وقت (إلى
الهدى) لتنجيهم مما هم فيه من المرض بالجهل على ذلك (فلن يهتدوا) أي بسبب دعائك (إذاً)
أي إذا دعوتهم (أبداً) لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلال فلا يقع منهم إيمان ثم قال تعالى
(وربك) مشيراً بذلك الاسم إلى ما اقتضاه حال الرضى من الإحسان (الغفور) أي البليغ
المغفرة الذي يستر الذنوب إما بمحوها وإما بالحلم عنها إلى وقت آخر (ذو الرحمة) أي الموصوف
بالرحمة الذي يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالإكرام ثم استشهد تعالى
على ذلك بقوله تعالى (لو يؤاخذهم) أي هؤلاء الذين عادوك وهو عالم أنهم لا يؤمنون
أو يعاملهم معاملة المؤاخذ (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل
لهم موعد) وهو إما يوم القيامة وإما في الدنيا وهو يوم بدر وسائر أيام الفتح (لن يجدوا من
دونه) أي الموعد (موئلاً) أي ملجأ ينجيهم منه فإذا جاء موعدهم أهلكناهم فيه بأول ظلمهم
وآخره وقوله تعالى (وتلك) مبتدأ وقوله تعالى (القرى) أي الماضية من عاد وثمود ومدين
وقوم لوط وأشكالهم صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس والخبر (أهلكناهم)
والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً) أي وقتاً معلوماً
لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقرأ شعبة بفتح الميم واللام أي لإهلاكهم وقرأ حفص
بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام أي لإهلاكهم ثم عطف سبحانه وتعالى على
قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة (وإذ) أي واذكر لهم حين (قال موسى لفتاه) يوشع بن نون بن
افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام وإنما قال فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ
عنه العلم وقيل فتاه عبده وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي
(تنبيه) أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب
المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الأحبار أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب
وقد كان نبياً قبل موسى بن عمران قال البغوي والأول أصح واحتج له القفال بأن الله تعالى لم
يذكر في كتابه موسى إلا وأراد به صاحب التوراة فإطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف إليه
ولو كان المراد شخصاً آخر يسمى موسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وإزالة
الشبهة كما أنه لما كان المشهور في العرف من أبي حنيفة هذا الرجل المعين فلو ذكرنا هذا الاسم

في الكهف لأن معناه هنا أنه
تعالى ذكر قصص الأنبياء
فاسمعها وتدبرها واستعمل
النظر فيها ببصيرتك ومعناه
في الكهف أنه تعالى له غيب
السموات والأرض فأجمل

البحر ثم توقف على الطلع وقال يا على با عظيم يا حليم يا كريم ثم قال أجيزوا بسم الله فاجزنا ما بيل الماء هو افردوابنا فاصبنا الدو عليه فقتلنا رأسه [illegible] ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته فاجزنا وما بل الماء حوافر دوابنا الاخبار فى ذلك كثيرة [illegible] قال [illegible] فقال موسى عليه السلام [illegible] (قال) له (ذلك) اى الامر الذى هو فقد الحوت (ما كنا نبغ) اى نريد من هذا الامر [illegible] الله تعالى [illegible] وابو عمرو والكسائى باثبات الياء وصلا لا وقفا وابن كثير باثباتها وصلا ووقفا والباقون بالحذف (فارتدا على آثارهما) اى فرجعا فى الطريق الذى جاءا فيه يقصان (قصصا) اى يتبعان آثارهما اتباعا [illegible] الى الصخرة قال القارى يدل على ان الارض [illegible] [illegible] فالظاهر والله اعلم انه مجمع [illegible] [illegible] [illegible] من الملح ومن [illegible] ان الامر كان [illegible] يقولون انه من [illegible] والله اعلم [illegible] عن قتادة انه ملتقى بحر [illegible] وقال محمد بن كعب [illegible] وقال ابى بن كعب [illegible] كما هو [illegible] قال [illegible] وليس فى [illegible] الصحيح [illegible] والاولى السكوت عنه [illegible] الحوت (فوجدا عبدا من عبادنا) [illegible] والصحيح الذى جاء فى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفروة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال موسى [illegible] فقال [illegible] الى وكان الخضر [illegible] وقيل [illegible] قال [illegible] اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى [illegible] الى [illegible] [illegible] قال [illegible] قال [illegible] به قال [illegible] (آتيناه رحمة من عندنا) اى [illegible] وحيا ونبوة وكونه نبيا هو قول الجمهور [illegible] (وعلمناه من لدنا) اى [illegible] على [illegible]

أن اذكره (واتخذ سبيله) اى طريقه الذى ذهب فيه (فى البحر عجبا) وهو كونه كالسرب
معجزة لموسى أو الخضر وذكره الآن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على ارادة هذا
النسيان اذ هو مفوت للطاعة بل فيه ترقية لهما فى معراج المقامات العالية لوجدان المطلوب
بعد المكان الذى فيه البغية وحفظ الماء منجابا على طول الزمان وغير ذلك من الآيات
الظاهرة وقوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه مبين ان السلطان الكامل على العاصى
وقوله وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقد كان
فى هذه القصة خوارق منها احياء الحوت ومنها ايجاد ما كان أكل منه ومنها امساك الماء عن
مدخله وقد تحقق لنبينا صلى الله عليه وسلم نفسه وأتباعه ببركته مثل ذلك أما اعادة ما أكل
من الحوت المشوى وهو شبيه فقد روى البيهقى فى أواخر دلائل النبوة عن سلمة بن يزيد رضى
الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى بشاة مشوية فقال لبعض أصحابه ناولنى ذراعها وكان
أحب الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم قال ناولنى ذراعها فناوله ثم قال ناولنى
ذراعا فقال يا رسول الله انما هما ذراعان وقد ناولتك فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى
بيده لو سكت ما زلت تناولنى ذراعا ما قلت لك ناولنى ذراعا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه
لو سكت لأوجد الله تعالى ذراعا ثم ذراعا وهكذا وأما احياء الحوت المشوى ففى قصة الشاة
المشوية المسمومة ان ذراعها أخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه مسموم فهذا أعظم من عود
الحياة من غير نطق وكذا حنين الجذع وتسليم الحجر وتسبيح الحصى ونحو ذلك أعظم من
عود الحياة الى ما كان حيا روى البيهقى فى الدلائل عن عمرو بن سواد قال قال الشافعى
ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت أعطى عيسى عليه السلام احياء
الموتى فقال أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذى كان يخطب الى جنبه حتى هيئ
له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك انتهى وقد ورد أشياء كثيرة من احياء
الموتى له صلى الله عليه وسلم ولبعض أمته وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه قال كنا فى
الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة ومعها ابن لها قد بلغ فأضاف المرأة الى النساء
وأضاف ابنها الينا فلم يلبث ان أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبى صلى الله
عليه وسلم وأمر بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال ائت أمه فأعلمها فجاءت حتى جلست عند قدميه
فأخذت بهما ثم قالت اللهم انى أسلمت لك طوعا وخالفت الاوثان زهدا وهاجرت اليك رغبة
اللهم لا تشمت بى عبدة الاوثان ولا تحملنى من هذه المصيبة ما لا طاقة لى بحملها قال فوالله
ما انقضى كلام المرأة حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله
صلى الله عليه وسلم وحتى هلكت أمه وأما آية الماء فرجعها الى صلابته ولا فرق بين جموده
بعدم الالتئام بعد الانخراق وبين جموده وصلابته بالامتناع من الانخراق وقد جهز عمر
ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه جيشا واستعمل عليه العلاء بن الحضرمى فحصل لهم حر شديد
وجهدهم العطش قال بعض الجيش فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده
وما نرى فى السماء شيأ فوالله ما حط يده حتى بعث الله تعالى ريحا وأنشأ سحابا فأفرغت حتى
ملأت الغدر والشعاب فشربنا وسقينا واستقينا ثم أتينا عدونا وقد جاوزنا خليجا فى البحر

للكافر حرام فكيف وعد ابراهيم عليه السلام اباه بالاستغفار له مع انه كافر (قلت) معناه سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته يعنى الاسلام والاستغفار للكافر بهذا الوجه جائز

الاذن في السؤال أطلب منك ان تعطيني جزءا من أجزاء معلوماتك ومنها ان قوله مما علمت اعتراف
منه بان الله تعالى علمه ذلك العلم ومنها قوله رشدا طلب منه الارشاد والهداية ومنها قوله
ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ومنها انه ثبت بالاخبار ان الخضر عرف أولا ان
موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي كلمه الله من غير واسطة وخصه بالمعجزات القاهرة
الباهرة ثم انه عليه السلام مع هذه المناصب الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه
الانواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على كونه عليه السلام آتيا في طلب العلم بأعظم
أبواب المبالغة في التواضع وذلك يدل على ان هذا هو الأليق به لان كل من كانت احاطته
بالعلوم التي علم ما فيها من البهجة والسعادة أكثر كان طلبه لها أشد فكان تعظيمه لارباب
العلم أكمل وأشد وكل ذلك يدل على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع بأقصى الغايات
وأما المعلم فان رأى ان في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره
فان السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور وذلك يمنعه من التعلم وروي ان موسى عليه السلام
لما قال هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وببني اسرائيل
شغلا فقال له موسى ان الله أمرني بهذا (قال) اي الخضر (فان اتبعتني) اي صحبتني ولم يقل اتبعني
ولكن جعل الاختيار اليه الا انه شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألني عن شيء) أفعله وأعمله
(حتى أحدث لك) خاصة (منه ذكرا) اي حتى أبتدئك ببيانه فاني لا أقدم على شيء
الا وهو واجب جائز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك فتحمل موسى شرطه رعاية لادب
المتعلم مع العالم ولما تشارطا وتراضيا على الشرط تسبب عن ذلك قوله تعالى (فانطلقا) اي
موسى والخضر عليهما السلام على الساحل فانتهيا الى موضع احتاجا فيه الى الركوب في السفينة
فهذا الا يطلبان سفينة وكانا فيها اسفرا (حتى اذا ركبا في السفينة) التي مر بهما [illegible]
الشرط بقوله (خرقها) اي أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحا او لوحين من ألواحها
من جهة البحر لما بلغت اللجة ولم يعترض خرقها الا انه لا يمكن [illegible] من الركوب [illegible]
قوله (قال) له موسى عليه السلام مستنكرا (أخرقتها لتغرق أهلها) [illegible] الحال
المقتضي للفساد [illegible] باهلاك النفوس [illegible]
الانكار [illegible] الكلام [illegible]
(شيئا امرا) [illegible] الانكار [illegible]
فان خرقها [illegible]
[illegible]
لام أهلها ثم قال له موسى والله (لقد جئت شيئا امرا) [illegible] (قال) الخضر (ألم أقل
انك) يا موسى (لن تستطيع معي صبرا) [illegible] (قال) موسى
(لا تؤاخذني) يا خضر (بما نسيت) اي غفلت عن التسليم وترك الانكار عليك قال ابن
عباس انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام اي وهي التورية بالشيء عن الشيء وفي الخبر
ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب اي سعة فكانه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت
من عهدك والنسيان الترك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت الاولى من موسى

الله تعالى امر على موسى
عليه السلام [illegible]
[illegible] قال انك لن
وقد امن اهل موسى
الا [illegible]
عند الله وامر [illegible]
(قوله) [illegible]

أهل الاصطفاء (علما) قذفناه في قلبه بغير واسطة وأهل التصوف سموا العلم بطريق المكاشفة العلم اللدني فاذا سعى العبد في الرياضات تزين الظاهر بالعبادات وتخلى النفس عن الملاذ وعن الاخلاق الرذيلة وتحليتها بالاخلاق الجميلة صارت القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قويت القوى العقلية وأشرقت الانوار الالهية في جوهر العقل وحصلت المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعي وطلب في التفكر والتأمل وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية ثم أورد سبحانه وتعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير سؤال سائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك انه من المعلوم ان الطالب للشخص اذا لقيه كلمه فكان لا يعرف عين ذلك الكلام فقال ان ثم كأنه قيل ما قال عن ذلك (قال له موسى) طالبا منه على سبيل التأدب والتلطف باظهار ذلك في قالب الاستئذان (هل أتبعك) أي اتباعا بليغا حيث توجهت والاتباع الاتيان بمثل فعل الغير لمجرد كونه آتيا به وبين انه لا يطلب منه غير العلم بقوله (على ان تعلمن) أثبت الياء نافع وأبو عمرو وصلا لا وقفا وابن كثير وصلا ووقفا والباقون بالحذف وزاد في التلطف بالاشارة الى انه لا يطلب جميع ما عنده لطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها الى باقيه فقال (مما علمت) وبناه للمفعول لعلم المتخاطبين لكونهما من الخاصين بان الفاعل هو الله تعالى وللاشارة الى سهولة كل أمر الى الله تعالى (رشدا) اى علما يرشدني الى الصواب فيما أقصده وقرأ أبو عمرو بفتح الراء والشين والباقون بضم الراء وسكون الشين * ولما أتم موسى عليه السلام العبارة عن السؤال (قال) له الخضر عليه السلام (انك) يا موسى (لن تستطيع معي صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وقع الياء من معي صبرا في المواضع الثلاثة هنا حفص وسكنها الباقون ثم علل عدم الصبر منه واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر) يا موسى (على ما لم تحط به خبرا) أي وكيف تصبر على أمور وانت نبي ظاهرها منكر والرجل الصالح لا يتمالك أن يصبر اذا رأى ذلك بل يبادر وياخذ في الانكار وخبرا مصدر لانه في معنى لم تحط به اي لم تخبر حقيقته (قال) له موسى عليه السلام آتيا بنهاية التواضع لمن هو اعلم منه ارشادا لما ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله تعالى له النفع به (ستجدني) فأكد الوعد بالصبر ثم أخبر تعالى انه قوي تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى لعلمه بصعوبة الامر على الوجه الذي تقدم الحث عليه في هذه السورة في قوله تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله لعلمه أنه منهاج الانبياء فقال (ان شاء الله) أي الذي له صفات الكمال (صابرا) على ما يجوز الصبر عليه ثم زاد التأكيد بقوله عطفا بالواو على صابرا لبيان التمكن في كل من الوصفين (ولا أعصي) اي وغير عاص (لك أمرا) تأمرني به غير مخالف لظاهر امر الله تعالى *(تنبيه)* دلت هذه الآية الكريمة على ان موسى عليه السلام راعى انواعا كثيرة من الادب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر منها انه جعل نفسه تبعا له بقوله هل أتبعك ومنها انه استأذن في اثبات هذه التبعية كأنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعا لك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها قوله صلى الله عليه وسلم على أن تعلمن وهذا اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم ومنها قوله مما علمت وصيغة من للتبعيض وطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا أيضا اقرار بالتواضع كأنه يقول لا أطلب منك ان تجعلني مساويا

* قوله ان ثم كذا بالاصل ولعل ان لم اه مصحح

(قوله لجانب الطور الايمن) اى الذى يلي يمين موسى حين اقبل من مدين (قوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا) * ان قلت هرون كان أكبر من موسى فلم قيل هبته له (قلت) معناه ان

وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباقون (جئت) في [illegible] (شيئا) وصرح بالانكار في قوله
(نكرا) لان مباشرة الخرق سبب ولهذا قال بعضهم النكر أعظم من الامر في القبح لان قتل
الغلام أعظم من خرق السفينة لانه يمكن أن لا يحصل الغرق وأما هنا فقد حصل الاتلاف
قطعا والنكر ما أنكرته العقول ونفرت منه النفوس فهو أبلغ في القبح من الامر وقيل الامر
أعظم لان خرق السفينة يؤدي الى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الا اتلاف شخص
واحد وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة برفع الكاف والباقون بسكونها [illegible]
(قال) له الخضر (ألم أقل لك انك) [illegible] لن تستطيع معي صبرا [illegible]
الاول [illegible] هنا زاد لفظة لك (فان قيل) لم زادها (أجيب) [illegible]
على رفض الوصية [illegible] ولم
يرعو بالتذكير أول مرة قال ابن الاثير المكافحة المدافعة والمضاربة والاشمئزاز من اشمأز
الرجل أي انقبض قلبه قال البغوي في القصة انه [illegible] كان يقول لموسى [illegible]
العهد الذي أنت عليه (قال) موسى [illegible]
لامر الله تعالى فذكره [illegible] (ان سألتك عن شيء بعدها) أي بعد هذه
المرة [illegible] (فلا تصاحبني) أي لا تتركني [illegible]
ذلك بقوله (قد بلغت) وأشار الى [illegible]
التي اعتذر اليها فقال (من لدني) أي من قبلي (عذرا) باعترافي [illegible]
وقد أخبر الله عن [illegible] أولا
وثانيا مع قرب المدة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
ده لعذر [illegible] لله
صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لو [illegible]
[illegible] أي أعجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة [illegible]
وقرأ نافع بضم الدال وتخفيف النون وقرأ شعبة [illegible]
من الضم والباقون بضم الدال وتشديد النون (عذرا) [illegible]
[illegible]
الغلام (حتى اذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس [illegible]
[illegible]
[illegible] (استطعما أهلها) [illegible] أهل القرية [illegible]
[illegible] كانا يمشيان على مجالس أولئك القوم يستطعمانهم (فأبوا أن يضيفوهما) أي أن
ينزلوهما ويطعموهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن
الغرض [illegible] (فان قيل) الاستطعام ليس من عادة الكرام
وكيف أقدم عليه موسى والخضر وقد حكى الله تعالى عن موسى أنه قال عند ورود ماء مدين
رب اني لما أنزلت الي من خير فقير (أجيب) بان اقدام الجائع على الاستطعام أمر مباح في كل
الشرائع بل ربما وجب ذلك عند الخوف من الضرر الشديد (فان قيل) لم قال حتى اذا أتيا أهل

اسما ناوالوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني من أمري عسرا) أي لا تكلفني مشقة يقال
أرهقه عسرا وأرهقته عسرا اي كلفته ذلك يقول لا تضيق علي أمري ولا تعسر متابعتك علي
ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر وعسرا مفعول ثان
لترهقني من أرهقه كذا اذا حمله اياه وغشاه به وما في بما نسيت مصدرية أو بمعنى الذي والعائد
محذوف وروى ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى ان موسى لما رأى ذلك أخذ
ثوبه فحشا به الخرق وروى ان الخضر أخذ قدحا من زجاج ورقع به خرق السفينة (فان قيل)
قول موسى عليه السلام أخرقتها لتغرق أهلها ان كان صادقا فهذا يدل ذلك على صدور
ذنب عظيم من الخضر ان كان نبيا وان كان كاذبا دل ذلك على صدور الذنب من موسى وأيضا
فقد التزم موسى ان لا يعترض عليه وجرت العهود المذكورة بذلك ثم انه خالف تلك العهود
وذلك ذنب (أجيب) بان كلامهما صادق فيما قال موسى فبحسب ما عنده أما موسى عليه
السلام فانه ما خطر بباله قط ان يعاهد على ان لا ينهى عما يعتقده منكرا وأما الخضر فانه عقد
على ما في نفس الامر انه لا يقدم على منكر (فانطلقا) بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما
من الغرق وللطلب (حتى اذا لقيا غلاما) قال ابن عباس لم يبلغ الحنث (فقتله) من غير لقية كما
دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط قال البغوي في القصة انهما خرجا من البحر يمشيان فمرا
بغلمان يلعبون فأخذ غلاما ظريفا وضيء الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان
أحسنهم وجها كان وجهه يتوقد حسنا قال البغوي وروى انه أخذ برأسه فاقتلعه بيده
وروى عبد الرزاق هذا الخبر وأشار بيده بأصابعه الثلاثة الابهام والسبابة والوسطى وقلع
رأسه وروى انه رضخ رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله وكونه لم يبلغ الحنث هو
قول الاكثرين وقال الحسن كان رجلا قال شعيب الجبائي وكان اسمه حيسور وقال الكلبي
كان فتى يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل
الفساد ويتأذى منه أبواه وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام
الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا قال الرازي وليس
في القرآن كيف لقيه هل كان يلعب مع جمع من الغلمان أو كان منفردا وهل كان مسلما
أو كافرا وهل كان بالغا أو صغيرا وكان اسم الغلام بالصغير أليق وان احتمل الكبير الا ان قوله
بغير نفس أليق بالبالغ منه بالصبي لان الصبي لا يقتل وان قتل قال البقاعي الا ان يكون
شرعهم لا يشترط البلوغ وقال ابن عباس ولم يكن نبي الله يقول اقتلت نفسا زكية بغير نفس
الا وهو صبي قال الرازي أيضا وكيفية قتله هل قتله بان حز رأسه او بان ضرب رأسه بالجدار
او بطريق آخر فليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه الاقسام انتهى ثم اجاب الشرط بقوله
مشعرا بان شروعه في الانكار بعده اسرع (قال) موسى (أقتلت) يا خضر (نفسا زكية
بغير نفس) فلم يكن قتلها قودا وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الزاي
وتخفيف الياء التحتية والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد التحتية قال الكسائي
الزاكية والزكية لغتان بمعنى الطاهرة وقال أبو عمرو الزاكية التي لم تذنب
والزكية التي أذنبت ثم تابت ثم استأنف قوله (لقد) اظهر الدال نافع وابن كثير

وقال في الفرقان وعمل
عملا صالحا لانه تعالى
اوجز هنا في ذكر المعاصي
فاوجز في التوبة واطال
ثم فاطال (قوله لقد
اعادها وعدها عمدا)
ماذا فات ماذا ذكر

قال) له الخضر (هذا) اى هذا الانكار على ترك الاجر (فراق بيني وبينك)
ليه السلام لما شرط أنه ان سأله بعد ذلك [illegible] حصل به الفراق حيث
شئ بعدها فلا تصاحبني فلما ذكر هذا السؤال الثالث وهذا فراق بيني وبينك
موعود (فان قيل) كيف ساغ اضافة بين الى غير متعدد (اجيب)
كرير بالعطف بالواو الا ترى انك لو اقتصرت على قولك المال بيني لم يكن
بيننا او بيني وبين فلان ثم قال له الخضر (سأنبئك) اى سأخبرك يا موسى قبل
) اى بتفسير (ما لم تستطع عليه صبرا) لان هذه المسائل الثلاثة مشتركة
أن احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال صلى الله
كم بالظواهر والله يتولى السرائر والخضر ما كانت احكامه مبنية
بل كانت مبنية على الاسباب الخفية الواقعة في نفس الامر وذلك لان
الناس وفي اودائعهم أنه يحرم التصرف فيها والخضر تصرف [illegible]
هم في المسئلة الاولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف
وفي السفينة وقتل الانسان من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف محرم
مة ذلك الجدار المائل في المسئلة الثالثة تحمل للتعب والمشقة من غير
ن الخضر [illegible] بذلك مبتدئا بالمسئلة الاولى بقوله (أما السفينة) أي التي
خرقتها (فكانت لمساكين) عشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة (يعملون في
ويكتسبون وتمسك الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على ان حال الفقير
اضر من حال المسكين لانه تعالى سماهم مساكين مع انهم [illegible] كانوا يملكون
فاردت أن أعيبها) أي اجعلها ذات عيب [illegible]
اهلها [illegible]
قوله (وكان وراءهم) أي أمامهم [illegible]
[illegible] (كل سفينة) [illegible]
[illegible] (٣) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كون المساكين فلما كان كل من العيب [illegible]
[illegible] على [illegible] بالمساكين [illegible]
[illegible] بقوله (واما الغلام) الذي قتلته (فكان ابواه مؤمنين) [illegible]
المذكور وهو شائع [illegible] ان ذلك الغلام كان [illegible]
على الافعال المنكرة وكان ابواه يحتاجان الى دفع شر الناس عنه والتعصب له
[illegible] من المنكرات وكان [illegible] الوقوع في [illegible]

قرية استطعما أهلها ولم يقل استطعماهم (أجيب) بأن التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر

ليت الغراب غداة ينعب دائبا * كان الغراب مقطع الأوداج

وعن قتادة شر القرى التي لا تضيف الضيف (فائدة) قال الرازي وفي كتب الحكايات أن أهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب أن تجعل الباء تاء حتى تصير القراءة هكذا فأتوا أن يضيفوهما أي أتياهم لأجل الضيافة حتى يندفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله تعالى وذلك يوجب القدح في الإلهية فعلمنا أن تغيير النقطة الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية ولما أبوا أن يضيفوهما انصرفا (فوجدا فيها) أي القرية ولم يقل فيهم إيذانا بأن المراد وصف القرية بسوء الطبع (جدارا) أي حائطا مائلا مشرفا على السقوط ولذا قال في المعالم وصفه بصفة من يعقل (يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت مقابلتها فاستعير الإرادة للمشارفة كما استعير الهم والعزم في قوله

يريد الرمح صدر أبي براء * ويعدل عن دماء بني عقيل

وقول الآخر إن دهرا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالإحسان

ففي البيت الأول دليل على استعارة الإرادة للمشارفة وفي الثاني دليل على استعارة الهم لها وجمل اسم محبوبته يقول إن دهرا يجمع بيني وبينها لزمان قصده الإحسان لا الإساءة ونظير ذلك من القرآن قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقوله تعالى أن يقول له كن فيكون وقوله تعالى قالتا أتينا طائعين قال الزمخشري ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر وقيل إن الله تعالى يخلق للجدار حياة وإرادة كالحيوان (فأقامه) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده فاستقام وذلك من معجزاته وقال السدي بل طينا وجعل يبني الحائط فشق ذلك على موسى عليه السلام (فإن قيل) الضيافة من المندوبات فتركها ترك مندوب وذلك غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علو منصبه أنه غضب عليهم الغضب الشديد الذي لأجله ترك العهد الذي التزمه في قوله إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وأيضا مثل الغضب لأجل ترك الأكل في ليلة واحدة لا يليق بآحاد الناس فضلا عن كليم الله تعالى (أجيب) بأن تلك الحالة كانت حالة افتقار واضطرار إلى الطعام فلأجل تلك الضرورة نسي موسى عليه السلام ما قاله فلا جرم (قال) موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) أي طالبت على عملك أجرة تصرفها في تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء وأظهر ابن كثير الذال عند التاء على أصلها وأدغمها أبو عمرو والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء وأظهر حفص الذال على أصله وأدغمها الباقون * ولما كان كلام موسى هذا

اه عليهم وعليهم اه

(سورة طه)

(قوله وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا الآية) (إن قلت) فكيف حكى الله تعالى قول موسى عليه السلام لأهله عند رؤية

إلى كنز المال ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنز علم وهذا اللوح كان جامعاً لهما وقوله
(وكان أبوهما صالحاً) فيه تنبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه فيراعى وتراعى ذريته
وكان سياحاً واسمه كاشح قال ابن عباس حفظا لصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الأب
الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر إن الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده
وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم قال سعيد بن المسيب إني
أصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي وعن الحسن أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما
بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح أبيهما قال فأبي وجدي خير منه قال قد أنبأنا الله أنكم قوم
خصمون وذكروا أيضاً أن ذلك الأب الصالح كان من الذين تضع الناس الودائع عنده فيردها
اليوم (فأراد ربك أن يبلغا) أي الغلامان (أشدهما) أي الحلم وكمال الرأي (ويستخرجا
كنزهما) لينتفعا به وينفعا الصالحين (تنبيه) أسند الإرادة في قوله فأردت أن أعيبها إلى
نفسه لأنه المباشر للعيب وثانياً في قوله فأردنا إلى الله وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام
وإيجاد الله تعالى بدله وثالثاً في قوله فأراد ربك إلى الله وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين
أو لأن الأول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج أو لأنه لما ذكر العيب أضافه إلى إرادة
نفسه ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيهاً على أنه من العظماء في علوم الحكمة فلم
يقدم على هذا القتل إلا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لأجل صلاح أبيهما
أضافه إلى الله تعالى لأن المتكفل بمصالح الأبناء لرعاية حق الآباء ليس إلا الله سبحانه
أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط [illegible]
حصول ذلك الكنز تحت ذلك الجدار أم لا فإن قيل [illegible]
وإن كان الأب فقد [illegible]
(رحمة) [illegible]
[illegible]
[illegible]
تحمل الأمر الذي [illegible]
[illegible]
[illegible]
أن يأتي الملك الكافر [illegible]
بقوله [illegible]
من لدنا علماً وهذا يقتضي أن الله تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا إرشاد مرشد وكل من علمه
الله تعالى بلا واسطة البشر وجب أن يكون نبياً يعلم الأمور بالوحي من الله تعالى قال الرازي
وهذا الاستدلال ضعيف لأن العلوم الضرورية تحصل ابتداء من الله وذلك لا يدل على النبوة
الثالث أن موسى عليه السلام قال هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت والنبي لا يتبع غير النبي في
التعلم قال الرازي وهذا أيضاً ضعيف لأن النبي لا يتبع غير النبي في العلوم التي باعتبارها صار
نبياً أما غير تلك العلوم فلا الرابع أنه أظهر على موسى الترفع حيث قال وكيف تصبر على ما لم

التحقيق الى الكفر وقيل انه كان صبيا الا انه علم منه أنه لو صار بالغا لحصلت فيه هذه المفاسد
وفي الحديث انه طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك كما قال (فخشينا) أى خفنا والخشية خوف
يشوبه تعظيم (أن يرهقهما) أى يغشيهما ويلحقهما (طغيانا وكفرا) أى لمحبتهما له يتبعانه في
ذلك (فان قيل) هل يجوز الاقدام على قتل الانسان بمثل ذلك (أجيب) بانه اذا تأكد ذلك بوحي
من الله تعالى جاز وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله أى كيف قتل
الخضر الغلام وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من
حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل واجتنابه لم يأخذ كرما بالجزم على تقدير بقائه
من الفساد فسبب عنه قوله (فأردنا) أى بقتله وإراحتهما من شره (أن يبدلهما ربهما) أى
المحسن اليهما باعطائه وأخذه قال مطرف فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي
كان فيه هلاكهما فليرض كل امرئ بقضاء الله تعالى فان قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره
خير له من قضائه فيما يحب ولهذا أبدلهما الله تعالى (خيرا منه زكاة) أى طهارة وبركة من
الذنوب والاخلاق الرديئة وصلاحا وتقوى (وأقرب رحما) أى رحمة وعطفا عليهما وقيل
هو من الرحم والقرابة قال قتادة أى أوصل للرحم وأبر للوالدين قال الكلبي أبدلهما الله
تعالى جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله تعالى على يديه أمة من الامم
وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلهما الله تعالى جارية ولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج
أبدلهما بغلام مسلم وقرأ نافع وابو عمرو وأن يبدلهما بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال
والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال وقرأ ابن عامر رحما برفع الحاء والباقون
بالسكون * ثم شرع في تأويل المسئلة الثالثة بقوله (وأما الجدار) أى الذى أشرت بأخذ الاجر
عليه (فكان لغلامين) ودل على كونهما دون البلوغ بقوله (يتيمين) وكان اسم أحدهما أصرم
والآخر صريم ولما كانت القرية لا تنافى تسميتها بالمدينة وكان التعبير بالقرية أولا أليق
عبر بها لانها مشتقة من معنى الجمع فكان أليق بالذم في ترك الضيافة ولما كانت المدينة بمعنى
محل الاقامة عبر بها فقال (في المدينة) فكان التعبير بها أليق للاشارة به الى أن الناس يقيمون
فيها فيبعد الجدار وهم مقيمون فيأخذون الكنز كما قال (وكان تحته كنز لهما) فلذلك أقمته
احتسابا واختلف في ذلك الكنز فعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهبا
وفضة رواه البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم وصححه والذم على كنزهما في قوله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما يتعلق بهما من الحقوق وعن
سعيد بن جبير قال كان الكنز صحفا فيها علم رواه الحاكم وصححه وعن ابن عباس قال كان
لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب
عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب
أنا الله لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته
على يديه والويل كل الويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه قال البغوي وهذا
قول أكثر أهل التفسير وروى أيضا ذلك مرفوعا قال الزجاج الكنز اذا أطلق ينصرف

عليه السلام مثل هذا
السؤال مع جوابه
وجوابه ثم يأتي هنا (قوله
فلما أتاها) قاله هنا وفي
القصص بلفظ أتى وفي
النمل بلفظ جاء لانهما
وان كانا بمعنى واحد

لهذا السبب الحادي عشر أنه كان له قرنان أي ذؤابتان الثاني عشر أنه دخل النور
والظلمة وذكروا في اسمه أيضا وجوها الأول اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث
ابن نوح الثاني اسمه اسكندر بن فيلقوس الرومي واشتهر في كتب التواريخ أنه بلغ ملكه أقصى
المشرق والمغرب وأمعن حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم عاد إلى مصر وبنى الاسكندرية
وسماها باسم نفسه الثالث شمر بن عمرو بن افريقيس الحميري وهو الذي بلغ ملكه مشارق
الأرض ومغاربها وافتخر به أحد الشعراء من حمير حيث قال

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ... ملكا علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... أسباب ملك من كريم سيد

واختلفوا في نبوته مع الاتفاق على ايمانه فقال بعضهم كان نبيا واحتجوا على ذلك بوجوه الأول
قوله إنا مكنا له في الأرض وحمل على التمكين في الدين والتمكين الكامل في الدين هو النبوة
الثاني قوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا وهذا يدل على أنه تعالى آتاه في النبوة سببا الثالث
قوله تعالى يا ذا القرنين إما أن تعذب إلخ والذي يتكلم الله معه لا بد أن يكون نبيا ومنهم من
قال انه كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الأرض وأعطاه الله العلم والحكمة [illegible]
[illegible] وقد قالوا ملك الأرض مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر
ومنهم من قال انه كان ملكا من الملائكة عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه سمع رجلا يقول
يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة
والأكثر على القول الثاني ويدل له قول علي رضي الله تعالى عنه المتقدم [illegible]
[illegible] ن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الكهف
وعن قصة ذي القرنين وعن الروح والمراد من قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين هو ذلك
السؤال ثم قال الله تعالى (قل) أي لهم (سأتلو) أي أقص [illegible]
[illegible] الزمان أعلى الله تعالى [illegible] (عليكم) أي أيها [illegible] (منه) أي من ذي
القرنين [illegible] (ذكرا) أي خبرا [illegible] (إنا مكنا له
في الأرض) أي [illegible]
[illegible] (وآتيناه) [illegible] (من كل شيء) [illegible] (سببا) أي [illegible]
[illegible] (فأتبع سببا) أي [illegible]
[illegible] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في المواضع الثلاثة بتشديد
التاء الفوقية ووصل الهمزة وقرأ الباقون بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية
[illegible] (حتى إذا بلغ) في ذلك السير (مغرب الشمس) أي موضع غروبها (وجدها
تغرب في عين حمئة) أي ذات حمأة وهي الطين الأسود [illegible]
[illegible] وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة [illegible] كما أن راكب البحر
يرى الشمس كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة [illegible] وراء البحر [illegible]
[illegible] الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض قال البيضاوي ولعله
بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم

مخطه بخبر وأما موسى فانه اظهر له التواضع حيث قال ولا اعصى لك امرا وهذا يدل على
على انه كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق نبي. قال الرازي وهذا ايضا ضعيف
لانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها الخامس قوله وما
فعلته عن امري والمعنى اني فعلته بوحي من الله وهذا يدل على النبوة قال الرازي وهذا
ايضا ضعيف ظاهر الحجة السادس ما روي ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام
عليك قال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال موسى من عرفك هذا قال الذي بعثك لي
وهذا يدل على انه انما عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون الا مع النبوة قال الرازي ولقائل أن
يقول لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات انتهى وبالجملة فالجمهور على انه
حي كما مر واختلفوا اهل هو حي أو ميت فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم
قال البغوي وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل
الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فنزل فاغتسل
وشرب وشكر الله تعالى واخطأ ذو القرنين الطريق وذهب آخرون الى انه ميت لقوله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرأيتكم
ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا
لكان لا يعيش بعده ولما بين لموسى سر تلك القضايا قال له (ذلك) اي هذا التأويل العظيم
(تأويل ما لم تسطع) يا موسى (عليه صبرا) وحذف تاء الاستطاعة هنا تخفيفا فان استطاع
واسطاع بمعنى واحد *(تنبيه)* من فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعمله ولا يبادر الى
انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي
الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه وروي ان
موسى لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه للعمل به
* ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها التطواف في الارض لطلب العلم عقبها بقصة من
طاف الارض لطلب الجهاد وقدم الاولى اشارة الى علو درجة العلم لانه أساس كل سعادة وقوام
كل امر فقال عاطفا على ويجادل الذين كفروا بالباطل (ويسألونك) اي اليهود وقيل
مشركو مكة بأشرف الخلق (عن ذي القرنين) وذكروا في سبب تسميته بذلك وجوها الاول
قال أبو الطفيل سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا
ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أمر قومه بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه الايمن فمات
ثم بعثه الله تعالى فامرهم بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى
فسمي ذا القرنين وفيكم مثله يعني نفسه الثاني انه انقرض في وقته قرنان من الناس الثالث
أنه كان صفحتا رأسه من نحاس الرابع كان على رأسه ما يشبه القرنين الخامس كان لتاجه
قرنان السادس أنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها السابع كان له قرنان اي ضفيرتان
الثامن ان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه وتمده الظلمة من
ورائه التاسع أنه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه ينطح اقرانه العاشر
أنه رأى في المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنيها اي جانبيها فسمي بذلك

قوله اعرب ما بعدها اي من
حيث قوله يا موسى اني
أنا ربك وقوله في القصص
اني انا الله وان
يا موسى
اختلف محلها باعتبار ذات
في الفعل (قوله ان الساعة
آتية) فانهما وفي الحج

لهذا

مهمات المعاش وأحوالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وقال
م حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم والثانى
يون كما ان الحيوانات عراة أبدا وفى كتب الهيئة ان أكثر حال
كن البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك قال الكلبى هم
ى أذنيه ويلتحف بالاخرى وقال الزمخشرى وعن بعضهم قال
سألت عن هؤلاء القوم فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة
احدى أذنيه ويلبس الاخرى فلما قرب طلوع الشمس سمعت
على ثم أفقت فلما طلعت الشمس فاذا هى فوق الماء كهيئة الزيت
رتفع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج
القبائل من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل
ان) فيه وجوه الاول ان معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ
وصفنا من رفعة المكان وبسطة الملك قال البغوى والصحيح ان
هم عند غروب الشمس كذلك فى القوم الذين هم عند مطلعها
ذى القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خبرا) أى علما تعلق
ن كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير (ثم) ان
المشرق (أتبع سببا) آخر من جهة الشمال فى ارادة ناحية السد
امتع أخذ فيه (حتى اذا بلغ) فى مسيره ذلك (بين السدين) أى
رمينية وأذربيجان وقيل جبلان فى أواخر الشمال وقيل هذا
ولهما من ورائهما يأجوج ومأجوج قال الرازى والاظهر ان
سالسد الاسكندر ما بينهما كما سيأتى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
ون بضمها وهما لغتان معناهما واحد وقال عكرمة ما كان من
الفتح وما كان من صنع الله فهو بالضم وقاله أبو عمرو وقيل بالعكس
يقرب منهما من الجانب الذى هو أدنى منهما الى الجهة التى أتى منها
قوما من الناس لغتهم فى غاية البعد عن لغات بقية الناس لبعد بلادهم
لك (لا يكادون) أى لا يقربون (يفقهون) أى يفهمون (قولا) ممن
عدا كما يفهم غيرهم لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى
الباقون بفتحهما وقال ابن عباس لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم
كل بقولهم (قالوا يا ذا القرنين) وأجيب بأنه تكلم عنهم مترجم ممن
هم (ان يأجوج ومأجوج) وهما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم
ساكنة بعد الياء والميم والباقون بالالف فيهما وهما لغتان أصلهما
ا ونحوهما سموا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث بن نوح
هم جيل من الترك قال السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج
ين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان

(قوله وما فائدة بالساعة) ان قلت بينك وبين ما فائدة هذا السؤال الطوى مع انه أعلم بما فيه (قلت) فائدته تأنيسه وتخفيف ما حصل عنده من الدهشة الخطاب وهيبة الاجلال

يقال كانت تغرب وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وابن عامر بألف بعد الحاء وياء مفتوحة بعد الميم
عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت
فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حمئة وقرأ
الباقون بغير ألف بعد الحاء وبعد الميم همزة مفتوحة واتفق أن ابن عباس كان عند معاوية
فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ
أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار وسأله كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك
نجده في التوراة (ووجد عندها) أي عند تلك العين على الساحل المتصل بها (قوما) أي أمة قال
ابن جريج مدينتها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب أي
تغرب قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر كانوا كفارا فخيره الله تعالى بين
أن يعذبهم أو يدعوهم إلى الإيمان كما حكى ذلك بقوله تعالى (قلنا يا ذا القرنين) إما بواسطة ملك
إن كان نبيا أو بواسطة نبي زمانه إن لم يكن أو باجتهاد في شريعته (إما أن تعذب) بالقتل على
كفرهم (وإما أن تتخذ) أي بغاية جهدك (فيهم حسنا) بالإرشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين
القتل والأسر وسماه حسنا في مقابلة القتل ويؤيد الأول قوله (قال أما من ظلم) باستمراره على
الكفر فإنا نرفق به حتى نيأس منه ثم نقتله وإلى ذلك أشار بقوله (فسوف نعذبه) بوعد لا خلف
فيه بعد طول الدعاء والترفق وقال قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب المنكر
(ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي شديدا جدا في النار وتقدم في نكرا
سكون الكاف وضمها (وأما من آمن وعمل صالحا) تصديقا لما أخبر به من تصديقه (فله)
في الدارين (جزاء الحسنى) أي الجنة وقرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة بعد الزاي
منونة وتكسر في الوصل لالتقاء الساكنين قال الفراء نصبه على التفسير أي لجهة النسبة
وقيل منصوب على الحال أي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها والباقون بضم الهمزة من غير تنوين
فالإضافة للبيان قال المفسرون والمعنى على قراءة النصب فله الحسنى جزاء كما تقول له هذا
الثوب هبة وعلى قراءة الرفع وجهان الأول فله جزاء الفعلة الحسنى والفعلة الحسنى هي الإيمان
والعمل الصالح والثاني فله جزاء المثوبة الحسنى وإضافة الموصوف إلى الصفة مشهورة
كقوله ولدار الآخرة وأمال ألف الحسنى حمزة والكسائي محضة وأبو عمرو بين بين وورش
بالفتح والإمالة بين بين (وسنقول) بوعد لا خلف فيه بعد اختباره بالأعمال الصالحة (له) أي
لأجله (من أمرنا) أي ما نأمره به (يسرا) أي قولا غير شاق من الصلاة والزكاة والخراج
والجهاد وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كثيرة (ثم أتبع) لإرادة طلوع مشرق
الشمس (سببا) من جهة الجنوب يوصله إلى المشرق واستمر فيه لا يمل ولا تغلبه أمة مر عليها
(حتى إذا بلغ) في مسيره ذلك (مطلع الشمس) أي الموضع الذي تطلع عليه أولا من المعمور من
الأرض (وجدها تطلع على قوم) قال الجلال المحلي هم الزنج وقوله تعالى (لم نجعل لهم من
دونها) أي الشمس (سترا) فيه قولان الأول أنه لا شيء لهم من سقف ولا جبل يمنع من وقوع شعاع
الشمس عليهم لأن أرضهم لا تحمل بنيانا قال الرازي ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس
ويظهرون عند غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند

بخلاف تبنك (قوله فلا
يصدنك عنها من لا يؤمن
بها) ضمير عنها وبها للساعة
والمعنى ظاهر امن لا يؤمن
بها او حقيقة موسى عليه
السلام اذ المقصود نهي
موسى عن التكذيب

ـنا بالقوا وأقوامهم أذى شديدا وقتلا وقيل فسادهم أنهم
ـل معناه أنهم سيفسدون في الارض بعد خروجهم (فهل نجعل
وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وألف بعدها والباقون بسكون
ما تبرعت وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك (على أن
بينهم) من الارض التي يمكن وصولهم الينا منها سدا قال الله من
ـن هذين الجبلين فلا يصلون الينا وقرأ نافع وابن عامر وشعبة برفع
ـل) لهم ذو القرنين (ما مكني فيه ربي) أي أعطاني من التمكن
ـل الى جميع الممكن للمخلوق (خير) من خراجكم الذي تريدون
دم فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرأ ابن كثير بنون مفتوحة
مكسورة والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة (فأعينوني
لي أعينوني بأيديكم وقوتكم وبالآلات التي أتقوى بها في فعل
وما يكون من أسبابه لا المال هذا (أجعل بينكم) أي بين ما تختصون
ـا حصينا موثقا بعضه فوق بعض من التلاصق والتلاحم والردم
وب ردم اذا كان رقاعا فوق رقاع قالوا وما تلك القوة قال فعلة
وأو ما تلك الآلات قال (آتوني) أي اعطوني (زبر الحديد) أي
وغرف قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة فأتوه به
ـن بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
القطع (حتى اذا ساوى) أي بذلك البناء (بين الصدفين) أي بين
ـرفي الجبلين سميا بذلك لانهما يتصادفان أي يتقابلان من قولهم
ـه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر برفع الصاد والدال وشعبة
الباقون بنصب الصاد والدال ثم وضع المنافخ والنار حول ذلك
لعملة (انفخوا) فنفخوا (حتى اذا جعله) أي الحديد (نارا) أي
طوني (أفرغ عليه قطرا) أي أصب النحاس المذاب على الحديد
في خلل الحديد مكان الحطب لان النار أكلت الحطب حتى لزم
ـعق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا قال الزمخشري قيل ما بين
ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وعن قتادة
في رواية عن رجل من أهل المدينة قال يا رسول الله قد رأيت سد
ـه لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وهذه معجزة
ان لم يكن لان هذه الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار
ـها والنفخ عليها لا يكون الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير
وإلك النار عنهم حتى تمكنوا من العمل فيها (تنبيه) قطرا
آية أشهر أمثلة النحاة في باب التنازع وبها تمسك البصريون على
ن التوجيهين فحو معمول واحد أولى اذ لو كان قطرا مفعول

(فإن قلت) لم أفرد عليه
أولا على الخ (قلت) قال
ابن عباس رضي الله عنهما
أنه مثل ... الا أنما ما تصنع
بما فأجاب بذلك أو ذكر
ذلك خوفا من أنه يتوهم
بالقيام كما أصح بالقيام الذي ...

وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقال ابن عباس فى رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى عن حذيفة مرفوعا ان يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربعمائة ألف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون فى خراب الارض وقال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد وصنف منهم يفرش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ومنهم ان ثبت لهم مخالب فى أظفارهم وأضراسهم كأضراس السباع وعن على رضى الله تعالى عنه أنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط فى الطول وقال كعب هم نادرة فى ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى انى باعثك الى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهم طول الارض احداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الارض احداهما فى القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وأمم فى وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين بأى قوة أكاثرهم وبأى لسان أناطقهم قال الله تعالى انى سأطوقك وأبسط لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شىء وألبسك الهيبة فلا يروعنك شىء وأسخر لك النور والظلمة واجعلهما من جنودك يهديك النور من امامك وتحفظك الظلمة من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى فكاثرهم بالظلمة حتى جمعهم فى مكان واحد فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه وأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا فى دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله فى ناسك ثم مضى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس ففعل فيها وجند منها جنودا كذلك الاولى ثم أخذ ناحية الارض اليسرى فأتى تاويل ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التى وسط الارض فلما كان مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم أى وهم يأجوج ومأجوج (مفسدون فى الارض) يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذى روح خلقه الله فى الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا يشك أنهم سيملكون الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها وقال الكلبى فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم فلا يدعون فيها شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا

وقت التكلم معه أو اعترافه بكونها عصا وازدياده يقينه فلا يعترضه شك اذا قلبها الله ثعبانا انها كانت عصا ثم انقلبت ثعبانا بقدرة الله تعالى (قوله هى عصاى) هو جواب موسى

قوله أربعمائة ألف فى الجلال أربعة آلاف وقوله آدم احتلم فيه أنه ما احتلم نبى قط فان صح ما هنا فمعناه فاض منه ماء لنومه لا احتلاما وعانه اه مصحح

يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى
كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره اى واليوم الثانى والثالث كذلك وسكت
عن ذلك العلم به من الاول قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح
فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت
وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم
فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم
ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا
شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك
فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء فى دمشق بين مهرودتين
اى حلتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان
كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه حتى يدركه
بباب لد قرية بالشام قريبة من الرملة فيقتله ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه
فيمسح عن وجوههم ويخبرهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله تعالى الى عيسى
عليه السلام انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث
يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها
ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور
لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله تعالى فيرسل
الله تعالى عليهم النغف فى رقابهم وهو بالتحريك الدود يكون فى أنوف الابل والغنم كاسر واحدتها
نغفة فيصبحون فرسى اى قتلى الواحد فريس ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه الى الارض
فلا يجدون فى الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى
الله فيرسل الله تعالى عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى
عليهم مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة وهى بالتحريك جمعها
زلف مصانع الماء ويجمع على المزالف أيضا اى فتصير الارض كأنها مستنقعة من مصانع المياه
وقيل كالمرآة وقيل الزلفة الروضة وقيل بالقاف ايضا ثم يقال للارض انبتى ثمرتك وردى بركتك
فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل وهو بكسر الراء
والسين من الابل والغنم من عشرة الى خمسة وعشرين حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام
من الناس وهو مهموز الجماعة الكثيرة واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة
من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة
فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها
تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة (وكان وعد ربى) الذى وعد به فى خروج يأجوج ومأجوج
واحراقهم الارض وافسادهم اياها وقرب قيام الساعة (حقا) كائنا لا محالة اللهم أعاذنا الله تعالى
على هذه المحنة هذا آخر حكاية ذى القرنين وفى القصة ان ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفى
بشهرزور وذكر بعضهم ان عمره كان نيفا وثلاثين سنة سبحان من يدوم عزه وبقاؤه ثم انه تعالى

جعل هنا الجناح مضموما
اليه وفى القصص مضموما
فى قوله واضمم اليك
جناحك لان المراد به هنا
ما بين العضد الى الابط من
الجانب الايسر وبهم الثمن
الجانب الذى ذلك انى قوله

آتوني لاضعه مفعول افرغ حذرا من الالباس ثم قال تعالى (فما) اى فتسبب عن ذلك انه لما
أكمل عمل الردم واحكمه ما (اسطاعوا) اى ياجوج وماجوج وغيرهم (ان يظهروه) اى
يعلوا ظهره لعلوه وملاسته وقرأ حمزة بتشديد الطاء والباقون بالتخفيف (وما استطاعوا
نقبا) اى خرقا لصلابته وسمكه وزيادة التاء هنا تدل على ان العلو عليه اصعب من
نقبه لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس
فى علو الجبل فانهم لو احتالوا ببناء درج من جانبهم او وضع تراب حتى ظهروا عليه لم ينفعهم
ذلك لانهم لا حيلة لهم على النزول من الجانب الآخر ويؤيده انهم انما يخرجون فى آخر
الزمان بنقبه لا بظهورهم عليه ولا ينافى نفى الاستطاعة لنقبه ما رواه الامام احمد والترمذى
فى التفسير وابن ماجه فى الفتن عن ابى رافع عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان ياجوج وماجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى
عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كأشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله
تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم
ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى فيستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين
تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس الحديث وفى حديث الصحيحين عن زينب بنت جحش
عن النبى صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وحلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورويا عن ابى هريرة وفيه مثل هذا وعقد تسعين لان هذا فى آخر الزمان
ثم انه قيل فما قال حين فراغه قيل (قال هذا) اى السد بمعنى الاقدار عليه (رحمة) اى نعمة
(من ربى) اى المحسن الى باقدارى عليه ومنع العادية (فاذا جاء وعد ربى) بقرب قيام الساعة
أو بوقت خروجهم (جعله دكا) اى مدكوكا مبسوطا وروى انهم يخرجون على الناس فينشفون
المياه ويتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء
فيقولون قهرنا من فى الارض وعلونا من فى السماء قسوة وعلوا فيبعث الله تعالى عليهم نغفا
فى رقابهم وفى رواية فى آذانهم فيهلكون قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان دواب
الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا أخرجه الترمذى قوله قسوة وعلوا اى غلظة
وفظاظة وتكبرا والنغف دود يخرج فى أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر من لحومهم شكرا
يقال شكرت الشاة تشكر اذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى أنها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن
وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه
ورفع حتى ظنناه فى طائفة من النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا
يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غير
الدجال اخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل
امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم وانه شاب قطط اى شديد الجعودة وقيل حسن
الجعودة عينه طافية اى بارزة وقيل ممسوحة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه
منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج من خلة بين الشام والعراق فعاث اى أفسد
يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الارض قال أربعون يوما

أو لئلا يذهب الوهم الى التعجب
فى حالها مع ان المقام مقام
البسط للتلذذ بالكلام مع
الرب تعالى ولهذا ابسط فى
الجواب اذ كان يكفى
نفس يقول عصا (قوله
فيعان ... الجماعة)
واضح بذلك الى

(تنبيه) محل الموصول الجر نعتا أو بدلا أو بيانا أو النصب على الذم أو الرفع على الخبر
لمحذوف فإنه جواب السؤال ومعنى خسرانهم أنهم [illegible]
فسر وخاب سعيه [illegible] كالأعمال هؤلاء الذين أتعبوا أنفسهم مع ضلالهم فحبط [illegible]
اجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون [illegible] ابن عامر وعاصم [illegible]
والباقون بالكسر (أنهم يحسنون صنعا) أي عملا [illegible] لاعتقادهم أنهم على الحق
ثم بين تعالى السبب في بطلان سعيهم بقوله تعالى (أولئك) أي البعداء [illegible] (الذين كفروا
بآيات ربهم) أي بدلائل توحيده من القرآن وغيره (ولقائه) أي ورؤيته [illegible]
على رؤيته (فإن قيل) اللقاء عبارة عن الوصول [illegible]
في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء ثواب الله تعالى كما [illegible] (أجيب) بأن
لفظ اللقاء وإن كان عبارة عن الوصول [illegible]
نقول إن المراد لقاء ثواب الله [illegible] بالإضمار [illegible]
أولى من حمله على ما يحتاج إلى الإضمار قال تعالى (فحبطت) أي [illegible]
عملت (أعمالهم) فصارت هباء منثورا [illegible]
القيامة وزنا) [illegible]
بالفلان عندي وزن أي قدر [illegible] وروى أبو هريرة [illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible]
قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة [illegible]
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا [illegible]
[illegible]
[illegible] بأعمالهم يوم القيامة [illegible]
[illegible] فلا نقيم لهم يوم القيامة [illegible]
[illegible] قال تعالى (ذلك) أي الأمر [illegible]
[illegible] (جهنم) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] بقوله (إن الذين آمنوا [illegible] الصالحات) [illegible]
الصالحات (كانت لهم) أي في علم الله تعالى [illegible]
[illegible] أي أعلى [illegible] الأصناف [illegible]
الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [illegible]
أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر [illegible]
في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس [illegible] والفردوس [illegible]
وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقال كعب الفردوس هو

قال عاطفا على ما تقديره فقد بان أمره أى اقترب أى انه يصدق قوله فاذا جاء وعد ربى جعله
اذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا التى أوتيها يأجوج ومأجوج دكا فأخرجناهم على الناس بعد
خروج الدجال (وتركنا بعضهم) أى يأجوج ومأجوج (يومئذ) أى حين يخرجون (يموج) أى
يضطرب (في بعض) كموج البحر أو يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم
وجنهم حيارى ويؤيده (ونفخ في الصور) أى القرن النفخة الثانية لقوله تعالى (فجمعناهم)
أى الخلائق في مكان واحد يوم القيامة قال البقاعى ويجوز أن تكون هذه الفاء فاء الفصيحة
فيكون المراد النفخة الاولى أى ونفخ فمات الخلائق كلهم فبليت أجسامهم وتفتتت عظامهم
كما كان من تقدمهم ثم نفخ الثانية فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه وتفرقهم في أقطار
الارض بالسيول والرياح وغير ذلك (جمعا) فأحييناهم دفعة واحدة كلمح البصر وحشرناهم
الى الموقف للحساب ثم الثواب والعقاب (وعرضنا) أى أظهرنا (جهنم يومئذ) أى اذ جمعناهم
لذلك (للكافرين عرضا) فأظهرنا لهم كل ما فيها من الاهوال وهم لا يجدون لهم عنها مصرفا
ثم وصفهم بما أوجب لهم ذلك بقوله تعالى (الذين كانت) كونا كأنه جبلة لهم (أعينهم)
وهو بدل من الكافرين (في غطاء عن ذكرى) أى عن القرآن فهم لا يهتدون به وعما جعلنا
على الارض من زينة دليلا على الساعة بافنائه ثم احيائه واعادته بعد ابتدائه (وكانوا) بما
جبلناهم عليه (لا يستطيعون سمعا) أى لا يقدرون أن يسمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم
ما يتلو عليهم بغضا له فلا يؤمنون به ولما بين تعالى من الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر
وعن استماع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم أتبعه بقوله تعالى (أفحسب الذين كفروا أن
يتخذوا عبادى) من الاحياء كالملائكة وعزير والمسيح والاموات كالاصنام (من دونى)
وقوله تعالى (أولياء) أى أربابا مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف والمعنى
أظنوا أن الاتخاذ المذكور ينفعهم ولا يغضبنى ولا أعاقبهم عليه كلا وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح
الياء والباقون بسكونها وهم على مراتبهم في المد ولما كان معنى الاستفهام الانكارى ليس
الامر كذلك حسن جدا قوله تعالى مؤكدا لاجل انكارهم (انا أعتدنا جهنم) التى تقدم
أنا عرضناها لهم (للكافرين) أى هؤلاء وغيرهم (نزلا) أى هى معدة لهم كالنزل المعد للضيف
وهذا على سبيل التهكم ونظيره قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم * ثم ذكر تعالى ما فيه تنبيه على
جهل القوم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (هل ننبئكم) أى نخبركم وأدغم
الكسائى لام هل في النون والباقون بالاظهار (بالاخسرين أعمالا) أى الذين أتعبوا أنفسهم
في عمل يرجون به فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا واختلف فيهم فقال ابن عباس وسعد بن
أبى وقاص هم اليهود والنصارى وهو قول مجاهد قال سعد بن أبى وقاص أما اليهود فكذبوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب انتهى
قال البقاعى وكذا قال اليهود لان الفريقين أنكروا الحشر الجسمانى وخصوه بالروحانى وقيل
هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع * (تنبيه) * أعمالا تمييز للاخسرين جمع عمل
وان كان مصدرا لتنوع أعمالهم ثم وصفهم تعالى بضد ما يدعونه لانفسهم من نجاح السعى
واحسان الصنع فقال تعالى (الذين ضل) أى ضاع وبطل (سعيهم في الحيوة الدنيا) لكفرهم

قال (اذهب الى فرعون)
[illegible] هنا وقال في الشعراء
ان ائت القوم الظالمين
قوم فرعون وفي القصص
فذانك برهانان من ربك
الى فرعون وملئه اقتصر
على فرعون لانه

العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي أنه قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء هو للذي عمله وعن سعيد بن فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله تبارك وتعالى الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه منه فان الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة

(خاتمة) روي في فضائل سورة الكهف أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي وغيره من قرأها عند مضجعه كان له نور يتلألأ في مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وقال البيضاوي وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ولكن الذي رواه الامام أحمد من قرأ أول سورة الكهف كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وروى البغوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه الى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء فنسأل الله تعالى أن ينور قلوبنا وأبصارنا وأن يغفر لنا ولا يؤاخذنا بسوء أفعالنا وأن يفعل ذلك بوالدينا وأولادنا وأقاربنا وأصحابنا ومشايخنا وجميع اخواننا المسلمين وأحبابنا آمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

سورة مريم عليها السلام مكية

وهي ثمان وتسعون آية وسبعمائة واثنان وعشرون كلمة
وثلاثة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

(بسم الله) المنزه عن كل شائبة نقص القادر على كل ما يريد (الرحمن) الذي عم نواله سائر مخلوقاته (الرحيم) بسائر خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى (كهيعص) قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم السورة وقيل قسم أقسم الله به وعن الكلبي هو ثناء أثنى الله به على نفسه ومعناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقيل انه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه وقد تقدم الكلام على

التصريح في القصص بكونه بشرا مثلهم لا الالهية الكناية عليهم مما قالوا اوحي الي انما الهكم اله واحد فما فائدته (قلت) فائدة الاشارة الى انه ليس كل الامور ما

بستان الجنة الذى فيه الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال الزجاج هو بالرومية منقول الى اللفظ العربية وقال عكرمة هى الجنة بلسان الحبش وقال الضحاك هى الجنة الملتفة الاشجار (نزلا) اى منزلا كما كان السعير والاغلال لاولئك نزلا وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يبغون) اى لا يريدون أدنى ارادة (عنها حولا) اى تحويلا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى * ولما ذكر تعالى فى هذه السورة أنواع الدلائل والبينات وشرح فيها أقاصيص الاولين والآخرين نبه على حال كمال القرآن بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) يا أشرف الخلق للخلق (لو كان البحر) اى ماؤه على عظمته عندكم (مدادا) وهو اسم لما يمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج (لكلمات) اى لكتب كلمات (ربى) اى المحسن الى (لنفد) اى فنى مع الضعف فناء لا تدارك له (البحر) لانه جسم متناه (قبل أن تنفد) اى تفنى وتفرغ (كلمات ربى) لان معلوماته تعالى غير متناهية والمتناهى لا يفى البتة بغير المتناهى وقرأ حمزة والكسائى بالياء التحتية على التذكير والباقون بالفوقية على التأنيث * ولما لم يكن أحد غيره يقدر على امداد البحر قال تعالى (ولو جئنا بمثله) اى بمثل البحر الموجود (مددا) اى زيادة ومعونة ونظيره قوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال البغوى وابن عباس قالت اليهود تزعم يا محمد انا قد أوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال البيضاوى وسبب نزولها أن اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وتقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا انتهى وقال فى الكشاف يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شئ فانزل الله تعالى هذه الآية * ولما كانوا ربما قالوا ما لك لا تحدث من هذه الكلمات بكل ما نسألك عنه قال الله تعالى (قل) يا خير الخلق لهم (انما أنا بشر) فى استبداد القدرة على ايجاد المعدوم والاخبار بالغيب (مثلكم) اى لا أمر لى ولا قدرة الا ما يقدرنى ربى عليه ولكن (يوحى الى) اى من الله تعالى الذى خصنى بالرسالة كما أوحى الى الرسل قبلى (أنما الهكم) الذى يجب أن يعبد (اله واحد) لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها قادر على ما يريد لا منازع له لم يؤخر جواب ما سألتمونى عنه من عجز ولا من جهل هذا الذى يعنى كل أحد علمه وأما ما سألتم عنه فى أمر الروح والقصتين فتعالى فأمر لوجه لم يقو ما حضركم جهله (فمن) اى فتسبب عن وحدانيته المستلزمة القدرة أنه من (كان يرجوا لقاء ربه) اى يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤية ربه والرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

فلا كل ما ترجوا من الخير كائن * ولا كل ما ترجوا من الشر واقع

فجمع بين المعنيين (فليعمل عملا) ولو قليلا (صالحا) يرتضيه الله (ولا يشرك) اى والحال أن ذلك العمل مبنيا على الاساس وهو أن لا يشرك ولو بالرياء (بعبادة ربه أحدا) فاذا عمل ذلك استنار علوم الدنيا والآخرة روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل

لسانى) قال ذلك هنا وقال فى الشعر أنه ولا ينطلق لسانى وفى القصص وأخى هرون هو أفصح منى لسانا صرح بعقد اللسان فى طه لسبقها وكنى عنها فى الشعراء بما يقرب من

(فهب لي) أي فتسبب عن شيخوختي وضعفي وتعويدك لي بالإجابة وخوفي من سوء خلافة
أقاربي ويأسي عن الولد لعقم امرأتي وبلوغي من الكبر حد الإياس الذي معه أي أقول لك
يا قادر على كل شيء هب لي (من لدنك) أي من الأمور المنتظمة المستغربة التي تقدر لم
تجرها على مناهج العادات والأسباب المطردات (وليا) أي ابنا من صلبي (يرثني) في جميع
ما آتاه من العلم والنبوة والعمل (ويرث) زيادة على ذلك (من آل يعقوب) جراء ما خصهم
به من المنح وفضلهم به من النعم ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم فإن الأنبياء لا يورثون المال
وقيل يرثني الحبورة أي العلم بتحبير الكلام وتحسينه فإنه كان حبرا هو بالفتح والكسر و
أفصح ويقال للعالم بتحبير الكلام وتحسينه وهو يعقوب بن إسحق عليهما السلام وقيل
يرثني المال ويرث من آل يعقوب النبوة ولفظ الإرث يستعمل في المال وفي العلم والنبوة
أما في المال فكقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأما في العلم فكقوله تعالى
وأورثنا بني إسرائيل الكتاب الآية وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء وإن
الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر [illegible]
قال يوسف عليه السلام [illegible] على آل يعقوب ولأن امرأته قد صارت إلى
الأسباط كلهم وكانت [illegible] عليهم الأحداث وقرأ أبو عمرو والكسائي بجزم الفعلين
فيهما على أنهما جواب الأمر إذ التقدير هب لي إن تهب يرث والباقون بالرفع فيهما على أنهما صفة
(واجعله) بأن ذكر ادعاه الله تعالى [illegible] (رضيا) [illegible]
منه (وأجيب) بأن إجابة دعاء الأنبياء [illegible]
دعاء إبراهيم عليه السلام في [illegible]
أن لا يلد [illegible]
[illegible]
[illegible] (سميا) [illegible]
[illegible]
[illegible] والأولى [illegible]
[illegible]
القول [illegible]
(سميا) أي [illegible] قال قتادة [illegible]
من العز وفيه دلالة [illegible]
وقال سعيد بن جبير [illegible] كما قال تعالى هل تعلم له سميا أي مثلا [illegible]
[illegible] ولم [illegible] على الأنبياء
قبله كإبراهيم وموسى وإن [illegible] كذلك وقيل لم يكن له مثل في أمر النساء لأنه كان سيدا
وحصورا وعن ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا ثم كأنه قيل فماذا قال في جواب هذه البشارة
العظيمة فقيل (قال) عالما بصدقها طالبا لتأكيدها والتلذذ بترديدها [illegible] من امرأته

في القاموس فوردناه بلفظ الرد لانهما وان اتحدا معنى لكن نص الرجع مأخذنا اقتداء بقول الرجع خفية نص الكافية والرد بالقاموس اقتداء بقول الرد [illegible]

[illegible]

ذلك فى اول سورة البقرة وقرأ نافع بامالة الهاء والياء بين بين وأمالهما محضة شعبة والكسائى
وأمال الهاء محضة أبو عمرو وابن عامر وحمزة ولكل من الباقين فى الياء خلاف فى الامالة محضة والفتح
والباقون وهم ابن كثير وحفص بفتحهما بلا خلاف وجميع القراء فى العين المد والتوسط
وقوله تعالى (ذكر) مبتدأ محذوف الخبر تقديره مما يتلى عليكم ذكر أو خبر محذوف المبتدا
تقديره المتلو ذكر أو هذا ذكر (رحمت ربك) وقوله تعالى (عبده) مفعول رحمة لانها مصدر
بنى على التاء لا انها دالة على الوحدة ورسمت بتاء مجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو
والكسائى ووقف بالتاء على الرسم الباقون وقوله تعالى (زكريا) بيان له (تنبيه) اعلم
انه تعالى ذكر فى هذه السورة قصص جملة من الانبياء الاول هذه القصة وهى قصة زكريا
فيحتمل أن المراد من قوله تعالى رحمة ربك أنه عنى عبده زكريا ثم فى كونه رحمة وجهان
أحدهما انه يكون رحمة على أمته لانه هداهم الى الايمان والطاعة والثانى أن يكون رحمة
على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى لما شرع له صلى الله عليه وسلم طريقه فى
الاخلاص والابتهال فى جميع الامور الى الله تعالى صار ذلك لطفا داعيا له ولامته الى تلك
الطريقة فكان زكريا رحمة ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة التى
رحم بها عبده زكريا (اذ نادى ربه نداء) مشتملا على دعاء (خفيا) اى سرا جوف الليل لانه
أسرع الى الاجابة وان كان الجهر والاخفاء عند الله سيان [3] وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب
الولد فى زمن الشيخوخة وقيل أسره من مواليه الذين خافهم وقيل خفى صوته لضعفه
وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات (فان قيل) من شرط النداء الجهر
فكيف الجمع بين كونه نداء وخفيا (أجيب) بوجهين الاول انه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع
الصوت الا ان صوته كان ضعيفا لنهاية ضعفه بسبب الكبر فكان نداء نظرا الى قصده خفيا
نظرا الى الواقع الثانى أنه دعا فى الصلاة لان الله تعالى أجابه فى الصلاة لقوله تعالى فنادته
الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك فكون الاجابة فى الصلاة يدل على كون
الدعاء فيها فيكون النداء فيها اخفاء (تنبيه) فى ناصب اذ ثلاثة أوجه أحدها انه ذكر ولم
يذكر البيضاوى غيره والثانى رحمة ولم يذكر الجلال المحلى غيره وذكر الوجهين أبو البقاء
والثالث أنه بدل من زكريا بدل اشتمال لان الوقت مشتمل عليه ثم كأنه قيل ماذا قال في الندا
فقيل (قال رب) بحذف الاداة للدلالة على غاية القرب (انى وهن) أى ضعف جدا (العظم
منى) اى هذا الجنس الذى هو أقوى ما فى بدنى ولو جمع لاوهم انه وهن مجموع عظامه لا جميعها
وقوله (واشتعل الرأس) اى منى (شيبا) تمييز محول عن الفاعل اى انتشر الشيب فى شعره
كما ينتشر شعاع النار فى الحطب وانى اريد ان ادعوك (ولم اكن بدعائك) اى بدعائى اياك (رب
شقيا) اى خائبا فيما مضى فلا تخيبنى فيما بقى وان كان ما ادعو به فى غاية البعد فى العادة
لكنك فعلت مع ابى ابراهيم مثله فهو دعاء وشكر واستعطاف ثم عطف على قوله انى وهن
قوله (وانى خفت الموالى) اى الذين يلوننى فى النسب كبنى العم أن يسيئوا الخلافة (من ورائى)
أى فى بعض الزمان الذى بعدى (وكانت امرأتى عاقرا) لا تلد أصلا لما دل عليه فعل الكون

وهى الى النساء كالمروة ونحوها او التعظيم والتفخيم اولا كما فى قوله فغشاها ما غشى والبيان ثانيا بقوله تعالى ان اقدفيه الآية (قوله فرجعناك الى امك) قاله هنا بلفظ الرجع وقال

[3] قوله سيان هكذا بالاصول ولعله على لغة من يلزم المثنى الالف أو كان شانية والجملة خبرها اه مصححه

تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أي التوراة (بقوة) أي بجد ثم ان الله تعالى وصفه بصفات ۞ الاولى
قوله تعالى (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس النبوة (صبيا) قال الجلال المحلي تبعا للبغوي
ابن ثلاث سنين أي أحكم الله عقله في صباه واستنبأه وقيل المراد بالحكم الحكمة وفهم
التوراة فقرأ التوراة وهو صغير قال البغوي وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن
يبلغ فهو ممن أوتي الحكم صبيا ۞ الصفة الثانية قوله تعالى (وحنانا) أي وآتيناه رحمة وهيبة
ووقارا ورقة قلب ورزقا وبركة (من لدنا) أي من عندنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة ۞ الصفة
الثالثة قوله تعالى (وزكاة) أي وآتيناه طهارة في دينه قال ابن عباس يعني بالزكاة الطاعة
والاخلاص وقال قتادة هي العمل الصالح وقال الكلبي يعني صدقة تصدق الله بها على أبويه
۞ الصفة الرابعة قوله تعالى (وكان) أي بجبلته وطبعه (تقيا) أي مخلصا مطيعا وروي أنه لم
يعمل خطيئة ولم يهم بها ۞ الصفة الخامسة قوله تعالى (وبرا بوالديه) أي بارا لطيفا بهما محسنا
اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك
ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ۞ الصفة السادسة قوله تعالى (ولم يكن جبارا) أي
متكبرا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين قال تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك ولان رأس العبادة معرفة الانسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال
ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به التجبر والترفع ولذلك لما تجبر ابليس
وتمرد صار مبعدا عن رحمة الله تعالى وعن المؤمنين وقيل الجبار هو الذي لا يرى لاحد على
نفسه حقا وهو من التعظيم والذهاب بنفسه عن أنه لا يلزمه قضاء حق لاحد وقيل هو كل من
عاقب على غضب نفسه ۞ الصفة السابعة قوله تعالى (عصيا) أي عاقا أو عاصيا ربه وهو أبلغ
من العاصي كما أن العليم أبلغ من العالم ۞ الصفة الثامنة قوله تعالى (وسلام عليه) منا (يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا) ۞ فان قيل لم خص هذه الاوقات الثلاثة (أجيب) بوجوه الاول
قال محمد بن جرير الطبري وسلام عليه يوم ولد أي أمان من الله تعالى عليه يوم ولد من أن يناله
الشيطان كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت أي أمان من الله من عذاب القبر ويوم يبعث أي
ومن عذاب الله يوم القيامة الثاني قال ابن عيينة أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن
يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدهم قط ويوم يبعث فيرى
في محشر عظيم فاكرم الله تعالى يحيى عليه السلام فخصه بالسلام في هذه المواطن الثالث قال
عبد الله بن نفطويه وسلام عليه يوم ولد أي أول ما يرى في الدنيا ويوم يموت أي أول يوم يرى
فيه أمر الآخرة ويوم يبعث حيا أي أول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال
حيا تنبيها على كونه من الشهداء لانه قتل وقد قال تعالى أحياء عند ربهم يرزقون ۞ (فروع) ۞
الاول هذا السلام يمكن أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين ففيه دلالة
على تشريفه لان الملائكة لا يسلمون الا عن أمر الله تعالى ۞ الثاني ليحيى مزية في هذا السلام
على ما لسائر الانبياء كقوله تعالى سلام على نوح سلام على ابراهيم لانه تعالى قال يوم ولد وليس

وجعل الزخرف ليوافق
التعبير به قبل صنعه وبعده
مرادا (قوله قالوا آمنا
برب هرون وموسى) أخر
موسى عن هرون مع أن
هرون كان وزيرا له لموافقة
الفواصل (قوله لا يموت

أو من غيرها وهل إذا كان منها يكونان على حالتهما من الكبر أو غيرها غير طائش ولا عجل
(رب) أيها المحسن الى باجابة الدعاء دائما (أنى) أى من أين وكيف وعلى أى حال (يكون لى
غلام) يولد لى فى غاية القوة والنشاط والكمال فى الذكورة (وكانت) أى والحال أنه كانت
(امرأتى) إذ كانت شابة (عاقرا) غير قابلة للولد وأنا وهى شابان فلم يأتنا ولد لاختلال أحد
السببين فكيف بها وقد أيست قال الجلال المحلى بلغت ثمانيا وتسعين سنة (وقد بلغت) أنا
(من الكبر عتيا) من عتا يعسى أى نهاية السن قال الجلال المحلى مائة وعشرين سنة وبما
تقرر سقط ما قيل لم تعجب زكريا عليه السلام بقوله أنى يكون لى غلام مع أنه هو الذى
طلب الغلام وقرأ حفص وحمزة والكسائى عتيا وصليا وجثيا بكسر عين الأول وصاد الثانى
وجيم الثالث وضم الباقون وأما بكيا فكسر الباء الموحدة حمزة والكسائى وضمها الباقون
وأصل عتى عتو وكسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء
لتدغم فيها وإنما استعجب للولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بأن المؤثر فيه كمال القدرة
وأن الوسائط عند المحققين ملغاة ولذلك (قال) أى الله تعالى كما قال الأكثرون لأن زكريا
إنما كان يخاطب الله ويسأله بقوله رب انى وهن العظم منى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له
لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى وأيضا فانه لما قال
وقد بلغت من الكبر عتيا قال (كذلك) أى الأمر كذلك فهو خبر مبتدأ محذوف ثم علله بقوله
(قال ربك) أى الذى عودك بالإحسان فدل ذلك على أنه كلام الملك قال ابن عادل ويمكن أن
يجاب بأنه يحتمل أن يحصل النداءان نداء الله تعالى ونداء الملك ثم ذكر مقول القول فقال (هو)
أى خلق يحيى منكما على هذه الحالة (على) أى خاصة (هين) أى بأن أرد عليك قوة الجماع وافتق
رحم امرأتك للعلوق (وقد خلقتك) أى قدرتك وصورتك وأوجدتك (من قبل ولم) أى
والحال أنك لم (تك شيئا) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ
ولاظهار الله تعالى هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها وقرأ حمزة
والكسائى بعد القاف بنون بعدها ألف والباقون بعد القاف بتاء مضمومة ولما تاقت
نفسه الى سرعة المبشر به (قال رب اجعل لى) على ذلك (آية) أى علامة تدلنى على وقوعه
(قال آيتك) على وقوع ذلك (ألا تكلم الناس) أى لا تقدر على كلامهم بخلاف ذكر الله
تعالى (ثلاث ليال) أى بأيامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام حال كونك (سويا) من غير خرس ولا
مرض وجعلت الآية الدالة عليه سكوت ثلاثة أيام ولياليهن من غير ذكر الله دلالة على
اخلاصه وانقطاعه بكليته الى الله تعالى دون غيره (فخرج) عقب اعلام الله تعالى له بهذا
(على قومه من المحراب) أى من المسجد وهم ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون فأنكروه
وهو منطلق اللسان بذكر الله تعالى منحبس عن كلام الناس فقالوا مالك يا نبى الله (فأوحى اليهم)
أى أشار بشفتيه من غير نطق وقال مجاهد كتب لهم فى الأرض (أن سبحوا) أى أوجدوا
التنزيه والتقديس لله تعالى بالصلاة وغيرها (بكرة وعشيا) أى أوائل النهار وأواخره على
العادة فعلم بمنعه من كلامهم حمل امرأته بيحيى قال الجلال المحلى وبعد ولادته بسنتين قال الله

الملك (قوله وسلك لكم فيها سبلا) قاله هنا بلفظ سلك وقاله فى الزخرف بلفظ جعل لأن لفظ السلوك مع السبل أكثر استعمالا من جعل فخص به طه لتقدمها

زكريا وفيه محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها الباب فتمنت ان تجد [illegible]
خلوة في الجبل لتفلي رأسها [illegible] فانفجر [illegible] فخرجت [illegible]
الجبل فأتاها الملك كما قال تعالى (فارسلنا) لاصلاح على مصلحة [illegible] اي جبريل
عليه السلام [illegible] من الكرامة والولادة [illegible] عليه السلام [illegible] الاستئناس
عليها الامر فتمثل نفسها [illegible] (فتمثل لها) اي [illegible]
روحاني بصورة [illegible] (بشرا سويا) [illegible] الشكل [illegible]
للاستئناس [illegible] الحلق [illegible]
[illegible]
شاب امرد سوي الخلق [illegible]
على [illegible] كلامه قال البيضاوي [illegible]
[illegible] قال الرازي وكل هذه الوجوه [illegible]
[illegible] (قالت اني اعوذ) [illegible] (بالرحمن) [illegible]
[illegible] (منك) اي [illegible]
على [illegible]
المتقي قال (ان كنت تقيا) اي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (لاهب لك) [illegible]
تعالى [illegible]
[illegible]
الفعل الى من هو سبب [illegible] الله تعالى [illegible]
الثاني أن جبريل عليه السلام [illegible]
[illegible] الموهوب بقوله (غلاما) اي ولدا ذكرا في غاية القوة والرجولية [illegible] (زكيا)
اي طاهرا من كل ما يدنس البشر [illegible] (قالت) مريم (أنى) اي من أين

كذلك سائر الانبياء الثالث روى ان عيسى عليه السلام قال ليحيى عليه السلام أنت أفضل منى لان الله تعالى قال سلام عليه وأنا سلمت على نفسى قال الرازى وهذا ليس بقوى لان سلام عيسى على نفسه يجرى مجرى سلام الله تعالى على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا امر الله تعالى انتهى ولكن بين السلامين فرق *(تنبيه)* هذه القصة قد ذكرت فى آل عمران بقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الى أن قال هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم لان زكريا عليه السلام لما رأى خرق العادة فى حق مريم طمع فى حق نفسه فدعا وقد وقعت المخالفة فى ذكرهما وهما لك فى الالفاظ من وجوه الاول منها ان الله تعالى صرح فى آل عمران بان المنادى هو الملائكة بقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب وفى هذه السورة الاكثر على أن المنادى بقوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى هو الله تعالى (وأجيب) بان الله تعالى هو المبشر سواء كان بواسطة أم لا الثانى انه قال تعالى فى آل عمران أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر فذكر أولا كبر سنه ثم عقر امرأته وفى هذه السورة قال أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا وأجيب بان الواو لا تقتضى الترتيب الثالث قال فى آل عمران وقد بلغنى الكبر وقال هنا وقد بلغت من الكبر عتيا وأجيب بان ما بلغك فقد بلغته الرابع قال فى آل عمران آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وقال هنا ثلاث ليال سويا وأجيب بان الآيتين دلتا على ان المراد ثلاثة أيام بلياليهن كما مر *القصة الثانية قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام* ولما كانت قصة عيسى عليه السلام أغرب من قصة يحيى لان خلق الولد من شيخين فانيين أقرب الى مناهج العادات من خلق الولد لا من أب البتة وأحسن طرق التعليم والتفهيم الاخذ من الاقرب فالاقرب مترقيا الى الاصعب فالاصعب أشار الى ذلك بتغيير السياق فقال عاطفا على ما تقديره اذكر هذا لهم (واذكر) بلفظ الامر (فى الكتاب) أى القرآن (مريم) أى قصتها لانها ابنة خالة يحيى كما فى الصحيح من حديث أنس بن مالك بن صعصعة الانصارى فى حديث الاسراء الى خالتى فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة ثم أبدل من مريم بدل اشتمال قوله تعالى (اذ) أى اذكر ما اتفق لها حين (انتبذت) أى كلفت نفسها أن اعتزلت وانفردت (من أهلها) حالة (مكانا شرقيا) أى شرقى بيت المقدس وقال الرازى شرقى دارها وعن ابن عباس انى لأعلم خلق الله تعالى لاى شئ اتخذت النصارى الشرق قبلة لقوله تعالى مكانا شرقيا فاتخذت ميلاد عيسى قبلة واقتصر الجلال المحلى على الشرق من الدار وتردد البيضاوى بينهما فقال شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها انتهى ويحتمل أن يكون شرقى بيت المقدس هو شرقى دارها فلا مخالفة (فاتخذت) أى اخذت بقصد وتكلف ودل على قرب المكان بالاتيان بالمداومة قال (من دونهم) اى أدنى مكان من مكانهم (حجابا) اى أرسلت سترا تستتر به لغرض صحيح وليس بمذكور واختلف المفسرون فيه على وجوه أحدها أنها طلبت الخلوة كيلا تشتغل عن العبادة ثانيها انها عطشت فخرجت الى المفازة لتستقى ثالثها انها كانت فى منزل زوج اختها

(فيها ولا يحيى) أى لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل كلما مات فى شدة العذاب أعيد حيا لدوام العذاب وانما فرد بين الموت والحياة

(الى جذع النخلة) وهو ما برز منها من الارض ولم يبلغ الاغصان وكان تعريفه بالانه لم يكن في
تلك البلاد الباردة غيرها فكانت كالعلم لما فيها من العجب لان النخل من أقل الاشجار صبرا على
البرد ولعلها ألجئت اليها دون غيرها من الاشجار على كثرتها لمناسبة حال النخلة لها لانها لا تحمل
الا بالالقاح من ذكر النخل فحملها بمجرد هزها أنسب شئ باتيانها بولد من غير والد فكيف اذا كان
ذلك في غير وقته وكانت يابسة مع ما لها فيها من المنافع بالاستناد اليها والاعتماد عليها وكون
رطبها خرسة للنفساء وغاية في نفعها وغير ذلك والخرسة بخاء معجمة مضمومة طعام النفساء وهو
مراد الجوهري بقوله طعام الولادة قال ابن عباس الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل
ثلاث ساعات حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل
كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى
لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لستة أشهر ولما
كان ذلك أمرا صعبا عليها جدا كان كأنه قيل ياليت شعري ما كان حالها فقيل (قالت) لما
حصل عندها من خوف العار (ياليتني مت) وأشارت الى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم
الوجود فقالت من غير جار (قبل هذا) اى الامر العظيم وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي
مت بكسر الميم والباقون بالضم (وكنت نسيا) اى شيأ من شأنه أن يطرح وينسى (منسيا) اى
متروكا بالفعل لا يخطر على بال (فان قيل) لم قالت ذلك مع أنها كانت تعلم ان الله تعالى بعث جبريل
عليه السلام اليها ووعدها بان يجعلها وولدها آية للعالمين (أجيب) عن ذلك باجوبة الاول
أنها تمنت ذلك استحياء من الناس فانساها الاستحياء بشارة الملائكة بعيسى الثاني أن عادة
الصالحين اذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك كما روى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه نظر الى
طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجر وتاكل من الثمر وددت أني ثمرة ينقرها
الطائر وعن عمر رضى الله عنه أنه اخذ تبنة من الارض فقال ياليتني هذه التبنة ولم أك شيأ
وعن علي رضى الله عنه يوم الجمل ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت
بلالا لم تلده امه فثبت ان هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم الثالث
لعلها قالت ذلك لئلا يقع في المعصية من يتكلم فيها والا فهي راضية بما بشرت به وقرأ حفص
وحمزة نسيا بفتح النون والباقون بالكسر وقوله تعالى (فناداها من تحتها) قرأ نافع
وحفص وحمزة بكسر من وجر التاء من تحتها والباقون بفتح من ونصب تحتها وأمال الف ناداها
حمزة والكسائي امالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وفي المنادي اوجه
احدها انه عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير ثانيها انه جبريل عليه
السلام وانه كالقابلة للولد ثالثها ان المنادي على القراءة بالفتح هو عيسى وعلى القراءة بالكسر
هو جبريل وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم قال الرازي والاول اقرب وصدر به البيضاوي
واقتصر الجلال المحلي على الثاني والمعنى على الاول ان الله تعالى انطقه لها حين ولدته تطييبا
لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في اول الامر ما بشرها به جبريل من علو شان ذلك الولد
وعلى الثاني ان الله تعالى ارسله اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها في اول الامر
تذكيرا للبشارات المتقدمة والضمير في تحتها للسيدة مريم وعلى تقدير ان يكون المنادي هو

نفسه او اضلهم عن الدين
وما هداهم طريق الحق
(قوله يا بني اسرائيل قد
انجيناكم من عدوكم
وواعدناكم جانب الطور
الايمن) ان قلت المواعدة
انما كانت لموسى عليه

وكيف (يكون لي غلام) ولد (ولم يمسسني بشر) بنكاح (ولم أك بغيا) أي زانية فتعجبت مما
بشرها به جبريل عليه السلام لأنها قد عرفت بالعادة أن الولادة لا تكون الا من رجل والعادة
عند أهل المعرفة معتبرة في الامور وان جوّزوا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا
دلالة على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق
أبا البشر على هذا الحد ولأنها كانت منفردة للعبادة ومن يكون كذلك لا بد أن يعرف قدرة الله
تعالى على ذلك وبما تقرر سقط ما قيل قولها ولم يمسسني بشر يدخل تحته قولها ولم أك بغيا
ولهذا اقتصر عليه في سورة آل عمران بقولها قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر فلم
تذكر البغي ويجوز أن يقال إنما أفردت ذكر البغي مع دخوله في الكلام الاول لأنه أعظم ما في
بابه فهو نظير قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله تعالى وملائكته ورسله
وجبريل وميكال (قال) لها جبريل عليه السلام الامر (كذلك) من خلق غلام منك بغير أب
ولما كان لسان الحال قائلا كيف يكون هذا بغير سبب أجاب جبريل بقوله (قال ربك هو) أي
المذكور وهو ايجاد الولد على هذه الهيئة (علي) وحدي لا يقدر عليه غيري (هين) أي بأن
ينفخ بأمري جبريل فتحملي به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه (ولنجعله) بما
لنا من العظمة (آية للناس) أي علامة على كمال قدرتنا على البعث أدل من الآية في يحيى عليه
السلام وبه تمام القسمة الرباعية في خلق البشر فإنه أوجده من أنثى بلا ذكر وحواء من ذكر
بلا أنثى وآدم عليه السلام لا من ذكر ولا أنثى وبقية أولاده من ذكر وأنثى معا (ورحمة منا)
على العباد يهتدون به (وكان) ذلك كله (أمرا مقضيا) به في علمي وقوله تعالى (فحملته) فيه
حذف تقديره فنفخنا فيها فحملته يدل على ذلك قوله تعالى في سورة التحريم ومريم ابنة عمران
التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا واختلف في النافخ فقال بعضهم كان النفخ من الله
تعالى لهذه الآية ولأنه تعالى قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ومقتضى التشبيه حصول
المشابهة الا فيما أخرجه الدليل وفي حق آدم النافخ هو الله تعالى قال تعالى فنفخت فيه من
روحي فكذا ههنا وقال بعضهم النافخ جبريل لأن الظاهر من قول جبريل عليه السلام
لأهب لك على أحد القراءتين أنه النافخ واختلف في كيفية نفخه فقيل ان جبريل عليه
السلام رفع درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبسته وقيل مد الى جيب درعها أصابعه ونفخ
في الجيب وقيل نفخ في كم قميصها وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل نفخا من بعيد فوصل النفخ اليها
فحملت بعيسى في الحال وقيل نفخ في ذيلها فدخلت النفخة في صدرها فحملت فجاءت
أختها امرأة زكريا تزورها فلما التزمتها عرفت أنها حبلى وذكرت مريم حالها فقالت امرأة
زكريا اني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وقيل
حملت وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين قبل
أن تحمل قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه الاقوال المذكورة * ثم عقب
بالحمل قوله (فانتبذت به) أي فاعتزلت به وهو في بطنها حالة (مكانا قصيا) أي بعيدا
من أهلها أو من المكان الشرقي وأشار الى قرب الولادة من الحمل بفاء التعقيب
في قوله (فأجاءها) أي فألجأها وأبلغها (المخاض) وهو تحرك الولد في بطنها للولادة

(قوله وأضل
نهاية البلاغة
فرعون قومه وما هدى) ان
قلت صدره ونفى عن عجزه
فكيف ذكر العجز (قلت)
المعنى وما هداهم بعد
ما أضلهم فإن المضل قد
يهدي بعد إضلاله أو ما هدى

مريم أو ارهاصا لعيسى وفي ذلك تنبيه على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قادر أن
يحبلها من غير فحل وتطييب لنفسها فلذلك قال (فكلي) أي من الرطب (واشربي) من السري
أو كلي من الرطب واشربي من عصيره (وقري عينا) أي وطيبي نفسك وارفضي عنها ما أحزنها
وقدم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء الى الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء
لكثرة ما سال منها من الدم (فان قيل) ان مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش لأن
الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح أقوى من ألم البدن وروي انه أجيعت شاة
فقدم اليها علف وعندها ذئب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها خوفا من
الذئب ثم كسر رجلها وقدم اليها العلف فتناولت العلف مع ألم البدن فدل ذلك على أن ألم
الخوف أشد من ألم البدن واذا كان كذلك فلم قدم دفع ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف
(أجيب) بأن هذا الخوف كان قليلا لأن بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت
تحتاج الى التذكير مرة أخرى وقيل تري عينها بولدها عيسى وقيل بالنوم فان المهموم لا ينام
وقوله (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (ترين) حذفت منه لام الفعل وعينه
وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشر أحدا) بسؤال
(فقولي) يا مريم لذلك المنكر جوابا له مع التأكيد تنبيها على البراءة لأن البرئ يكون ساكنا
لاطمئنانه والمرتاب يكثر كلامه وحلفه (اني نذرت للرحمن) أي الذي عمت رحمته (صوما) أي
امساكا عن الكلام في شأنه وغيره مع الأناسي بدليل (فلن أكلم اليوم انسيا) فان كلامي
يقبل الرد والمجادلة ولكن يتكلم عني المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع وأما أنا فأنزه نفسي
عن مجادلة السفهاء قالوا ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها فلا أكلم الا الملائكة أو أناجي الخالق
بالتسبيح والتقديس وسائر أنواع الذكر وقيل صياما الأمر كانوا لا يتكلمون في صيامهم فعلى
هذا كان ذكر الصوم دالا على الصمت وهذا النوع من النذر كان جائزا في شرعهم وهل يجوز
مثل هذا النذر في شرعنا قال القفال لعله يجوز لأن الاحتراز عن كلام الآدميين وتجريد
الفكر بذكر الله تعالى قربة ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام
في الشمس وروي أنه دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة قد نذرت أن لا تتكلم فقال
أبو بكر ان الاسلام قد هدم هذا فتكلمي (تنبيه) اختلفوا في أنها هل قالت لهم اني نذرت
للرحمن صوما فقال قوم انها ما تكلمت معهم بذلك لأنها كانت مأمورة بأن تأتي بهذا النذر
فلو تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها سكتت وأشارت برأسها وقال آخرون
انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم فذكرت لهم انها نذرت للرحمن صوما فلن
أكلم اليوم انسيا بعد هذا الكلام (فأتت) أي فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها وزال
حزنها فأتت (به) أي عيسى (قومها) وان كان فيهم قوة المحاولة لكل ما يريدون اتيان البرئ
الموقن بأن الله معه حالة كونها (تحملة) غير مبالية بأحد ولا مستحيية واختلفوا في أنها
كيف أتت به فقيل ولدته ثم حملته في الحال الى قومها وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى
غار ومكثت فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم حملته الى قومها فكلمها في الطريق

الآية (ان قلت) هذا سؤال ... خوف بسبب العلة ... لما اعلمها الله تعالى بحضور ... جاءت به للتوبة ولا شك ان ... اختار من قومه ... رجاله ... سبحانه وتعالى

عيسى فهو ظاهر وان كان جبريل فقيل انه كان تحتها يقبل الولد كالقابلة وقيل تحتها اسفل من مكانها وقيل الضمير فيه للنخلة اي ناداها من تحتها (ان لا تحزني) يجوز في أن ان تكون مفسرة لتقدمها ما هو بمعنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وأن تكون الناصبة ولا حينئذ نافية وحذف النون للنصب ومحل أن اما نصب او جر لانها على حذف حرف الجر أي فناداها بكذا (قد جعل ربك) اي المحسن اليك (تحتك) في هذه الارض التي لا ماء جار فيها (سريا) اي جدولا من الماء تطيب به نفسك قال الرازي اتفق المفسرون الا الحسن وعبد الرحمن بن زيد أن السري هو النهر والجدول سمي بذلك لان الماء يسري فيه واما الحسن وابن زيد فانهما جعلا السري هو عيسى والسري هو النبيل الجليل يقال فلان من سروات قومه اي اشرافهم واحتج من قال هو النهر بان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السري فقال هو الجدول وبقوله تعالى فكلي واشربي فدل على أنه النهر حتى يضاف الماء الى الرطب فتأكل وتشرب واحتج من قال انه عيسى بان النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يجوز أن يجاب عنه بان المراد انه جعل النهر تحت أمرها يجري بامرها ويقف بامرها كقول فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي لان هذا حمل للفظ على مجازه ولو حملناه على عيسى لم يحتج الى هذا المجاز وأيضا فانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (وأجيب) بان المكان المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت

(تنبيه) اذا قيل بان السري هو النهر ففيه وجهان الاول قال ابن عباس ان جبريل ضرب برجله الارض وقيل عيسى فظهرت عين ماء عذب وجرى وقيل كان هناك ماء جار قال ابن عادل والاول أقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يدل على الحدوث في ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكره تعظيما لشأنها وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء وحييت النخلة اليابسة واورقت واثمرت وأرطبت قال أبو عبيدة والفراء السري هو الجدول قال ابن عطية فقال الاخفش هو النهر الصغير (وهزي اليك) اي أوقعي الهز وهو جذب بتحريك (بجذع النخلة) اي التي انت تحتها مع يبسها وكون الوقت ليس وقت حملها (تساقط عليك) من أعلاها (رطبا جنيا) طريا آية أخرى عظيمة روي أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وقرأ حمزة بفتح التاء والسين مخففة وفتح القاف وحفص بضم التاء وفتح السين مخففة وكسر القاف والباقون بفتح التاء وتشديد السين مفتوحة وفتح القاف

(تنبيه) الباء في بجذع زائدة والمعنى هزي اليك جذع النخلة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم قال الفراء تقول العرب هزه وهز به وخذ الخطام وخذ بالخطام وزوجتك فلانة وبفلانة وقال الاخفش يجوز أن يكون على معنى هزي اليك رطبا بجذع النخلة اي على جذعها ورطبا تمييز وجنيا صفته والرطب اسم جنس لرطبة بخلاف تمر فانه جمع لتمرة والفرق أنهم التزموا تذكيره فقالوا هو الرطب وتأنيث ذلك فقالوا هي التمر فذكروا الرطب باعتبار الجنس وأنثوا التمر باعتبار الجمعية قال ابن عادل وهو فرق لطيف والرطب ما قطع قبل يبسه وجفافه وخص الرطب بالذكر قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وهذه الافعال الخارقة للعادة كرامات

السلام لا لهم فكيف اضيفت اليهم (قلت) لما كانت لا تزال [illegible] بينهم اذ فيه صلاح دنياهم واخراهم اضيفت اليهم (قوله وما لهذه الآية) [illegible] عن قومك بامور [illegible]

على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور الواقع صلة ثانيها أنها تامة بمعنى حدث
ووجد والتقدير كيف نكلم من وجد صبيا وصبيا حال من الضمير في كان قال الرازي وهذا
هو الاقرب الثالث انها بمعنى صار أي كيف نكلم من صار في المهد صبيا وصبيا على هذا خبرها
(فان قيل) كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم (أجيب) بان جبريل أو عيسى عليه
السلام لما ناداها من تحتها أن لا تحزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت صار ذلك كالتنبيه
لها على ان المجيب هو عيسى عليه السلام أو لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا أو اليها على سبيل
الكرامة واختلفوا في المهد فقيل هو حجرها لما روى أنها أخذته عليه السلام في خرقة فأتت
به قومها فلما رأوها قالوا لها ما قالوا فأشارت اليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل بعد حتى
يعد لها المهد وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف نكلم صبيا سبيله أن ينام في المهد وقال وهب
أتى زكريا مريم عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فوصف
نفسه بثمان صفات * الصفة الاولى (قال اني عبد الله) أي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال
لا أتعبد لغيره وفي ذلك اشارة الى أن عبد الله لا يتخذ الها من دونه ولا يستعبده شيطان ولا هوى
* الصفة الثانية قوله تعالى (آتاني الكتاب) واختلف في ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة
لان الالف واللام في الكتاب تنصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو التوراة وقال أبو مسلم
هو الانجيل لان الالف واللام هنا للجنس وقال قوم التوراة والانجيل لان الالف واللام
تفيد الاستغراق (٣) واقتصر البيضاوي على الاول والبقاعي على الثالث وزاد عليه والزبور
وغيرها من الصحف * الصفة الثالثة قوله (وجعلني نبيا) واختلف في ذلك فقيل معناه
سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا وأتى بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كما في قوله تعالى
أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقيل هو اخبار عما كتب في اللوح المحفوظ ثم قيل للنبي صلى الله
عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الاكثرون أوتي الانجيل
وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال وقال الحسن ألهم التوراة وهو في بطن امه * الصفة
الرابعة قوله (وجعلني مباركا) بانواع البركات (أينما) أي في أي مكان (كنت) وذكروا في
تفسير المباركة وجوها أحدها ان البركة في اللغة هي الثبات وأصله من بروك البعير فمعناه
وجعلني ثابتا على دين الله تعالى مستقرا عليه ثانيها انما كان مباركا لانه كان يعلم الناس دينهم
ويدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا فمن قبل أنفسهم لا من قبله روى الحسن عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال اسلمت أم عيسى عيسى الى الكتاب فقالت للمعلم أدفعه اليك على ان لا تضربه
فقال له المعلم اكتب فقال أي شيء اكتب فقال اكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه
فقال هل تدري ما أبجد فعلاه بالدرة ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني ان كنت لا تدري
فاسألني فانا أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهائه والجيم من جماله والدال من أداء الحق
الى الله تعالى ثالثها البركة الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الاحوال منجحا مفلحا
لاني مادمت أبقى في الدنيا أكون مستعليا على الغير بالحجة فاذا جاء الوقت المعلوم أكرمني
الله تعالى بالرفع الى السماء رابعها مباركا على الناس من حيث يحصل بسبب دعائه احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وعن قتادة أن امرأة رأته وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه

منه الاقدام بسبيل لا بمقتضى
عادة ثم عقبه الصدر
عن السؤال عن
جوابه بقوله وعلمت
المجيب بقوله (قوله
المذكور بعد آدم من
ولقد عهدنا الى آدم من
قبل ذري) اى ذرية وليدا

(٣) قوله واقتصر
البيضاوي على الاول الخ
في البيضاوي تفسير
الكتاب بالانجيل وعلى
الثاني هنا فلعل مراده
بالاول جعل أل للجنس اه

فقال يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على التعيين ثم كأنه قيل فما قال لها قومها إذ أتت به قيل قالوا لها منكرين (قالوا يا مريم) ما هذا الولد لأن حالها في إتيانها به أمر عجيب (لقد جئت شيئا فريا) أي عظيما منكرا فيكون ذلك منهم على وجه الذم فهو من أفرى الجلد يقال أفريت الأديم إذا قطعته على جهة الإفساد لا من فريته يقال فريته قطعته على جهة الإصلاح ويدل على أن مرادهم الأول قولهم بعده (يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء) أي زانيا (وما كانت أمك بغيا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد لأن هذا القول ظاهره التوبيخ وفي هرون هذا أربعة أقوال أحدها أنه رجل صالح من بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح والمراد أنك كنت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا وروي أن هرون هذا لما مات تبع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل تبركا باسمه سوى سائر الناس شبهوها به على معنى إنا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الأخوة في النسب كقوله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وروى المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرؤن يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم قال ابن كثير وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسبا فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على من عنده أدنى علم وكأنه غره في أول التوراة أن مريم أخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجى الله تعالى موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه وجنوده فاعتقد أن هذه هي تلك وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح المتقدم الثاني أنه هرون أخو موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم وللهمداني يا أخا همدان أي يا واحدا منهم الثالث أنه كان فاسقا في بني إسرائيل نسبت إليه أي شبهوها به الرابع أنه كان لها أخ من أبيها يسمى هرون من صلحاء بني إسرائيل فعيرت به قال الرازي وهذا هو الأقرب لوجهين الأول أن الأصل في الكلام الحقيقة فيحمل الكلام على أخيها المسمى بهرون الثاني أنها أضيفت إليه ووصف أبواها بالصلاح فيصير التوبيخ أشد لأن من كان حال أبويه وأخيه بهذه الحالة يكون صدور الذنب منه أفحش (فأشارت إليه) أي لما بالغوا في توبيخها سكتت وأشارت إلى عيسى عليه السلام أنه هو الذي يجيبكم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها وعن السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد من زناها ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) لم يبلغ سن هذا الكلام الذي لا يقوله إلا الأكابر العقلاء بل الأنبياء والتعبير بكان يدل على أنه عند الإشارة إليه لم يحوجهم إلى أن يكلموه بل حين سمع المحاورة ورأى الإشارة بدأهم بقوله خارقا لعادة الرضعاء بل الصبيان روي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابة يمينه وقيل كلمهم ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان *(تنبيه)* في كان هذه أقوال أحدها أنها زائدة وهو قول أبي عبيدة أي كيف نكلم من في المهد صبيا على هذا نصب

واضح من الآية وهو يترتب على ذلك فكيف طابق الجواب السؤال (قلت) في الآية تضمن شيئين إنكار السؤال عن سببها العلة والسؤال عن اعتقادها فيها أموسى بالاعتقاد أنكر تعالى عليه بأنه لم يوجد

فيه بقوله تعالى (الذي فيه يمترون) أي يشكون شكا يتكلفون ويجادلون به فتقول اليهود ساحر
وتقول النصارى ابن الله مع أن أمره [illegible] في غاية الوضوح ليس موضعا للشك أصلا ثم دل
على كونه حقا في كونه ابنا لأمه مريم لا غيرها بقوله ردا على من ضل (ما كان) أي ما صح
ولا تأتى ولا يتصور في العقول ولا يصح ولا يأتي لأنه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة (لله)
الغني عن كل شيء (أن يتخذ من ولد) وأكد بمن لأن المقام يقتضي النفي العام ولما كان
اتخاذ الولد من النقائص أشار إلى ذلك بالتنزيه العام بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزه عن كل
نقص أي من احتياج إلى ولد أو غيره ثم علل ذلك بقوله عز وجل (إذا قضى أمرا) أي أي أمر
كان أي أراد أن يحدثه (فإنما يقول له كن) أي يريده ويعلق قدرته به ثم قوله تعالى (فيكون)
قرأه ابن عامر بنصب النون بتقدير أن أو على الجواب والباقون بالرفع بتقدير هو وقوله (وإن
الله ربي وربكم) إخبار عن عيسى عليه السلام أنه قال ذلك وقرأ ابن عامر والكوفيون
بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها بتقدير [illegible]
والتقدير ولأن الله ربي وربكم (فاعبدوه) وحده لتفرده بالإلهية [illegible] وهو كقوله تعالى وأن
المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا والمعنى لوحدانيته أطيعوه وقيل إنه معطوف على [illegible]
والتقدير وأوصاني بالصلاة وبأن الله [illegible] والمذهب الأول (هذا) أي الذي أمرتكم به [illegible]
أي طريق (مستقيم) أي يقود إلى الجنة وقرأ قنبل بالسين وخلف بإشمام الصاد زايا والباقون
بالصاد الخالصة واختلف في قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) فقيل هم النصارى
واختلافهم في عيسى أهو ابن الله أو إله أو ثالث ثلاثة [illegible]
فرق في أمر عيسى النسطورية والملكانية واليعقوبية [illegible]
بعضهم ولدا وبعضهم كذابا وقيل هم الكفار الداخل فيهم اليهود والنصارى [illegible]
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عادل [illegible]
قوله تعالى (فويل للذين كفروا) أي شدة هلاك لهم (من مشهد يوم عظيم) [illegible]
القيامة وأهواله وقوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) أي [illegible]
وما أبصرهم (يوم يأتوننا) في الآخرة لأن حالهم في شدة [illegible]
ويعلمون حيث لا ينفعهم العلم [illegible]
يحاولون [illegible] في كل ما يرد عليهم [illegible] وقوله تعالى (لكن
الظالمون) من إقامة الظاهر مقام المضمر إشعارا بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع
والنظر والأصل ولكنهم (اليوم) أي في الدنيا (في ضلال مبين) أي بين [illegible] عن
سماع الحق وعموا عن إبصاره أي أعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وأبصارهم في الآخرة بعد أن
كانوا في الدنيا صما عميا وقيل معناه التهديد بما سيسمعونه ويبصرون ما يسوءهم ويصدع
قلوبهم ثم إن الله تعالى أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن ينذرهم بقوله (وأنذرهم) أي
خوفهم (يوم الحسرة) هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان والمحسن على عدم
الازدياد من الإحسان لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت إلا ندم قالوا
وما ندمه يا رسول الله قال إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون

والارض فقالت طوبى لبطن حملك وثدى أرضعت به فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا *(تنبيه)* قوله أينما كنت يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل انه عاد الى حال الصغر وزوال التكليف * الصفة الخامسة قوله (وأوصانى بالصلوة) لطهرة النفس (والزكوة) طهرة المال فعلا في نفسى وأمرا لغيرى (مادمت حيا) ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه اله لانه لاشبهة في أن من يصلى الى الله ليس باله (فان قيل) كيف يؤمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغير لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الحديث (أجيب) بوجهين الاول أن ذلك لايدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل بعد البلوغ فيكون المعنى أوصانى بادائهما في وقت وجوبهما على وهو وقت البلوغ الثانى أن عيسى لما انفصل صيره الله بالغا عاقلا تام الخلقة ويدل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكما أنه تعالى خلق آدم تاما كاملا دفعة فكذا القول في عيسى عليه السلام قال الرازى وهذا أقرب الى ظاهر اللفظ لقوله مادمت حيا فهذا يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته (فان قيل) لو كان الامر كذلك لكان القوم حين رأوه رأوا شخصا كامل الاعضاء تام الخلقة وصدور الكلام عن مثل هذا الشخص لايكون عجيبا فكان ينبغى أن لايتعجبوا (أجيب) بانه تعالى جعله مع صغر جثته قوى التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية دالة على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل * الصفة السادسة قوله (وبرا) أى وجعلنى بارا ولما كان السياق لبراءة والدته قال (بوالدتى) أى التى أكرمها الله تعالى باحصان الفرج والحمل بى من غير ذكر وفى ذلك اشارة الى تنزيه أمه عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها * الصفة السابعة قوله (ولم يجعلنى جبارا) متعاظما (شقيا) أى عاصيا بان أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق انما أفعل ذلك بحق واستحقاق وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال قلبى لين وانى ضعيف في نفسى وعن بعض العلماء لاتجد العاق الا جبارا شقيا ولا تجد سيء الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت أيمانكم ان الله لايحب من كان مختالا فخورا * الصفة الثامنة قوله (والسلام) من الله (على) فلا يقدر أحد على ضررى (يوم ولدت) فلا يضرنى شيطان (ويوم أموت) فلا يضرنى أحد ممن يوالد ويموت فلا بأس بآله (ويوم أبعث حيا) يوم القيامة كما تقدم في يحيى عليه السلام وفى ذلك اشارة الى أنه في البشرية مثله سواء لم يفارقه أصلا الا فى كونه من غير ذكر واذا كان جنس السلام عليه كان أتباعه كذلك ولم يبق لاعدائه الا اللعن ونظيره قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى (ذلك) أى الذى تقدم نعته بقوله انى عبد الله الى آخره هو (عيسى ابن مريم) لاما يصفه النصارى بقولهم انه الله أو ابنه أو ثالث ثلاثة فهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعل الموصوف باضداد ما يصفونه وفى ذلك تنصيص على انه ابن هذه المرأة وقوله تعالى (قول الحق) قرأ عاصم وابن عامر بنصب اللام على أنه مصدر مؤكد والباقون بالرفع على أنه خبر محذوف أى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة ثم عجب تعالى من ضلالهم

قال بعد وعصى آدم ربه فغوى (قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) ان قلت الخطاب لآدم وحواء فكيف قال فتشقى دون فتشقيا (قلت) قال ذلك لان الرجل قيم امرأته

(صديقا) أي بليغ الصدق في نفسه في أقواله وأفعاله أي كان من أول وجوده إلى انتهائه
موصوفا بالصدق والصيانة وسياق الكلام على قوله بل فعله كبيرهم هذا وإني سقيم في محله
ولما كانت مرتبة النبوة أرفع من مرتبة الصديقية قال تعالى (نبيا) أي استنبأه الله تعالى
إذ لا رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده وقوله تعالى (إذ قال) بدل من
إبراهيم وما بينهما اعتراض أو متعلق بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين
والأنبياء حين قال (لأبيه) آزر منبها له من غيه الضلال بعبادة الأصنام مستعطفا له في كل جملة
بقوله (يا أبت) والتاء عوض عن ياء الإضافة ولا يجمع بينهما وقرأ ابن عامر بفتح التاء في الوصل
والباقون بكسرها وأما الوقف فوقف ابن كثير وابن عامر بالهاء والباقون بالتاء من الله تعالى
حكى عنه أيضا أنه تكلم مع أبيه بأربعة أنواع من الكلام النوع الأول قوله (لم تعبد) مريدا
لاستفهام الجاهل واللطف والرفق والأدب الجميل في نصحه كاشفا الأمر غاية الكشف
بقوله (ما لا يسمع ولا يبصر) أي ليس عنده قابلية لشيء من [illegible] ثناءك عليه [illegible]
خضوعه أو يحصل إذا ناديته حالا ومآلا (ولا يغني عنك شيئا) في جلب نفع ودفع ضرر [illegible]
الأوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها قادحة في الألوهية [illegible] وجوه أحدها
أن العبادة غاية التعظيم فلا تستحق إلا لمن له غاية الإنعام وهو الله [illegible] أصول النعم
وفروعها على ما قرر في تفسير قوله وإن الله ربي وربكم وكأنه لا يجوز الاشتغال بشكر ما لم
يكن منعما وجب أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها وثانيها أنها إذا لم تسمع ولا تبصر ولا تميز
من يطيعها عمن يعصيها فأي فائدة في عبادتها [illegible]
المعلومات وثالثها أن الدعاء مخ العبادة فالوثن الذي [illegible]
فإذا لم يبصر تقرب من يتقرب إليه [illegible]
[illegible] أن النافع أفضل ممن كان عاريا من كل ذلك والإنسان [illegible]
فضلا وأكمل من الوثن فكيف يليق بالأفضل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عليه السلام قال ليست الآلهة [illegible]
[illegible] النوع الثاني قوله (يا أبت إني قد جاءني) من المعرفة بالله (من العلم ما لم يأتك)
(فاتبعني) أي فتسبب عن ذلك أني أقول لك [illegible]
من الحق اتبعني (أهدك صراطا) أي طريقا (سويا) أي مستقيما كأنه لو كنت
معك في طريق مخوف وأخبرتك أن [illegible]
كان [illegible] النوع الثالث قوله (يا أبت
لا تعبد الشيطان) فإن الأصنام ليس لها دعوة أصلا والله تعالى قد حرم عبادة غيره مطلقا على
لسان كل ولي له فتعين أن يكون الآمر بذلك الشيطان فكأنه هو المعبود بعبادتها في الحقيقة
وعلل هذا النهي بقوله (إن الشيطان) البعيد من كل خير المحترق باللعنة (كان للرحمن عصيا)
عاقا من حين خلق وبالفعل من حين أمر بالسجود لأبيك آدم عليه السلام فأبى فهو عدو لله

نزع وفي قوله تعالى (إذ قضي الأمر) وجوه أحدها إذ قضي الأمر ببيان الدلائل وشرح أمر
الثواب والعقاب ثانيها إذ قضي الأمر يوم الحسرة بفناء الدنيا وزوال التكليف ثالثها قضي
الأمر فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت كما روي أن
النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى إذ قضي الأمر فقال حين يجاء بالموت على صورة
كبش أملح فيذبح والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرح وأهل النار غما إلى
غم وقوله تعالى (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) جملتان حاليتان وفيهما قولان أحدهما أنهما
حالان من الضمير المستتر في قوله في ضلال مبين أي استقروا في ضلال مبين على هاتين الحالتين
السيئتين والثاني أنهما حالان من مفعول أنذرهم أي أنذرهم على هذه الحالة وما بعدها وعلى
الأول يكون قوله وأنذرهم اعتراضا والمعنى وهم في غفلة عما يفعل بهم في الآخرة وهم
لا يصدقون بذلك اليوم ولما كان الإرث هو حوز الشيء بعد موت أهله وكان سبحانه وتعالى
قد قضى بموت الخلائق أجمعين وأنه تعالى يبقى وحده عبر عن ذلك بالإرث مقررا به مضمون
الكلام السابق فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم إن الدهر لا يزال هكذا حياة لناس وموت
لآخرين (إنا نحن) بعظمتنا التي اقتضت ذلك (نرث الأرض) ولا ندع بها شيئا من عاقل ولا غيره
ولما كان العاقل أقوى من غيره صرح به بعد دخوله فقال (ومن عليها) أي من العقلاء بأن
نسلبهم جميع ما في أيديهم (وإلينا) لا إلى غيرنا (يرجعون) فنجازيهم بأعمالهم * القصة الثالثة
قصة إبراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذكر في الكتاب إبراهيم) أي خبره وقرأ
هشام إبراهام بألف بعد الهاء والباقون بالياء وإنما أمر الله تعالى نبيه بذكر ذلك لأنه صلى
الله عليه وسلم ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلده مشتغلين بالتعلم ومطالعة الكتب فإذا أخبر
عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك إخبارا عن الغيب ومعجزا
باهرا دالا على نبوته وإنما ذكر الاعتبار بقصة إبراهيم عليه السلام لوجوه الأول أن منكري
التوحيد الذين أثبتوا [illegible] ومعبودا سوى الله تعالى فريقان منهم من أثبت معبودا
غير الله تعالى حيا عاقلا وهم النصارى ومنهم من أثبت معبودا غير الله تعالى جمادا ليس
بحي ولا عاقل وهم عبدة الأوثان والفريقان وإن اشتركا في الضلال إلا أن ضلال عبدة
الأوثان أعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم
عبدة الأوثان الثاني أن إبراهيم عليه السلام كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو
شأنه وطهارة دينه على ما قال تعالى ملة أبيكم إبراهيم وقال تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم
إلا من سفه نفسه فكأنه تعالى قال للعرب إن كنتم مقلدين لآبائكم على قولكم إنا وجدنا
آباءنا على أمة فأشرف آبائكم وأعلاهم قدرا هو إبراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة
الأصنام والأوثان وإن كنتم مستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها إبراهيم عليه
السلام لتعرفوا فساد عبادة الأوثان وبالجملة فاتبعوا إبراهيم إما تقليدا وإما استدلالا
الثالث أن كثيرا من الكفار في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون نترك دين آبائنا
وأجدادنا فذكر الله تعالى قصة إبراهيم عليه السلام وهو أنه ترك دين أبيه وأبطل قوله بالدليل
ورجح متابعة الدليل على متابعة أبيه ثم قال تعالى في صفة إبراهيم (إنه كان) جبلة وطبعا

المرأة قوله وعصى آدم ربه
فغوى) * إن قلت هل
يجوز أن يقال كان آدم
عاصيا غاويا أخذا من
ذلك (قلت) لا إذ لا يلزم من
جواز إطلاق الفعل جواز
إطلاق اسم الفاعل الآتي

المذكور في الشعراء واغفر لابي وهذا قبل ان يتبين له انه عدو لله كما ذكر في براءة وثانيها انه قال له انقياد الامر ابيه (واعتزلكم) اي اهاجر بديني عن بلادكم واشار الى ان من شرط المعبود ان يكون اهلا للمناداة في الشدائد بقوله (وما تدعون) اي تعبدون (من دون الله) الذي له الكمال كله فمن اقبل عليه وحده اصاب ومن اقبل على غيره ولو طرفة عين فقد خاب وخسر (وادعوا) اي اعبد (ربي) وحده لاستحقاقه ذلك مني ولم يقيد الاعتزال بزمن بل اشار الى انهم ما داموا على هذا الدين فهو معتزل لهم ثم دعا نفسه بما نبههم به على خسة اصنامهم فقال غير جازم باجابة دعوته وقبول عبادته اجلالا لربه وهضما لنفسه (عسى الا اكون بدعاء ربي) المتفرد بالاحسان الي (شقيا) اي كما شقيتم بعبادة الاصنام فانها لا تجيب دعاءكم ولا تنفعكم ولا تضركم ولما رأى من ابيه وعشيرته ما رأى عزم على غربة مشقة النوى مختار الغربة في البلاد على غربة الاضداد فكان كما قال الامام ابو سليمان الخطابي

وما غربة الانسان في شقة النوى ** ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست واهلها ** وان كان فيها اسرتي وبها اهلي

وحقق ما عزم عليه فبر سبحانه وتعالى تحقيق رجائه واجابة دعائه فقال (فلما اعتزلهم) اي بالهجرة الى الارض المقدسة (وما يعبدون من دون الله) لم يضره ذلك دينا ولا دنيا بل نفعه وعوضه الله اولادا كما قال تعالى (وهبنا له) كما هو الشان في كل من ترك شيئا لله (اسحق) ولدا له صلبيا من زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها سن اليأس واخذه هو في السن الى حد لا يولد لمثله (ويعقوب) ولد اسحق وخصهما بالذكر [illegible] بخلافته فيه وأما اسمعيل عليه السلام فكان الله سبحانه وتعالى تولى امره بعد [illegible] رضيعا الى المسجد الحرام واحيا به تلك المشاعر العظام فلذلك [illegible] باسمه بقوله بعد واذكر في الكتاب اسمعيل [illegible] هب الاولاد جزاء على هجرته بقوله تعالى (وكلا) اي منهما (جعلنا نبيا) [illegible] بالاخبار العلية كما جعلنا ابراهيم عليه السلام نبيا (ووهبنا لهم) كلهم (من رحمتنا) [illegible] عظيما من النسل الطاهر والذرية الطيبة واجابة الدعاء واللطف في القضاء والبركة في المال والاولاد وغير ذلك من خيري الدنيا والآخرة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) وهو الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العطية واستجاب الله تعالى دعوته في قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم فقال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في غيره اولها انه اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله له في اولاده فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ثانيها انه تبرأ من ابيه كما قال عز وجل فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه لا جرم سماه الله أبا المسلمين فقال ملة ابيكم ابراهيم ثالثها انه تل ولده للجبين ليذبحه في الله على ما قال تعالى وتله للجبين لا جرم فداه الله تعالى على ما قال وفديناه بذبح عظيم رابعها اسلم نفسه فقال اسلمت لرب العالمين فجعل الله تعالى النار بردا وسلاما عليه فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم خامسها اشفق على هذه الامة فقال ربنا

عائشة في جميع اقواله
ولولا كلمة سبقت من ربك
لكان لزاما واجل مسمى
الكلمة [illegible]
[illegible]

تعالى ولهو المطيع للعاصي اشبه عاص لذلك الشيء لان صديق العدو عدو (فان قيل) هذا القول
يتوقف على اثبات امور احدها اثبات الصانع وثانيها اثبات الشيطان وثالثها ان
الشيطان عاص ورابعها انه لما كان عاصيا لم تجز طاعته وخامسها ان الاعتقاد الذي كان
عليه آزر مستفاد من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة التي تورد على الشخص أن تكون
مركبة من مقدمات معلومة يسلمها الخصم ولعل ابراهيم كان منازعا في هذه المقدمات وكيف
والمحكي عنه انه ما كان يثبت الها سوى نمروذ فكيف يسلم وجود الرحمن واذا لم يسلم وجوده
فكيف يسلم أن الشيطان عاص للرحمن وبتقدير تسليم ذلك فكيف يسلم الخصم بمجرد هذا
الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل لعله يقلب ذلك على خصمه (واجيب) بان الحجة
المعول عليها في ابطال مذهب آزر هو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا
وهذا الكلام يجري مجرى التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة فسقط
السؤال النوع الرابع قوله (يا ابت اني اخاف) لفرط شفقتي عليك (ان يمسك عذاب)
اي كائن (من الرحمن) الذي هو مولى كل من تولاه بسبب انك اباه (فتكون) اي فتصير عن
ذلك ان تكون (للشيطان وليا) اي ناصرا وقرينا في النار ولما دعا ابراهيم عليه السلام اباه
الى التوحيد وذكر الدلائل على فساد عبادة الاوثان واردف تلك الدلائل بالوعظ البليغ
واورد كل ذلك مقرونا بالرفق واللطف قابله ابوه بجواب يضاد ذلك فقابل حجته بالتقليد فانه
لم يذكر في مقابلة حجته الا أن (قال اراغب انت عن آلهتي) باضافتها الى نفسه فقط اشارة الى
مبالغته في تعظيمها او لرغبته عن الشيء تركه عمدا فاصر على ادعاء الهيتها جهلا وتقليدا وقابل
قوله بالرفق يا ابت بالعنف حيث لم يقل يا بني بل قال (يا ابراهيم) وقابل وعظه بالسفاهة حيث
هدده بالضرب والشتم بقوله مقسما (لئن لم تنته) عما انت عليه (لارجمنك) اي لاقتلنك
أو لارجمنك بالحجارة حتى تموت او تبعد عني او بالكلام القبيح فاحذرني (واهجرني) اي ابعد
عني بالمفارقة من الدار والبلد وهي كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اي تباعد عني
(مليا) اي دهرا طويلا لكي لا اراك وقيل اهجرني بالقول ولا تخاطبني دهرا طويلا لا يسأل
ما صدر منك من هذا الكلام وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأسية فيما كان يلقى
من الاذى ويقاسي من قومه من العناد ومن عمه ابي لهب من الشدائد باعظم آبائه وأقاربه
به شبها فلما سمع ابراهيم عليه السلام كلام ابيه اجاب بامرين احدهما أنه (قال) له مقابلا
لما كان منه من طيش الجهل بما يحق لمثله من رزانة العقل والحلم (سلام عليك) توديع
ومتاركة اي سلمت مني لا اصيبك بمكروه ما لم اومر فيك بشيء فانه لم يؤمر بقتاله على كفره كقوله
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا
يدل على جواز متاركة النصوح اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابلة الاساءة بالاحسان
ويجوز ان يكون دعاءه بالسلامة استمالة الا ترى انه وعده بالاستغفار فيكون سلام بر ولطف
وهو جواب الحليم للسفيه كقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم استأنف قوله
(سأستغفر لك ربي) اي اسأل الله بان اطلب لك منه غفران ذنوبك بان يوفقك للاسلام
(انه كان بي حفيا) اي مبالغا في اكرامي مرة بعد مرة وكرة في اثر كرة وقد وفى بوعده بقوله

فمن نرى انه رضي بين محن
الايمان في اخصب عيشة
(قلت) قال ابن عباس
المراد بالمعيشة الضنك
الحياة في المعصية وان كان
في رخاء ونعمة وروى انها
عذاب القبر أو المراد بها

انتظرني حتى آتيك فقال عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجاء الى حاجته الى ذلك
المكان وعيسى عليه السلام هنالك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلا
ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد
ميعادا الى اى وقت ينتظره قال ان واعده نهارا فكل النهار وان واعده ليلا فكل الليل
وسئل ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى
ثانيها قوله تعالى (وكان رسولا نبيا) تقدم تفسيره وثالثها قوله تعالى (وكان يأمر أهله
بالصلوة) اى التى هى طهرة البدن وقرة العين وخير العون على جميع المآرب (والزكوة)
اى التى هى طهرة المال كما أوصى الله تعالى بذلك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد
بالاهل قومه وقيل أهله جميع أمته كان رسولا الى جرهم قاله الاصفهاني والى أهل ذلك الوادي
بدين أبيه ابراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس يريد التى افترضها الله تعالى عليهم قال البغوي
وهى الحنيفية التى افترضت علينا قيل كان يبدأ بأهله في الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة لمن
سواهم كما قال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم
نارا وبالزكاة قال ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص فكأنه تأوله على ما يزكو به الفاعل
عند ربه تعالى والظاهر كما قال ابن عادل ان الزكاة اذا قرنت بالصلاة ان يراد بها الصدقات
الواجبة رابعها قوله تعالى (وكان عند ربه) بعبادته على حسب ما أمر به (مرضيا) وهذا
في نهاية المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة بأعلى الدرجات فاقتد أنت به فانه من
أجل آبائك الجامع بين طهارة القول والبدن والمال تمت القصة الرابعة القصة الخامسة
قصة ادريس عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذكر في الكتاب) اى ايها [illegible]
ما يحتاج اليه حتى ما يحتاج اليه من قصص المتقدمين والمتأخرين (ادريس) وهو جد أبي
نوح عليه السلام قيل سمي ادريس لكثرة دراسته الصحف واسمه اخنوخ [illegible]
وآخره خاء معجمة وصفه الله تعالى بأمور أحدها قوله تعالى (انه كان صديقا نبيا) اى
صادقا في أفعاله وأقواله ومصدقا بما آتاه الله من آياته وعلى ألسنة الملائكة ثانيها قوله تعالى
(ورفعناه مكانا عليا) وفيه قولان أحدهما أنه من رفع المنزلة كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه
وسلم ورفعنا لك ذكرك فان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من
خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون
الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وثانيهما انه من رفعة المكان ثم اختلفوا فقال
بعضهم رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وهي التى رآه النبي صلى الله عليه وسلم بها ليلة
الاسراء وقيل الى الجنة وهو حي لا يموت وقالوا أربعة من الانبياء احياء اثنان في الارض
الخضر والياس واثنان في السماء عيسى وادريس وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من
العبادة ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن
ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بني آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره
دعاه الى طعامه فأبى ان يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره ادريس وقال له الليلة الثالثة
اني أريد ان أعلم من أنت قال انا ملك الموت استأذنت ربي ان أصحبك فقال لي اليك حاجة

(قوله فستعلمون من
أصحاب الصراط السوي
ومن اهتدى) قال [illegible]
كيف يجمع بين هذه الآية مع ان
[illegible]
(قلت) المراد بالاهل
[illegible]

وابعث فيهم رسولا منهم لابراهيم أثمر كذلك تعالى في الصلوات في قوله تعالى كما صليت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم سادسها وفي حق سارة في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى لابراهيم
موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى سابعها عادى كل الخلق في الله ف
فانهم عدو لي الا رب العالمين فاتخذه الله خليلا كما قال واتخذ الله ابراهيم خليلا ابراهيم صفة
ما خير على الله أحد * القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذكر
في الكتاب) أي الذي لا كتاب مثله في الكمال (موسى) أي الذي أنقذ الله به بني اسرا
من العبودية ثم ان الله تعالى وصفه بامور أحدها قوله تعالى (انه كان مخلصا) قرأ عا
وحمزة والكسائي بفتح اللام أي مختارا اختاره الله تعالى واصطفاه وقيل أخلصه الله
من الدنس والباقون بالكسر أي أخلص التوحيد لله والعبادة ومتى ورد القرآن بقرا
فكل منهما ثابت مقطوع به فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الامرين ث
قوله تعالى (وكان رسولا) الى بني اسرائيل والقبط (نبيا) ينبئه الله بما يريد من وحيه اذ
المرسل اليهم فيرتفع بذلك قدره فلذلك صرح بهما بعده ثم واهلا في الرسالة مخصوصا اذ كل رسول
وليس كل نبي رسولا خلافا للمعتزلة فانهم زعموا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل
رسول وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة الحج عند قوله وما أرسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي ثالثها قوله تعالى (وناديناه) أي بما لنا من العظمة (من جانب الطور)
اسم جبل (الايمن) اى الذي يلي يمين موسى حين اقبل من مدين فأتاه هناك حين كان
متوجها الى مصر بانه رسولنا ثم واعده المسير بعد اغراق آل فرعون فكان لبني اسرا
به من العجائب في رحمتهم بانزال الكتاب والانذار بالخطاب ومن جوب السحاب وفي اماتة
لما طلبوا الرؤية ثم احيائهم وغير ذلك مما يجل عن الوصف رابعها قوله تعالى (وقربناه) اى بما لنا
العظمة تقريب تشريف حال كونه (نجيا) مخبرا من اسرارنا بلا واسطة من النجوى وهي ا
والكلام بين اثنين كالسر وقيل قرب مكان اى مكانا عاليا عن ابي العالية انه قرب حتى سمع ص
القلم حيث يكتب التوراة في الالواح وقيل انجيناه من اعدائه خامسها قوله تعالى (ووهبنا له)
اى هبة تليق بعظمتنا (من رحمتنا) اى من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا (اخاه) اى معاضدة
اخيه وموازرته لاشفقته واخوته وذلك اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي هرون ف
كان اسن من موسى * (نبيا) * اخاه مفعول او بدل على تقدير ان تكون من للتبعيض و
(هرون) عطف بيان وقوله (نبيا) حال منه هي المقصود بالهبة * القصة الخامسة قصة اسمع
عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذكر في الكتاب اسمعيل) بن ابراهيم عليهما السلام
الذين هم معترفون بنبوته ومفتخرون برسالته وابوته فلزم من ذلك فساد تعللهم انكارنبو
بانك من البشر ثم ان الله تعالى وصف اسمعيل بامور اولها قوله تعالى (انه كان) اى جبلة وط
(صادق الوعد) في حق الله وفي حق غيره ولهو ثنا الله عليه على ذلك بسبب انه لا يعد وعدا الا مقر
بالاستثناء كما قال لابيه حين اخبره بامر ذبحه ستجدني ان شاء الله من الصابرين وخصه بالمدح
وان كان الانبياء كلهم كذلك لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقا وروى عن ابن عباس ا
وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وروى ان عيسى عليه السلام قال له رجل

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يعني امهال أمته وتأخير العذاب عنهم وفي الآية تقديم وتأخير أي ولولا كلمة سبقت من ربك لكان واجل مسمى العذاب لزاما اى لازما لهم كلزوم الامم الذين قبلهم

لهم من البصائر النيرة في ذكر نعمه عليهم واحسانه اليهم (وبكيا) خوفا منه وشوقا اليه فكونوا مثلهم ه (تنبيه) ه سجدا حال مقدرة قال الزجاج لانهم وقت الخرور ليسوا سجدا وهو جمع ساجد وبكيا جمع باك وليس بقياس بل قياس جمعه على فعلة كقاض وقضاة ولم يسمع فيه هذا الاصل واصل بكيا بكويا قلبت الواو ياء والضمة كسرة واختلف في هذا السجود فقال بعضهم انه الصلاة وقال بعضهم سجود التلاوة على حسب ما نعتد به قال الرازي ثم يحتمل ان يكون المراد سجود القرآن ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدوا بسجود فيفعلون ذلك لاجل ذكر السجود في الآية انتهى وروى ابن ماجه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المزني قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ما غرغرت عين بماء الا حرم الله تعالى على النار جسدها وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله وقال العلماء يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك ان أكون من المتكبرين عن أمرك واذا قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الباكين عند تلاوة آيات كتابك وقرأ حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء والباقون بضمها ه ولما وصف سبحانه وتعالى هؤلاء الانبياء بصفة المدح ترغيبا لنا في التأسي بهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال (فخلف من بعدهم) اى في بعض الزمان الذي بعد هؤلاء الاصفياء سريعا (خلف) في غاية الرداءة من أولادهم يقال خلفه اذا أعقبه خلف سوء باسكان اللام والخلف بفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر وفي الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ه وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقال السدى أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال قتادة في (أضاعوا الصلوة) تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم أخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو ان لا يصلى الظهر حتى يأتي العصر ولا يصلى العصر حتى تغرب الشمس (واتبعوا الشهوات) اى المعاصي قال ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت من الاب وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة (فسوف يلقون غيا) وهو كما قال وهب وابن عباس واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه منه أوديتها كما رواه الحاكم وصححه وقيل هو الخسران وقيل هو الشر كقول القائل

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ه ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

على الغي متعلق بلائما وقيل يلقون جزاء الغي كقوله يلق أثاما اى مجازاة الآثام ه (تنبيه) ه قوله تعالى يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية ه ولما أخبر

طريق السنة في العقبى
مكانه فصل ستعلمون من
الناجي في الدنيا والفائز
في الآخرة

(سورة الانبياء عليهم
السلام)

(قوله اقترب للناس حسابهم)

قال وما هي قال تقبض روحي فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه وردها
اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت
وغمته فأكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لي اليك حاجة أخرى قال وما هي قال
ترفعني الى السماء لأنظر اليها والى الجنة والنار فأذن الله تعالى له في ذلك فرفعه فلما قرب
من النار قال لي اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا أن يفتح أبوابها فأردها ففعل ثم قال
كما أريتني النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك
الموت اخرج لتعود الى مكانك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله تعالى ملكا حكما
بينهما فقال له الملك ما لك لا تخرج قال ان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال
وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله تعالى
الى ملك الموت باذني دخل الجنة وباذني لا يخرج فهو حي هنالك وقال آخرون بل رفع الى
السماء وقبض روحه وقال كعب الاحبار ان ادريس سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج
الشمس فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد
اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرفه
فقال يا رب خففت عني حر الشمس فما الذي قضيت فيه فقال تعالى ان عبدي ادريس سألني
أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فأذن له حتى أتى ادريس
فكان ادريس يسأله فكان مما سأله أن قال له اني أخبرت انك أكرم الملائكة وأمكنهم عند
ملك الموت فاشفع لي ليؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء
أجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال له لي
حاجة اليك صديق من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الي ولكن ان
أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما أراه
يموت أبدا قال وكيف ذلك قال لا أجده يموت الا عند مطلع الشمس قال اني أتيتك وتركته
هناك قال فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من أجل ادريس شيء فرجع
الملك فوجده ميتا ولما انقضى كشف هذه الاخبار العلية المقدار الجليلة الاسرار شرع
سبحانه وتعالى ينسب أهلها باشرف نسبهم ويذكر اثنيتهم فقال عز من قائل (أولئك) اى
العالو الرتبة الشرفاء النسب المذكورون في هذه السورة من لدن زكريا الى ادريس وهو
مبتدأ وقوله (الذين أنعم الله عليهم) بما خصهم به من مزيد القرب اليه وعظيم المنزلة لديه صفة
له وقوله تعالى (من النبيين) اى المصطفين بالنبوة الذين أنبأهم الله تعالى بدقائق الحكم
ورفع محالهم بين الامم بيان لهم وهو في معنى الصفة وما بعده الى جملة الشرط صفة للنبيين
فقوله (من ذرية آدم) اى ادريس لقربه منه لانه جد أبي نوح (وممن حملنا مع نوح) في
السفينة اى ابراهيم ابن ابنه سام (ومن ذرية ابراهيم) اى اسمعيل واسحق ويعقوب (و) من
ذرية (اسرائيل) وهو يعقوب اى موسى وهرون وزكريا ويحيى وكذا عيسى لان مريم من
ذريته (وممن هدينا) الى أقوم الطرق (واجتبينا) للنبوة والكرامة اى من جملتهم وخبر
أولئك (اذا تتلى عليهم) ممن اى تال كان (آيات الرحمن خروا سجدا) للمنعم عليهم تقربا اليه لما

الواصلون أو بالاول الذين
مازالوا على الصراط المستقيم
وبالثاني الذين لم يكونوا
على الصراط المستقيم ثم
صاروا عليه أو بالاول
أهل دين الحق في الدنيا
وبالثاني المهتدون الى

في الدنيا فلذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة العجم والارائك التي
هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت عادة أشراف اليمن ولاشئ كان أحب الى العرب من
الغداء والعشاء فوعدهم بذلك الثاني أن المراد دوام الرزق تقول أنا عند فلان صباحا ومساء
وبكرة وعشيا تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقيل المراد رفاهية العيش وسعة الرزق
أي لهم رزقهم متى شاؤا ولما بينت بهذه الاوصاف دار الباطل أشار الى علو رتبتها وما هو
سببها بقوله تعالى (تلك الجنة) باداة البعد لعلو قدرها وعظم أمرها (التي نورث من عبادنا)
أي نعطي عطاء الارث الذي لا كد فيه ولا استرجاع وتبقى له الجنة كما يبقى للوارث مال الموروث
وقيل تنتقل تلك المنازل ممن لو أطاع لكانت له الى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل النقل ارثا
قاله الحسن (من كان تقيا) أي المتقين من عباده (فان قيل) الفاسق المرتكب للكبائر
لم يوصف بذلك الوصف فلا يدخلها (أجيب) بان الآية تدل على أن الجنة يدخلها المتقي وليس
فيها دلالة على ان غير المتقي لا يدخلها وأيضا صاحب الكبيرة متق عن الكفر ومن صدق عليه
انه متق عن الكفر فقد صدق عليه أنه متق واذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه أنه متق
وجب أن يدخل الجنة فدلالة الآية على أن صاحب الكبيرة يدخلها أولى من أن تدل على أنه
لا يدخلها واختلف في سبب نزول قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (وما نتنزل الا بامر ربك)
فقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر
مما تزورنا فنزلت الآية وقال مجاهد أبطأ الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه فقال
لعلي أبطأت قال قد فعلت قال ولم لا أفعل وأنتم لا تتسوكون ولا تقصون أظفاركم ولا تنقون
براجمكم وقال وما نتنزل الا بامر ربك فنزلت وقال قتادة والكلبي احتبس جبريل عليه
السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين
والروح وسبب سؤالهم عن ذلك ما روي أن قريشا بعثت خمسة رهط الى اليهود بالمدينة يسألونهم
عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه في كتابهم وسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه
فقالت اليهود نجده في كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رحمن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسلوه
عنهن فان أخبركم عن خصلتين فاتبعوه فسألوه عن قصة أصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم ان يجيبهم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه
أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق ذلك عليه مشقة عظيمة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه
فلما نزل جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت
اليك قال اني اليك أشوق ولكني عبد مأمور واذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت هذه
الآية وأنزل قوله تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الضحى
(فان قيل) قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما نتنزل
الا بامر ربك كلام غير الله فكيف جاز عطف هذا على ما قبله من غير فصل (أجيب) بانه اذا
كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وهذا كلام
الله تعالى ثم عطف عليه قوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه ثم قال جبريل قوله ذلك بقوله
(له ما بين أيدينا) أي امامنا من أمور الآخرة (وما خلفنا) أي من أمور الدنيا (وما بين ذلك)

يونه بعد ما زمانا قصيرا
وان يوما عند ربك كألف
سنة مما تعدون أو أنه
قريب بالنسبة الى ما مضى
من الزمان أو أن المراد
قربه لكل واحد فقربه
وقوفه (؟) من مات

تعالى من هؤلاء بالخيبة فتح لهم باب التوبة وهداهم الى غسل هذه الحوبة بقوله (الا من تاب) اى مما هو عليه من الضلال وبادر بالاعمال وحافظ على الصلوات وكف نفسه عن الشهوات (وآمن) بما أخذ عليه به العهد (وعمل) بعد ايمانه تصديقا له (صالحا) من الصلوات والزكوات وغيرها (فاولئك) العالو الهمم الطاهرو الشيم (يدخلون الجنة) التى وعد المتقون (ولا يظلمون) من ظالم ما (شيأ) من اعمالهم (فان قيل) الاستثناء دل على انه لا بد من التوبة والايمان والعمل الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة او كانت المرأة حائضا فانه لا يجب عليهم الصلاة والزكاة أيضا غير واجبة وكذلك الصوم فهذا لو مات فى ذلك الوقت كان من أهل النجاة مع انه لم يصدر منه عمل فلم يجز توقف الاجر على العمل الصالح (أجيب) بان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تناط بالاعم الاغلب *(تنبيه)* فى هذا الاستثناء وجهان قال ابن عادل أظهرهما انه متصل وقال الزجاج هو منقطع وهذا بناء منه على ان المضيع للصلاة من الكفار ووافق الزجاج الجلال المحلى * ولما ذكر تعالى فى التائب انه يدخل الجنة وصفها بامور أحدها قوله تعالى (جنات عدن) أى اقامة لا يظعن عنها بوجه من الوجوه ووصفها بالدوام على خلاف وصف الجنان فى الدنيا التى لا تدوم ثم بين تعالى انها (التى وعد الرحمن عباده) الذين هو أرحم بهم وقوله (بالغيب) فيه وجهان أحدهما ان الباء حالية وفى صاحب الحال احتمالان أحدهما ضمير الجنة وهو عائد الموصول أى وعدها وهى غائبة عنهم لا يشاهدونها والثانى عباده أى وهم غائبون عنها لا يرونها انما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه والوجه الثانى أن الباء سببية أى بسبب تصديق الغيب وبسبب الايمان به ولما كان من شأن الوعود الغائبة على ما يتعارفه الناس بينهم احتمال عدم الوقوع بين أن وعده ليس كذلك بقوله تعالى (انه كان) أى كونا هو سنة ماضية (وعده مأتيا) أى مقصودا بالفعل فلا بد من وقوعه فهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ثانيها قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا) وهو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار الآخرة التى لا تكليف فيها وقد مدح الله تعالى أقواما بقوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا وقوله تعالى (الا سلاما) الاستثناء منقطع اى ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ويجوز أن يراد باللغو مطلق الكلام قال فى القاموس لغا لغوا تكلم فيكون الاستثناء متصلا اى لا يسمعون فيها كلاما الا كلاما يدل على السلامة أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ثالثها قوله تعالى (ولهم رزقهم فيها) اى على ما يتمنونه ويشتهونه على وجه لا بد من اتيانه ولا كلفة عليهم فيه ولا منة عليهم به (بكرة وعشيا) اى على قدرهما فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور ابدا وقيل انهم يعرفون النهار برفع الحجب والليل بارخائها (فان قيل) المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة (أجيب) بوجهين الاول قال الحسن أراد الله تعالى ان يرغب كل قوم بما أحبوه

(ان قلت) كيف وصف الحساب بالقرب وقد مضى من وقت هذا الاخبار اكثر من ستمائة عام (قلت) معناه ولم يوجد انه قريب عند الله وان كان بعيدا عندنا كقوله انهم

العلم باعادته من قبل ثم تخلله عدمه (أجيب) بان المراد أولا يتفكر فيعلم خصوصا
اذا قرئ أولا يذكر مشددا أما اذا قرئ مخففا فالمراد أولا يعلم ذلك من حال نفسه لان كل أحد
يعلم انه لم يكن حيا في الدنيا ثم صار حيا ثم انه تعالى لما قرر المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من
وجوه أولها قوله تعالى (فوربك) اى المحسن اليك بالانتقام منهم (لنحشرنهم) بعد البعث
(والشياطين) الذين يضلونهم بان نحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة وفائدة القسم أمران
أحدهما ان العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين والثاني في اقسام الله باسمه مضافا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأنه ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله تعالى فورب
السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وهو أولى
ثانيها قوله تعالى (ثم لنحضرنهم) بعد طول الوقوف (حول جهنم) من خارجها ليشاهد السعداء
الاحوال التي نجاهم الله تعالى منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطتهم وسرورا الى
سرورهم ويشمتوا باعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة
أولياء الله وشماتتهم بهم وقوله تعالى (جثيا) حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم وهو جمع جاث
جمع على فعول نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس وأصله جثوو بواوين أو جثوي من جثا
يجثو ويجثي لغتان (فان قيل) هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية
ولان العادة جارية بان الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من
القلق أو لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم واذا كان هذا
حاصلا للكل فكيف يدل على مزيد ذل الكفار (أجيب) بانهم يكونون من وقت الحشر الى
وقت الحضور على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد ذلهم وقرأ حفص وحمزة والكسائي جثيا
وعتيا وصليا بكسر أولها والباقون بضمه ثالثها قوله تعالى (ثم لننزعن) اى لنأخذن أخذا
بشدة وعنف (من كل شيعة) اى فرقة مرتبطة بمذهب واحد (أيهم أشد على الرحمن) الذى
غمرهم بالاحسان (عتيا) اى تكبرا وتجاوزا للحد والمعنى ان الله تعالى يحضرهم أولا حول جهنم
ثم يميز البعض من البعض فمن كان أشدهم تمردا في كفره خص بعذاب عظيم لان عذاب الضال
المضل يجب ان يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد ويتجبر كعذاب
المقلد ففائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب ولذلك قال تعالى
في جميعهم (ثم لنحن أعلم) من كل عالم (بالذين هم) بظواهرهم وبواطنهم (أولى بها) اى بجهنم
(صليا) اى دخولا واحتراقا فنبدأ بهم ولا يقال أولى الاصح اشتراكهم وأصله صلوي من صلى
بكسر اللام وفتحها (تنبيه) في اعراب أيهم أشد أقوال كثيرة أظهرها عند جمهور المعربين
وهو مذهب سيبويه ان أيهم موصولة بمعنى الذى وان حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه
لخروجها عن النظائر وأشد خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لايهم وأيهم وصلتها في محل نصب
مفعول بها ولاى أحوال أربعة ذكرتها في شرح القطر ولما كانوا بهذا الاعلام المؤكد
بالاقسام من ذي الجلال والاكرام جديرين باصغاء الافهام الى ما توجه اليها من الكلام التفت
الى مقام الخطاب افهاما للعموم فقال تعالى (وان) اى وما (منكم) أيها الناس احد

ولموافقة ما هنا قوله بعد
قل فيه بلام القول وموافقة
لما في الشعراء وقوله بعد وان
ربك لهو العزيز الرحيم أتى بأن
اذ الرحمن الرحيم
(فان قلت) كيف وصف
الذكر بالحدوث مع انه

اى ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة اى له علم ذلك جميعه وقيل ما بين ذلك ما بين النفختين
وبينهما أربعون سنة وقيل ما بين أيدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك
مدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل ان نخلق وما بين ذلك مدة الحياة
وقيل ما بين أيدينا الارض اذا أردنا النزول اليها وما خلفنا السماء وما ينزل منها وما بين ذلك
الهواء يريد ان ذلك كله لله فلا نقدر على شئ الا بامره (وما كان ربك) الحسن اليك (نسيا)
بمعنى ناسيا اى تاركا لك بتأخير الوحي عنك لقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اى وما كان
امتناع النزول الا لامتناع الامر به وما كان ذلك عن ترك الله تعالى لك وتوديعه اياك ثم استدل
على ذلك بقوله (رب السموات والارض وما بينهما) فلا يجوز عليه النسيان اذ لابد ان يمسكهما
حالا بعد حال والا لبطل الامر فيهما وفيمن يتصرف والآية دالة على ان الله تعالى رب لكل شئ
حصل بينهما ففعل العبد مخلوق له تعالى لان فعل العبد حاصل بين السماء والارض
«(تنبيه)» يجوز في رب أن يكون بدلا من ربك وأن يكون خبر مبتدأ مضمر أى هو رب
وقوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مرتب على ما تقدم
أى لما عرفت أن ربك لا ينساك فاعبده بالمراقبة الدائمة على ما ينبغي من مثلك واصطبر عليها
ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفار بك (فان قيل) لم لم يقل واصطبر على عبادته لانها
صلته فكان حقه تعديه بعلى (أجيب) بانه ضمن معنى الثبات لان العبادة ذات تكاليف
قل من يثبت لها فكأنه قيل اثبت لها مصطبرا كقولك للمحارب اصطبر لقرنك ثم علل ذلك بقوله
(هل تعلم له سميا) قال ابن عباس هل تعلم له مثلا أى نظيرا فيما يقتضي العبادة والذي يقتضيها
كونه منعما باصول النعم وفروعها وهي خلق الاجسام والحياة والعقل ونحوها فانه لا يقدر
على ذلك أحد سواه سبحانه وتعالى واذا كان قد أنعم عليك بغاية الانعام وجب أن تعظمه بغاية
التعظيم وهي العبادة وقال الكلبي هل تعلم أحدا يسمى الله غيره فانهم وان كانوا يطلقون لفظ
الاله على الوثن فما أطلقوا لفظ الله تعالى على شئ ولما أمر الله تعالى بالعبادة والمصابرة عليها
فكأن سائلا سأل وقال هذه العبادة لا منفعة فيها في الدنيا وأما في الآخرة فقد أنكرها بعضهم
فلابد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر ان الاشتغال بالعبادة يفيد فلهذا حكى الله
سبحانه وتعالى قول منكري الحشر فقال تعالى (ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج
حيا) قال الكلبي نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاما بالية ففتها بيده ويقول زعم لكم محمد
أنا نبعث بعدما نموت وقيل نزلت في أبي جهل وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث
ثم ان الله تعالى أقام الدليل على صحة البعث بقوله (أولا يذكر الانسان) اى المجترئ بهذا
الانكار على ربه (انا خلقناه من قبل) اى من قبل بعثه (ولم يك شيئا) أصلا وأثابة فنحن ذلك
قادرون على اعادته فلا ينكر ذلك قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة
في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولا
ونظيره قوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده
وهو أهون عليه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بسكون الذال وضم الكاف مخففة والباقون
بفتح الذال المشددة وكذا الكاف (فان قيل) كيف أمر الله الانسان بالتذكر مع ان التذكر هو

(قوله قامت قيامته) من ذكر من آياتهم من ربهم محدث) قاله هنا بلفظ من ربهم وفي الشعراء بلفظ من الرحمن لان الرب يأتي مضافا بخلاف الرحمن لم يأت مضافا غالبا

والاول أصح وعليه أهل السنة وروى انه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن
شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار
من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة
دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل
اليه أنها ملأى فيرجع فيقول وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل
الدنيا وعشرة أمثالها فيقول له أتسخر بي وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة وقوله حتى بدت نواجذه اى أنيابه
وأضراسه وقيل هي أقصى الاسنان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب
ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون
على باب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل الحمم
الفحم والغثاء كل ما جاء به السيل وقرأ الكسائي ننجي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم
والباقون بفتح النون الثانية وتشديد الجيم ولما أقام تعالى الحجة على مشركي قريش المنكرين
للبعث قال تعالى عطفا على قوله ويقول الانسان (واذا تتلى عليهم) اى الناس من المؤمنين
والكفار من اى تال كان (آياتنا) اى القرآن حال كونها (بينات) اى واضحات وقيل مرتلات
الالفاظ ملخصات المعاني وقيل ظاهرات الاعجاز (قال الذين كفروا) بآيات ربهم البينة جهلا
منهم ونظرا الى ظاهر الحياة الدنيا الذي هو مبلغهم من العلم (للذين آمنوا) اى لاجلهم
أو مواجهة لهم اعراضا عن الاستدلال بالآيات بالاقبال على هذه الشبهة الواهية من
المفاخرة بالمكاثرة في الدنيا من قولهم (اى الفريقين) نحن بما لنا من الامتاع أم أنتم بما لكم
من خشونة العيش ورثاثة الحال ولو كنتم أنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا
أحسن من حالنا لان الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه المخلصين في الذل وأعداءه المعرضين عن
خدمته في العز والراحة وانما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا في النعمة والرا...
والاستعلاء والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والقلة هذا حاصل شبهتهم والقائل لذلك هو
النضر بن الحرث وذووه من قريش للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان
فيهم قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويلبسون
خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين اى الفريقين (خير مقاما) اى موضع قيام أو اقامة على قراءة ابن
كثير بضم الميم والباقون بفتحها في كلتا القراءتين يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان
اما من قام ثلاثيا أو من أقام * (تنبيه) * قالوا زيد خير من عمرو وشر من بكر ولم يقولوا أخير
منه ولا أشر منه لان هاتين اللفظتين كثر استعمالهما فحذفت همزتاهما ولم يثبتا الا في فعل
التعجب فقالوا أخير بزيد وأشرر بعمرو وما أخير زيدا وما أشر عمرا والعلة في اثباتهما في فعل
التعجب ان استعمال هذين اللفظين اسما أكثر من استعمالهما فعلا فحذفت الهمزة في موضع
الكثرة وبقيت على أصلها في موضع القلة (وأحسن نديا) اى مجلسا ومتحدثا والندي المجلس
يقال ندي ونادي والجمع الاندية ومنه وتأتون في ناديكم المنكر وقال تعالى فليدع ناديه ويقال

صح أن النحوي العبارة
(قلت) بالغوا في اخفاء
العبارة بحيث لم يفهم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

(الا واردها كان) ذلك الورود (على ربك) الوعد الذلك المحتوم (حتما مقضيا) اى حتمه وقضى به لا يتركه والورود موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود هنا فقال ابن عباس والاكثرون الورود هنا هو الدخول والكناية راجعة الى النار وقالوا يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها ويدل على ان الورود هو الدخول قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار ان نافع بن الازرق مارى ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فقال ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع أما والله أنا وأنت سنردها وأنا أرجو ان يخرجني الله منها وما أرى الله يخرجك منها بتكذيبك ويدل عليه أيضا قوله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا) أي الكفر منها ولا يجوز أن يقول ثم ننجي الذين اتقوا (ونذر الظالمين) بالكفر (فيها جثيا) على الركب الا والكل واردون والاخبار المروية دالة على هذا القول روى أن عبد الله بن رواحة قال اخبر الله تعالى عن الورود ولم يخبر بالصدر فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن رواحة اقرأ ما بعدها ثم ننجي الذين اتقوا فدل على أن ابن رواحة فهم من الورود الدخول ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول ولا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما حتى ان للنار ضجيجا من بردها ولان حرارة النار ليست بطبعها فالاجزاء الملاصقة لابدان الكفار يجعلها الله تعالى محرقة مؤذية والاجزاء الملاصقة لاجزاء المؤمنين يجعلها بردا وسلاما كما في حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها وكما في الكوز الواحد من الماء كان يشرب به القبطي فيكون دما ويشرب به الاسرائيلي فيكون ماء عذبا وعن جابر بن عبد الله أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة وقال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال قد وردتموها وهي خامدة وخامدة خاصة بجهة أي ساكنة وروى بالجيم أي باردة ولا بد من ذلك في الملائكة الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين (فان قيل) فاذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول (أجيب) بوجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منها ثانيها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم يتخلصون منها وهم يبقون فيها ثالثها ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين رابعها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب صار سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقيل المراد بالذين يردونها من تقدم ذكرهم من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة وعلى هذا القول فلا يدخل النار مؤمن واستدل له بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها والمبعد عنها لا يوصف بانه واردها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها وبقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون وروى عن مجاهد من حم من المؤمنين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار وفي رواية الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء وقوله من فيح جهنم اى وهجها وحرها وقال ابن مسعود وان منكم الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها قال البغوي

الذكر الا من هو القرآن وهو قديم (قلت) المراد انه محدث انزاله او انه ذكر غير القرآن واضيف الى الرب لانه امره به وهاديه (قوله واسروا النجوى) فان قلت كيف قال ذلك

هذه الشجرة الريح فخذ من يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن الباقيات الصالحات وهي من
كنوز الجنة فكان أبو الدرداء يقول لأعملن ذلك ولأكثرن عمله حتى إذا رآني الجاهل حسب أني
مجنون قال الرازي والقول الأول أولى لأنه تعالى إنما وصفها بالباقيات الصالحات من حيث
يدوم ثوابها فلا تختص ببعض العبادات فهي أمره بأفعال الطاعات انظر إلى أثرها الذي هو
الهداية ثم بين تعالى خيريتها بقوله تعالى (ثوابا) أي من جهة الثواب (وخير مردا) أي من جهة
العاقبة يوم الحسرة (فإن قيل) لا يجوز أن يقال هذا خير إلا والمراد أنه خير من غيره والذي عليه
الكفار لا خير فيه أصلا (أجيب) بأن المراد خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مقاما وأحسن
نديا وقيل هو كقولهم الصيف أحر من الشتاء يعني أنه في حره أبلغ منه في برده فالكفرة يرون [illegible]
فناء وخسارة والمؤمنون الربح وبقاء ولما ذكر تعالى الدلائل أولا على صحة البعث ثم أورد
شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عليهم ما ذكره عن بعض الأشقياء طعنا في القول
بالحشر فقال تعالى (أفرأيت الذي) أي الذي يعرض عن هذا اليوم ويزيد على ذلك بأن (كفر
بآياتنا) الدالات على عظمتنا بالدلالات البينات (وقال) جرأة منه وجهلا (لأوتين) أي
والله لأوتين في الساعة على تقدير قيامها (مالا وولدا) أي عظيمين [illegible]
حتى ضم إليه [illegible] وقرأ حمزة والكسائي ولدا وكذا ولدا في [illegible]
بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتح الواو واللام في الجميع فالولد والولد كالعرب والعرب
والعرب والعجم والعجم وأما القراءة [illegible] فقيل هي كالتي قبلها لغتان وقيل بالضم جمع ولد كأسد وأسد واستشهدوا على
ذلك

ولقد رأيت معاشرا ... قد ثمروا مالا وولدا

وأنشدوا شاهدا على أن الولد والولد مترادفان قول الآخر

فليت فلانا كان في بطن أمه ... وليت فلانا كان ولد حمار

ولما كان ما ادعاه لا علم به إلا لأحد أمرين لا علم لهذا بواحد منهما أنكر ذلك عليه بقوله تعالى (أطلع
الغيب) الذي هو غائب عن كل مخلوق فوقف به عن الخلق كما قال الذي لا يطلع [illegible]
ثم الاطلاع عليه متفرد به الواحد القهار (أم اتخذ) أي بمعالجة [illegible] (عند الرحمن عهدا)
[illegible] بأن ذكره ما ذكر [illegible] على وجوه [illegible]
العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو ذلك [illegible]
عهد الله إليه أن يؤتيه ذلك وعن الحسن رحمه الله تعالى نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور
أنها في العاص بن وائل قال خباب بن الأرت كان لي عليه دين فأتيته أتقاضاه فقال لا [illegible]
فقلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فإني إذا مت بعثت [illegible]
إذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الأجر
فقال إنكم تزعمون أنكم تبعثون وأن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فإني أوتى مالا
وولدا فأعطيك حينئذ ثم إنه سبحانه وتعالى بين من حاله ضد ما ادعاه فقال تعالى (كلا) وهي كلمة
ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يقوله ويتمناه (سنكتب) أي نحفظ عليه (ما يقول)
فنجازيه به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا عليه ما يقول (ونمد له من العذاب مدا)

كانوا [illegible] أو ولاده كله (فإن قلت) كيف [illegible] ثم [illegible] القرآن [illegible] (قلت) لا [illegible] إذا [illegible] الإيمان [illegible]

ندوت القوم أندوهم اذا جمعتهم في مجلس ومنه دار الندوة وكانت تجمع القوم فيها وإذ لا
الامتحان بالانعام والاحسان دليلا على رضا الرحمن مع التكذيب والكفران وغفلوا عن أن
في ذلك مع التكذيب بالبعث تكذيبا بما يشاهدونه من القدرة على العقاب باحلال النقم
وسلب النعم ولو شئنا لاهلكناهم وسلبناهم جميع ما يفتخرون به (وكم أهلكنا قبلهم) ثم بين ابهام كم
بقوله (من قرن) شاهدوا ديارهم ورأوا آثارهم (هم) أي أهل تلك القرون (أحسن) من
هؤلاء (أثاثا) أي أمتعة (ورئيا) أي ومنظرا فلو دل حصول نعم الدنيا للانسان على كونه حبيب
الله لوجب أن لا يصل الى هؤلاء غم في الدنيا وقرأ قالون وابن ذكوان بابدال الهمزة ياء وادغامها
في الياء وقفا ووصلا واذا وقف حمزة أبدل الهمزة ياء وله فيها الادغام والاظهار * (تنبيه) * كم
مفعول أهلكنا مقدم واجب التقديم لان له صدر الكلام لانها اما استفهامية او خبرية وهي
محمولة على الاستفهامية أي كثيرا من القرون أهلكنا من قرن تمييز لكم مبين لها وانما سمي
أهل كل عصر قرنا لانهم يتقدمون من بعدهم وقول البيضاوي وهم أحسن صفة لكم تبع فيه
الزمخشري وغيره ورد بان كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فهم أحسن في محل
جر صفة لقرن وجمعه نظرا للمعنى لان القرن مشتمل على أفراد كثيرة * ثم قال تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم (قل) لهؤلاء المفتخرين بزعمهم وقطعا لمعاذيرهم وهتكا لشبههم هذا الذي
افتخرتم به لا يدل على حسن الحال في الآخرة بل على عكس ذلك فقد جرت عادته تعالى أنه (من
كان في الضلالة) مثلكم كونا راسخا بسط له في الدنيا وطيب عيشه في ظاهر الحال فيها ونعمه
بأنواع الملاذ وقوله (فليمدد له الرحمن مدا) أمر بمعنى الخبر مدا له فيدعه في طغيانه ويمهله في كفره
بالبسط في الآثار والسعة في الديار والطول في الاعمار وانفاقها فيما يستلذ به من الاوزار
ولا يزال يمد له استدراجا (حتى اذا رأوا) أي كل من كفر باعتبارهم (ما يوعدون) من قبل الله (اما
العذاب) في الدنيا بأيدي المؤمنين وغيرهم او في البرزخ (واما الساعة) أي القيامة التي هم
بها مكذبون وعن الاستعداد لها معرضون ولا شئ يشبه أهوالها وخزيها ونكالها (فسيعلمون)
اذا رأوا ذلك (من هو شر مكانا) أي من جهة المكان الذي قوبل به المقام في قولهم خير مقاما
(وأضعف جندا) أي اقل ناصرا أهم أم المؤمنون أي أضعف من جهة الجند أي الذي أشير
به الى الندي في قولهم وأحسن نديا لانهم في النار والمؤمنون في الجنة فهذا رد عليهم في قولهم
أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (ويزيد الله الذين اهتدوا) الى الايمان (هدى) بما ينزل
عليهم من الآيات عوضا عما زوي عنهم من الدنيا لكرامتهم عنده عما بسط للضلال لهوانهم
عليه واشار الى ان مثل ما خذل أولئك بالنوال وفق هؤلاء لمحاسن الاعمال باقلال الاموال
فقال عز من قائل (والباقيات الصالحات) أي الطاعات والمعارف التي شرحت لها الصدور
وأنارت بها القلوب وأوصلت الى علام الغيوب (خير عند ربك) مما متع به الكفرة والخيرية
هنا في مقابلة قولهم أي الفريقين خير مقاما وقيل الباقيات الصالحات هي الصلوات وقيل
التسبيح روى أبو الدرداء قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأخذ عودا يابسا
وأزال الورق عنه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط ورق

من قوله قبل ما آمنت
قبلهم من قرية وقاله بعد
ذكرها جريا على الاصل
(قوله فاسئلوا اهل الذكر)
أمر لمشركي مكة بان يسألوا
اهل الذكر أي اهل الكتاب
عمن مضى من الرسل هل

وصحب وصاحب وهذا الذي قاله ليس بمذهب سيبويه لأن فاعلا لا يجمع على فعل عند سيبويه
وأجازه الأخفش وجرى عليه الجلال المحلي فقال وفد جمع وافد بمعنى راكب انتهى وقال ابن
عباس وفدا ركبانا وقال أبو هريرة على الإبل وقال علي رضي الله تعالى عنه والله ما يحشرون على
أرجلهم ولكن فوق نوق رحالها الذهب ونجائب سروجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا
بها طارت (ونسوق المجرمين) بكفرهم (إلى جهنم) وقوله تعالى (وردا) حال أي مشاة بإهانة
واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء وقيل عطاشا قد تقطعت أعناقهم من شدة
العطش لأن من يرد الماء لا يرد إلا لعطش وحقيقة الورود المسير إلى الماء وقوله تعالى (لا يملكون
الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المتقين والمجرمين وقيل للمتقين وقيل للمجرمين
وقوله تعالى (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) استثناء متصل على القولين الأولين منقطع على
الثالث والمعنى أن الشافعين لا يشفعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا كقوله تعالى ولا
يشفعون إلا لمن ارتضى ويدخل في ذلك أهل الكبائر من المسلمين إذ كل من اتخذ عند الرحمن
عهدا وجب دخوله فيه وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد فوجب
دخوله تحته ويؤيده ما روي عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم
أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وما ذاك قال يقول كل
صباح ومساء اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد
أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني إلى نفسي فإنك إن
تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك
عهدا توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت
العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة فظهر
أن المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه دلالة هذه الآية على حصول الشفاعة لأهل الكبائر ولما
رد سبحانه وتعالى على عبدة الأوثان عاد إلى الرد على من أثبت له ولدا بقوله تعالى (وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا) أي قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
الملائكة بنات الله (لقد جئتم شيئا إدا) قال ابن عباس أي منكرا وقال قتادة أي عظيما وقال ابن
خالويه الإد والإدة العجب وقيل العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظم
علي وقرأ (تكاد السموات) نافع والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث
وقرأ (ينفطرن منه) أبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففة
والباقون بعد الياء بتاء وفتح الطاء مشددة يقال انفطر الشيء وتفطر أي تشقق وقراءة التشديد
أبلغ لأن التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف (وتنشق
الأرض) أي تخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن) أي من أجل
أن (دعوا للرحمن ولدا) قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والأرض والجبال وجميع
الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله
ولدا (فإن قيل) كيف يؤثر القول في انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال

[illegible] قالت كيف قال ذلك الشامل [illegible] قوله [illegible] كل دابة [illegible] وتم الإلهية [illegible]

اى نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه) بموته (ما يقول) اى ماعنده من المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه ولما تكلم سبحانه وتعالى فى مسئلة الحشر والنشر تكلم الآن فى الرد على عباد الاصنام فقال (واتخذوا) اى كفار قريش (من دون الله) اى الاوثان (آلهة) يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) اى منعة بحيث يكونون لهم شفعاء وانصارا ينقذونهم من الهلاك ثم اجاب تعالى بقوله تعالى (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) اى ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وفى آية اخرى ما كانوا ايانا يعبدون وقيل اراد بذلك الملائكة لانهم كانوا يكفرون بعبادتهم ويتبرؤن منهم ويخاصمونهم وهو المراد من قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل ان الله تعالى يحيى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرؤا منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم ويجوز ان يراد الملائكة والاصنام (ويكونون عليهم ضدا) اى أعوانا او اعداء (فان قيل) لم وحده وهو خبر عن جمع (أجيب) بانه اما مصدر فى الاصل والمصادر موحدة مذكرة واما لانه مفرد فى معنى الجمع قال الزمخشرى والضد العون وحد توحيد قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وأنهم كشئ واحد لفرط تضامهم وتوافقهم انتهى والحديث رواه أبو داود وغيره والشاهد فيه قوله يد حيث لم يقل أيد ولما ذكر تعالى مال هؤلاء الكفار مع آلهتهم فى الآخرة ذكر بعده مالهم مع الشياطين فى الدنيا وأنهم يتولونهم وينقادون اليهم فقال تعالى مخاطبا للنبى صلى الله عليه وسلم (ألم تر) اى تنظر (أنا أرسلنا) اى سلطنا (الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) الأز والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اى تغريهم على المعاصى وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات (فلا تعجل عليهم) اى بطلب عقوبتهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم (انما نعد لهم عدا) اى ليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وانفاس معدودة ونظيره قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وعن ابن عباس كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد دخول قبرك آخر العدد فراق أهلك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما أسرع ماتنفد وقيل نعد أنفاسهم وأعمالهم فنجازيهم على قليلها وكثيرها وقيل نعد الاوقات الى وقت الاجل المعين لكل أحد الذى لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان ثم بين تعالى ما سيظهر فى ذلك اليوم من الفصل بين المتقين والمجرمين فى كيفية الحشر فقال (يوم) اى واذكر يوم (نحشر المتقين) بايمانهم (الى الرحمن) اى الى محل كرامته وقوله تعالى (وفدا) حال اى وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم والوفد الجماعة الوافدون يقال وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة اى قدم على سبيل التكرمة فهو فى الاصل مصدر ثم أطلق على الاشخاص كالصف وقال أبو البقاء وفد جمع وافد والاصل ركب وراكب

به ولو سلم فهم وان ايقنوا
بكتاب اهل الكتاب لكن
النقل المتواتر من اهل
الكتاب فى امر يفيد العلم
لمن يؤمن بكتابهم ولمن لا يؤمن
به (قوله ولا يستحسرون)
اى لا يعيون (قوله وجعلنا

الباقية في الآخرة كانوا الى الحذر من المعاصي اقرب ثم أكد ذلك بقوله تعالى (هل تحس) اى ترى وقيل تجد (منهم من احد او تسمع لهم ركزا) اى صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا اثر اى فكما اهلكنا اولئك نهلك هؤلاء * (تنبيه) * الركز الصوت الخفي دون نطق بحروف ولا فم ومنه ركز الرمح اى غيبه في الارض واخفاه ومنه الركاز وهو المال المدفون لخفائه واستتاره والحديث الذي ذكره البيضاوي تبعا للزمخشري وهو من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى وعيسى ومريم وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى حديث موضوع

سورة طه عليه الصلاة والسلام مكية

وهي مائة وخمس وثلاثون آية وعدد كلماتها الف وثلثمائة واحدى واربعون كلمة وعدد حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون حرفا وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذي عم نعمه على اهل جميع (الرحيم) الذي خص بجنته عباده المؤمنين وقرأ (طه) شعبة وحمزة والكسائي بامالة الطاء والهاء وافخمهما ورش وابو عمرو على امالة الهاء محضة ولم يمل ورش محضة الا هذه الهاء وقد تقدم الكلام في الحروف المقطعة في اول سورة البقرة وفي هذه منها اقوال [illegible] وقيل انها [illegible] اما على القول الاول فقد تقدم الكلام فيه في اول سورة البقرة والثاني ذكروا فيه امورا احدها قال الثعلبي الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية فكأنه اقسم بالجنة والنار ثانيها يحكى عن جعفر الصادق الطاء طهارة اهل البيت والهاء هدايتهم ثالثها قال سعيد بن جبير هما افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي رابعها طاء الشفاعة للامة وهاء [illegible] الى الله خامسها الطاء من الطهارة والهاء من الهداية فكأنه قيل يا طاهرا من الذنوب يا هاديا الى علام الغيوب سادسها الطاء طول القراء والهاء هيبتهم في قلوب الكفار قال الله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سابعها الطاء تسعة في الحساب والهاء خمسة يكون اربعة عشر ومعناها يا أيها البدر واما على القول الثالث فمعنى طه يا رجل وهو يروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بالنبطية وقال قتادة بالسريانية وقال عكرمة بالحبشية وقال الكلبي بلغة عك وهو بتشديد الكاف ابن عدنان اخو معد وحكى الكلبي انك لو قلت في عك يا رجل لم يجب حتى تقول طه وقال السدي معناه يا فلان وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطأ الارض بقدميه معا وقال الكلبي لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله عليه هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال تعالى (ما انزلنا عليك القرآن

خلق الانسان جوهرة ونظر اليها نظر هيبة فاستحالت ماء فخلق من ذلك الماء جميع المخلوقات او نطفة [illegible] وادخلها [illegible] قدرة الله تعالى [illegible]

(أجيب) بوجوه الاول ان الله تعالى يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند
وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان يكون
استعظاما للكلمة وتهويلا وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لقواعده واركانه الثالث
ان السموات والارض والجبال تكاد ان تفعل كذلك لو كانت تعقل هذا القول ثم نفى الله
تعالى عن نفسه الولد بقوله تعالى (وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) اى ما يليق به اتخاذ الولد لان
ذلك محال اما الولادة المعروفة فلا مقالة في امتناعها واما التبني فلان الولد لا بد وان يكون شبيها
بالوالد ولا شبيه له تعالى لان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض اما سرور او استعانة او ذكر
جميل وكل ذلك لا يصح في حق الله تعالى (ان) اى ما (كل من في السموات والارض) اى من كل
معبود من الملائكة في السموات والارض من الناس منهم العزير وعيسى (الا آتي الرحمن)
اى ملتجئ الى ربوبيته (عبدا) منقادا مطيعا ذليلا خاضعا كما يفعل العبيد ومن المفسرين
كالجلال المحلي من حمله على يوم القيامة خاصة والاول اولى لانه لا تخصيص في الآية (لقد
احصاهم) اى حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون من حوزة علمه وقبضته وقدرته وكلهم
تحت تدبيره وقهره (وعدهم عدا) اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل
شئ عنده بمقدار لا يخفى عليه شئ من امورهم (وكلهم آتيه) اى كل واحد منهم يأتيه (يوم
القيامة فردا) اى وحيدا ليس معه من الدنيا شئ من مال او نصير يمنعه * ولما رد سبحانه
وتعالى على اصناف الكفرة وبالغ في شرح احوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر
احوال المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) اى سيحدث
لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها من قرابة او صداقة او اصطناع معروف
او غير ذلك روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء قد احب الله فلانا فاحبوه فيحبه اهل
السماء ثم توضع له المحبة في الارض واذا ابغض الله العبد قال مالك لا احسبه الا قال في البغض
مثل ذلك والسين في سيجعل اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم الله تعالى ذلك اذا قوي الاسلام والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما ان يكون
ذلك يوم القيامة يحببهم الله الى خلقه بما يظهر من حسناتهم وروي عن كعب قال مكتوب
في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من السماء من الله عز وجل ينزلها
على اهل السماء ثم على اهل الارض ومصداق ذلك في القرآن قوله سيجعل لهم الرحمن ودا وقال
ابو مسلم معناه يهب لهم ما يحبون والود والمحبة سواء * ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة
التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بين تعالى انه يسر ذلك بلسان نبيه صلى الله
عليه وسلم بقوله (فانما يسرناه) اى القرآن (بلسانك) اى العربي اى لولا انه تعالى نقل قصصهم
الى اللغة العربية لما تيسر ذلك لك (لتبشر به المتقين) اى المؤمنين (وتنذر) اى تخوف (به
قوما لدا) جمع الد اى جدل بالباطل وهم كفار مكة ثم انه تعالى ختم السورة بموعظة بليغة
فقال تعالى (وكم) اى كثيرا (اهلكنا قبلهم من قرن) اى امة من الامم الماضية بتكذيب
الرسل لانهم اذا تأملوا وعلموا انه لا بد من زوال الدنيا وانه لا بد فيها من الموت وخافوا سوء

نادرا فهو من تراب وناقة
صالح من حجر لا من ماء (قلت)
المراد البعض كما في قوله
تعالى وأوتيت من كل شئ
وقوله وجاءهم الموج من
كل مكان او انكل مخلوق من
الماء لان الله خلق قبل

ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على حد سواء فقال تعالى (وان تجهر بالقول)
اى تعلن بالقول فى ذكر او دعاء فالله تعالى غنى عن الجهر به (فانه يعلم السر واخفى) قال الحسن
فى السر ما اسر الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسر فى نفسه وعن ابن عباس السر ما تسر
فى نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله تعالى فى قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك
لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر غدا وقال على
ابن ابى طلحة عن ابن عباس السر ما اسر ابن آدم فى نفسه واخفى ما خفى عليه مما هو فاعله قبل
ان يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذى يسر من الناس واخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة
واخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن اسلم يعلم اسرار العباد واخفى سره من
عباده فلا يعلمه احد ثم لما ذكر صفاته وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله
تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها روى ان لله
تعالى اربعة آلاف اسم ألف لا يعلمها الا هو وألف لا يعلمها الا الله والملائكة وألف لا يعلمها
الا الله والملائكة والانبياء واما الالف الرابعة فالمؤمنون يعلمونها فثلثمائة منها فى التورية
وثلثمائة فى الانجيل وثلثمائة فى الزبور ومائة فى القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد
مكتوم من احصاها دخل الجنة وذكر فى لا اله الا الله فضائل كثيرة اذكر بعضها واسأل الله
تعالى ان يجعلنا وجميعنا من أهلها روى انه صلى الله عليه وسلم قال افضل الذكر لا اله الا الله
وافضل الدعاء استغفر الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ملكا من
الملائكة قبل ان يخلق السموات والارض وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله مادا بها صوته
لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها امر اسرافيل بالنفخ فى الصور وقامت القيامة
تعظيما لله وعن انس قال صلى الله عليه وسلم ما زلت اشفع الى ربى ويشفعنى واشفع اليه
ويشفعنى حتى قلت يا رب شفعنى فيمن قال لا اله الا الله فقال يا محمد ليست هذه لك ولا لاحد وعزتى
وجلالى لا ادع احدا فى النار قال لا اله الا الله وقال سفيان الثورى سألت جعفر بن محمد
عن حم عسق فقال الحاء حلمه والميم ملكه والعين عظمته والسين سناؤه والقاف قدرته يقول الله
عز وجل بحلمى وملكى وعظمتى وسنائى وقدرتى لا اعذب بالنار من قال لا اله الا الله محمد
رسول الله وروى عن موسى عليه السلام انه قال يا رب علمنى شيئا اذكرك به قال قل لا اله الا الله
قال انما اردت شيئا تخصنى به قال يا موسى لو ان السموات السبع ومن فوقهن فى كفة ولا اله
الا الله فى كفة لمالت بهن لا اله الا الله وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ألم تر كيف ضرب
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة انها لا اله الا الله اليه يصعد الكلم الطيب لا اله الا الله
وتواصوا بالحق لا اله الا الله قل انما اعظكم بواحدة لا اله الا الله وقفوهم انهم مسئولون عن
قول لا اله الا الله بل جاء بالحق وصدق المرسلين هو لا اله الا الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة هو لا اله الا الله ويضل الله الظالمين عن قول لا اله الا الله
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى السوق لا اله الا الله وحده

قال ذلك هنا بالواو موافقة
للمصحف [illegible] فيما زاده هنا
بقوله وبذلك كرم الانسان [illegible]
[illegible]

لتشقى) اى لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل اى خفف عن نفسك فقد
ورد انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبق على
نفسك فان لها عليك حقا ما أنزلناه لتنهك نفسك بالصلاة وتذيقها المشقة وما بعثت الا بالحنيفية
السمحة وروى انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام وقيل لما رأى المشركون
اجتهاده فى العبادة قالوا انك لتشقى حيث تركت دين آبائك اى لتعنى وتتعب وما أنزل عليك
القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت واصل الشقاء فى اللغة العناء وقيل المعنى انك لا تلام على
كفر قومك كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر وقوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل اى انك لا تؤاخذ
بذنبهم وقيل ان هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك
الوقت مقهورا تحت ذل الاعداء فكأنه تعالى قال لا تظن انك تبقى أبدا على هذه الحالة بل
يعلو امرك ويظهر قدرك فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتبقى شقيا فيما بينهم بل لتصير معظما
مكرما وقرأ حمزة والكسائى بالامالة وأبو عمرو بين بين وورش بين اللفظين والفتح عنده ضعيف
جدا وكذا جميع رؤس آى هذه السورة من ذوات الياء وقوله تعالى (الا تذكرة) استثناء
منقطع اى لكن انزلناه تذكرة قال الزمخشرى فان قلت هل يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل
لتشقى قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذى الا فيه بمعنى لكن
(لمن يخشى) اى لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار أو لمن علم الله تعالى منه أن يخشى
بالتخويف منه فانه المنتفع به وقوله تعالى (تنزيلا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (ممن خلق
الارض) اى من الله الذى خلق الارض (والسموات العلى) اى العالية الرفيعة التى لا يقدر
على خلقها فى عظمها غير الله تعالى والعلى جمع عليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغر وقدم
الارض على السموات لانها أقرب الى الحس واظهر عنده من السموات ثم اشار الى وجه
احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش وأجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه
الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال تعالى (الرحمن
على العرش) وهو سرير الملك (استوى) اى استواء يليق به فانه سبحانه وتعالى كان ولا عرش
ولا مكان واذا خلق الخلق لا يحتاج الى مكان فهو بالصفة التى كان لم يزل عليها وتقدم
الكلام على ذلك فى سورة الاعراف مستوفى فراجعه ثم استدل سبحانه وتعالى على كمال قدرته
بقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) فهو مالك لما فى
السموات من الملك والنجم وغيرهما ومالك لما فى الارض من المعادن والفلوات ومالك لما بينهما
من الهواء ومالك لما تحت الثرى وهو التراب الندى والمراد الارضون السبع لانها تحته وقال
ابن عباس ان الارضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش
والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكر الله تعالى فى قصة لقمان
فتكن فى صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل
وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله تعالى البحار بحرا واحدا سالت فى جوف ذلك الثور فاذا
وقعت فى جوفه يبست وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بالامالة وورش بين اللفظين وكذا جميع
رؤس آى السورة من ذوات الراء ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب

الملائكة من ريح خلقها
من الماء والجن من نار
خلقها من الماء وآدم من
تراب خلقه من الماء (قوله
كل نفس ذائقة الموت)
الى قوله واليه ترجعون
اى الى الجنة او النار

ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا تدري أليلا أم نهارا فسار في البرية غير عارف
بطرقها فألجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد وقيل كانت
ليلة الجمعة وأخذت امرأته في الطلق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وجعل يقدح زنده فلا يوري
فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أي أقيموا في
مكانكم والخطاب لامرأته وولدها والخادم ويجوز أن يكون لامرأته وحدها خرج على ظاهر
لفظ الأهل فإن الأهل يقع على الجمع وأيضا فيخاطب الواحد بلفظ الجمع تفخيما وقرأ حمزة
بضم الهاء في الوصل والباقون بالكسر (إني آنست) أي أبصرت (نارا) والإيناس الإبصار
البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يتبين به الشيء والإنس لظهورهم كما قيل الجن
لاستتارهم وقيل إبصار ما يؤنس به ولما وجد منه الإيناس وكان منتفيا حققه لهم بكلمة إن
ليوطن نفوسهم ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الأمر فيهما
على الرجاء والطمع فقال (لعلي آتيكم منها بقبس) أي بشعلة في رأس [illegible] عود أو [illegible]
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء في إني ولعلي [illegible] والباقون بالسكون إلا عاصما
ففتح لعلي مع من ذكرهم [illegible] (أو أجد على النار هدى) أي هاديا يدلني على
الطريق ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه في مررت بزيد إنه لصوق بمكان يقرب من زيد أو لأن المصطلين بها [illegible] إذا [illegible]
كانوا مشرفين عليها ونال بعضهم النار [illegible] تأكل [illegible] ولا [illegible]
تشرب ولا تأكل وهي النار في الشجر الأخضر [illegible]
الأخضر نارا ونار [illegible]
السلام وقيل أيضا النار أربعة أصناف [illegible]
لها حرقة بلا نور وهي نار [illegible]
ولها الإحراق ولا نور وهي نار الأشجار [illegible]
[illegible] على أصولها [illegible]
النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء [illegible]
كأضوإ ما يكون [illegible] شجرة [illegible] النار [illegible]
خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود [illegible]
مقاتل وقتادة والكلبي كانت من العوسج وقال وهب كانت [illegible]
أكثر المفسرين أن الذي رآه موسى لم يكن نارا بل كان من نور الرب تعالى [illegible]
وعكرمة وغيرهما ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه السلام حسبه نارا [illegible]
الملائكة ورأى نورا عظيما قال وهب ظن موسى أنها نار أوقدت فأخذ [illegible]
الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمال إليه كأنها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم تزل تطمعه
ويطمع فيها ثم لم يكن بأسرع من خمودها كأنها لم تكن ثم رمى موسى ببصره إلى فروعها فإذا
خضرتها ساطعة في السماء وإذا نور بين السماء والأرض له شعاع تكل عنه الأبصار فلما
رأى موسى عليه السلام ذلك وضع يده على عينيه وألقيت عليه السكينة (نودي يا موسى إني

لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا في الجنة قال الرازي وفي الحديث ينبغي لأهل لا إله إلا الله أن يحافظوا على أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا إله إلا الله التصديق والتعظيم والحلاوة والحرمة فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له الحلاوة فهو مراء ومن ليس له الحرمة فهو فاجر وكذاب وحكي أن بشرا الحافي رأى كاغدا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه وطيبه بالمسك فرأى في النوم كأنه نودي يا بشر طيبت اسمنا فنحن نطيب اسمك في الدنيا والآخرة وذكر أن حمدان كان يصيد السمك وكانت ابنته تطرحها في الماء وتقول إنها وقعت في الشبكة لغفلتها الهنا إن السمكة كانت ترحم غفلتها وكانت تلقيها مرة أخرى في البحر ونحن قد اصطادتنا وسوسة الشيطان وأخرجتنا من بحر رحمتك فارحمنا بفضلك وخلصنا منه والقنا في بحار رحمتك مرة أخرى وعن محمد بن كعب القرظي قال قال موسى الهي أي خلقك أكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا من ذكري قال فأي خلقك أعظم قال الذي يلتمس الى علمه علم غيره قال فأي خلقك أعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فأي خلقك أعظم جرما قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيت له الهنا إنا لا نتهمك فإنا نعلم أن كل ما أحسنت به فهو فضل وكل ما لا تفعله فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أفعالنا وأعمالنا وعن ابن عباس إذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أولى بالكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي مناد أين الحامدون الله كثيرا على كل حال ثم يكون الحساب على من بقي المذنبين حمدناك وأثنينا عليك بمقدار طاقتنا ومنتهى قدرتنا فاعف عنا بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين ولما عظم الله تعالى حال القرآن وحال رسوله صلى الله عليه وسلم بما كلفه أتبع ذلك بما يقوي قلب رسوله صلى الله عليه وسلم من ذكر أحوال الأنبياء تقوية لقلبه في الإبلاغ كقوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وبدأ بموسى عليه السلام لأن فتنته كانت أعظم ليتسلى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويصبر على تحمل المكاره فقال تعالى (وهل أتاك حديث موسى) وهذا يحتمل أن يكون هذا أول ما أخبر به من أمر موسى فقال وهل أتاك أي لم يأتك الى الآن فتنبه له وهذا قول الكلبي ويحتمل أن يكون قد أتاه ذلك في الزمان المتقدم فكأنه قال أليس قد أتاك وهذا قول مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وإن كان على لفظ الاستفهام الذي لا يجوز على الله تعالى لكن المقصود منه تقرير الخبر في قلبه وهذه الصورة أبلغ في ذلك كقولك لصاحبك هل بلغك عني كذا فيتطلع السامع الى معرفة ما يومئ اليه ولو كان المقصود هو الاستفهام لكان الجواب يصدر من قبل موسى لا من قبل الله تعالى وقيل إن هل بمعنى قد وجرى على ذلك الجلال المحلي تبعا للبغوي وقوله تعالى (إذ رأى) يجوز أن يكون منصوبا بالحديث وهو الظاهر ويجوز أن ينصب باذكر مقدرا أي واذكر إذ رأى (نارا) وذلك أن موسى عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام في الرجوع من مدين الى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة

ثم في نسخة بدل ما زاده هنا اختصارا (قوله بل فعله كبيرهم هذا) فإنه استهزاء وتهكم بكونهم اتخذوها آلهة وإلا فالاقتصار عليه نفسه أولها كان الكامل لعل القصد تعظيمهم

التعلق المعنوى من حيث الصلاحية وأما تقدير الصناعة فلم يعنه وقوله تعالى (انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل وفى هذه الآية دلالة على ان علم أصول الدين مقدم على علم الفروع لان التوحيد من علم الاصول والعبادة من علم الفروع وأيضا فالفاء فى قوله تعالى فاعبدنى تدل على ان عبادته انما لزمت لالهيته وخص الصلاة بالذكر وأفردها فى قوله تعالى (وأقم الصلاة لذكرى) لعلة التى أناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وأمرت بها وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أو لذكر صلاتى لما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة أو نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله يقول وأقم الصلاة لذكرى وقيل لان أذكرك بالثناء والمدح واجعل لك لسان صدق عليا وقيل لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى ولما خاطب تعالى موسى عليه السلام بقوله تعالى فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى أتبعه بقوله تعالى (ان الساعة آتية) اى كائنة (أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسى فكيف يعلمها غيرى من الخلق وكيف أظهرها لكم ذكر تعالى على عادة العرب اذا بالغوا فى كتمان الشئ يقول الرجل كتمت سرى من نفسى اى أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شئ والمعنى فى اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت لان الله تعالى وعد قبول التوبة فلو عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصى الى ان يقرب ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصى بتعريف وقت موته ولو عرف وقت الموت كان اغراء بفعل المعصية فاذا لم يعلم وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصى أو يتوب منها فى كل وقت خوف معاجلة الاجل وقال أبو مسلم أكاد بمعنى أريد وهو كقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ومن أمثالهم المتداولة لا أفعل ذلك ولا أكاد اى لا أريد أن أفعله وقال الحسن ان أكاد من الله واجب فمعنى قوله تعالى أكاد أخفيها اى أنا أخفيها عن الخلق كقوله تعالى عسى أن يكون قريبا اى هو قريب وقيل أكاد صلة فى الكلام والمعنى ان الساعة آتية أخفيها قال زيد الخيل

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه ✽ فما ان يكاد قرنه يتنفس

اى فما ان يتنفس قرنه وقوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) اى تعمل من خير أو شر متعلق بآتية واختلف فى الخاطب بقوله تعالى (فلا يصدنك) اى يصرفنك (عنها من لا يؤمن بها) فقيل وهو الاقرب كما قاله الرازى انه موسى عليه السلام لان الكلام أجمع خطاب له وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم واختلف أيضا فى ودهفى الضمير بن على وجهين أحدهما قال أبو مسلم لا يصدنك عنها اى عن الصلاة التى أمرتك بها من لا يؤمن بها اى بالساعة فالضمير الاول عائد الى الصلاة والثانى الى الساعة ومثل هذا جائز فى اللغة فالعرب تلف الضميرين ثم ترمى بجوابهما ثقة لرد السامع الى كل خبر حقه ثانيهما قال ابن عباس فلا يصدنك عن الساعة أى عن الايمان بها من لا يؤمن بها فالضميران عائدان الى يوم القيامة وهذا أولى لان الضمير يعود

قاله هنا بلفظ الاخسرين وفى الصافات بلفظ الاسفلين لان ما هنا قصده ان ابراهيم كادهم وما نواه غلبهم فى المجادلة [illegible]

أنا ربك) قال وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فأجاب سريعا ولم يدر من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله تعالى فأيقن به وقيل إنه سمع بكل أجزائه حتى أن كل جارحة منه كانت أذنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة من أني على تقدير الباء أي بأني لأن النداء يوصل بها تقول ناديته بكذا وأنشد الفارسي قول الشاعر

ناديت باسم ربيعة بن مكدم ❊ إن المنوه باسمه الموثوق

ويجوز أن عطية أن تكون بمعنى لأجل وليس بظاهر والباقون بالكسر إما على إضمار القول كما هو رأي البصريين أي فقيل وإما لأن النداء في معنى القول عند الكوفيين وقوله تعالى أنا يجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر أن ويجوز أن يكون توكيدا للضمير المنصوب ويجوز أن يكون فصلا وروي ابن مسعود مرفوعا في قوله تعالى (فاخلع نعليك) إنهما كانا من جلد حمار ميت ويروى غير مدبوغ فأمر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقال عكرمة ومجاهد إنما أمر بذلك ليباشر بقدميه تراب الأرض المقدسة فتناله بركتها ويدل لذلك أنه قال تعالى عقبه (إنك بالوادي المقدس) أي المطهر أو المبارك فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي هذا ما قاله أهل التفسير وذكر أهل الإشارة في ذلك وجوها أحدها أن النعل في النوم يعبر بالزوجة فقوله فاخلع نعليك إشارة إلى أنه لا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد وأن لا يبقى مشغول القلب بأمرهما ثانيها المراد بخلع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه أمره أن يصير مستغرق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى فلا يلتفت إلى المخلوقات ثالثها أن الإنسان حال الاستدلال على وجود الصانع لا يمكنه أن يتوصل إليه إلا بمقدمتين مثل أن يقول العالم المحسوس محدث وكل ما كان كذلك فله مؤثر ومدبر وصانع فهاتان المقدمتان شبيهتان بالنعلين لأن بهما يتوصل العقل إلى المقصود وينتقل من النظر في الخلق إلى معرفة الخالق ثم بعد الوصول إلى معرفة الخالق وجب أن لا يبقى ملتفتا إلى تلك المقدمتين فكأنه قيل لا تكن مشتغل الخاطر بتلك المقدمتين فإنك وصلت إلى الوادي المقدس الذي هو بحر معرفة الله تعالى وقوله تعالى (طوى) بدل أو عطف بيان وقرأ هنا وفي النازعات نافع وابن كثير وأبو عمرو بغير تنوين فهو ممنوع من الصرف باعتبار البقعة مع العلمية وقيل لأنه معدول عن طاو فهو مثل عمر المعدل عن عامر وقيل إنه اسم أعجمي ففيه العلمية والعجمة والباقون بالتنوين فهو مصروف باعتبار المكان ففيه العلمية فقط وعند هؤلاء ليس بأعجمي وقوله تعالى (وأنا اخترتك) أي اصطفيتك للرسالة من قومك قرأ حمزة بتشديد النون من أنا وقرأ اخترناك بنون بعدها ألف بلفظ الجمع والباقون بتاء مضمومة وقوله تعالى (فاستمع لما يوحى) أي إليك مني فيه نهاية الهيبة والجلالة كأنه تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفا إليه وفي قوله تعالى وأنا اخترتك نهاية اللطف والرحمة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف ❊ (تنبيه) ❊ يجوز في لام لما أن تتعلق باستمع وهو أولى وأن تكون مزيدة في المفعول على حد قوله تعالى ردف لكم وجوز الزمخشري أن يكون ذلك من باب التنازع ونازعه أبو حيان بأنه لو كان كذلك لأعاد الضمير مع الثاني فكان يقول فاستمع له لما يوحى وأجيب عنه بأن مراد

(قلت) خطاب لا يعقل والتكوين الهويل لا يختص بمن يعقل كما قال تعالى يا جبال أوبي معه وقال فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها وقال وقيل يا أرض ابلعي ماءك الآية (قوله وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين)

عليه السلام هذه المنزلة فان عجبا لو انقلب قلب المؤمن بسبب اصبعى الرحمن من ظلمة المعصية
الى نور العبودية * ولما سأل تعالى موسى عليه السلام عن ذلك اجاب باربعة أشياء ثلاثة على
التفصيل وواحد على الاجمال أولها (قال هي عصاى) وقد تم الجواب بذلك الا أنه عليه السلام
ذكر الوجوه الاخر لانه كان يحب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى تحصيل هذا الغرض
ثانيها قوله (أتوكأ) أى أعتمد (عليها) اذا مشيت واذا اعييت واذا وقفت على رأس القطيع
وعند الطفرة ثالثها قوله (وأهش) أى أخبط ورق الشجرة (بها) ليسقط (على غنمى) لتأكله
فبدأ عليه السلام أولا بمصالح نفسه فى قوله أتوكأ عليها ثم بمصالح رعيته فى قوله أهش بها على
غنمى وكذلك فى القيامة يقول نفسى نفسى ومحمد صلى الله عليه وسلم يشتغل فى الدنيا الا
باصلاح أمر الامة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فلا جرم
يوم القيامة يبدأ أيضا بأمته فيقول أمتى أمتى رابعها قوله (ولى فيها مآرب) جمع مأربة
بتثليث الراء وهى الحاجة (أخرى) كحمل الزاد والسقى وطرد الهوام وانما أجمل فى
المآرب رجاء أن يسأله ربه عن تلك المآرب فيسمع كلام الله تعالى مرة أخرى ويطول امر
المكالمة بسبب ذلك وقيل انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقيل اسم العصا نبعة وقيل فى المآرب
كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين
واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها اداوته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان فى
البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل والزندين بفتح الزاى
تثنية زند وزندة والزند العود الاعلى الذى تقدح به النار والزندة السفلى فيها ثقب فاذا اجتمعا
قيل زندان ولم يقل زندتان واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل
كان فيها من المعجزات أنه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا ويكونان
شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت وأثمرت وكان يحمل
عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام
وروى عن ابن عباس أنها كانت تماشيه وتحدثه ولما ذكر موسى هذه المرادات لربه (قال)
له (ألقها) اى انبذها (يا موسى فالقاها فاذا هى حية) اى ثعبان عظيم (تسعى) اى تمشى على
بطنها سريعا وههنا نكت خفية احداها أنه عليه السلام لما قال ولى فيها مآرب أخرى أراد الله
تعالى أن يعرفه ان فيها مآرب لا يفطن لها ولا يعرفها وانها أعظم من سائرها وأربى ثانيها
كان فى رجله شئ وهو النعل وفى يده شئ وهو العصا فالرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فقال
أولا فاخلع نعليك اشارة الى ترك الهرب ثم قال ألقها وهو اشارة الى ترك الطلب كأنه تعالى
قال انك مادمت فى مقام الهرب والطلب كنت مشتغلا بنفسك طالبا لحظك فلا تكن خالصا
لمعرفتى فكن تاركا للهرب والطلب تكن خالصا لى ثالثها ان موسى عليه السلام مع علو
درجته وكمال صفته لما وصل الى الحضرة ولم يكن معه الا النعلان والعصا أمره بالقائهما حتى
أمكنه الوصول الى الحضرة فانت فى ألف وقر من المعاصى فكيف يمكنك الوصول الى جنابه
(فان قيل) كيف قال ههنا حية وفى موضع آخر جان وهى الحية اللطيفة الصغيرة وقال فى
موضع آخر ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات (اجيب) بان الحية اسم جنس يقع على الذكر

الى اسفل فرفعه الله
وجعلهم فى المناصب
الاسفلين وردهم فى العقبى
اسفل السافلين فناسب
ذكر الاسفلين (قوله
وايوب اذ نادى ربه) الآية
ختم القصة هذا بقوله من

الى أقرب المذكورات وههنا الاقرب هو الساعة وما قاله أبو مسلم انما يصار اليه عند الضرورة
ولا ضرورة ههنا * (تنبيه) * المقصود من ذلك نهي موسى عليه السلام عن التكذيب
بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهي من لم يؤمن عن صد موسى وفيه وجهان أحدهما
ان صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على حمله على المسبب
الثاني ان صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليدل على السبب
كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهي المخاطب عن حضوره لا أن يراه هو فالمراد نهيه عن
المذكور كأن صد الكافر مسبب عن الرخاوة والضعف في الدين فقيل لا تكن رخوا بل كن
شديدا صليبا حتى لا يلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه (واتبع
هواه) اى ميل نفسه الى اللذات المحبوبة المخدجة لقصر نظره عن غيرها وخالف أمر الله
(فتردى) اى فتهلك ان انصددت عنها وما في قوله تعالى (وما تلك بيمينك) مبتدأ استفهامية
وتلك خبره وبيمينك حال من معنى الاشارة وقوله تعالى (يا موسى) تكرير لانه ذكره قبل في قوله
تعالى نودي يا موسى وبعد في مواضع كالقها يا موسى لزيادة الاستئناس والتنبيه (فان قيل)
السؤال انما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال فما الفائدة في ذلك (أجيب) بان في ذلك
فوائد الاولى توقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة وهذا على عادة
العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك أنه يعرفه ويريد أن يضم اقراره بلسانه
الى معرفته بقلبه الثانية ان يقرر عنده انها خشبة حتى اذا قلبها ثعبانا لا يخافها الثالثة انه
تعالى لما أراه تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه كلام نفسه ثم أورد عليه
التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد العظيم تحير موسى عليه السلام ودهش
فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى وتكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة
(فان قيل) هذا خطاب من الله تعالى لموسى بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد صلى الله عليه
وسلم (أجيب) بالمنع فقد خاطبه في قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى الا أن الذي ذكره مع
موسى عليه السلام أفشاه الى الخلق والذي ذكره مع محمد صلى الله عليه وسلم كان سرا لم يؤهل
له أحد من الخلق وأيضا ان كان موسى تكلم معه فأمة محمد يخاطبون الله تعالى في كل يوم
خمس مرات على ما قاله صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه والرب يتكلم مع آحاد أمة محمد يوم
القيامة بالتسليم والتكريم لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم * (تنبيه) * قوله تعالى وما
تلك اشارة الى العصا وقوله تعالى بيمينك اشارة الى اليد وفي هذا نكت ذكرها الرازي رحمه
الله تعالى الاولى أنه تعالى لما أشار اليهما جعل كل واحد منهما معجزة قاهرة وبرهانا
ساطعا ونقله من حد الجمادية الى مقام الكرامة فاذا صار الجماد بالنظر الواحد حيوانا وصار
الجسم الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر كل يوم ثلثمائة وستين مرة الى قلب العبد
فأي عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان الى السعادة بالطاعة ونور المعرفة ثانيها ان بالنظر
الاول الواحد صار الجماد ثعبانا فابتلع سحر السحرة فأي عجب لو صار القلب ثعبانا فابتلع سحر
النفس الامارة بالسوء ثالثها ان العصا كانت في يمين موسى عليه السلام فبسبب بركته
انقلبت ثعبانا وبرهانا وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا حصلت ليمين موسى

يطغوا من امر الله سيرايهم
فناسب ذكر الاخسرين
وما في والصافات تقدمه
قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في
الجحيم فاججوا نارا عظيمة
وبنوا بنيانا عظيما ورفعوا
ابراهيم اليه ورموه منه

عند الطيران وجناحا الانسان عضداه فعضداه يشبهان جناحي الطائر ولانه قال تخرج بيضاء
ولو كان المراد بالجناح الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكنى
به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة والبرص أبغض شيء الى العرب ولهم عنه نفرة عظيمة
واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا اظرف ولا أخف
من المفاصل من كنايات القرآن وآدابه روى ان موسى عليه السلام كان شديد الادمة فكان
اذا ادخل يده اليمنى في جيبه فادخلها في ابطه الايسر وأخرجها فكانت تبرق مثل البرق
وقيل مثل الشمس من غير مرض ثم اذا ردها عادت الى لونها الاول من غير نور وقوله تعالى (آية
أخرى) أي معجزة ثانية حال من ضمير تخرج كبيضاء وقوله تعالى (لنريك) متعلق بما دل عليه
آية أي دللنا بها لنريك وقوله تعالى (من آياتنا الكبرى) أي العظمى على رسالتك متعلق
بمحذوف على أنه حال من الكبرى والكبرى مفعول ثان لنريك والتقدير لنريك الكبرى
حال كونها من آياتنا أي بعض آياتنا واختلف أي الآيتين أعظم في الاعجاز قال الحسن اليد
لانه تعالى قال لنريك من آياتنا الكبرى والذي عليه الاكثر أن العصا أعظم اذ ليس في اليد
الا تغير اللون وأما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة
والاعضاء المختلفة وابتلاع الحجر والشجر ثم اعادتها عصا بعد ذلك فقد وقع التغير في كل هذه
الامور فكانت العصا أعظم وأما قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى فقد ثبت انه عائد الى
الكلام وانه غير مختص باليد (فان قيل) لم لم يقل تعالى من آياتنا الكبر (أجيب) بان ذلك
ذكر لرؤس الآي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى وهذا التقدير
يقوي قول القائل بان اليد أعظم آية ولما أظهر سبحانه وتعالى لموسى هذه الآيات عقبها
بامره بالذهاب الى فرعون بقوله تعالى (اذهب) أي رسولا (الى فرعون) وبين تعالى العلة في
ذلك بقوله تعالى (انه طغى) أي جاوز الحد في كفره الى أن ادعى الالهية وانما خصه الله تعالى
بالذكر مع انه عليه السلام مبعوث الى الكل قال وهب قال الله تعالى لموسى عليه السلام
اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي ونصري واني
ألبستك جبة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري أبعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر
نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وأنكر ربوبيتي أقسم بعزتي لولا الحجة التي
وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي
وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي
لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى عليه السلام سبعة أيام
لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال أجب ربك فيما أمرك فعند ذلك (قال رب اشرح لي صدري) أي
وسعه لتحمل الرسالة قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك والسبب في هذا السؤال ما حكى
الله تعالى عنه في موضع آخر بقوله قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق
لساني وذلك أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون اللعين خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة
جنوده وكان يضيق صدرا بما كلف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه
حتى يعلم ان أحدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة

من
نفسه ولا مبالغة في
نفسه ولذكرها العدم
فناسب
دلالته على ما دل عليه
عندنا (قوله فنفخنا فيها)
أي في جيب درعها الجيب
ومشافهة واهداد ... والفمه
فقال فنفخنا
في ...

والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات كما مر والجان الدقيق وفى ذلك وجهان أحدهما انها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فاريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها الثانى أنها كانت فى شخص الثعبان وسرعة حركة الجان لقوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان قال وهب لما ألقى العصا على وجه الارض نظر اليها فاذا هى حية تسعى صفراء من أعظم ما يكون من الحيات تمشى بسرعة لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعا صارت شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلتقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لانيابها صريف فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم نودى يا موسى ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال) تعالى له (خذها) أى بيمينك (ولا تخف) وكان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بعيدان فلما قال تعالى له خذها لف طرف المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له الملك أرأيت ان أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغنى عنك شيأ قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية فاذا هى عصا كما كانت ويده فى شعبتيها فى الموضع الذى كان يضعها اذا توكأ عليها كما قال تعالى (سنعيدها سيرتها الاولى) وقد أظهر الله تعالى فى هذه العصا معجزات لموسى عليه السلام منها انقلاب العصا حية ومنها وضع يده فى فم الحية من غير ضرر ومنها انقلابها خشبة مع الامارات التى تقدمت * (تنبيه) * فى نصب سيرتها أوجه أحدها أن تكون منصوبة على الظرف أى فى سيرتها أى طريقتها ثانيها على البدل من ها سنعيدها بدل اشتمال لان السيرة الصفة أى سنعيدها صفتها وشكلها ثالثها على اسقاط الخافض أى الى سيرتها وقيل غير ذلك (فان قيل) لما نودى يا موسى وخص بتلك الكرامات العظيمة وعلم انه مبعوث من عند الله تعالى الى الخلق فلماذا خاف (اجيب) عن ذلك بأوجه أحدها ان ذلك الخوف كان من نفرة الطبع لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم بدلائل العقول ثانيها انما خافها لانه عليه السلام عرف ما لقى آدم عليه السلام منها ثالثها ان مجرد قوله ولا تخف لا يدل على حصول الخوف كقوله تعالى ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا يدل عليه ولكن ذلك الخوف انما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فانه ما اظهر الرغبة فى الجنة ولا النفرة عن النار وقوله تعالى (واضمم يدك) أى اليمنى (الى جناحك) أى جنبك الايسر تحت العضد الى الابط (تخرج بيضاء) أى نيرة مشرقة تضىء كشعاع الشمس تغشى البصر لا بد فيه من حذف والتقدير واضمم يدك تنضم وأخرجها تخرج فحذف من الاول والثانى وأبقى مقابليهما ليدلا على ذلك ايجازا واختصارا وانما احتيج الى هذا لانه لا يترتب على مجرد الضم الخروج وبيضاء حال من فاعل تخرج وقوله تعالى (من غير سوء) متعلق بتخرج وروى عن ابن عباس الى جناحك الى صدرك والاول أولى كما قال الرازى لانه يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لطرفيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما أى يميلهما

قوله من عندنا وخفناك هناك مثلا لان ايوب بالغ هناك بقوله وانت ارحم الراحمين فبالغ تعالى فى الاجابة فناسب ذكر من عندنا الان عند ذلك فيدل على انه تعالى تولى ذلك

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ٭ فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقالوا ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مرسلة أي لو ذهب النطق اللساني لم يبق من الانسان الا القدر الحاصل في البهائم وقالوا المرء باصغريه قلبه ولسانه وقالوا المرء مخبوء تحت لسانه ثالثها ان في مناظرة آدم عليه السلام مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض ٭ ولما رأى موسى عليه السلام أن التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة قربة عظيمة في الدعاء الى الله تعالى طلب المعاونة على ذلك بقوله (واجعل لي وزيرا) اى معينا على الرسالة ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله وقال محمد صلى الله عليه وسلم ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبريل وميكائيل واللذان في الارض أبو بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تعالى بالامير خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا أعانه وان أراد شرا كفه وقال أنوشروان لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير ٭ ولما كان التعاون على الدين منقبة عظيمة أراد أن لا تحصل هذه الدرجة الا لاهله فقال (من أهلي) اى أقاربي وقوله (هرون) قال الجلال المحلي مفعول ثان وقوله (أخي) عطف بيان وذكر غيره أعاريب غير ذلك لا حاجة لنا بذكرها ٭(تنبيه)٭ الوزير مشتق من الوزر لانه يحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره أو من الموازرة وهي المعاونة قال الرازي وكان هرون مخصوصا بأمور منها الفصاحة لقول موسى هو أفصح مني لسانا ومنها الرفق لقول هرون يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ومنها أنه كان أكبر سنا منه وقال ابن عادل كان أكبر سنا من موسى بأربع سنين وكان أفصح لسانا منه وأجمل وأوسم أبيض اللون وكان موسى آدم اللون أقنى جعدا ٭ ولما طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يجعل هرون وزيرا له طلب منه أن يشد أزره بقوله (اشدد به أزري) اى أقوّ به ظهري (وأشركه في أمري) اى في النبوة والرسالة وقرأ ابن عامر بسكون الياء من أخي وهمزة مفتوحة من أشدد وهو على مرتبته في المد وهمزة مضمومة من أشركه وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء من أخي وهمزة وصل من اشدد وأشركه بهمزة مفتوحة والباقون بسكون الياء من أخي وهمزة وصل من اشدد وفتح الهمزة من أشركه ثم انه تعالى حكى عنه ما لاجله دعا بهذا الدعاء فقال (كي نسبحك) تسبيحا (كثيرا) قال الكلبي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك والتسبيح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عما لا يليق به (ونذكرك) ذكرا (كثيرا) أي نصفك بصفات الكمال والجلال والكبرياء وجوّز أبو البقاء أن يكون كثيرا نعتا لزمان محذوف أي زمانا كثيرا (انك كنت بنا بصيرا) أي عالما بأنا لا نريد بهذه الطاعات الا وجهك ورضاك أو بصيرا بأن الاستعانة بهذه الاشياء لاجل حاجتي في النبوة اليها أو بصيرا بوجوه مصالحنا فأعطنا ما هو الاصلح لنا ٭ ولما سأل موسى عليه السلام ربه تلك الامور المتقدمة وكان من المعلوم أن قيامه بما كلف به لا يتم الا باجابته اليها لاجرم (قال) الله تعالى (قد أوتيت سؤلك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته منا عليك لما فيه من

مدخولها النبي مرتبا على ما قبلها بل هو واقع قبله ومن قال الخطاب مع المؤمنين فما ادعوه اعلى العبادة والخطاب ثم النبي والمضغة بابل قوله قبل يا أيها الرسل كلوا من

شوكته وكثرة جنوده وقيل اشرح لي صدري بالفهم عنك ما أنزلت علي من الوحي (ويسر) أي سهل (لي أمري) أي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون وذلك لان كل ما يصدر من العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكنات فالله تعالى هو الميسر له (فان قيل) قوله في اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جدواه والامر مستتم بدونه (أجيب) بانه قد أبهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح لصدره والتيسير لامره من أن يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل (واحلل عقدة من لساني) قال ابن عباس كان في لسانه عليه السلام رتة وذلك ان موسى عليه السلام كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته ان هذا عدوي وأراد ان يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل ولا يميز وفي رواية ان أم موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو ذات يوم يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير بضربه حتى هم بقتله فقالت آسية أيها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر فأراد ان يأخذ الجوهر فأخذ جبريل بيد موسى عليه السلام فوضعها على النار فأخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة وقيل قرب اليه تمرة وجمرة فأخذ الجمرة فجعلها في فيه فاحترق لسانه ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انه لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة وقيل كان ذلك التعقد خلقة فسأل الله تعالى ازالته واختلفوا في انه لم طلب حل تلك العقدة فقيل لئلا يقع خلل في أداء الوحي وقيل لئلا يستخف بكلامه فينفروا عنه ولا يلتفتوا اليه وقيل لاظهار المعجزة كما أن حبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام كان معجزا في حقه فكذا اطلاق لسان موسى معجز في حقه واختلفوا في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله وأخي هرون هو أفصح مني لسانا وقول فرعون ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقال الحسن زالت بالكلية لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى وضعف هذا الرازي بانه عليه السلام لم يقل واحلل العقد من لساني بل قال واحلل عقدة من لساني فاذا حل عقدة واحدة فقد آتاه الله سؤله قال والحق أنه انحل أكثر العقد وبقي منها شئ وقال الزمخشري وفي تنكير العقدة ولم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا أي ولذا قال (يفقهوا) أي يفهموا (قولي) عند تبليغ الرسالة ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لساني (تنبيه) استدل على أن في النطق فضيلة عظيمة بوجوه أولها قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان فماهية الانسان هي الحيوان الناطق ثانيها اتفاق العقلاء على تعظيم أمر اللسان قال زهير

فيه (قوله فاعبدون وتقطعوا) قال ذلك هنا وقال في المؤمنين فاتقون وتقطعوا لان الخطاب هنا للكفار فأمرهم بالعبادة التي هي التوحيد ثم قال وتقطعوا بالواو لا بالفاء لان

الماء بساحله أي بشطه إذا علاه. وقوله تعالى (يأخذه عدو لي وعدو له) أي فرعون جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع أي سيصير عدوا له بعد ذلك فإنه لم يكن في ذلك الوقت بحيث يعادى روي أنها اتخذت تابوتا قال مقاتل إن الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وجعلت في التابوت قطنا محلوجا ووضعته فيه وجصصته وقيرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو جالس على رأس بركة مع آسية بنت مزاحم إذا بتابوت يجري به الماء فأمر فرعون الغلمان والجواري بإخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه كما قال تعالى (وألقيت عليك محبة مني) وهذه هي المنة الثانية قال الزمخشري مني لا يخلو إما أن يتعلق بألقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وإما أن يتعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة أي محبة خالصة أو واقعة مني قد ركزتها أنا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك أحبك فرعون وآسية حتى قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه وروي أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه وهو كقوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا. المنة الثالثة قوله تعالى (ولتصنع على عيني) أي تربى على رعايتي وحفظي لك فأنا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ويقول للصانع اصنع هذا على عيني أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ٭ (تنبيه) ٭ ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتلطف بك ولتصنع أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرأ بفتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون. المنة الرابعة قوله تعالى (إذ تمشي أختك) والعامل في إذ ألقيت أو تصنع ويجوز أن يكون بدلا من إذ أوحينا واستشكل بأن الوقتين مختلفان متباعدان (وأجيب) بأنه يصح مع اتساع الوقت كما يصح أن يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأنا لقيته إذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها (فتقول هل أدلكم على من يكفله) روي أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت لهم ذلك فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أي هي بفراقك أو أنت بفراقها وفقدان إشفاقها وروي أن آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي أشفقت عليه وطلبت له المراضع. المنة الخامسة قوله تعالى (وقتلت نفسا) قال ابن عباس هو الرجل القبطي الذي قتله خطأ بأن وكزه حين استغاثه الإسرائيلي عليه قال الكسائي كان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة (فنجيناك من الغم) أي من غم قتله خوفا من اقتصاص فرعون كما قال تعالى في آية فأصبح في المدينة خائفا يترقب بالمهاجرة إلى مدين. المنة السادسة قوله تعالى (وفتناك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاؤه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفا (فإن قيل) إنه تعالى عدد أنواع منته على

أي تمتنع عليهم الرجوع (إن قلت) كيف قال ذلك مع أنه لا بد من رجوعهم إلى الله (قلت) معناه لا يرجعون من الكفر إلى الإيمان أو لا يرجعون بعد الإهلاك إلى الدنيا وقيل

وجوه المصالح (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي أنعمنا عليك في وقت آخر وفي ذلك تنبيه على أمور أحدها كأنه تعالى قال إني راعيت مصلحتك قبل سؤالك فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال ثانيها إني كنت ربيتك فلو منعتك الآن كان ذلك ردا بعد القبول وإساءة بعد الإحسان فكيف يليق بكرمي ثالثها إنا أعطيناك في الأزمنة السالفة كل ما احتجت إليه ورقيناك الدرجة العالية وهي منصب النبوة فكيف يليق بمثل هذه التربية المنع عن المطلوب (فإن قيل) لم ذكر تلك النعم بلفظ المنة مع أن هذه اللفظة مؤذية والمقام مقام تلطف (أجيب) بأنه إنما ذكر ذلك ليعرف موسى عليه السلام أن هذه النعم التي وصل إليها ما كان مستحقا لشيء منها بل إنما خصه الله تعالى بها لمحض فضله وإحسانه (فإن قيل) لم قال مرة أخرى مع أنه تعالى ذكر مننا كثيرة (أجيب) بأنه لم يعن بمرة أخرى واحدة من المنن لأن ذلك قد يقال في القليل والكثير ثم بين تلك المنة وهي ثمانية أولها قوله تعالى (إذ أوحينا إلى أمك) وحيا لا على وجه النبوة إذ المرأة لا تصلح للقضاء ولا للإمامة ولا تلي عند أكثر العلماء تزويج نفسها فكيف تصلح للنبوة ويدل على ذلك قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم والوحي جاء لا بمعنى النبوة في القرآن كثيرا قال تعالى وأوحى ربك إلى النحل وإذ أوحيت إلى الحواريين ثم اختلفوا في المراد بهذا الوحي على وجوه أحدها أنه رؤيا رأتها أم موسى وكان تأويلها وضع موسى في التابوت وقذفه في البحر وأن الله تعالى يرده عليها ثانيها أنه عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة ثالثها المراد خطور البال وغلبته على القلب (فإن قيل) هذه الوجوه الثلاثة يعترض عليها بأن الإلقاء في البحر قريب من الإهلاك وهو مساو للخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعون فكيف يجوز الإقدام على أحدهما لأجل الصيانة عن الثاني (أجيب) بأنها لعلها عرفت بالاستقراء صدق رؤياها فكان الإلقاء في البحر إلى السلامة أغلب على ظنها من وقوع الولد في يد فرعون رابعها لعله أوحى إلى بعض الأنبياء في ذلك الزمان كشعيب عليه السلام أو غيره ثم إن ذلك النبي عرفها إما مشافهة أو مراسلة واعترض على هذا بأن الأمر لو كان كذلك لما لحقها الخوف (وأجيب) بأن ذلك الخوف كان من لوازم البشرية كما أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع أن الله تعالى كان أمره بالذهاب إليه مرارا خامسها لعل بعض الأنبياء المتقدمين كإبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام أخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر إلى أمه سادسها لعل الله تعالى بعث إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم في قوله فتمثل لها بشرا سويا وأما قوله تعالى (ما يوحى) فمعناه ما لا يعلم إلا بالوحي أو ما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام ويبدل منه (أن اقذفيه) أي ألقيه (في التابوت) أي ألهمناها أن اجعليه في التابوت (فاقذفيه) أي موسى بالتابوت (في اليم) أي نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أي شاطئه والأمر بمعنى الخبر والضمائر كلها لموسى فالمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر * (تنبيه) * اليم البحر والمراد به هنا نيل مصر في قول الجميع واليم اسم يقع على النهر والبحر العظيم قال الكشاف والساحل فاعل بمعنى مفعول سمي بذلك لأن

الطيبات الآية والأنبياء
وأممهم مأمورون بالتقوى
ثم قال فتقطعوا أمرهم
بالفعل أي فظهر منهم التقطع
والمراد بهذا القول
وحرام على قرية
أهلكناها أنهم لا يرجعون

من الآيات ما تنزاح به العلل من فرعون وقومه (ولا تنيا) أي لا تفترا ولا تقصرا (في ذكري)
أي بتسبيح وغيره فإن من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف أحدا وتقوى روحه بذلك
الذكر فلا تضعف في مقصوده ومن ذكر الله لا بد وأن يكون ذاكرا إحسانه وذاكر إحسانه
لا يفتر في أداء أوامره وقيل لا تنيا في ذكري عند فرعون بأن تذكرا لفرعون وقومه أن الله
لا يرضى منهم الكفر وتذكرا لهم أمر الثواب والعقاب والترغيب والترهيب وقيل المراد
بالذكر تبليغ الرسالة (اذهبا إلى فرعون إنه طغى) أي بادعاء الربوبية (لنفسه) ذكر الله
تعالى المذهوب إليه ههنا وهو فرعون وحذفه في قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي اختصارا في
الكلام وقال القفال فيه وجهان أحدهما أن قوله اذهب أنت وأخوك بآياتي يحتمل أن
يكون كل واحد منهما مأمورا بالذهاب على الانفراد فقيل مرة أخرى اذهبا ليعرفا أن المراد
منه أن يشتغلا بذلك جميعا لا أن ينفرد به أحدهما دون الآخر والثاني أن قوله اذهب أنت
وأخوك بآياتي أمر بالذهاب إلى كل الناس من بني إسرائيل وقوم فرعون ثم إن قوله تعالى
اذهبا إلى فرعون أمر بالذهاب إلى فرعون وحده واستبعد هذا بأن الخطابين متوجهان إلى شيء
واحد وقد حذف من كل من الخطابين ما أثبته في الآخر وقيل إنه حذف المذهوب إليه من
الأول وأثبته في الثاني وحذف المذهوب به وهو بآياتي من الثاني وأثبته في الأول (فقولا له
قولا لينا) أي مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه دعوة في صورة عرض
ومشورة (فإن قيل) لم أمر الله تعالى باللين مع الكافر الجاحد (أجيب) بأن من عادة الجبابرة إذا
أغلظ عليهم في الوعظ يزدادون عتوا وتكبرا فأمر باللين حذرا من أن تحمله الحماقة على أن يسطو
عليهما واحتراما لما له من حق التربية وقيل كنياه وكانت له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد
وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول إلا بالموت وأن تبقى له لذة المطعم والمشرب
والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان
غائبا فلما قدم أخبره بالذي قاله موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى
أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا أنت تعبد تريد أن تعبد فقلبه على رأيه وقوله
تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) متعلق باذهبا أو فقولا أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما
مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بأقصى
وسعه قال الزمخشري ولا يستقيم أن يراد ذلك في حق الله تعالى إذ هو عالم بعواقب الأمور
وعن سيبويه كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو من الله واجب بمعنى أنه يستحيل بقاء
معناه في حق الله تعالى وقال الفراء لعل بمعنى كي فتفيد العلية كما تقول اعمل لعلك تأخذ
أجرتك (فائدة) قرأ رجل عند يحيى بن معاذ فقولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال إلهي هذا
برك بمن يقول أنا الإله فكيف برك بمن يقول أنت الإله (فإن قيل) ما الفائدة في إرسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن (أجيب) بأن ذلك لإلزام الحجة وقطع
المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم
ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى ويروى
عن كعب أنه قال والذي يحلف به كعب إنه لمكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي

قال وإن منكم إلا واردها
وورودها يقتضي القرب
[illegible] (قلت) معناه يجعلون
[illegible]
[illegible]
[illegible]

موسى في هذا المقام فكيف يليق بهذا الموضع وفتناك فتونا (أجيب) بجوابين الاول فتناك
أي خلصناك تخليصا من قولهم فتنت الذهب إذا أردت تخليصه من الفضة أو نحوها الثاني
ان الفتنة تشديد المحنة يقال فتن فلان عن دينه إذا اشتدت عليه المحنة حتى رجع عن دينه
قال تعالى فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وقال تعالى ألم أحسب الناس أن
يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين ولما كان التشديد في المحنة يوجب كثرة الثواب عند الله تعالى من جملة
النعم وتقدم تفسير ابن عباس وهو قريب من ذلك (فان قيل) هل يصح اطلاق الفتان على
الله تعالى اشتقاقا من قوله تعالى وفتناك فتونا (أجيب) بانه لا يصح لانه صفة ذم في العرف
وأسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما يوهم ما لا ينبغي المنة السابعة قوله تعالى (فلبثت سنين
في أهل مدين) والتقدير وفتناك فخرجت خائفا الى أهل مدين فلبثت سنين فيهم عند شعيب
عليه السلام وتزوجت بابنته وهي اما عشر أو ثمان لقوله على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت
عشرا فمن عندك وقال وهب لبث موسى عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة منها عشر
سنين مهر امرأته فانه قضى أوفى الاجلين والآية دالة على انه لبث عشر سنين وليس فيها ما ينفي
الزيادة على العشر كما قاله الرازي وان قال ابن عادل يرده قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل
أي الاجل المشروط عليه في تزويجه وسار بأهله ومن بلاد شعيب على ثمان مراحل من مصر
(ثم جئت على قدر) أي على القدر الذي قدرت أنك تجيء فيه لان أكلمك وأستنبئك غير مستقدم
وقته المعين ولا مستأخر وقال عبد الرحمن بن كيسان على رأس أربعين سنة وهو القدر الذي يوحى
فيه للانبياء وهذا قول أكثر المفسرين أي على الموعد الذي وعده الله وقدر أنه يوحي اليه بالرسالة
وهو أربعون سنة وكرره الى قوله (يا موسى) عقب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك المنة
الثامنة قوله تعالى (واصطنعتك) أي اخترتك (لنفسي) لامر فلك في أوامري لئلا تشتغل الا
بما أمرتك به وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتي وأن تكون في حركاتك وسكناتك لا لنفسك
ولا لغيرك ثم بين تعالى ما له اصطنعه وهو الابلاغ والاداء بقوله تعالى (اذهب أنت وأخوك
بآياتي) أي بمعجزاتي وقال ابن عباس الآيات التسع التي بعث بها موسى وقيل انها العصا واليد
لانهما اللتان جرى ذكرهما في هذا الموضع ولم يذكر انه عليه السلام أوتي قبل مجيئه الى
فرعون ولا بعد مجيئه حتى لقي فرعون فالتمس منه آية غير هاتين الآيتين قال تعالى حكاية عن
فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وقال تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه (فان
قيل) كيف أطلق لفظ الجمع على الاثنين (أجيب) بان العصا كانت آيات انقلابها حيوانا
ثم انها في أول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كأنها جان ثم كانت تعظم وهذه آية أخرى ثم
كانت تسعى ثعبانا وهذه آية أخرى ثم انه عليه السلام كان يدخل يده في فمها فما كانت تضره
فهذه آية أخرى ثم كانت تنقلب خشبة فهذه آية أخرى وكذلك اليد فان بياضها آية
وشعاعها آية أخرى ثم زوالها بعد ذلك آية أخرى فدل ذلك على انها كانت آيات كثيرة
وقيل الآيات العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل معناه أمدكما بآياتي وأظهر على أيديكما

معنى حرام واجب فلا
حينئذ زائدة أي واجب
رجوعهم (قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى
أولئك عنها مبعدون) أي
عن جهنم (ان قلت) كيف
يكونون مبعدين عنها وقد

على ذلك المجموع بالعجز وقولهما قد جئناك بآية من ربك قال الزمخشري هذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي مجيء الآية (فان قيل) ان الله تعالى قد اعطاهما آيتين هما العصا واليد ثم قال تعالى اذهب أنت وأخوك بآياتي وذلك يدل على ثلاث آيات وقالا هنا قد جئناك بآية من ربك وذلك يدل على انها كانت واحدة فكيف الجمع (اجيب) القفال بان معنى الآية الاشارة الى جنس الآيات كأنهما قالا قد جئناك ببينات من عند الله ثم يجوز ان يكون ذلك حجة واحدة او حججا كثيرة وتقدم الجواب عن التثنية والجمع وان في العصا واليد آيات وقوله تعالى (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى كأنه تعالى قال فقولا انا رسولا ربك وقولا له والسلام على من اتبع الهدى ويحتمل ان يكون كلام الله قد تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله تعالى بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبلهما لمن آمن وصدق بالسلامة من عقوبات الله في الدنيا والآخرة وان السلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين وقال بعضهم ان على بمعنى اللام اي والسلام لمن اتبع الهدى كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقال تعالى في موضع آخر ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها (انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب) ما جئنا به (وتولى) أعرض عنه قال البيضاوي ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في أول الامر أهم وأنجع وبالواقع أليق وفلما أتياه وقالا انا رسولا ربك وبلغاه ما أمرا به (قال) لهما (فمن ربكما يا موسى) انما نادى موسى وحده بعد مخاطبته لهما معا لان موسى هو الاصل في الرسالة وهرون تبع رده ووزيره واما لان فرعون كان لخبثه يعلم الرتة التي كانت في لسان موسى عليه الصلاة والسلام ويعلم فصاحة أخيه بدليل قوله هو أفصح مني لسانا فاراد أن يفحمه ويدل عليه قول فرعون ولا يكاد يبين واما لانه حذف المعطوف للعلم به اي يا موسى وهرون قاله ابو البقاء ثم ان فرعون لم يشتغل مع موسى بالبطش والايذاء لما دعاه الى الله تعالى مع انه كان شديد القوة عظيم الغلبة كثير العسكر بل خرج معه في المناظرة لانه لو آذاه لنسب الى الجهل والسفاهة فاستنكف من ذلك وشرع في المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير حجة لم يرضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعي الاسلام والعلم * (تنبيه) * قال هنا فمن ربكما يا موسى وقال في سورة الشعراء وما رب العالمين وهو سؤال عن الماهية فهما سؤالان مختلفان والواقعة واحدة قال ابن عادل والاقرب أن يقال سؤال من كان مقدما على سؤال ما لانه كان يقول اني انا الله والرب فقال فمن ربكما فلما أقام موسى الدلالة على الوجود وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه في هذا المقام لظهوره وجلائه عدل الى طلب الماهية لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر (فان قيل) لم قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما (اجيب) بانه أثبت نفسه ربا في قوله ألم نربك فينا وليدا فذكر ذلك على سبيل التعجب كأنه قال أنا ربك فلم تدعي ربا آخر وهذا يشبه كلام نمرود حين قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال له نمرود أنا أحيي وأميت فلم تكن الاماتة التي ذكرها ابراهيم هي الاماتة مع الاحياء التي عارضه نمرود بها الا في اللفظ فكذا هنا لما ادعى موسى ربوبية الله

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قلت) بل كان رحمة للكافرين أيضا من حيث ان عذاب الاستئصال أخر عنهم ببعثه او كان رحمة عامة من حيث انه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن لم يتبعه فمن قصوره

قلبه فلا يؤمن ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الغرق وقال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ثم ان موسى وهرون (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط) أي يعجل (علينا) بالعقوبة (أو أن يطغى) أي يجاوز الحد في الاساءة علينا (فان قيل) لما تكرر الامر من الله تعالى له بالذهاب فعدم الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على معصية (أجيب) بان الامر ليس على الفور فسقط السؤال وهذا من أقوى الدلائل على أن الامر لا يقتضي الفور (فان قيل) قوله تعالى قالا ربنا يدل على أن المتكلم موسى وهرون ولم يكن هرون هناك حاضرا (أجيب) بان الكلام كان مع موسى الا أنه كان متبوع هرون فجعل الخطاب مع موسى خطابا مع هرون وكلام هرون على سبيل التقدير في تلك الحالة وان كان موسى وحده الا أنه تعالى أضافه اليهما كما في قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وقوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وروى ان القائل عبد الله ابن أبي وحده (فان قيل) ان موسى عليه السلام قال رب اشرح لي صدري فاجابه الله تعالى بقوله قد أوتيت سؤلك ياموسى وهذا يدل على انه تعالى قد شرح صدره ويسر له ذلك الامر فكيف قال بعده اننا نخاف فان حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر (اجيب) بان شرح الصدر عبارة عن تقويته على ضبط تلك الاوامر والنواهي وحفظ تلك الشرائع على وجه لا يتطرق اليها السهو والتحريف وذلك شيء آخر غير الخوف (قال) الله تعالى لهما (لا تخافا انني معكما) حافظكما وناصركما (أسمع وأرى) اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل ما يوجبه حفظي ونصري وقال ابن عباس اسمع دعاءكما فاجيبه وأرى ما يراد بكما فامنع فلست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله تعالى أسمع وأرى يحتمل ان يكون مقابلا لقوله تعالى يفرط علينا أو أن يطغى يفرط علينا بان لا يسمع منا أو أن يطغى بان يقتلنا فقال تعالى انني معكما أسمع كلامكما فاسخره للاستماع منكما وأرى أفعاله فلا أتركه حتى يفعل بكما ما تكرهانه ثم انه سبحانه وتعالى أعاد ذلك التكليف فقال (فأتياه) لانه سبحانه وتعالى قال في المرة الاولى اذهبا الى فرعون وفي الثانية قال اذهب أنت وأخوك وفي الثالثة قال اذهب الى فرعون وفي الرابعة قال ههنا فأتياه (فان قيل) انه تعالى أمرهما في الثانية بان يقولا له قولا لينا وههنا أمرهما بقوله تعالى (فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل) اي الى الشام (ولا تعذبهم) اي خل عنهم من استعمالك اياهم في اشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل وقطع الصخور وكان فرعون يستعملهم في ذلك مع قتل الاولاد وفي هذا تغليظ من وجوه الاول قوله انا رسولا ربك وهذا يقتضي انقياده لهما والتزامه طاعتهما وذلك يعظم على الملك المتبوع الثاني قولهما فارسل معنا بني اسرائيل فيه ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا اليهم فيما يريده من الاعمال أيضا الثالث قولهما ولا تعذبهم الرابع قولهما (قد جئناك بآية من ربك) فما الفائدة في التليين اولا والتغليظ ثانيا (اجيب) بان الانسان اذا ظهر لجاجه فلا بد له من التغليظ حيث لم ينفع التليين (فان قيل) أليس الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك بآية فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم لان ذكر المعجزة مقرونا بالدعاء الرسالة أولى من تأخيرها عنه (اجيب) بان هذا اولى لانهما ذكرا مجموع الدعاوى ثم استدلا

الورود (قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ه ان قلت كيف قال ذلك مع ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رحمة للكافرين بل نقمة اذ لولا ارساله اليهم ما عذبوا بكفرهم لقوله تعالى وما كنا

جمع جمع وفاقه للتأنيث أي ازواجا متفرقة ويجوز أن يكون صفة للنبات فانه من حيث انه
مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع أي انها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة
والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال تعالى (كلوا وارعوا أنعامكم)
والانعام جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم يقال رعت الانعام ورعيتها والامر للاباحة
وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا أي مبيحين لكم الاكل ورعي الانعام أي
وبقية الحيوانات (ان في ذلك) أي فيما ذكرت من هذه النعم (لآيات) أي لعبرا (لأولي
النهى) أي أصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف سمي به العقل لانه ينهى صاحبه عن
ارتكاب القبائح ٭ ولما ذكر سبحانه وتعالى منافع الارض والسماء بين انها غير مطلوبة
لذاتها بل هي مطلوبة لكونها وسائل الى منافع الآخرة فقال (منها) أي الارض (خلقناكم)
٭ (فان قيل) انما خلقنا من النطفة على ما بين في سائر الآيات (اجيب) باوجه احدها انه لما
خلق أصلنا آدم عليه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل آدم خلقه من تراب حسن اطلاق
ذلك علينا ثانيها ان تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما متولدان من الاغذية
والغذاء اما حيواني او نباتي والحيواني ينتهي الى النباتي والنبات انما يحدث من امتزاج الماء
والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لا ينافي كوننا مخلوقين من النطفة ثالثها وروى ابن
مسعود ان ملك الارحام يأتي الى الرحم حين يكتب اجل المولود ورزقه والارض التي يدفن
فيها فانه يأخذ من تراب تلك البقعة وينثره على النطفة ثم يدخلها في الرحم وأخرج ابن
المنذر عن عطاء الخراساني قال ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره
على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيدكم) أي مقبورين بعد الموت (ومنها
نخرجكم) أي عند البعث (تارة) أي مرة (أخرى) أي بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة
بالتراب ونردهم كما كانوا احياء ونخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا
ولما كان المقام لتعظيم القدرة عطف عليه قوله تعالى (ولقد أريناه) أي ابصرنا فرعون (آياتنا
كلها) أي التسع المختصة بموسى عليه السلام ٣ وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد
والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل (فكذب) بها وزعم انها سحر (وأبى) ان يسلم (فان
قيل) قوله تعالى كلها يفيد العموم والله تعالى ما أراه جميع الآيات فان من جملة الآيات
التي اظهرها على ايدي الانبياء قبل موسى عليه السلام وبعده (اجيب) بان لفظ الكل
وان كان للعموم قد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشتريت كل
شيء أو يقال ان موسى عليه السلام أراه آياته وعدد عليه آيات غيره من الانبياء فكذب
فرعون بالكل او يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكى سبحانه وتعالى
ذلك على الوجه الذي يلزم ثم كأنه قيل كيف صنع في تكذيبه وإبائه فقيل (قال) حين علم
حقيقة ما جاء به موسى وظهور ما خاف ان يتبعه الناس ويتركوه ووهن في نفسه وهنا عظيما
(أجئتنا لتخرجنا من ارضنا) أي الارض التي نحن مالكوها ويكون لنا الملك فيها فصارت
فرائصه ترعد خوفا من اتباع موسى اهله وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال
لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يذل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة ثم خيل لاتباعه ان

فانهم لا يعلمون (قوله قل رب احكم) ان قلت ما فائدة قوله بالحق (قلت) ليس المراد بالحق هنا نقيض الباطل بل المراد ما وعده الله تعالى اياه من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين

٣ قوله وهي العصا الخ فيه أن الحجر ونتق الجبل كانا بعد غرق فرعون وعبارة الجلال وتقدم ادخالها ثمانية منها في الاعراف الاولى والثانية قوله فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده الخ والثالثة قوله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات والخمسة في قوله فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والواحدة في سورة يونس قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم اه

تعالى ذكر فرعون هذا الكلام أي انا الرب الذي ربيتك ومعلوم ان الربوبية التي ادعاها موسى عليه السلام غير الربوبية في الحق وأنه لا مشاركة بينهما ثم كأنه قيل فما أجاب به موسى فقيل (قال) مستدلا على اثبات الصانع بأحوال المخلوقات (ربنا الذي أعطى كل شيء) أي من الانواع (خلقه) أي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجرة زوجين والبعير والناقة كذلك والرجل والمرأة كذلك فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه (ثم هدى) أي ثم عرف الله تعالى الحيوان الكائن من الخلق كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه قال الزمخشري ولله دره هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق * ولما خاف فرعون أن يزيد موسى في اظهار تلك الحجة فيظهر للناس صدقه (قال) لموسى (فما بال) أي حال (القرون) أي الامم (الاولى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الاوثان فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث فمن شقي منهم ومن سعد أراد أن يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم يلتفت اليه فلذلك (قال علمها عند ربي) استأثر به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلكم لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال هذه القرون مثبت عند ربي (في كتاب) هو اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون ذلك تمثيلا لتمكنه في علمه تعالى بما استحفظه العالم وقيده بالكتابة ويؤيده قوله (لا يضل ربي ولا ينسى) والضلال أن يخطئ الشيء في مكانه فلم يهتد اليه والنسيان أن يذهب عنه بحيث لا يخطر بباله وهما محالان على علام الغيوب بخلاف العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل تعالى ولا ينسى كما تضل أنت وتنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة ثم عاد الى تتميم كلامه الاول وابراز الدلائل الظاهرة على الوحدانية فقال (الذي جعل لكم) في جملة الخلق (الارض مهادا) أي فراشا (تنبيه) هذا الموصول في محل رفع صفة لربي وخبر محذوف تقديره هو أو منصوب على المدح وقرأ عاصم وحمزة هنا وفي سورة الزخرف مهدا بفتح الميم وسكون الهاء أي مهدها مهدا أو تمهدونها فهي لهم كالمهاد وهو ما يمهد للصبي وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد (وسلك) أي سهل (لكم فيها سبلا) اي طرقا بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من أرض الى أرض لتبلغوا منافعها (وانزل من السماء ماء) أي مطرا وعدل بقوله (فأخرجنا به) عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق (أزواجا) اي أصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض وقوله تعالى (من نبات) بيان وصفة لازواجا وكذلك (شتى) وهو جمع شتيت من شت الامر تفرق فهو صفة جمع مريض ومرضى

او المراد بالرحمة المقصر (؟) وهو صلى الله عليه وسلم كان رحمة للكفار ايضا الاترى انهم لما شجوه وكسروا رباعيته حتى خر مغشيا عليه قال بعد افاقته اللهم اهد قومي

(على الله كذبا) بإشراككم به أحدا (فيسحتكم) قال مقاتل يهلككم وقال قتادة يستأصلكم
(بعذاب) من عنده وقرأ حفص وحمزة والكسائي بضم الياء وكسر الحاء من الإسحات وهو
لغة نجد وتميم والباقون بفتحهما من السحت وهو لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون
فإنه افترى واحتال ليبقى الملك فلم ينفعه (فتنازعوا) أي تجاذبوا السحرة (أمرهم بينهم)
لما سمعوا هذا الكلام علما منهم أنه لا يقدر أن [illegible] إلا من هو متحقق [illegible]
صلى الله تعالى عليه وسلم (وأسروا النجوى) قال الكلبي قالوا سرا إن غلبنا موسى اتبعناه
وقال محمد بن إسحق لما قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول
ساحر وبالغوا في اخفاء ذلك فكان النجوى الإسرار فلا يسمع [illegible] فرعون وأتباعه على ذلك فإنه
قيل ما قالوا بعد تنازعهم فقيل (قالوا) أي السحرة (إن هذان لساحران) أي
موسى وهرون وقرأ ابن كثير وحفص بسكون النون من إن وشددها الباقون وقرأ أبو عمرو
بالياء بعد الذال والباقون بالألف على لغة من يجعل ألف المثنى لازما في [illegible]
وهي لغة طوائف من العرب بني الحارث بن كعب وبعض [illegible]
[illegible] وقال الشاعر [illegible]

إن أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها

وقيل تقدير الآية إنه هذان فحذف الهاء وذهب جماعة إلى أن حرف إن هنا بمعنى نعم أي نعم
هذان روي أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا فحرمه فقال لعن الله ناقة حملتني إليك فقال ابن
الزبير إن وصاحبها أي نعم وشدد ابن كثير النون فحصلت المبالغة في [illegible] هذا الكلام [illegible]
خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباع موسى وهرون (يريدان) أي [illegible]
الرسالة وغيرها (أن يخرجاكم) أيها الناس (من أرضكم) [illegible]
من سالف (بسحرهما) الذي أظهراه لكم [illegible]
(ويذهبا بطريقتكم المثلى) مؤنث الأمثل أي [illegible]
[illegible] علاقة بالله تعالى [illegible]
وهم بنو إسرائيل فإنهم كانوا [illegible]
الطريقة [illegible]
[illegible] وقرأ أبو عمرو [illegible]
والباقون [illegible] (ثم ائتوا) أي [illegible] (صفا) [illegible]
لأنه أهيب في صدور الرائين [illegible] قال الكلبي كانوا [illegible]
وسبعين ساحرا اثنان من القبط وسائرهم من بني إسرائيل وقال عكرمة كانوا تسعمائة
تلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقال وهب خمسة عشر
ألفا وقال السدي بضعة وثلاثون ألفا وقال القاسم بن سلام كانوا سبعين ألفا وقيل اثني عشر
ألفا [illegible] على كل قول [illegible] وظاهر القرآن لا يدل على
شيء من هذه الأقوال * ولما كان التقدير فأتوا كذلك فقد استعلى عطف عليه قوله (وقد أفلح

ذلك سحر بقوله (بسحرك يا موسى) فكان ذلك مع ما الفوه من عادتهم في الضلال صارفا لهم
عن اتباع ما رأوه من البيان ثم اظهر لهم انه يعارضه بمثل ما اتى به بقوله (فلنأتينك بسحر مثله)
اى مثل سحرك يعارضه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) اى من الزمان والمكان (لا نخلفه) اى
لا نجعله خلفنا (نحن ولا أنت) اى لا نجاوزه ولما كان كل من الزمان والمكان لا ينفك عن
الآخر قال (مكانا) وآثر ذلك المكان لاجل وصفه بقوله (سوى) أى عدلا وقال ابن عباس
نصفا تستوى مسافة الفريقين اليه فانظر الى هذا الكلام الذى زوقه ونمقه وصنعه بما وقف
به قومه عن السعادة واستمر يقودهم بعماه حتى أوردهم البحر فاغرقهم ثم في غمرات النار
أحرقهم وقيل معنى سوى اى سوى هذا المكان وقرأ شعبة وابن عامر وحمزة والكسائى
بضم السين والباقون بكسرها وأمال شعبة وحمزة والكسائى في الوقف محضة والباقون
بالفتح وقيل المراد بالموعد الوعد لان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان اى بل الوعد هو
الذى يصح وصفه بالخلف وعدمه والى هذا نحا جماعة مختارين له وردّ عليهم بقوله (قال
موعدكم يوم الزينة) فانه لا يطابقه * (تنبيه) * يحتمل ان قوله قال موعدكم يوم الزينة
ان يكون من قول فرعون فبين الوقت وأن يكون من قول موسى عليه السلام وهذا أظهر
كما قال الرازى لوجوه الاول انه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا الثانى وهو
ان تعيين يوم الزينة يقتضى اطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه انما يليق بالمحق الذى يعرف
ان اليد له لا المبطل الذى يعرف انه ليس معه الا التلبيس ثالثها ان قوله موعدكم خطاب للجمع
فلو جعلناه من فرعون لموسى وهرون لزم اما أن نحمله على التعظيم أو ان أقل الجمع اثنان
فالاول لا يليق بحال فرعون معهما والثانى غير جائز فاذا جعلناه من موسى عليه السلام
استقام الكلام واختلف في يوم الزينة فقال مجاهد وقتادة النيروز وقال ابن عباس وسعيد
ابن جبير هو يوم عاشوراء وقيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل يوم
كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم وبقى قوله (وان يحشر) المحمول لان العطف
الجمع لكونه من حشر (الناس) اى يجمعوا (ضحى) اى وقت الضحوة فيكون أظهر
لما يعمل وأجلى فلا يأتى الليل الا وقد قضى الامر وعرف الحق من الباطل ويكثر الحديث
بذلك في كل بدو وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر (فتولى) اى اعرض (فرعون)
عن موسى الى تهيئة ما يريد من الكيد بعد توليه عن الانقياد لامر الله تعالى (فجمع
كيده) اى مكره وحيلته وخداعه الذى دبره على موسى عليه السلام بجمع من يعمل
به الكيد وهم السحرة حشرهم من كل فج وكان أهل مصر أسحر أهل الارض واكثرهم
ساحرا وكانوا في ذلك الزمان أشد اعتناء بالسحر وامهر ما كانوا فيه (ثم أتى) للميعاد
الذى وقع القرار عليه بمن حشره من السحرة والجنود ومن تبعهم من الناس مع توفر الدواعى
على الاتيان للعيد والنظر الى تلك المغالبة التى لم يكن مثلها ولما تشوق السامع الى
ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك استأنف تعالى الخبر عنه بقوله تعالى (قال لهم)
اى لاهل الكيد والعناد وهم السحرة وغيرهم (موسى) حين رأى اجتماعهم واحتيالهم
(ويلكم) يا أيها الناس الذين خلقكم الله تعالى لعبادته (لا تفتروا) اى لا تتعمدوا

وعده لا يكون الا حقا ونظيره قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق او ان قوله بالحق تأكيد لما في التصريح بالصدق من المبالغة وان كانت لازمة للعدل

حذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث على اسناد الفعل الى العصا والخطاب
على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن ذكوان برفع الفاء على الحال أو الاستئناف والباقون
بسكونها وحفص بسكون اللام وتخفيف القاف على أنه من لقفه بمعنى تلقفه (انما) أى
الذى (صنعوا) اى زوروا وافتعلوا وهو الذى أمره (كيد ساحر) أى كيد سحرى لا حقيقة له
ولا ثبات وقرأ حمزة والكسائى بكسر السين وسكون الحاء فى سحر أو بتسمية الساحر
سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه والباقون بفتح السين
وكسر الحاء وألف بينهما (فان قيل) لم وحد الساحر ولم يجمع (أجيب) بأن [illegible] اذا
الكلام فى الجنسية لا فى العدد فلو جمع خيل أن المقصود هو العدد ألا ترى الى قوله تعالى
(ولا يفلح الساحر) اى هذا الجنس (حيث أتى) اى كيف ما [illegible] لا [illegible] حيث
كان وقيل [illegible] (فان قيل) لم نكر أولا [illegible] ثانيا
(أجيب) بانه قال هذا الذى أتى به قسم واحد من أقسام السحر لا [illegible] ولا [illegible] الكلام
على هذا الوجه أبلغ ثم انه امتثل ما أمر به وألقى العصا اذ كان موعودا [illegible] فاذا هى
تلقفت ما صنعوا من غير أن يظهر عليها زيادة [illegible] ولا فى غيرها أن [illegible] ثاب
[illegible] فعلم كل من رأى ذلك حقيقته [illegible] فبادر السحرة [illegible] الى
الخضوع لامر الله تعالى ساجدين مبادرين كأنما ألقاهم [illegible] على وجوههم ولذلك قال تعالى بعد
ان ذكر مكرهم واجتهادهم فى معارضة موسى عليه السلام [illegible] وما [illegible]
[illegible] القدرة على تقليب القلوب القاسية (فألقى السحرة) أى فألقاهم
ما رأوا من أمر الله تعالى بعناية السحرة بأبصارهم (سجدا) على وجوههم لله تعالى توبة
مما صنعوا واعتبارا [illegible] بسجودهم [illegible] لطف الله [illegible]
السحر [illegible] وانقلب موسى عليه السلام [illegible]
[illegible] كما [illegible] الناس [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
للكفر [illegible] والشكر والسجود [illegible] الاقرب [illegible]
[illegible] (قالوا آمنا برب هرون وموسى) [illegible]
برب العالمين لان فرعون ادعى الربوبية فى قوله انا ربكم الاعلى والالهية فى قوله [illegible]
من اله غيرى فلو أنهم [illegible] فرعون [illegible]
[illegible] والدليل على ذلك [illegible]
فرعون [illegible] موسى فى صغره [illegible] عاد [illegible] ان المراد
فرعون [illegible] على الاستتباع [illegible] وروى [illegible] ان الله ما [illegible]
أمرهم كانوا أول النهار سحرة يقرون لفرعون بالربوبية وآخره شهداء بررة وروى أنهم لم يرفعوا
رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا أراهم الله تعالى

(اليوم) في هذا الجمع الذي ما اجتمع مثله قط (من استعلى) أي فاز بالمطلوب من غلب فلما أتى السحرة موسى (قالوا) له متأدبين لأن ابتداء القول منهم لم يتفق لبصر بل انهم قال بعضهم ولذلك رزقهم الله تعالى الإيمان ببركته (يا موسى إما أن تلقي) أي ما معك مما تناظر به أولا (وإما أن نكون نحن (أول من ألقى) ما معه (قال) لهم موسى عليه السلام مقابلا لأدبهم بأحسن منه ولأنه فهم أن مرادهم الابتداء وليكون هو الآخر فتكون له العاقبة بتسليط معجزته على سحرهم ولا يكون بعدها شك لأنه ألقى آخرا (بل ألقوا) أنتم أولا فأتوا القرعة لأن ذلك كان مرادهم كما أفهموه من تغيير السياق والتصريح بالأول فألقوا ما معهم من الحبال والعصي (فإذا حبالهم وعصيهم) أي التي ألقوها فقد فاجأت أنه (يخيل إليه) خيلا مبتدأ (من سحرهم) أي الذي قد فاقوا به أهل الأرض (أنها) لشدة اضطرابها (تسعى) (فإن قيل) كيف يجوز أن يقول موسى عليه السلام بل ألقوا أمرهم بما هو سحر (أجيب) بأن ذلك الأمر كان مشروطا والتقدير ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محقين كما في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله أي إن كنتم صادقين وفي القصة أنهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا أنها تسعى وقيل لطخوها بالزئبق فلما وقعت عليها الشمس اضطربت فخيل إليهم أنها تتحرك وقرأ ابن ذكوان تخيل بالتاء الفوقية على التأنيث والباقون بالياء على إسناده إلى ضمير الحبال (فأوجس) أي أحس (في نفسه خيفة موسى) عليه الصلاة والسلام (فإن قيل) كيف استشعر الخوف وقد عرض عليه المعجزات الباهرات كالعصا واليد ثم إن الله تعالى قال له بعد ذلك إنني معكما أسمع وأرى فكيف وقع الخوف في قلبه (أجيب) بأوجه أحدها أنه خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به الثاني أنه خاف بمقتضى طبع البشرية مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها الثالث لعله [illegible] كان مأمورا أن لا يفعل شيئا إلا بالوحي فلما تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الوقت فيبقى الخجل ثم إنه أزال ذلك الخوف بقوله تعالى (قلنا لا تخف) من شيء من أمرهم ولا [illegible] ثم علل ذلك بقوله تعالى مؤكدا بأنواع من التأكيد لاقتضاء الحال الإنكار أو طلب التأكيد ما أظهروا من سحرهم له (إنك أنت) خاصة (الأعلى) أي الغالب غلبة ظاهرة لا شبهة فيها (وألق ما في يمينك) أبهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الذي في يدك أو تعظيما لها أي لا تحتفل بكثرة هذه الأجرام وعظمها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أي العصا وهي التي قلبناها أول ما شرفناك بالمناجاة وما تلك بيمينك يا موسى ثم أريناك منها ما أريناك (تلقف) أي تبتلع بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك (ما صنعوا) أي فعلوه بعد تدريب كثير وممارسة طويلة فلما ألقاها صارت أعظم حية من حياتهم ثم أخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادي ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة ثم هبطت وأكلت كل ما عملوا في الميلين والناس ينظرون إليها لا يحسبون إلا أنه سحر ثم أقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح بموسى فأخذها فإذا هي عصا كما كانت ونظرت السحرة فإذا هي لم تدع من حبالهم وعصيهم شيئا إلا أكلته وعرفوا أنه ليس بسحر وأصل تلقف تتلقف

(قلت) لأن الرؤية الأولى
متعلقة بالآلة وكل الناس
يرونها والثانية متعلقة
بروحها والناس سكارى ولا
يكون الناس سكارى ولا
بعد جعل كل واحد درايا
(قوله كلما أرادوا
باقيهم) أن يخرجوا منها من غم

يحكم فيها على الجسد خاصة فهي ساعة تعقبها راحة ونحن لا نخاف الا من يحكم على الروح وان فني الجسد فذلك هو العذاب الشديد الدائم ثم عللوا اتعظيم الله تعالى واستهانتهم بفرعون بقولهم (انا آمنا بربنا) أي المحسن الينا طول أعمارنا وقاطع اسبابنا بالدنيا وغيره (ليغفر لنا) من غير تقدم يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك (خطايانا) التي قابلنا بها احسانه ثم خصوا بعد العموم فقالوا (وما أكرهتنا عليه) وبينوا ذلك بقولهم (من السحر) لتعارض المعجزة فانه كان الاكمل لنا عصيانك فيه لان الله تعالى أحق بان يتقى (فان قيل) كيف قالوا ذلك وقد جاؤا مختارين يحلفون بعزة فرعون ان لهم الغلبة (أجيب) بانه قد روي ان رؤساء السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من القبط والباقون من بني اسرائيل أكرههم فرعون على تعلم السحر وروي أنهم رأوا موسى عليه السلام نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان الساحر اذا نام بطل سحره فلم يقدر الا ان يقدر على معارضته فأبى عليهم واكرههم على المعارضة وقيل ان الملوك في ذلك الزمان كانوا يأخذون البعض من رعيتهم ويكلفونه تعلم السحر فاذا شاخ بعثوا اليه أحداثا ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه ولما كان التقدير فالله أهل التقوى أهل المغفرة عطفوا عليه محتقرين لكاله (والله) اي الجامع لصفات الكمال (خير) جزاء منك فيما وعدتنا به (وابقى) ثوابا وعقابا قال ابو حيان الظاهر ان الله تعالى سلمهم من فرعون ويدل له قوله تعالى ومن اتبعكما الغالبون وقال الرازي ليس في القرآن ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم ولم يثبت في الاخبار وقال البقاعي يأتي في آخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم ثم عللوا هذا الحكم بقولهم (انه) اي الامر والشأن (من يأت ربه) اي الذي رباه واحسن اليه بان اوجده وجعل له جميع ما يصلحه (مجرما) بان يموت على كفره (فان له جهنم) دار الاهانة (لا يموت فيها) فيستريح من عذابها بالاضمحلال فان آخر الموت زوال (ولا يحيى) فيها حياة هنيئة وبها يندفع ما قيل ان الجسم الحي لا بد أن يبقى اما ميتا أو حيا فخلو الشخص عن الوصفين محال وقال بعضهم ان نفسه تكون معلقة كحال الذي ذبح قبل أن تنزع نفسه فلا هو حي ولا ميت ذبح ذبحا لا تنفع الحياة معه ولا موت لان الروح لم تفارقه بعد فهي حالة ثالثة (ومن يأته) أي الرب الذي قد أوسعه ودياده (مؤمنا) اي مصدقا به (قد) دل على تصديق لايمانه أنه (عمل) اي في الدنيا (الصالحات) أي التي امر بها فكان صادق الايمان صالح الاعمال (فأولئك) اي العالو الرتبة (لهم الدرجات العلى) جمع عليا مؤنث أعلى الى الدرجات التي أوعدناها اليها ثم فسروها بقولهم (جنات عدن) أي اقامة في اسبابها (تجري من تحتها الانهار) أي من تحت غرفها واسرتها وأرضها فلا يراد وضع الا فيه يجري فيه نهر الابحر وقولهم (خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار (وذلك جزاء) كل (من تزكى) اي تطهر من أدناس الكفر * (تنبيه) هذه الآيات الثلاث وهي من قوله انه من يأت ربه مجرما الى هنا يحتمل أن تكون من كلام السحرة كما تقدم وأن يكون ابتداء كلام من الله تعالى وقوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي) عطف على قوله ولقد أريناه آياتنا وفيه دليل على أن موسى عليه السلام كثر مستجيبوه فاراد الله تعالى تمييزهم من طبقة فرعون وخلاصهم فأوحى اليه أن يسري بهم ليلا والسرى اسم لسير الليل والاسراء

في سجودهم مقالتهم التي يصيرون اليها في الجنة فكأنه قيل فما قال لهم فرعون حينئذ فقيل
(قال) لهم (آمنتم) أي بالله (له) أي لاجله صدقتموه أو تبعتم موسى (قبل أن آذن لكم) في ذلك قال
ايماء الى انه سيأذن فيه ليقف الناس عن المبادرة الى الاتباع بين خوف العقوبة ورجاء
الاذن ثم استأنف قوله معللا لذلك تخيلا للاتباع صدا لهم عن الاقتداء بالسحرة (انه) أي موسى
(لكبيركم) أي معلمكم (الذي علمكم السحر) أي فلم تتبعوه لظهور الحق بل لارادتكم شيأ من
المكر وافقتموه عليه قبل حضوركم في هذا الموطن وهذا على عادته في تخييل أتباعه بما يوقفهم
عن اتباع الحق * ولما تخيل لهم شرع يزيدهم حيرة بتهديد السحرة فقال مقسما (فلأقطعن) أي
بسبب ما فعلتم (أيديكم) على سبيل التوزيع (وأرجلكم) أي من كل رجل يدا ورجلا وقوله
(من خلاف) حال بمعنى مختلفة أي الايدي اليمنى والارجل اليسرى (ولأصلبنكم) وعبر عن
الاستعلاء بالظرف اشارة الى تمكينهم في المصلوب تمكين المظروف في ظرفه فقال (في
جذوع النخل) لتشنيعها لقتلكم وردعا لامثالكم (ولتعلمن أينا) يريد نفسه لعنه الله وموسى
عليه السلام بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن
للمؤمنين وفيه تبجح باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بانواع العذاب
وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب
في شيء وقيل يريد رب موسى الذي آمنوا به (أشد عذابا وأبقى) أي أدوم على مخالفته (فان قيل)
ان فرعون مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية وقصدها له وآل الامر أن استغاث
بموسى من شرها وعجزه عن دفعها كيف يعقل أن يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا
الحد ويستهزئ بموسى في قوله أينا أشد عذابا وأبقى (أجيب) بانه كان في أشد الخوف في قلبه الا
أنه يظهر الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا لامره قال الرازي ومن استقرى أحوال
العالم علم ان العاجز قد يفعل أمثال هذه الاشياء ومما يدل على صحة ذلك قوله انه لكبيركم الذي
علمكم السحر لانه كان يعلم ان موسى ما خالطهم البتة وما لقيهم وكان يعلم من سحرته استاذ كل
واحد من هو وكيف حصل ذلك العلم ثم انه كان يقول مع ذلك هذه الاشياء ثم كأنه قيل فما قالوا
له فقيل (قالوا) له (لن نؤثرك) أي نختارك (على ما جاءنا) على لسان موسى (من البينات) التي
عايناها وعلمنا أنه لا يقدر أحد على مثلها * ولما بدؤا بما يدل على الخالق من الفعل رقوا الى
ذكره بعد معرفته بفعله اشارة الى علو قدره فقالوا (والذي) أي ولا نؤثرك بالاتباع على الذي
(فطرنا) أي ابتدأ خلقنا اشارة الى شمول ربوبية الله تعالى لهم وله ولجميع الناس وتنبيها على
عجز فرعون عند من استخفه وفي جميع أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة واشارة وتحقير
فرعون أمر عظيم * (تنبيه) * قد علم مما تقرر ان والذي معطوف على ما وانما أخر وذكر
الباري تعالى لانه من باب الترقي من الادنى الى الاعلى وقيل الواو قسم والموصول مقسم به
وجواب القسم محذوف أي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك على الحق * ولما تسبب عن ذلك انهم
لا يبالونه وعلموا أن ما يفعله بهم هو باذن الله تعالى قالوا له (فاقض) أي فاصنع في حكمك
الذي تقضيه (ما أنت قاض) أي قاض الذي أنت قاضيه ثم علوا ذلك بقولهم (انما تقضي)
أي تصنع بنا ما تريد ان قدرك الله تعالى عليه (هذه الحياة الدنيا) النصب على الاتساع أي انما

عذاب الحريق) تقديره
وقيل لهم ذوقوا كما في
الصحيفة ونحن ما هنا
بالحذف لطول الكلام وما
في الصحيفة بالذكر لقصره
وموافقة لذكر القول
قبله كقوله ام يقولون افتراه

غرقوا جميعاً ورجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم وقالوا يا موسى ادع الله تعالى يخرجهم لنا
حتى ننظر إليهم فلفظهم البحر إلى الساحل وأصابوا من سلاحهم وذكر ابن عباس أن جبريل قال
يا محمد لو رأيتني وأنا أدس في فم فرعون الماء والطين مخافة أن يتوب فهذا معنى قوله تعالى فغشيهم
من اليم ما غشيهم * ولما أنعم الله تعالى على قوم موسى عليه السلام بأنواع النعم ذكرهم أولاً
تلك النعم فناداهم بقوله تعالى (يا بني إسرائيل) والمخاطبون الذين كانوا في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم خوطبوا بما أنعم به على أجدادهم في زمن موسى عليه السلام ولا شك أن إزالة
الضرر يجب تقديمها على إيصال المنفعة الدينية وإيصال المنفعة الدينية أعظم من إيصال
المنفعة الدنيوية فلهذا بدأ تعالى بإزالة الضرر بقوله (قد أنجيناكم من عدوكم) فإن فرعون كان
ينزل بهم من أنواع الظلم كثيراً من القتل والإذلال والإخراج والأعمال الشاقة ثم ثنى بذكر المنفعة
الدينية بقوله تعالى (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) أي [illegible]
الذي [illegible] عليه السلام وهو جانب [illegible]
وإنما وجه المنفعة فيه أنه أنزل في ذلك الوقت عليهم كتاباً فيه بيان دينهم [illegible]
ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية بقوله تعالى (ونزلنا عليكم) [illegible]
لا تتعب في تحصيلهما أرواحكم (المن) أي الترنجبين (والسلوى) أي الطير السماني [illegible]
وقوله تعالى (كلوا من طيبات ما رزقناكم) أمر إباحة [illegible]
والسلوى من لذائذ الأطعمة وإن فسر بالحلال لأن الله تعالى أنزله إليهم ولم [illegible]
فهو أمر إيجاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (ولا تطغوا فيه) [illegible]
[illegible]
(فيحل) [illegible] (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) [illegible]
[illegible]
اللام الأولى وكسرها [illegible] ولما كان [illegible]
بقوله سبحانه (وإني لغفار) [illegible] (لمن تاب) [illegible]
[illegible] (وآمن) [illegible] (وعمل صالحاً) [illegible] (ثم اهتدى)
استمر على ذلك [illegible] (فائدة) اعلم أنه تعالى وصف نفسه بكونه غافراً [illegible]
وبأن له غفراناً ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي والمستقبل والأمر أما وصفه بكونه غافراً فقوله
تعالى غافر الذنب وأما كونه غفوراً فقوله تعالى وربك الغفور وأما كونه غفاراً فقوله تعالى
وإني لغفار لمن تاب وآمن وأما الغفران فقوله تعالى غفرانك ربنا وأما المغفرة فقوله تعالى وإن
ربك لذو مغفرة للناس وأما صيغة الماضي فقوله تعالى في حق داود عليه السلام فغفرنا له وأما
صيغة المستقبل فقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى إن الله يغفر الذنوب جميعاً
وقوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأما الأمر

مثله والحكمة في السري بهم ليلاً اشتغال عدوهم عن مرادهم أو ليكون ذلك عائقاً لفرعون عن طلبه ومتبعيه أو ليكون اذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عليه الصلاة والسلام عسكر فرعون لعنه الله فلا يهابونهم وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل بعدها من سرى والباقون بسكون النون وهمزة قطع بعدها من أسرى لغتان أي أسر ببني اسرائيل من أرض مصر الى أن تقلب قلب فرعون لهم حتى أذن لهم في مسيرهم بعد أن كان قد أبى أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب فاقصد بهم ناحية بحر القلزم (فاضرب) أي اجعل (لهم) بالضرب بعصاك (طريقاً في البحر) والمراد بالطريق الجنس فانه كان لكل سبط طريق وقوله (يبساً) صفة لطريقاً وصف به لما يؤول اليه لأنه لم يكن يبساً بعد وانما مرت عليه الصبا فجففته كما روي وقيل في الأصل مصدر وصف به مبالغة وقيل جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد مبالغة فلما امتثل ما أمره به وأيبس الله تعالى له الأرض وأراد المرور بها قال الله تعالى له (لا تخاف دركاً) أي أن يدركك فرعون (ولا تخشى) غرقاً وقرأ حمزة بجزم الفاء ولا ألف بينها وبين الخاء على أن يكون نهياً مستأنفاً والباقون برفع الفاء وألف بينها وبين الخاء على أنه مستأنف فلا محل له من الاعراب أو أنه في محل نصب على الحال من فاعل اضرب أي اضرب غير خائف (فأتبعهم فرعون بجنوده) أي ومعه جنوده وهم على كثرتهم وعلوهم وقوتهم وعزتهم فكانوا كالتابع الذي لا معنى له بدون متبوعه والمتبوع بنو اسرائيل وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام خرج بهم أول الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل ان الباء زائدة (فغشيهم) أي فرعون وقومه (من اليم) أي البحر (ما غشيهم) أي أمر لا تحتمل العقول وصفه فأهلكهم وقطع دابرهم ولم يبق منهم أحداً وما شاك أحداً من عبادنا المستضعفين شوكة (وأضل فرعون قومه) أي بدعائه لهم الى عبادته (وما هدى) أي ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون وتهكم به في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد

(تنبيه) لا بأس بذكر شيء من هذه القصة تكميلاً قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الحلي والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلاً وكان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فأخذوه وقال موسى عليه الصلاة والسلام للعجوز احتكمي أي انظري لك شيئاً اطلبيه فقالت أكون معك في الجنة فلما خرجوا اتبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف ألف وخمسمائة ألف سوى الجنبتين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال ههنا أمرت فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهي رطبة فدعا ربه فهبت عليها الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق في بعضنا فجعل بينهم كوى يرى بعضهم بعضاً ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر وأقبل فرعون الى تلك الطرق فقال له قومه ان موسى قد سحر البحر كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل عليه السلام على فرس أنثى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائكة في الناس الحقوا حتى اذا لحق آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقى البحر عليهم

لعله سقط من ناسخ لم يكن فيه الآخر من ذكر حكم الضمير لفادته لو ان تقدم ذكره الآية (قوله فكانوا الخ) منصب على كرره لان الاول ذبح بقرة الانعام الشاملة

فغرقوا

بعدما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ليال من ذى الحجة واخذ التوراة (غضبان) عليهم
(اسفا) اى حزينا بما فعلوا (قال) أى لقومه لما رجع اليهم مستعطفا لهم (يا قوم) وانكر
عليهم بقوله (الم يعدكم ربكم) اى الذى احسن اليكم (وعدا حسنا) اى بانه ينزل عليكم كتابا
حافظا ويكفر عنكم خطاياكم وينصركم على اعدائكم الى غير ذلك من اكرامه ولما جرت
العادة بان طول الزمان ناقض للعزائم مغير للعهود كما قال ابو العلاء احمد بن سليمان المعرى

لا أنسينك ان طال الزمان بنا * وكم حبيب تمادى عهده فنسى

قال لهم (أفطال عليكم العهد) اى زمن لطف الله تعالى بكم فتغيرتم بمفارقتى كما عليه عادة
أهل الرذائل والاضمحلال فى العزائم لضعف العقول وقلة التدبر (أم أردتم) اى بالنقض مع قرب
العهود وذكر الميثاق (أن يحل) اى يجب (عليكم) بسبب عبادة العجل (غضب من ربكم)
المحسن اليكم اى وكلا الامرين لم يكن أما الاول فواضح وأما الثانى فلا يظن بعاقل ارادته
والحاصل انه يقول فعلتم ما لا يفعله عاقل (فأخلفتم) اى فتسبب عن فعلكم ذلك ان أخلفتم
(موعدى) اى وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما أمرتكم به ولما تشوف
السامع الى جوابهم استأنفه فقال (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) اى بان ملكنا أمرنا اذ
لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامرى لما أخلفناه واختلف فى هذا الجواب على وجهين الاول
هم الذين لم يعبدوا العجل فكأنهم قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا اى بأمر كنا نملكه وقد يضيف
الرجل فعل قريبه الى نفسه كقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر واذ قتلتم نفسا وان كان
الفاعل لذلك آباءهم لا هم فكأنهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم نقدر على منعهم عنه
ولم نقدر أيضا على مفارقتهم لانا خفنا أن يصير ذلك سببا لوقوع التفرقة وزيادة الفتنة الثانى
ان هذا قول عبدة العجل والمراد انه [illegible]
فعل [illegible] هو الذى أوقع الشبهة [illegible] (ان نحل) [illegible]
من سفاهة ألف انسان من العقلاء المكلفين [illegible]
[illegible] (أجيب) بان [illegible]
[illegible]
الذى ثم ان القريب قد [illegible] على ذلك القول قالوا (ولكنا حملنا أوزارا) قرأ نافع وابن
كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشددة وأبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائى بفتح
الحاء والميم مخففة (أوزارا) اى أثقالا (من زينة القوم) اى حلى قوم فرعون استعارها منهم
بنو اسرائيل بسبب عرس وقيل استعاروه لعيد كان لهم ثم لم يردوها عند الخروج مخافة أن
يعلموا به وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد غرقهم فأخذوه قال البيضاوى ولعلهم
سموها أوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن
أن يأخذ من مال الحربى (فقذفناها) اى فى النار (فكذلك ألقى السامرى) اى ما كان معه منها
من المال أو من أثر الرسول روى أن موسى عليه السلام لما وعده ربه أن يكلمه استخلف على
قومه أخاه هرون وأجلهم ثلاثين يوما وذهب فصامهن ليلها ونهارها ثم كره أن يكلم ربه وريح فمه
متغير فمضغ شيئا من نبات الارض فقال له ربه أو ما علمت ان ريح الصائم أطيب من ريح المسك

[illegible]
الشاعر
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب
[illegible]

الاستغفار فقوله تعالى استغفروا ربكم ويستغفرون لمن في الارض ويستغفرون للذين
آمنوا (وههنا نكتة لطيفة) وهي ان العبد له أسماء ثلاثة الظالم والظلوم والظلام اذا كثر منه
الظلم ولله تعالى في مقابلة كل واحد من هذه الاسماء اسم فكأنه تعالى قال ان كنت ظالما فانا
غافر وان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت ظلاما فانا غفار [illegible] على كل من ارتكب معصية
كبيرة أو صغيرة (تنبيه) تمسك بعض المعتزلة بهذه الآية على أن العمل الصالح غير داخل في الايمان
لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والعطف يوجب تغاير المعطوف والمعطوف عليه ولما أمر تعالى
موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين قال المفسرون وهم السبعون الذين
اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرائيل ليذهبوا معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم
موسى ثم عجل موسى عليه السلام من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه
الى الجبل فقال تعالى له (وما أعجلك عن قومك) أي بمجيئك قبلهم لميعاد أخذ التوراة (ياموسى قال)
مجيبا لربه تعالى (هم أولاء) أي بالقرب مني يأتون (على أثري) أي ماشين على أثري [illegible] قبل
أن يلتمس وما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة
يتقدم بها الرفقة بعضهم على بعض (وعجلت اليك رب لترضى) أي ازداد عنك رضا فان المسارعة
الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك (تنبيه) في الآية سؤالات الاول قوله
تعالى وما أعجلك استفهام وهو على الله تعالى محال وأجيب عنه بانه انكار في صورة الاستفهام ولا
مانع منه الثاني أن موسى عليه السلام لا يخلو اما أن يكون ممنوعا من ذلك التقدم أو لم يكن
فان كان الاول كان التقدم معصية وان لم يكن فلا انكار واجيب عنه بانه عليه السلام لعله
ما وجد نصا في ذلك فاجتهد فاخطأ في اجتهاده فاستوجب العتاب الثالث قوله وعجلت والعجلة
مذمومة أجيب عنه بانها ممدوحة في الدين قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الرابع
قوله لترضى يدل على أنه انما فعل ذلك ليحصل الرضا واذا لم يكن راضيا عنه وجب أن يكون
ساخطا عليه وذلك لا يليق بحال الانبياء عليهم السلام أجيب عنه بان المراد تحصيل دوام
الرضا أو زيادته كما مر الخامس قوله اليك يقتضي كون الله تعالى في جهة لان الى لانتهاء الغاية
وأجيب عنه بانا اتفقنا على أن الله تعالى لم يكن بالجبل فالمراد مكان وعدك السادس
قوله تعالى ما أعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان جوابه اللائق به أن يقول
طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك واما قوله هم أولاء على أثري فغير منطبق عليه كما ترى
أجيب عنه بان سؤال الله تعالى يتضمن شيئين احدهما انكار نفس العجلة والثاني السؤال
عن سبب التقدم فاجاب عن السؤال عن العجلة لانه أهم فقال وعجلت اليك رب لترضى
(قال) تعالى (فانا) اي بسبب عجلتك عنهم انا (قد فتنا) اي ابتلينا (قومك من بعدك)
اي بعد فراقك لهم بعبادة العجل وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف وما نجا من عبادة
العجل منهم الا اثنا عشر الفا (وأضلهم السامري) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته فاطاعه
بعضهم وامتنع بعضهم والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لهم السامرة وقيل
كان علجا من اهل كرمان وقع الى مصر وقيل كان من قوم يعبدون البقر جيران لبني اسرائيل
ولم يكن منهم واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى) لما اخبره ربه بذلك (الى قومه)

(قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) الاستثناء فيه منقطع معنى لكن أخرجوا بقولهم ربنا الله او هو من باب تعقيب المدح

صلى الله عليه وسلم فاذا ابو بكر وعمر عنده صبي صغير يبكي فقال لعمر ضم الصبي اليك فانه ضال
فاخذه عمر واذا ام الصبي تولول كاشفة عن رأسها جزعا على ابنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ادرك المرأة فناداها فجاءت واخذت ولدها وجعلت تبكي والصبي في حجرها فالتفتت فرأت النبي
صلى الله عليه وسلم فاستحيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اترون هذه رحيمة بولدها
قالوا يا رسول الله كفى بهذه رحمة فقال والذي نفسي بيده ان الله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها
واعلم ان هرون سلك في موعظته أحسن الوجوه لانه زجرهم عن الباطل أولا بقوله انما فتنتم به
ثم دعاهم الى معرفة الله ثانيا بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم ثالثا الى النبوة بقوله فاتبعوني
ثم دعاهم رابعا بقوله وأطيعوا امري وهذا هو الترتيب الجيد لانه لا بد قبل كل شيء من
اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة ثم
الشريعة فثبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه لانه زجرهم عن الباطل أولا ولما ذكر تعالى
ما قال هرون تشوفت النفس الى علم ما قال موسى فقيل (قال يا هرون) أنت نبي الله وأخي
ووزيري وخليفتي فانت اولى الناس بان الومه وأحقهم بان أعاتبه (ما منعك اذ) اي حين
(رأيتهم ضلوا) عن طريق الهدى واتبعوا سبيل الردى (ألا تتبعني) في سرعة الانفصال عن
بلاد الظالم طوعا او كرها و(تتبعني) ولا مزيدة للتأكيد لان الانكار ازيد في كلام كان بالفعل
مضمونه فقصد انه تأكيد نفي الفعل فيكون ذلك في غاية التأكيد وأثبت الياء بعد
النون ابن كثير وقفا ووصلا وأثبتها نافع وأبو عمرو وصلا لا وقفا وحذفها الباقون وصلا ووقفا
(أفعصيت) اي فتسبب عن اتباعي فتسبب عن ذلك أنك عصيت (أمري) وأخذ بلحيته
وبرأسه يجره اليه غضبا لله تعالى فكأنه قيل ما قال له فقيل (قال) مجيبا له مستعطفا بذكر أول
وطن ضمهما بعد نفخ الروح مع ما له من الرقة والشفقة (يا ابن أم) ذكرها ليعطفه وان كان
شقيقه لانها ابر بها ما يسوءه وهي أرق من الاب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح
الميم وكسرها ابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) اي بشعر رأسي ثم
علل ذلك بقوله (اني خشيت أن تقول) اذ اشتددت عليهم حتى يصل الامر الى القتال (فرقت بين
بني اسرائيل) بقتال هذا الذي لم يعبد العجل ممن كان يعبده فقاتلوا عن دينهم (ولم ترقب
قولي) اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تقل وان ادى الامر ولو آل الامر الى
السيف ولما فرغ من نصيحة أقرب الناس اليه وأحقهم بنصيحته وهدايته على الهدى
اذ كان رأس الهداة تشوف السامع الى ما كان من غيره فاستأنف تعالى ذكره بقوله (قال) اي
موسى عليه السلام لرأس أهل الضلال مرتبا عن أخيه بعد قبول عذره جاعلا ما نسب اليه
سببا للسؤال عن الحامل له عليه (فما خطبك) اي أمرك هذا العجيب العظيم الذي حملك على
ما صنعت وأخبرني انك أضللتهم به (يا سامري قال) السامري مجيبا له (بصرت) من البصر
والبصيرة (بما لم يبصروا به) اي رأيت ما لم يره بنو اسرائيل وعرفت ما لم يعرفوا وقال ابن عباس
علمت ما لم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير اي عالم قاله أبو عبيدة واراد انه رأى جبريل عليه السلام
فاخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب كما قال (فقبضت) اي فكان ذلك سببا لأن قبضت
(قبضة) اي مرة من القبض أطلقها على المقبوض تسمية للمفعول بالمصدر (من أثر) فرس

بذلك (قلت) الذي يظهر
فيها ان الصوامع والبيع
في حرمهم وحرمتهم لان
أهل الكتاب دون المراد
لهم معابد وان وسعت في
زمن عيسى عليه السلام

ارجع فصمم عشرا وقيل انهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين بأيامها وقالوا
قد كملت العدة فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع اليهم ساءهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال
انكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عوار فاحفروا حفرة وألقوها فيها ثم أوقدوا عليها
نارا فلا تكون لنا ولا لهم وكان السامري قد رأى أثرا فقبض منه قبضة فمر بهرون فقال له
يا سامري ألا تلقي ما في يدك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيها على
شيء الا أن تدعو الله اذا ألقيتها أن يكون ما أريد فألقاها ودعا له هرون فقال أريد أن يكون عجلا
فاجتمع ما في الحفرة وصار عجلا فهذا معنى قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا) من ذلك الحلي
المذاب لحما ودما ليس فيه روح (له خوار) أي صوت يسمع قال ابن عباس لا والله ما كان له
صوت قط وانما كان الريح يدخل في دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك وقيل انه
صاغه ووضع التراب بعد صوغه في فمه (فقالوا) أي السامري ومن افتتن به أول ما رأوه مشيرين
الى العجل (هذا الهكم واله موسى فنسي) أي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي
السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان (أفلا يرون) أي قالوا اذ ذاك وتسبب عن قولهم علمهم
عن رؤية (أن) أي أنه (لا يرجع اليهم قولا) والاله لا يكون أبكم (ولا يملك لهم ضرا) فيخافوه كما
كانوا يخافون فرعون فيقولون ذلك خوفا من ضرره (ولا نفعا) فيقولون ذلك رجاء له (ولقد
قال لهم هرون من قبل) أي قبل رجوع موسى متعطفا لهم (يا قوم انما فتنتم) أي وقع
اختباركم فاختبرتم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه (به) أي بهذا العجل في
اخراجه لكم على هذه الهيئة الخارقة للعادة وأكد لأجل انكارهم فقال (وان ربكم) أي
الذي أخرجكم من العدم ورباكم بالاحسان (الرحمن) وحده الذي فضله عام ونعمه شاملة للناس
على بر ولا فاجر نعمة الا وهي منه تعالى قبل أن يوجد العجل وهو كذلك بعد وجوده ومن رحمته قبول
التوبة فخافوا نزع نعمه بمعصيته وارجوا اسباغها بطاعته (فاتبعوني) [illegible]
الرجوع اليه (وأطيعوا أمري) أي في الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) أي العجل
(عاكفين) أي مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) ففارقهم هو واتباعه وكان معظمهم قد ضل ولم
يكن معه من يقوى بهم فخاف أن يجاهدهم الكفار لا يفيد ذلك شيئا مع ان موسى لم يأمره
بجهاد من ضل وانما قال له وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فرأى من الاصلاح اعتزالهم الى
أن يأتي * (تنبيه) * انما قال هرون ذلك شفقة على نفسه وعلى الخلق اما شفقته على نفسه فلانه
كان مأمورا من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان مأمورا من عند أخيه
بقوله اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلو لم يشتغل بالأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر لكان مخالفا لأمر الله تعالى ولأمر موسى وذلك لا يجوز أوحى الله تعالى الى يوشع
ابن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء
الأشرار فما بال الأخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم وعن النعمان
ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد
اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وعن عبد الله بن أبي أوفى قال خرجت اريد النبي

(قوله ولولا
فلا عبسهم) الآية (ان
دفع الله الناس) على المؤمنين
قلت) أي صنعه على المؤمنين
في حفظ الصوامع والبيع
والصلوات أي الكنائس
عن الهدم حتى امتنع عليهم

من رآه (لا مساس) أي لا تمسني ولا أمسك فلا تقدر أن تنفك عن ذلك فكان يهيم في البرية
مع الوحوش والسباع وإذا مس أحداً أو مسه أحد حُمّا جميعاً عاقبه الله تعالى بذلك وكان إذا
لقي أحداً يقول لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وقال ابن عباس لا مساس لك ولولدك وقيل
إن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحد من غيرهم أحداً منهم حُمّا في ذلك الوقت (وإن
لك) بعد الممات (موعداً) للثواب والعقاب إن تبت والعقاب إن أبيت (لن تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو
بكسر اللام أي لن تغيب عنه والباقون بفتحها أي بل تبعث إليه فلا انفكاك لك عنه كما أنك
في الحياة لا تقدر أن تنفك عن النفرة من الناس [illegible] ولما ذكر ما للإله
الحق من القدرة التامة في الدارين أتبعه عجز العجل فقال (وانظر إلى إلهك) أي بزعمك (الذي
ظلت) أي دمت في مدة يسيرة جداً بما أشار إليه تخفيفه بالحذف فإن أصله ظللت بلامين
أولاهما مكسورة فحذفت تخفيفاً (عليه عاكفاً) أي مقيماً تعبده (لنحرقنه) أي بالنار أو بالمبرد
قال البقاعي كما نقل عن نص التوراة وكان من ذلك أنه إذا مسه لا يقدر أن يعلو على الماء [illegible]
(ثم لننسفنه) أي لنذرينه إذا صار رماداً (في اليم) أي في البحر الذي أغرق الله تعالى فيه آل
فرعون ثم جمع الله تعالى هذه الأنواع التي هي من [illegible] فيه [illegible]
ويجعلها من أشد العذاب عليهم وأكد الفعل إشارة إلى [illegible] الله تعالى [illegible]
وتحقيقاً للصدق في الوعد فقال (نسفاً) قال الجلال المحلي وفعل موسى عليه السلام بعد ذبحه
ما ذكره [illegible] وعلى هذا الأصح أن يكون بالمبرد قال الرازي ويمكن أن يقال إنه لما ذبحه
ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها فلما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان
أخبرهم بالحق على وجه الحصر فقال (إنما إلهكم الله) أي الجامع لصفات الكمال ثم كشف
المراد من ذلك وحققه بقوله (الذي لا إله إلا هو) [illegible] (وسع
كل شيء) وقوله (علماً) تمييز محول عن الفاعل أي أحاط علمه بكل شيء [illegible]
يخفى عن كل شيء وأما العجل الذي عبدوه فلا يصلح للإلهية [illegible]
[illegible] الله تعالى قصة موسى عليه السلام [illegible]
الأسلوب الأعظم والسبيل الأقوم كان كأنه قيل هل [illegible] القصص [illegible]
البديع والمثال الرفيع [illegible] (كذلك) أي مثل هذا القص البالغ [illegible]
العالي كقصة موسى ومن ذكر معه (نقص عليك من أنباء) أي أخبار (ما قد سبق) من
الأمم زيادة في علمك [illegible] وتسلية لقلبك وإذهاباً لحزنك [illegible] الرسل [illegible]
وتكثير البينات وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر [illegible]
الحجة على من عاند وكابر (وقد آتيناك) أي أعطيناك تشريفاً [illegible] (من لدنا)
أي من عندنا (ذكراً) أي كتاباً هو القرآن وفي تسمية القرآن بالذكر وجوه أحدها أنه كتاب فيه
ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمر دينهم ودنياهم وثانيها أنه يذكر فيه أنواع آلاء الله ونعمائه
ففيه التذكير والموعظة وثالثها أن فيه الذكر والشرف لك ولقومك كما قال تعالى وإنه لذكر لك
ولقومك وسمى الله تعالى كل كتاب أنزله ذكراً فقال فاسألوا أهل الذكر والتنكير فيه للتعظيم
فإنه مشتمل على أسرار كتب الله تعالى المنزلة (من أعرض عنه) فلم يؤمن به (فإنه يحمل يوم

انما إلهكم يحتمل [illegible]
موسى) [illegible]
[illegible] او [illegible] لان قومه
عطفا على [illegible]
[illegible]
[illegible] والا [illegible]
وهو التفسير [illegible]
[illegible]

ذلك (الرسول) اى المعهود (فنبذتها) اى فى الحلى الملقى فى النار أو فى العجل (وكذلك) اى وكما
سولت لى نفسى أخذ أثره (سولت) اى حسنت وزينت (لى نفسى) نبذها فى الحلى فنبذتها
وكان منها ما كان ولم يدعنى الى ذلك داع ولا حملنى عليه حامل غير التسويل * (تنبيه) * كون
المراد بالرسول جبريل عليه السلام هو ما عليه عامة المفسرين وأرادوا بأثره التراب الذى أخذه
من موضع حافر دابته لما رآه يوم فلق البحر وعن على رضى الله تعالى عنه ان جبريل عليه
السلام لما نزل ليذهب بموسى الى الطور أبصره السامرى من بين الناس واختلفوا فى انه
كيف اختص السامرى برؤية جبريل عليه السلام ومعرفته من بين الناس فقال ابن عباس
فى رواية الكلبى انما عرفه لانه رباه فى صغره وحفظه من القتل حين أمر فرعون بذبح أولاد
بنى اسرائيل وكانت المرأة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ
الملائكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرى ممن أخذه
جبريل عليه السلام وجعل كف نفسه فى فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه
حتى عرفه فلما رآه عرفه قال ابن جريج فعلى هذا قوله بصرت بما لم يبصروا به يعنى رأيت ما لم
يروه ومن فسر الابصار بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت ان تراب فرس جبريل عليه السلام
له خاصية الاحياء قال أبو مسلم ليس فى القرآن تصريح بهذا الذى ذكره المفسرون فههنا وجه
آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وبأثره سنته ورسمه الذى أمر به فقد
يقول الرجل ان فلانا يقفو أثر فلان ويقتص أثره اذا كان يمتثل رسمه والتقدير أن موسى
عليه السلام لما أقبل على السامرى باللوم والمسألة عن الامر الذى دعاه الى اضلال القوم فى
العجل قال بصرت بما لم يبصروا به اى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت
قبضة من أثرك أيها الرسول اى شيأ من دينك فقذفته اى طرحته فعند ذلك أعلمه موسى عليه
السلام بما له من العذاب فى الدنيا والآخرة وانما اورد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل
لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الامير فى كذا او بماذا يأمر الامير وأما دعاؤه ان موسى رسول
مع جحده وكفره فعلى مذهب من حكى الله عنه قوله يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون
وان لم يؤمنوا بالانزال قال الرازى وهذا القول الذى ذكره أبو مسلم ليس فيه الا أنه مخالف
للمفسرين ولكنه أقرب الى التحقيق لوجوه أحدها أن جبريل عليه السلام ليس معهودا
باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكر حتى تجعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق لفظ الرسول
لارادة جبريل كأنه تكليف بعلم الغيب وثانيها أنه لا بد فيه من الاضمار وهو قبضة من أثر حافر
دابة الرسول والاضمار خلاف الاصل وثالثها أنه لا بد من التعسف فى بيان ان السامرى
كيف اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفته وكيف عرف أن تراب حافر فرسه
له هذا الاثر والذى ذكروه من ان جبريل هو الذى رباه فبعيد لان السامرى ان عرف انه
جبريل حال كمال عقله عرف قطعا ان موسى نبى صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان ما عرفه
حال البلوغ فأى منفعة لكون جبريل مربيا له حال الطفولية فى حصول تلك المعرفة * ثم ان
موسى عليه السلام لما سمع من السامرى ما ذكر (قال) له (فاذهب) اى فتسبب عن فعلك أن
أقول لك اذهب من بيننا وحيث ذهبت (فان لك فى الحيوة) اى ما دمت حيا (أن تقول) اكل

وكان فى زمن موسى عليه
السلام وصاحب فى زمن
النبى صلى الله عليه وسلم
فالامتحان على اذعان أهل
الاديان الثلاثة لاجل
الوضع خاصة (قوله وكذب

هو المكان المستوي وقيل الارض التي لا بناء فيها ولا نبات وفي قوله تعالى (صفصفا) قولان
أحدهما الارض الملساء والثاني المستوية والقاع والصفصف قريبان من الترادف وجمع
القاع أقوع وأقواع وقيعان (لا ترى فيها) اي الارض او مواضع الجبال (عوجا) اي انخفاضا
(ولا أمتا) اي ارتفاعا بوجه من الوجوه وعبر هنا في العوج بالكسر وهو للمعاني ولم يعبر بالفتح
الذي توصف به الاعيان فان الارض أو مواضع الجبال أعيان لا معان مبالغة وجاء على أبلغ
وجه بمعنى انك لو جمعت أهل الخبرة بتسوية الارض لاتفقوا على الحكم باستوائها ثم لو
جمعت أهل الهندسة فحكموا مقاييسهم العلمية فيها لحكموا بمثل ذلك (يومئذ) اي يوم اذ
نسفت الجبال (يتبعون) اي الناس بعد القيام من القبور بغاية جهدهم (الداعي) اي الى
المحشر وهو اسرافيل يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام
البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا الى عرض الرحمن (لا عوج له) اي الداعي في شيء
من قصدهم اليه لانه ليس في الارض ما يحوجهم الى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على
السواء وقيل لا عوج لدعائه وهو من المقلوب اي لا عوج لهم عن دعاء الداعي لا يزيغون عنه يمينا
ولا شمالا ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الاصوات) اي سكنت وخفتت
وتطامنت لخشوع اهلها (للرحمن) الذي عمت نعمه فيرجى كرمه ويخشى نقمه (فلا) اي
فتسبب عن خشوعها أنك لا (تسمع الا همسا) اخفى ما يكون من الاصوات وقيل اخفى شيء
من أصوات الاقدام في نقلها الى المحشر كصوت اخفاف الابل في مشيها (يومئذ) اي اذ كان
ما تقدم (لا تنفع الشفاعة) احدا (الا من أذن له الرحمن) ان يشفع له (ورضي له قولا) ولو الايمان
المجرد قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قال لا اله الا الله فهذا يدل على أنه لا يشفع عند الرحمن احد الا أن
تنفع شفاعته بغير اذنه على ما تقدم بيانه في آية الكرسي بقوله (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلائق
من أمور الآخرة (وما خلفهم) من أمور الدنيا وقيل ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم ما خلفوا
من الاعمال (ولا يحيطون به علما) أي لا يحيط علمهم بجملة ما يتوقف عليه الشيء فلا يعلمون ما أي بما بين
أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل راجع الى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علما ولما ذكر
خشوع الاصوات أتبعه خضوع ذوي الاصوات فقال تعالى (وعنت الوجوه) اي ذلت وخضعت في ذلك
اليوم ويصير الملك والقهر لله تعالى دون غيره وخص الوجوه بالذكر مع ان المراد الاشخاص
لشرف الوجوه ولانها أول ما يظهر فيه الذل (للحي) الذي هو المطلع على الدقائق والجلائل
(القيوم) الذي لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت روى أبو امامة الباهلي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اطلبوا اسم الله الاعظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل
عمران وطه قال الرازي فوجدنا المشترك في السور الثلاث الله لا اله الا هو الحي القيوم (وقد
خاب) اي خسر خسارة ظاهرة (من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله والظلم
الشرك ولما شرح الله تعالى أحوال القيامة ختم الكلام فيها بشرح أحوال المؤمنين فقال
(ومن يعمل من الصالحات) اي التي أمر الله تعالى بها بحسب طاقته لانه لن يقدر الله أحد
حق قدره ولن يشاد الدين أحد الا غلبه (وهو مؤمن) ليكون بناؤها على الاساس كما في قوله
تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات (فلا يخاف ظلما) اي بزيادة في سيئاته (ولا هضما) اي
نقصا من حسناته قاله ابن عباس وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل حسنة عملها وعبر

لها موافقة لما قبلها ما أن
ما هنا [illegible] صعقا الاهانة
بقوله فاصلحت الذين كفروا
ثم أخذتهم اي اهلكتهم
وما بعده فقد بعد ونجاه الله
يدل على أنه
بالله [illegible]

القيامة وزرا) أي حملا ثقيلا من الإثم (خالدين فيه) أي في عذاب الوزر (وساء) أي وبئس
(لهم) أي ذلك الحمل (يوم القيامة) وقوله (حملا) تمييز مفسر للضمير في ساء والمخصوص بالذم
محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ومن أقبل عليه كان مذكرا له بكل ما يريده من العلوم
النافعة ويبدل من يوم القيامة (يوم ينفخ في الصور) أي القرن النفخة الثانية وقرأ أبو
عمرو بنون الأولى مفتوحة وضم الفاء على إسناد الفعل إلى الآمر به تعظيما له أو إلى النافخ
والباقون بياء مضمومة وفتح الفاء (ونحشر المجرمين) أي الكافرين (يومئذ زرقا) أي عيونهم
مع سواد وجوههم لأن زرقة العيون أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم
أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق
العين وقيل المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل عطاشا حال كونهم
(يتخافتون) أي يخفضون أصواتهم (بينهم) لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت
خفض الصوت وإخفاؤه (إن) أي يقول بعضهم لبعض ما (لبثتم) أي مكثتم (إلا عشرا) أي
من الليالي بأيامها في الدنيا وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة قالوا
ذلك استقصارا لمدة لبثهم في جنب ما بدا لهم من المخاوف لأن أيام السرور قصار وإما لأنها
ذهبت عنهم وانقضت والذاهب وإن طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز
أطال الله تعالى بقاءك كفى بالانتهاء قصرا وإما لاستطالتهم الآخرة فإنه يستقصر إليها عمر الدنيا
ويتقال لبث أهلها فيها بالقياس إلى لبثهم في الآخرة كما قال تعالى كم لبثتم في الأرض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين وإما غلطا أو دهشة قال الله تعالى (نحن أعلم) أي
من كل أحد (بما يقولون) في ذلك اليوم أي ليس كما قالوا (إذ يقول أمثلهم) أي أعدلهم
(طريقة) أي رأيا أو عملا في الدنيا فيما يحسبون (إن) أي ما (لبثتم إلا يوما) أي مبدأ الآحاد
لا مبدأ العقود كما قال تعالى في آية أخرى يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا
يؤفكون فلا يزالوا في إفك وصرف عن الحق في الدارين لأن الإنسان يموت على ما عاش عليه
ويبعث على ما مات عليه ولما وصف سبحانه وتعالى أمر يوم القيامة حكى سؤال من لا يؤمن
بالحشر فقال تعالى (ويسألونك) يا أشرف الخلق (عن الجبال) كيف تكون يوم القيامة قال
ابن عباس نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيامة وكان سؤالهم على
سبيل الاستهزاء ولما كان مقصودهم من هذا السؤال الطعن في الحشر والنشر فلا جرم أمره
الله تعالى بالجواب مقرونا بحرف التعقيب بقوله (فقل) لهم (ينسفها ربي نسفا) لأن تأخير
البيان في مثل هذه المسألة الأصولية غير جائز وأما المسائل الفروعية فجائز فلذلك ذكر هناك في
نحو قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح
لهم خير بغير حرف التعقيب والنسف التذرية وقيل القلع الذي يقلعها من أصلها ويجعلها
هباء منثورا قال الخليل ينسفها يذهبها ويطيرها وفي ضمير (فيذرها) قولان أحدهما أنه
ضمير الأرض أضمرت للدلالة عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة والثاني ضمير الجبال
وذلك على حذف مضاف أي فيذر مراكزها ومقارها ويذر يجوز أن يكون بمعنى يخلي
فيكون (قاعا) حالا وأن يكون بمعنى يترك التصييرية فيتعدى لاثنين فقاعا ثانيهما والقاع

والتعظيم أي وكذب موسى
اتباعه ورضي آباءه وظلم
معجزاته فأهلكت بهم وقوله
فكأين من قرية أهلكتها
قال ذلك هنا وقال بعده
وكأين من قرية أهلكت

بالوصية العناية الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك
النسيان ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الانسان بل كان يؤاخذ به وانما رفع عنا
وكان الحسن يقول ما عصى أحد قط الا بنسيان وان اريد الترك وانه ترك ما أوصي به من
الاحتراز عن الشجرة وأكل ثمرتها وقيل نسي عقوبة الله تعالى وظن أنه نهي تنزيه (تنبيه)
هذا هو المرة الخامسة من قصة آدم في القرآن أولها في البقرة ثم في الاعراف ثم في الحجر ثم في
الكهف ثم ههنا وقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) تقدم
الكلام على ذلك مفصلا في سورة البقرة وقوله تعالى (أبى) جملة مستأنفة لانها جواب سؤال
مقدر أي ما منعه من السجود فاجيب بانه أبى ومفعول الاباء يجوز أن يكون مرادا وقد صرح
به في الآية الاخرى في قوله تعالى أبى أن يكون مع الساجدين وحسن حذفه هنا كون العامل
رأس فاصلة ويجوز أن لا يراد أصلا وان المعنى أنه من أهل الاباء والعصيان من غير نظر الى
متعلق الاباء ما هو (فقلنا) بسبب امتناعه بعد أن حلمنا عليه ولم نعاجله بالعقوبة (يا آدم ان هذا)
الشيطان الذي تكبر عليك (عدو لك ولزوجك) حواء بالمد لانها منك وسبب تلك العداوة وجوه
الاول ان ابليس كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله في حق آدم حسده فصار عدوا له الثاني ان
آدم عليه السلام كان شابا عالما لقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه
أثبت فضله بفضل أصله وذلك جهل والشيخ الجاهل أبدا يكون عدوا للشاب العالم الثالث
ان ابليس مخلوق من النار وآدم مخلوق من الماء والتراب فبين أصليهما عداوة فبقيت تلك
العداوة (فان قيل) لم قال تعالى (فلا يخرجنكما من الجنة) مع أن المخرج لهما منها هو الله
تعالى (أجيب) بانه لما كان هو الذي فعل بوسوسته ما ترتب عليه الخروج صح ذلك (فان
قيل) لم قال تعالى (فتشقى) أي فتتعب وتنصب في الدنيا ولم يقل فتشقيا (أجيب) بوجهين
أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم
فاختص الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على كونه رأس فاصلة وعن سفيان بن عيينة
قال لم يقل فتشقيا لانها اذا دخلت معه وقع المعنى عليهما جميعا وعلى أولادهما جميعا كقوله تعالى
يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ويا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك قد فرض الله لكم تحلة
أيمانكم فدخلوا في المعنى معه وانما كلم النبي وحده الثاني أريد بالشقاء التعب في طلب
القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعي على زوجته روي أنه أهبط الى
آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه ويحتاج بعد الحرث الى الحصاد
والطحن والخبز وغير ذلك مما يحتاج اليه وعن الحسن قال عنى به شقاء الدنيا فلا تلقى ابن آدم
الا شقيا ناصبا أي ولو أراد شقاوة الآخرة ما دخل الجنة بعد ذلك ولما كان الشبع والري
والكسوة والسكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الناس ذكر تعالى حصول هذه الاشياء
في الجنة من غير حاجة الى الكسب والطلب وذكرها بلفظ النفي لاضدادها بقوله تعالى (ان
لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ) أي تعطش (فيها ولا تضحى) أي لا يحصل لك حر
شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة بل أهلها في ظل ممدود وهذه الاشياء كأنها تفسير للشقاء
المذكور في قوله تعالى فتشقى (فوسوس) أي فتعقب تحذيرنا هذا من غير بعد في زمان أن

(قلت فائدته في الصدور المبالغة في التأكيد كما في قوله يقولون بأفواههم او القلب هنا بمعنى العقل كما قيل به في قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي عقل فقيل فائدة التقييد)

تعالى بالفاء اشارة الى قبول الاعمال وجعلها اسبابا لذلك الحال وأما غير المؤمن فلو عمل امثال الجبال لم يكن لها وزن وقوله تعالى (وكذلك) معطوف على قوله تعالى وكذلك نقص اى ومثل انزال ماذكر (أنزلناه) اى القرآن (قرآنا) جامعا لجميع المعانى المقصودة ثم وصفه تعالى بامرين أحدهما قوله تعالى (عربيا) اى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر الثانى قوله تعالى (وصرفنا فيه من الوعيد) اى كررناه وفصلناه ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بها يتعلق بتكريره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك والمحارم وترك الواجبات فتصير التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكرا) أي عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته وصفاته ذاتهم وصفاتهم (الملك) الذى لا يعجزه شئ فلا ملك فى الحقيقة غيره (الحق) اى الثابت الملك فلا زوال لملكه ولا كان فى زمن ما واعظمة ملكه وحقية ذاته وصفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الامور المتباينة * ولما شرح الله تعالى كيفية نفع القرآن المكلفين وبين انه سبحانه وتعالى متعال عن كل ما لا ينبغى موصوف بالاحسان والرحمة ومن كان كذلك صان رسوله عن السهو والنسيان فى أمر الوحى فلذلك قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن) أي بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من الملك النازل به اليك من حضرتنا كما انا لم نعجل بانزاله عليك جملة بل رتلناه لك ترتيلا ونزلناه اليك تنزيلا مفصلا تفصيلا وموصلا توصيلا كما شئنا لنعلمك ما جمع تأمل له ولا تساوقه بالقراءة فاذا فرغ فاقرأه فانا نجمعه فى قلبك ولا نكلفك المساوقة بتلاوته (وقل رب) أيها المحسن اليك بافاضة العلوم على (زدنى علما) أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما أوحى اليك تناله لا محالة روى الترمذى عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ما ينفعنى وزدنى علما والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علما ويقينا ولما قال تعالى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ذكر هذه القصة انجازا للوعد فقال تعالى (ولقد عهدنا) بما لنا من العظمة (الى آدم) أبى البشر أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة وانما عطفها على قوله تعالى وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على أن أساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ بالنسيان (من قبل) أى فى زمن من الازمان الماضية قبل هؤلاء الذين تقدم فى هذه السورة ذكر نسيانهم واعراضهم (فنسى) عهدنا وأكل منها (ولم نجد له عزما) أى تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره قال البيضاوى ولعل ذلك كان فى بدء أمره قبل أن يجرب الامور ويذوق اريها وشريها اه والارى العسل والشرى الحنظل قال البغوى قال أبو أمامة الباهلى لو وزن حلم آدم بحلم ولده لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقال البيضاوى وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال تعالى ولم نجد له عزما قال ابن الاثير والحلم بالكسرة الاناة والتثبت فى الامور (فان قيل) ما المراد بالنسيان (اجيب) بانه يجوز أن يراد بالنسيان الذى هو نقيض الذكر وانه لم يعن

العذاب لم يأتهم فى الوقت
فحسن ذكر الاهلاك فى
الاول والاملاء فى الثانى
(قوله ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور) ان قلت
ما فائدة ذلك مع ان القلوب

عاداه (فغوى) أي فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وقيل حيث طلب الخلد بأكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخيط ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاوده ويعتاده

(تنبيه) تمسك بعضهم بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى في صدور الكبيرة منه من وجهين الاول ان العاصي اسم الذم فلا يطلق الا على صاحب الكبيرة لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ولا معنى لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني أن الغواية والضلالة اسمان مترادفان والغي ضد الرشد ومثل هذا الاسم لا يتناول الا الفاسق المنهمك في فسقه وأجيب بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون بالواجب وقد يكون بالمندوب فانك تقول أمرته فعصاني وأمرته بشرب الدواء فعصاني واذا كان كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان على آدم لكونه تاركا للمندوب ووصف تارك المندوب بانه عاص مجاز وأجاب أبو مسلم الاصبهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوى قال الرازي والاولى عندي في هذا الباب أن يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وتقدم شرح ذلك في البقرة وقيل انما أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أن الشجرة التي نهى الله عنها الشجرة مخصوصة لا كل الجنس وقيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة فهو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يريدونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيئات (ثم اجتباه ربه) اي اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أي قبل توبته وأعاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) اي هداه الى الرشد حتى رجع الى الندم والاستغفار ولما كانت دار الملوك لا تصلح لمن [illegible] وان قد [illegible] بالاجتباء [illegible] قال على طريق الاستئناف (قال) اي سبحانه وتعالى [illegible] (اهبطا) أي آدم وحواء [illegible] (منها) اي الجنة (جميعا) [illegible] (بعضكم لبعض عدو) [illegible] الاول بعض الذرية [illegible] قال بعضهم [illegible] وقوله تعالى (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة (يأتينكم مني هدى) اي كتاب ورسول (فمن اتبع هداي) الذي أسعفته به من أوامر الكتاب والرسول (فلا يضل) أي بسبب ذلك عن طريق السداد في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله تعالى من الضلالة ووقاه الله تعالى يوم القيامة سوء الحساب وذلك ان الله تعالى يقول فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ولما وعد تعالى من اتبع الهدى اتبعه بوعيد من أعرض فقال تعالى (ومن أعرض عن ذكري) أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فان له معيشة ضنكا) والضنك أصله الضيق والشدة وهو مصدر فلذلك قال له معيشة ذات ضنك واختلف في ذلك فقال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن مسعود المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر روى أبو هريرة أن عذاب القبر للكافر قال قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية

أوحى اليه بشرع [illegible] بعد العصيه [illegible] الرسول [illegible] دونه [illegible]

وسوس (اليه الشيطان) المحترق المطرود وهو ابليس أي أنهى اليه الوسوسة وأما وسوس له فمعناه لاجله فاذا تعدى تارة باللام في قوله تعالى فوسوس لهما وتارة بالى ثم بين تعالى تلك الوسوسة ما هي بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا يبيد ولا يفنى قال الرازي واقعة آدم عجيبة وذلك لان الله تعالى رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ورغبه ابليس أيضا في دوام الراحة بقوله تعالى هل أدلك على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لا يبلى فكان الشيء الذي رغب الله تعالى فيه آدم هو الذي رغبه ابليس فيه الا أن الله تعالى وقف ذلك الامر على الاحتراس عن تلك الشجرة وابليس وقفه على الاقدام عليها ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام مع كمال عقله وعلمه بان الله مولاه وناصره ومربيه وعلمه بان ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بعداوته وأعرض عن قول الله تعالى مع علمه بانه الناصر له والمربي ومن تأمل هذا الباب طال تعجبه وعرف آخر الامر ان هذه القصة كالتنبيه على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه وان الدليل وان كان في غاية الظهور ونهاية الكمال لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله ذلك وقدره ويدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث [illegible] روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم أنت موسى الذي [illegible] الله برسالته وبكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا [illegible] التوراة قبل أن يخلقني قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء وقال كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ثم كان ابليس قال لآدم بلسان الحال أو القال لما شوقه الى الشجرة التي نهي عنها ما بينك وبين الملك الدائم الا أن تأكل منها (فأكلا) أي تسبب عن قوله وتعقبه أن أكل (منها) هو وزوجه مخالفين لقوله ناسيين ما عهد اليه والامر قد [illegible] في الازل (فبدت لهما سوآتهما) قال ابن عباس عريا من النور الذي كان الله ألبسهما حتى بدت فروجهما وانما جمع سوآتهما كما قال صغت قلوبكما أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمي كل منهما سوأة لان انكشافه يسوء صاحبه (وطفقا يخصفان) أي أخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به قال ابن عادل وهو ورق التين (وعصى آدم) بالاكل من الشجرة وان كان انما فعل المنهي ناسيا لان عظم مقامه وعلو رتبته يقتضيان له مزيد الاعتناء ودوام المراقبة (ربه) المحسن اليه بما لم يحسن به الى أحد من نوعه [illegible] بيده واسجاد ملائكته ومعاداة من

لاحتراز عن القول لضعف بان العقل في [illegible] وماغ (قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الرسول انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه والنبي انسان

لهم الى في كل أمة (لآيات) عظيمات بينات (لأولى النهى) اى لذوى العقول الناهية عن
التغافل والتعامى * ولما هددهم باهلاك الماضين ذكر سبب تأخيره عنهم بقوله تعالى (ولولا
كلمة) اى عظيمة قاضية نافذة (سبقت) اى في أزل الآزال (من ربك) الذى عودك
الاحسان بتأخير العذاب عنهم الى الآخرة فانه يعامل بالحلم والاناة (لكان) اى العذاب
(لزاما) اى لازما أعظم لزوم لهم في الدنيا مثل ما نزل بعاد وثمود ولكن تعالى سبق أمره من شأننا
لهم ويخرج من أصلاب بعضهم من يؤمن وانما فعلنا ذلك اكراما لك ورحمة لامتك فيكثر
أتباعك فيعملوا الحسنات فيكون ذلك زيادة في شرفك والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم وغاكان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى [illegible] جواب لولا [illegible] تابعا وفى
رفع قوله تعالى (وأجل مسمى) وجهان أظهرهما العطف على كلمة أى ولولا أجل مسمى لكان
العذاب لازما لهم وهذا ما صدر به البيضاوى والثانى أنه معطوف على الضمير المستتر في كان
وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد واقتصر الجلال المحلى على هذا [illegible]
والبيضاوى وفي هذا الاجل المسمى قولان أحدهما ولولا أجل مسمى في الدنيا لأتاهم العذاب
وهو يوم بدر والثانى ولولا أجل مسمى في الآخرة لأتاهم العذاب وحده كما قال الرازى أيضا
قال أهل السنة انه تعالى يحكم المالكية أن يخص من شاء بفضله ومن شاء بعذابه من غير علة
اذ لو كان فعله لعلة لكانت تلك العلة ان كانت قديمة لزم قدم الفعل وان كانت حادثة لزم افتقارها
الى علة أخرى ويلزم التسلسل ثم انه تعالى لما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهلك أحدا
قبل استيفاء أجله أمره بالصبر فقال (فاصبر على ما يقولون) الآية من التسلية ونحوه وهذا
كان في أول الامر ثم نسخ بآية القتال (وسبح) أى صل [illegible] (بحمد ربك) [illegible]
وأنت حامد لربك على ما وفقك له [illegible] (قبل طلوع الشمس) [illegible] (وقبل
غروبها) صلاة العصر (ومن آناء الليل) أى ساعاته (فسبح) [illegible]
[illegible] (وأطراف النهار) [illegible]
[illegible] طرف النصف الاول [illegible] النصف الثانى [illegible]
[illegible] المراد الصلوات [illegible]
طلوع الشمس أو قبل [illegible]
الواجبة دخلت [illegible] (وأطراف النهار) [illegible] وقال [illegible]
[illegible] التسبيح على التنزيه والاجلال والمعنى [illegible] الله تعالى في هذه الاوقات
(فان قيل) النهار له طرفان فكيف قال وأطراف النهار ولم يقل طرفى النهار (أجيب) بوجهين
أظهرهما انه انما جمع لانه يلزم في كل نهار ويعود والثانى ان أقل الجمع اثنان وقرأ قوله تعالى
(لعلك ترضى) أبو بكر والكسائى بضم التاء اى ترضى بما تنال من الثواب كقوله تعالى
وكان عند ربه مرضيا وقرأ الباقون بفتحها اى ترضى بما تنال من الشفاعة قال تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وقال تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا والمعنى على القراءتين
لا يختلف لان الله تعالى اذا أرضاه فقد رضيه واذا رضيه فقد أرضاه * ولما كانت النفس
مائلة الى الدنيا مفتونة بالحاضر من فانى العطايا وكان تخليها عن ذلك هو الموصل الى حريتها

(ان قلت) كيف لا يحزن [illegible] فيهم ان في قطع [illegible] [illegible] ربهم [illegible] [illegible] (الجمل)

لكل همة تفرق من جشوته ويا سعوده وينفدون في جمعها يوم يموتون وقال الحسن
وقتادة والكلبي هو الضيق في الآخرة في جهنم فإن طعامهم الضريع والزقوم وشرابهم
الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقال ابن عباس المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه
أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها وعن عطاء المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لأنه غير
موقن بالثواب والعقاب وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
عقوبة المعصية ثلاثة ضيق المعيشة والعسر في الشدة وأن لا يتوصل إلى قوته إلا بمعصية الله
وذلك أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله تعالى وعلى قسمته فهو ينفق
ما رزقه الله تعالى بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال تعالى فلنحيينه حياة طيبة
والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط
عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة قال صلى الله عليه وسلم
لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانيا ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف
ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب متفق عليه قال بعض الصوفية لا يعرض أحد
عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه وقال تعالى استغفروا ربكم إنه كان
غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة
لأسقيناهم ماء غدقا ثم ذكر حال المعرض في الآخرة بقوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى)
قال ابن عباس إذا خرج من القبر خرج بصيرا فإذا سيق إلى المحشر عمي وقال بعضهم فلا تنافي بين هذا
وبين قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا وقال عكرمة عمي عليه كل شيء إلا جهنم وفي لفظ
قال لا يبصر إلا النار وعن مجاهد المراد بالعمى عمى الحجة ويرد به الأول قوله تعالى (قال رب
لم حشرتني أعمى) في هذا اليوم (وقد كنت بصيرا) أي في الدنيا أو في أول هذا اليوم فكأنه قيل
بم أجيب فقيل (قال) له ربه (كذلك) أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة
نيرة (فنسيتها) فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها (وكذلك) أي ومثل تركك إياها (اليوم
تنسى) أي تترك في العمى والعذاب (وكذلك) أي ومثل هذا الجزاء الشديد (نجزي من
أسرف) في متابعة هواه فتكبر عن متابعة أوامرنا (ولم يؤمن) بل كذب (بآيات ربه)
وخالفها (ولعذاب الآخرة أشد) مما نعذبهم به في الدنيا والقبر أو ضنكه (وأبقى) فإنه غير منقطع
ولما بين الله تعالى أن من أعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة أتبعه بما يعتبر به
المكلف من الأفعال الواقعة في الدنيا لمن كذب الرسل فقال (أفلم يهد) أي يبين بيانا
يقود إلى المقصود (لهم) أي لهؤلاء الذين أرسلت إليهم أعظم رسلي وفاعل يهد مفهوم قوله
(كم أهلكنا) وقال أبو البقاء الفاعل ما دل عليه أهلكنا أي إهلاكنا والجملة مفسرة له وقال
الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده يريد ألم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن
يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى وكم خبرية مفعول أهلكنا (قبلهم من القرون) أي
بتكذيبهم رسلنا حال كونهم (يمشون) أي هؤلاء العرب من أهل مكة وغيرهم (في مساكنهم)
أي في سفرهم إلى الشام ويشاهدون آثار هلاكهم (إن في ذلك) أي الإهلاك العظيم الشأن

تقدم هنا كلمات بعضها
بيان وبعضها الالام وبعضها
فإنما جعلناه شرواها قال
هنا وان الله لهو الغني
الحميد وقال ثم ان الله هو
الغني الحميد (قوله وما جعل
عليكم في الدين من حرج)

ثم تلو هذه الآية (والعاقبة) اى الجنة المحمودة (للتقوى) اى لاهل التقوى قال ابن عباس
الذين صدقوك واتبعوك واتقونى ويؤيده قوله تعالى فى موضع آخر والعاقبة للمتقين
ولا معونة على الرزق وغيره بشئ يوازى الصلاة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر اى
بالباء الموحدة اى اذا احزنه فزع الى الصلاة قال ثابت وكان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اذا نزل بهم امر فزعوا الى الصلاة وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى تفرغ لعبادتى املأ صدرك غنى واسد فقرك وان لم تفعل ملأت صدرك
شغلا ولم اسد فقرك وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم فى احوال
الدنيا لم يبال الله فى اى اوديتها هلك وعن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا
الا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له امره وجعل غناه فى قلبه واتته الدنيا وهى
راغمة * ثم انه تعالى بعد هذه الوصية حكى عنهم شبهة فقوله تعالى (وقالوا لولا يأتينا بآية من
ربه) فكأنه من لوازم قوله تعالى [illegible]
فى موضع آخر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون ثم اجاب الله عن ذلك [illegible]
عليه وسلم بقوله (اولم تأتهم بينة) اى بيان (ما فى الصحف الاولى) من التوراة والانجيل وسائر
الكتب السماوية المشتمل عليه القرآن من انباء الامم الماضية [illegible]
فما يؤمنهم ان يكون حالهم فى سؤال الآيات كحال اولئك [illegible]
بالموقوفة على الآيات [illegible] (ولو انا اهلكناهم) [illegible]
عليهم (بعذاب من قبله) اى من قبل [illegible]
تعالى ولا تعلق بالقرآن [illegible]
الله عليه وسلم (لقالوا) اى يوم القيامة (ربنا) [illegible]
ولم لا (ارسلت الينا رسولا) [illegible]
[illegible] (من قبل ان نذل) بالعذاب [illegible] (ونخزى) [illegible]
[illegible]
لا ينقطع بل [illegible] الهدى [illegible]
منهم فقيل (قل) لهم (كل) اى كل واحد منا ومنكم (متربص) [illegible]
وامركم (فتربصوا) فانتم كالهالك [illegible] (فستعلمون) [illegible]
فيه وهو يوم القيامة (من اصحاب الصراط) اى الطريق (السوى) اى المستقيم (ومن
اهتدى) اى من الضلالة [illegible]
[illegible] عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرأ طه ويس
قبل ان يخلق آدم بألفى عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى
لالسن تتكلم بهذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا يس وطه انتهى ولم يذكر له سندا وأما ما رواه البيضاوى

الوقت بطلوعها كما قال تعالى وسبح بالعشى والابكار ونحو ذلك (ولا تمدن) مؤكدا بالنون الثقيلة (عينيك) أى لا تطول نظرهما بعد النظرة الأولى المعفو عنها (الى ما متعنا به) في هذه الحياة الفانية (أزواجا) أى أصنافا (منهم) أى الكفرة استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله والامتاع الالذاذ بما يدرك من المناظر الحسنة ويسمع من الاصوات المطربة ويشم من الروائح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح وقوله تعالى (زهرة الحياة الدنيا) أى زينتها وبهجتها منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى أعطينا فأزواجا مفعول أول وزهرة هو الثانى وذكر ابن عادل غير هذين الوجهين سبعة أوجه لا حاجة لنا بذكرها ثم علل تعالى تمتيعهم بقوله تعالى (لنفتنهم فيه) أى لنفعل بهم فعل المختبر فيكون سبب عذابهم في الدنيا بالعيش الضنك الماضى وفى الآخرة بالعذاب الأليم فمن رتبه من نظر بأدل معنى حق التأمل فما أحد فيه خير مما هم فيه (ورزق ربك) في الجنة (خير) مما أوتوه في الدنيا (وأبقى) أى أدوم أو ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة أولان أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى قال الزمخشرى لان الله تعالى لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا انتهى وهذا جار على مذهبه المخالف لاهل السنة من أن الحرام لا يسمى رزقا وقال أبو مسلم الذى نهى عنه بقوله ولا تمدن عينيك ليس هو النظر بل هو الاسف أى لا تأسف على ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا وقال أبو رافع نزلت هذه الآية في ضيف نزل بالنبى صلى الله عليه وسلم فبعثنى الى يهودى أن يسلفنى الى رجب فقال والله لا أقرضه الا برهن فأخبرته بقوله فقال صلى الله عليه وسلم انى لامين في السماء وانى لامين في الارض احمل اليه درعى الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وقال أبو الدرداء الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم لها عبيدا ولما أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتزكية النفس أمره بأن يأمر أهله بالصلاة بقوله عز وجل (وأمر أهلك بالصلوة) أى أمر أهل بيتك والتابعين لك من أمتك بالصلاة كما كان أبوك اسمعيل عليه السلام يدعوهم الى كل خير فان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب الى فاطمة وعلى رضى الله عنهما كل صباح ويقول الصلاة (واصطبر) أى داوم (عليها لا نسألك) أى نكلفك (رزقا) لنفسك ولا لغيرك (نحن نرزقك) وغيرك كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ففرغ بالك لامور الآخرة وفى معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزنى كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله

المراد بالدين التوحيد ولا حرج فيه بل فيه حنيفية فانه يكفر قائله من الشرك وان امتد ولا يتوقف الاتيان به على زمان أو مكان معين أو أن كل ما يقع فيه الانسان من

انهم (يلعبون) أي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء والسخرية لتناهي غفلتهم
وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب (لاهية) أي ساهية
معرضة (قلوبهم) عن ذكر الله ... (قلوبهم) فاعله ... وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفتان او متداخلتان ولما ذكر ... ما يأتونه في حالة الاستماع من اللهو واللعب
ذكر ما يتفرع عليه بقوله تعالى عطفا على ما قبله (وأسروا) اي الناس ... (النجوى)
اي بالغوا في اسرارها ... وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو واسروا ... انهم
ظالمون فيما اسروا به او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره ... [illegible]
المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم وقيل ... [illegible]
وقيل منصوب على الذم ... [illegible] (هل) اي ... [illegible]
هذا متضمن من ادعائه النبوة ... (هذا) الا ... [illegible]
(الا بشر مثلكم) اي من جنسكم وخلاقته في الاكل والشرب ... [illegible]
عنكم بالرسالة ... الذي ... [illegible]
عن هذا الانكار ... (أفتأتون السحر وأنتم) ... (تبصرون) ... [illegible]
انه بشر مثلكم ... [illegible]
ان الرسول لا يكون الا ملكا ... [illegible]
حضوره (فان قيل) لم اسروا ... (أجيب) ... [illegible]
... [illegible]
لا ... [illegible]
قول الناس ... [illegible]
... [illegible]
الشيطان ... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
... [illegible]
(القول) سواء كان سرا ام جهرا كائنا (في السماء والارض) ... [illegible]
... من ذلك (وهو السميع العليم) ولا يخفى عليه ... [illegible]
قيل يعلم السر لقوله تعالى وأسروا النجوى (أجيب) بان القول عام يشمل السر والجهر فكان
العلم به علما بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم ... ولم يقل يعلم السر كما ان
قوله يعلم السر آكد من ان يقول يعلم سرهم (فان قيل) لم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في
قوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولم يقل يعلم القول كما هنا (أجيب)
بانه ليس بواجب أن يأتي بالآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى
كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية وما دونها
على أن اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل أنه قدم هنا انهم أسروا النجوى فكأنه

ثم قال الزمخشري عن أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار فحديث موضوع

سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مكية

قال الرازي بإجماع وهي مائة واحدى أو ثنتا عشرة آية وألف ومائة وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وستون حرفا

(بسم الله) الحكم العدل الذي عمت قدرته وعم أمره (الرحمن) الذي ساوى بين خلقه في رحمته ايجاده (الرحيم) الذي خص من شاء من عباده في معاده قال أبو محمد عمر بن الزاهد في برهانه لما تقدم قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى قال تعالى (اقترب) أي قرب (للناس حسابهم) أي في يوم القيامة أي فلا تمدن عينيك الى ذلك فإن ما جعلناه فتنة وآثاره بصيغة الافتعال المنبئة عن زيادة القرب لانه لا أمة بعدهم تنتظر أمرها وأخر الفاعل تهويلا لتذهب النفس في تعيينه كل مذهب (فان قيل) كيف وصف ذلك اليوم بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من ستمائة عام (أجيب) بأنه مقترب عند الله والدليل عليه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت أوقات استقباله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض قال الشاعر

فلا زال ما تهواه أقرب من غد ⁂ ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

ولان ما بقي من الدنيا أقصر وأقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه الموعود ببعثه في آخر الزمان وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم ختمت النبوة بي فلذلك لأجل أن الباقي من مدة الدنيا كالشيء أقل من الماضي وعن ابن عباس أن المراد بالناس المشركون وهو من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهو قوله تعالى (وهم) أي والحال أنهم (في غفلة) أي عن الحساب (معرضون) عن التأهب لهذا اليوم لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما يرجع اليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء وأيضا ان هذه الآية نزلت في كفار مكة ولما أخبر تعالى عن غفلتهم واعراضهم دل على ذلك بقوله (ما يأتيهم) وأغرق في النفي بقوله (من ذكر) أي وحي ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة وقوله تعالى (من ربهم) صفة ذكر أو صلة ليأتيهم (محدث) انزاله أي ما يحدث الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وبهذا سقط احتجاج المعتزلة بأن القرآن حادث لهذه الآية وقيل معناه ان الله تعالى يحدث الأمر بعد الأمر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الأحكام وغيرها من الأمور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (الا استمعوه) أي قصدوا سماعه وهو أجدّ الجد وأحق الحق (وهم) أي والحال

أنهم

لميتون) فان قلت لم أكده باللام دون قوله بعده ثم إنكم يوم القيامة تبعثون قلت لان المذكورين ينكرون البعث دون الموت (قلت) لما كان العطف بثم الاحتياج اليه

ارسالهم * (فائدة) * قال ابن فارس في المجمل وفي كتاب الخليل ان الجسد لا يقال لغير الانسان
ووحد الجسد لارادة الجنس كأنه قيل ذوي ضرب من الاجساد او على حذف المضاف
اي ذوي جسد كاجسادهم او تأويل الضمير لكل واحد وهو جسم * ولو قال البيضاوي والدلالة اي
ولكون الجسد جسما اذ لا يطلق على الماء والهواء وهو قال الماوردي على انه اللون انما
يتلون باللون فارقه او مقابلة لانه جسم شفاف لكن قال الامام الرازي بل هو لون يرى ومع ذلك
لا يحجب عن رؤية ما وراءه ثم نبه على الثاني بقوله تعالى (وما كانوا خالدين) اي باجسادهم
بل ماتوا كما مات الماضون قبلهم وبعدهم وانما امتازوا عن الناس بما اكرمهم الله تعالى
ورسولكم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد فلا تجعلوا ما اتيناه منه شرطا فانه قد [illegible] بينكم
وانتم عالمون الملك الذي [illegible] (ثم صدقناهم الوعد) اي الذي
وعدناهم باهلاك [illegible] قوله تعالى [illegible] في [illegible] الاصل
في الوعد [illegible] القتال [illegible] والاصل في [illegible]
عرض بين البيع فقال له المشتري [illegible] فقال [illegible]
اللفظة [illegible] بل لا [illegible] فقال [illegible]
* (تنبيه) * اشار تعالى باداة التراخي الى [illegible] طال [illegible]
سطوته وآراهم [illegible] (فأنجيناهم) اي الرسل (ومن نشاء) [illegible] المؤمنين [illegible]
[illegible] من [illegible] ولذلك [illegible] تعالى
(وأهلكنا المسرفين) اي المشركين [illegible] (لقد انزلنا اليكم) [illegible]
قريش (كتابا) اي القرآن (فيه ذكركم) اي [illegible]
ولقومك او فيه مكارم الاخلاق التي [illegible]
بالعهد وصدق الحديث واداء الامانة [illegible]
من [illegible] ولانه نزل بلغتكم [illegible]
[illegible] (افلا تعقلون) [illegible]
(وكم قصمنا) اي اهلكنا (من قرية) اي اهلها [illegible]
الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم وقوله تعالى (كانت ظالمة) اي [illegible]
لاهلها وصفت بالظلم [illegible] بقوله تعالى (وانشأنا بعدها) اي بعد
اهلاك اهلها (قوما آخرين) مكانهم [illegible] اهلها [illegible] (فلما
احسوا) اي ادرك اهلها [illegible] (بأسنا) اي عذابنا (اذا هم منها) اي القرية (يركضون)
هاربين [illegible] لما ادركتهم مقدمة العذاب [illegible] ضرب الدابة
بالرجل [illegible] او مشبهين بهم من فرط اسراعهم [illegible] على الرسل وقولهم
لهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا [illegible]
(لا تركضوا) [illegible] (وارجعوا) الى قريتكم (الى
ما أترفتم) اي نعمتم (فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة والترفه ولما كان أعظم
ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم المسكن قال (ومساكنكم) اي التي كنتم تفتخرون بها على

أو أراد أن يقول إن ربي يعلم ما أسررتم فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف ذاته
بأنه تعالى الذي يعلم السر في السموات والأرض فهو كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرأ حفص وحمزة والكسائي قال بصيغة الماضي بالاخبار عن
الرسول والباقون قل بصيغة الامر ثم انه تعالى بين أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى
الله عليه وسلم وفيما يقوله بقوله تعالى (بل قالوا) أي قال بعضهم هذا الذي قاله لكم (أضغاث
أحلام) أي أخلاط أحلام رآها في النوم وقال بعضهم (بل افتراه) أي اختلقه من عند نفسه
ونسبه الى الله تعالى وقال بعضهم (بل هو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (شاعر) فما جاءكم به
شعر والشاعر يخيل ما لا حقيقة له لغيره أولا ثم كلهم أضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط
أحلام ثم الى أنه كلام مفترى من عنده ثم الى أنه قول شاعر وهكذا المبطل متحير رجاع غير ثابت
على قول واحد قال الزمخشري ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لأقوالهم في درج
الفساد وأن قولهم الثاني أفسد من الأول والثالث أفسد من الثاني وكذا الرابع أفسد من
الثالث ثم انهم لما اقتدحوا في اعجاز المعجزات طلبوا آية غيره فقالوا (فليأتنا) دليلا على رسالته
(بآية كما) أي مثل ما (أرسل الأولون) بالآيات كتسبيح الجبال وتسخير الريح وتفجير الماء
واحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وصحة التشبيه من حيث أن الارسال يتضمن الاتيان
بالآية قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي من أهل
قرية أتتهم الآيات (أهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) أي لو جئتهم
بها وهم أعتى منهم وفيه دليل على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو أتى به لم يؤمنوا
واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم ه ولما بين تعالى بطلان ما قدحوا به في نبوته
صلى الله عليه وسلم بكونه بشرا قال تعالى عاطفا على آمنت مجيبا عن قولهم هل هذا الا بشر
مثلكم (وما أرسلنا قبلك) أي في جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع طوائف البشر
(الا رجالا) أي لم نرسل ملائكة الى الأولين انما أرسلنا رجالا (نوحي اليهم) مثلك ثم انه
تعالى أمر المشركين أن يسألوا أهل الكتاب بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر) وانما أحالهم
على هؤلاء لأنهم كانوا لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وان أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن وقرأ ابن كثير
والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقون بسكون
السين وهمزة مفتوحة بعدها ه ثم نبه تعالى على أنهم غير محتاجين فيه الى السؤال بما قد
كان بلغهم على الاجمال من أحوال موسى وعيسى وابراهيم واسمعيل وغيرهم عليهم السلام
بقوله تعالى معبرا بأداة الشك محركا لهم على المعالي (ان كنتم) أي بجبلاتكم (لا تعلمون) أي
لا أهلية لكم في اقتناص علم بل كنتم أهل تقليد محض وتبع صرف ه ولما بين تعالى أنه صلى
الله عليه وسلم على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلا بين أنه على سننهم في جميع الأوصاف
التي حكم بها على البشر في العيش والموت فقال عطفا على الأول بقوله تعالى (وما جعلناهم) أي الذين
استنبأناهم وبعثناهم الى الناس ليأمروهم بأوامرنا (جسدا) أي ذوي جسد ولحم ودم مستغنين
بأنهم (لا يأكلون الطعام) بل جعلناهم أجسادا يأكلون ويشربون وليس ذلك بمانع من

منها تأكلون بالافراد وحذف الواو موافقة لما قبلها اذ ما هنا تقدمه جنات بالجمع وما بعد الواو معطوف على مقدر تقديره منها تدخرون ومنها تأكلون وما في الزخرف تقدمه جنة

من لدنا) اى من عندنا مما يليق ان ينسب لحضرتنا من الحور العين والملائكة لما بنا من تمام
القدرة وكمال العظمة (ان كنا فاعلين) ذلك لكنا لم نفعله لانه لا يليق بجنابنا فلم نرده وقوله تعالى
(بل نقذف) اى نرمى (بالحق) اى الايمان (على الباطل) اى الكفر اضراب عن اتخاذ اللهو
وتنزيه لذاته عن اللعب بل شأننا ان نرمى بالحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداد
اللهو (فيدمغه) اى يذهبه واستعار لمحض الباطل بالحق القذف والدمغ تصويرا لابطاله
به واهداره ومحقه فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة ووجه استعارة القذف والدمغ لما ذكر ان
أصل استعمالهما فى الاجسام ثم استعير القذف لمحض الباطل بالحق والدمغ لاذهاب الباطل
فالمستعار منه حسى والاستعارة عقلى (فاذا هو) فى الحال (زاهق) أى ذاهب والزهوق
ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز من اطلاق القذف على محض الباطل ثم عطف على ما أفادته
اذا قوله تعالى (ولكم) أى واذا لكم أيها المبطلون (الويل) أى العذاب الشديد (مما
تصفون) الله تعالى به مما هو فى أنفسكم كالزوجة والولد (تنبيه) ما اما مصدرية او موصولة
أو موصوفة ه ولما حكى الله تعالى كلام الطاعنين فى النبوات وأجاب عنها بان أغراضهم من
تلك المطاعن التمرد وعدم الانقياد بين بقوله تعالى (وله من فى السموات) أى الاجرام العالية
وهى ما تحت العرش وجمع السماء هنا لاقتضاء تفخيم الملك ذلك ولما كانت عقولهم لا تدرك
تعدد الارض وحدها فقال (والارض) أى له ذلك خلقا وملكا أنه منزه عن طاعتهم لانه هو
المالك لجميع المحدثات والمخلوقات وعبر بمن تغليبا للعقلاء وقوله تعالى (ومن عنده) أى وهم
الملائكة باجماع الامة ولان الله تعالى وصفهم بانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا
لا يليق بالبشر مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) بنوع كبر طلبا ولا ايجادا وعبر عنهم
بالذكر لكرامتهم عليه تنزيلا لهم منزلة المقربين عند الملوك (تنبيه) هذه العندية للشرف
والرتبة لا عندية المكان والجهة فكأنه تعالى قال الملائكة مع كمال شرفهم وعلو طبقتهم
ونهاية جلالتهم لا يستكبرون عن عبادته فكيف يليق بالبشر الضعيف التمرد عن طاعته
(و) مع ذلك أيضا (لا يستحسرون) أى لا يعيون وانما جئ بالاستحسار الذى هو أبلغ من
الحسور تنبيها على أن عبادتهم من ثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون
ولا يطيقون أن ينقطعوا عنها فانتج ذلك قوله تعالى (يسبحون) أى ينزهون المستحق للتنزيه
بانواع التنزيه من الاقوال والافعال (الليل والنهار) اى جميع آنائهما دائما (لا يفترون)
اى عن ذلك وقتا من الاوقات فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل ه ولما كانوا عند هذا
البيان جديرين بان يبادروا الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا احقاء بعد الاعراض عنهم
بالتوبيخ والتهكم والتعنيف فقال تعالى (أم اتخذوا) اى بل اتخذوا فام بمعنى بل للانتقال
والهمزة لانكار اتخاذهم (آلهة من الارض) ونسبتها الى الارض الايذان بانها
الاصنام التى تعبد فى الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث
الامة التى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة
لانه فهم منها ان مرادها نفى الآلهة الارضية التى هى الاصنام لا اثبات ان السماء مكان الله
تعالى ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة أو تعمل من

وقاله زده له
على من قومه لانه اقتصر فى صلته
بالعكس على الفعل
الموصول
والفاعل وفيما بعد طالت
صلته بزيادة الصفة
على الصلة مرة بعد أخرى
فقدم عليها من قومه لان

الصغيرة أو سمعتم من فنائها أو علمتم من بنائها واحد فتم من مشاهدتها (لعلكم تسألون) وفي
هذا تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى
عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا
واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن
تملكون أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم فيقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون أو يسألكم من
دنياكم على العادة أو تسألون في الإيمان كما كنتم تسألون فتقاولوا بما عندكم من الأنفة والحمية
والعظمة أو في المهمات كما تكون الرؤساء في مقاعدهم العلية ومراتبهم السنية فيجيبون
سائلهم بما شاؤوا * ولما كان كأنه قيل بم أجابوا هذا القائل قيل (قالوا) حين لا ينفع اقرارهم
عند نزول البأس (يا ويلنا) إشارة إلى أنه حل بهم لأنه ينادي بالقريب توقعا به كما يقول
الشخص لمن تضرر به ياسيدي كأنه يستغيث به ليكف عنه وذلك عبارة عنهم وعمى عن الذي
أحله بهم لأنهم كالبهائم لا ينظرون إلا السبب الأقرب ثم عللوا حلوله بهم تأكيدا لترققهم بقولهم
(إنا كنا) جبلة وطبعا (ظالمين) حيث كذبنا الرسل وعصينا أمر ربنا فاعترفوا حيث لا ينفعهم
الاعتراف لفوات محله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه القرية حضور بفتح الحاء
وبالضاد المعجمة وهي وسحول قريتان قريبتان من اليمن تنسب إليهما الثياب وفي الحديث
كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله إليهم نبيا
فقتلوه فسلط الله تعالى عليهم بختنصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي
أنهم لما أخذتهم السيوف نادى مناد من السماء يا لثارات الأنبياء وهي بفتح اللام وبمثلثة وهمزة
ساكنة أي يا أهل ثاراتهم أي الطالبين بدمهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه
فندموا وقالوا ذلك (فما) أي فتسبب عن إحلالنا بهم ذلك البأس أنه ما (زالت تلك) الدعوى
البعيدة عن الخير والسلامة وهي قولهم يا ويلنا (دعواهم) يرددونها لأنه لا دعوى لهم غيرها لأن
الويل ملازم لهم غير منفك عنهم وترقبهم له غير نافعهم (حتى جعلناهم حصيدا) كالزرع
المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف * (تنبيه) * حصيد على وزن فعيل بمعنى مفعول ولذلك
لم يجمع لأنه يستوي فيه الجمع وغيره (خامدين) أي ميتين كخمود النار إذا طفئت وصارت
رمادا (فإن قيل) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (أجيب) بأن حكم الاثنين الآخرين حكم
الواحد لأن معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو خامدين صفة لحصيدا أو حال من ضميره ثم نبههم سبحانه
وتعالى على النظر في خلق السموات والأرض وما بينهما ليعتبروا فقال تعالى (وما خلقنا
السماء) على علوها وإحكامها (والأرض) على عظمها واتساعها (وما بينهما) مما دبرناه
أقسام المنافع من أصناف البدائع وغرائب الصنائع (لاعبين) أي عابثين كما تسوي الجبابرة
سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع
تبصرة للنظار وتذكيرا لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به أمر العباد في المعاش والمعاد ولما
نفى عنه اللعب أتبعه دليله فقال عز وجل (لو أردنا) أي بما لنا من العظمة (أن نتخذ لهوا) أي
ما يتلهى به ويلعب وقيل هو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى (لاتخذناه

(فإن قلت) لم خصها بطور سيناء مع أنها تخرج من غيره أيضا (قلت) أصلها منه ثم نقلت إلى غيره (قوله فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا) قال ذلك هنا بتقديم الصفة

الذي عجزتم عن معارضته (وذكر) اي وهذا ذكر (من قبلي) من الامم الماضية وهو التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ولما كانوا لا يجدون شبهة لهم فضلا عن حجة ذمهم الله تعالى على جهلهم بواضح الحق فقال تعالى (بل أكثرهم) اي هؤلاء المدعوين (لا يعلمون الحق) فلا يميزون بينه وبين الباطل بل أكثرهم جهلة والجهل أصل الشر والفساد (فهم) اي فتسبب عن جهلهم ما اقتضاه السورة من أنهم (معرضون) عن التوحيد واتباع الرسل ولما كان الارسال بالفعل غير مستغرق للزمان المتقدم كان الرسالة لا يقدر بها كل واحد فكذا الارسال لا يلزم له كل زمن اثبت الجار في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك) وأعرق في النفي فقال (من رسول) في شيء من الاوقات (الا نوحي اليه) [illegible] (انه لا اله الا أنا فاعبدون) وهذه مقررة لما تقدم من آي التوحيد وقال [illegible] الاوامر [illegible] الى الاحاطة [illegible] دلالة على ما دعوهم من [illegible] ولذلك قال [illegible] وحمزة والكسائي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء [illegible] بالدلائل [illegible] كونه منزها عن [illegible] [illegible] بقوله (وقالوا اتخذ) اي تكلف كما [illegible] (الرحمن) [illegible] موجود من قبض [illegible] (ولدا) [illegible] في اليهود حيث قالوا [illegible] قول من [illegible] [illegible] (سبحانه) اي تنزه عن ان يكون [illegible] مخالفة [illegible] (بل) [illegible] [illegible] بالايجاد [illegible] [illegible] [illegible] الاكرام [illegible] اي لا [illegible] [illegible] لا [illegible] ثم علل [illegible] اي ما [illegible] بلازم الجملة الاولى فقال (ولا يشفعون) اي [illegible] [illegible] في شفاعتهم [illegible] قال لا اله الا الله [illegible] بذلك قول المعتزلة ان الشفاعة في الآخرة لا تكون [illegible] ثم صرح بلازم الجملة الثانية فقال (وهم من خشيته) أي لا من غيرها (مشفقون) أي خائفون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وان عدي بعلى فبالعكس ولما نفى تعالى الشركة مطلقا ثم مقيدا بالولدية أتبعه التهديد على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع بقوله تعالى (ومن يقل منهم) أي من الخلائق حتى العباد المكرمين الذين وصف

بعض جواهر الارض (هم ينشرون) اى يحيون الموتى لا يقدرون على ذلك وهم وان
لم يصرحوا بذلك لزم من ادعائهم لها آلهة أنهم يقدرون على ذلك فان من لوازمها الاقتدار على
جميع الممكنات فالمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم
لاختصاص الانتشار بهم ثم انه سبحانه وتعالى أقام البرهان القاطع على نفي ان غيره برهان
التمانع وهو أشد برهان لاهل الكلام فقال (لو كان فيهما) اى السموات والارض اى في
تدبيرهما (آلهة الا الله) اى غير الله تعالى (لفسدتا) أي خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود
التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم ومن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو
ابن سعيد الاشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر
وأما طريقة التمانع فقال المتكلمون القول بوجود الهين مفض الى المحال لانا لو فرضنا
وجود الهين فلا بد أن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان
كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والآخر
أراد تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما
وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند
وجود مراد ذلك وبالعكس أو يقع مراد أحدهما دون الآخر وذلك أيضا محال لان الذي
وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وهو على الاله محال
فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات واذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع
ما في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات دليل على وحدانية الله تعالى والدلائل السمعية
على الوحدانية كثيرة في القرآن ولما أفاد هذا الدليل انه لا يجوز ان يكون المدبر للسموات
والارض الا واحدا وان ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى قال (فسبحان الله) اى تعجبوا
من ذلك تنزه المتصف بصفات الكمال (رب) اى خالق (العرش) اى الكرسي المحيط بجميع
الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ المقادير (عما يصفون) اى الكفار به من الشريك
له وغيره ثم بين تعالى ذلك بقوله عز وجل (لا يسأل) اى من سائل ما (عما يفعل) لعظمته
وقوة سلطانه واذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم
وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطأ والزلل وأنواع
الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بان لا يسأل عن أفعاله مع
ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه تعالى
الخطأ (وهم يسألون) لانهم مملوكون مستعبدون خطاؤن فما أخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في
كل شيء فعلوه * ولما أقام الدليل ووضح السبيل واضمحل كل قال وقيل واغتصت الاباطيل كرر
تعالى (أم اتخذوا من دونه آلهة) كرره استفظاعا لشأنهم واستعظاما لكفرهم واظهارا
لجهلهم * ولما كان جوابهم اتخذناها لا يرجع أمر الله تعالى نبيه بجوابهم فقال (قل هاتوا
برهانكم) على ما ادعيتموه من عقل أو نقل كما أتيت أنا ببرهان العقل المؤيد بالعقل * ولما كان
تعالى لا يرد اخذ بمخالفة العقل مالم ينضم اليه دليل النقل أتبعه قوله مشيرا الى ما بعث الله
تعالى به الرسل من الكتب (هذا ذكر) أي موعظة وشرف (من معي) على آمن بي وهو القرآن

تأخره عن المقول ملبس
وتوسطه بينه وبين ما قبله
ركيك (قوله ولو شاء الله
لانزل ملائكة) قال هنا
بلفظ الله وفي نسخة بلفظ
ربنا موافقة لما قبلها
أفادها تقدمه لفظ الله

قوله اى الكرسي تبع فيه
الجلال المحلى وكتب عليه
الجمل قوله الكرسي لا حاجة
اليه بل الاولى ابقاء العرش
على ظاهره لان المحقق
انه جسم مغاير للكرسي اه

لا شريك له النوع السادس من الدلائل قوله تعالى (وهو) أي لا غيره (الذي خلق الليل
والنهار) ثم اتبعهما أعظم آيتيهما بقوله تعالى (والشمس) التي هي أعظم آية النهار (والقمر)
الذي هو أعظم آية الليل (كل) أي من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (في فلك) أي
مستدير كالطاحونة في السماء (يسبحون) أي يسيرون بسرعة كالسابح في الماء والتشبيه به
أتى بضمير جمع من يعقل والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الأمير حلة وقلدهم سيفا أي كل
واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصارا ولأن
الغرض الدلالة على الجنس * ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد) أي البقاء في الدنيا (أفإن) أي أفإذا (مت فهم الخالدون) فيها لا والله
ليسوا بخالدين فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري وفي معنى ذلك قول فروة بن
مسيك الصحابي

وقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي بكسر الميم والباقون بضمها ثم بين تعالى أن أحدا لا يبقى
في هذه الدنيا بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أي ذائقة مرارة الموت أي مرارة مفارقة
روحها جسدها فلا يفرح أحد ولا يحزن لموت أحد بل يشتغل بما يهمه وإليه الإشارة بقوله تعالى
(ونبلوكم) أي نعاملكم معاملة المبتلي المختبر ليظهر في عالم الشهادة الشاكر والصابر والمؤمن
والكافر كما هو عندنا في عالم الغيب بأن نخالطكم (بالشر) وهو المضار الدنيوية من الفقر
والألم وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين (والخير) وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور
والتمكن من المرادات وقوله تعالى (فتنة) مفعول له أي اختبارا أتصبرون وتشكرون أم لا
كما يفتن الذهب إذا أريد تصفيته بالنار عما خالطه من الغش فبين تعالى أن العبد مع
التكليف يتردد بين هاتين الحالتين لكي يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه إذا قام
بما يلزم (وإلينا) بعد الموت لا إلى غيرنا (ترجعون) فنجازيكم بما فعلتم ثم عطف تعالى على
قوله وأسروا النجوى قوله تعالى (وإذا رآك) أي وأنت أشرف الخلق (الذين كفروا إن)
أي ما (يتخذونك) أي حال الرؤية (إلا هزوا) أي مهزوا به يقولون إنكارا واستصغارا (أهذا
الذي يذكر آلهتكم) أي بسوء والذكر يكون بالخير والشر فإذا دلت القرينة على أحدهما
أطلق عليه وذكر العدو لا يكون إلا بسوء (وهم) أي والحال أنهم (بذكر الرحمن) أي إذا ذكر
لهم الرحمن (هم كافرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة وهم الثانية
لتأكيده ونزل في استعجالهم العذاب (خلق الإنسان من عجل) كأنه خلق منه لفرط استعجاله
وقلة ثباته والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء خلقت منه كقولك خلق زيد من الكرم فجعل
ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل إنه على القلب أي خلق العجل
من الإنسان ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجال الوعيد وقال سعيد بن جبير والسدي
لما دخل الروح في رأس آدم وعينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل الروح في جوفه اشتهى
الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلا إلى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الإنسان
من عجل والمراد بالإنسان آدم وأورث أولاده العجلة وقال قوم معناه خلق الإنسان يعني آدم

وهو قرءونا آخرين (قوله
واعملوا صالحا إني بما
تعملون عليم) وما في سبأ
بالخطاب [illegible]
[illegible] هنا فقدمها إياه
الكتاب [illegible] وإيقا
آية والملوم [illegible]

كرامتهم وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم (انى اله من دونه) أى الله أى غيره والذى قال
ذلك كما قال الجلال المحلى هو ابليس دعا الى عبادة نفسه وامر بطاعتها (فذلك) أى الاله
الذى لا يصلح للتقريب اصلا (نجزيه جهنم) لظلمه (كذلك) اى مثل هذا الجزاء الفظيع جدا
(نجزى الظالمين) اى المشركين ثم انه سبحانه وتعالى شرع الآن فى الدلائل الدالة على وجود
الصانع فذكر منها ستة أنواع النوع الاول قوله تعالى (أولم ير) اى يعلم (الذين كفروا) علما هو
كالمشاهدة (ان السموات والارض كانتا) ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة
الارض (رتقا) قال ابن عباس والضحاك كانتا شيأ واحدا ملتزقتين زبدة واحدة (ففتقناهما)
اى فصلنا بينهما بالهواء والرتق فى اللغة السد والفتق الشق قال كعب خلق الله السموات
والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقهما بها وقال مجاهد والسدى كانت
السموات رتقا طبقة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت رتقا طبقة ففتقها
فجعلها سبع أرضين وقال عكرمة وعطية كانت السموات رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت
ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار
الآفاق او السموات بأسرها على ان لها مدخلا فى الامطار وانما قال تعالى رتقا على التوحيد
وهو نعت للسموات والارض لانه مصدر والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم
بالنظر او باستفسار من العلماء او مطالعة الكتب وقرأ ابن كثير ألم بغير واو بين الهمزة ولم
والباقون بالواو بين الهمزة واللام النوع الثانى من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا) اى خلقنا بما
اقتضته عظمتنا (من الماء) الماء هو الدافق وغيره (كل شئ حى) مجازا فى النبات وحقيقة فى
الحيوان (فان قيل) قد خلق الله تعالى بعض ما هو حى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة
(أجيب) بان هذا خرج مخرج الاغلب والاكثر اى ان اكثر ما خلق الله خلق من الماء وبقاؤه
بالماء وقيل المراد بالماء ما نزل من السماء او نبع من الارض (افلا يؤمنون) مع ظهور هذه
الآيات الواضحات بتوحيدى النوع الثالث من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا فى الارض
رواسى) اى جبالا ثوابت كراهة (ان تميد) اى تتحرك (بهم) قيل ان الارض بسطت على الماء
فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة فى الماء فارساها الله واثبتها بالجبال النوع الرابع من
الدلائل قوله تعالى (وجعلنا فيها) اى فى الرواسى (فجاجا) اى مسالك واسعة وقوله ثم ابدل منها
(سبلا) اى مسالك سالكة ولولا ذلك لتعسر أو تعذر الوصول الى بعض البلاد (لعلهم يهتدون)
الى منافعهم من ديارهم وغيرها والى طاعتنا من دلائل الوحدانية النوع الخامس من الدلائل
قوله تعالى (وجعلنا السماء) وافردها مع ارادة الجنس لان أكثر الناس لا يشاهدون منها
الا السماء الدنيا ولان الحفظ للشئ الواحد أتقن (سقفا) اى للارض كالسقف للبيت
(محفوظا) اى عن السقوط بالقدرة وعن الفساد والاختلال الى الوقت المعلوم بالمشيئة وعن
الشياطين بالشهب (وهم) اى أكثر الناس (عن آياتها) اى من الكواكب الكبار والصغار
والرياح والامطار وغير ذلك من الدلائل التى تفوت الانحصار الدالة على قدرتنا على كل ما نريد
من البعث وغيره وعلى عظمتنا بالتفرد بالالهية وغير ذلك من أوصاف الكمال من الجلال
والجمال (معرضون) لا يتفكرون فيما فيها من السير والتدبير وغير ذلك فيعلمون ان خالقها

لا يؤمنون بالتنكير لان
الاول اقوم صالح بقرينة
قوله فاخذتهم الصيحة
فعرفهم تعريف عهد
وذكر الثانى نكرة عن
قرينة تقتضى تعريفه
وموافقة لتنكير ما قبله

حفظك وأمانك (بل متعنا هؤلاء) أى الكفار على حقارتهم (وآباءهم) من قبلهم بالنعم
استدراجا (حتى طال عليهم العمر) أى امتدت بهم أيام الدنيا بالروح والطمأنينة فحسبوا أن
لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم فاغتروا بذلك وذلك طمع فارغ
وأمل كاذب وغلظ ورش اللام بخلاف عنه (أفلا يرون) أى يعلمون علما هو فى وضوحه مثل
الرؤية بالبصر (أنا نأتى الأرض) أى أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بتسليط المسلمين عليها
وإظهارهم على أهلها بقتل بعض ورد بعض عن دينه إلى الإسلام فهم فى نقص وأولياؤنا فى
زيادة (أفهم الغالبون) أى مع مشاهدتهم لذلك أم أولياؤنا ولما كرر سبحانه وتعالى فى القرآن
الأدلة وبالغ فى التنبيه عليها على ما تقدم أتبعه بقوله تعالى (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء الذين كبت
(إنما أنذركم) أى أخوفكم (بالوحى) أى بالقرآن الذى هو كلام ربكم فلا تظنوا أنه من قبل
نفسى (ولا يسمع الصم الدعاء) أى من يدعوهم (إذا ما ينذرون) أى يخوفون فهم لتركهم العمل
بما يسمعونه كالصم (فإن قيل) الصم لا يسمعون دعاء البشير كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل إذا
ما ينذرون (أجيب) بأنه وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا
أنذروا أى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام عن آيات الإنذار وقرأ ابن
عامر ولا تسمع بالتاء الفوقية مضمومة وكسر الميم ونصب الصم على الخطاب للنبى
والباقون بالياء التحتية وفتح الميم ورفع الصم وفى الدعاء إذا همزتان مختلفتان من كلمتين
الأولى مفتوحة والثانية مكسورة فنافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية
بين الهمزة والياء والباقون بتحقيقهما وهذا فى حال الوصل فإن وقفوا على الهمزة الأولى
فإنهم يبتدئون الثانية بالتحقيق ويقف حمزة وهشام بإبدال الهمزة ألفا مع المد والتوسط
والقصر (ولئن مستهم) أى أصابتهم (نفحة) أى [illegible] فاعل [illegible]
النفحة من معنى القلة فإن أصل النفح [illegible] والبناء الدال على المرة [illegible]
[illegible] (ليقولن) [illegible]
الذى لا ينجينا منه الآن غيره (إنا كنا ظالمين) [illegible]
[illegible] فى [illegible] الصحة [illegible]
[illegible] (ونضع الموازين القسط) أى ذوات العدل (ليوم القيامة) [illegible]
[illegible] أعمالهم [illegible] الوزن [illegible] لا
الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل [illegible] الذى عليه أكثر [illegible] أنه
تعالى يضع ميزانا حقيقة توزن به أعمال العباد وعن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى
أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشى عليه
ثم أفاق فقال إلهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات قال يا داود إنى إذا رضيت عن عبدى
ملأتها بتمرة (فإن قيل) كيف توزن الأعمال مع أنها أعراض (أجيب) بأن فيه طريقين
أحدهما أن توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات فى كفة وصحائف السيئات
فى كفة والثانى أن توضع فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيئات جواهر
سود مظلمة (فإن قيل) هذه الآية يناقضها قوله تعالى فى الكفار فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا

[illegible] (قاله) [illegible] الإيجاب به [illegible]

عليه السلام من تعجيل في خلق الله تعالى اياه لان خلقه كان بعد خلق كل شئ في آخر النهار يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس قال مجاهد فلما احيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الآدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم من عجل أي من طين قال الشاعر

والنبع في الصخرة الصماء منبته * والنخل ينبت بين الماء والعجل

ثم قال تعالى مهددا للمكذبين (سأريكم آياتي) اي مواعيدي بالعذاب (فلا تستعجلون) اي تطلبون أن أوجد العجلة بالعذاب أو غيره فاني منزه عن العجلة التي هي من جملة نقائصكم لانها ارادة الشئ قبل أوانه (فان قيل) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق (اجيب) بان هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقد أراهم بعض آياته وهو القتل يوم بدر (ويقولون) في استهزائهم (متى هذا الوعد) اي باتيان الآيات من الساعة ومقدماتها وغيرها (ان كنتم) فيما توعدونه به (صادقين) اي عريقين في هذا الوصف يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء ثم بين تعالى أنهم يقولون ذلك لجهلهم بقوله تعالى (لو يعلم الذين كفروا) وذكر المفعول به بقوله تعالى (حين) اي وقت (لا يكفون) اي لا يدفعون (عن وجوههم) التي هي أشرف اعضائهم (النار) استقلالا وعجزا (ولا عن ظهورهم) التي هي اشد اجسامهم السياط (ولا هم ينصرون) اي لا يمنعون من العذاب في القيامة وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب ولا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيهم) اي القيامة (بغتة) اي فجأة (فتبهتهم) اي تحيرهم يقال فلان مبهوت اي متحير (فلا يستطيعون ردها) اي لا يطيقون دفعها عنهم لعجزهم في ذلك الوقت بأسهم منه (ولا هم ينظرون) اي يمهلون لتوبة أو معذرة * ولما كان التقدير حاق بهم هذا باستهزائهم بك أتبعه ما يدل على ان الرسل في ذلك شرع واحد تسلية له صلى الله عليه وسلم فقال عاطفا على واذا رآك (ولقد استهزئ برسل من قبلك) اي كثير فلك بهم اسوة وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة في الوصل بكسر الدال والباقون بالضم واذا وقف حمزة ابدل الهمزة ياء ساكنة (فحاق) اي نزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك * ولما أعلم الله تعالى أن الكفار في الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم بسائر ما وصفهم به أتبعه بانهم في الدنيا أيضا لولا ان الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما بقوا في السلامة فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل) يا أشرف المرسلين للمستهزئين (من يكلؤكم) اي يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) اي من عذابه ان نزل بكم اي لا احد يفعل ذلك (بل هم عن ذكر ربهم) اي القرآن (معرضون) لا يتفكرون فيه ولا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه (ام) فيها معنى الهمزة للانكار اي أ (لهم آلهة) موصوفة بانها تمنعهم مما يسوؤهم (من دوننا) ليس لهم ذلك ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال تعالى (لا يستطيعون) اي الآلهة (نصر أنفسهم) فكيف ينصرون عابديهم (ولا هم) اي الكفار (منا) اي من عذابنا (يصحبون) اي يجارون يقال صحبك الله اي

يقول القول في قوله منكرا عليهم محقرا لأصنامهم (ما هذه التماثيل) أي الصور التي
صنعتموها مماثلين بها ما فيه روح الله جاعلين لها ما لا يكون إلا لأعلى الأعلى [illegible] (التي
أنتم لها) أي لا لغيرها وحدها مع كونها تشابهها وما هو أفضل منها (عاكفون) أي مقيمون
على عبادتها (فإن قيل) هلا قيل عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون على أصنام لهم
(أجيب) بأن اللام للاختصاص لا للتعدية ولو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ثم إنه
تعالى ذكر جوابهم بما يلزم له استفهام عن السبب بأنهم (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين)
فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير ذلك فانظر ما أقبح التقليد وما أعظم كيد الشيطان للعاقلين حتى
استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم
على شيء ويجادون في نصرة مذهبهم ويجادلون أهل الحق عن باطلهم [illegible] أهل التقليد [illegible]
أن عبدة الأصنام منهم [illegible] القادات [illegible] على الأدلة [illegible] (قال)
إبراهيم عليه السلام (لقد كنتم) وأكده بقوله (أنتم) لأجل صحة العطف [illegible] المرفوع
المتصل [illegible] حكم جزء الفعل [illegible] على ضمير [illegible] الفعل [illegible]
أنت وزوجك الجنة (وآباؤكم) أي من قبلكم (في ضلال مبين) [illegible] القادة
والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى [illegible] الأمر [illegible]
غير دليل بل لهوى متبع [illegible] لا [illegible]
متعجبين من تضليله إياهم [illegible] (قالوا) [illegible] (أجئتنا) [illegible]
الكلام (بالحق) الذي يطابقه الواقع (أم أنت من اللاعبين) أي [illegible]
واللاعب [illegible] (قال) [illegible] (بل) [illegible]
وهذه التماثيل ليست أربابا (بل ربكم) [illegible]
(السموات والأرض) أي مدبرهن القائم بمصالحهن [illegible]
[illegible]
[illegible]
في [illegible] (وتالله لأكيدن أصنامكم) [illegible]
تجوز عبادة غيره (بعد أن تولوا مدبرين) أي [illegible]
[illegible] الأعلى ما هو [illegible]
ولما أقام البرهان على إثبات الإله [illegible] بقوله [illegible]
وهو قسم والأصل في القسم الباء الموحدة والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها مع كونها
بدلا زيادة على التأكيد التعجب (لأكيدن أصنامكم) أي لأجتهدن في كسرها [illegible]
وما في التاء من التعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان مستبعدا [illegible]
لصعوبته وتعذره ولعمري أن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه
واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا ولما
كان عزمه على إيقاع الكيد في جميع الزمان الذي يقع فيه توليهم في أي جزء تيسر له منه أسقط

(أجيب) بأن المراد منها الا نكرمهم ولا نعظمهم (فلا تظلم نفس شيئا) أي من نقص حسنة
أو زيادة سيئة (وإن كان) أي العمل (مثقال) أي وزن (حبة من خردل) أو أصغر منه وإنما
مثل به لأنه غاية عندنا في القلة وقرأ نافع برفع اللام على أن كان تامة والباقون بالنصب وكذا
في لقمان (أتينا بها) أي بوزنها ولما كان حساب الخلائق كلهم في كل ما صدر منهم أمرا
باهرا للعقل حقره عند عظمته فقال (وكفى بنا) أي بما لنا من العظمة (حاسبين) أي محصين
في كل شيء فلا يكون في الحساب أحد مثلنا فيه وعد من جهة أن معناه أنه لا يروج عليه شيء
من خداع ولا يحتمل غلطا ولا يذهل ولا ينسى الى غير ذلك من كل ما يلزمه نوع لبس وشوب
نقص ووعد من جهة أنه مطلع على حسن قصد وان دق وخفي ولما تكلم سبحانه وتعالى
في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام تسلية لرسوله صلى الله
عليه وسلم فيما يناله من قومه وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض وذكر منها
عشرا القصة الأولى قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى
وهرون) أي أخاه الذي سأل ربه أن يشد أزره به (الفرقان) أي التوراة الفارقة بين الحق
والباطل وبين الحلال والحرام (وضياء) من الظلام ومعناه أي استضاءا بها في ظلمات الحيرة
والجهل وقرأ قنبل بعد الضاد بهمزة مفتوحة ممدودة والباقون بياء بعدها ألف (وذكرا) أي
عظة (للمتقين) أو ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق
البحر والضياء والذكر على هذين التوراة ثم بين المتقين بوصفهم بقوله تعالى (الذين يخشون) أي
يخافون خوفا عظيما (ربهم) أي المحسن اليهم بعد الايجاد بأنواع الاحسان
(بالغيب) عن الناس أي في الخلاء عنهم أو بالغيب قبل أن يكشف لهم الحجاب في الآخرة (وهم
من الساعة) التي توقع فيها المواقف رشدا أعرض عنها الجاهلون مع كون الاعلام حاملا على
كل خير ومباعدا عن كل ضير (مشفقون) أي خائفون لأنهم [illegible]
المواقف فيها عالمون ولما ذكر تعالى كتاب موسى عليه السلام وكان [illegible]
تحمل اليهود معظمهم على كتابهم الذي هو أشرف منه بقوله تعالى (وهذا) أي القرآن وأشار
بأداة القرب الى سهولة تناوله وعلمه (ذكر) أي موعظة (مبارك) أي كثير خيره
(أنزلناه) على أشرف الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأنتم له منكرون) أي
جاحدون استفهام توبيخ * القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
(ولقد آتينا) بما لنا من العظمة (ابراهيم رشده) أي صلاحه هداه (من قبل) أي من قبل
موسى وهرون ومحمد صلى الله وسلم عليهم وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه حيث قال اني
وجهت وجهي (وكنا به) ظاهرا وباطنا (عالمين) بأنه أهل لما آتيناه لأنه جبلة خير جامع لمحاسن
الأوصاف ومكارم الأخلاق والخصال يدوم على الرشد ويترقى فيه الى أعلى درجاته لما طبعناه
عليه وفي ذلك اشارة الى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات وتعلق (إذ قال)
أي ابراهيم (لأبيه وقومه) بعالمين اشارة الى أن قوله لما كان بإذن منا ورضا لنصرناه وهو
وحده على قومه كلهم ولو لم يكن برضى لنا لمنعناه منه بنصر قومه عليه وتمكين النار منه ثم ذكر

(قوله لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أي البعث قاله هنا بتأخير هذا عما قبله وقاله في النمل بالعكس جريا على القياس هنا من تقديم المرفوع على المنصوب وعكس ثم بيانا لجواز تقديم

(فاسئلوهم) أى عن الفاعل ليخبروكم به وقوله (ان كانوا ينطقون) أى [illegible]
يضرون و [illegible] فيه تقديم جواب الشرط أى فان قدروا على النطق [illegible]
والا فلا [illegible] عن النطق [illegible]
صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات [illegible]
وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله [illegible]
انه لم يتكلم بكلمات صورتها صورة الكذب وان كان [illegible]
فى قوله انى سقيم أى سأسقم وقيل سقيم القلب [illegible]
فى الدين [illegible]
ويقول معناه بل فعله من فعله [illegible]
انفى الكذب والاولى هو الاول [illegible]
[illegible] عليه الصلاة [illegible] والاحتجاج [illegible]
وقال أيها المعبودين [illegible]
فان [illegible] الكذب أى [illegible]
[illegible]
[illegible] (أى [illegible] الباطل [illegible]
أى [illegible]
فانه [illegible]
[illegible]
الاول [illegible]
[illegible]
([illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
(أفلا تعقلون) [illegible]
[illegible] الحق [illegible] الباطل [illegible]
القوة [illegible] (حرقوه) بالنار [illegible]
آلهتكم) [illegible] (ان كنتم فاعلين) [illegible] قال [illegible]
الاكراد [illegible] الله تعالى به الارض [illegible] يوم القيامة [illegible]
قاله [illegible] نوح عليه السلام [illegible]

ابتداء قال (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد ان تولوا مدبرين) قال مجاهد وقتادة
انما قال ابراهيم هذا سرا من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد فافشاه عليه وقال انا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال السدي كان لهم في كل سنة مجمع عيد فكانوا اذا رجعوا من
عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو
ابراهيم له يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض
الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء
الناس وتالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع ابراهيم الى بيت الآلهة وهي في بهو
عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه والاصنام بعضها الى جنب بعض كل
صنم يليه أصغر منه الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدي الآلهة وقالوا
اذا رجعنا وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلناه فلما نظر ابراهيم اليهم والى ما بين
ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء الا تأكلون فلما لم يجيبوه قال لهم ما لكم
لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الصنم
الاكبر علق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جذاذا) أي فتاتا وقرأ
الكسائي بكسر الجيم والباقون بضمها (الا كبيرا لهم) فانه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه
وقيل ربطه بيده وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من
حديد ورصاص وخشب وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه
ياقوتتان تتقدان (لعلهم) اي هؤلاء الضلال (اليه) اي ابراهيم (يرجعون) فيحاجهم
بالسؤال فتقوم عليهم الحجة فلما عادوا الى اصنامهم ووجدوها على تلك الحال (قالوا من فعل
هذا) الفعل الشنيع (بآلهتنا انه لمن الظالمين) حيث وضع الاهانة في غير موضعها فان
الآلهة حقها الاكرام لا الاهانة والانتقام (قالوا) اي الذين سمعوا قوله وتالله لأكيدن
أصنامكم (سمعنا فتى) اي شابا من الشباب (يذكرهم) اي يعيبهم (يقال له ابراهيم)
اي هو الذي نظن انه صنع هذا فلما بلغ ذلك نمروذ الجبار وأشراف قومه (قالوا فأتوا به) الى
بيت الاصنام (على أعين الناس) اي ظاهرا والناس ينظرون اليه حتى كأنه
ماش على أبصارهم متمكن منها تمكن الراكب على المركوب (لعلهم يشهدون) عليه انه
الذي فعل بالآلهة هذا الفعل كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل لعلهم يحضرون
عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) منكرين عليه (أأنت فعلت هذا) الفعل الفاحش
(بآلهتنا يا ابراهيم) * (تنبيه) * هنا همزتان مفتوحتان من كلمة فقرأ الكوفيون على
تحقيق الاولى وأما الثانية فسهلها نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه وأدخل
بينهما الفا قالون وأبو عمرو والباقون بتحقيقهما وعدم الادخال بينهما ثم (قال) ابراهيم
متكلما وملزما بالحجة (بل فعله كبيرهم) غيرة أن يعبد معه من هو دونه وتقييده بقوله (هذا)
اشارة الى الذي تركه من غير كسر ولما أخبرهم ولم يكن احد رآه يشهد على فعله وكانوا قد
ألزمهم بعبادتهم ووضع الطعام لهم فعل من يعقل تسبب عنه أمرهم بسؤالهم فقال

(قوله سيقولون لله) تالله هنا بلفظ الله وهنا بلفظ الله مرتين لانه في الاول وقع في جواب مجرور باللام في قوله قل لمن الارض فطابقه بجره باللام بخلاف ذلك في الاخيرين فانهما

(فاسئلوهم)

والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم بالهك الذي بلغت قدرته
أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان قمت فيها أن
تضرك قال لا قال قم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له
من الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ذاك ملك الظل أرسله الي
ربي ليؤنسني فيها فقال نمروذ اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك
حين أبيت الا عبادته وتوحيده اني ذابح له أربعة آلاف بقرة قال اذا لا يقبل الله منك ما كنت
على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن أذبحها له فذبحها النمروذ
ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا
المعاقبة بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء في الحديث لا يعذب بالنار الا الله وا
وقيل ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة
والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير فدفع عن ابراهيم حرها كما يدفع ذلك
عن خزنة جهنم (وأرادوا به كيدا) أي مكرا في اضراره واهلاكه ونجيناه منها (فجعلناهم)
أي جعلناهم من الضلال (الاخسرين) أي أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم
على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لزيادة درجته واستحقاقهم أشد العذاب وقد ارسل
الله تعالى على نمروذ وعلى قومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه
بعوضة فاهلكته اه (فائدة) وقع مثل هذه القصة لبعض اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وهو ابو مسلم الخولاني طلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له أتشهد أني رسول الله قال
ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فامر بنار فألقي فيها فوجدوه قائما [illegible]
وقد صارت عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
بينه وبين ابي بكر رضي الله عنهم وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني [illegible]
الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله (ونجيناه ولوطا) من نمروذ وقومه من ارض
العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وهي ارض الشام وبركتها ما فيها من كثرة [illegible]
والثمار والانهار ومنها بعث اكثر الانبياء قال ابي بن كعب [illegible]
ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس [illegible]
الصخرة ثم يتفرق في الارض قاله ابو العالية وعن قتادة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب
الاحبار ألا تتحول الى المدينة فانها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال [illegible]
وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المؤمنين ان الشام كنز الله في ارضه وبها كنزه من عباده وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد
هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين
رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملئهم وآمن
به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخو ابراهيم وكان لهما أخ
ثالث يقال له ناحور بن تارح وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر
عم ابراهيم فخرج من كوثى وهي بضم الكاف ومثلثة قال ابن الاثير هي كوثى العراق وهي سرة

(قوله) [illegible]

حبسوه في بيت ثم بنوا عليه بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له أصلاب الحطب
من أصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لأجمعن حطبا
لابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشتري بغزلها الحطب احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء
الحطب والقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار
واشتدت حتى كان الطير يمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها وأوقدوا عليه سبعة أيام فلما
أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يدروا كيف يلقوه فجاءهم ابليس عليه اللعنة فعلمهم عمل المنجنيق
فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه في المنجنيق مقيدا
مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة
واحدة ربنا خليلك يلقى في النار وليس في أرضك من يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال
عز وجل انه خليلي وليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيري فان استغاث بأحد منكم
أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع أحدا غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني
وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن المياه فقال ان أردت أخمدت النار وأتاه خازن
الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم حسبي
الله ونعم الوكيل وروي عن كعب الاحبار ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا اله
الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار
فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال
ابراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال
كعب الاحبار جعل كل شيء يطفئ النار عنه الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار وعن أم شريك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الاوزاغ وقال كان ينفخ على ابراهيم قالوا فأراد
الله تعالى الذي له القدرة جميعا سلامة خليله فقال تعالى (قلنا يا نار كوني) بارادتنا التي لا يتخلف
عنها مراد (بردا) قال ابن عباس لو لم يقل (وسلاما) لمات ابراهيم من بردها وفي الاثر انه
لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل تعالى (على
ابراهيم) لبقيت ذات برد أبدا والمعنى كوني ذات برد وسلام على ابراهيم فبولغ في ذلك حتى
كأن ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم أو ابردي بردا غير ضار قال السدي
فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فأقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس
قال كعب ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام
قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم مني في الايام التي كنت في النار وقال ابن
يسار وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنب ابراهيم يؤنسه قال
وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص
وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن
النار لا تضر أحبابي ثم نظر نمروذ وأشرف على النار من صرح له فرآه جالسا في روضة

يعد ... بعضهم وهذا في الآخرة وهو فيما ... بدليل قوله ربنا أخرجنا منها

* (سورة النور) *

(قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)

لانبياء (ونجيناه من القرية) أي قرية سدوم (التي كانت) قبل اهلاكنا اهلها منها (تعمل) أي
أهلها الاعمال (الخبائث) من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور والتضارط في أنديتهم
ونحو ذلك وانما وصف القرية بصفة أهلها وأسندها اليها على حذف المضاف واقامته مقامه
ويدل عليه (انهم كانوا) أي بما جبلوا عليه (قوم سوء) أي ذوي قدرة على الشر بانهماكهم
في الاعمال السيئة (فاسقين) أي خارجين من كل خير (وأدخلناه) دونهم (في رحمتنا) أي في
الاحوال السنية والاقوال العلية والافعال الزكية التي هي سبب الرحمة العظمى ومسببة عنها
ثم علل ذلك بقوله تعالى (انه من الصالحين) أي الذين سبقت لهم منا الحسنى أي لما جبلناه
عليه من الخير * القصة الرابعة قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ونوحا) أي
واذكر نوحا (اذ) أي حين (نادى) أي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك بقوله رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا ونحوه من الدعاء (من قبل) أي من قبل لوط ومن تقدمه
(فاستجبنا) أي أردنا الاجابة وأوجدناها بعظمتنا (له) في ذلك النداء ثم بين ذلك بقوله
تعالى (فنجيناه وأهله) أي الذين داموا على الايمان وهم من كان معه في السفينة (من
الكرب العظيم) أي من أذى قومه ومن الغرق والكرب الغم الشديد قاله السدي وقال
أبو حيان الكرب أقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه بأول أحوال ما أخذ
الغريق (ونصرناه) أي منعناه (من القوم) أي المتصفين بالقوة (الذين كذبوا بآياتنا) من أن
يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم كانوا قوم سوء) أي لا عمل لهم الا بالسوء (فأغرقناهم
أجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا وأهلكهم
الله تعالى * القصة الخامسة قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى
(وداود وسليمان) ابنه أي اذكرهما واذكر شأنهما (اذ) أي حين (يحكمان في الحرث) الذي
أنبت الزرع وهو من اطلاق اسم المسبب على السبب كالسماء على المطر والنبت قال ابن عباس
وأكثر المفسرين كان ذلك كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا قال ابن الخازن
وهو أشبه بالعرف (اذ نفشت) أي انتشرت ليلا بلا راع (فيه غنم القوم) فرعته قال قتادة
النفش في الليل والهمل في النهار (وكنا لحكمهم) أي الحاكمين والمتحاكمين اليهما (شاهدين)
أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وقال الفراء جمع الاثنين فقال لحكمهم
وهو يريد داود وسليمان لان الاثنين جمع وهو مثل قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس
وهو يريد أخوين قال ابن عباس وقتادة وذلك ان رجلين دخلا على داود عليه السلام
أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا
فوقعت في حرثي فأفسدته فلم تبق منه شيئا فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فمرا على
سليمان عليه السلام فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة
لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا وروي أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود
فدعاه فقال كيف تقضي ويروى انه قال بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتني بالذي هو أرفق
بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فينتفع بدرها ونسلها وصوفها ويبذر صاحب

الآية في حكم النكاح والرجل هو الاصل فيه لانه الراغب والبادي بالطلب بخلاف الزنا فان الامر فيه بالعكس غالبا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) كرره للاختلاف

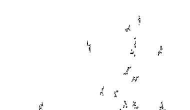
السواد وبها ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وخرج مهاجراً الى ربه ومعه لوط وسارة كما قال
تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه
حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى
الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم
وليلة من السبع فبعثه الله تعالى نبياً الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطاً
الى الارض التى باركنا فيها للعالمين أي كما أنجيناك أنت يا أشرف الخلق ويا أفضل أولاده
وصديقك أبا بكر رضي الله تعالى عنه الى طيبة التى شرفناها بك وبثثنا من أنوارها في أرجاء
الارض وأقطارها مالم نبث مثله قط وباركنا فيها للعالمين بالخلفاء الراشدين وغيرهم من العلماء
والصالحين الذين انبثت خيراتهم العلمية والعملية والمالية في جميع الاقطار * ولما ولد لابراهيم
عليه السلام في حال شيخوخته وعجز امرأته مع كونها عقيماً وكان ذلك دالاً على الاقتدار على
البعث الذي السياق كله له قال تعالى (ووهبنا له) دالاً على ذلك بنون العظمة (اسحق) أي
من شبه العدم وترك شرح حاله لتقدمه أي فكان ذلك دليلاً على اقتدارنا على ما نريد لاسيما
من اعادة الخلق في يوم الحساب ثم انه قد يظن أنه لتولده بين شيخ فان وعجوز عقيم كان على حالة
من الضعف لا يولد لمثله معها فنفى ذلك بقوله تعالى (ويعقوب نافلة) أي ولد الولد زيادة على
ما دعا به ابراهيم عليه السلام ثم نمى سبحانه وتعالى أولاد يعقوب وهو اسرائيل وذرياتهم الى
أن ساموا النجوم عدة وباروا الجبال شدة (وكلا) من هؤلاء الاربعة وهم ابراهيم ولوط
واسحق ويعقوب وعظم رتبتهم بقوله تعالى (جعلنا صالحين) أي مهيئين لطاعتهم لله تعالى
لكل ما يرونه أو يريدونه أو يراد منهم * ثم لما ذكر انه تعالى أعطاهم رتبة الصلاح في أنفسهم
ذكر انه تعالى أعطاهم رتبة الاصلاح لغيرهم فقال تعالى معظماً لامامتهم (وجعلناهم أئمة) أي
أعلاماً ومقاصد يقتدى بهم في الدين لما آتيناهم من العلم والنبوة وقرأ نافع وابن كثير
وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة بين الهمزة والياء ويجوز ابدالها عندهم ياء
خالصة ولا يدخلون بينهما ألفاً وقرأ هشام بتحقيق الهمزتين وادخال ألف بينهما بخلاف عنه في
الادخال وعدمه والباقون بتحقيق الهمزتين من غير ادخال بلا خلاف (يهدون) أي يدعون
الناس ويوفقونهم للهداية (بأمرنا) أي باذننا (وأوحينا اليهم) أيضاً (فعل) أي أن يفعلوا
(الخيرات) ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم قال البقاعي ولعله تعالى
عبر بالفعل دلالة على انهم امتثلوا كل ما أوحي اليهم وقال الزمخشري أصله أن تفعل الخيرات
ثم فعلاً الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة انتهى وقوله تعالى (واقام
الصلوة وايتاء الزكوة) من عطف الخاص على العام تعظيماً لشأنهما لان الصلاة تقرب العبد
الى الحق تعالى والزكاة احسان الى الخلق قال الزجاج الاضافة في الصلاة عوض عن تاء
التأنيث يعني فيكون من الغالب لا من القليل (وكانوا لنا) دائماً جبلة وطبعاً (عابدين)
أي موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة * القصة الثالثة قصة لوط عليه السلام
المذكورة في قوله تعالى (ولوطاً) أي وآتينا لوطاً أو واذكر لوطاً ثم استأنف قوله تعالى (آتيناه
حكماً) أي نبوة وعملاً محكماً بالعلم وقيل فصلاً بين الخصوم (وعلماً) مزيناً بالعمل عما ينبغي علمه

والقوة والجراءة وهي في
الرجل أقوى وأكثر (فان
قلت) لم قدم الرجل في قوله
الزاني لا ينكح الا زانية
أو مشركة (قلت) لان تلك
الآية في النكاح والمرأة هي
الاصل فيه لما هو منه

(والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذا
الطير وقال قتادة يسبحن أي يصلين معه اذا صلى وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تعالى تسبيح
الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وقيل يسبحن بلسان الحال وقيل يسبح من
رآها تسير معه بتسخير الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أي من شأننا
الفعل لأمثال هذه الأفاعيل ولكل شيء نريده فلا تستنكروا وان كان عندكم عجبا
وقد اتفق نحو هذا لغير واحد من هذه الأمة كان مطرف بن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته
سبحت معه آنيته وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان الطعام يسبح بحضرته والحصى وغيره
(وعلمناه صنعة لبوس) أي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قال قتادة أول من صنع هذه
الدروع وسردها واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح وقيل ان الله تعالى ألان لداود الحديد
فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين قال البغوي وهو أي اللبوس في اللغة اسم لكل ما يلبس
ويستعمل في الأسلحة كلها وهو بمعنى الملبوس كالحلوب والركوب وقوله تعالى (لكم)
متعلق بعلم أو صفة لبوس وقوله تعالى (لتحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل اشتمال باعادة
الجار ومرجع الضمير يختلف باختلاف القراآت فقرأ شعبة بالنون فالضمير لله تعالى وقرأ ابن
عامر وحفص بالتاء على التأنيث فالضمير للصنعة أو اللبوس على تأويل الدرع وقرأ الباقون
بالياء التحتية فالضمير لداود أو للبوس وقوله تعالى (فهل أنتم شاكرون) أي لما على ذلك أمر
أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة أو التقريع ومن بعض معجزات [illegible] بقوله
(ولسليمان) أي وسخرنا لسليمان (الريح) قال [illegible]
تقمع باطنه من القميص عليه ويظهر [illegible] (عاصفة) أي شديدة
الهبوب (فان قيل) قد قال تعالى في موضع آخر رخاء [illegible]
كانت تحت أمره ان أراد أن تعصف اشتدت وان أراد أن [illegible]
طيبة كالنسيم [illegible]
[illegible] وقوله تعالى (تجري بأمره) أي بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى [illegible]
(الى الأرض التي باركنا فيها) أي الشام وذلك أنها كانت تجري به [illegible]
سليمان ثم يعود الى منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى
مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاء
لا يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك الا أتاه حتى يذله فكان اذا أراد الغزو أمر
بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا
حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت
به أمر الرخاء فمرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره
الريح الرخاء بالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا وقال مقاتل نسجت الشياطين
لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط
فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي

الغنم لصاحب الحرث فيستعمل مؤنته فاذا صار الحرث كهيئته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم
غنمه فقال داود القضاء ما قضيت كما قال تعالى (ففهمناها) أى الحكومة (سليمان) أى علمناه
القضية وألهمناه اياها (تنبيه) يجوز أن تكون حكومتهما بوحي الا ان حكومة داود نسخت
بحكومة سليمان ويجوز أن تكون باجتهاد الا أن اجتهاد سليمان أشبه بالصواب (فان
قيل) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (أجيب) بان وجه حكومة داود ان الضرر وقع
بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال أبو حنيفة فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه
المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي يبيعه فى ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر
النقصان فى الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع
بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل فى الحرث
حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا وأبق من يده انه
يضمن بالقيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا
(فان قيل) لو وقعت هذه الواقعة فى شريعتنا ما حكمها (أجيب) بان أبا حنيفة وأصحابه
لا يرون فيها ضمانا بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد لقوله صلى الله عليه وسلم
جرح العجماء جبار أى هدر رواه الشيخان وغيرهما والشافعي وأصحابه يوجبون الضمان
بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء
حائطا وأفسدته فقال على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل ولما
كان ذلك ربما أوهم خللا فى أمرهما دفعه بقوله تعالى (وكلا) أى منهما (آتيناه حكما) أى نبوة
وعملا موافقا على حكمة العلم (وعلما) مؤيدا بصالح العمل وعن الحسن لولا هذه الآية
لرأيت القضاة قد هلكوا ولكنه تعالى أثنى على سليمان عليه السلام لصوابه وعلى داود
باجتهاده انتهى وهذا على الرأى الثانى وعليه أكثر المفسرين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم
فاجتهد فأخطأ فله أجر وهل كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد لا بعينه رأيان أظهرهما الثانى
وان كان مخالفا لمفهوم الآية اذ لو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم فى الحديث معنى وقوله
صلى الله عليه وسلم واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به انه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على
اجتهاده فى طلب الحق لان اجتهاده عبادة والاثم فى الخطأ عنه موضوع (فائدة) من
أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما
فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به
للكبرى فخرجتا على سليمان فأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى
لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجاه فى الصحيحين ثم انه تعالى ذكر لداود
وسليمان بعض معجزات فمن بعض معجزات الاول ما ذكره بقوله تعالى (وسخرنا مع داود
الجبال) مع صلابتها وعظمها (يسبحن) معه أى يقدسن الله تعالى ولو شئنا لجعلنا الحرث
والغنم تكلمه بصواب الحكم وقال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقوله تعالى

الاجوبة فيه الجواب
الاول محذوف تقديره
اقضمكم وجواب الثانى
قوله لكم فيها قضم الى
آخره وجواب الثالث
محذوف تقديره لعجل لكم
العذاب وجواب الرابع



وسال ويحمل آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان او ثلاث أو أربع أو خمس وفوق ذلك
وكان الله تعالى قد أعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم
ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا
لحق الله تعالى قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة
والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه
رجل من اليمن يقال له اليفن ورجلان من بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صافر وكانوا
كهولا وكان ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد حتى رفع الله
تعالى عيسى عليه السلام فحجب من أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب من
السموات كلها الا من استرق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب عليه
السلام وذلك حين ذكره الله تعالى واثنى عليه فادركه البغي والحسد فصعد سريعا حتى وقف
من السماء موقفا كان يقفه فقال الهي نظرت في امر عبدك أيوب فوجدته عبدا انعمت
عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك
وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله
ابليس حتى وقع على الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من
القوة فاني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال
فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار واحرقت
كل شيء آتي عليه قال له ابليس فأت الابل ورعاتها فاتى الابل وقد وضعت رؤسها وثبتت في
مراعيها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منها أحد الا احترق
فاحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قيم عليها على قعود الى
أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت ابلك فاحرقتها ومن فيها غيري
قال أيوب الحمد لله الذي أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله أعارنيها وهو أولى بها اذا شاء
تركها واذا شاء نزعها وقديما كنت وطنت نفسي ومالي على الفناء قال ابليس فان الله ربك
أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول
ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان أيوب الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن
يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال
أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب
وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض الله
عاريته الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله تعالى فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك
الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرجك فرجع ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا
فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما اذا شئت صحت
صيحة لا يسمعها ذو روح الا خرجت روحه قال ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها
وصاح صيحة فتجثمت أمواتا من عند آخرها وماتت رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة
الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه أيوب مثل الرد الاول ثم رجع ابليس

قلت لم يترك ذكر الاعمام
والاخوال مع ان حكمهما
كالمحقق (قلت) تركهما
[illegible] الرضاع
[illegible]
او لانه [illegible] من جهة
الاخوات في الاخوات
بالاولى او [illegible]

الذهب والفضة على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله
الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى
الرواح ومن الرواح الى الغروب وقال سعيد بن جبير كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي
فيجلس الانس مما يليه ثم يليهم الجن ثم تظلهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت
الخيل نبي الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها
واسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها
فيكون رواحها ببابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه الف ركن في كل ركن
الف بيت تركب معه فيه الجن والانس تحت كل ركن الف شيطان يرفعون ذلك الركن فاذا
ارتفعت اتت الريح الرخاء فسارت به وبهم يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدري القوم الا
وقد اظلهم معه الجيوش (وكنا) اي ازلا وابدا بالاحاطة التامة (بكل شيء) اي من هذا وغيره من
امره وغيره (عالمين) ومن علمنا ان ذلك لا يزيدهم الا تواضعا وكما سخرنا الريح لسليمان سخرناها للنبي
صلى الله عليه وسلم ليالي الاحزاب قال حذيفة رضي الله عنه حتى كانت تقذفهم بالحجارة ما تجاوز
عسكرهم فهزمهم الله تعالى بها وردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا وأعطى صلى الله عليه وسلم أعم مما
أعطي جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أعطي صلى الله عليه وسلم التصرف في العالم
العلوي الذي جعل الله تعالى منه الفيض على العالم السفلي بالاختراق لاطباقه باسره تارة
وبامساك المطر لما دعا بسبع كسبع يوسف عليه السلام وبارساله اخرى كما في احاديث كثيرة واتي
مع ذلك بمفاتيح خزائن الارض كلها فردها صلى الله عليه وسلم (ومن) اي وسخرنا لسليمان من
(الشياطين) الذين هم اكفر شيء تمردا وعتوا (من يغوصون له) اي يدخلون في البحر فيخرجون
منه الجواهر وغيرها من المنافع وذلك بأنا كثفنا اجسامهم مع لطافتها لتقبل الغوص في
الماء معجزة وفيه تحقق تمكنه صلى الله عليه وسلم العفريت الذي جاء بشهاب من نار
وأسر جماعة من أصحابه رضي الله تعالى عنهم عفاريت اتوا الى تمر الصدقة وأمكنهم الله تعالى
منهم (ويعملون عملا دون ذلك) اي سوى الغوص كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع
الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية (وكنا لهم حافظين)
اي حتى لا يخرجوا عن امره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان من
عادة الشياطين اذا عملوا عملا بالنهار وفرغوا منه قبل الليل أفسدوه وخربوه وفي القصة ان
سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله
بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه * القصة السادسة قصة ايوب عليه السلام المذكورة في
قوله تعالى (وايوب) اي واذكر ايوب ويبدل منه (اذ نادى ربه) قال وهب بن منبه كان ايوب
عليه السلام رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رزاح بن روم بن عيص بن اسحق بن
ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا
وكانت له البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوران من ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان
له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل افضل منه
في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وعبد وولد

الدلالة على ان حكم
النظر أخف من حكم
الفرج اذ يحل النظر الى
بعض اعضاء المحارم ولا
يحل شيء من فروجهن
(قوله ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن) الآية (ان

وأنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن
الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق
والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم
ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض إلى
يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه قد سخط شيئا من أمره منذ آتاه ما آتاه إلى يومكم
هذا ولا أنه نزع شيئا من الكرامة التي أكرمه بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في
طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم
فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك
على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه
المنزلة إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء
ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له
ويحزن لحزنه ويدله على مراشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها
الكهول. قد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم
تعلموا أن لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وإنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء
الألباء العالمون بالله ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم
وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاما لله وإعزازا وإجلالا فإذا استفاقوا من ذلك
استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وإنهم لأنزاه أبرار
ومع المقصرين المفرطين وإنهم لأكياس [illegible]
الحكمة [illegible] من قلب الصغير [illegible]
وليست تكون الحكمة من قبل [illegible]
حكمها في الصدر [illegible]
[illegible] أيوب عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بالعافية [illegible]
من [illegible] فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام [illegible]
عليهم أيوب وأقبل على ربه [illegible] فقال يارب لأي شيء خلقتني
لو كنت إذ كرهتني لم تخلقني يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت
وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب
دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللأرملة قيما إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمن لك وإن
أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل
ضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي فإن قضاءك هو الذي أذلني وإن سلطانك هو الذي

الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى قد كلمت قلب أيوب فقال عفريت عندى من القوة
ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتى عليه قال فأت الفدادين والحرث فانطلق
حين شرع الفدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من
ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى أيوب وهو قائم يصلى فقال
له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصيب أمواله مالا مالا حتى
مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله تعالى وأحسن الثناء عليه ورضى
عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله
ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال الهى ان أيوب يرى
انك ما متعته بولده فانت تعطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها المصيبة التى لا تقوم لها
قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بنى
أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزله بهم حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا
ويرميهم بالخشب والحجارة حتى مثل بهم كل مثلة ورفع القصر فقلبه فصاروا منكسين وانطلق
الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه
ودماغه فأخبره وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا وقلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم
تسيل دماؤهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا
ونحوه حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال يا ليت أمى
لم تلدنى فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث
أيوب ان فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا ابليس الى الله
عز وجل وهو أعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هون على أيوب المال والولد
انه يرى انك ما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده فقال الله
عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه
ولا على عقله وكان الله عز وجل أعلم به لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله
عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض
عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه
فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم
ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم
حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نغل لحمه وتقطع وتغير وأنتن وأخرجه
أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهى
رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فكانت
تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما رأى الثلاثة من أصحابه وهم اليفن ويلدد وصافر
ما ابتلاه الله تعالى به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا
اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله تعالى من الذنب الذي عوقبت عليه قال وحضر
معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم انكم تكلمتم أيها الكهول

والجواب بانه لم يذكر
من المشتكى الا من اشترك
معه في المصيبة لان
هو واتباعه فيها كالام
من لم يشاركه
والطالب قد يصف عرضه
عند ابيه وهو ليس بمرام
ينتهى الى الفتنة بقضيان

[illegible] من عنده [illegible] حمد الله اذا [illegible] وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على
بلائه فلما غلب أيوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني
آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال فقال
لها انت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا فقال لها انا اله
الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي
سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان من مال وولد وأراها اياهم ببطن الوادي الذي
لقيها فيه قال وهب وقد سمعت أنه انما قال لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي
مما به من البلاء وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال
والاولاد وأعافي زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال لها وما أراها فقال لقد أتاك عدو الله
ليفتنك عن دينك ثم أقسم ان الله عافاه ليضربنها مائة جلدة وعند ذلك قال مسني الضر من
طمع ابليس في سجود حرمتي ودعائه اياها واياي الى الكفر (وأنت) اي وانك انت (أرحم
الراحمين) [illegible] الرحمن بالضرر وهذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه
بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح فكان ذلك ألطف في السؤال فهو أبلغ
بالسؤال ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان
بيتي على العصي فقال لها ألطفت في السؤال لاجرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها
حبا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد ان
يبر يمين أيوب فأمره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة
كما قال تعالى في آية أخرى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وروى ان ابليس اتخذ
تابوتا وجعل فيه أدوية وجلس على طريق امرأة أيوب يداوي الناس فمرت به امرأة أيوب
فقالت له ان لي مريضا أفتداويه قال نعم ولا أريد شيئا الا أن يقول اذا شفيته انت شفيتني
فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس قد خدعك وحلف ان شفاه الله ليضربنها مائة
جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه
البلاء سئمها الناس فلم يستعملوها فالتمست يوما شيئا من الطعام فلم تجد شيئا
فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها اين قرنك فأخبرته فحينئذ قال مسني
الضر وقال قوم انما قال ذلك حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن الذكر
والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله بالكشف حتى ظهرت له ثلاثة أشياء
أحدها قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاءا اليه ولم يبق الا عيناه ورأيا أمرا عظيما
فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه
فباعت ذوائبها وحملت اليه طعاما والثالث قول ابليس اني أداويه على أن يقول انت
شفيتني وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امرأته زنت فقطعت ذوائبها فحينئذ عيل صبره
وحلف ليضربنها مائة جلدة وقيل معناه مسني الضر من شماتة الاعداء وقيل قال ذلك
حين وقعت دودة من فخذه فردها الى موضعها وقال كلي جعلني الله طعامك فعضته
عضة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عض الديدان (فان قيل) ان الله تعالى سماه صابرا وقد

(قوله لانكر دعاؤه كم على البلاء ان أردت صحته)

أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي
فأدلي بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه
ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده
أظلهم غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله تعالى يقول ها أنا قد دنوت منك
ولم أزل منك قريبا فقم فأدل بعذرك وتكلم بحجتك وخاصم عن نفسك واشدد أزرك وقم
مقام جبار يخاصم جبارا إن استطعت فإنه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثلي لقد منتك
نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغ بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها
هل كنت معي تمد بأطرافها وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها
أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت
السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل تبلغ من حكمتك
أن تجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها أين أنت مني يوم أنبعت
الأنهار وسكرت البحار أبسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت
الأرحام حتى بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل
تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدري
أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شيء أنشئ السحاب أم هل تدري أين
خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزانة الريح
وبأي لغة تتكلم الأشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الأسماع والأبصار
ومن دانت الملائكة لملكه وقهر الجبابرة بجبروته وقسم الأرزاق بحكمته في كلام كثير
يدل على كمال قدرته ذكرها لأيوب فقال أيوب عليه الصلاة والسلام [illegible] كل لساني و
عقلي ورأيي وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرض لي يا إلهي قد علمت أن كل الذي ذكرت
صنع يدك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك
خافية أذاقني البلاء يا إلهي فتكلمت فكان البلاء هو الذي أنطقني فليت الأرض انشقت لي
فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك إنما تكلمت
حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على
فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك وأستجير بك من
جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فأغثني وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل
عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني قال
الله تعالى يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك فقال أيوب (أني) قد (مسني
الضر) بتسلط الشيطان علي في بدني وأهلي ومالي وقد طمع الآن في ديني وذلك أنه زين
لامرأة أيوب أن تأمره أن يذبح لصنم فإنه يبرأ ثم يتوب ففطن لذلك وحلف ليضربنها
مائة جلدة وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين وروي عن أنس يرفعه أن أيوب
لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا
على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف في الدواء ولا يقربه أحد غير امرأته

ذهب فغسل ايوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن
لا غنى لي عن بركتك وقوله تعالى (رحمة) مفعول له اي نعمة عظيمة وتقدم ايضا قوله تعالى (من
عندنا) حيث لا يشك من ينظر ذلك انا ما فعلناه الا رحمة منا له وان غيرنا لا يقدر على ذلك
(وذكرى) اي عظة عظيمة (للعابدين) اي كلهم ليتأسوا به فيصبروا اذا ابتلوا ولا يظنوا أن
ذلك انما نزل بهم لهوانهم ويشكروا اذا عوفوا كما أثيب وقيل لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم
بالاحسان ولا ننساهم * القصة السابعة قصة اسمعيل وادريس وذي الكفل المذكورة
في قوله تعالى (واسمعيل) اي واذكر اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام الذي فجرنا له من
الماء بواسطة الروح الامين ما عاش به صغيرا بعدما كان على الهلاك ثم جعلناه طعام طعم
وشفاء سقم دائما وصبره وهو كبير من الذبح حين رأى أبوه في المنام انه يذبحه ورؤيا الانبياء
وحي وفديناه بذبح عظيم (و) اذكر (ادريس) اي ابن شيث بن آدم عليهم السلام الذي
أحييناه بعد موته ورفعناه مكانا عليا وهو أول نبي بعث من بني آدم عليه السلام وتقدمت
قصته في سورة مريم (و) اذكر (ذا الكفل) سمي بذلك قال عطاء ان نبيا من أنبياء بني
اسرائيل أوحى الله تعالى اليه اني أريد أن أقبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل
فمن تكفل لك أن يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب
فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله
له ونبأه فسمي ذا الكفل وقال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا من الناس
يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل مني ثلاثا
أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل فقال انا فاستخلفه فأتاه ابليس في
صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق
الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة
وانهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فائتني فاني
آخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده
فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه
أتاه فدق الباب فقال من أنت فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فائتني
فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال
فانطلق فاذا جلست فائتني وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس
فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعوا هذا الرجل يقرب من هذا الباب حتى أنام
فانه قد شق علي النعاس فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى
كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت يدق عليه الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان
ألم آمرك قال اما من قبلي فلم تؤت فانظر من اين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما
أغلقه واذا بالرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فقال اعدو الله قال نعم أعييتني
ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله تعالى فسمي ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به وقيل ان
ابليس جاءه وقال ان لي غريما يماطلني فاحب ان تقوم معي وتستوفي حقي منه فانطلق معه حتى

حرام وان لم يردن التحصن
الشرط هنا
(قالت)

أظهر الشكوى والجزع بقوله اني مسني الضر ومسني الشيطان بنصب (أجيب) بأن هذا
ليس بشكاية انما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجبنا له) والجزع انما هو الشكوى الى
الخلق وأما الشكوى الى الله تعالى فلا تكون جزعا ولا ترك صبر كما قال يعقوب عليه السلام
انما أشكو بثي وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو
راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روي ان جبريل عليه السلام دخل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال كيف تجدك قال أجدني مغموما أجدني مكروبا وقال صلى الله
عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها حين قالت وارأساه بل أنا وارأساه وروي ان امرأة
أيوب قالت له لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال
استحي من الله ان أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي ثم ترتب عن الاجابة قوله تعالى
(فكشفنا) أي عما به من المحنة (ما به من ضر) بأن أمرناه ان يركض برجله فنبع له عين
من ماء كما قال تعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فانفجرت له عين
ماء فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله تعالى كل ما كان به من البلاء ظاهره ثم مشى أربعين
خطوة فأمره ان يضرب برجله الارض مرة أخرى ففعل فنبع عين ماء بارد فأمره فشرب منه
فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم فأقبلت امرأته تلتمس
في مضجعه فلم تجده فقامت كالواله ثم جاءت اليه وهي لا تعرفه فقالت يا عبد الله هل لك علم
بالرجل المبتلى الذي كان هنا قال نعم ومالك لا أعرفه فتبسم وقال أنا هو فعرفته بضحكه
فاعتنقته قال ابن عباس فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقه حتى مر بهما كل
ما كان لهما كما قال تعالى (وآتيناه أهله) أي أولاده الذكور والاناث بأن أحياهم الله وكل من
الصنفين ثلاث أو سبع (ومثلهم معهم) أي من زوجته رحمة وزيد في شبابها هذا ما دل عليه
أكثر المفسرين وقيل آتاه الله تعالى المثل من نسل ماله وولده الذي رده اليه اي فولد له من
ولده نوافل وقال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وروى الضحاك عن ابن عباس ان الله رد
الى امرأته شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقال قوم آتى الله تعالى أيوب في الدنيا مثل
أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وقال عكرمة قيل لايوب ان
أهلك لك في الآخرة وان شئت عجلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك
مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية
وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وروي عن أنس يرفعه كان لايوب أندران
أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فأفرغت احداهما على أندر القمح الذهب
وأفرغت الاخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض وروي ان الله تعالى بعث اليه ملكا
فقال ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى أندرك فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من
ذهب قيل انه لما اغتسل وخرج الدود منه جعل الله تعالى له أجنحة فطارت ثم جعلها الله تعالى
جرادا من ذهب وأمطرت عليه فطارت واحدة فاتبعها وردها الى أندره فقال له الملك اما
يكفيك ما في أندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته وعن أبي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من

(ان قلت) كيف قال ذلك مع
انا ذكرناه من عسل الزنا

ويقدر وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة
فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية فقال او
يظن نبي الله ان لن يقدر عليه قال هذا من القدر الذي معناه الضيق لا من القدرة وقال ابن
زيد هو استفهام معناه أفظن انه يعجزه فلا يقدر عليه (فنادى) اى فاقتضت حكمتنا
ان عاتبناه حتى يسلم فالقى نفسه في البحر فالتقمه الحوت فمكث فيه اربعين من بين يوم
وليلة وقال عطاء سبعة ايام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل بلغ به تخوم
الارض السابعة ومعناه ان يكون له طعاما فنادى (في الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة
بطن الحوت وقيل في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات وقوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ابتلع حوته حوتا اكبر منه فحصل
في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر (ان لا اله الا انت) ولما نزهه عن الشريك عمم فقال تعالى
(سبحانك) اى تنزهت عن كل نقص فلا يقدر على الانجاء مما انا فيه الا انت ثم افصح بطلب
الخلاص بقوله ناسبا الى نفسه من النقص ما نزه الله عنه (انى كنت من الظالمين) اى في
خروجي من بين قومي قبل الاذن فاعف عني كما هي سيرة القادرين روى عن ابي هريرة مرفوعا
اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى
مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله
تعالى اليه ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا
يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال تلك
عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في
كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل كما قال
تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له) اى اجبناه (ونجيناه من الغم) اى
من تلك الظلمات بتلك الكلمات (وكذلك) اى وكما انجيناه (ننجي المؤمنين) من كروبهم اذا
استغاثوا بنا داعين قال الرازي في اللوامع شرط كل من يلتجئ الى الله تعالى ان يبدأ بالتوحيد ثم
يثني بالتسبيح والثناء ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار وهذا شرط كل داع اهـ وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله الا
اقراره على نفسه بالظلم وقرأ ابن عامر وابو بكر بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم على ان
اصله ننجي حذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهي وان كانت فاء
فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة الذي لمعنى وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير
المصدر وهو النجاء وقرأ الباقون بنونين الثانية ساكنة مخففا الجيم (تنبيه) اختلفوا في متى
كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت بعد ان
أخرجه الله تعالى من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في سورة والصافات فنبذناه بالعراء ثم ذكر
بعده وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى وان
يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت
وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون * القصة التاسعة قصة زكريا

انما يكون سبح اذا نجانا
الصعن ولو ورد على ...

اذا كان في الوقت خلا ووقف وروى انه اعتذر اليه وقال صاحبي هرب وقيل انه اذا
تكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه الله تعالى فوفى به واختلفوا في
انه هل كان نبيا فقال الحسن كان نبيا وعن ابن عباس انه الياس وقيل هو زكريا وقيل هو
يوشع بن نون وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا ولما قرن الله تعالى بين هؤلاء
الثلاثة استأنف مدحهم بقوله تعالى (كل) أي كل واحد منهم (من الصابرين) على ما ابتليناه
به فآتيناهم ثواب الصابرين (وادخلناهم في رحمتنا) أي أنعمنا عليهم من الاحسان ما يفعله
الراحم بمن يرحمه على وجه يعمهم من جميع جهاتهم فكانت ظرفا لهم ثم علل ذلك بقوله تعالى
(انهم من الصالحين) أي لكل ما يرضاه تعالى منهم بفعل أنهم جبلوا جبلة خير فعملوا على
مقتضى ذلك فكانوا من الكاملين في الصلاح وهم الانبياء لأن صلاحهم معصوم من كدر
الفساد القصة الثامنة قصة يونس عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (وذا
النون) أي واذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (اذ ذهب مغاضبا)
واختلفوا في معنى ذلك فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس
قال كان قوم يونس يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي
سبطان ونصف فأوحى الله تعالى ٣ الى شعيب النبي عليه السلام ان سر الى حزقيل الملك وقل له
وجه نبيا قويا الى هؤلاء فاني القي في قلوبهم الرعب حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له
الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة أنبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره
ان يخرج فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا
أنبياء غيري أقوياء فالحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك وقومه فأتى بحر الروم
فركبه وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف
عن قومه العذاب بعدما وعدهم به وكره ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم
واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع به العذاب عنهم وكان غضبه أنفة من ظهور خلف
وعده وان يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله تعالى وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه
ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب
والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا أي
غضبان وقال الحسن انما غاضب ربه من أجل انه امره بالمسير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم
فسأل ربه ان ينظره ليتأهب فقيل له ان الامر أسرع من ذلك حتى سأله ان ينظره الى ان
يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظره وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال أتى
جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فانذرهم قال ألتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك
فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما
حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه وخرج
هاربا فلذلك أخرجه الله تعالى من أولي العزم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر
أولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم (فظن ان لن
نقدر عليه) أي لن نقضي عليه بالعقوبة قاله مجاهد وقتادة والضحاك وقال عطاء وكثير من
العلماء معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس من قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده

لامنه قوم انكروه خروج
الغالب من أن اكراههن

٣ قوله شعيب هكذا
في الاصول ولعل صوابه أشعياء
الذي كان في مدة حزقيل
عليهما اه مصححه

لا اتغير على طول الدهر ولا يشغلنى شأن عن شأن (فاعبدون) دون غيرى فانه لا كفؤ لى
* ثم ان بعضهم خالف الامر بالاجتماع كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وتقطعوا) اى
بعض المخاطبين (امرهم بينهم) اى تفرقوا امر دينهم مختلفين فيه وهم طوائف اليهود
والنصارى قال الكلبى فرقوا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض
(تنبيه) الاصل وتقطعتم الا ان الكلام صرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه
ينعى عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم ألا ترون الى عظيم
ما ارتكب هؤلاء فى دين الله تعالى والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة
الشئ ويتقسمونه بينهم فيصير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم
فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بقوله تعالى (كل) اى من هذه الفرق وان بالغ فى التفرد (الينا)
يوم القيامة (راجعون) فنحكم بينهم فيتسبب عن ذلك انا نجازيهم باقامة العدل فنعطى كلا
من المحق التابع لاصفيائنا والمبطل المائل الى الشياطين اعدائنا ما يستحقه وذلك هو معنى
قوله تعالى فارقا بين المحسن والمسئ مشيرا الى العدل ومشوقا الى الفضل (فمن يعمل) اى منهم
الآن (من الصالحات وهو) اى والحال انه (مؤمن) اى بانى عمله على الاساس الصحيح (فلا
كفران) اى لا جحود (لسعيه) بل يشكر ويثاب عليه *(تنبيه)* قوله تعالى فلا كفران
نفى الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه (وانا له) اى لسعيه (كاتبون) اى
مثبتون فى صحيفة عمله وما اثبتناه فهو غير ضائع فلا يفقد منه شئ قل او جل ومن المعلوم ان
قسيمه وهو من يعمل من السيئات وهو كافر فلا نقيم له وزنا ومن يعمل منها وهو مؤمن فهو
تحت مشيئتنا قال البقاعى ولعله حذفه لان القصد ترغيبا فى الايمان ولما كان هذا غير
صريح فى ان هذا الرجوع بعد الموت بينه بقوله تعالى (وحرام) اى ممنوع (على قرية) اى
اهلها (اهلكناها) اى بالموت (انهم لا يرجعون) اى الينا بان يموتوا تحت التراب باطلا من
غير احياء بل الينا هم يرجعون فيحبسهم فى البرزخ منعمين او معذبين نعيما او عذابا
دون النعيم والعذاب الاكبر *(تنبيه)* ما قدرناه فى الآية هو ما جرى عليه البقاعى والذى
قدره الزمخشرى ان معنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع
الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة فتكون لا صلة والذى قدره الجلال المحلى ان
لا زائدة اى ممتنع رجوعهم الى الدنيا فيكون الاهلاك بالموت وهذا قريب مما قاله ابن عباس
فانه قال وحرام على قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك فجعل لا زائدة قال البغوى وقال
آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا يكون لا ثابتا ومعناه واجب على اهل قرية اهلكناهم
اى حكمنا باهلاكهم ان لا تتقبل اعمالهم لانهم لا يرجعون اى لا يتوبون والدليل على هذا
المعنى انه تعالى قال فى الآية التى قبلها ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه اى يتقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقبه وبين ان الكافر لا يتقبل عمله انتهى والذى
قدره البيضاوى قريب مما قدره الزمخشرى وكل هذه التقادير صحيحة لكن الاول اظهر
وقرأ شعبة وحمزة والكسائى بكسر الحاء وسكون الراء والباقون بفتح الحاء والراء والف بعد
الراء قال البغوى وهما لغتان مثل حل وحلال وقوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج

يكرهون ما هم عليه الثنا مع ارادة من الصدق ن

عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (وزكريا) أي واذكر زكريا ويبدل منه (اذ نادى
ربه) نداء الحبيب القريب فقال (رب) باسقاط أداة البعد (لا تذرني فردا) أي وحيدا من غير
ولد ذكر يرث ما آتيتني من الحكمة (وانت) أي والحال انك (خير الوارثين) أي الباقي بعد
فناء خلقك وكثيرا ما تخرج ارث بعض عبيدك عن بعض آخرين فأنت الحقيق بأن تفعل في ارثي
من العلم والحكمة ما احب فتهب لي ولدا تقر عيني به (فاستجبنا له) بعظمتنا وان كان في حد من
السن لا يرجى له بعده وزوجه في حال من العقم لا يرجى معه حبلها لكنه وقف وقد جاوزت من
اليأس ولذلك عبر بما يدل على العظمة فقال تعالى (ووهبنا له يحيى) ولدا وارثا نبيا حكيما عظيما
(واصلحنا له) خاصة من بين اهل ذلك الزمان (زوجه) أي جعلناها صالحة لكل خير خالصة له
فاصلحناها للولادة بعد عقمها واصلحناها لزكريا بعد ان كانت سريعة الغضب سيئة الخلق
فاصلحناها له ورزقناها حسن الخلق (انهم) أي الانبياء الذين سماهم الله في هذه السورة وقيل
زكريا وزوجه ويحيى (كانوا) أي جبلة وطبعا (يسارعون في الخيرات) أي الطاعات بالغون
في الاسراع بها مبالغة من يسابق آخر ودل على عظيم افعالهم بقوله تعالى (ويدعوننا)
مستحضرين لجلالنا وعظمتنا وكمالنا (رغبا) أي طمعا في رحمتنا (ورهبا) أي خوفا من عذابنا
(وكانوا) أي جبلة وطبعا (لنا) خاصة (خاشعين) أي خائفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع
والانكسار قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش
عن هذه الآية فقال اما اني سألت ابراهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا
ارخى ستره عليه واغلق بابه فلير الله منه خيرا لعلك ترى انه يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ
رأسه * القصة العاشرة قصة مريم وابنها عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (والتي) أي
واذكر مريم التي (احصنت فرجها) أي حفظته من الحلال والحرام حفظا يحق له ان يذكر
ويتحدث به كما قال تعالى حكاية عنها ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا لان ذلك غاية في العفة
والصيانة والتخلي عن الاذى الى الانقطاع الى الله تعالى بالعبادة مع ما جمعت مع ذلك من الامانة
والاجتهاد في متانة الديانة والصحيح انها بتول بكر (فنفخنا فيها من روحنا) أي امرنا جبريل
حتى نفخ في جيب درعها فاحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها واضاف الروح اليه تعالى
تشريفا لعيسى عليه السلام كبيت الله وناقة الله * ثم بين تعالى ما خص مريم وعيسى من
الآيات فقال تعالى (وجعلناها وابنها) أي قصتهما وحالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين)
من الجن والانس والملائكة وان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الله تعالى (فان قيل) هلا
قال تعالى آيتين كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (اجيب) بما تقدم وبان الآية كانت
فيهما واحدة وهي انها اتت به من غير فحل وههنا آخر القصص * ولما دل ما مضى من قصص
هؤلاء الانبياء عليهم السلام انهم كلهم متفقون على التوحيد الذي هو اصل الدين قال تعالى
(ان هذه) أي ملة الاسلام (امتكم) أي دينكم ايها المخاطبون أي يجب ان تكونوا عليها حال
كونها (امة) قال البغوي واصل الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة
امة لاجتماع اهلها على مقصد واحد ثم اكد سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله تعالى (واحدة)
فابطل ما سوى الاسلام من الاديان (وانا ربكم) أي المحسن اليكم لا غيري في كل زمان فاف

هو ان الجاهلية كانوا

بقصفهما (وكل) اى من العابدين والمعبودين (فيها) اى فى جهنم (خالدون) لا انفكاك لهم
عنها بل يحمى بكل منهم فيها على الآخر (فان قيل) لم قرنوا بآلهتهم (أجيب) بانهم لا يزالون
لمقارنتهم فى زيادة غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من
العذاب لانهم قدروا انهم يستشفعون بهم فى الآخرة وينتفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا
الامر على عكس ما قدروا لم يكن شئ أبغض اليهم منهم (فان قيل) اذا عنيت بما تعبدون
الاوثان فما معنى قوله تعالى (لهم فيها زفير) اى تنفس عظيم على غاية من الشدة والمد تكاد
تخرج معه النفس (أجيب) بانهم اذا كانوا هم وأوثانهم فى قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير
وان لم يكن الزافرون الا هم دون الاوثان للتغليب ولعدم الالتباس (وهم فيها لا يسمعون)
شيأ لشدة غليانها وقال ابن مسعود فى هذه الآية اذا بقى فى النار من يخلد فيها جعلوا فى توابيت
من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولا يرى
احد منهم ان احدا يعذب فى النار غيره وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد
وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر
ابن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون
من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم
فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدته
لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم
قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو
مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فانزل
الله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) اى الحكم بالموعدة البالغة فى الحسن فى الازل
ومنهم من ذكروا فاهل باحد منهم الكفار فاطاروه أم لا (أولئك) اى العالو الرتبة (عنها)
اى جهنم (مبعدون) برحمة الله تعالى لانهم [illegible] على جزاء الاحسان الا
الاحسان وفى رواية عن ابن عباس ان ابن الزبعرى قال للنبى [illegible]
[illegible] ذلك القوم لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون [illegible]
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك رضى الله تعالى عنه
ومدح النبى صلى الله عليه وسلم وادعى جماعة ان المراد من الآية الاصنام لان الله تعالى قال
وما تعبدون من دون الله ولو أراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون وروى ان عليا رضى
الله تعالى عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول
(لا يسمعون حسيسها) اى حركتها البالغة وصوتها الشديد كما عادوه لان الحس مطلق
الصوت أو الصوت الخفى كما قاله البغوى فاذا زادت حروفه زاد معناه فذكر بدلا من
مبعدون أو حال من ضميره للمبالغة فى ابعادهم عنها (وهم) اى الذين سبقت لهم منا الحسنى
(فى ما اشتهت أنفسهم) فى الجنة كما قال تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين والشهوة

ان كنتم صادقين وقول
وانتم الا [illegible]

ومأجوج) متعلق كما قال الزمخشرى بحرام وحتى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى
تقوم القيامة وهى حتى التى يحكى بعدها الكلام أى فهى الابتدائية لا الجارة
ولا العاطفة والمحكى هو الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء والباقون
بالتخفيف ويأجوج ومأجوج اسمان أعجميان اسم قبيلتين من جنس الانس ويقدر
قبله مضاف أى سدهما وذلك قرب الساعة يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج
ومأجوج وقرأ عاصم بهمزة ساكنة والباقون بالالف ثم عبر عن كثرتهم التى لا يعلمها الا
هو سبحانه وتعالى بقوله تعالى (وهم) أى والحال أنهم (من كل حدب) أى نشز عال من
الارض (ينسلون) أى يسرعون من النسلان وهو تقارب الخطا مع السرعة كمشى الذئب
وفى العبارة ايماء الى أن الارض كرة وقيل الضمير راجع الى الناس المسوقين الى المحشر روى
عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر الساعة
فقال صلى الله عليه وسلم ما تذاكرون قلنا نذكر الساعة قال انها لن تقوم الساعة حتى
تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول
عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم
(واقترب الوعد الحق) أى يوم القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى فلوا بعد خروج
يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة (فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) قال
الكلبى شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم و(اذا) هى اذا
للمفاجأة وهى تقع فى المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء
معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ولو قيل فهى شاخصة أو فاذا هى شاخصة كان
سديدا قال سيبويه والضمير للقصة بمعنى فاذا القصة شاخصة يعنى الابصار أبصار الذين
كفروا تشخص عند ذلك وقال الزمخشرى هى ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين
ظلموا وأسروا النجوى وقوله (يا ويلنا) اى هلاكنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا
ويقولون فى موضع الحال من الذين كفروا وبالتنبيه (قد كنا) فى الدنيا (فى غفلة من هذا)
اى اليوم حيث كذبنا وقلنا انه غير كائن ثم أضربوا عن الغفلة فقالوا (بل كنا ظالمين) أنفسنا
بعدم اعتقاده ووضعنا الشئ فى غير موضعه حيث اعرضنا عن تأمل دلائله والنظر فى مخايله
وكذبنا الرسل وعبدنا الاوثان وقوله تعالى (انكم) خطاب لاهل مكة وأكده لانكارهم
مضمون الخبر (وما تعبدون من دون الله) اى غيره من الاوثان (حصب جهنم) أى وقودها
وهو ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصب والحصب فى لغة أهل اليمن
الحطب وقال عكرمة هو الحطب بالحبشية قال الضحاك يعنى يرمون بهم فى النار كما يرمى
بالحصب وقوله تعالى (أنتم لها واردون) اى داخلون استئناف أو بدل من حصب جهنم
واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها (لو كان هؤلاء) اى
الاوثان (آلهة) اى كما زعمتم (ما وردوها) اى ما دخل الاوثان وعابدوها النار وقرأ نافع وابن
كثير وأبو عمرو بابدال الهمزة الثانية ياء خالصة فى الوصل بعد تحقيق الاولى والباقون

أو أن بمعنى إذ كما فى قوله
تعالى وذروا ما بقى من الربا

الزاى والباقون بفتحها (ان الارض) اى أرض الجنة (يرثها عبادى) وحقق ذلك ما أفاده
اضافتهم اليه بقوله تعالى (الصالحون) اى المحققون باخلاق أهل الذكر المقبلون على ربهم
الموحدون له المشفقون من الساعة الراهبون من سطوته الراغبون فى رحمته
الخاشعون له فهذا عام فى كل صالح وقال مجاهد يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله
تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقال ابن
عباس أراد ان أراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين
واعزاز المسلمين وقيل أراد بالارض الارض المقدسة وقيل أراد جنس الارض الشامل
لبقاع أرض الدنيا كلها ولأرض المحشر والجنة وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى وجرى على هذا
البقاعى فى تفسيره وقرأ حمزة بسكون الياء والباقون بفتحها (ان فى هذا) اى القرآن كما قاله
البغوى (لبلاغا) اى وصولا الى البغية فان من اتبع القرآن وعمل به وصل الى ما يرجوه من
الثواب وقيل بلاغا أى كفاية يقال فى هذا الشئ بلاغ وبلغة اى كفاية والقرآن زاد الجنة
كبلاغ المسافر وقال الرازى هذا اشارة الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد
والوعيد والمواعظ البالغة (لقوم عابدين) اى عاملين به وقال ابن عباس عالمين قال الرازى
والاولى انهم الجامعون بين أمرين لان العلم كالشجر والعمل كالثمر والشجر بدون الثمر غير
مفيد والثمر بدون الشجر غير كائن وقال كعب الاحبار هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم أهل
الصلوات الخمس وشهر رمضان ولما كان هذا مشيرا الى ارشادهم فكان التقدير فما أرسلناك
الا لاسعادهم عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) اى على حالة من الاحوال (الا) على حال
كونك (رحمة للعالمين) كلهم أهل السموات وأهل الارض من الجن والانس وغيرهم طائعهم
بالثواب وعاصيهم بتأخير العقاب الذى كنا نستأصل الامم به فنحن نمهلهم ونترفق بهم اظهارا
لشرفك واعلاء لقدرك ثم نردهم أو كثيرا منهم الى دينك ونجعلهم من أكابر أنصارك وأعاظم
أعوانك بعد طول ارتكابهم الضلال وارتقائهم فى أشراك المحال ومن أعظم ما يظهر فيه
هذا الشرف فى عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى يوم يجمع الله تعالى الاولين والآخرين
وتقوم الملائكة صفوفا والثقلان وسطهم ويموج بعضهم فى بعض من شدة ما هم فيه
ويطلبون من يشفع لهم فيقصدون أكابر الانبياء نبيا نبيا عليهم الصلاة والسلام فيحيل بعضهم
على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى يأتوه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها ويقوم
معه لواء الحمد فيشفعه الله تعالى وهو المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون فهو
صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق أجمعين ولما أورد تعالى على الكفار الحجج فى ان لا اله سواه
وبين انه أرسل رسوله رحمة للعالمين أتبع ذلك بأمره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل انما
يوحى الى انما الهكم اله واحد) اى ما يوحى الى فى أمر الاله الا وحدانيته وما الهكم الا اله
واحد لم يوح الى فيما تدعون من الشركة غير ذلك فالاول من قصر الصفة على الموصوف
والثانى من قصر الموصوف على الصفة والمخاطب به من يعتقد الشركة فهو قصر قلب وقال
الزمخشرى انما لقصر الحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما
يقوم زيد وقد اجتمع المثالان فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما

هنا باقفد الواو والبكم
وقالبه بجيد فهمالات

طاب النفس اللذة (خالدون) اى دائما أبدا فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به * (فائدة) * فى هنا مقطوعة عن ما ولما كان مدى ذلك ان سرورهم ليس له زوال أكده بقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال الحسن هو حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن عباس هو النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وقال ابن جريج هو حين يذبح الموت وينادى يا أهل النار خلود بلا موت وقال سعيد بن جبير هو أن تطبق جهنم وذلك بعد أن يخرج الله تعالى منها من يريد أن يخرجه (وتتلقاهم) أى تستقبلهم (الملائكة) قال البغوى على أبواب الجنة يهنئونهم وقال الجلال المحلى عند خروجهم من القبور ولا مانع أنهم استقبلوهم فى الحالين ويقولون لهم (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) أى هذا وقت ثوابكم الذى وعدكم ربكم به فى الدنيا فابشروا فيه بجميع ما يسركم * ولما كانت هذه الافعال على غاية من الاهوال تتشوف بها النفس الى معرفة اليوم الذى تكون فيه قال تعالى (يوم) أى تكون هذه الاشياء يوم (نطوى السماء) طيا فتكون كأنها لم تكن ثم صور طيها بما يعرفونه فقال مشبها للمصدر الذى دل عليه الفعل (كطى السجل) واختلف فى السجل فقال بعضهم هو الكاتب الذى له الطى والقدرة على مكتوبه (للكتاب) أى القرطاس الذى يكتبه ويرسله الى أحد وقال السدى هو ملك يكتب أعمال العباد وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذه الاقوال اسم للصحيفة المكتوب فيها وقال ابن عباس ومجاهد والاكثرون السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج وهو ضد النشر وانما وقع هذا الاختلاف لان السجل يطلق على الكتاب وعلى الكاتب قاله فى القاموس وقرأ حفص وحمزة والكسائى بضم الكاف والتاء على الجمع والباقون بكسر الكاف وفتح التاء وبين الكاف والتاء ألف على الافراد فقراءة الافراد لمقابلة لفظ السماء والجمع للدلالة على ان المراد الجنس فجميع السموات تطوى روى عن ابن عباس انه قال يطوى الله تعالى السموات السبع بما فيها من الخليقة والارضين السبع بما فيها من الخليقة يطوى ذلك كله بيمينه اى بقدرته حتى يكون ذلك بمنزلة خردلة وروى عن ابن عباس انه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا اى غير مختونين (كما بدأنا أول خلق نعيده) اى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم عراة غرلا غير مختونين نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة (وعدا) وأكد ذلك بقوله تعالى (علينا) وزاده بقوله تعالى (انا كنا) ازلا وأبدا على حالة لا تحول (فاعلين) اى شأننا ان نفعل ما نريد لا كلفة علينا فى شئ من ذلك ثم انه تعالى حقق ذلك بقوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبير ومجاهد الزبور جميع كتب الله تعالى المنزلة والذكر أم الكتاب الذى عنده ومعناه من بعد ما كتب ذكره فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال الشعبى الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور كتاب داود عليه السلام والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أى امامهم وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اى قبله وقرأ حمزة بضم

قوله (قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) قاله [illegible]

قوله والذكر الخ هذا ساقط فى بعض النسخ ويحتاج [illegible] الى أن بعد بمعنى قبل [illegible] الآتى قريبا اه مصححه

(وربنا) أي المحسن إلينا أجمعين (الرحمن) أي العام الرحمة لنا ولكم بإدرارها علينا ولولا عموم
رحمته لأهلكنا أجمعين وإن كنا نحن أطعناه لأنا لا نقدره حق قدره ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة (المستعان) أي المطلوب منه العون (على ما تصفون)
من كذبكم على الله تعالى في قولكم اتخذ الله ولدا وعلى في قولكم ساحر وعلى القرآن
في قولكم شعر قال الرازي روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك في حروبه ولم يذكر له
سندا وأما ما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ اقترب
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن فحديث موضوع والله
تعالى أعلم بالصواب

سورة الحج مكية

الا ومن الناس من يعبد الله على حرف الآيتين والا هذان خصمان الست
آيات فمدنيات وهي ثمان وقيل خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

المستعان مصروف الى
الجمل السابقة من قوله

(بسم الله) أي الذي اقتضت عظمته خضوع كل شيء (الرحمن) الذي عم برحمته كل موجود
(الرحيم) الذي خص بفضله من شاء من عباده ولما ختمت السورة التي قبل هذه بالترهيب
من الفزع الأكبر وطي السماء وإتيان ما يوعدون وكان أعظم ذلك يوم الدين افتتحت هذه
السورة بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله تعالى (يا أيها الناس) أي الذين
تقدم أول تلك أنه اقترب لهم حسابهم إن أريد بذلك العام والأقرب وغيرهم (اتقوا) أي
احذروا عقاب (ربكم) أي المحسن إليكم بأنواع الإحسان بأن تجعلوا بينكم وبين عقابه
وقاية بالطاعات ولما أمرهم بالتقوى علل ذلك مرهبا لهم بقوله تعالى (إن زلزلة الساعة)
أي حركتها الشديدة للأشياء على الإسناد المجازي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله
ويصح أن يكون إلى المفعول فيه على طريق الاتساع في الظرف وإجرائه مجرى المفعول
به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض
زلزالها واختلف في وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند
طلوع الشمس من مغربها الذي هو أشراط الساعة (شيء عظيم) أي أمر كبير وخطب جليل
وحادث هائل لا تحتمل العقول وصفه وهذه الزلزلة تقدمها انكشاف جميع ما يحدث في ذلك
اليوم الذي لا بد لكم من الحشر فيه إلى الله تعالى ليجازيكم على ما كان منكم لا يخفى منه
نقير ولا قطمير (يوم ترونها) أي الزلزلة أو الساعة أو كل مرضعة أضمرها قبل الذكر تهويلا
للأمر وتوقيعا للنفس (تذهل) بسبب ذلك (كل مرضعة) أي بالفعل أي تنسى وتغفل حائرة
مدهوشة والعامل في يوم تذهل (فإن قيل) لم قال تعالى مرضعة ولم يقل مرضع (أجيب)
بأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الطفل والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم
تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقال مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه
وقد ألقمت ثديها انتزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن إرضاعها أو عن

الحكم الواحد بمنزلة الخبر الواحد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله تعالى بالوحدانية انتهى ولما كان الوحى الوارد على هذا السنن موجبا ان يخلصوا التوحيد لله تعالى قال صلى الله عليه وسلم (فهل أنتم مسلمون) اى منقادون لما يوحى الى من وحدانية الاله والاستفهام بمعنى الامر اى أسلموا (فان تولوا) اى لم يقبلوا ما دعوتهم اليه (فقل) اى لهم (آذنتكم) اى أعلمتكم بالحرب كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وأشهر النبذ وأشاعه وآذنهم جميعا بذلك وقوله (على سواء) حال من الفاعل والمفعول اى مستوين في الاعلام به لم أطوه عن أحد منكم ولا استبد به دونكم لتتأهبوا (وان) اى وما (أدرى أقريب) جدا بحيث يكون قربه على ما تتعارفونه (أم بعيد ما توعدون) من غلب المسلمين عليكم أو عذاب الله أو القيامة المشتملة عليه وان ذلك كائن لا محالة ولا بد أن يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا أدرى متى يكون ذلك لان الله تعالى لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه وانما يعلمه الله تعالى (انه) تعالى (يعلم الجهر من القول) اى مما يجهرون به من الطعن وغير ذلك ونبه تعالى على ذلك فان من أحوال الجهر ان ترتفع الاصوات جدا بحيث تختلط ولا يميز بينها ولا يعرف كثير من حاضريها ما قاله أكثر القائلين فاعلم سبحانه وتعالى انه لا يشغله صوت عن آخر ولا يفوته شئ من ذلك ولو كثر (ويعلم ما تكتمون) مما تضمرونه في صدوركم من الاحقاد للمسلمين ونظير ذلك قوله تعالى في أول السورة قل ربى يعلم القول في السماء والارض ومن لازم ذلك المجازاة عليه بما يحق لكم من تعجيل وتأجيل فستعلمون كيف تخيب ظنونكم ويتحقق ما أقول فتعلمون حينئذ انى صادق ولست بساحر ولا شاعر ولا كاهن فهو من أبلغ التهديد فانه لا أبلغ من التهديد بالعلم ولما كان الامهال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة قال (وان) أى وما (أدرى) أن يكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أم لا (لعله) أى تأخير العذاب (فتنة) أى اختبار (لكم) ليظهر ما يعلمه منكم من السر انتهى لان حالكم حال من يتوقع منه ذلك (ومتاع) لكم تتمتعون به (الى حين) أى بلوغ مدة آجالكم التى ضربها لكم في الازل ثم يأخذكم بغتة وأنتم لا تشعرون ولما كان لله أن يفعل ما يشاء من عدل وفضل وكان من العدل جواز تعذيب الله تعالى الطائع وتنعيم المؤمن العاصى وكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية في البيان لهم وهم قد بلغوا النهاية في أذيته وتكذيبه أمر الله تعالى أن يفوض الامر اليه تسلية له بقوله تعالى (قل رب) أيها المحسن الى (احكم) أى انجز الحكم بينى وبين قومى (بالحق) اى بالامر الذى يحق لكل منا من نصر وخذلان وقرأ حفص بفتح القاف وألف بعدها وفتح اللام بصيغة الماضى على حكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون بضم القاف وسكون اللام بصيغة الامر (فان قيل) كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم بالحق والله تعالى لا يحكم الا بالحق (أجيب) بان الحق ههنا بمعنى العذاب فكأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر ونظيره قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال أهل المعانى معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب أم لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب في حكمه الحق

اتصال ما هنا بما قبله
اشتداد قوله بعلمه وغفلة

الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا (ومن
الناس) اى المذبذبين (من) لا يسعى فى اعلاء نفسه وتهذيبها فيكتسب بسوء [illegible] لانه
(يجادل فى الله) اى فى قدرته على ذلك اليوم وفى غير ذلك بعد ان جاءه العلم اجتراء على سلطانه
العظيم (بغير علم) بل بالباطل الذى هو جهل صرف فمنزلته اتباع الهوى (ويتبع) فيما يتعاطاه
فى جداله (كل شيطان) محترق بالسوء متجرد بالشر (مريد) اى متجرد للفساد ولا شغل له غيره
قال البيضاوى واصله العرى اى عن الخير (كتب) اى قدر وقضى على سبيل الحتم لانه
لا يتخلف تعبيرا باللازم عن الملزوم (عليه) اى على ذلك الشيطان (انه) اى الشان (من تولاه)
اى فعل معه فعل الولى مع وليه باتباعه والاقبال على ما يزينه (فانه يضله) بما يصده عن الدين و
الطاعات فيجانبه سبيل الخير (ويهديه) اى يجره بما يلقى اليه من الشهوات الحاملة على الزلات (الى
عذاب السعير) اى النار ثم الزم الحجة منكرى البعث بقوله تعالى (يا ايها الناس) اى
كافة ويجوز ان يراد به المنكرون فقط (ان كنتم فى ريب) اى شك وتهمة وحاجة الى البيان (من
البعث) وهو قيام الاجسام بارواحها كما كانت قبل مماتها فتفكروا فى خلقكم الاول
لتعلموا ان القادر على خلقكم اولا قادر على خلقكم ثانيا ثم انه سبحانه وتعالى ذكر مراتب
الخلقة الاولى امورا سته المرتبة الاولى قوله تعالى (فانا خلقناكم) بقدرتنا التى
لا يتعاظمها شئ (من تراب) لم يسبق له اتصاف بالحياة [illegible] من تراب [illegible]
الخلقة الاولى آباكم [illegible] آدم [illegible] من تراب [illegible] آدم [illegible]
تراب الثانى من الاغذية والاغذية [illegible]
النباتات [illegible]
من تراب المرتبة الثانية قوله تعالى (ثم من نطفة) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الرابعة [illegible] (ثم من مضغة) اى [illegible]
[illegible]
اذا كانت [illegible] (وغير مخلقة) اى وغير مصورة [illegible]
ما هو كامل الخلقة واملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت
تفاوت الناس فى خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم هذا قول قتادة
والضحاك وقال مجاهد المخلقة الولد الذى يخرج حيا وغير المخلقة السقط وقال قوم المخلقة
المصورة وغير المخلقة غير المصورة وهو الذى يبقى لحما من غير تخطيط وتشكيل واحتجوا بما
روى علقمة عن عبد الله بن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت فى الرحم اخذها
ملك بكفه وقال اى رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها فى الرحم دما ولم تكن
نسمة وان قال مخلقة قال الملك اى رب ذكر ام انثى وشقى ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق
باى ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها فى ام

الذي أرضعته وهو الطفل فما إما مصدرية أو موصولة (وتضع كل ذات حمل حملها) أي
تسقطه قبل التمام رعبا وفزعا *(تنبيه)* هذا ظاهر على القول الثاني وهو قول علقمة
والشعبي على أن ذلك يكون عند طلوع الشمس من مغربها وأما على القول الأول وهو قول
الحسن على أن ذلك يوم القيامة كيف يكون ذلك فقيل هو تصوير لهولها قاله البيضاوي
وقال البقاعي في المرضعة هي من ماتت مع ابنها رضيعا وفي ذات الحمل من ماتت حاملا فإن
كل أحد يقوم على ما مات عليه وهذا أولى فإني في حال كتابتي في هذا المحل حضر عندي
سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركته فذكرت له هذين القولين فانشرح
صدره ورجح هذا الثاني وذلك يوم تاسوعاء من شهر الله المحرم سنة ست وخمسين وتسعمائة
وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ويؤيد
أن هذه الزلزلة تكون بعد البعث ما روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية
والخير في يديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار قال يا رب
وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها
ويشيب الوليد وساق بقية الآية وهو (وترى الناس سكارى) أي لما هم فيه من الدهشة
والحيرة ثم بين الله تعالى أن ذلك ليس بسكر حقيقة بقوله تعالى (وما هم بسكارى) أي من
الشراب ولما نفى أن يكونوا سكارى من الشراب أثبت ما أوجب لهم ذلك بقوله (ولكن
عذاب الله) ذي العزة والجبروت (شديد) فهو الذي أوجب أن ظن بهم السكر لأنه أزال
أذهب عقولهم وطير تمييزهم ثم أخذ في الحديث إلى آخر الآية فشق ذلك على الناس حتى تغيرت
وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله أينا ذلك الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم أنتم في الناس
كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالرقمة في
ذراع الحمار وإني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم
قال شطر أهل الجنة فكبرنا وفي رواية إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وروي عن عمران بن
حصين رضي الله عنه أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم نر أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن
الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا ما بين حزين وباك ومفكر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله
لآدم قم فابعث بعث النار وذكر نحو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي
سبعون ألفا الجنة بغير حساب قال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا وقرأ
حمزة والكسائي بفتح السين وسكون الكاف فيهما والباقون بضم السين وفتح الكاف وبعد
الكاف ألف وأمال الألف بعد الراء أبو عمرو وحمزة والكسائي محضة وورش بين بين والباقون
بالفتح ونزل في النضر بن الحرث وكان كثير الجدال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول

الساعة بحكم المقدمات وأصح النتائج وكان اول الآية مجادلة فيه غير مشاهد ذكر الله تعالى دليلا
آخر على البعث مشاهدا بقوله (وترى الارض هامدة) أي يابسة ساكنة سكون الميت (فاذا
أنزلنا) اي بما لنا من القدرة (عليها الماء اهتزت) أي تحركت وتأهلت لاخراج النبات (وربت)
اي ارتفعت وذلك اول ما يظهر منها للعين وزادت ونمت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن
التراب والماء وقوله تعالى (وأنبتت) مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا
اي أنبتت بتقديرنا الأنواع النبتة (من كل زوج) اي صنف (بهيج) اي حسن نضير من اشتات
النبات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ومقاديرها قال
الجلال المحلي من زائدة ولم أر من ذكر ذلك من المفسرين * (تنبيه) * في الآية اشارة الى أن
النبات كما يتوجه من نقص الى كمال فكذلك الانسان المؤمن يترقى من نقص الى كمال ففي
المعاد يصل الى كماله الذي اعد له من البقاء والغنى والعلم والصفاء والخلود في دار السلام مبرأ
عن عوارض هذا العالم ولما قرر سبحانه هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة
وذكر امورا خمسة احدها قوله تعالى (ذلك) اي المذكور من بدء الخلق الى آخر احياء
الارض (بأن) اي بسبب ان تعلموا ان (الله) اي الجامع لأوصاف الكمال (هو) اي وحده
(الحق) اي الثابت الدائم وما سواه فان ثانيها قوله تعالى (وأنه يحيي الموتى) اي قادر على ذلك
والا لما احيا النطفة والارض الميتة ثالثها قوله تعالى (وأنه على كل شئ) من الخلق وغيره
(قدير) انما امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون رابعها قوله تعالى (وان الساعة) التي
تقدم ذكرها وتقدم التعبير عنها وهي حشر الخلائق كلهم (آتية لا ريب) اي لا شك (فيها) اي
بوجه من الوجوه مما دل عليها مما لا سبيل الى انكاره بقول من لا مرد لقوله وهو حكيم لا يخلف
ميعاده ولا يسوغ بوجه أن يترك عباده بغير حساب خامسها قوله تعالى (وأن الله يبعث)
بالاحياء (من في القبور) بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف وقد وعد الساعة والبعث فلا بد
ان يفي بما وعده ونزل في ابي جهل بن هشام كما قاله ابن عباس (ومن الناس من يجادل) اي
بغاية جهده (في الله) اي في قدرته وما يجب له من هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البيان
الذي لا مثل له ولا خفاء فيه (بغير علم) أتاه من الله تعالى على لسان أحد من اصفيائه أعم من
ان يكون كتابا أو غيره (ولا هدى) ارشده اليه أعم من كونه بضرورة أو استدلال (ولا كتاب
منير) له نور فصح انه من الله تعالى ومن المعلوم انه بانتفاء هذه الثلاثة لا يكون جداله الا
بالباطل وقيل قوله تعالى ومن الناس كرره كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين
وهذا في المقلدين وقوله تعالى (ثاني عطفه) حال اي لاوي عنقه تكبرا عن الايمان كما قال
تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا والعطف في الاصل الجانب عن يمين او شمال وقوله
تعالى (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بضمها
(فان قيل) على قراءة الضم ما كان غرضه في جداله الضلال لغيره عن سبيل الله فكيف علل به
وما كان على قراءة الفتح مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال عن الهدى الى الضلال (أجيب)
عن الاول بان جداله لما أدى الى الضلال جعل كأنه غرضه وعن الثاني بان الهدى لما
كان معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال الباطل جعل كالخارج من الهدى

في الجمل السابقة وما ذكر
بعد خال عن ذلك فتأمله

الكتاب فيدخلها فلا يزال العبد حتى يأتي على آخر صفتها والذي أخرجاه في الصحيحين عنه قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه
اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب
رزقه وأجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل
بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل
النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها فكأنه تعالى يقول انما نقلناكم من حال الى
حال ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق
البشر من التراب والماء أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل
النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قادر على اعادة ما أبداه
بل هو أدخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام
بان أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يحيط به الوصف ولا يكتنهه الذكر (ونقر
في الارحام) اي من ذلك الذي خلقناه (ما نشاء) اتمامه (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه
بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين بحسب قوة الارحام وضعفها وقوة الخلقات
وضعفها وكثرة تغذيه من الدماء وقلته الى غير ذلك من أحوال وشؤن لا يعلمها الا بارئها جلت
قدرته وتعالت عظمته وما لم نشأ اقراره مجته الارحام واسقطته دون التمام أو تخرقه
فيضمحل المرتبة الخامسة قوله تعالى (ثم نخرجكم طفلا) وهو معطوف على نبين
ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر
في الارحام من نقر حتى تولدوا في حال الطفولية من صغر الجثة وضعف البدن والسمع
والبصر وجميع الحواس لتعلم لكم الأمور ثم نكبر أجرامكم ونعظم أجسادكم
المرتبة السادسة قوله تعالى (ثم) اي نمد آجالكم (لتبلغوا) بهذا الانتقال في اسنان الاجسام
من الرضاع الى المراهقة الى البلوغ الى الكهولة (أشدكم) اي الكمال والقوة وهو ما بين
الثلاثين الى الاربعين جمع شدة كالانعم جمع نعمة كأنه شدة في الامور المرتبة السابعة قوله
تعالى (ومنكم من يتوفى) اي عند بلوغ الاشد أو قبله (ومنكم من يرد) بالشيخوخة وبناه
للمجهول اشارة الى منه لا سبب عليه لاستبعاده ولولا تكرار المشاهدة عند الناظر لانكار القوة
والنشاط وحسن التواصل بين أعضائه والارتباط (الى أرذل) اي أخس (العمر) وهو سن
الهرم فتنقص جميع قواه (لكيلا يعلم من بعد علم) كان أوتيه (شيئا) اي يعود كهيئته الاولى
في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه حتى يسأل
عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه (فان قيل) هذه
الحالة لا تحصل للمؤمنين لقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
(أجيب) بان معنى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين هو دلالة على الذم فالمراد به ما يجري مجرى
العقوبة ولذلك قال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لكن قال عكرمة من قرأ القرآن
لم يصر الى هذه الحالة وقد علم بعود الانسان في ذهاب العلم وصغر الجسم الى نحو ما كان عليه في
ابتداء الخلق قطعا أن الذي أعاده الى ذلك قادر على اعادته بعد الممات ولما تم هذا الدليل على

ثم ابن عمدان الآيات
... بقات نزلت في المخاطبين

به يوم القيامة يقوم هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار
بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التى ادعاها لها وقيل الآية الاولى فى الاصنام والثانية فى
رؤساء وهم الذين كانوا يفزعون اليهم بدليل قوله تعالى (لبئس المولى) اى الناصر هو (ولبئس
العشير) اى الصاحب هو قال الرازى وهذا الوصف بالرؤساء اليق لان ذلك لا يكاد يستعمل
فى الاوثان فبين تعالى انهم يعدلون عن عبادة الله الى عبادة الاصنام والى طاعة الرؤساء
ولما بين سبحانه وتعالى حال الكفار عقبه بحال المؤمنين بقوله تعالى (ان الله) اى الجامع
لجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسله (وعملوا)
تصديقا لايمانهم (الصالحات) من الفروض والنوافل [illegible]
(جنات تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها ومساكنها (الانهار) ولما بين سبحانه [illegible] حال
الفريقين قال تعالى (ان الله) اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما (يفعل ما يريد) من اكرام من
يطيعه واهانة من يعصيه لا دافع له ولا مانع ثم قال تعالى (من كان يظن ان لن ينصره الله فى
الدنيا والآخرة) فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة [illegible]
خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه [illegible] الى النبى صلى الله عليه وسلم [illegible]
ذكر فى هذه الآية [illegible]
يدخل الذين آمنوا [illegible]
المذكور [illegible]
الرزق قال ابو [illegible]
اعطاه الله [illegible]
(الى السماء) اى [illegible]
[illegible] من الارض [illegible]
[illegible] النبى صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] (فلينظر) [illegible]
[illegible] النبى صلى الله عليه وسلم [illegible]
فليختنق غيظا [illegible] صلى الله عليه وسلم واعانة [illegible]
الارزاق [illegible]
اضرب برأسك الجدار ان لم ترض [illegible]
كرها واختلف فى سبب نزول هذه الآية على القول الاول [illegible]
قوما من المسلمين استبطؤا نصر الله على الكفار بمضمون ما وعد الله ورسوله من النصر فنزلت
ثانيها قال مقاتل نزلت فى نفر من اسد وغطفان قالوا نخاف ان الله لا ينصر محمدا فينقطع
الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا ثالثها ان حساده واعداءه كثيرة وكانوا
يتوقعون ان لا ينصر وان لا يعلى على اعدائه فمتى شاهدوا ان الله نصره غاظهم ذلك
(وكذلك) اى ومثل ما انزلنا هذه الآيات لبيان حكمها واظهار اسرارها (انزلناه) اى

الى الضلال * ولما ذكر ضلاله وغرضه ذكر ما اعد له عليه في الدنيا بقوله تعالى (له في الدنيا خزى)
اى اهانة وذل وان طال فمن استدراجه بنعمه حق على الله ان لا يرفع شيأ من الدنيا الا
وضعه وما اعد له عليه في الآخرة بقوله تعالى (ونذيقه يوم القيامة) الذى يجمع فيه الخلائق
بالاحياء بعد الموت (عذاب الحريق) اى الاحراق بالنار وعن الحسن قال بلغنى ان احدهم
يحرق في اليوم سبعين ألف مرة ويقال له حقيقة او مجازا (ذلك) اى العذاب العظيم (بما
قدمت يداك) اى بما فعلت ولكن جرت عادة العرب ان تضيف الاعمال الى اليدين لأنها آلة اكثر
العمل واضافة ما يؤدى اليه الى اليد (وأن) اى وبسبب أن (الله ليس بظلام) اى بذى ظلم
(للعبيد) واتباعه وجزاؤهم على اعمالهم اراد المبالغة لكثرة العبيد * ونزل في قوم من
الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح
بها جسمه ونتجت فرسه مهرا او ولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت
به خيرا واطمأن به وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الا شرا فينقلب عن دينه (ومن
الناس من يعبد الله) اى يعمل على سبيل الاستمرار والتجدد ما أمر الله به من طاعته (على
حرف) فهو متزلزل كمنزلة من يكون على حرف شفير او جبل او غيره لا استقرار له وكالذى
على طرف من العسكر فان رأى غنيمة استقر وان توهم خوفا طار وفر وهذا معنى قوله تعالى
(فان أصابه خير) اى من الدنيا (اطمأن به) اى سكن وثبت على ما هو عليه (وان أصابته
فتنة) اى محنة وشر في نفسه وماله (انقلب على وجهه) اى رجع الى الكفر وعن ابى سعيد
الخدرى ان رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت * ولما كان انقلابه [illegible]
والآخرة قال تعالى (خسر الدنيا) بفوات ما أمله منها ويكون ذلك [illegible]
تعالى ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وروى ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (والآخرة) بالكفر [illegible]
قوله تعالى (ذلك) اى الامر العظيم (هو) اى لا غيره (الخسران المبين) اى البين [illegible]
مثله ثم بين هذا الخسران الذى رده الى ما كان فيه قبل الايمان الحرفى بقوله تعالى (يدعوا) اى
يعبد حقيقة أو مجازا (من دون الله) اى غيره من الصنم (ما لا يضره) ان لم يعبده (وما لا ينفعه)
ان عبده (ذلك) اى الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق والرشاد استعير الضلال البعيد
من ضلال من أبعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلاله * ولما كان الاحسان جالبا
للانسان لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها بين ان ما قيل في جانب النفع انما هو
على سبيل الفرض فقال تعالى (يدعوا لمن) اى من (ضره) بكونه معبودا لانه يوجب القتل
والخزى في الدنيا والعذاب في الآخرة (أقرب من نفعه) الذى يتوقع منه بعبادته وهو
الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى * (تنبيه) * علم مما تقرر ان اللام في لمن مزيدة كما قال
الجلال المحلى (فان قيل) الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا
متناقض (أجيب) بان المعنى اذا حصل ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه
يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه ينتفع به حين يستشفع

الاستخفاف والحذف
(قوله مثل نوره كمشكاة)

الثواب (وكثير) اى من الناس (حق عليه العذاب) وهم الكافرون لانهم أبوا السجود
المتوقف على الايمان (ومن يهن الله) اى يشقه (فما له من مكرم) اى مسعد لانه لاقدرة لغيره
أصلا (ان الله) اى الاله الاعظم (يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة لامانع له من ذلك نقل
عن على رضى الله تعالى عنه انه قيل له ان رجلا يتكلم فى المشيئة فقال له على يا عبد الله خلقك الله
لما يشاء أو لما شئت قال بل لما يشاء قال فيمرضك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيشفيك
اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء قال بل حيث يشاء
قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عيناك بالسيف ه ولما بين تعالى أن الناس
قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر كيفية اختصامهم بقوله تعالى
(هذان خصمان) اى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة
وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (اختصموا) اى اوقعوا الخصومة بغاية
الجهد (فى ربهم) اى فى دينه وروى عن قيس بن عباد قال سمعت اباذر يقسم قسما ان هذه الآية
هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث
وعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه فى الصحيحين وعن ابن عباس قال لما بارز على
وحمزة وعبيدة عتبة وشيبة والوليد قالوا لهم تكلموا نعرفكم قال أنا على وهذا حمزة وهذا
عبيدة فقالوا أكفاء كرام فقال على أدعوكم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عتبة
هلم للمبارزة فبارز على شيبة فلم يلبث أن قتله وبارز حمزة عتبة فقتله وبارز عبيدة الوليد فصعب
عليه فأتى على فقتله فنزلت وعن قتادة نزلت الآية فى المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم قال المسلمون كتابنا يقضى على الكتب
كلها ونبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء فنحن أولى بالله منكم وعن ابن عباس أنها نزلت
كذلك لكن قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله
من كتاب وانكم تعرفون نبينا وكتابنا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم فى ربهم وقيل
المؤمنون والكافرون من أى ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان
الجنة والنار لما روى عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة
والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس
وسقطهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت
عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها وعن عكرمة فقالت النار
خلقنى الله لعقوبته وقالت الجنة خلقنى الله لرحمته وهذا القول بعيد عن السياق لان الله
تعالى ذكر جزاء الخصمين بقوله تعالى (فالذين كفروا) وهو الفصل بينهم المعنى بقوله تعالى ان
الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت) اى قدرت (لهم) على مقادير جثثهم (ثياب من نار) اى
نيران تحيط بهم احاطة الثياب سابقة عليهم كما كانوا يلبسون الثياب فى الدنيا فخرا وتكبرا
وعن ابراهيم التيمى انه قال سبحان من قطع من النار ثيابا وعن سعيد بن جبير قال قطعت من

ا القصة المعروفة
والشكاة الاسبوقة

القرآن الباقي وقوله تعالى (آيات بينات) اى معجزا نظمها كما كان معجزا حكمها حال وقوله تعالى (وان الله) اى الموصوف بالاكرام كما هو موصوف بالانتقام (يهدى) اى بآياته (من يريد) اى هدايته اى يثبته على الهدى معطوف على محل أنزلناه ، ولما قال تعالى وان الله يهدى من يريد أتبعه ببيان من يهديه ومن لا يهديه وبدأ بالقسم الاول بقوله (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله ولم يعبر بالفعل ليشمل الاقرار باللسان الذي هو أدنى وجوه الايمان ثم شرع في القسم الثاني بقوله تعالى (والذين هادوا) اى انتحلوا دين اليهودية (والصابئين) وهم فرقة من النصارى سميت بذلك قيل لنسبتها الى صابئ عم نوح عليه السلام وقيل لخروجهم عن دين الى دين آخر واطلاق الصابئة على هذا هو المشهور وتارة يوافقونهم في أصول دينهم فتحل مناكحتهم وتارة يخالفونهم فلا تحل مناكحتهم وتطلق ايضا على قوم أقدم من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار اليها وينفون الصانع المختار فهؤلاء لا تحل مناكحتهم وقد أفتى الاصطخري والمحاملي بقتلهم لما استفتى القاهر الفقهاء فيهم فبذلوا له أموالا كثيرة فتركهم والبلاد فيهم وقرأ نافع بالياء التحتية بعد الباء والباقون بهمزة مكسورة بعد الباء الموحدة (والنصارى) اى الذين انتحلوا دين النصرانية (والمجوس) قال قتادة هم عبدة الشمس والقمر والنيران قال (والذين أشركوا) هم عبدة الاوثان قال قتادة الاديان كلها ستة واحد للرحمن وهو الاسلام وخمسة للشيطان وقيل خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن بجعل الصابئين مع النصارى لانهم نوع منهم كما مر على المشهور وقد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة البقرة (ان الله) الذي هو أحكم الحاكمين (يفصل بينهم يوم القيامة) بادخال المؤمنين الجنة وغيرهم النار وأدخلت ان على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله ، سربال ملك به ترجى الخواتيم

ثم علل ذلك بقوله تعالى (ان الله) اى الجامع لجميع صفات الكمال (على كل شئ) من الاشياء كلها (شهيد) اى عالم به علم مشاهدة (ألم تر) اى تعلم (أن الله يسجد له) اى يخضع منقادا لامره سبحانه مسخرا لما يريد منه تسخير من هو في غاية الاجتهاد في العبادة والاخلاص فيها (من في السموات ومن في الارض) ان خصصت بذلك العاقل فهم خضوع غيره من باب اولى وان ادخلت غير العاقل فبالتغليب ثم اتبعه بأشرف ما ذكر مما لا يعقل لان كلا منها عبد من دون الله او عبد شئ منه فقال تعالى (والشمس والقمر والنجوم) من الاجرام العلوية فعبد الشمس حمير والقمر كنانة والدبران تميم والشعرى لخم والثريا طيئ وعطارد اسد قاله ابو حيان وروى عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا يطوف بالبيت ويبكي فاذا هو طاوس فقال اعجبت من بكائي قلت نعم قال ورب الكعبة ان هذا القمر ليبكي من خشية الله ولا ذنب له ، ثم اتبع ذلك أعلى الذوات السفلية فقال (والجبال) اى التي قد نحتت منها الاصنام (والشجر) اى التي عبد بعضها (والدواب) اى التي عبد منها البقر كل هذه الاشياء تنقاد لامر الله ولا تأبى عن تدبيره (وكثير من الناس) وهم المؤمنون بزيادة الخضوع سجودا هو عبادة شرعية تخوله

مصباح المصباح في زجاجة
ى القنديل والمصباح

وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقرأ نافع وعاصم بنصب الهمزة الثانية مع التنوين عطفا على محل أساور [illegible] والباقون بالخفض مع التنوين وابدل الهمزة الاولى الساكنة [illegible] السوسي وأبو بكر هذا في الوصل وأما الوقف فحمزة يبدل الاولى واوا [illegible] الثانية تبدل واوا [illegible] الروم (ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم محرم لبسه على الرجال المكلفين في الدنيا [illegible] كما كان لباس الكفار في الدنيا حريرا ولباس المؤمنين [illegible] وفي الصحيحين [illegible] عبد الله بن الزبير عن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال [illegible] عبد الله بن الزبير [illegible] لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حرير [illegible] الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة [illegible] فمن شاء التشبه بالكفار في لباسهم [illegible] الله [illegible] على ذلك على أنه لا يلبسه مع السابقين [illegible] على الاعلال لا يلبسه [illegible] اسقطه من الرجال المكلفين (وهدوا) أي في الدنيا (الى الطيب من القول) [illegible] هو شهادة ان لا اله الا الله [illegible] والله اكبر [illegible] هو القرآن وقال عطاء هو [illegible] (وهدوا الى صراط الحميد) أي طريق الله المحمود [illegible]

[illegible]

[illegible] الكفار [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من حال [illegible] المقصود [illegible]

القتم [illegible]

دائم للناس (عن سبيل الله) أي عن [illegible] فيقولون ساحر وآخر يقول شاعر وآخر يقول كاهن [illegible] حتى قال من أسلم [illegible] حتى جعلت في أذنه الكرسف مخافة [illegible] يؤذون من أسلم الى غيره [illegible] (و) يصدون عن (المسجد الحرام) أي عن اقامة [illegible] من الطواف بالبيت والصلاة [illegible] ولا اعتبار [illegible] هو أهل لذلك [illegible] أولياؤه [illegible] شديد ظلمهم في الصد عنه بقوله تعالى (الذي جعلناه) بما لنا من العظمة (للناس) أي كلهم ثم بين جعله لهم بقوله تعالى (سواء العاكف) أي المقيم (فيه والباد) أي الطارئ من البادية وهو اطلاق [illegible] غريبه وقال بعضهم يدخل في العاكف الغريب [illegible] وان لم يكن

فخاصر وايس من الا[illegible] فيستوى اذا هى أشد مرارة منه وهال ث قوله (يصب
(من فوق رؤسهم الحميم) قال ابن الخاصر يذاب على رؤسهم ولكن المشهور ان
ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابها والجملة حال من الـ
ثان وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وقرأ حمزة والكسائي بضم الهاء
بكسر الهاء وضم الميم هذا في الوصل فان وقف على رؤسهم فالجميع بكسر ا
حمزة على أصله في الوقف على رؤسهم بضم لا الهمزة (يصهر) اى يذاب (به
(ما في بطونهم) من شحم وغيره (والجلود) فيكون أثره في الباطن والظاهر سوا
يسقون ماء اذا دخل بطونهم أذابها والجلود مع البطون (ولهم مقامع) :
جمع مقمعة وهي عمود حديد وقيل سوط يضرب به الوجه والرأس ابدا الحرو
عنه فاطلق المجاز قوله تعالى (من حديد) اى يقمعون بها روى أبو سعيد ا
النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع
من الارض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان (كلما أراد
منها) اى من تلك الثياب أو من النار (من غم) اى كلما حاولوا الخروج من
من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم (أعيدوا فيها) اى ردوا اليها بالمقامع
ويضربون بلهيب النار فيرفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع
خريفا وعن الفضيل بن عياض قال والله ما طمعوا في [illegible] الا [illegible]
موثقة ولكن يرفعهم لهبها وترجعهم مقامعها [illegible] كان [illegible]
فان [illegible] وقد [illegible] وانه [illegible] (عذاب الحريق) اى [illegible]
أى البالغ نهاية الاحراق ولما ذكر حال الاشقياء ذكر حال [illegible]
وهم المؤمنون وقدم الاطلوب فيه حيث لم يقل [illegible] الله
الادخال فيه الى الله تعالى [illegible] الجلال [illegible]
الذي له الامر كله (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسله (وعملوا الصالحات) [illegible]
الفروض والنوافل الخالصة الشاهدة بأنهم في الايمان (جنات تجري) اى
الانهار) اى المياه الواسعة [illegible] من تحت أشجارها [illegible]
أهل النار عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر ا
وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث صح
من حليت المرأة اذا لبست الحلي في مقابلة ما يزال عن بواطن الكفرة وظواه
(من أساور) صفة مفعول محذوف اى حليا من أساور ومن زائدة أو تبعيضية
أسورة هي جمع سوار ولما كان المقصود الحث على التقوى العالية الى الا
البر بأعلى ما يعرف من الحلية فقال (من ذهب) وقوله تعالى (ولؤلؤا) معطوف
ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا أن يراد المرصعة عن أبي موسى الاشعري أ
الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آ

قوله وعن ابن عباس في بعض النسخ وعن أبي سعيد فليحرر اهـ مصححه

التعليل فيما يأتي

الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم فكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك فينبغي لمن كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده ولما ذكر تعالى الفريقين وجزاء كل وختم بذكر البيت أتبعه التذكير فقال تعالى (و) اي واذكر (اذ) اي حين (بوأنا لابراهيم مكان البيت) اي جعلنا له مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة فان البيت رفع الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأعلم الله ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وقيل بعث الله له سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن على قدري فبنى عليه وعن عطاء بن أبي رباح قال لما اهبط الله آدم عليه السلام كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع تسبيح أهل السماء ودعاءهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة حتى شكت الى الله تعالى في دعائها وقيل في صلاتها فخفضه الله تعالى الى الارض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش [illegible] وقيل أول من بنى البيت ابراهيم [illegible] وورد في الصحيحين عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع أولا قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال بيت المقدس قلت كم بينهما قال اربعون سنة ثم قرأ [illegible] (ان لا تشرك بي شيئا) فابتدأ باساس الدين [illegible] وعطف على النهي قوله تعالى (وطهر بيتي) اي من كل ما لا يليق به من الاوثان والاقذار وطواف عريانا كما كانت العرب تفعل (للطائفين) اي الذين يطوفون بالبيت (فان قيل) كيف يكون النهي عن الشرك والامر بالتطهير [illegible] (أجيب) بان [illegible] كانت مقرونة من أجل [illegible] للطائفين وقال ابن عباس للطائفين بالبيت [illegible] (والقائمين) اي المقيمين (والركع السجود) اي المصلين من الكل [illegible] صلاة [illegible] على [illegible] (وأذن) اي ناد (في الناس بالحج) [illegible] المأمور [illegible] البيت قال الله تعالى لما أمره بالتأذين في الناس بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي قال عليك الأذان وعلي البلاغ فصعد ابراهيم الصفا وفي رواية أخرى أبا قبيس وفي أخرى على المقام قال ابراهيم كيف أقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو أول من لبى وفي رواية أخرى صعد على الصفا فقال يا أيها الناس ان لله بيتا فحجوه [illegible] فأسمعه من بين السماء والارض فما بقي شيء سمع صوته الا أقبل يلبي يقول لبيك اللهم لبيك وفي رواية أخرى ان الله يدعوكم الى حج بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فأجابه يومئذ من كان في اصلاب الرجال وأرحام النساء وكل من وصل اليه صوته من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب قال مجاهد فما حج انسان ولا يحج احد حتى تقوم الساعة الا وقد أسمعه ذلك النداء فمن اجاب مرة حج مرة ومن أجاب مرتين او اكثر فحج مرتين او اكثر بتلك المقدار وفي رواية فنادى على جبل أبي قبيس

دون قوله [illegible] زوجها [illegible]

من أهله قال الزمخشري وقد استدل بهذه الآية أصحاب أبي حنيفة قائلين إن المراد بالمسجد الحرام
مكة على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها انتهى وإيضاحه ... ابن عمر وعمر
بن عبد العزيز وإسحاق الحنظلي المعروف بابن راهويه قال البيضاوي وهو ضعيف معارضة
بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم الآية وشرى عمر دار السجن فيها من غير نكير انتهى
ووجه الرازي الضعف بقوله لأن أقرب ما ذكر [illegible] المسجد الحرام المتكلف [illegible] على الدو
أو في الأكثر فلا يلزم ما ذكروه [illegible] يحتمل أن يراد بأنهما كالجار [illegible] والمصحح المتمكن في كل وقت
الأوقات من العبادة فلا وجه لصرف الكلام عن ظاهره مع هذه الاحتمالات
واستدل أئمة الجواز بقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له أسامة بن زيد يا رسول الله أتنزل غدا
بدارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب
وجعفر وعلي لأنهما كانا مسلمين ولا يورث الكافر المسلم [illegible] قال الروياني ويكره بيعها
وإجارتها للخروج من الخلاف ونازعه النووي في مجموعه وقال إنه خلاف الأولى لأنه لم يرد
فيه نهي مقصود والأولى ما قال الزركشي هو المنصوص بل [illegible] في الأم [illegible]
بكراهة بيع المصحف والشطرنج ولم يرد في ذلك نهي مقصود انتهى (تنبيه) محل الخلاف
العلماء في [illegible] نفس الأرض أما البناء فهو ملك لمن بناه يجوز بيعه بلا خلاف [illegible] المكان من أنه
ارض [illegible] وإسحاق الحنظلي ناظر الشافعي رضي الله تعالى عنه بمكة [illegible]
الشافعي عليه واستدل الشافعي على الخصم بقوله [illegible]
لو قام غيرك مقامك لأمرت بفرك أذنيه [illegible]
وقال الرازي [illegible]
أنه تأكيد للمفعول [illegible]
أنه مفعول ثان [illegible]
للناس [illegible]
لا وقفا [illegible]
الحرام (بإلحاد) أي بميل إلى الظلم والإلحاد العدول عن القصد وأصله إلحاد الحافر [illegible]
الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء منهي عنه من قول أو فعل حتى شتم
الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الإحرام من قتل صيد
أو قطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد
هو تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال سعيد بن جبير احتكار الطعام بمكة بدليل
ما روى يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن احتكار الطعام في الحرم إلحاد
وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان
أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال
كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله * (تنبيه) * قوله بإلحاد بظلم
حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما
عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) أي مؤلم أي بعضه وخبر إن محذوف لدلالة جواب

الله نوره أي منوره في
قلب المؤمن بنور المصباح

ذبح المطاين لا ينفك عنه تنبيها على ان المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى أن يذكر اسمه
واختلف في الايام المعلومات في قوله تعالى (في أيام معلومات) فالذي عليه أكثر المفسرين وهو
اختيار الشافعي وأبي حنيفة انه عشر ذي الحجة واحتجوا بانها معلومة عند الناس بحرصهم
على علمها من أجل ان وقت الحج في آخرها ثم المنافع أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة
والمشعر الحرام وكذلك الذبائح وقتها وهو يوم النحر وعن ابن عباس أنها أيام التشريق
وقيل يوم عرفة الى آخر أيام التشريق وقيل يوم النحر الى آخر أيام التشريق واستدل لهذا
بقوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) وهي الابل والبقر والغنم من الهدايا والضحايا اى
يذكر واسم الله تعالى عند نحرها ونحر الضحايا والهدايا يكون في هذه الايام وتقدم الكلام
على الايام المعدودات في سورة البقرة عند قوله تعالى واذكروا الله في أيام معدودات وقوله
تعالى (فكلوا منها) اى من لحومها أمر اباحة وذلك أن الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم
هداياهم شيئا فأمر الله تعالى بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعا يجوز
للمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع
قال قدم على من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما غبر اى ما بقى وأشركه في بدنه ثم أمر من كل بدنة
ببضعة اى بقطعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها أخرجه مسلم
واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج
وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدى أن يأكل شيئا منه قال الشافعي رضى الله عنه
لا يأكل منه شيئا وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضى الله عنهما لا يأكل
من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحق وقال مالك يأكل من
هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والنذر وعن أصحاب
ابي حنيفة انه يأكل من كل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله تعالى
(واطعموا البائس) اى الذى اصابه بؤس اى شدة (الفقير) اى المحتاج اسم ايجاب وقد
قيل به في الاول (ثم ليقضوا تفثهم) اى يزيلوا أوساخهم وشعثهم كقص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا)
طواف الافاضة الذى به تمام التحلل (بالبيت العتيق) اى القديم لانه أول بيت وضع للناس
وقال ابن عباس سمى عتيقا لان الله تعالى أعتقه من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه
ليهدمه فمنعه الله تعالى منه (فان قيل) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (أجيب) بانه ما قصد التسلط
على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل
به ما فعل وقيل لان الله تعالى اعتقه من الغرق فانه رفع في أيام الطوفان وقال مجاهد لانه لم يملك
قط وقيل بيت كريم اى العتيق بمعنى الكريم من قولهم عتاق الخيل والطير والطواف ينقسم الى
ثلاثة هذا او يدخل وقته بعد الوقوف وهذا لا يجبر تركه بدم لانه ركن الثانى طواف الوداع ووقته
عند ارادة السفر من مكة وهو واجب يجبر تركه بدم الثالث طواف القدوم وهو مستحب للحاج
والحلال اذا قدم مكة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أول شئ بدأ به حين قدم النبي صلى

والصدق في البدن كالصحاح
والمصباح في المشكاة والمشكا

يا أيها الناس ان ربكم بنى بيتا وأوجب الحج عليكم اليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له ان يحج من أصلاب الرجال وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس قال لما امر الله ابراهيم بالاذان تواضعت له الجبال وخفضت وارتفعت له القرى القول الثاني ان المأمور بذلك هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول الحسن واختاره اكثر المعتزلة واحتجوا عليه بان ما جاء في القرآن وأمكن حمله على ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المخاطب به فهو أولى لان قوله تعالى واذ بوأنا تقديره واذكر يا محمد اذ بوأنا فهو في حكم المذكور فاذا قال تعالى وأذن فاليه يرجع الخطاب امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع روى عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا وجواب الامر (يأتوك) اى ابواب بيتك الذي بنيته لذلك مجيبين اصوتك بادئ امامهن طائعين منقادين خاضعين من أقطار الارض كما يجيبون صوت الداعي من قبلنا اذا دعاهم بعد الموت عند ذلك (رجالا) اى مشاة على ارجلهم جمع راجل كتاجر وتجار وقيام (و) ركبانا (على كل ضامر) اى بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والانثى (قوله) على كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالا وركبانا وقوله تعالى (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع (من كل فج) اى طريق واسع بين جبلين (عميق) اى بعيد وروى سعيد بن جبير باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللماشي سبعمائة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال كل حسنة بمائة ألف حسنة وفي هذا دلالة على ان المشي افضل من الركوب وفي ذلك خلاف بين الائمة محله كتب الفقه ولما كان الانسان مائلا الى الفوائد مشوقا الى جلب المراد علل الاتيان على غير مصحوبه تفضلا له بما يقصده من أمر المعاش بقوله تعالى (ليشهدوا) اى يحضروا حضورا تاما (منافع لهم) واختلف في تلك المنافع فبعضهم حملها على منافع الدنيا وهي ان يتجروا في أيام الحج وبعضهم حملها على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو كما قال الرازي أولى فيا لها من لذة المنافع ينتقلون من مشهد الى مشهد من مشاهد الحج الى مشعر ومن مشعر الى مشهد مجموعين بالدعوة خاشعين بالهيبة خائفين من السطوة راجين للمغفرة ثم يتفرقون الى منازلهم ومواطنهم ويتوجهون الى ما كانوا قبل اثر ذلك مواقف الحشر يوم البعث والنشر المتفرقين الى دارى النعيم والجحيم فيا أيها المصدقون بان خليلنا ابراهيم عليه السلام نادى بالحج فأجابه بقدرتنا كرامة له من أراد الله تعالى حجه على بعد أقطارهم وتنائي ديارهم ممن كان موجودا في ذلك الزمان ومن كان في ظهور الآباء والامهات الاقربين والابعدين صدقوا ان الداعي من قبلنا بالنفخ في الصور يجيبه كل من كان على ظهر الارض ممن حفظناه جسده أو سلطنا عليه الارض فرقناه حتى صار ترابا وما بين ذلك لان الكل علينا يسير قال الزمخشري وعن أبي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات كلها قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص ولما كانت المنافع لا تطيب ولا تثمر الا بالتقوى وكان الحامل على التقوى ذكر الله تعالى قال تعالى (ويذكروا اسم الله) اى الجامع لجميع الكمالات بالتكبير وغيره عند الذبح وغيره وقيل كنى بالذكر عن الذبح لا

القمر وتحمل النور في
القلب والقلب في الصدر

من الاشياء في وقت من الاوقات (فكأنما خر) اي سقط (من السماء) لعلو ما كان فيه من
أوج التوحيد وسفول ما انحط اليه من حضيض الاشراك (فتخطفه الطير) اي تأخذه بسرعة
وهو نازل في الهواء قبل ان يصل الى الارض (أو تهوي به الريح) اي حيث لم يجد في الهواء
ما يمسكه (في مكان) من الارض (سحيق) بعيد فهو لا يرجى خلاصه (تنبيه) قال الزمخشري
يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك
بالله تعالى فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده هلاك بان صور حاله بصورة حال من خر من السماء
فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح
البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله
بالساقط من السماء والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به
في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة اه قوله يطوح به
الباء مزيدة للتأكيد قال الجوهري طوحه اي توهه وذهب به ههنا وههنا وقرأ نافع بفتح
الخاء وتشديد الطاء والباقون باسكان الخاء وتخفيف الطاء ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما
هو مسبب عنه بالاشارة باداة البعد فقال تعالى (ذلك) اي الامر العظيم الكبير فمن فاز
ومن حاد عنه خاب ثم عطف عليه ما هو أعم من هذا المقدار فقال تعالى (ومن يعظم شعائر الله)
جمع شعيرة وهي البدن التي تهدى للحرم لانها من معالم الحج بان يختار عظام الاجرام حسانا
سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس
فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة
طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا
فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي
جهل في أنفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها
وبجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام
به ويسارع فيه (فانها) اي تعظيمها ناشئ (من تقوى القلوب) فان الاعتداد بها
ضمنه فلا بد من حذف تقديره فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما
ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء
وسميت تلك البدن شعائر لاشعارها بعلامة يعرف بها انها هدي كالطعن بحديدة في سنامها قال البقاعي
ولعلها مأخوذة من الشعر لانها اذا جرحت قطع شيء من شعرها او ازيل عن محل الجرح فيكون
من الازالة (لكم فيها) اي البدن (منافع) كركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وعن ابراهيم من
احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب وقال أصحاب الرأي لا يركبها الا اذا اضطر
اليها (الى أجل مسمى) وهو وقت نحرها (ثم محلها) اي مكان حل نحرها (الى البيت العتيق) اي
عنده والمراد الحرم جميعه وقيل المراد بالشعائر المناسك ومشاهد الحج وبالمنافع الاجر والثواب
في قضاء المناسك الى انقضاء آجالها ومحلها محل الناس من احرامهم الى البيت يطوفون به
طواف الزيارة (ولكل أمة) اي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) اي متعبدا

لا يستقيم الاضمار كذا
لان مراده [illegible] الآلات

الله عليه وسلم انه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج ابو بكر وعمر مثله وقرأ ابن ذكوان وليوفوا
وليطوفوا بكسر اللام فيهما والباقون باسكانها وفتح ابو بكر الواو من وليوفوا وشدد الفاء
وقوله تعالى (ذلك) خبر مبتدأ مقدر اى الامر او الشأن ذلك المذكور كما يقدم الكاتب جملة
من كتابه في بعض المعانى ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا (ومن يعظم) اى
بغاية جهده (حرمات الله) ذى الجلال والاكرام كلها وهى ما لا يحل انتهاكه من مناسك الحج
وغيرها وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها اقامتها واتمامها وعن زيد بن اسلم الحرمات
خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل (فهو)
اى التعظيم الشامل له على امتثال الامر فيها على وجهه واجتناب المنهى عنه كالذبح بذكر اسم
غير الله والطواف عريانا (خير) كائن (له عند ربه) اى الذى اسدى اليه كل ما هو فيه من النعم في
الآخرة ومن اقتربها فهو شر عليه عند ربه ثم انه تعالى بين احكام الحج بقوله تعالى (واحلت
لكم الانعام) اى اكلها بعد الذبح وهى الابل والبقر والغنم (الا ما يتلى) اى على سبيل التجدد
مستمرا (عليكم) تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء متصل ويجوز ان
يكون منقطعا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا
مما احل شيأ كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم الله شيأ
كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك ولما فهم من ذلك حل السوائب وما معها وتحريم
المذبوح للانصاب وكان سبب ذلك كله الاوثان تسبب عنه قوله تعالى (فاجتنبوا) اى بغاية
الجهد اقتداء بابيكم ابراهيم عليه السلام الذى تقدم الايصاء له بذلك عند جعل البيت له
مباءة (الرجس) اى القذر الذى من حقه ان يجتنب من غير احتياج الى بيانه وميزه بقوله تعالى (من
الاوثان) اى الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس فهو بيان للرجس وتمييز له كقولك عندى
عشرون من الدراهم وسمى الاوثان رجسا وكذا الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه
يعنى انكم كما تنفرون بطباعكم من الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل
تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله تعالى رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة
في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص
فان عبادة الاوثان رأس الزور لان المشرك يزعم ان الوثن تحق له العبادة كأنه قال فاجتنبوا
عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا منه شيأ لتماديه
في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان والزور من الزور والازورار وهو
الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل
قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل هو قول المشركين
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل هو شهادة الزور لما روى
ابو داود والترمذى انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه
الكريم وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا ثم تلا هذه الآية وقوله تعالى
(حنفاء لله) اى مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غير مشركين به) تأكيد لما قبله
وهما حالان من الواو (ومن يشرك) اى يوقع شيأ من الشرك (بالله) الذى له العظمة كلها بشيء

في الزجاجة والزجاجة هى
القنديل وهذا التشبيه

ديانًا أنه يحرم الأكل منها لأنه تقرب بها لله تعالى (وأطعموا القانع) أي المتعرض للسؤال
بخشوع وانكسار (والمعتر) أي السائل وقيل بالعكس وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى
في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل والمعتر هو الزائر وقيل القانع هو الجالس
في بيته المتعفف الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض والمعتر المتعرض وقيل القانع هو
المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا تكون له ذبيحة فيجيء إلى القوم فيتعرض لهم لأجل
لحمهم (كذلك) أي مثل هذا التسخير العظيم الذي وصفناه من نحرها قياما (سخرناها) بعظمتنا
[illegible] ولولا ما كان ذلك (لكم) وذللناها لكم مع عظمها وقوتها تأخذونها منقادة
فتعقلونها وتحبسونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم تطق ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي
هي أصغر منها جرما وأقل قوة (لعلكم تشكرون) إنعامنا عليكم لتعرفوا أن مالكها لكم
هو الله تعالى فيكون حالكم حال من يرجى شكره فتوقعوا الشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم
عليكم ولا تحلوا منها إلا ما أحل وتهدوا منها ما شرع لكم إهداؤه وتتصرفوا بحسب ما أمركم
ولما حث تعالى على التقرب بها وأن يذكروا اسمه عليها قال تعالى (لن ينال الله) الذي له
صفات الكمال (لحومها) المأكولة (ولا دماؤها) المهراقة أي لا يرفعان إليه (ولكن يناله
التقوى منكم) أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان كما قال تعالى والعمل
الصالح يرفعه أي يقبله وقيل كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن [illegible] الدماء [illegible] البيت
لطخوه بالدم فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت ثم كرر سبحانه وتعالى المنة [illegible]
[illegible] (كذلك) أي التسخير العظيم (سخرها
لكم) بعظمته [illegible]
[illegible]
التكبير [illegible] الشكر [illegible]
أي المخلصين [illegible]
يفعل [illegible]
[illegible] (إن الله) أي الذي [illegible] (يدافع عن الذين آمنوا) [illegible]
كثير وأبو عمرو بفتح الياء [illegible]
[illegible]
يكون أعظم وأقوى [illegible]
(إن الله) أي الذي له صفات الكمال (لا يحب) أي لا يكرم كما يفعل المحب (كل خوان) في أمانته
(كفور) لنعمته وهم المشركون قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه ففيه
دلالة على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته وقال مقاتل يدفع عن الذين آمنوا بمكة حين
أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم
في قتلهم سرا فنهاهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم في قتالهم بقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون)
أي المشركين والمأذون لهم فيه وهو القتال محذوف لدلالة يقاتلون عليه (بأنهم) أي بسبب
أنهم (ظلموا) فكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه فيقول

والفهم والعقل [illegible] التقوى
وغيرها من الصفات

وقربانا يتقرب به الى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي اخر السورة بكسر السين
في الموضعين فمكون بمعنى الوضع والباقون بفتحها مصدر بمعنى النسك (ليذكروا اسم الله) اى
الملك الاعلى وحده على ذبائحهم وقرابينهم لانه الرازق لهم [illegible] الله اكبر
لا اله الا الله والله اكبر [illegible] الذكر [illegible] على التفكر فيما قال
تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) [illegible] شكر ذلك عليهم وفيه تنبيه على ان القربان
يجب ان يكون من الانعام (فالهكم) اى الذى شرع هذه المناسك كلها (اله واحد) وان
اختلفت فروع شرائعه ونسخ بعضها بعضا واذا كان واحدا وجب اختصاصه بالعبادة فلذا
قال تعالى (فله) وحده (اسلموا) اى انقادوا [illegible] في كل ما امر به
او نهى عنه (وبشر المخبتين) اى المطمئنين [illegible] الخبت وهو المطمئن من الارض
وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا [illegible] بقوله تعالى (الذين اذا ذكر الله)
اى الذى له الجلال والجمال (وجلت) اى خافت خوفا [illegible] (قلوبهم) [illegible] على الخشوع
والتواضع لله تعالى (والصابرين) الذين صار الصبر [illegible] (على ما اصابهم) من الكلف
والمصائب ولما كان ذلك قد يشغل عن الصلاة قال تعالى (والمقيمي الصلاة) في اوقاتها
والمحافظة عليها وان حصل لهم من المشاق بافعال الحج وغيره ما عسى [illegible]
[illegible] دون الفعل اشارة الى انه لا يتهيأ على الوجه [illegible]
الا الراسخ في [illegible]
(ومما رزقناهم ينفقون) في وجوه الخير [illegible]
خلق الله تعالى [illegible]
واجعلوا في [illegible] الفقراء [illegible]
[illegible] (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) [illegible]
الله تعالى وقيل [illegible]
[illegible]) اى نفع في الدنيا وثواب في العقبى كما قال ابن عباس [illegible]
عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم يوم النحر
عملا احب الى الله من اهراق الدم وانه ليأتي يوم القيامة بقرونها واظلافها واشعارها وان الدم
ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وروى الدارقطني [illegible] عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انفقت الورق في شيء افضل من نحيرة في يوم عيد
وعن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي
يقول لكم فيها خير (فاذكروا اسم الله عليها) اى على ذبحها بالتكبير حال كونها (صواف) اى
قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث (فاذا
وجبت جنوبها) اى سقطت وطابت به بزوال ارواحها فلا حركة لها اصلا من وجب
الحائط وجبة سقط ووجبت الشمس وجبة غربت قال ابن كثير وقد جاء في حديث مرفوع
ولا تعجلوا النفوس ان تزهق وقوله تعالى (فكلوا منها) اى اذا كانت تطوعا امر اباحة فعلها

الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع ذلك لغيرهم من المهاجرين واذا ثبت ذلك وجب أن يكونوا على
الحق ولا يجوز حمل الآية على أمير المؤمنين علي وحده لان الآية دالة على الجمع وعن الحسن هم
أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله تعالى من ينصره (ولله) أي الملك
الأعلى (عاقبة الامور) أي آخر أمور الخلق ومصيرها اليه في الآخرة فلا يكون لاحد فيها أمر
حتى انه لا ينطق أحد الا باذن منه ولما بين سبحانه وتعالى فيما تقدم اخراج الكفار المؤمنين
من ديارهم بغير حق وأذن في مقاتلتهم وضمن لرسوله صلى الله عليه وسلم النصرة وبين أن لله
عاقبة الامور أردفه بما يجري مجرى التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما هم عليه
من أذيته وأذية المؤمنين بالتكذيب وغيره فقال تعالى (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم) أي
قبل قومك (قوم نوح) وتأنيث قوم باعتبار المعنى وفي تقدم المكذبين في قدرته وان كانوا من أشد
الناس (وعاد) أي ذو الابدان الشداد قوم هود (وثمود) أولو الابنية الطوال في السهول
والجبال قوم صالح (وقوم ابراهيم) الجبارين المتكبرون (وقوم لوط) [illegible] قوم
[illegible] أحد من الناس (وأصحاب مدين) أرباب الاموال الجمة [illegible] كانت
بأشرف الخلق لست بأوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومك [illegible] وانما
كان [illegible] عليه السلام قد أتى من الآيات [illegible]
فكان تكذيبه في غاية البعد سبحانه وتعالى الاسلوب [illegible] على ذلك وعلى ان الذين
أطبقوا على تكذيبه القبط وأما قومه فما كذبه منهم الا [illegible] فقال تعالى (وكذب
موسى) وفي ذلك أيضا تعظيم التأسي [illegible] (فأمليت للكافرين) أي أمهلتهم بتأخير
العقاب عنهم الى الوقت الذي ضربته [illegible] الاملاء [illegible]
فقال تعالى (ثم أخذتهم) أخذ عزيز [illegible] سبحانه وتعالى [illegible]
(فكيف كان نكير) أي انكاري [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الوصل وحذفها الباقون وقفا ووصلا (فكأين) [illegible] (من
قرية) وقيل معنى كأين رب وقوله تعالى (أهلكتها) [illegible]
[illegible] الباقون بعد الكاف [illegible] والمراد [illegible] (وهي) أي
والحال أنها (ظالمة) أي أهلها بكفرهم [illegible] أن يكون المراد اهلاك [illegible]
[illegible] العذاب النازل [illegible]
هالكان فيها وان كان الاول أقرب (فهي) أي فتسبب عن اهلاكها أنها (خاوية) أي
منهدمة ساقطة أي جدرانها (على عروشها) أي سقوفها اذ كل مرتفع أظلك من سقف بيت
أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط أو الخالي من
خوى المنزل اذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل * (تنبيه) * قوله على عروشها لا يخلو من
أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على عروشها أي سقوفها أي سقطت الاخشاب

لهم امروا فانه لم أومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه
فى نيف وسبعين آية وقيل نزلت فى قوم بأعيانهم مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم
مشركو مكة فأذن الله لهم فى قتال الكفار الذين يمنعوهم من الهجرة بأنهم ظلموا واعتدوا عليهم
بالايذاء وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم بضم الهمزة والباقون بفتحها * ولما كان التقدير فان الله
أراد اظهار دينه بهم عطف عليه قوله تعالى (وان الله) أى الذى هو الملك الاعلى (على نصرهم
لقدير) وفى ذلك وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين أخرجوا من
ديارهم) الى الشعب والحبشة والمدينة (بغير حق) أى موجب لذلك بما أخرجوا (الا أن يقولوا) أى
بقولهم (ربنا الله) وهذا القول حق والاخراج به اخراج بغير حق ونظير ذلك قوله تعالى هل
تنقمون منا الا أن آمنا بالله (تنبيه) الذين أخرجوا نعت للذين يقاتلون أو بدل منه
أو منصوب على المدح أو مرفوع على اضمار مبتدا محذوف (ولولا دفع الله) أى المحيط بكل شئ علما
(الناس بعضهم ببعض) أى بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين بالمجاهدة لاستولى المشركون
على أهل الملل المختلفة فى أزمانهم وعلى متعبداتهم كما قال تعالى (لهدمت) أى خربت
(صوامع) وهى معابد صغار للرهبان مرتفعة (وبيع) هى كنائس للنصارى (وصلوات)
أى كنائس لليهود وسميت بالاسم لانه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوتا
(ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) أى هذه المواضع المذكورة (اسم الله) الملك الاعظم (كثيرا)
وتنقطع العبادات بخرابها وقيل الضمير راجع للمساجد فقط تشريفا لها بأن ذكر الله يحصل
فيها كثيرا (فان قيل) لم قدم الصوامع والبيع فى الذكر على المساجد (أجيب) بأنها أقدم
فى الوجود وقيل أخرها فى الذكر كما فى قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات لان أول الفكر آخر العمل
فلما كان نبينا صلى الله عليه وسلم خير الرسل وأمته خير الامم لا جرم [illegible] كما قال صلى
الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون وقيل أخرها لكون [illegible]
الذكر وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء وألف بعدها والباقون بفتح الدال وسكون الفاء
وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وأظهر التاء عند الصاد نافع
وابن كثير وعاصم وأدغمها الباقون (ولينصرن الله) أى الملك الاعظم (من ينصره) أى ينصر
دينه وأولياءه كائنا من كان منهم أو من غيرهم وقد أنجز الله تعالى وعده بأن سلط المهاجرين
والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله)
أى الذى لا كفؤ له (لقوى) أى على ما يريد (عزيز) أى منيع فى سلطانه وقدرته وقوله تعالى
(الذين ان مكناهم) أى بما لنا من القدرة (فى الارض) باعلائهم على عدوهم (أقاموا الصلوة)
أى التى هى عماد الدين الدالة على المراقبة والاعراض عن تحصيل الفانى (وآتوا الزكوة)
أى المؤذنة بالزهد فى الحاصل منه المؤذن بعمل النفس للرحيل (وأمروا بالمعروف) أى الذى
أمر الله تعالى ورسوله به (ونهوا عن المنكر) أى الذى نهى الله ورسوله عنه وصف للذين
هاجروا وهو اخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين والانصار
رضى الله تعالى عنهم وعن عثمان رضى الله تعالى عنه هذا [illegible] بأن الله تعالى أثنى
عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا (تنبيه) فى ذلك دليل على صحة خلافة الائمة الاربعة

المهيدة كان نور القنديل
يتوقف على اجتماع

ما وعدهم به ولو بعد حين لكنه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة وقد انجزه يوم بدر (وان يوما عند ربك) اى المحسن اليك بتأخير العذاب عنهم اكراما لك من أيام الآخرة بالعذاب (كألف سنة مما تعدون) فى الدنيا وطول ايامه حقيقة أو من حيث ان أيام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (وكأين من قرية أمليت لها) اى امهلتها كما امهلتكم (وهى ظالمة) كظلمكم بالاستعجال وغيره (ثم أخذتها) اى بالعذاب والمراد اهلها (والى المصير) اى المرجع فينقطع كل حكم دون حكمى ففيه وعيد وتهديد (فان قيل) لم قال فكأين من قرية اهلكناها بالفاء وقال هنا بالواو (أجيب) بان الاولى وقعت بدلا عن قوله تعالى فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدم من الجملتين المعطوفتين بالواو أعنى قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴿ ولما كان الاستعجال لا يطلب من الرسول وانما يطلب من المرسل أمره الله تعالى بان يديم لهم التخويف والانذار بقوله تعالى (قل) اى لهم ولا يصدنك عن دعائهم ما تعجلوا به من عنادهم (يا ايها الناس) اى جميعا من قومك وغيرهم (انما أنا لكم نذير مبين) اى بين الانذار والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام وسياقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم بقوله (فالذين آمنوا) اى اقروا بالايمان (وعملوا) اى تصديقا لدعواهم تلك (الصالحات لهم مغفرة) اى لما فرط منهم (ورزق) اى فى الدنيا بالغنائم وغيرها وفى الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (كريم) اى لا خسة فيه ولا دناءة بانقطاع ولا غيره زيادة فى غيظهم ﴿ ولما كان فى سياق الانذار قال معبرا بالماضى زيادة فى التخويف (والذين سعوا) اى اوقعوا السعى ولو مرة واحدة (فى آياتنا) اى القرآن بابطالها (معاجزين) من اتبع النبى صلى الله عليه وسلم اى ينسبونهم الى العجز ويثبطونهم عن الايمان او مقدرين عجزنا عنهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو بتشديد الجيم بعد العين على الحال مقدرة والباقون بالف بعد العين وتخفيف الجيم اى مسابقين مشاقين للساعين فيها بالتثبيط (أولئك) البعداء البغضاء (أصحاب الجحيم) اى النار استحقاقا بما سعوا فيه حكم سيرتها الدواء انهم هم العاجزون ﴿ ولما لاح من ذلك ان الشيطان ألقى شبها يفاخرون فيها جند الله فى دين الله الذى امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم باظهاره وتقريره واشهاره عطف عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (وما ارسلنا) اى بعظمتنا (من قبلك) ثم أكد الاستغراق بقوله تعالى (من رسول) وهو نبى أمر بالتبليغ (ولا نبى) وهو من لم يؤمر بالتبليغ وهذا هو المشهور فمن أرسلنا او حينئذ فالنبى اعم من الرسول ويدل عليه ما رواه الامام احمد من أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل كما هو ظاهر الآية الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل يمكن حمل الآية عليه أيضا والرسول من يأتيه الكتاب والنبى يقال له وان يوحى اليه فى المنام (الا اذا تمنى) أى تلا على الناس ما أمره الله تعالى به أو حدثهم به واشتهى فى نفسه أن يقبلوه حرصا منه على ايمانهم شفقة عليهم (ألقى الشيطان) من التشبيه والتخييلات (فى أمنيته) أى فيما تلاه أو حدث به واشتهى أن يقبل ما يلقيه

مخرجها الى العالم العلوى كنور المصباح ولكنه تقع

أولا من كثرة الامطار وغير ذلك من الاضرار فسقطت ثم سقط عليها الجدران فسقطت فوق
السقوف أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خاوية
وهي على عروشها أي قائمة مظلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض
فصارت في قرار الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة وقوله فهي خاوية جملة
معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال كما قدرته والاهلاك ليس حال خرابها فلا
محل لها ان نصبت كأين بمقدر يفسره أهلكناها لانها معطوفة على جملة اهلكناها كما مر
وهي مفسرة لا محل لها وان رفعت كأين بالابتداء فمحلها الرفع خبرا ثانيا لكأين والخبر الاول
اهلكناها (و) كم من (بئر معطلة) أي متروكة بموت اهلها (وقصر مشيد) أي رفيع خال
بموت اهله (تنبيه) علم مما قدرته ان بئر معطوف على قرية وهو يقوى على ان عروشها بمعنى
مع أوجه ٣ وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به
ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها
مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جهلس بن جلاس
وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان عليه
السلام نبيا فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم وقوله تعالى (أفلم
يسيروا) أي كفار مكة (في الارض) يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من
أهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك
ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا (فتكون) أي فتسبب عن سيرهم أن تكون
(لهم قلوب) واعية (يعقلون بها) ما رأوه بأبصارهم من منازل المكذبين قبلهم (أو) أي
أو يكون لهم ان كانوا عمي الابصار كما دل عليه جعل هذا قسيما (آذان يسمعون بها) أخبارهم
بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فانها) أي القصة (لا تعمى الابصار) ويجوز أن يكون
الضمير مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى فيها
وانما العمى بقلوبهم كما قال تعالى (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ولا يعتد بعمى
الابصار فانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب (فان قيل) فأي فائدة في ذكر الصدور
(أجيب) بأن الذي قد تعورف واعتقد أن العمى على الحقيقة للبصر وهو ان تصاب الحدقة
بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة وتمثيل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتقد
من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين
وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف
ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان
محل المضاء هو لا غير فكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسانك فلتة ولا سهوا
مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في
الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى
فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) الذي توعدتهم به تكذيبا واستهزاء (و) الحال انه (لن يخلف
الله) أي الذي لا كفء له (وعده) لامتناع الخلف في خبره سبحانه وتعالى فيصيبهم

يشرق فتوجهها الى العالم السفلي ونور المعرفة يشرق

٣ قوله وهو يقوى الخ هكذا بالاصول التي بايدينا ولعل الظاهر وهو يقوى انه على عروشها اه مصححه

ذلك قال الرازى هذه رواية عامة المفسرين الظاهرية أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول أما القرآن فبوجوه أحدها قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ثانيها قوله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى ثالثها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى وأما السنة فهو ما روى عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخارى فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها وسجد المسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق وأما المعقول فمن وجوه أحدها أن من جوز على النبى صلى الله عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان النبى كان معظم سعيه فى نفى الاوثان ثانيها قوله تعالى فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته وازالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من نسخ هذه الآيات التى تبقى الشبهة معها فاذا أراد الله تعالى احكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآنا فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى ثالثها وهو أقوى الوجوه لو جوزنا ذلك ارتفع الايمان عن شرعه وجوزنا فى كل واحد من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك فيبطل قوله تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فانه لا فرق فى العقل بين النقصان من الوحى وبين الزيادة فيه وزاد الرازى أدلة أخرى على ذلك ثم قال وقد عرفنا ان هذه القصة موضوعة أكثر ما فى الباب ان جمعا من المفسرين ذكروها وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة انتهى وهذا هو الذى يطمئن اليه القلب وان أطنب ابن حجر العسقلانى فى صحتها ثم قال وحينئذ فيتعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ انتهى وعلى القول بها فقد سلك العلماء فى ذلك مسالك أحسنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرتل القرآن فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قوله وأشاعها وقال البيضاوى أيضا أن ذكر بعض هذه القصة وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه انتهى قال ابن الاثير والغرانيق هنا الاصنام وهى فى الاصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمى به لبياضه قال وكانوا يزعمون أن الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو الى السماء وترتفع وقيل تمنى أى قرأ كقول حسان فى حق عثمان بن عفان

تمنى كتاب الله أول ليله ٭ تمنى داود الزبور على رسل

أى على تأن وتمهل ٭ ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الالقاء ذكر العلة فى ذلك بقوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان) أى فى التلو أو الحدث به من تلك الشبهة فى قلوب أوليائه على التفسير الاول وعلى الثانى وغيره يؤول بما يناسبه (فتنة) اى اختبارا وامتحانا (للذين فى قلوبهم مرض) اى شك ونفاق (والقاسية) اى الجافية (قلوبهم) عن قول الحق وهم المشركون (وان الظالمين) اى الواضعين لاقوالهم وافعالهم فى غير

قوله ودون نور الشمع
انما تم من نور المصباح

منه أولياؤه فيجادلون به أهل الطاعة ليضلوهم وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا كما يفعل هؤلاء فيما يفترون به في وجه الشرع بدعا أصولا وفروعا من قولهم في القرآن
شعر وسحر وكهانة وقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقولهم ان ما قتله الله تعالى بالموت
حتف أنفه أولى بالأكل مما ذبح وقولهم نحن أهل الله وسكان حرمه ولا نخرج من الحرم
فنقف في الحج بالمشعر الحرام وتقف الناس بعرفة ونحن نطوف في ثيابنا وكذا من ولدناه
وأما غيرنا فلا يطوف الا عاريا ذكرا كان أو أنثى الا أن يعطيه أحد منا ثيابه ونحو ذلك مما
يريدون أن يطفئوا به نور الله تعالى وكذا تأويلات الباطنية والاتحادية وأنظارهم التي ألحدوا
فيها فيضل الله تعالى بها من يشاء ثم يمحوها عمن أراد من عباده وما أراد من أمره (فينسخ) أي
فيذهب عن القائه أنه ينسخ (الله) أي المحيط بكل شيء علما وقدرة (ما يلقي الشيطان) فيبطله
بايضاح أمره (ثم يحكم الله آياته) أي ثم يجعلها محكمة فيما يريد منها وأدل دليل على ان هذا هو
المراد من الافتتاح بالمعاجزة في الآيات الكرام بقوله عطفا على ما تقدم فالله على ما يشاء قدير
(والله عليم) بأحوال خلقه (حكيم) فيما يفعله بهم وقيل انه صلى الله عليه وسلم حدث نفسه
بزوال المسكنة فنزلت وقال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم لما جاءهم به
تمنى في نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على ايمانهم فجلس ذات
يوم في ناد من أندية قريش كثير أهله وأحب يومئذ أن لا يأتيه من الله تعالى شيء لم ينفروا عنه
وتمنى ذلك فأنزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا
الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون ومضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون لسجوده
وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد سوى
الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها على
جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش
وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله تعالى
يحيي ويميت ويرزق ولكن هذه آلهتنا تشفع لنا عنده فاذا جعل لها محمد نصيبا فنحن معه
فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على
الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من
الله تعالى خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية تعزية له وكان به رحيما وسمع بذلك من كان
بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت
أهل مكة فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم أن
الذي كانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار مستخفيا
فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله تعالى فغير

الزيت وخلوصه عما
يخالطه غالبا وقع التشبيه

الجامع لصفات الكمال (رزقاً حسناً) هو رزق الجنة من حين تفارق أرواحهم أشباحهم
لأنهم أحياء عند ربهم (وإن الله) أي الملك الأعلى القادر على الإحياء كما قدر على الإماتة (لهو
خير الرازقين) فإنه يرزق بغير حساب ويرزق الخلق عامة البار منهم والفاجر (فإن قيل) الرازق
في الحقيقة هو الله تعالى لا رازق للخلق غيره فكيف قال لهو خير الرازقين (أجيب) بأن غير الله
يسمى رازقاً على المجاز كقولهم رزق السلطان الجيش أي أعطاهم أرزاقهم وإن كان الرازق
في الحقيقة هو الله تعالى ولما كان الرزق لا يتم إلا بحسن الدار وكان ذلك من أفضل الرزق
قال تعالى دالاً على ختام الذي قبله (ليدخلنهم مدخلاً يرضونه) هو الجنة يكرمون فيها بما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا ينالهم فيها مكروه وقيل هو خيمة في الجنة من درة
بيضاء لها سبعون ألف مصراع وقرأ نافع بفتح الميم أي دخولاً أو مكان دخول والباقون بالضم
أي إدخالاً أو مكان إدخال (وإن الله) أي الذي عمت رحمته وتمت عظمته (لعليم) بمقاصدهم
وما عملوا لابتغاء مرضاته وغيره (حليم) عما قصروا فيه من طاعته وما يرتكبه أعداؤهم فلا
يعاجل أحداً بالعقوبة روي أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي
الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا
إن متنا معك فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين (ذلك) أي الأمر المقرر من صفات الله تعالى
الذي قصصناه عليك (ومن عاقب) أي جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظالماً من
المشركين أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام (ثم بغي عليه) أي ظلم بإخراجه من منزله قال
مقاتل نزلت في قوم من المشركين أتوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقال بعضهم
لبعض إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون الله
وكرهوا قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال لأجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم
فلما بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصرهم الله تعالى عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله)
أي الذي لا كفء له (إن الله) أي الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلماً (لعفو) [illegible]
لهم (فإن قيل) [illegible] مع أن الله [illegible] عن [illegible]
(أجيب) بأنه دال عليه ذلك التعلق الذي بينه وبين القتال كقوله تعالى [illegible]
يخادعون الله وهو خادعهم وكما في قوله كما تدين تدان (فإن قيل) كيف طابق ذكر العفو الغفور
في هذا الموضع مع أن ذلك الفعل جائز للمؤمنين لأنهم مظلومون (أجيب) بأن المنتصر لما اتبع
هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله تعالى إليه بقوله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم
الأمور وبقوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وبقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى
فكان في إعراضه عما ندب إليه نوع إساءة أدب فكأنه تعالى قال عفوت عن هذه الإساءة
وغفرتها فإني أنا الذي أذنت له فيها وفي ذكر العفو تنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة إذ لا
يوصف بالعفو إلا القادر على ضده (ذلك) أي النصر (بأن الله) أي المتصف بجميع صفات
الكمال (يولج) أي يدخل لأجل مصالح العباد الذي هو المحسن (الليل في النهار) فيمحو ظلامه
بضيائه ولو شاء الله تعالى مؤاخذة الناس لجعله سرمداً فانقطعت مصالح النهار (ويولج النهار في
الليل) فيمسح ضياءه بظلامه ولولا ذلك لانقطعت مصالح الليل أو بأن يدخل كلاً منهما في الآخر

(أو قلت) لم عطف الجميع على الخبرية مع شمولها له

مواضعها كفعل من هو في الظلام (لفي شقاق) اى خلاف لكونهم في شق غير شق حزب الله
بعاجزتهم في الآيات بتلك الشبهة التي تلقوها من الشيطان وجادلوا بها أولياء الرحمن (بعيد)
عن الصواب لتصغي اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون
وعلى ثبوت ذكر القصة وجرى عليه الجلال المحلي قال انهم في خلاف طويل مع النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وليعلم الذين
أوتوا العلم) باتقان حججه واحكام براهينه وضعف شبه المعاجزين (أنه) أى الشئ الذى تلوته
أو تحدثت به (الحق) أى الثابت الذى لا يمكن زواله (من ربك) أى المحسن اليك بتعليمك
اياه (فيؤمنوا به) لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف تلك الشبهة (فتخبت) اى تطمئن
وتخضع (له قلوبهم) وتسكن به نفوسهم (وان الله) بجلاله وعظمته (لهادى الذين آمنوا)
في جميع ما يلقيه أولياء الشيطان (الى صراط مستقيم) اى قويم وهو الاسلام يصلون به
الى المعرفة ببطلانه حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة فيوصلهم ذلك الى سعادة الدارين
(ولا يزال الذين كفروا) اى وجد منهم الكفر وطبعوا عليه (في مرية) اى شك (منه) قال ابن
جريج اى من القرآن وقيل مما ألقى الشيطان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها وقيل من الدين وهو الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة)
اى القيامة وقيل أشراطها وقيل الموت (بغتة) أى فجأة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال
عكرمة والضحاك لا ليل بعده وهو يوم القيامة والاكثرون على أنه يوم بدر وسمى عقيما
لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم التي لا تأتى بخير وقيل لانه لا مثل له في
عظم أمره لقتال الملائكة فيه ويقوى التفسير الاول قوله تعالى (الملك يومئذ) أى يوم
القيامة (لله) أى المحيط بجميع صفات الكمال وحده ولما كان كانه قيل ما معنى اختصاصه
به وكل الايام له قيل (يحكم بينهم) أى المؤمنين والكافرين بالامر الفصل الذى لا حكم فيه
ظاهرا ولا باطنا لغيره كما كان في الدنيا بل يجرى الامر على أتم شئ من العدل (فالذين آمنوا
وعملوا) أى صدقوا وداموا على الايمان بان عملوا (الصالحات) وهى ما أمرهم الله به (في جنات
النعيم) فضلا منه ورحمة لهم بما رحمهم الله تعالى من توفيقهم للاعمال الصالحات (والذين
كفروا) أى ستروا ما أعطيناهم من المعرفة بالادلة على وحدانيتنا (وكذبوا بآياتنا) أى
ساعين بما أعطيناهم من الفهم في تحيرها بالجدال بما يوحى اليهم أولياؤهم من الشياطين من
الشبه (فأولئك) أى البعداء عن أسباب الكرم (لهم عذاب مهين) أى شديد بسبب ما سعوا
في اهانة آياتنا مريدين اعزاز أنفسهم بعقائدنا والتكبر عن آياتنا (فان قيل) لم أدخل الفاء
في خبر الثانى دون الاول (أجيب) بان في ذلك تنبيها على ان اثابة المؤمنين بالجنان تفضل من
الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في
عذاب ولما كان المؤمنون في حصر مع الكفار رغبهم الله في الهجرة بقوله تعالى (والذين
هاجروا في سبيل الله) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب مرضاته من مكة
الى المدينة (ثم قتلوا) في الجهاد بعد الهجرة وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف
وألحق به مطلق الموت فضلا منه بقوله تعالى (أو ماتوا) أى من غير قتل (ليرزقنهم الله) أى

قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

يحفظ من مرائرهم (رحيم) اى حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع
ودفع عنهم أبواب المضار (وهو) اى وحده (الذى أحياكم) اى عن الجمادية بعد أن أوجدكم
من العدم (ثم يميتكم) اى عند انقضاء آجالكم ليكون الموت واعظا لاولى الابصار منكم (ثم
يحييكم) اى يوم البعث للثواب والعقاب واظهار العدل فى الجزاء (ان الانسان) اى المشرك
(لكفور) اى لبليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به فوحد الله تعالى وقال ابن
عباس هو الاسود بن عبد الاسد وأبو جهل والعاص بن وائل وأبى بن خلف قال الرازى
والاولى تعميمه فى كل المنكرين (لكل أمة) اى فى كل زمان (جعلنا منسكا) قال ابن عباس
شريعة يتعبدون بها (هم ناسكوه) اى عاملون بها وروى عنه أنه قال عيدا وقال مجاهد وقتادة
موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة وقرأ حمزة والكسائى منسكا بكسر السين
والباقون بفتحها (فلا ينازعنك فى الامر) اى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن
سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون ولا
تأكلون مما قتله الله تعالى يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهى له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم
كما تقول لا يضاربنك فلان اى فلا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يكون الا بين اثنين معناه
لا تنازعهم انت (وادع) اى أوقع الدعوة لجميع الخلق (الى ربك) المحسن اليك اى الى دينه
ثم علل ذلك بقوله (انك) مؤكدا له بحسب ما عندهم من الانكار (لعلى هدى) اى دين
واضح (مستقيم) هو دين الاسلام (وان جادلوك) اى فى أمر الدين بعد ان ظهر الحق ولزمت
الحجة (فقل الله) اى الملك المحيط بالعز والعلم (اعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها
فيجازيكم عليه وهذا وعيد فيه رفق وكان ذلك قبل الامر بالقتال ولما امر الله تعالى
بالاعراض عنهم وكان ذلك شديدا على النفس لتشوقها الى النصرة رجاه فى ذلك بقوله تعالى
مستأنفا تحذيرا لهم (الله) اى الذى لا كفء له (يحكم بينكم) اى بينك مع أتباعك وبينهم (يوم
القيامة) التى هو يوم التغابن (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ومن نصر ذلك اليوم
لم يبال بما حل به فهو كقوله وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال البغوى والاختلاف
ذهاب كل واحد من الخصمين الى خلاف ما ذهب اليه الآخر (ألم تعلم أن الله) جل عزه
وعظم سلطانه (يعلم ما فى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك) اى ما ذكر (فى كتاب)
كتب فيه كل شئ حكم بوقوعه قبل وقوعه وكتب جزاءه وهو اللوح المحفوظ (ان ذلك) اى علم
ما ذكر (على الله) وحده (يسير) اى سهل لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على
السواء (ويعبدون) اى المشركون على سبيل التجدد والاستمرار (من دون الله) اى من أدنى
رتبة من رتبه التى قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال وتنزيهه عن
شوائب النقص (ما لم ينزل به سلطانا) اى حجة واحدة من الحجج وهو الاصنام (وما ليس لهم به
علم) حصل لهم من ضرورة العقل واستدلاله بالحجة (وما للظالمين) اى الذين وضعوا التعبد فى
غير موضعه لارتكابهم لهذا الامر العظيم الخطر وأكد النفى واستغرق المنفى باثبات الجار
فقال تعالى (من نصير) اى ينصرهم من الله لا مما أشركوه به ولا من غيره فيدفع عنهم عذابه
او يقربهم (واذا تتلى) اى على سبيل التجدد والمبالغة من اى تال كان (عليهم آياتنا) اى

الربح والبيع اعم ففى ذلك
فعطف عليها لئلا يتوهم

فيزيد به وذلك من أثر قدرته التي بها النصر (وان الله) بجلاله وعظمته (سميع) لكل ما يقال (بصير) لكل ما يفعل دائم الاتصاف بذلك فهو غير محتاج الى سكون الليل ليسمع ولا الى ضياء النهار ليبصر لانه سبحانه وتعالى منزه عن الاغراض * ولما وصف تعالى نفسه بما ليس لغيره علله بقوله تعالى (ذلك) اى الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم (بان الله) اى القادر على كل ما أراد (هو) وحده (الحق) اى الثابت الواجب الوجود (وأن ما يدعون) اى يعبد المشركون (من دونه) وهو الاصنام (هو الباطل) الزائل وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالتاء على الخطاب للمشركين والباقون بالياء على الغيبة وان هذه قطعوها عن ما في الرسم (وان الله) لكونه هو الحق الذى لا كفء له (هو) وحده (العلى) اى العالى على كل شئ بقدرته (الكبير) وكل ما سواه سافل حقير تحت قهره وامره * ثم انه سبحانه وتعالى استدل على كمال قدرته بامور ستة الاول قوله تعالى (ألم تر) اى أيها المخاطب (أن الله) اى المحيط قدرة وعلما (أنزل من السماء ماء) اى مطرا بان يرسل رياحا فتثير سحابا فيمطر على الارض الماء (فتصبح الارض) اى بعد أن كانت مسودة يابسة ميتة جامدة (مخضرة) حية بانعة مهتزة نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد (فان قيل) لم قال تعالى فتصبح ولم يقل فاصبحت (أجيب) بان ذلك لنكتة وهى افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم على فلان عام كذا فاروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت شاكرا لم يقع ذلك الموقع (فان قيل) لم رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (أجيب) بانه لو نصب لاعطى عكس ما هو الغرض لان معناه أثبت الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفى الاخضرار ووجه ذلك بان النصب بتقدير أن وهو علم الاستقبال فيجعل الفعل مترقبا والرفع جزم باثباته مثاله أن تقول لصاحبك ألم تر أنى أنعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك فى تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت لشكره وهذا وأمثاله مما يجب أن يتنبه له من اتسم بالعلم فى علم الاعراب وتوقير أهله (ان الله) اى الذى له تمام العلم وكمال العلم (لطيف) بعباده فى اخراج النبات بالماء (خبير) اى بمصالح الخلق ومنافعهم فانه مطلع على السرائر وان دقت فلا يتعذر عليه احياء من أراد بعد موته وقال ابن عباس لطيف بارزاق عباده خبير بما فى قلوبهم من القنوط الامر الثانى قوله تعالى (له ما فى السموات) اى التى أنزل منها الماء (وما فى الارض) اى التى استقر فيها ملكا وخلقا (وان الله) اى الذى له الاحاطة التامة (لهو) اى وحده (الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) اى المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله الامر الثالث قوله تعالى (ألم تر) اى أيها المخاطب (أن الله) ذا الجلال والاكرام (سخر لكم) فضلا منه (ما فى الارض) كله من مسالكها وفجاجها وما فيها من حيوان وجماد وزرع وثمار فلولا تسخيره تعالى الابل والبقر مع قوتهما حتى ذللهما للضعيف من الناس لما انتفع بهما أحد منهم الامر الرابع قوله تعالى (والفلك) اى وسخر لكم الفلك اى السفن ثم بين تسخيرها بقوله (تجرى فى البحر) العجاج المتلاطم بالامواج بريح طيبة للركوب والحمل (بامره) اى باذنه الامر الخامس قوله تعالى (ويمسك السماء) اى كراهة (أن تقع على الارض) التى تحتها مع علوها وعظمها وكونها بغير عمد تمسكها (الا باذنه) اى بمشيئته فيقع ذلك يوم القيامة حين يريد طى هذا العالم وايجاد عالم البقاء (ان الله) اى الذى له الخلق والامر (بالناس) اى على ظلمهم (لرؤف) اى بما

(قالت) لان العمارة هي التصرف في المال اقتصد

اى الذى له الكمال كله (حق قدره) اى ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه
حق صفته حيث اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (ان الله) اى الجامع لصفات
الكمال (لقوى) على خلق الممكنات بأسرها (عزيز) اى لا يغلبه شىء وآلهتهم التى يعبدونها
عاجزة عن أقلها مقهورة من أذلها قال البغوى فى هذه الآية وفى نظيرها فى سورة الانعام انها
نزلت فى جماعة من اليهود مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف وكعب بن أسد وغيرهم حيث
قالوا ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والارض وأجناس خلقها استلقى واستراح
ووضع احدى رجليه على الاخرى فنزلت هذه الآية تكذيبا لهم ونزل قوله تعالى وما مسنا
من لغوب قال الرازى واعلم ان منشأ هذه الشبهة هو القول بالتشبيه فيجب تنزيه ذات الله
تعالى عن مشابهة سائر الذوات خلاف ما يقوله المشبهة وتنزيه صفاته عن مشابهة سائر
الصفات خلاف ما يقوله الكرامية وتنزيه افعاله عن مشابهة سائر الافعال أعنى عن الغرض
والدواعى واستحقاق المدح والذم خلاف ما يقوله المعتزلة قال ابو القاسم الانصارى سبحانه
تعالى هو سبحانه وتعالى خبير النفس عزيز الوصف فالاوهام لا تصوره والافكار لا تقدره
والعقول لا تمثله والازمنة لا تدركه والجهات لا تحويه ولا تقله حدى الذات ومدى
الصفات * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلق بالالهيات ذكر ما يتعلق بالنبوات بقوله تعالى
(الله) اى الملك الاعلى (يصطفى) اى يختار ويختص (من الملائكة رسلا) كجبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام (ومن الناس) كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وعليهم نزلت حين قالت المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا فاخبر تعالى
ان الاختيار اليه يختار من يشاء من خلقه (ان الله) أى الذى له الجلال والجمال (سميع) لما التزم
(بصير) بمن يتخذه رسولا (يعلم ما بين أيديهم) أى الرسل (وما خلفهم) اى لا تخفى عليه الامور
ظاهرها عليه وغائبها عنهم فلا يعلمون شيئا الا باذنه (والى الله) أى وحده تعالى (ترجع)
بغاية السهولة (الامور) يوم تتجلى لفصل القضاء فيكون أمره ظاهرا لا امر لاحد فيه
شىء من الاشياء الا على وجه العدل الظاهر لكل احد بلا يكون لاحد اتفاق الى غيره وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم ولما ذكر
سبحانه وتعالى أن الملك والامر له وحده خاطب المقبلين على دينه من اهل الخلاص من الناس بقوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى ادعوا الايمان (اركعوا) تصديقا لايمانكم (واسجدوا) أى
صلوا الصلاة التى شرعتها لكم فانها رأس العبادة ليكون دليلا على صدقكم فى الاقرار
بالايمان * (تنبيه) * انما خص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة لانهما لمخالفتهما الهيآت
المعتادة هما الدالان على الخشوع فحسن التعبير بهما وذكر عن ابن عباس ان الناس كانوا
فى أول الاسلام يركعون ولا يسجدون وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع
ويركعون بلا سجود حتى نزلت هذه الآية ولما خص أفضل العبادة عم بقوله تعالى (واعبدوا)
أى بانواع العبادة (ربكم) أى المحسن اليكم بكل نعمة دينية ودنيوية * ولما ذكر عموم العبادة
أتبعها ما قد يكون أعم منها مما هو من صورتها او قد يكون بلا نية فقال (وافعلوا الخير) أى
كله من القرب كصلة الارحام وعيادة المريض ونحو ذلك من معالى الاخلاق بنية وبغير نية

من القرآن حال كونها (بينات) لا خفاء فيها عند من له بصيرة في شئ مما دعت اليه من الاصول والفروع (تعرف في وجوه الذين كفروا) اى تلبسوا بالكفر (المنكر) اى الانكار الذى هو منكر في نفسه فيظهر اثره في وجوههم من الكراهة والعبوس لما حصل لهم من الغيظ ثم بين ما لاح في وجوههم بقوله تعالى (يكادون يسطون) اى يوقعون السطوة بالبطش والعنف (بالذين يتلون عليهم آياتنا) اى الدالة على اسمائنا الحسنى وصفاتنا العليا القاضية بوحدانيتنا مع كونها بينات في غاية الوضوح فى انها كلامنا لما فيها من الحكم والبلاغة التى عجزوا عنها ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقابلهم بالوعيد بقوله تعالى (قل أفأنبئكم) اى أفأخبركم خبرا عظيما (بشر من ذلكم) يا كرهكم من القرآن المتلو عليكم وقوله تعالى (النار) كأنه جواب سائل قال ما هو فقيل النار اى هو النار ويجوز أن تكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا) جزاء لهم فبئس الموعد هي (وبئس المصير) اى النار ولما بين تعالى انه لا حجة لعابد غيره اتبعه بان الحجة قائمة على ان ذلك الغير في غاية الحقارة فقال تعالى منادياً أهل العقل منبها لهم تنبيها عاما (يا أيها الناس ضرب مثل) حاصله أن من عبدتموه من الاصنام أحقر منكم (فاستمعوا) اى أنصتوا (له) وتدبروه ثم فسره بقوله تعالى (ان الذين تدعون) اى تعبدون وتدعونهم في حوائجكم وتجعلونهم آلهة (من دون الله) اى الملك الاعلى من هذه الاصنام التى أنتم بها مفترون (لن يخلقوا ذبابا) اى لا قدرة لهم على ذلك في زمن من الازمان على حال من الاحوال مع صغره فكيف بما هو أكبر منه (ولو اجتمعوا) اى الذين زعمتموهم شركاء (له) اى الخلق فهم في هذا أمثالكم * (تنبيه) * محل ولو اجتمعوا له النصب على الحال كأنه قال تعالى يستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل الله تعالى في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد خدعهم بجداعه³ حيث وصفوا بالالهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله وأصغره وأحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيأ فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا كما قال تعالى (وان يسلبهم الذباب) اى الذى تقدم أنهم لا قدرة لهم على خلقه وهو غاية في الحقارة (شيأ) اى من الاشياء جل أو قل (لا يستنقذوه منه) لعجزهم فكيف يجعلونهم شركاء لله هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب مثل * (تنبيه) * الذباب مفرد وجمعه القليل أذبة والكثير ذبان مثل غراب وأغربة وغربان وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وعن ابن زيد كانوا يحلون الاصنام باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر ويطيبونها بألوان الطيب فربما يسقط شئ منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده منه (ضعف الطالب) قال الضحاك هو العابد (والمطلوب) المعبود وقال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذى على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب اى لو طلب الصنم أن يخلق الذباب لعجز عنه ولما أنتج هذا جهلهم بالله عز وجل عبر عنه بقوله تعالى (ما قدروا الله

القصور على بعض العبارة او اريد بالعبارة الشر اه قصد

٣ قوله خدعهم بجداعه في نسخة خدعهم بخزاعة اه

اى

الامة وقوله تعالى (ملة أبيكم) نصب بنزع الخافض وهو الكاف أو على المصدر بفعل دل
عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الاغراء أي
اتبعوا ملة أبيكم أو على الاختصاص أي أعني بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد
وقوله تعالى (ابراهيم) عطف بيان (فان قيل) لم كان ابراهيم أبا للامة كلها (أجيب) بأنه
أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول في حكم أولاده واختلف في
مرد ضمير (هو) على قولين أحدهما أنه يعود على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان لكل نبي
دعوة مستجابة ودعوة ابراهيم عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك
فاستجاب الله تعالى له فجعلها محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته والثاني أنه يعود على الله تعالى
في قوله تعالى هو اجتباكم وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال ان الله تعالى (سماكم المسلمين
من قبل) أي في كل الكتب المنزلة التي نزلت قبل انزال هذا القرآن (وفي هذا) أي وسماكم
في هذا القرآن الذي أنزل عليكم من بعد انزال تلك الكتب وهذا القول كما قال الرازي أقرب
لانه تعالى قال (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أي يوم القيامة أنه بلغكم (وتكونوا شهداء
على الناس) أي ان رسلهم بلغتهم فبين أنه تعالى سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق
الا بالله تعالى وانما كانوا شهداء على الناس لسائر الانبياء لانهم لم يفرقوا بين أحد منهم وعلموا
ان أخبارهم من كتابهم على لسان نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك صحت شهادتهم وقبلها
الحكم العدل وعن كعب أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا الانبياء جعلهم شهداء
على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال تعالى ادعوني أستجب لكم وعن أبي
حاتم عن ابن زيد أنه قال لم يذكر الله بالايمان والاسلام غير هذه الامة ذكرها بهما وكرهما
جميعا ولم يسمع بامة ذكرت بالاسلام والايمان غيرها وعن مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال تسمى الله عز وجل باسمين سمى بهما أمتي هو السلام وسمى أمتي المسلمين وهو المؤمن وسمى
أمتي المؤمنين (تنبيه) في الآية دليل على أن شهادة غير المسلم ليست مقبولة ولما خصهم
تعالى بكونوا خير الامم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فأقيموا الصلاة) التي هي أركان [illegible]
وصلة ما بينكم وبين ربكم أي داوموا عليها (وآتوا الزكاة) التي هي طهرة أبدانكم وصلة
بينكم وبين اخوانكم (واعتصموا بالله) أي الحفظ بجميع صفات الكمال في جميع ما أمركم
به من المناسك التي تقدمت وغيرها ثم علل تعالى أهليته بقوله تعالى (هو) أي وحده
(مولاكم) أي المتولي لجميع أموركم فهو ينصركم على كل من يعاديكم بحيث أن تتمكنوا
من اظهار هذا الدين من مناسك الحج وغيرها ثم علل الامر بالاعتصام ووصفه بالولاية بقوله
تعالى (فنعم المولى) أي هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم لانه تعالى اذا تولى أحدا كفاه
كل ما أهمه واذا نصر أحدا أعلاه على كل من خاصمه ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى أحبه فاذا أحببته الحديث انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وهذا نتيجة التقوى
وما قبلها من أفعال الطاعة دليلها فقد انطبق آخر السورة على أولها ورد مقطعها على مطلعها
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطي من
الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي حديث موضوع

انفرد بها مثلها كما في قوله في الانبياء وجعلناهم

حتى يكون لكم ذلك عادة فيخف عليكم عمله قال أبو حيان بدأ تعالى بخاص وهو الصلاة ثم بعام وهو واعبدوا ربكم ثم بأعم وهو وافعلوا الخير (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كله وأنتم راجون الفلاح وهو الفوز بالبقاء فى الجنة طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم وقال الامام أبو القاسم الانصارى لعل كلمة ترج تشعر بأن الانسان قلما يخلو فى أداء فريضة من تقصير وليس هو على يقين من أن الذى أتى به مقبول عند الله والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له ❊ (تنبيه) ❊ اختلف فى سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية فذهب قوم الى أنه يسجد عندها وهو قول عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق لظاهر ما فيها من الامر بالسجود وقول البيضاوى ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما حديث ضعيف رواه الترمذى وضعفه وذهب قوم الى أنه لا يسجد وهو قول سفيان الثورى وقول أبى حنيفة وأصحابه لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فى ذلك فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة ❊ ولما كان الجهاد أساس العبادة وهو مع كونه حقيقة فى جهاد الكفار صالح لان يعم كل أمر بمعروف ونهى عن منكر بالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره وكل جهاد فى تهذيب النفس واخلاص العمل ختم به فقال تعالى (وجاهدوا فى الله) أى الله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وقول البيضاوى وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حديث رواه البيهقى وضعف اسناده وقال غيره لا أصل له قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس (حق جهاده) اى باستفراغ الطاقة فى كل ما أمر به من جهاد العدو والنفس على الوجه الذى امر به من الحج والغزو وغيرهما (فان قيل) ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فى الله أو حق جهادكم فى الله كما قال تعالى وجاهدوا فى الله (أجيب) بان الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لاجله صحت اضافته اليه وعن مجاهد عن الكلبى ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ❊ ولما أمر الله تعالى بهذه الاوامر أتبعها ببعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل لما قبله فقال تعالى (هو اجتباكم) أى اختاركم لدينه ولنصرته وجعل الرسالة فيكم والرسول منكم وجعله أشرف الرسل ودينه أشرف الاديان وكتابه أعظم الكتب وجعلكم لكونكم أتباعه خير الامم (وما جعل عليكم فى الدين) أى الذى اختاره لكم (من حرج) أى من ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يبتلى بشئ من الذنوب الا جعل الله تعالى له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك ٣ فليس فى دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن وفقه الله تعالى وسهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمريض والمسافر وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم رواه البخارى وعن ابن عباس أنه قال الحرج ما كان على بنى اسرائيل من الآصار التى كانت عليهم وضعها الله تعالى عن هذه

الامة

دائما مسنونا) ه ان قلت لم خص الداية بالذكر مع

٣ قوله فليس فى دين الاسلام كذا فى النسخ وهى عبارة غير مستقيمة او فيها سقط والصواب فى هذا المقام ان يقال فليس فى دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص منه من الذنوب والآصار بل المخرج من الذنوب بما سبق من التوبة وما معها لمن وفقه الله ومن الآصار بالتسهيل عند الضرورات كالقصر الخ اه

للشخص ان يحتاط فى صلاته لوقوعها على التمام فان بعض العلماء اختار الامامة فقيل له فى ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبنى الشافعى وان قرأتها ان يعاتبنى أبو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص من هذا الخلاف (فان قيل) لم أضيفت الصلاة اليهم (أجيب) بان الصلاة وصلة بين الله وبين عباده والمصلى هو المنتفع بها وحده وهى عدته وذخيرته فهى صلاته وأما الله تعالى فهو غنى متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها الصفة الثانية المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم) اى بضمائرهم التى تتبعها ظواهرهم (عن اللغو) قال ابن عباس عن الشرك (معرضون) اى تاركون وقال الحسن عن المعاصى وقال الزجاج هو كل باطل ولهو وما لا يحمد من القول والفعل وقيل هو كل ما لا يعنى الشخص من قول أو فعل وهو ما يستحق ان يسقط ويلغى فمدحهم الله تعالى بانهم معرضون عن هذا اللغو والاعراض عنه هو بان لا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه كما قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما اى اذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه الصفة الرابعة المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم للزكاة فاعلون) اى مؤدون [illegible] (تنبيه) الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين هو القدر الذى يخرجه المزكى من النصاب الى المستحق والمعنى فعل المزكى الذى هو التزكية وهو المراد هنا لانه ما من مصدر الا ويعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكى فاعل التزكية ويجوز ان يراد الزكاة العين ويقدر مضاف اى لاداء الزكاة فاعلون وهو الاداء وقيل الزكاة هنا هى العمل الصالح لان هذه السورة مكية وانما فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة قال البقاعى والظاهر ان التى فرضت بالمدينة هى ذات النصب وان أصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى فى سورة الانعام وآتوا حقه يوم حصاده الصفة الخامسة المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم لفروجهم) فى جميع [illegible] (حافظون) [illegible] لا يتبعونها [illegible] والفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام ثم استثنى [illegible] (الا على أزواجهم) اللاتى استحقوا ابضاعهن بعقد النكاح [illegible] كان [illegible] على البصرة اى واليا [illegible] وقيل على بمعنى من [illegible] (أو ما ملكت ايمانهم) [illegible] الاماء (فان قيل) هلا قال تعالى أو من ملكت (أجيب) بانه اجتمع فى [illegible] الاماء [illegible] عن الحرائر الناقصات عن الذكور ولانه اجتمع فيها وصفان أحدهما الانوثة وهى مظنة نقصان العقل والاخرى كونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع قال البغوى والآية فى الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) على ذلك اذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون ما اذا كان فى غير المأتى وفى حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الامة قبل الاستبراء فانه حرام ومن فعله فانه ملوم (فمن ابتغى) اى طلب متعديا (وراء ذلك) العظيم المنفعة الذى وقع استثناؤه بزنا أو لواط أو استمناء بيد أو بهيمة أو غيرها (فأولئك) البعيدون من الفلاح (هم العادون) اى البالغون فى تعدى الحدود عن سعيد ابن جبير قال عذب الله تعالى أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم اى فى أيديهم وقيل يحشرون

لان التعدد [illegible]
[illegible]

سورة المؤمنين مكية

وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون
كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف

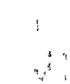
(بسم الله) الذي له الامر كله (الرحمن) الذي عم انعامه (الرحيم) الذي خص من أراد بالايمان
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه
الوحي يسمع عنده وجهه دوي كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكث ساعة حتى سري عنه
فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا
وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا ثم قال لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن
دخل الجنة ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر آيات قال ابن عباس قد سعد
المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة روى هذا الحديث
الترمذي وغيره وأنكره النسائي وغيره * (تنبيه) * قال الزمخشري قد نقيضة لما هي تثبت
المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات
الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه (فان قيل) ما المؤمن (أجيب) بانه في اللغة
هو المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين
مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق
* ثم انه تعالى حكم بحصول الفلاح لمن كان مستجمعا للصفات الستة الصفة الاولى كونهم
مؤمنين الصفة الثانية المذكورة في قوله تعالى (الذين هم) أي بضمائرهم وظواهرهم
(في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس مخبتون أذلاء وقيل خائفون وقيل متواضعون
وعن قتادة الخشوع الزام موضع السجود روى الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين
أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره الى
نحو مسجده أي موضع سجوده وكان الرجل اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره
الى شيء أو يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن
الخشوع أن يستعمل الادب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والتشبيك
والالتفات والتمطي والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والاختصار
وتقليب الحصى روى الترمذي لكن بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم ابصر رجلا يعبث
بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث
بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث
وعنه انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من
عرف من على يمينه وشماله وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه
التعب والنصب وقال من لم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا فينبغي

(قلت) الماء كل شيء حي

الفاكهة ووجد الريحان وروى أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب
التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث والمراد أن
الله تعالى لم يكل ذلك الى غيره من ملك من الملائكة والجنة مخلوقة الآن قال تعالى أعدت
للمتقين ولما أمر سبحانه وتعالى بالعبادات في هذه الآيات والاشتغال بعبادة الله لا يصح
الا بعد معرفة الله تعالى عقبها بذكر ما يدل على وجوده واتصافه بصفات الجلال والوحدانية
فذكر من الدلائل أنواعا الاول الاستدلال بتقلب الانسان في أدوار الخلقة وأدوار
الفطرة وهي تسع مراتب الاولى قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان) اى آدم (من سلالة) هي
من سلت الشيء من الشيء اى استخرجته منه وهو خلاصته وقال ابن عباس السلالة صفوة
الماء وقوله تعالى (من طين) متعلق بسلالة وقيل المراد بالانسان هذا النوع والسلالة قال
مجاهد من بني آدم وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر والعرب تسمي النطفة سلالة
والولد سليلا وسلالة لانهما مسلولان منه المرتبة الثانية قوله تعالى (ثم جعلناه) أى نسله
بحذف المضاف (نطفة) أي منيا من الصلب والترائب بأن خلقناه منها (في قرار مكين)
أى مستقر حصين هو الرحم *(تنبيه)* مكين في الاصل صفة للمستقر في الرحم وصف به
المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم) أى بعد تراخ في الزمان
وعلو في الرتبة والعظمة (خلقنا) أي بما لنا من العظمة (النطفة) أي البيضاء جدا (علقة)
حمراء دما غليظا شديد الحمرة جامدا غليظا المرتبة الرابعة قوله تعالى (فخلقنا) أى بما لنا
من القوة والقدرة العظيمة (العلقة مضغة) أي قطعة لحم صغيرة لا شكل فيها ولا تخطيط
المرتبة الخامسة قوله تعالى (فخلقنا المضغة) أي بتصليبها بما لنا من الحرارة والامور
اللطيفة الغامضة (عظاما) من رأس ورجلين وما بينهما المرتبة السادسة قوله تعالى
(فكسونا) بما لنا من قوة الاختراع تلك (العظام لحما) بما ولدنا منها [illegible] موصولا
عظاما فسترنا تلك العظام وقويناها وشددناها بالروابط والاعصاب وقرأ ابن عامر وأبو بكر
عظما والعظم بفتح العين واسكان الظاء من غير ألف بعد الميم اكتفاء باسم الجنس
عن الجمع والباقون بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع [illegible] وخلقنا
في المواضع الثلاثة بمعنى صيرنا المرتبة السابعة قوله تعالى (ثم أنشأناه) أى هذا الحدث عنه
بعظمتنا (خلقا آخر) أى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا
وكان جمادا وناطقا وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع ظاهره وباطنه
بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف
الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وثم لما بين الخلقين من التفاوت قال الزمخشري وقد احتج
به أبو حنيفة رحمه الله فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده فقال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه
خلق آخر سوى البيضة اه ولما كان هذا التفصيل لتطوير الانسان سببا لتعظيم الخالق
قال تعالى (فتبارك الله) اى تنزه عن كل شائبة نقص وحاز جميع صفات الكمال وأشار الى
جمال الانسان بقوله تعالى (أحسن الخالقين) اى المقدرين وتمييز أحسن محذوف اى خلقا
روى عن عمر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر

وأثنى سبحانه وتعالى بالصفة السادسة المذكورة في قوله تعالى (والذين هم لأماناتهم) اى فى الفروج وغيرها سواء كانت بينهم وبين الله تعالى كالصلاة والصيام او بينهم وبين الخلق كالودائع والبضائع أوفى المعانى الباطنة كالاخلاص والصدق (وعهدهم راعون) اى حافظون بالقيام والرعاية والاصلاح والعهد ما عقده الشخص على نفسه فيما يقربه الى ربه ويقع أيضا على ما أمر الله تعالى به كقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا *(تنبيه)* سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وقال تعالى وتخونوا أماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعانى وكان المؤتمن عليه لا الامانة فى نفسها وقرأ ابن كثير لامانتهم بغير ألف بين النون والتاء على الافراد لأمن الالباس أولانها فى الاصل مصدر والباقون بالالف على الجمع ثم الصفة السابعة المذكورة فى قوله تعالى (والذين هم على صلواتهم) التى وصفوا بالخشوع فيها (يحافظون) اى يواظبون عليها ولا يتركون شيأ من مفروضاتها ولا مسنوناتها ويجتهدون فى كمالاتها جهدهم ويؤدونها فى أوقاتها (فان قيل) كيف كرر الصلاة أولا وآخرا (أجيب) بانهما ذكران مختلفان فليس بمكرر وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لايسهوا عنها ويؤدوها فى أوقاتها ويقيموا أركانها ويوظفوا أنفسهم بالاهتمام بها وبما ينبغى ان تتم به أوصافها وأيضا فقد وحدت أولا ليفاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت وجمعت آخرا على غير قراءة حمزة والكسائى فان غيرهما قرأ بالجمع وأما هما فقرآ بالافراد لتفاد المحافظة على أعدادها وهى الصلوات الخمس والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة وصلاة الجنازة والعيدين والكسوفين والاستسقاء والوتر والضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل ثم لما ذكر تعالى مجموع هذه الصفات العظيمة ذكر جزاءهم فقال تعالى (أولئك) اى البالغون من الاحسان أعلى مكان (هم الوارثون) اى المستحقون لهذا الوصف فيرثون منازل أهل الجنة فى الجنة روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما المؤمن فيبنى منزله الذى له فى الجنة ويهدم منزله الذى له فى النار وأما الكافر فيهدم منزله الذى فى الجنة ويبنى منزله الذى له فى النار وقال بعض المفسرين معنى الوراثة هو ان يؤول أمرهم الى الجنة وينالوها كما يؤول أمر الميراث الى الوارث (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون عرش الرحمن فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس اللهم بجاه محمد صلى الله عليه وسلم أن تجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهله (هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها ولا يموتون وأنث الفردوس بقوله تعالى فيها على تأنيث الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد

فمنهم من يمشى على بطنه الآية ففيه مجاز التغليب



من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى
السماء وذلك قوله تعالى (وانا على ذهاب به لقادرون) قدرة هي في نهاية العظمة فانا كما قدرنا
على ايجاده واختراعه نقدر على رفعه وازالته وزواله فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض
فقد أهلها خير الدين والدنيا قال البغوي وروى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن
عثمان بن سعيد عن سابق الاسكندري عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان ه (تنبيه)
في تنكير ذهاب ايماء الى تكثير طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وأنه لا يتعايا عليه شيء اذا
أراده وهو أبلغ في الايعاد من قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين
فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفادها اذا
لم تشكر ثم انه تعالى سبحانه لما نبه على عظيم نعمته بخلق الماء ذكر بعده النعم الحاصلة
من الماء بقوله تعالى (فأنشأنا) أي فأخرجنا وأحيينا (لكم) خاصة لا لنا (به) أي بذلك الماء الذي
جعلنا منه كل شيء حي (جنات) اي بساتين (من نخيل وأعناب) صرح بهذين الصنفين
لشرفهما ولانهما أكثر ما عند العرب من الثمار وبين الاول بانه ثمر لكثرة ما فيه من
المنافع المقصودة بخلاف الثاني فانه المقصود من شجرته وأشار الى غيرهما بقوله تعالى
(لكم) اي خاصة (فيها) اي الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) اي ومن الجنات
من ثمارها وزروعها (تأكلون) رطبا ويابسا وتمرا وزبيبا وقوله تعالى (وشجرة) عطف على
جنات اي وانشأنا لكم شجرة اي زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله
تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وفي رواية أخرى
طور سينين ولا يخلو اما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء أو سينين واما أن يكون
اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وبعلبك على من أضاف فمن كسر سين
سيناء وهو نافع وابن كثير وأبو عمرو [illegible] والتاء [illegible]
فلا تكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن فتح السين وهم الباقون [illegible]
الالف للتأنيث كصحراء قال مجاهد معناه البركة أي من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن
أي الجبل الحسن وقال الضحاك هو بالنبطية ومعناه الحسن وقال عكرمة بالحبشية وقال
مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سيناء وسينين بلغة النبط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (تنبت)
بضم التاء الفوقية وكسر الباء الموحدة من الرباعي والباقون بفتح التاء وضم الباء من
الثلاثي وقوله تعالى (بالدهن) فتكون الباء على الاول زائدة وعلى الثاني معدية قال المفسرون
وانما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لان منه تشعبت في البلاد وانتشرت لانه معظمها اهـ
قال بعض المفسرين وانما عرف الدهن لانه أجل الادهان وأفضلها وهو في الاصل مائع
لزج خفيف يتقطع ولا يختلط بالماء الذي هو أصله فيصير يدهن به وقوله تعالى (وصبغ
للآكلين) عطف على الدهن اي ادام يصبغ اللقمة يغمس فيه وهو الزيت قيل انها أول
شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله تعالى يوقد من شجرة مباركة

• النوع الرابع من الدلائل الاستدلال بأحوال الحيوانات وهو قوله تعالى (وان لكم في
الانعام) وهي الابل والبقر والغنم (لعبرة) عظيمة تعتبرون بها وتستدلون بها على البعث وغيره
(نسقيكم مما في بطونها) اي اللبن نجعله لكم شرابا نافعا للبدن موافقا للشهوة تلتذون به من

القعيد اذا استعاد دالة
الى الماء بغير خشب لا [illegible]

قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا
ثم أسلم يوم الفتح وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر بن
الخطاب فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت
يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربي في أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي
لهن أو ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع قلت
فتبارك الله أحسن الخالقين فقال هكذا أنزل قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة
لعمر والشقاوة لعبد الله بن سعد بن أبي سرح فانه قيل انه مات كافرا قال الله تعالى يضل به
كثيرا ويهدي به كثيرا المرتبة الثامنة قوله تعالى (ثم انكم بعد ذلك) اي الامر العظيم من
الوصف بالحياة والخلق العجيب في آجال متفاوتة ما بين طفل ورضيع وصبي لم يشتد وشاب نشيط
وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك من شؤون لا يحيط بها الا اللطيف الخبير (لميتون) اي
لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت وهو ميت دون اسم الفاعل وهو
مائت فانه للحدوث لا للثبوت المرتبة التاسعة قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة) اي الذي
يجمع فيه جميع الخلائق (تبعثون) للحساب والجزاء النوع الثاني من الدلائل الاستدلال
بخلق السموات وهو قوله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم) في جميع جهة الفوق في ارتفاع
لا تدركونه حق الادراك (سبع طرائق) أي سموات جمع طريقة لانها طرائق الملائكة
ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها وقيل لانها طرق بعضها
فوق بعض كطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة (وما كنا) أي بما لنا من العظمة
(عن الخلق) أي الذي خلقناه تحتها (غافلين) أي ان تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كما قال
ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ولا مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال
والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى أمرها وما قدرنا من الكمال حسب ما اقتضته
الحكمة وتعلقت به المشيئة النوع الثالث من الدلائل الاستدلال بنزول الامطار وكيفية
تأثيرها في النبات وهو قوله تعالى (وأنزلنا من السماء) أي من جرمها وهو ظاهر اللفظ وعليه
أكثر المفسرين أو من السحاب وسماه سماء لعلوه (ماء بقدر) اي بقدر ما يكفيهم لمعاشهم في
الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة ويسلمون معه من المضرة اذ لو كان فوق ذلك
لاغرقت البحار الاقطار ولو كان دون ذلك لادى الى جفاف النبات والاشجار (فاسكناه) اي
جعلناه ثابتا مستقرا (في الارض) كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين
واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها الجبال
وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس من أصناف معايشهم فاذا كان عند خروج
يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود

فصلا لما يعمهما وهو
كل دابة وفيه أيضا مجاز

وأموت فكأنه قيل فما قال فقيل (قال) عندما أيس من فلاحهم (رب انصرني) أي أعني عليهم (بما كذبون) أي بسبب تكذيبهم لي فإن تكذيب الرسول استخفاف بالمرسل (فأوحينا) أي فتسبب عن دعائه أن أوحينا (إليه أن اصنع الفلك) أي السفينة (بأعيننا) أي أنه لا يغيب عنا شيء من أمرك ولا من أمرهم وإن نعرف قدرتنا على كل شيء فنحن نحفظك ولا تخف شيئا من أمرهم روي أنه لما أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر قال الجوهري جؤجؤ الطائر والسفينة صدرهما والجمع الجآجئ ولما كان لا يعلم الصنعة قال تعالى (ووحينا) أي وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع فإن جبريل علمه عمل السفينة ووصف كيفية اتخاذها وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في سورة هود (فإذا جاء أمرنا) أي بالهلاك عقب فراغك منها أو بالركوب (وفار التنور) قال ابن عباس وجه الأرض وفي القاموس التنور الكانون يخبز فيه ووجه الأرض وعن قتادة أنه أشرف موضع في الأرض أي أعلاه وعن علي طلع الفجر وعن الحسن أنه الموضع المنخفض من السفينة الذي يسيل الماء إليه وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والأقرب كما قال الرازي وعليه أكثر المفسرين هو التنور المعروف بتنور الخباز فيكون له فيه آية روي أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور في التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصار إلى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقرأ قالون والبزي وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى من الهمزتين المفتوحتين من كلمتين وحقق الأولى وسهل الثانية ورش وقنبل (فاسلك) أي أدخل (فيها) أي السفينة (من كل زوجين) من الحيوانات (اثنين) ذكرا وأنثى وقرأ حفص بتنوين اللام من كل أي من كل نوع زوجين فزوجين مفعول واثنين تأكيد والباقون بغير تنوين فاثنين مفعول ومن متعلق باسلك وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيده في كل جنس فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة وروي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض (وأهلك) أي وأهل بيتك من زوجك وأولادك (إلا من سبق عليه) لا له (القول منهم) بالهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه إلا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (ولا تخاطبني) أي بالسؤال في النجاة (في الذين ظلموا) أي كفروا ثم علل ذلك بقوله تعالى (إنهم مغرقون) أي قد حتم القضاء عليهم لظلمهم بالإشراك والمعاصي ومن حتم شأنه لا يشفع له فإنه تعالى بعد أن أملى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا إلا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ونحن نذكرك عن سؤال لا يقبل ولقد بالغ سبحانه وتعالى حيث أتبع النهي عنه الأمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم بقوله تعالى (فإذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن معك) أي من البشر وغيرهم (على الفلك) ففرغت من امتثال الأمر بالحمل (فقل الحمد لله) أي الذي لا كنه له لأنه مختص بصفات الحمد (الذي نجانا) بحملنا فيه

الحلم منكم) فإنك ما
كذب أمر الله تعالى

بين الفرث والدم (ولكم فيها) أى جماعة الانعام وقدم الجار تعظيما لمنافعها حتى كأن غيرها عدم (منافع كثيرة) باستعمالها لما يراد منها مما لا يتيسر من غيرها وبأولادها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك من آثارها (ومنها تأكلون) اى وكما تنتفعون بها وهى حية تنتفعون بها بعد الذبح أيضا بسهولة من غير امتناع ما من شئ من ذلك ولو شاء لنفرها وسلطها عليكم ولو شاء لجعل لحمها لا ينضج أو جعله قذرا لا يؤكل ولكنه بقدرته وعلمه أحلها لما ذكر وذللها (وعليها) أى الانعام الصالحة للحمل وهى الابل والبقر وقيل المراد الابل خاصة لانها هى المحمول عليها فى العادة وقرنها بالفلك التى هى السفن فى قوله تعالى (وعلى الفلك تحملون) لانها سفائن البر كما يحمل على الفلك فى البحر فيحمل على هذه فى البر قال ذو الرمة فى المعنى
* سفينة بر تحت خدى زمامها * قال الزمخشرى يريد صيدحه أى ناقته لان اسمها كان صيدح قال

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

يريد بلال بن أبى بردة الاشعرى والى الكوفة ولما بين سبحانه وتعالى دلائل التوحيد أردفها بذكر القصص كما هو العادة فى سائر السور مبتدئا بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى (ولقد أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (نوحا) وهو الاب الثانى بعد آدم عليهما الصلاة والسلام وكان اسمه يشكر وسمى نوحا لوجوه أحدها لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله تعالى بالطوفان فندم على ذلك ثانيها لمراجعته ربه فى شأن ابنه ثالثها أنه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فعوتب على ذلك (الى قومه) وهم جميع أهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على لغة واحدة محصورين لا أنه أرسل الى الخلق كافة لان ذلك من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء (فقال) أى فتسبب عن ذلك ان قال (يا قوم) تعطفا بهم (اعبدوا الله) وحده لانه الهكم وحده لاستحقاقه جميع خلال الكمال واستأنف على سبيل التعليل قوله (ما لكم من اله) اى معبود بحق (غيره) فلا تعبدوا سواه (أفلا تتقون) اى أفلا تخافون عقوبته ان عبدتم غيره وقرأ الكسائى بكسر الراء والهاء والباقون بضمهما (فقال) اى فتسبب عن ذلك أن كذبوه بأن قال (الملأ) اى الاشراف الذين تملأ رؤيتهم الصدور عظمة (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ما هذا) اى نوح عليه السلام (الا بشر مثلكم) اى فلا يعلم ما لا تعلمون فأنكروا ان يكون بعض البشر نبيا ولم ينكروا ان يكون بعض الطين انسانا وبعض الماء علقة وبعض العلقة مضغة الى آخره فكأنه قيل ما حمله على ذلك فقالوا (يريد أن يتفضل) يتكلف الفضل بادعاء مثل هذا (عليكم) لتكونوا أتباعا له ولا خصوصية له دونكم (ولو شاء الله) اى الملك الاعلى الارسال اليكم وعدم عبادة غيره (لأنزل) كذلك (ملائكة) رسلا بابلاغ الوحى الينا قال الزمخشرى وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالوهية بحجر (ما سمعنا بهذا) اى الذى دعا اليه نوح من التوحيد (فى آبائنا الاولين) اى الامم الماضية (ان) اى ما (هو الا رجل به جنة) اى جنون ولاجله يقول ما يدعيه (فتربصوا به) اى فتسبب عن الحكم بجنونه انا نأمركم بالكف عنه لانه لا حرج على مجنون (حتى) اى الى (حين) لعله يفيق

لكنه يشبهه فى السعر
(قوله والذين لم يبلغوا

يأمركم به (أنكم اذا) اى ان اطعتموه (لخاسرون) اى مغبونون لكونكم فضلتم مثلكم

على مثلكم بما يدعيه ثم بينوا انكارهم بقولهم (أيعدكم أنكم اذا متم) ففارقت أرواحكم أجسادكم

(وكنتم) اى وكانت أجسادكم (ترابا) باستيلاء التراب على ما دون عظامكم (وعظاما) مجردة عن

اللحوم والاعصاب (أنكم مخرجون) اى من تلك الحالة التى صرتم اليها فراجعون الى ما كنتم

عليه من الحياة على ما كان لكم من الاجسام * (تنبيه) * قوله تعالى مخرجون خبر انكم الاولى

وانكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل ثم استأنفوا التصريح بما دل عليه الكلام من

استبعاد ذلك فقالوا (هيهات هيهات) اسم فعل ماض بمعنى مصدر اى بعد بعدا جدا وقال ابن

عباس هى كلمة بعد اى بعيد ثم كأنه قيل لاى شئ هذا الاستبعاد فقيل (لما توعدون) من

الاخراج من القبور (فان قيل) ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرفع بهيهات كما ارتفع به

فى قوله فهيهات هيهات العقيق وأهله * فما هذه اللام (أجيب) بأن الزجاج قال فى تفسيره البعد

لما توعدون فنزل منزلة المصدر وفيه أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت

بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به او ان اللام زائدة للبيان * (فائدة) *

وقف البزى والكسائى على هيهات الاولى والثانية بالهاء والباقون بالتاء على الرسم وقولهم

(ان هى) ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الا حياتنا الدنيا) ثم وضع

هى موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هى النفس تتحمل ما حملت والعرب لا تحياة

الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هى التى بمعنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت

لا التى نفت ما بعدها نفى الجنس (نموت ونحيا) اى يموت بعض منا ويوجد بعض فينشأ آخرون

بعدهم وقيل يموت قوم ويحيا قوم وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل فى الآية تقديم وتأخير

اى نحيا ونموت لانهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت كما قالوا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت

فكأنه قيل فما هذا الكلام الذى يقوله فقيل كذب ثم حصروا أمره فى الكذب فقالوا (ان)

اى ما (هو الا رجل افترى) اى تعمد (على الله) اى الملك الاعلى (كذبا) فلا يلتفت اليه

(وما نحن له بمؤمنين) اى بمصدقين فيما يخبرنا به من البعث والرسالة فكأنه قيل فما قال فقيل

(قال رب) اى أيها المحسن الى بالرسالة وبارسالى اليهم بغيرهم من أنواع النعم (انصرنى) اى

اوقع لى النصر (بما كذبون) فأجابه ربه بأن (قال عما قليل) من الزمان وما زائدة لتأكيد

القلة وبيانها (ليصبحن) اى ليصيرن (نادمين) اى على كفرهم وتكذيبهم اذا عاينوا العذاب

(فأخذتهم الصيحة) أى صيحة العذاب والهلاك كائنة (بالحق) أى الامر الثابت من العذاب

الذى لا يمكن مدافعته لهم ولا لغيرهم غير الله تعالى فماتوا وقيل صيحة جبريل عليه السلام

ويكون القوم ثمود على الخلاف السابق (فجعلناهم) بسبب الصيحة (غثاء) أى مطروحين

ميتين كما يطرح الغثاء شبهوا فى دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلى واسود من الورق

والعيدان ومنه قوله فجعله غثاء أحوى اى أسود يابسا * ولما كان هلاكهم على هذا الوجه

سببا لبعدهم عبر عنه بقوله تعالى (فبعدا) اى هلاكا وطردا عن الرحمة (للقوم الظالمين) الذين

وضعوا اقوالهم التى كان يجب عليهم بذلها فى نصر الرسل فى خذلانهم * (تنبيه) * يحتمل هذا الدعاء

عليهم والاخبار عنهم ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل وبعدا وسحقا ونكرا وتعوسا

ونحوها مصادر موضوعة مواضع أفعالها وهى من جملة المصادر التى قال سيبويه نصبت

الامر فى الحقيقة لاوليائهم ايقولهم (قوله واذ)

من القوم) اى الاعداء الاغبياء (الظالمين) اى الكافرين لقوله تعالى فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *(تنبيه)* انما قال تعالى قل ولم يقل قولوا لان نوحا عليه
السلام كان لهم نبيا واماما فكان قوله قولا لهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار
كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبي ولما أشار له بهذا القول الى
السلامة بالحمل أتبعه بالاشارة الى الوعد باسكان الارض بقوله تعالى (وقل رب أنزلني)
في الفلك ثم في الارض وفي كل منزل تنزلني به وتورثني اياه (منزلا مباركا) أي يبارك لى فيه
ويعطيه الزيادة في خير الدارين وقرأ أبو بكر بفتح الميم وكسر الزاى أى مكان النزول
والباقون بضم الميم وفتح الزاى مصدرا أو اسم مكان ثم ان الله تعالى أمره أن يشفع الدعاء
بالثناء عليه المطابق لمسئلته وهو قوله تعالى (وأنت خير المنزلين) ما ذكر لانك تكفي نزيلك كل
ملم وتعطيه كل أمر * ولما كانت هذه القصة من أغرب القصص حث على تدبرها بقوله تعالى
(ان في ذلك) أي الامر العظيم من أمر نوح والسفينة واهلاك الكفار (لآيات) أي دلالات
على قدرة الله تعالى وصدق الانبياء في أن المؤمنين هم المفلحون وانهم الوارثون للارض بعد
الظالمين وان عظمت شوكتهم واشتدت صولتهم (وان كنا) بما لنا من العظمة والوصف الثابت
الدال على تمام القدرة (لمبتلين) أي فاعلين فعل المختبر لعبادنا بارسال الرسل ليظهر
في عالم الشهادة الصالح منهم من غيره ثم نبتلي الصالحين منهم بما يرى بحسناتهم ويمحص
سيآتهم ويعلي درجاتهم ثم نجعل لهم العاقبة كما قال تعالى والعاقبة للمتقين *(تنبيه)*
ان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واللام هي الفارقة * القصة الثانية قصة هود
وقيل صالح عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أى أحدثنا وأحيينا (من
بعدهم) أي من بعد اهلاكهم (قرنا) أي قوما (آخرين) هم عاد قوم هود وقيل ثمود قوم
صالح (فأرسلنا) أى فتعقب انشائنا لهم وتسبب عنه انا أرسلنا (فيهم رسولا منهم) هو هود
وقيل صالح قال البغوى والاول هو الاظهر وهو المروى عن ابن عباس ويشهد له حكاية الله
قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح
في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء ثم بين تعالى ما أرسل به بقوله تعالى (ان اعبدوا
الله) أى وحده ولانه لا مكافئ له ثم دل على الاستغراق بقوله تعالى (ما لكم من اله غيره
أفلا تتقون) أى هذه الحالة التي أنتم عليها مخافة عقابه فتؤمنون وقرأ نافع وابن كثير وابن
عامر والكسائي بضم النون في الوصل والباقون بكسرها والقراءة في غيره ذكرت قريبا
(وقال الملأ) أي الاشراف الذين تملأ رؤيتهم الصدور (من قومه الذين كفروا) أى غطوا
ما يعرفون من أدلة التوحيد والانتقام من المشركين (وكذبوا بلقاء الآخرة) أى بالمصير
اليها (وأترفناهم) أى والحال أنا بما لنا من العظمة نعمناهم (في الحياة الدنيا) بالاموال والاولاد
وكثرة السرور يخاطبون أتباعهم (ما هذا) أشاروا اليه تحقيرا له عند المخاطبين (الا بشر
مثلكم) في الخلق والحال ثم وصفوه بما يوهم المساواة لهم في كل وصف فقالوا (يأكل مما
تأكلون منه) أى من طعام الدنيا (ويشرب مما تشربون) أى منه شرابها فكيف يكون
رسولا دونكم وقوله (ولئن) اللام لام قسم اى والله لئن (أطعتم بشرا مثلكم) أي فيما

بالاستعدادات لهم مع انهم
غير مكلفين (قلت)

الآية تدل على أن معجزات موسى كانت معجزات هرون أيضاً وأن النبوة كما كانت مشتركة بينهما فكذلك المعجزات (الى فرعون وملائه) أي وقومه ولكن لما كان الاطراف لا يخالفون الاشراف عدهم عدماً ومن الواضح ان التقدير أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وأشار بقوله تعالى (فاستكبروا) الى انهم أوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعوهم اليه عقب الابلاغ من غير تأمل ولا تثبت وطلبوا أن لا يكونوا تحت أمر من دعاهم وأشار بالكون الى فساد جبلتهم بقوله تعالى (وكانوا قوماً) أي أقوياء (عالين) أي متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم ولما تسبب عن استكبارهم وعلوهم انكارهم للاتباع قال تعالى (فقالوا أنؤمن) أي بالله تعالى مصدقين (لبشرين مثلنا) أي في البشرية والأكل والشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال من تقدمهم (وقومهما) أي والحال ان قومهما أي بني اسرائيل (لنا عابدون) خضوعاً وتذللاً أي في غاية الذل والانقياد كالعبيد فنحن أعلى منهما بهذا أو لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (فكذبوهما) أي فرعون وملؤه موسى وهرون (فكانوا) أي فرعون وملؤه بسبب تكذيبهم (من المهلكين) أي بالغرق في بحر القلزم ولم تغن عنهم قوتهم في أنفسهم ولا قوتهم على خضوع بني اسرائيل واستعبادهم ولا ضر بني اسرائيل ضعفهم عن دفاعهم ولا اذلالهم لهم وصغارهم في أيديهم ولما كان ضلال بني اسرائيل بعد انقاذهم من عبودية فرعون وقومه أعجب قال تعالى تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولقد آتينا) أي بعظمتنا (موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم) أي قوم موسى وهرون عليهما السلام (يهتدون) من الضلالة الى المعارف والاحكام ولا يصح عود الضمير الى فرعون وملئه لان التوراة انما أوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه بدليل قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى * القصة الخامسة قصة عيسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وجعلنا) أي بعظمتنا وقدرتنا (ابن مريم) نسبه اليها تحقيقاً لكونه لا أب له وكونه بشراً محمولاً في البطن مولوداً لا يصلح لرتبة الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله (وأمه) وقال تعالى (آية) ولم يقل آيتين لان الآية فيهما واحدة وهي ولادة من غير فحل ويحتمل ان الآية الاولى حذفت لدلالة الثانية عليها والتقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية لان الله تعالى جعل مريم آية لانها حملته من غير ذكر وقال الحسن تكلمت في صغرها كما تكلم عيسى وهو قولها هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلقم ثدياً قط * (تنبيه) * قال بعض المفسرين ولعل في ذلك اشارة الى انه تكاملت به آية القدرة على ايجاد الانسان بكل اعتبار من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم عليه السلام ومن ذكر بلا أنثى وهي حواء عليها السلام ومن أنثى بلا ذكر وهو عيسى عليه السلام ومن الزوجين وهو بقية الناس (وآويناهما) أي بعظمتنا (الى ربوة) أي مكان عال من الارض * (تنبيه) * قد اختلف في هذه الربوة فقال عطاء عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال كعب هي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلاً وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال السدي هي أرض فلسطين وقال ابن زيد هي مصر وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء والباقون بضم الراء (ذات قرار) أي منبسطة مستوية واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) أي ماء جار ظاهر تراه

يبين الله لكم آياته بالاضافة الى ما قبلها او ما بعده ونحو ذلك

قوله تكاملت به آية القدرة لعله تكاملت به آية القدرة والله اعلم

بأفعال لا يستعمل اظهارها القصة الثالثة المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي بعظمتنا التي لا يضرها تقديم ولا تأخير (من بعدهم) أي من بعد من قدمنا ذكره من نوح والقرن الذي بعده (قروناً) أي أقواماً (آخرين) فهو سبحانه وتعالى تارة يقص علينا في القرآن مفصلاً كما تقدم وتارة يقص مجملاً كما هنا وقيل المراد قصة لوط وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام وعن ابن عباس بني اسرائيل ثم انه تعالى أخبر بأنه لم يعجل على أحد منهم قبل الاجل الذي أجل لهم بقوله تعالى (ما تسبق من أمة أجلها) أي الذي قدرناه لها بأن تموت قبله (وما يستأخرون عنه) (تنبيه) ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى ومن فائدة (ثم أرسلنا رسلنا تترا) أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل وقرأ أبو عمرو رسلنا بسكون السين والباقون برفعها وقرأ تترا ابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتنوين الراء على أنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالاً والباقون بغير تنوين ولما كان كأنه قيل فكان ماذا قيل (كلما جاء أمة رسولها) أي بما أمرناه من التوحيد (كذبوه) أي كما فعل هؤلاء بك لما أمرتهم بذلك (تنبيه) أضاف الرسول مع الارسال الى الرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والواو والباقون بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد (فأتبعنا) القرون بسبب تكذيبهم (بعضهم بعضاً) في الاهلاك فلم يبق عند الناس منهم الا أخبارهم كما قال تعالى (وجعلناهم أحاديث) أي أخباراً يسمر بها ويتعجب منها ليكونوا عظة للمتبصرين فيعلموا أنه لا يفلح الكافرون ولا يخيب المؤمنون وما أحسن قول القائل

ولا شيء يدوم فكن حديثاً * جميل الذكر فالدنيا حديث

والاحاديث تكون جمع الحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمع الأحدوثة التي هي مثل الأعجوبة والأضحوكة وهي ما يتحدث به الناس تلهياً وتعجباً وهو المراد هنا ولما تسبب عن تكذيبهم هلاكهم المقتضي لبعدهم قال تعالى (فبعداً لقوم) أي أقوياء على ما يطلب منهم (لا يؤمنون) أي لا يوجد منهم ايمان وان جرت عليهم الفصول الاربعة لانه لا مزاج لهم معتدل * القصة الرابعة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (ثم أرسلنا) أي بما لنا من العظمة (موسى وأخاه هرون بآياتنا) قال ابن عباس الآيات التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والبحر والسنين ونقص الثمرات (وسلطان مبين) أي حجة بينة وهي العصا وأفردها بالذكر لانها قد تعلق بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وكونها حارساً وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلواً ورشاء فجعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضائل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ويجوز أن يراد بالآيات نفس تلك المعجزات وبالسلطان المبين كيفية دلالتها على الصدق وذلك لانها وان شاركت آيات سائر الانبياء في كونها آيات فقد فارقتها في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام وان يراد بالسلطان المبين المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بها المعجزات فانها آيات النبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي قال الرازي واعلم أن

بلغ الاطفال منكم الحلم) الآية ختمها بقوله

الذي كان واحدا أهم فقدم وقوله (أمرهم) أي دينهم بعد أن كان مجتمعا متصلا (بينهم) وقوله
تعالى (زبرا) حال من فاعل تقطعوا أي أحزابا متخالفين فصاروا فرقا كاليهود والنصارى
والمجوس وغيرهم من الأديان المختلفة جمع زبور بمعنى الفرقة وقيل معنى زبرا كتبا أي تمسك
كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل حزب) أي فرقة من المتحزبين
(بما لديهم) أي عندهم من ضلال وهدى، وقرأ حمزة بضم الهاء والباقون بكسرها (فرحون) أي
مسرورون فضلا عن أنهم راضون وقوله تعالى (فذرهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي
اترك كفار مكة (في غمرتهم) أي ضلالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها
(حتى حين) أي إلى أن يقتلوا أو يموتوا وسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهاه عن
الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره ولما كان الموجب لغرورهم ظنهم أن حالهم في بسط
الأرزاق من الأموال والأولاد حالة رضا عنهم أنكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة
وكتبت له الحسنى وزيادة فقال تعالى (أيحسبون) أي أيظنون لضعف عقولهم وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها (أنما نمدهم) أي نعطيهم ونجعله مددا لهم (به من مال)
نصرفه لهم (وبنين) ثم أخبر عن أن بقوله تعالى (نسارع) أي نعجل (لهم) أي
به (في الخيرات) لا نفعل ذلك (بل لا يشعرون) أنهم في غاية البعد عن الخيرات مستدرجون
من حيث لا يعلمون وقال تعالى في موضع آخر فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وروي عن يزيد بن ميسرة أنه قال أوحى
الله تعالى إلى نبي من الأنبياء أيفرح عبدي أن أبسط له الدنيا وهو أبعد له مني ويجزع أن
أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني وعن الحسن أنه لما أتي عمر رضي الله عنه بسواري كسرى
فأخذهما ووضعهما في يد سراقة بن مالك فبلغا منكبيه فقال عمر اللهم إني قد علمت أن نبيك
عليه الصلاة والسلام كان يحب أن يصيب مالا لينفقه في سبيلك فزويته عنه نظرا منك ثم إن أبا بكر
كان يحب ذلك اللهم لا يكون ذلك مكرا منك بي ثم قرأ أيحسبون الآية ولما ذكر أهل الافتراق
ذكر أهل الوفاق ووصفهم بأربع صفات الأولى قوله تعالى (إن الذين هم) أي ببواطنهم (من
خشية ربهم) أي الخوف العظيم من المحسن إليهم الذي عليهم (مشفقون) أي دائمون على الحذر
الصفة الثانية قوله تعالى (والذين هم بآيات ربهم) أي القرآن (يؤمنون) أي يصدقون الصفة
الثالثة قوله تعالى (والذين هم بربهم) أي الذي لا محسن إليهم غيره (لا يشركون) أي شيئا من
شرك في وقت من الأوقات كما لم يشركه في الإحسان إليهم أحد ولما أثبت لهم الإيمان الخالص
نفى عنهم العجب بقوله تعالى (والذين يؤتون) أي يعطون (ما آتوا) أي ما أعطوا من الصدقة
والأعمال الصالحة وهذه الصفة الرابعة (وقلوبهم وجلة) أي شديدة الخوف أن لا يقبل منهم
ولا ينجيهم من عذاب الله ثم علل ذلك بقوله تعالى (أنهم إلى ربهم) أي الذي طال إحسانه إليهم
(راجعون) بالبعث فيجازيهم على النقير والقطمير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد
البصير ولا تنفع هنالك الندامة وليس هنالك إلا الحكم العدل والحكم القاطع من جهة مالك
الملك قال الحسن البصري المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا ثم أثبت لهم
ما أفهم انتفاء ضده لأضدادهم بقوله تعالى (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) أي

بالبال لأنه [illegible] علان [illegible] لا يمكننا الوقوف

قوله ثم أخبر عن أن الخ أي [illegible] لكن [illegible] الصحف [illegible] اه مصححه

العيون ﴿تنبيه﴾ قد اختلف في ربوة تعيين عيسى وامه التي آوى اليها فوجه من جعلها دمشق ولأنه مدرك
بالعين الظاهرة ومن عاينه اذا ادركه بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعلها الرملة لأنه
نفّاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قيل سبب الايواء انهما فرّا بابنها الى الربوة
وبقيت بها اثنتي عشرة سنة ثم رجعت الى أهلها بعدما مات ملكهم وهو هنا آخر القصص وقد
اختلف في المخاطب بقوله تعالى ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ على وجوه أحدها أنه محمد صلى
الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة ثانيها أنه عيسى عليه
السلام لانه روي أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل امه ثالثها أنه كل رسول خوطب
بذلك ووصي به لانه تعالى في الازل متكلم آمر ناه ولا يشترط في الامر وجود المأمورين بل
الخطاب ازلا على تقدير وجود المخاطبين فقول البيضاوي لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة
لانهم ارسلوا في أزمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه تبع فيه الكشاف
فان المعتزلة أنكروا قدم الكلام فحملوا الآية على خلاف ظاهرها وأنت خبير بان عدم
اشتراط ما ذكر انما هو في التعلق المعنوي لا التنجيزي الذي الكلام فيه فانه مشروط فيه ذلك
وانما خاطب جميع الرسل بذلك ليعتقد السامع ان أمرا خوطب به جميع الرسل ووصوا به
حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه وهذا كما قال الرازي أقرب لانه روي عن ام عبد الله أخت
شداد بن أوس أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن في شدة الحر عند فطره
وهو صائم فرده صلى الله عليه وسلم الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت من شاة لي ثم رده صلى
الله عليه وسلم وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها من مالي فأخذه ثم انها جاءته فقالت
يا رسول الله لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل
الا صالحا والمراد بالطيب الحلال وقيل طيبات الرزق الحلال الصافي القوام فالحلال هو الذي
لا يعصى الله تعالى فيه والصافي هو الذي لا ينسى الله فيه والقوام هو الذي يمسك النفس
ويحفظ العقل وقيل المراد بالطيب المستلذ أي ما تستلذه النفس من المأكل والمشرب
والفواكه ويشهد له مجيئه على عقب قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين واعلم أنه
سبحانه وتعالى كما قال للمرسلين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم دل سبحانه وتعالى على ان الحلال عون على الطاعة بقوله تعالى
﴿واعملوا صالحا﴾ فرضا ونفلا سرا وجهرا مخلصين من أحد غير الله تعالى ثم حثهم على دوام
المراقبة بقوله تعالى ﴿اني بما﴾ أي بكل شيء ﴿تعملون عليم﴾ أي بالغ العلم فاجازيكم عليه وقرأ
﴿وان هذه﴾ بكسر الهمزة الكوفيون على الاستئناف والباقون بفتحها على تقدير واعلموا أن
هذه أي ملة الاسلام وخفف النون ساكنة ابن عامر وشددها مفتوحة الباقون ﴿أمتكم﴾ أي
دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها حال كونها ﴿أمة واحدة﴾ لا شتات فيها أصلا
فما دامت موحدة فهي مرضية ﴿وأنا ربكم﴾ أي المحسن اليكم بالخلق والرزق وحدي فمن
وحدني نجا ومن أشرك بي غيري هلك ﴿فاتقون﴾ أي فاحذرون ﴿فتقطعوا﴾ أي الامم وانما
أضمرهم لوضوح ارادتهم لان الآية التي قبلها قد صرحت بان الانبياء ومن نجاهم أمة
واحدة لا اختلاف بينهم فعلم قطعا أن الضمير للامم ومن نشأ بعدهم ولذلك كان النظر الى الامر

بعدها بقوله يبين الله
لكم الآيات بالتعريف

أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو المراد من قوله تعالى (أفلم يدبروا القول) أي القرآن الدال على
صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصل يدبروا يتدبروا أدغمت التاء في الدال ثانيها أن يعتقدوا
أن ما جاء به الرسول أمر على خلاف العادة وهو المراد من قوله تعالى (أم جاءهم) في هذا القول
(ما لم يأت آباءهم الأولين) الذين بعد إسمعيل وقبله ثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وحسن
حاله قبل ادعائه النبوة وهو المراد من قوله تعالى (أم لم يعرفوا رسولهم) أي الذي أتاهم بهذا
القول الذي لا قول مثله وهم يعرفون نسبه وصدقه وأمانته وما جاءهم به من معالي الأخلاق حتى
أنهم لا يجدون فيه إذا تحققت الحقائق نقيصة يذكرونها ولا وصمة يستحلونها كما دلت عليه
الأحاديث الصحاح منها حديث أبي سفيان بن حرب الذي في أول البخاري في سؤال هرقل ملك
الروم له عن شأنه صلى الله عليه وسلم وقد اتفقت كلمتهم عليه بتسميته الأمين (فهم) أي فتسبب
عن جهلهم به أنهم (له) أي نفسه أو القول الذي أتى به (منكرون) فيكونوا أعذر بجهل الحق
بجهل حال الآتي به وفي هذا غاية التوبيخ لهم بجهلهم وبغباوتهم بأنهم يعرفون أنه أصدق
الخلق وأعلاهم في كل معنى جميل ثم كذبوه رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا إنما حمله
على ادعائه الرسالة جنونه وهو المراد من قوله تعالى (أم يقولون) أي بعد تدبر ما أتى به وعدم
عثورهم فيه على وجه من وجوه الطعن (به) أي برسولهم (جنة) أي جنون فلا وثوق به ولما
كانت هذه الأقسام منتفية فإنهم أعرف الناس بهذا النبي الكريم وأنه أتمهم خلقا
وأشرفهم خلقا وأطهرهم شيما وأعظمهم هما وأرجحهم عقلا وأمتنهم رأيا وأرضاهم قولا
وأصوبهم فعلا أضرب عنها وقال تعالى (بل) أي لم يتمسكوا باتباع الآثار ويعتبروا
ويجبروا الاعتقاد شيء مما مضى واتباعهم أقوالا لأن هذا الرسول الكريم (جاءهم بالحق) أي
القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام وقال الجلال المحلي الاستفهام فيه للتقرير
بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن
لا جنون به وبل للانتقال (وأكثرهم) أي والحال أن أكثرهم (للحق كارهون) لمنابذته الأهواء
الردية والشهوات البهيمية عنادا وإنما قيد تعالى الحكم بالأكثر لأن منهم من تركه جهلا وتقليدا
وخوفا من أن يقال صبأ أو بعضهم يتبعه توفيقا من الله تعالى وتأييدا ثم بين تعالى أن اتباع
الهوى يؤدي إلى الفساد العظيم بقوله تعالى (ولو اتبع الحق) أي القرآن (أهواءهم) بأن جاء بما
يهوونه من الشريك والولد لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (لفسدت السموات) على علوها
وإحكامها (والأرض) على كثافتها وانتظامها (ومن فيهن) على كثرتهم وانتشارهم وقوتهم أي
خرجت عن نظامها المشاهد بسبب ادعائهم تعدد الآلهة لوجود التمانع في الشيء عادة عند
تعدد الحاكم كما سبق تقريره في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (بل أتيناهم)
بعظمتنا (بذكرهم) أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم وقيل بالذكر الذي تمنوه بقولهم لو أن
عندنا ذكرا من الأولين (فهم عن ذكرهم) أي الذي هو شرفهم (معرضون) لا يلتفتون إليه
ثم بين تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطمع فيهم حتى يكون ذلك سببا لنفرتهم بقوله تعالى
(أم تسألهم) أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وقرأ حمزة والكسائي بفتح الراء وبعدها ألف
والباقون بسكون الراء ولما كان الإنكار معناه النفي حسن موقع فاء السببية في قوله تعالى

[illegible marginal note]

يبادرون الى الاعمال الصالحة قبل الموت ولما ذكر تعالى كيفية أعمال المؤمنين المخلصين ذكر أنه تعالى لا يكلف أحدا فوق طاقته بقوله تعالى (ولا نكلف نفسا الا وسعها) أي طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي الفرض قائما فليصل قاعدا ومن لم يستطع أن يصلي قاعدا فليصل مضطجعا ومن لم يستطع أن يصوم رمضان فليفطر لانه مبني المخلوق على العجز (ولدينا) اي وعندنا (كتاب ينطق بالحق) بما عملته كل نفس وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الاعمال وقيل كتب الحفظة ونظيره قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فشبه تعالى الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف بنطق الناطق اذا كان محقا (فان قيل) ما فائدة ذلك الكتاب مع ان الله تعالى يعلم ذلك اذ لا يخفى عليه خافية (اجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء وقد يكون في ذلك حكمة لا يطلع عليها الا هو تعالى (وهم) أي الخلق كلهم (لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في سيآتهم ثم ذكر حال الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم) أي الكفرة من الخلق (في غمرة) أي جهالة قد أغرقتها (من هذا) أي القرآن أو الذي وصف به حال هؤلاء أو من كتاب الحفظة (ولهم أعمال من دون ذلك) المذكور للمؤمنين (هم) أي الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد أن يعملوها فيعذبون عليها لما سبق لهم من الشقاوة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والقذر والاولاد (اذا هم يجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون وأصل الجأر رفع الصوت بالتضرع قاله البغوي فكأنه قيل فهل يقبل اعتذارهم أو يرحم انكسارهم فقيل لا بل يقال لهم بلسان الحال أو المقال (لا تجأروا اليوم) فان الجأر غير نافع لكم ثم علل ذلك بقوله تعالى (انكم منا لا تنصرون) أي بوجه من الوجوه ومن عدم نصره لم يجد له ناصرا فلا فائدة لجأره الا اظهار الجزع ثم علل عدم نصرهم لهم بقوله تعالى (قد كانت آياتي) أي من القرآن (تتلى عليكم) أي من أوليائي وهم الهداة النصحاء (فكنتم) كونا هو كالجبلة (على أعقابكم) عند تلاوتها (تنكصون) أي تعرضون مدبرين عن سماعها والعمل بها والنكوص الرجوع القهقرى (مستكبرين) عن الايمان واختلف في عود الضمير في (به) فقال ابن عباس بالبيت الحرام وشهرة استكبارهم وافتخارهم أنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره وذلك أنهم يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل بالقرآن فلم يؤمنوا به وقوله تعالى (سامرا) نصب على الحال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت وقوله تعالى (تهجرون) قرأه نافع بضم التاء وكسر الجيم من الاهجار وهو الافحاش اي تفحشون وتقولون الخنى ذكر انهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والباقون بفتح التاء وضم الجيم اي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الايمان وعن القرآن وترفضونها وتسمون القرآن سحرا وشعرا ثم انه تعالى لما وصف حالهم ردعليهم بأن بين أن اقدامهم على هذه الامور لا بد أن يكون لاحد أمور أربعة أحدها

عليها ركعتي في الاولى من
قبل صلاة الفجر وهي

خلاص (مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير ثم انه سبحانه التفت الى خطابهم وبين عظيم نعمه من وجوه احدها ماذكره بقوله تعالى (وهو الذى أنشأ) اى خلق (لكم) يامن يكذب بالآخرة (السمع) بمعنى الاسماع (والابصار) على غير مثال سبق لتسمعوا بها مانصب من الآيات (والافئدة) اى التى هى مراكز العقول فتتفكروا فى الآيات وتستدلوا بها على الوحدانية فكنتم بها اعلى من بقية الحيوان جمع فؤاد وهو القلب وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية مالا يتعلق بغيرها فان لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله ولما صور لهم هذه النعم وهى بحيث لا يشك عاقل فى انه لو تصور أن يعطى ادمى شيأ منها لم يقدر على مكافأته حسن تبكيتهم فى كفر النعم فقال تعالى (قليلا ماتشكرون) لمن أولاكم هذه النعم التى لا يقدر غيره على شئ منها مع ادعائكم انكم اشكر الناس لمن أسدى اليكم أقل ما يكون من النعم التى يقدر على مثلها كل أحد فكنتم بذلك مثل الحيوانات العجم صماً بكماً عمياً قال ابو مسلم ليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد النعمة ما أقل شكر فلان * ثانيها ماذكره فى قوله تعالى (وهو) اى وحده (الذى ذرأكم) اى خلقكم وبثكم (فى الارض) للتناسل (واليه) وحده (تحشرون) يوم النشور * ثالثها ماذكره بقوله تعالى (وهو) اى وحده (الذى) من شأنه أنه (يحيى ويميت) فلا مانع له من البعث ولا غيره مما يريده * رابعها ماذكره بقوله تعالى (وله اختلاف الليل والنهار) اى التصرف فيهما بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) اى بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها فتعتبرون * ولما كان معنى الاستفهام الانكارى النفى حسن بعده قوله تعالى (بل قالوا) اى هؤلاء العرب (مثل ما قال الاولون) من قوم نوح ومن بعدهم فقالوا ذلك تقليد الاولين ثم حكى الشبهة عنهم من وجهين أحدهما ماذكره بقوله تعالى (قالوا) اى منكرين البعث متعجبين من أمره (أئذا متنا وكنا) اى بالبلا بعد الموت (ترابا وعظاما) نخرة ثم أكدوا الانكار بقولهم (أئنا لمبعوثون) اى لمحشورون بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم يتأملوا انهم قبل ذلك ايضا كانوا ترابا فخلقوا * ثانيهما ماذكره بقوله تعالى انهم قالوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) اى البعث بعد الموت (من قبل) كأنهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه صلى الله عليه وسلم فقد وقع قديما من سائر الانبياء ولم يوجد مع طول العهد وظنوا ان الاعادة تكون فى دار الدنيا ثم قالوا (ان) اى ما (هذا الا أساطير) اى أكاذيب (الاولين) كالاضاحيك والاعاجيب جمع أسطورة بالضم وقيل جمع اسطار جمع سطر فالرؤبة ٥ انى وأسطار سطرن سطرا وهو ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له ولما انكروا البعث هذا الانكار الوكيد ونفوه هذا النفى الجازم أمره الله تعالى أن يقررهم بثلاثة أشياء هم مقرون ولها عارفون يلزمهم من تسليمها الاقرار بالبعث قطعا احدها قوله تعالى (قل) اى مجيبا لانكارهم البعث ملزما لهم (لمن الارض) اى على سعتها وكثرة عجائبها (ومن فيها) على كثرتهم واختلافهم (ان كنتم) اى عما هو كالجبلة لكم (تعلمون) اى أهلا للعلم

او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم الآية نفسهم

(فخراج ربك) اى رزقه فى الدنيا وثوابه فى العقبى (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن
عطائهم وقرأ ابن عامر بسكون الراء والباقون بفتحها وألف بعدها قال ابو عمرو بن العلاء الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه قال الزمخشرى والوجه ان الخرج اخص من الخراج
كقولك خراج القرية وخرج الكردة اى الرقبة فزيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت
قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك يعنى ام تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير
من عطاء الخالق خير وقوله تعالى (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه ولما نفى سبحانه
وتعالى طرق القوم اتبعه بصحة ما جاء به الرسول عليه السلام بقوله تعالى (وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم) تشهد عقولهم السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له فكأنه قال
لهم بالعقول الصحيحة من سلكه أوصله الى الغرض ففاز كل شرف * (تنبيه) * قد ألزمهم الله
تعالى الحجة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم فان الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره
وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى
يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل له سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم
ولم يدعهم الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم الا لازالة الكفر من أدرانهم وهو
اخلالهم بالتدبر والتأمل من غير برهان (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) اى بالبعث والثواب
والعقاب (عن الصراط) اى الذى لا صراط غيره لانه لا موصل الى القصد غيره (لناكبون) اى
عادلون منحرفون فى سائر أحوالهم سائرون على غير منهج أصلا بل خبط عشواء (ولو رحمناهم)
اى عاملناهم معاملة المرحوم فى ازالة ضره وهو معنى قوله تعالى (وكشفنا ما بهم من ضر) اى
جوع أصابهم بمكة سبع سنين (للجوا) اى عادوا وتمادوا (فى طغيانهم) الذى كانوا عليه قبل
هذا (يعمهون) اى يترددون (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا
على قريش أن يجعل عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت
الآباء بالسيف والابناء بالجوع فقد أكلوا القد والعظام والعلهز وشكا اليه الضر فادع
الله تعالى يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله تعالى هذه الآية * (تنبيه) *
العلهز وبر يخلط بدماء الحلم فيؤكل فى الجدب والحلم أيضا القراد الضخم وشكا بعض
الاعراب الى النبى صلى الله عليه وسلم السنة فقال

ولا شئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستسقى لرفع هذه المحن فقال الله تعالى عنهم (فما
استكانوا) اى خضعوا وانقادوا وهو كالجبلة لهم وأصله طلب السكون (لربهم) اى المحسن اليهم
عقب المحنة (وما يتضرعون) اى يجددون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع فى كل وقت
بحيث يكون لهم عادة بل هم على ما جبلوا عليه من الاستكبار والعتو (حتى اذا فتحنا عليهم
بابا ذا) اى صاحب (عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو
الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه) اى ذلك الباب مطرودون لا يقدرون منه على نوع

العشاء وفى الاخيرة من
بيوتكم

(من ولد) أي لا من الملائكة ولا من غيرهم لما قام من الأدلة على غناه وأنه لا مجانس له * ولما
كان الولد أخص من مطلق الشريك قال تعالى (وما كان معه) أي بوجه من الوجوه (من إله)
يشابهه في الإلهية (إذا) لو كان معه إله آخر (لذهب كل إله بما خلق) بالتصرف فيه وحده
ليتميز ماله مما لغيره (فإن قيل) إذا لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله
تعالى لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (أجيب) بأن الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه آلهة وإنما حذف لدلالة قوله تعالى وما كان معه من إله عليه وهو جواب
لمن معه المحاجة من المشركين (ولعلا بعضهم) أي بعض الآلهة (على بعض) إذا تخالفت
أوامرهم فلم يرض أحدهم أن يضاف ما خلقه إلى غيره ولا أن يمضي فيه أمر غيره لما
هو مقتضى العادة فلا يكون المغلوب إلها لعجزه ولا يكون مجيرا غير مجار عليه بيده وحده
ملكوت كل شيء ولما طابق الدليل الإلزامي في الشريك نزه نفسه الشريفة بما هو
نتيجة ذلك من قوله تعالى (سبحان الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن شائبة
كل نقص (عما يصفون) من كل ما لا يليق بجنابه المقدس من الأنداد والأولاد لما ساق من
الدليل على فساده ثم أقام دليلا آخر على كماله ووصفه بقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) أي
ما غاب وما شوهد وقرأ نافع وشعبة وحمزة والكسائي برفع الميم على أنه خبر مبتدأ محذوف
تقديره هو والباقون بالخفض على أنه صفة لله ثم رتب على هذا الدليل قوله تعالى (فتعالى)
أي تعاظم (عما يشركون) معه من الآلهة ثم إن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى (قل رب) أي أيها المحسن إلي (إما) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة
أي إن كان لا بد أن (تريني) بنون التوكيد الثقيلة للتأكيد (ما يوعدون) من العذاب في الدنيا
والآخرة (رب فلا تجعلني) بما سألتك (في القوم الظالمين) أي قرينا لهم في العذاب
(فإن قيل) كيف يجوز أن يجعل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم مع القوم الظالمين حتى
يطلب أن لا يجعله معهم (أجيب) بأنه يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله وأن يستعيذ به
مما علم أنه لا يفعله إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وإخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وسلم إذا
قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه
وإنما ذكر ربه مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزاء مبالغة في التضرع (وإنا) أي بما لنا
من العظمة (على أن نريك) أي قبل موتك (ما نعدهم) من العذاب (لقادرون) لكنا نؤخره
علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون وهو صادق بما قتل يوم بدر أو فتح مكة ثم كأنه قال
فماذا أفعل فيما أعلم من أمرهم فقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) أي من الأقوال والأفعال
بالصفح والمداراة (السيئة) أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال فهي منسوخة وقيل محكمة
لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى نقصان دين أو مروءة (نحن أعلم بما يصفون) في حقك
وحقنا فلو شئنا لمنعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب وليس أحد بأغير منا فاصبر كما صبر أولو العزم
من الرسل * ولما أدب سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يدفع بالتي هي أحسن
علمه ما يقوى على ذلك بقوله تعالى (وقل رب) أي أيها المحسن إلي (أعوذ بك) أي أحتمي بك

الاظهار فلم يذكره
عند الامام فكذا الوقوف

وفيه تنبيه على أنهم أنكروا شيئا لا ينكره عاقل ، ولما كانوا مقرين بذلك أخبر تعالى عن
جوابهم قبل جوابهم ليكون من دلائل النبوّة وأعلام الرسالة بقوله تعالى استئنافا
(سيقولون) اى قطعا ذلك كله (لله) اى المختص بصفات الكمال ثم انه تعالى أمره بقوله (قل)
اى لهم اذا قالوا لك ذلك منكرا عليهم (أفلا تذكرون) اى فى ذلك المركوز فى طباعكم المقطوع
به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر عظمته فتعلموا أن ما أخبر به من البعث الذى هو
دون ذلك وتعلموا أنه لا يصلح شئ منها وهو ملكه أن يكون شريكا له تعالى ولا ولدا وتعلموا ان
القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت وأنه لا يصح فى الحكمة أصلا أن يترك
البعث لأن أقلكم لا يرضى بترك حساب عبيده والعدل بينهم وقرأ حفص وحمزة والكسائى
بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء الثانية فى الذال ، ثانيها قوله تعالى (قل) اى لهم
(من رب) اى خالق ومدبر (السموات السبع) كما تشاهدون من حركاتها وسيرها وأفلاكها
(ورب العرش) اى الكرسى (العظيم) كما قال تعالى وسع كرسيه السموات والارض
(سيقولون لله) اى الذى له كل شئ هو رب ذلك لا جواب لهم غير ذلك ولما تأكد الامر وزاد
الوضوح حسن التهديد على التمادى فقال تعالى (قل) اى منكرا عليهم (أفلا تتقون) اى
تحذرون عبادة غيره ثالثها قوله (قل) أمر الله تعالى بعد ما قررهم بالعالمين العلوى والسفلى
أن يقررهم بما هو أعم وأعظم وهو قوله تعالى (من بيده) اى من تحت قدرته ومشيئته (ملكوت
كل شئ) من انس وجن وغيرهما والملكوت الملك البليغ قال ابن الاثير كانت العرب اذا كان
السيد فيهم أجار أحدا لا يخفر جواره وليس لمن دونه أن يجير عليه لئلا يفتات عليه ولو أجار
ما أفاد ولهذا قال تعالى (وهو يجير) اى يمنع ويغيث من يشاء فيكون فى حرز لا يقدر أحد على
الدنو من ساحته (ولا يجار عليه) اى ولا يمكن أحدا أبدا أن يجير جوارا يكون مستعليا عليه
بان يكون على غير مراده بل يأخذ من أراد وان نصره جميع الخلائق ويعلى من أراد وان
تحاملت عليه كل المصائب فتبين كالشمس أنه لا شريك له يعارضه ولا ولد ينازعه وأنه السيد
العظيم الذى لا أعظم منه الذى له الخلق والامر ولا معقب لحكمه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
ثم ألهبهم الى المبادرة الى الاعتراف به وهيجهم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون) اى فى عداد من
يعلم ولذلك استأنف قوله تعالى (سيقولون لله) اى الذى بيده ذلك خاصا به *(تنبيه)*
سيقولون لله الاولى لا خلاف فيها وأما الثانية والثالثة فقرأ أبو عمرو سيقولون الله بزيادة
همزة الوصل مع التفخيم فيهما ورفع الهاء والباقون بغير همز الوصل مع الترقيق وكسر الهاء
والتقدير ذلك كله لله ، ولما كان جوابهم بذلك يقتضى انكار توقفهم فى الاقرار بالبعث استأنف
قوله تعالى (قل) اى لهم منكرا عليهم (فأنى تسحرون) اى فكيف بعد اقراركم بهذا كله تخدعون
وتصرفون عن الحق وكيف يخيل لكم أنه باطل ، ولما كان الانكار بمعنى النفى حسن قوله
تعالى (بل) اى ليس الامر كما يقولون بل (أتيناهم بالحق) اى بالصدق من التوحيد والوعد
بالبعث (وانهم لكاذبون) فى كل ما ادعوه من الولد والشريك وغيرهما مما بين القرآن فساده
ومن أعظم كذبهم قولهم اتخذ الرحمن ولدا قال تعالى ردا عليهم (ما اتخذ الله) اى الذى لا كفء له

الآيتين بقوله يبين الله لكم الآيات وأما بلوغ

ى حاجز حائل بينهم وبين الرجعة واختلف في معناه فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو الموت وقيل هو القبر هم فيه (الى يوم يبعثون) وهو يوم القيامة وفي هذا اقناط كلي من الرجوع الى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة (فاذا نفخ في الصور) اى القرن وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها النفخة الاولى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض (فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان فمن كان له قبله حق فليأت الى حقه فيفرح المرء أن يكون له حق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منهم ثم قرأ ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عطاء عن ابن عباس أنها النفخة الثانية فلا انساب بينهم اى لا يتفاخرون بالانساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون بها في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن اى قبيل أنت ولم يرد أن الانساب تنقطع بينهم (فان قيل) قد قال تعالى هنا ولا يتساءلون وقال تعالى في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (أجيب) بأن ابن عباس قال ان للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفيقون افاقة فيتساءلون وقيل التساؤل بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (فمن ثقلت موازينه) اى بالاعمال المقبولة قال البقاعي ولعله جمع لان لكل عمل ميزانا يعرف أنه لا يصلح له غيره ولانه أدل دليل على القدرة (فأولئك) اى خاصة قال البقاعي ولعله جمع للاشارة بعد توحيد الضمير الى أن الافراد لا يدل على كثرة الاعمال او على عموم الوزن لكل فرد (هم المفلحون) اى الفائزون بالنجاة والدرجات العلا (ومن خفت موازينه) لاعراضه عن تلك الاعمال الصالحة الى الايمان (فأولئك) خاصة (الذين خسروا أنفسهم) لاضاعتهم زمانهم بابطال معانيهم من الاعمال وشغلها بما هو انهاك في مراتب الكمال وقوله تعالى (في جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لاولئك وهي دار لا ينفك أسيرها ولا ينطفئ سعيرها ثم استأنف قوله تعالى (تلفح) اى تغشى بشدة حرها وسمومها ولهيبها (وجوههم النار) فتحرقها وخصها لانها أشرف الاعضاء ويلزم من حرقها حرق غيرها من باب الاولى واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) اى عابسون قد شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته وقوله تعالى (ألم تكن آياتي) اى من القرآن على اضمار القول اى يقال لهم ألم تكن آياتي (تتلى عليكم) اى تتابع لكم قراءتها في الدنيا شيأ فشيأ (فكنتم بها تكذبون) ثم استأنف جوابه بقوله تعالى (قالوا ربنا) اى المحسن الينا (غلبت علينا شقوتنا) التي كتبتها علينا حيث صارت أحوالنا مؤدية الى سوء العاقبة (وكنا) اى بما جبلتنا عليه (قوما ضالين) اى دائبين عن

اقال لكم آياته بالافاضة البه (قوله) والقراءة من

(من همزات الشياطين) أي أن يصلوا إلى بوسواسهم وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض
شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي وأما جمع همزات لتنوع
الوسواس أو لتعدد المضاف إليه (وأعوذ بك رب) أي أيها المربي لي (أن يحضرون) في حال
من الأحوال خصوصا حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال وهم
إنما يحضرون بالسوء ولو لم تصل إلى وسواسهم فإن بعدهم بركة وعن جبير بن مطعم قال رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا أدري أي صلاة هي فقال الله أكبر كبيرا
ثلاثا الحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود ولأن
الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق والمتكبر ينتفخ ويتعاظم
ويجمع نفسه ويحتاج إلى أن ينفخ والموتة الجنون والجنون يصرع في الدنيا كالمتقدم أن
الله تعالى أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند
معاينة الموت بقوله تعالى (حتى) وهي هنا كما قال الجلال المحلي ابتدائية أو متعلقة بيصفون
أو بكاذبون كما قال الزمخشري وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال (إذا جاء
أحدهم الموت) فكشف له الغطاء وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق في شيء من
ذلك ارتياب (قال) متحسرا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة مخاطبا لملائكة العذاب
على عادة جهله ووقوفه مع المحسوس من دأب البهائم (رب ارجعون) أي ردوني إلى الدنيا
دار العمل ويجوز أن يكون الجمع لله تعالى وللملائكة أو للتعظيم على عادة مخاطبات الأكابر
سيما الملوك كقوله * ألا فارحموني يا إله محمد * وقوله * فإن شئت حرمت النساء سواكم * أو
القصد تكرير الفعل للتأكيد لأنه في معنى ارجعني كما قيل في قفا وأطرقا أنهما بمعنى قف قف
وأطرق أطرق * ولما كان في تلك الحالة مع وصوله إلى الغرغرة ليس على القطع من اليأس
قال (لعلي أعمل) أي لأكون على رجاء من أن أعمل (صالحا فيما تركت) أي ضيعت من
الإيمان بالله وتوابعه فيدخل فيه الأعمال البدنية والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم
إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما
على الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال قتادة ما تمنى أن يرجع
إلى أهله ولا عشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله
فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب وقال ابن كثير كان العلاء بن زياد
يقول لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت واستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى
* ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ولو رجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون قال الله تعالى ردعا وردا لكلامه (كلا) أي لا يكون شيء من ذلك
وكأنه قيل فما حكم ما قال فقيل (إنها كلمة) والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض رب ارجعون إلى آخره (هو قائلها) وقد عرف منه الخداع والكذب
فهي كما عهد منه لا حقيقة لها ولا إجابة إليها ولا تسمع منه وهو لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها
لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم (ومن ورائهم) أي أمامهم والضمير للجماعة (برزخ)

علم أنه تقرر واتصل بما قبله
بذلك لخصها بقوله حتى

كنتم تعدونه فاتونا (عدد سنين) أنتم فيها ظافرون ولاعدائكم قاهرون وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل كم بضم القاف وسكون اللام على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والباقون بفتح القاف واللام وألف بينهما خبرا وتقدم توجيهه وأظهر الثاء المثلثة عند التاء المثناة فوق نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها فيها الباقون (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) يشكون في ذلك (فان قيل) كيف يصح في جوابهم ان يقولوا ذلك ولا يقع من أهل النار الكذب (أجيب) بانهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا (فاسئل العادين) اى الملائكة المحصين أعمال الخلق وأعمارهم قال ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل قالوا ذلك تصغيرا لبثهم وتحقيرا له بالاضافة الى ما وقعوا فيه من دوام العذاب قال بعضهم

ألا ان أيام الشقاء طويلة ✽ كما ان أيام السرور قصار

وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين وترك الهمز بعدها وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ثم (قال) الله تعالى لهم على لسان الملك (ان) أى ما (لبثتم) أى في الدنيا (الا قليلا) لان الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أى في عداد من يعلم في ذلك الوقت لما آثرتم الفاني على الباقي ولاقبلتم على ما ينفعكم واتركتم أفعالكم التي لا يرضاها عاقل ولكنكم كنتم في عداد البهائم وقرأ حمزة والكسائي قل أمرا والباقون قال خبرا وتقدم مثله وتوجيهه قال وقيل ثم وبخهم الله تعالى على تغافلهم بقوله تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم) على ما لنا من العظمة وقوله تعالى (عبثا) حال أى عابثين كقوله لاعبين أو مفعول له أى ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي (و) حسبتم (أنكم الينا لا ترجعون) في الآخرة للجزاء وروى البغوي باسناده عن أنس أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم والباقون بضم الفوقية وفتح الجيم ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يقولونه ويصفه به المشركون بقوله تعالى (فتعالى الله) أى الذي له الجلال والجمال علوا كبيرا عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك) اى المحيط باهل مملكته علما وقدرة وسياسة وحفظا ورعاية (الحق) اى الذي لا يتطرق الباطل اليه في شئ في ذاته ولا في صفاته فلا زوال له ولا لملكه (لا اله الا هو) فلا يوجد له نظير أصلا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فهو متعال عن سمات النقص والعبث ثم زاد في التعيين والتأكيد والتفرد بوصفه بصفة لا يدعيها غيره بقوله تعالى (رب العرش) اى لسرير المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذا وصفه بالكرم فقال (الكريم) أو لنسبته الى أكرم الاكرمين ولما بين سبحانه وتعالى انه الملك الحق لا اله الا هو أتبعه بان من ادعى الها آخر فقد ادعى باطلا بقوله تعالى (ومن يدع مع الله) اى الملك الذي لا كفء له (الها آخر) يعبده (لا برهان له به) اى بسبب دعائه

القواعد من النساء ومن العاجز التجرد من الثياب

الحق أقوياء في موجبات الشقوة فكان سببا للضلال عن طريق السعادة (ربنا) يا من عودنا
بالاحسان (أخرجنا منها) أي من النار تفضلا منك على عادة فضلك وردنا الى دار الدنيا نعمل
ما يرضيك (فان عدنا) الى مثل ذلك الضلال (فانا ظالمون) لانفسنا ثم استأنف جوابهم
بأن (قال) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين كما يقال للكلب (اخسؤا) أي انزجروا
زجر الكلاب وانطردوا عن مخاطبتي ساكتين سكوت هوان (فيها) أي النار (ولا تكلمون)
أصلا فانكم لستم بأهل لمخاطبتي لانكم لم تزالوا متصفين بالظلم فيئس القوم بعد ذلك ولا
يتكلموا بكلمة الا الزفير والشهيق والعواء كعواء الكلاب وقال القرطبي اذا قيل لهم ذلك
انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض فأطبقت عليهم وعن ابن عباس ان لهم ست
دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون
ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض
علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألفا ربنا أخرجنا منها فيجابون أولم تكونوا أقسمتم
فينادون ألفا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألفا رب ارجعون فيجابون
اخسؤا فيها ولا تكلمون ثم لا يكون لهم الا الزفير والشهيق والعواء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انه
كان) أي كونا ثابتا (فريق) أي ناس قد استضعفتموهم (من عبادي) وهم المؤمنون (يقولون)
مع الاستمرار (ربنا) أي أيها المحسن الينا بالخلق والرزق (آمنا) أي أوقعنا الايمان بجميع
ما جاءتنا به الرسل (فاغفر لنا) أي استر لنا زللنا (وارحمنا) أي افعل بنا فعل الراحم (وأنت خير
الراحمين) لانك تخلص برحمتك من كل شقاء وهوان (فاتخذتموهم) أي فتسبب عن ايمانهم ان
اتخذتموهم (سخريا) أي تسخرون منهم وتستهزؤن بهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين
والباقون بالكسر وهو مصدر سخر كالسخر الا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل
الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور من الهزء والمضموم من
السخرة والعبودية أي تسخرونهم وتستعبدونهم قال الزمخشري والاول مذهب الخليل
وسيبويه انتهى وأظهر الذال عند التاء ابن كثير وحفص والباقون بالادغام (حتى أنسوكم
ذكري) أي بان تذكروني فتخافوني وأضاف ذلك اليهم لانهم كانوا السبب فيه لفرط اشتغالهم
بالاستهزاء بهم (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم نزلت في كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ولما تشوقت
النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم الى جزائهم قال الله تعالى (اني جزيتهم اليوم) أي بالنعيم
المقيم (بما صبروا) أي على عبادتي ولم يشغلهم عنها أذاكم لهم باذاكم كما يشغلكم عنها التلذذ كم
باهانتهم ففازوا دونكم وهو معنى قوله تعالى (انهم هم الفائزون) أي بمطلوبهم الناجون
من عذاب النار وقرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها
على أنه مفعول ثان لجزيتهم ثم ان الله تعالى (قال) لهم على لسان الملك المأمور بسؤالهم
تبكيتا وتوبيخا لانهم كانوا يظنون أن بعد الموت يدوم الفناء ولا اعادة فلما حصلوا في النار
وأيقنوا انها دائمة وانهم فيها مخلدون سألهم (كم لبثتم في الارض) على تلك الحال في الدنيا التي

النساء الآية وان ذلك
كيف أباح الله تعالى بذلك

بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ثانيها قوله تعالى
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ثالثها ان الله تعالى أوجب المائة فيه بكمالها بخلاف
حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما اللاتي
في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فسخط الله سبحانه
وتعالى وسوء الحساب وعذاب النار وعن عبد الله قال قلت يا رسول الله اي الذنب أعظم
عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك
قلت ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك فأنزل الله تعالى تصديقا لذلك والذين لا يدعون مع الله
الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون والزنا ايلاج حشفة أو قدرها
من مقطوعها من الذكر المتصل الاصلي من الآدمي الواضح ولو أشل وغير منتشر وكان ملفوفا
في خرقة بقبل محرم في نفس الامر لعينه خال عن الشبهة المسقطة للحد مشتهى طبعا ان كان
فرج آدمي حي ولا يشترط ازالة البكارة حتى لو كانت غوراء وأدخل الحشفة فيها ولم يزل بكارتها
ترتب عليه حد الزنا بخلاف التحليل لا بد فيه من ازالة البكارة لقوله صلى الله عليه وسلم
حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك واختلفوا في اللواط هل يطلق عليه اسم الزنا أو لا فقال
بعضهم يطلق عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان والذي عليه
اكثر أصحابنا أنه غير داخل تحت اسم الزنا لانه لو حلف لا يزني فلاط لم يحنث والحديث محمول
على الاثم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان وللشافعي في حده
قولان أصحهما أن الفاعل ان كان محصنا فانه يرجم والا يجلد مائة ويغرب عاما وأما المفعول
فلا يتصور فيه احصان فيجلد ويغرب والقول الثاني يقتل الفاعل والمفعول به سواء كان
محصنا أم لا لما روي عن ابن عباس انه قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول
به وأما اتيان البهائم فحرام باجماع الأمة واختلفوا في عقوبته على أقوال أحدها أنه زنا فيجب
الحد على المحصن ويجلد غيره ويغرب والثاني أنه يقتل محصنا كان أو غير محصن لما روي عن ابن
عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه والثالث
وهو الأصح انه يعزر لان الحد شرع للزجر عما تميل النفس اليه وضعفوا اسناد حديث ابن عباس
بضعف اسناده وهو ان ثبت فهو معارض بما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح
الحيوان الا لأكله وأما السحاق من النساء واتيان المرأة الميتة والاستمناء باليد فلا يشرع فيه
شيء من ذلك الا التعزير والمقيم للحد هو الامام أو نائبه وللسيد أن يقيم الحد على رقيقه ولا تجوز
الشفاعة في اسقاط الحد ولا تركه ولا تخفيفه كما قال تعالى (ولا تأخذكم) اي على اي حال من
الاحوال (بهما رأفة) اي رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة
والباقون بسكونها والسوسي على أصله من البدل وقيل المعنى لا رأفة ان تخففوا الضرب
(في دين الله) اي الذي شرعه لكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها روي ان عمر رضي الله عنه جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها
فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال يا بني ان الله تعالى لم يأمرني بقتلها وقد

(قوله) المراد بالثياب الالته لي ما سبق من

ذلك إذا اجتهد في إقامة برهان على دعواه ثم ذكر أن من قال ذلك جزاؤه العقاب العظيم
قوله تعالى (فإنما حسابه) أي جزاؤه الذي لا يمكن زيادته ولا نقصه (عند ربه) أي الذي رباه
ولم يربه أحد سواه الذي هو أعلم بسره وعلانيته فلا يخفى عليه شيء من أمره ولما افتتح
السورة بقوله قد أفلح المؤمنون ختمها بقوله (إنه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعدون فشتان
ما بين الفاتحة والخاتمة ولما شرح الله تعالى أحوال الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في
الآخرة أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالانقطاع إليه والالتجاء إلى غفرانه
ورحمته بقوله تعالى (وقل رب) أي أيها المحسن إلي (اغفر وارحم) أي أكرم من هذين
الوصفين (وأنت خير الراحمين) فمن رحمته أفلح من وفقه لامتثال ما أمرت به أول
السورة فكان من المؤمنين وكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فقد
انطبق على الأول هذا الآخر بفوز كل مؤمن وخيبة كل كافر نسأل الله تعالى أن يكون لنا
ولوالدينا ولأحبابنا أرحم راحم وخير غافر إنه المتولي للسرائر والمرجو لصلاح الضمائر
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المؤمنين
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت حديث موضوع
وقوله أيضا تبعا للزمخشري روي أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل
بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح قال شيخنا ابن حجر
حافظ عصره لم أجده

غيرة الرجل

سورة النور مدنية

(وهي ثنتان أو أربع وستون آية)

(بسم الله) الذي تمت كلمته فبهرت قدرته (الرحمن) الذي طهرت آلاؤه وكلماته فشملت رحمته
(الرحيم) الذي شرف من اختاره بجنان معرفته قوله تعالى (سورة) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه
سورة أي عظيمة أو سورة أنزلناها مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوحينا إليك
سورة أنزلناها وقال الأخفش لا يبعد الابتداء بالنكرة فسورة مبتدأ وأنزلناها خبره ثم رغب
في امتثال ما فيها مبينا أن تنوينها للتعظيم قوله تعالى (أنزلناها) أي بما لنا من العظمة
وتمام العلم والقدرة (وفرضناها) أي قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبنا ما فيها عليكم وعلى
من بعدكم إلى قيام الساعة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة الفروض والباقون
بالتخفيف (وأنزلنا فيها آيات) من الحدود والأحكام والمواعظ والأمثال وغيرها (بينات) أي
واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) أي تتعظون وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف
الذال والباقون بالتشديد ثم إنه تعالى ذكر في السورة أحكاما كثيرة فالحكم الأول قوله تعالى
(الزانية والزاني) أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيهما موصولة وهو مبتدأ ولشبهه
بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أي ضربة يقال
جلده إذا ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر ولا رجم
عليه لأنه لا يتنصف واعلم أن الزنا من الكبائر ويدل عليه أمور أحدها أن الله تعالى قرنه

بعد ثلاثة أيام من مقدمه عليهم فقال يا أهل الكوفة قد علمنا شراركم من خياركم فقالوا كيف وما لك إلا ثلاثة أيام فقال كان معنا شرار وخيار فانضم خيارنا إلى خياركم وشرارنا إلى شراركم وعن الشعبي أنه قال إن لله ملكا موكلا يجمع الأشكال بعضها إلى بعض وقال القائل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ۞ فكل قرين بالمقارن يقتدي

فإن قيل لم قدمت الزانية على الزاني أولا ثم قدم عليها ثانيا (أجيب) بأن تلك الآية سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه لأنه الراغب فيه والخاطب ومنه يبدو الطلب (وحرم ذلك) أي نكاح الزاني والزانية تحريما للأشد وبتغيره (على المؤمنين) واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم منهم مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا أموال لهم ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية وحرم ذلك على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن رايات يعرفن بهن منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل منهم النبي صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت أن تنفق عليه فنزلت هذه الآية وروى عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد علي شيئا فنزلت الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها علي وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود بألفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم منهم سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزان أو مشرك وقال يزيد بن هارون إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وعن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية وإذا باشرها كان زانيا وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان أبدا وقال الحسن الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود وقال سعيد بن المسيب وجماعة منهم الشافعي رحمه الله تعالى إن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية فنسخها الله تعالى بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم وهو جمع أيم وهي من لا زوج لها فدخلت

قوله ولا على [illegible] قرابة [illegible] أنهم كانوا [illegible] أنفسهم

ضربت فأوجعت ثم انه سبحانه وتعالى زاد في الحض على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم تؤمنون بالله) اي الذي هو أرحم الراحمين فانه ما شرع ذلك الا رحمة للناس عموما وللزانين خصوصا فلا تزيدوا في الحد ولا تنقصوا منه شيأ وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له أنت أرحم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة اقامة حد بأرض خير من مطر أربعين ليلة ثم اتبع ذلك بما يرهبه بقوله تعالى (واليوم الآخر) الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير والخفي والجلي (وليشهد) أي وليحضر (عذابهما) أي حدهما اذا أقيم عليهما (طائفة من المؤمنين) والطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كأنها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله تعالى وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد أقلها رجل فصاعدا وقيل رجلان وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها الزنا ولا يجب على الامام حضور رجم ولا على الشهود لانه صلى الله عليه وسلم امر برجم ماعز والغامدية ولم يحضر رجمهما وانما خص المؤمنين بالحضور لان ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس الى أربعين رجلا من المصدقين بالله ٭(تنبيه)٭ الضرب يكون بسوط لا جديد يجرح ولا خلق لا يؤلم ويفرق بين السياط على اعضائه ولا يجمعها في موضع واحد واتفقوا على انه يتقي المهالك كالوجه والبطن والفرج ويضرب على الراس لقول ابي بكر رضي الله عنه اضرب على الراس فان الشيطان فيه ولا يشد يده وينزع الثياب التي تمنع ألم الضرب كالفرو ولو فرق سياط الحد تفريقا لا يحصل به التنكيل مثل ان يضرب كل يوم سوطا او سوطين فان فرق وضربه والالم موجود كفى وان وجب الحد على حامل لا يقام عليها حتى تضع وترضعه حتى يقطم ويستحب ان يحفر للمرأة الى صدرها ان ثبت زناها بالبينة لا بالاقرار ولا يحفر للرجل مطلقا وان وجب الحد على المريض نظر ان كان يرجى زواله كصداع انتظر والا جمع كالزمانة فلا يؤخر ولا يضرب بالسياط بل بعثكال عليه مائة شمراخ فيقوم ذلك مقام جلده واما في حال الحر والبرد الشديدين فان كان الحد رجما لم يؤخر لان النفس مستوفاة وان كان جلدا أخر الى اعتدال الهواء ويقبل رجوع الزاني عن اقراره ولو في أثناء الحد واذا مات في الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ٭ الحكم الثاني قوله تعالى (الزاني لا ينكح) اي لا يتزوج (الا زانية أو مشركة) اي المعلوم اتصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية أو مشركة (والزانية لا ينكحها) اي لا يتزوجها (الا زان أو مشرك) اي والمعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان أو مشرك اذ الغالب أن المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والانضمام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وقال بعضهم الجنسية علة الضم والمشاكلة سبب المواصلة والمخالفة توجب المباعدة وتحرم المؤالفة وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وعن علي رضي الله تعالى عنه انه خطب أهل الكوفة

وجه التعبير بقاعدا لكثرة قعودها اه اب

اى بعد التوبة بمضى مدة يظن بها حسن الحال وهى سنة يعتبر بها حال التائب بالفصول الاربعة
التى تكشف الطبائع (فان الله) اى الذى له صفات الكمال (غفور) اى ستور لهم ما اقدموا
عليه لرجوعهم عنه (رحيم) اى يفعل بهم من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم فى قبول الشهادة
وقبلت شهادته سواء قبل الحد او بعده وزال عنه اسم الفسق وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى
رد الشهادة والى الفسق ويروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وجمع من الصحابة وبه قال مالك
والشافعى وذهب قوم الى ان شهادة المحدود فى القذف لا تقبل ابدا وان تاب وقالوا الاستثناء
يرجع الى قوله واولئك هم الفاسقون ويروى ذلك عن النخعى وشريح وبه قال اصحاب الرأى
قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعى هو قبل ان يحد شر منه حين يحد لان
الحدود كفارات فكيف يردونها فى احسن حاليه وذهب الشعبى الى ان حد القذف يسقط
بالتوبة (فان قيل) اذا قلتم بالاول فما معنى قوله تعالى ابدا (اجيب) بان معناه ابدا ما دام مصرا
على القذف لان ابد كل انسان مدته على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا يراد
بذلك ما دام على كفره فاذا اسلم قبلت شهادته * (تنبيهان) * الاول الاقرار بالزنا يثبت بشهادة
رجلين او اربع كالزنا فيه قولان لانه مما يثبت برجلين بخلاف فعل الزنا لانه [illegible]
الاطلاع عليه واذا شهد على فعل الزنا يجب ان يذكر الزانى ومن زنى بها لانه قد يراه على
جارية له فيظنه زنا ويجب ان يقول الشهود رأيناه ادخل ذكره فى فرجها او ان يقول
دخول المرود فى المكحلة لكن قوله ذلك اولى او شهدوا واطلقوا انه زنى لم يثبت الا انهم ربما
يرون المفاخذة زنا ويشترط ايضا ان يفسر فى اقراره كالشهود ويصح رجوعه عن الاقرار
ولو قبل اتمام الحد كما مر ولا فرق فى قبول الشهادة بين ان يجىء الشهود متفرقين او مجتمعين كما
قاله الشافعى وقال ابو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف ولو شهد على
الزنا اقل من اربعة او اربعة وفيهم الزوج لم يثبت الزنا وعليهم الحد لان شهادة الزوج لا تقبل
فى حق زوجته قال ابن الرفعة فى الكفاية [illegible]
الزوج فان الزانى يستمتع بالمنافع المستحقة له فشهادته [illegible]
على ما هو مستحق له فلم تسمع كما لا تسمع شهادته [illegible] والثانى [illegible]
فنفس شهادته دالة على اظهار العداوة لان زناها [illegible]
وعلى ولده وهو ابلغ من الم الضرب وفاحش السب ولو قذفه رجل [illegible]
على المقذوف بالزنا يحد والا سقط الشهادة بالزنا فوجدت عند القاضى [illegible]
شهادتهم لاجل التهمة كما اعتبرنا التهمة فى الحد من الشهود [illegible]
اعتبارها فى الحد عنهم ولما كان قذف المحصنات عاما للرجال وكان للزوج حكم غير
ما تقدم وهو الحكم الرابع افرده بقوله (والذين يرمون) اى بالزنا (ازواجهم) اى من
المؤمنات والكافرات الحرائر والاماء (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون على صدق ما قالوه
(الا انفسهم) اى غير انفسهم وهذا ربما يفهم انه اذا كان الزوج احد الاربعة لا يكفى وهذا
المفهوم معطل لكونه حكاية حال واقعة لا شهود فيها وقوله تعالى فى الآية قبلها ثم لم يأتوا
باربعة شهداء فانه يقتضى كون الشهداء غير الرامى بالزنا وله [illegible] استثناهم من الشهداء لان

فانتفاء المصرح عن اكل الانسان من بقية معلوم

الزانية في أيامى المسلمين واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتي لا تمنع يد لامس قال طلقها قال فاني أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره أمسكها اذا وقد أجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه ضرب رجلا وامرأة زنيا وحرص أن يجمع بينهما فأبى الغلام ولما نفر سبحانه وتعالى عن نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأة نهى عن الرمي به فقال تعالى (والذين يرمون) أي بالزنا (المحصنات) جمع محصنة وهي هنا الحرة المكلفة العفيفة وهذا هو الحكم الثالث والذي يدل على أن المراد الرمي بالزنا أمور أحدها تقدم ذكر الزنا ثانيها أنه تعالى ذكر المحصنات وهن العفائف فدل ذلك على أن المراد بالرمي رميها بضد ذلك ثالثها انعقاد الاجماع على انه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هو الرمي بالزنا ابتداء قوله تعالى (ثم لم يأتوا) أي الى الحكام (بأربعة شهداء) أي ذكور ومعلوم ان هذا العدد من الشهود غير شرط الا في الزنا وشرط القاذف الذي يحد بسبب القذف التكليف والاختيار والتزام الاحكام والعلم بالتحريم وعدم اذن المقذوف وأن يكون غير أصل وألفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فمن الصريح قوله لرجل أو امرأة زنيت او زنيت او يا زاني او يا زانية ولو كسر التاء في خطاب الرجل وفتحها في خطاب المرأة او زنيت في الجبل ومن الكناية زنات وزنأت في الجبل بالهمز فان نوى بذلك القذف كان قذفا والا فلا ومن التعريض يا ابن الحلال واما انا فلست بزان فهذا ليس بقذف وان نواه (فان قيل) اذا كان ذلك القذف يشمل الذكر والانثى فلم كانت الآية الكريمة في الاناث فقط (اجيب) بان الكلام في حقهن أشنع ونبه على عظم حق أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها وحد القاذف الحر ثمانون كما قال تعالى (فاجلدوهم) اى أيها المؤمنون من الائمة ونوابهم (ثمانين جلدة) لكل واحد منهم لكل محصنة وحد القاذف الرقيق ولو مبعضا أو مكاتبا أربعون جلدة على النصف من الحر لآية النساء (فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) فهذه الآية مخصوصة بذلك اذ لا فرق بين الذكر والانثى ولا بين حد الزنا وحد القذف ويدل على ان المراد بالآية الاحرار قوله تعالى (ولا تقبلوا لهم) اى بعد قذفهم (شهادة) اى شهادة كانت (أبدا) للحكم بافترائهم لان العبد لا تقبل شهادته وان لم يقذف ولما كان القذف برأيهم قد اقدموا عطف عليه تحذيرا من الاقدام عليه من غير تثبت (وأولئك) اى الذين تقدم ذمهم بالقذف فنزلت رتبتهم جدا (هم الفاسقون) اى المحكوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف وان كان القاذف صادقا في نفس الامر وفي ذلك دليل على ان القذف من الكبائر لان اسم الفسق لا يقع الا على صاحب كبيرة واختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء المذكور في قوله (الا الذين تابوا) اى رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وغيره وندموا عليه وعزموا على ان لا يعودوا (من بعد ذلك) اى الامر الذي أوجب ابعادهم فذهب قوم الى ان القاذف ترد شهادته بنفس القذف فاذا تاب وصلح حاله كما قال تعالى (وأصلحوا)

بيوتكم) اى من بيوت أولادكم وعيالكم والا

بالله الخ لان اللعان يمين واليمين لا يعتد بها قبل استحلاف القاضي وان غلب فيه معنى الشهادة
فهي لا تؤدى عنده الا باذنه وان تأخر لعانها عن لعانه لان لعانها لاسقاط الحد الذي وجب
عليها بلعان الزوج كما علم مما مر ويلاعن أخرس باشارة مفهمة أو كتابة ويكرر كلمة الشهادة
أربعا أو يكتبها مرة ويشير اليها أربعا ويصح اللعان بالعجمية وان عرف العربية ويشترط
الولاء بين الكلمات الخمس فيؤثر الفصل الطويل ولا يشترط الولاء بين لعاني الزوجين ولو
أبدل لفظ شهادة بحلف ونحوه أو لفظ غضب بلعن أو عكسه أو ذكره قبل تمام الشهادة لم يصح
ذلك ويصح ان يتلاعنا قائمين وان يغلظ اللعان بزمان وهو بعد عصر جمعة فيؤخر اليه ان لم
يكن طلب أكيد والا فبعد عصر أي يوم كان وبمكان وهو أشرف بلد اللعان فبمكة بين الركن
الأسود والمقام وهو المسمى بالحطيم وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس عند الصخرة وبغيرها على
منبر الجامع وتلاعن حائض بباب المسجد وذمي في بيعة النصارى وكنيسة اليهود وبيت نار
مجوس لا بيت أصنام وثني لانه لا حرمة له وقرأ حفص والخامسة الاخيرة
بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع بتخفيف النون ساكنة وكسر الضاد ورفع الهاء من
الاسم الجليل والباقون بتشديد النون مفتوحة ونصب الضاد وفتح الهاء ولما حرم
سبحانه وتعالى بهذه الجمل الاعراض والانساب فصانت بذلك الدين والاموال علم أن التقدير
فلولا أنه سبحانه خير الغافرين وخير الراحمين لما فعل بكم ذلك ولفضح المذنبين وأظهر سرائر
المتقين وفسد النظام فعطف على هذا الذي علم تقديره قوله تعالى (ولولا فضل الله) أي
بما له من الكرم والاتصاف بصفات الكمال (عليكم ورحمته) أي بكم بالستر في ذلك (وأن الله)
أي الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلما (تواب) بعود بالتوبة في ذلك وغير ذلك (حكيم) يحكم
الامور فيتقنها ومن الحكمة بما علم من عواقب الامور لفضح كل عاص ولم يوجب أربعة شهود
ستر الكرم ولما ختم حكم القاذف قصة الافك المذكورة في قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالافك) أي
أسوأ الكذب سمي افكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم أفك الشيء اذا صرفه عن جهته
وذلك أن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبويها كانت تستحق الثناء لما كانت عليه من
الحصانة والشرف والعفة والكرم فمن رماها بسوء فقد قلب الامر عن أحسن وجوهه الى
أقبح أضداده (فان قيل) لم ترك تسميتها (أجيب) بأنه ترك تنزيها لها عن هذا المقال وابعادا
لصون جنابها العلي عن هذا المراد وقوله تعالى (عصبة) خبر ان أي جماعة أقلهم عشرة
وأكثرهم أربعون وكذا العصابة وقوله تعالى (منكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وأبي بكر وعائشة وصفوان من بعضكم فعبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة
وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى (لا تحسبوه
شرا لكم) مستأنف أي لا تنشأ منه فتنة ولا يوجد أحد (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به
الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وظهور كرامتكم على الله تعالى بانزال ثمان
عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم
خيرا كل واحد منها مستقل بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتبرئة
لأم المؤمنين رضوان الله تعالى عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به

قوله والسلام اى من الله علينا وعلى عباد الله

انه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي أنه لا يقبل في ذلك كما تقدم (فشهادة أحدهم)
أي فالواجب شهادة أحدهم على من رماها أو فعليهم شهادة أحدهم (أربع شهادات) من
خمس في مقابلة أربعة شهداء (بالله) أي مقرونة بهذا الاسم الكريم الأعظم الموجب
لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال (انه لمن الصادقين) أي فيما قذفها به وقرأ حفص
وحمزة والكسائي برفع العين على أنه خبر شهادة والباقون بنصبها على المصدر (والخامسة أن
لعنت الله) أي الملك الأعظم (عليه) أي القاذف نفسه (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به
وقرأ نافع بتخفيف ان ساكنة ورفع لعنة والباقون بتشديد النون مفتوحة ونصب لعنة
ورسمت لعنة بتاء مجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقون
بالتاء واذا وقف الكسائي أمال الهاء . ولعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه
وحصول الفرقة بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا
وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا
على المرأة بقوله تعالى (ويدرأ) أي يدفع (عنها) أي المقذوفة (العذاب) أي المعهود وهو
الحد الذي أوجبه عليها كما تقدم (أن تشهد أربع شهادات) من خمس (بالله) الذي له جميع
الأسماء الحسنى والصفات العليا كما تقدم في الزوج (انه لمن الكاذبين) فيما قاله عليها
(والخامسة) من الشهادات (أن غضب الله) الذي له الأمر كله (عليها ان كان من الصادقين)
أي فيما رماها به روى البخاري في تفسيره وغيره عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته
عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حد
في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو حد في ظهرك فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني
لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين
يرمون أزواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهما
فجاآ فقام هلال بن أمية فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول والله يعلم أن أحدكما كاذب فهل
منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة أوقفوها وقالوا انها موجبة قال ابن
عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت
وقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الاليتين خدلج
الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من
كتاب الله لكان لي ولها شأن وقد روى البخاري أيضا عن سهل بن سعد أن سبب نزول الآية
مثل هذا لعويمر رضي الله عنه وقد تقدم أنه لا يمتنع أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب معا
أو متفرقة * (تنبيه) * خصت المرأة بالغضب لأنه أبلغ من اللعن الذي هو الطرد لأنه قد يكون
بسبب غير الغضب وسبب التغليظ عليها الحث على اعترافها بالحق لما يصدق الزوج من
القرينة من أنه لا يتجشم فضيحة أهله المستلزم لفضيحته الا وهو صادق ولأنها مادة الفساد
وخالطة الأنساب ويشترط في اللعان أمر القاضي وتلقينه كلماته في الطرفين فيقول قل أشهد

(قوله فاذا دخلتم بيوتا) اى
سلموا على أنفسكم) اى

مسطح حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها
بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه أولم تسمعي ما قال قالت وما قال فأخبرتني
بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا أريد أن أستيقن الخبر من
قبلهما قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي فقلت لامي يا أماه ماذا يتحدث
الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر
الا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى
أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستأمرهما ويستشيرهما في فراق أهله
قالت فأما أسامة فأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في
نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا وأما علي فقال
يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت والذي بعثك بالحق ان
رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي
الداجن فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي
ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل
قد بلغني أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا وما
يدخل على أهلي الا معي قالت فقام سعد أخو بني عبد الاشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فان
كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام
سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن حملته الحمية فقال
لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن تقتله فقام
أسيد بن حضير ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك ٣ منافق
تجادل عن المنافقين قال فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا
وسكت قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي
وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى اني لأظن أن البكاء فالق كبدي
فبينما أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست
تبكي معي قالت فبينما نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس
قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأني بشيء قالت
فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا
وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان
العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقالته قلص دمعي حتى لا أحس منه قطرة فقلت لأبي أجب رسول الله فيما قال فقال اني والله

ان لم يكن بها احد والا
فقولوا السلام عليكم اه قوله

قوله ٣ منافق هكذا
في الاصول والذي في صحيح
البخاري قال بالمنافقين اه
مصححه

فلم تجعه أذناه وعدة الطاف للسامعين والقائلين الى يوم القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها ولما كان لا شفاء لغيظ الانسان أعظم من انتصار الملك الديان له عال ذلك بقوله تعالى (لكل امرئ منهم) أى الآفكين (ما اكتسب) أى بخوضه فيه (من الاثم) الموجب لشقائه (والذى تولى كبره) اى معظمه (منهم) اى من الخائضين وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو هو وحسان ومسطح فانهما تابعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين على هذا (له عذاب عظيم) فى الآخرة أو فى الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشل اليدين ومسطح مكفوف البصر

(تنبيه) قصة الافك مروية فى الصحيح والسنن وغيرهما شهيرة جدا ولكن نذكر منها طرفا تبركا بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وبذكر السيدة عائشة وأبويها رضى الله تعالى عنهم فنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل فى هودج وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين فآذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى واذا عقد لى من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون أنى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعد ما سار الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن معطل السلمى ثم الذكوانى رضى الله تعالى عنه قد عرس من وراء الجيش فادلج فأصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى كبر الافك منهم عبد الله بن أبى ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ولا أشعر بشىء من ذلك وهو يريبنى فى وجعى انى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى فيه ولا أشعر بالشر حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول فى البرية وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فأقبلت أنا وأم

الصالحين فان الملائكة ترد عليكم هذا

حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبا * نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل شين وباطل

وان كان ما بلغت عني قلته * فلا رفعت سوطي الي اناملي

فكيف وودي ما حييت ونصرتي * لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس فضلها * تقاصر عنها سورة المتطاول

[illegible] القدر كفاية لاولي الالباب فان في هذه القصة عبرة لمن اعتبر فان أهل الافك استمروا ف[illegible]
[illegible] من شهر والله تعالى عالم بما يقولون وان قولهم يكاد يقطع الاكباد فاحب سبحانه الله [illegible]
[illegible] قادر على تكذيبهم عند اول ما خاضوا فيه ولكنه سبحانه اراد للناس رفع الدرجات
[illegible] من الهلكات ولا باس ببيان غريب هذه الالفاظ التي وقعت في هذه القصة من كلام
[illegible] وغيرها قولها اذن اي اعلم بالرحيل وقولها فقدت عقدا لي من جزع اظفار هو نوع
[illegible] وهو الجزع اليماني المعروف وقولها لم يهبلن اي لم يكثر عليهن من اللحم فيثقلن
[illegible] انما ياكلن العلقة من الطعام وهو بضم العين اي البلغة من الطعام وهي قدر
[illegible] الرمق وقولها ليس بها منهم داع ولا مجيب اي ليس بها احد لا من يدعو ولا من يرد
[illegible] وقولها فيممت اي قصدت وقولها قد عرس من وراء الجيش فادلج المعرس من نزل
[illegible] بالليل للراحة والادلاج بالتشديد سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله وقولها
[illegible] استرجاعه هو قول القائل انا لله وانا اليه راجعون وقولها خمرت اي غطيت وجهي بجلبابي
[illegible] ازاري وقولها موغرين في نحر الظهيرة [illegible]
[illegible] قولها والناس يفيضون اي يخوضون ويتحدثون [illegible]
[illegible] اي تشككني وقولها لا ارى من النبي اللطف اي الرفق [illegible]
[illegible] في الاقوال الافعال الكلام وقولها حين نقهت اي افقت من المرض والمناصع [illegible]
[illegible] قضاء الحاجة [illegible]
[illegible] وقولها تعس مسطح اي شقي وقولها يا هنتاه اي يا بلهاء [illegible]
[illegible] المعرفة وقولها لا يرقا اي لا ينقطع وقول بريرة ان رايت عليها امرا اغمصه [illegible]
[illegible] اي اعيبه والداجن الشاة التي تالف البيت [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم من يعذرني اي [illegible]
[illegible] على ذلك وقولها ولكن احتملته الحمية اي حملته [illegible]
[illegible] قرابة وقولها فتثاور الحيان اي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة وقولها فلم يزل يخفضهم
[illegible] عليهم ويسكت وقوله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت [illegible]
[illegible] الذنوب قبل [illegible] مفارقة لذنب من غير فعل وقولها قلص دمعي اي انقطع جريانه قولها ما رام
اي ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والجمانة الدرة [illegible] وقولها فسري عنه اي كشف
عنه وقول زينب احمي سمعي وبصري اي امنعهما ان اخبر بما لم اسمع ولم ابصر وقولها

[illegible] (قلت) [illegible]

ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأمي أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما قال فقالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ
من القرآن كثيرا والله لقد علمت ما سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن
قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقوني
فوالله لا أجد لي ولا لكم مثلا إلا ما قال العبد الصالح أبو يوسف ولم أذكر اسمه حين قال فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم حينئذ أني
بريئة والله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحيا يتلى لشأني
في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه عند
الوحي من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل الذي أنزل
عليه فسجي بثوب فوالله ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت أن نفسي أبوي
ستخرجان فرقا من أن يأتي الله بتحقيق ما قال الناس فلما سري عنه وهو يضحك فكان أول
كلمة تكلم بها أن قال ابشري يا عائشة قد برأك الله فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي
قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي
لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه وأنزل الله تعالى إن الذين جاؤوا العشر آيات كلها فقال
أبو بكر والله لا أنفق على مسطح بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل
منكم إلى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه بلى والله إني لأحب أن يغفر الله
لي فرجع النفقة إلى مسطح التي كان ينفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت
أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا قالت عائشة وهي التي
تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت عائشة والله إن الرجل
الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت كنف أنثى قط قالت ثم
قتل بعد ذلك في سبيل الله تعالى قالت ولما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
ذلك وتلا القرآن وضرب عبد الله بن أبي ومسطحا وحسان وحمنة الحد قال عروة وكانت
عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال

فإن أبي ووالده وعرضي ٭ لعرض محمد منكم وقاء

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب وأنكر قوم أن يكون حسان خاض في الإفك
وجلد فيه وروي عن عائشة أنها برأته من ذلك انتهى وقال غيره والله لا أظن بذلك أصلا
وإن ثبت تسميته في الصحيح فقد خفي الثقة لأسباب لا تحصى كما يعرف ذلك من مارس نقل
الأخبار وكيف يظن به ذلك ولا شغل له إلا مدح النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه والذم
لأعدائه وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل معه وهو القائل يمدح عائشة ويكذب
من نقل عنه ذلك

يحذر الذين يخالفون عن
(٥) ه ان قالت كيف

الى كذب الخائضين فى هذا الكلام وأنهم استحقوا اللام قال عاطفا على لولا المحضضة التى للتحضيض (ولولا) التى هى لامتناع الشئ لوجود غيره (فضل الله) أى المحيط بصفات الكمال (عليكم ورحمته) أى معاملته لكم بمزيد الانعام والاكرام اللازم للرحمة (فى الدنيا) بقبول التوبة والمعاملة بالحلم (والآخرة) بالعفو عمن يريد أن يعفو عنه منكم (لمسكم) أى عاجلكم (فيما أفضتم) اى أيها العصبة اى خضتم (فيه) من حديث الافك (عذاب عظيم) أى يحتقر معه اللوم والجلد * (فائدة) * فى مقطوعة فى الرسم من ما كما ترى ثم بين تعالى وقت حلول العذاب وزمان تعجيله بقوله تعالى (اذ) أى مسكم حين (تلقونه) أى تجتهدون فى تلقى أى قبول هذا الكلام الفاحش والقائه (بالسنتكم) أى يرويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم كان يلقى الرجل فيقول بلغنى كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وحذفت من الفعل احدى التاءين (وتقولون بأفواهكم) أى كلاما مختصا بالافواه فهو كلام لا حقيقة له فلا يمكن ارتسامه فى القلب بنوع دليل وأكد هذا المعنى بقوله تعالى (ما ليس لكم به علم) أى بوجه من الوجوه وتنكيره للتحقير (فان قيل) القول لا يكون الا بالفم فما معنى قوله تعالى بأفواهكم (أجيب) بان معناه أن الشئ المعلوم يكون علمه فى القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور فى أفواهكم من غير ترجمة عن علم به فى القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم (وتحسبونه) بدليل سكوتكم عن انكاره (هينا) أى لا اثم فيه (وهو) أى والحال أنه (عند الله) أى الذى لا يبلغ أحد مقدار عظمته (عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مرتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله تعالى عظيم (ولولا) أى وهلا ولم لا (اذ) أى حين (سمعتموه قلتم) من غير توقف ولا تلعثم (ما يكون) أى ما ينبغى وما يصح (لنا أن نتكلم بهذا) أى القول المخصوص ويجوز أن تكون الاشارة الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم فضلا عن اختارها العليم الحكيم لصحبة أكمل الخلق (فان قيل) كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم (أجيب) بان الظروف تنزل من الشئ منزلة نفسه لوقوعه فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها (فان قيل) اى فائدة فى تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (أجيب) بان الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قيل) ما معنى يكون والكلام بدونه ملتئم لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (أجيب) بان معناه ينبغى ويصح أى ما ينبغى لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا كما تقدم تقريره ونحوه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق وقوله تعالى (سبحانك) تعجب من أن يتلفظ ذلك بالبال فى حال من الاحوال (فان قيل) ما معنى التعجب فى كلمة التسبيح (أجيب) بان الاصل فى ذلك أن يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه وقيل تنزيه له تعالى عن أن يرضى بظلم هؤلاء القذفة وعن أن لا يعاقبهم وعن أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة قال البيضاوى فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فانه لا ينفر اى ولهذا كانت امرأة نوح ولوط كافرتين وهذا

أو غير متعلقة بتحدثوا
وقلتم ويحسبونه

وهي التي كانت تساميني من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله تعالى اي منعها الله من
الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف انثى اي ستر انثى وقول حسان في عائشة
حصان بفتح الحاء اي محصنة اي عفيفة رزان اي ثابتة ماتزن اي ترمى ولا تتهم بريبة اي
امر يريب الناس وتصبح غرثى اي خائفة الموت والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة
والمعنى انها لا تغتاب احدا ممن هو غافل وقرأ وتحسبونه ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح
السين والباقون بكسرها ولما أخبر سبحانه وتعالى بعقاب اهل الافك وكان في المؤمنين من
سمعه وسكت وفيهم من سمعه فتحدث به متعجبا من قائله أو مستثبتا في أمره وفيهم من اكذبه
اتبعه سبحانه وتعالى بعتابهم في أسلوب خطابهم مثنيا على من كذبه فقال سبحانه وتعالى
محرضا (لولا) أي هلا ولم لا (اذ) أي حين (سمعتموه) أيها المدعون للايمان (ظن
المؤمنون) أي منكم (والمؤمنات) وكان الاصل ظننتم أي أيها العصبة ولكنه التفت الى
الغيبة تنبيها على التوبيخ وصرح بالنساء ونبه على الوصف المقتضي لحسن الظن تخويفا للذي
ظن السوء من سوء الخاتمة (بانفسهم) حقيقة (خيرا) وهم ومن كذب عليها قطعوا ببراءتها
لان الانسان لا يظن في الناس الا ما هو متصف به أو باخوانهم لان المؤمنين كالجسد الواحد
وذلك نحو ما روي ان أبا أيوب الانصاري قال لام أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل
صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة
ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (وقالوا هذا افك
مبين) أي كذب بين (فان قيل) هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل
عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر (أجيب) بان ذلك مبالغة في التوبيخ على
طريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دالا على ان الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق
مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن
اذا سمع قالة في أخيه أن يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه
بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته لا يقول كما يقول المستيقن
المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من
يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخوانه ثم علل سبحانه وتعالى كذب الآفكين أن قال
موبخا لمن اختلقه وأذاعه ملقنا لمريديه الى ظن الخير (لولا) أي هلا ولم لا (جاؤا عليه باربعة
شهداء) كما تقدم أن القذف لا يباح الا بها (فاذ) أي فحين (لم يأتوا بالشهداء) أي
الموصوفين (فاولئك) أي البعداء من الصواب (عند الله هم الكاذبون) فقد جعل الله التفصلة
بين الرمي الصادق والرمي الكاذب بثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفائها والذين رموا
عائشة لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته
كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم
بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا
قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بام المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب رب العالمين ولما بين الله سبحانه وتعالى العادل

قال المصنف يعرض
يعدل فهذا لعله

وحفص بمد الهمزة والباقون بقصرها (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات) أى طرق (الشيطان) بتزيينه أى لا تسلكوا مسالكه فى اشاعة الفاحشة ولا فى غيرها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) أى المتبع (يأمر بالفحشاء) أى بالقبائح من الافعال (والمنكر) أى ما أنكره الشرع وهو كل ما يكرهه الله تعالى وقرأ قنبل وابن عامر وحفص والكسائى بضم الطاء والباقون بالسكون (ولولا فضل الله) أى الذى لا الفضل لغيره (عليكم ورحمته) أى بكم بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وتشريع الحدود المكفرة لها (ما زكى) أى ما طهر من ذنبها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله أنه لولا فضل الله ورحمته ما صلح منكم من أحد وقال ابن عباس الخطاب للذين خاضوا فى الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذى فعل بالتوبة منه (ولكن الله) أى الملك بأعمال الخلق (يزكى) أى يطهر (من يشاء) من الذنوب بقبول التوبة منها (والله سميع) أى لأقوالهم (عليم) أى بما فى قلوبهم (ولا يأتل) أى يحلف افتعال من الألية وهى القسم (أولوا الفضل) أى أصحاب الغنى (منكم والسعة أن) أى أن لا (يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا) عنهم فى ذلك (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم قال المفسرون نزلت هذه الآية فى أبى بكر رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وكان يتيما فى حجره وكان ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط قال له أبو بكر [illegible] واستضعفكم وكفى بذلك داعيا الى [illegible] أشد عليه مما اذا صدرت الاساءة من أجنبى قال الشاعر

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

فقال له مسطح أنشدك الله والاسلام والقرابة [illegible] ذنب فقال ألم تتكلم فقال قد كان بعض ذلك عجبا من قول حسان [illegible] أيها القوم فان الله لم يجعل لكم عفوا ولا فرجا [illegible] من الارض وآسى من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (والله غفور رحيم) أى مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر لى فذهب أبو بكر الى بيته وأرسل الى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله على الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذ سخط الله عليكم أما اذ عفا عنكم فمرحبا بكم وجعل له مثل ما كان له وقال والله لا أنزعها أبدا وذلك من أعظم أنواع المجاهدات ولا شك أن هذا أعظم من مقاتلة الكفار لان هذا مجاهدة مع النفس وذاك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة النفس أشد من مجاهدة الكفار ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (ان الذين يرمون المحصنات) أى العفائف (الغافلات) أى عن الفواحش وهن السليمات الصدور النقيات القلوب بأن لا يقع فى قلوبهن فعلها اللاتى ليس

يقتضي حل نكاح الكتابية مع أنهم الا فضل له صلى الله عليه وسلم لانهن يكرهن صحبته ولانه اشرف
من أن يضع ماءه في رحم كافرة بنكاح ولقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم ولا يجوز أن تكون
الكافرة أم المؤمنين ونظر بما التثنية في أن لا أزوج الا من كانت معي في الجنة فأعطاني رواه
الحاكم وصحح اسناده اما التسري بالكافرة فلا يحرم لانه صلى الله عليه وسلم تسرى بريحانة
وكانت يهودية من بني قريظة ولا يشكل تعليلهم السابق من أنه اشرف أن يضع ماءه في رحم
كافرة لان القصد بالنكاح اصالة التوالد فاحتيط له وبأنه يلزم منه ان تكون الزوجة المشركة
ام المؤمنين بخلاف الملك فيهما (هذا بهتان) أي كذب يبهت من يواجه به ويحيره لشدة
ما يفعل في القوى الباطنة لانه في غاية الغفلة عنه لكونه أبعد الناس منه ثم هونه بقوله
(عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها * ولما كان هذا
كله وعظا لهم واستصلاحا ترجمه بقوله (يعظكم الله) أي يرقق قلوبكم الذي له الكمال كله فيمهل
بحلمه ولا يهمل بحكمته (أن) أي كراهة أن (تعودوا لمثله أبدا) أي ما دمتم أحياء مكلفين ثم عظم
هذا الوعظ بقوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) أي متصفين بالايمان راسخين فيه فانكم
لا تعودون فان الايمان يمنع منه وهذا تهييج وتقريع لانه يخرج عن الايمان كما تقول المعتزلة
(فان قيل) هل يجوز أن يسمى الله واعظا لقوله تعالى يعظكم الله (أجيب) بانه لا يجوز كما
قاله الرازي قال كما لا يجوز أن يسمى الله معلما لقوله تعالى الرحمن علم القرآن لان أسماء الله
تعالى توقيفية (ويبين الله) أي بما له من صفات الكمال والاكرام (لكم الآيات) أي الدالة
على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا (والله) أي المحيط بجميع الكمال (عليم)
أي بما يأمر به وينهى عنه (حكيم) لا يضع شيأ الا في أحكم مواضعه وان دق عليكم فهم ذلك
فلا تتوقفوا في أمر من أوامره * ولما كان من أعظم الوعظ بيان ما يستحقه المذنب من
العقاب بينه بقوله تعالى (ان الذين يحبون) أي يريدون وعبر بالحب اشارة الى أنه لا يرتكب
هذا مع شناعته الا محب له ولا يحبه الا بعيد عن الاستقامة (أن تشيع) أن تنتشر بالقول
أو بالفعل (الفاحشة) الفعلة الكبيرة القبح (في الذين آمنوا) أي فيشيعونها عليهم وهم العصبة
وقيل المنافقون (لهم عذاب أليم في الدنيا) أي بالحد والقذف (والآخرة) أي بالنار لحق الله
تعالى ان لم يتب (والله) أي المستجمع لصفات الجلال والجمال (يعلم) أي له العلم التام فهو يعلم
مقادير الاشياء ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة في اظهاره أو ستره أو غير ذلك من جميع الامور
(وأنتم لا تعلمون) أي ليس لكم علم من أنفسكم فاعملوا بما علمكم فلا تتجاوزوه ولا تقولوا وقيل
معناه يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع الفاحشة فيجازيه عليه وأنتم لا تعلمون ذلك وقيل والله
يعلم انتفاء الفاحشة عنهم وأنتم أيها العصبة لا تعلمون وجودها فيهم وقوله تعالى (ولولا فضل
الله عليكم ورحمته) أي بكم تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة
ولذا عطف عليه (وأن الله) أي الذي له القدرة التامة فسبقت رحمته غضبه (رؤف رحيم) على
حصول فضله ورحمته وجواب لولا محذوف كأنه قال لعذبكم واستأصلكم لكنه رؤف
رحيم قال ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح وحمنة قال الرازي ويجوز أن يكون الخطاب
عاما وقيل الجواب في قوله تعالى ما زكى منكم من أحد وقرأ رؤف نافع وابن كثير وابن عامر

أو تعدلون أو هي زائدة على قول الاخفش

بالاحصان والغفلة والايمان ولذا قيل ان هذا حكم كل قاذف ما لم يتب (فان قيل) ما معنى قوله
تعالى هو الحق المبين (أجيب) بان معناه ذو الحق المبين اى العادل الظاهر العدل الذى لا ظلم
فى حكمه والمحق الذى لا يوصف بباطل ومن هذه صفته كان له أن يجازى المحسن على احسانه
والمسيء على اساءته فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه وقرأ شعبة وحمزة والكسائى بالياء
التحتية والباقون بالفوقية ويوم ناصبه الاستقرار الذى تعلق به لهم وقرأ أبو عمرو يوفيهم
الله بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائى بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم
هذا كله فى الوصل وأما الوقف فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم (الخبيثات) اى من النساء
والكلمات (للخبيثين) من الناس (والخبيثون) اى من الناس (للخبيثات) اى مما ذكر
(والطيبات) اى مما ذكر (للطيبين) اى من الناس (والطيبون) اى منهم (للطيبات) اى مما
ذكر فالاولى بالخبيث مثله وبالطيب مثله (أولئك) اى الطيبون والطيبات من النساء ومنهم
صفوان وعائشة (مبرؤن مما يقولون) اى الخبيثون والخبيثات من النساء وقيل عائشة
وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع كقوله تعالى فان كان له اخوة أى اخوان (لهم) اى الطيبين
والطيبات من النساء على الاول وصفوان وعائشة على الثانى (مغفرة) اى عفو عن الذنوب
(ورزق كريم) هو الجنة وروى ان عائشة رضى الله تعالى عنها كانت تفتخر باشياء أعطيتها
لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل عليه السلام أتى بصورتها فى سرقة من حرير وقال للنبى
صلى الله عليه وسلم هذه زوجتك وروى انه أتى بصورتها فى راحته ومنها أنه صلى الله عليه وسلم
لم يتزوج بكرا غيرها ومنها أنه قبض صلى الله عليه وسلم ورأسه الشريف فى حجرها ومنها انه
دفن فى بيتها ومنها انه كان ينزل عليه الوحى وهو معها فى لحاف ومنها ان براءتها نزلت من
السماء ومنها أنها ابنة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلقت طيبة ووعدت
مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق رحمه الله تعالى اذا روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قال
حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء الحكم
السادس ما ذكر بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) اى التى
تسكنونها فان الآجر والمعير لا يدخلان الا باذن وقرأ ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء
الموحدة والباقون بكسرها وفى قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وجهان أحدهما أنه من
الاستئناس الظاهر الذى هو خلاف الاستيحاش لان الذى يطرق باب غيره لا يدرى أيؤذن له
أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أذن له فقد استأنس والمعنى حتى يؤذن لكم
كقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان
هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثانى أن يكون من
الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشئ اذا أبصره ظاهرا
مكشوفا والمعنى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس
هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا اى تعرفت واستعلمت وقال الخليل بن أحمد الاستئناس
الاستبصار من قولهم آنست نارا أى أبصرت وقيل هو أن يتكلم بالتسبيحة والتكبيرة
والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت وعن أبى أيوب الانصارى قال يا رسول الله ما الاستئناس

فهن دهاة ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العارفات قال في ذلك القائل متغزلا

ولقد لهوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعني على اسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وقيل البله هم الراضون بنعيم الجنة والفطناء لم يرضوا الا بالنظر الى وجهه الكريم (المؤمنات) بالله ورسوله (لعنوا في الدنيا والآخرة) اى عذبوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن ابي ابن سلول المنافق وروي انه قيل لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة فقال ذلك لعائشة رضي الله تعالى عنها خاصة قال الزمخشري ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر ان الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة رضوان الله عليها ولا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم تنزل الا هذه الثلاث آيات لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) اى من قول وفعل وهو يوم القيامة بما افكوا وبهتوا فانه تعالى يوفيهم جزاءهم الحق كما قال تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) اى جزاءهم الواجب الذي هم اهله (ويعلمون) عند ذلك (ان الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر عظيم وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد فقال تعالى وشهد شاهد من اهلها الآية وبرأ موسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها عليه الصلاة والسلام حين نادى (١) من حجرها اني عبد الله الآية وبرأ عائشة رضي الله تعالى عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتامل كيف غضب الله تعالى له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه وقال قوم ليس لمن قذف عائشة وبقية ازواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة لان الله تعالى لم يذكر في قذفهن توبة وما ذكر من اول السورة فذلك في قذف غيرهن (فان قيل) ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات (اجيب) بانها لما كانت ام المؤمنين جمعت ارادتها وارادة بناتها من نساء الامة الموصوفات

(١) قوله من حجرها كذا بالنسخ والذي في الكشاف من مهدها مصحح

بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس
وعن أبي عبيد رحمه الله تعالى ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها
من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وعن قتادة رحمه الله
تعالى اذا لم يؤذن له لا يقعد وراء الباب فان للناس حاجات وان حضر ولم يستأذن وقعد على
الباب منتظرا جاز وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتي باب الانصاري لطلب الحديث
فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو أخبرتني فيقول هكذا أمرنا ان نطلب العلم فاذا وقف فلا ينظر من شق الباب
اذا كان الباب مردودا لما روي عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اطلع في بيت قوم فقد حل لهم أن يفقؤا عينه وفي رواية للنسائي قال لو ان امرأ اطلع عليك
بغير اذن فخذفته فقأت عينه ما كان عليك جناح ولو عرض أمر في دار من حرق أو هدم
أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره جاز الدخول بغير اذن (والله) اي الذي لا يخفى
عليه شئ (بما تعملون) من الدخول باذن وبغير اذن (عليم) فيجازيكم عليه * ولما نزلت آية
الاستئذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق
ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) اي اثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة)
اي بغير استئذان منكم وذلك كبيوت الخانات والربط المسبلة (فيها متاع) اي منفعة
(لكم) والمنفعة فيها النزول وأنواع المتاع والاتقاء من الحر والبرد ونحو ذلك وقال ابن زيد
هي بيوت التجار وحوانيتهم التي بالاسواق يدخلها للبيع والشراء وهو المنفعة وقال ابراهيم
النخعي ليس على حوانيت السوق اذن وكان ابن سيرين اذا جاء الى حانوت
السوق يقول السلام عليكم أأدخل ثم يلج وقال عطاء هي البيوت الخربة والمتاع هو قضاء
الحاجة فيها من البول والغائط وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المذكورة
وغيرها (والله يعلم ما تبدون) اي تظهرون (وما تكتمون) اي تسترون في [illegible]
من قصد صلاح أو غيره وفي ذلك وعيد لمن يدخل الخانات لفساد او اطلاع على [illegible]
وسيأتي حكم ما اذا دخلوا بيوتهم سلموا على أنفسهم [illegible] أواخر هذه السورة الكريمة
قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) اي عما لا يحل لهم النظر اليه (ويحفظوا فروجهم)
اي عما لا يحل لهم فعلها بها * (تنبيه) من للتبعيض والمراد غض البصر عما لا يحل له [illegible]
والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش ان تكون من زائدة وأباه سيبويه (فان قيل) لم دخلت
من في غض البصر دون حفظ الفرج (أجيب) بان ذلك دلالة على ان أمر النظر
اوسع بدليل جواز النظر للمحارم فيما عدا ما بين السرة والركبة وأما أمر الفروج فالامر
فيه مضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر الا ما استثنى منه وحظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز
ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن
من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد به الاستتار (فان قيل) لم قدم غض البصر على
حفظ الفرج (أجيب) بان البلوى فيه أشد وروي عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله
تعالى عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك وعن

قال ان يتكلم الرجل (وتسلموا على أهلها) كأن يقول الواحد السلام عليكم أأدخل ثلاث
مرات فان أذن له دخل والا رجع قال قتادة المرة الاولى للتسميع والثانية ليتهيأ والثالثة
ان شاء أذن وان شاء رد وهذا من محاسن الآداب فان أول مرة ربما منعهم بعض الاشتغال
من الاذن وفى الثانية ربما كان هناك مانع يقتضى المنع فان لم يجب فى الثالثة يستدل
بعدم الاذن على مانع ولهذا كان الاولى فى الاستئذان ثلاثا أن لا تكون متصلة بل يكون بين
كل واحدة والاخرى وقت ما ولا بد من اذن صريح اذا كان الداخل أجنبيا أو قريبا غير
محرم وسواء كان الباب مغلقا أم لا وان كان محرما فان كان ساكنا مع صاحبه فيه لم يلزمه
الاستئذان ولكن عليه أن يشعر بدخوله بتنحنح أو شدة وطء او نحو ذلك لينستر العريان فان
لم يكن ساكنا فان كان الباب مغلقا لم يدخل الا باذن وان كان مفتوحا فوجهان والاوجه
الاستئذان وعن أبى موسى الاشعرى انه أتى باب عمر فقال السلام عليكم أأدخل قالها
ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثا واستأذن رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال
لها روضة قومى الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أأدخل
فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته
حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فصد
الله عز وجل عن ذلك وعلم ما هو الاحسن الاجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس
كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك فبينا أنت
فى بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا الاسلام ولا جاهلية
وهو ممن يسمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية
(ذلكم خير لكم) اى من تحية الجاهلية ومن أن تدخلوا من غير استئذان روى ان رجلا
قال للنبى صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن
عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن وقوله تعالى (لعلكم
تذكرون) متعلق بمحذوف اى أنزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتتعظوا
وتعملوا بما أمرتم به فى باب الاستئذان وقرأ حفص وحمزة والكسائى بتخفيف الذال
والباقون بالتشديد (فان لم تجدوا فيها) اى البيوت (أحدا) يأذن لكم فى دخولها (فلا
تدخلوها حتى يؤذن لكم) اى حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول فيها ليس
الاطلاع على العورات فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التى تطويها الناس فى
العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف فى ملك غيرك فلا بد أن
يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب (وان قيل لكم ارجعوا) اى بعد الاستئذان
(فارجعوا) اى اذا كان فى البيت أحد وقال لكم ارجعوا فارجعوا (هو) اى الرجوع
(أزكى) اى أطهر وأصلح (لكم) من الوقوف على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب
الكراهة ويقدح فى قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوى مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة
واذا نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدى اليها من قرع الباب

أو كتان وقيل هو الإزار وقيل هو الدرع وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وعاصم بضم الجيم
والباقون بكسرها وكرر قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن) لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له
أي الزينة الخفية التي لم يبح لهن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين
(إلا لبعولتهن) أي فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الفرج
ولو الدبر ولكنه يكره وقال ابن عباس لا تضعن الجلباب والخمار عن الأزواج (أو
آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني
أخواتهن) فيجوز لهؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الخفية ولا ينظروا إلى ما بين السرة والركبة
والتسامح في الزينة الخفية لأولئك المذكورين في الآية لحاجة الضرورة الداعية إلى مخالطتهم
وقلة الطمع والفتنة من جهتهم ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج
المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك (أو نسائهن) أي المؤمنات فإن
الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال فلا يجوز للمسلمة أن تتجرد بين يديها [illegible] النساء
الكافرات لأنهن أجنبيات عن الدين فكن كالرجال الأجانب فلا يجوز أن ترى الكافرة
منها ما يبدو عند المهنة وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل
الكتاب أن يدخلن الحمامات مع المسلمات وقيل النساء كلهن والأمة في ذلك [illegible]
(تنبيه) العورة على أربعة أقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة
المرأة مع الرجل وعورة الرجل مع المرأة فأما الرجل مع الرجل فيجوز أن ينظر إلى جميع بدنه إلا
ما بين السرة والركبة وكذلك المرأة مع المرأة وأما المرأة مع الرجل والرجل مع المرأة
فلا ينظر أحدهما من الآخر شيئا وقيل يجوز النظر إلى وجهها وكفيها إذا أمن
الفتنة ولم تكن شهوة وقيل يجوز لها أن تنظر منه ما بين [illegible]
أراد أن يخطب امرأة أن ينظر وجهها وكفيها [illegible]
المرأة لو كانت [illegible] أن يتزوج بها [illegible]
أن ينظر بشهوة ويحرم النظر [illegible]
ويباح النظر من الأجنبية لمعاملة وشهادة [illegible]
والولادة والحاجة الداعية إلى الرضاع [illegible]
حرم نظره [illegible] من رجل أو امرأة [illegible]
امرأتين في ثوب واحد إذا كانا عاريين وإن كان كل منهما في جانب من الفراش لخبر مسلم
ويجب التفريق بين ابن عشر سنين وأخيه وأخته في المضجع إذا كانا عاريين وتسن مصافحة
الرجلين والمرأتين لخبر ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا وتكره
مصافحة من به عاهة كجذام أو برص والمعانقة والتقبيل في الرأس إلا لقادم
من سفر أو تباعد عهد وسن تقبيل الطفل ولو لغيره شفقة ولا بأس بتقبيل وجه الميت
الصالح وسن تقبيل يد الحي لصلاح أو علم أو زهد أو نحو ذلك ويكره لغنى أو وجاهة أو نحو
ذلك وقوله تعالى (أو ما ملكت أيمانهن) يعم الإماء والعبيد فيحل نظر العبد العفيف غير
المبعض والمشترك والمكاتب إلى سيدته العفيفة لما روى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم أتى

بريدة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة
النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية أخرجه أبو داود والترمذي وعن أبي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل
ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة
في ثوب واحد (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج (أزكى) أي خير (لهم) لما فيه من البعد
عن الريبة سئل الشيخ الشبلي رحمه الله تعالى عن قوله تعالى يغضوا من أبصارهم فقال أبصار
الرؤوس عن المحرمات وأبصار القلوب عن المحرمات ثم أخبر سبحانه وتعالى بأنه خبير بأحوالهم
وأفعالهم بقوله تعالى (إن الله) أي الملك الذي لا يخفى عليه شيء (خبير بما يصنعون) بأبصارهم
وحواسهم وجوارحهم فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة
وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن)
عما لا يحل لهن فعله بها روي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كنت عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك
بعد ما أمر بالحجاب فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه وقوله تعالى (ولا يبدين)
أي يظهرن (زينتهن) أي الخفية والزينة خفية وظاهرة فالخفية مثل الخلخال والخضاب
في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها
ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة مواضعها من البدن وذكر الزينة للمبالغة
في الأمر بالصون والستر لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها
(إلا ما ظهر منها) أي من الزينة الظاهرة واختلف أهل العلم في هذه الزينة التي استثناها
الله تعالى فقال سعيد بن جبير والضحاك هي الوجه والكفان وقال ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه هي الثياب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الكحل والخاتم والخضاب
في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للأجنبي النظر إليها إن لم يخف فتنة في أحد
وجهين وعليه الأكثر وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لأنه ليس بعورة في
الصلاة وسائر بدنها عورة فيها ولأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء
بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر
إلى المشي في الطرقات وخاصة الفقيرات والوجه الثاني يحرم لأنه محل الفتنة ورجح حسما
للباب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع
فإن جيوبهن كانت واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر
من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد
بالجيوب الصدور تسمية لها باسم ما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب بالنون والصاد
أي سليم الصدر وقولهم ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط إذا
وضعتها عليه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يرحم الله تعالى نساء المهاجرات لما أنزل الله
وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها والمرط كساء من صوف أو خز

ما قوله فيما يعرض هذه التوبة (أجيب) بأن بعض العلماء قال إن من أذنب ذنبا ثم تاب منه لزمه
كلما ذكره أن يجدد التوبة لأنه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه على عدم العود إلى أن يلقى
الله تعالى والذي عليه الأكثر أنه لا يلزمه تجديدها وعن أبي بردة أنه سمع الأغر يحدث ابن
عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب
إلى ربي كل يوم مائة مرة وعن ابن عمر قال إنا كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور مائة مرة وعن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه
وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم
سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة [illegible] وللمشايخ [illegible] المقام [illegible]
المقتضي للإطالة [illegible] الشقة الموقوفة [illegible] فيه ما [illegible]
فيه [illegible] (وأنكحوا الأيامى
منكم) [illegible] الأيامى والثاني [illegible] والأ[illegible]
[illegible]
[illegible]

أي [illegible] الشباب [illegible] أي بالرجع [illegible]
[illegible] أو [illegible] في حالة التزوج [illegible] وإن كمه [illegible] صلى الله
عليه وسلم [illegible] والأجر [illegible] والقرم [illegible]
[illegible] والأعقة [illegible] النكاح [illegible]
الأحرار [illegible] هم [illegible] (والصالحين [illegible]
من [illegible] (وإمائكم) [illegible]
[illegible] النكاح [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم قال [illegible]
[illegible]
لأن [illegible] من الصلاة [illegible] الأ[illegible]
[illegible] النكاح [illegible] الذي [illegible]
[illegible]
[illegible] التائق إن فقد [illegible] وجدها [illegible]
[illegible] وجدها ولا [illegible] فالأفضل [illegible] النكاح [illegible] لم
[illegible] فالنكاح أفضل من [illegible] لقوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن
سنتي النكاح وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له مال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلى الله
عليه وسلم إذا تزوج أحدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه والأحاديث
في ذلك كثيرة وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة وعنه صلى الله عليه
وسلم إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤس

فاطمة رضي الله تعالى عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا
غطت رجليها لم يبلغ رأسها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم وما تلقى قال صلى الله عليه وسلم
انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وعن عائشة انها قالت لعبدها ذكوان انك
اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وأما المبعض والمشترك والمكاتب
فكالاجنبي بل قيل ان المراد بالآية الاماء وعبد المرأة كالاجنبي وبه قال ابن المسيب آخرا
وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء (أو التابعين) أي الذين يتبعون القوم ليصيبوا
من فضل طعامهم (غير أولي الاربة) أي أصحاب الحاجة الى النساء (من الرجال) أي ليس لهم
همة الى ذلك ولا حاجة لهم في النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهن وقيل هم شيوخ
صلحاء اذا كانوا معهن غضوا أبصارهم وقيل هم الممسوحون سواء كان حرا أم لا وهو ذاهب
الذكر والانثيين أما ذاهب الذكر فقط أو الانثيين فقط فكالفحل وعن أبي حنيفة لا يحل
امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم قال الزمخشري فان قلت روي أنه أهدي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوى الا حديث مكشوف
وان صح فلعله قبله ليعتقه أو لسبب من الاسباب انتهى وعند الشافعية ذلك اذ لا مانع
منه وقيل المراد بأولي الاربة هو المخنث وقرأ ابن عامر وشعبة بنصب الراء على الاستثناء
والحال والباقون بكسرها على الوصفية وقوله تعالى (أو الطفل) بمعنى الاطفال وضع
الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبينه ما بعده وهو قوله تعالى (الذين لم يظهروا) أي لم
يطلعوا (على عورات النساء) للجماع فيجوز لهن أن يبدين له ما عدا ما بين السرة والركبة
قال امام الحرمين رحمه الله تعالى اذا لم يبلغ الطفل حدا يحكي ما يراه فكالعدم أو بلغه من
غير شهوة فكالمحرم أو بشهوة فكالبالغ (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)
وذلك ان المرأة كانت تضرب برجلها الارض ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل
كانت تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم أنها ذات خلخالين فنهين عن ذلك لان ذلك
يورث ميلا في الرجال واذا وقع النهي عن اظهار صوت الحلي فموضع الحلي أبلغ في النهي
وأوامر الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه
واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك قال تعالى (وتوبوا الى الله) أي الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات (جميعا أيه المؤمنون) أي مما وقع لكم من النظر الممنوع
منه ومن غيره وشروط التوبة أن يقلع الشخص عن الذنب ويندم على ما مضى منه ويعزم
على ان لا يعود اليه ويرد الظلامة لاهلها وقرأ ابن عامر في الوصل أيه المؤمنون بضم الهاء
لانها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت
حركتها حركة ما قبلها والباقون بفتحها وأما الوقف فوقف أبو عمرو والكسائي بالالف بعد الهاء
ووقف الباقون على الهاء ساكنة (لعلكم تفلحون) أي تفوزون من ذلك بقبول التوبة منه وفي
الآية تغليب الذكور على الاناث وعن ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية
لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة (فان قيل) على هذا قد صحت التوبة بالاسلام لانه يجب

كاتبه فأبى فأنزل الله هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين
ها وقتل يوم حنين في الحرب وأركانها أربعة رقيق وصيغة وعوض وسيد وشرط في السيد
مختار أهل تبرع وولاء وكتابة المريض مرض الموت محسوبة من الثلث فإن خلف مثلي
صحت الكتابة في كله أو مثل قيمته صحت في ثلثيه أو لم يخلف غيره صحت في ثلثه وشرط
رقيق اختيار وعدم صبا وجنون وأن لا يتعلق به حق آدمي لازم وشرط في الصيغة لفظ
يشعر بالكتابة كأن يقول السيد لعبده كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فإذا
أديتهما فأنت حر فيقول المكاتب قبلت ذلك فلا يصح عقدها إلا مؤجلا منجما بنجمين فأكثر كما
جرى عليه الصحابة فمن بعدهم فلا بد من بيان قدر العوض وصفته وعدد النجوم وقسط كل
نجم فلا تجوز عند الشافعي رضي الله تعالى عنه بنجم واحد ولا حالا لأن العبد لا يملك شيئا
فعقدها حالا يمنع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا وعند أبي حنيفة
رضي الله تعالى عنه تجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا
على سائر العقود وهي سنة لا واجبة وإن طلبها الرقيق لئلا يتعطل أثر الملك وتحكم المماليك
على الملاك بطلب رقيق أمين قوي على الكسب وبهما فسر الشافعي الخير في الآية واعتبرت
الأمانة لئلا يضيع ما يحصله فلا يعتق والطلب والقدرة على الكسب ليوثق بتحصيل النجوم
ولأنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والناكح
العفاف والمجاهد في سبيل الله فإن فقدت هذه الشروط أو بعضها فهي مباحة إذ لا يقوى
رجاء العتق بها ولا تكره بحال لأنها عند فقدها قد تفضي إلى العتق ثم إن كان الرقيق
فاسقا بسرقة أو نحوها وعلم سيده أنه لو كاتبه مع العجز عن الكسب اكتسب بطريق الفسق
[illegible] قيل لتضمنها التمكين من الفساد وتصح على عوض قليل وكثير ويجب أن
يحط عنه قبل عتقه شيء متمول من النجوم أو يدفعه إليه من جنسها أو من غيرها كما قال تعالى
(وآتوهم) أمر للسادة (من مال الله الذي آتاكم) ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم
السادة وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه بل الحط أولى من الدفع لأن القصد
بالإيتاء الإعانة على العتق وهي محققة في الحط موهومة في الدفع إذ قد يصرف المدفوع في جهة
أخرى وكونه في النجم الأخير أولى منه فيما قبله لأنه أقرب إلى العتق وروي أن عمر رضي
الله تعالى عنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الإسلام فأتاه بأول نجم
فدفعه إليه عمر وقال استعن به على كتابتك فقال لو أخرته إلى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك
ذلك وكونه ربعا من النجوم أولى فإن لم تسمح به نفسه فكونه سبعا أولى وروى حط الربع
عن علي وغيره وحط السبع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه وعند أبي حنيفة أمر للمسلمين
على جهة الوجوب بإعانتهم المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال
بقوله وفي الرقاب ولما بين تعالى ما يصح من تزويج العبيد والإماء أتبع ذلك بالحكم المانع
من الإكراه على الزنا المذكور في قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم) أي إماءكم (على البغاء)
أي الزنا كان لعبد الله بن أبي رأس المنافقين ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى
وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى رسول الله صلى

ابدال وفي رواية يأتى على الناس زمان لاتنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان
حلت العزوبة ويستحب النكاح لمرأة تائقة وفي معناها المحتاجة الى النفقة والخائفة من
اقتحام الفجور ويستحب ان تكون المنكوحة بكرا الا لعذر لقوله صلى الله عليه وسلم هلا
بكرا تلاعبها وتلاعبك وولودا لقوله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم
الامم يوم القيامة وفي رواية يا عياض لا تتزوج عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر وفي المشارق عن عبدالله
ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة
وقيل المراد بالصالحين الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه وقوله تعالى (ان يكونوا) اى
الاحرار (فقراء يغنهم الله) اى بالتزويج (من فضله) رد لما عساه ان يمنع من النكاح والمعنى
لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح
او وعد من الله تعالى بالغنى لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكن ينبغى
ان تكون شريطة الله تعالى غير منسية في هذا الوعد ونظائره وهى مشيئته ولا يشاء الحكيم
الا ما اقتضته الحكمة وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد
جاءت الشريطة منصوصة في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم يتنصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره
النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له شئ ففنى واصبح مسكينا وورد التمسوا الرزق بالنكاح
وشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم رجل الحاجة فقال عليك بالباءة اى النكاح وعن عمر
رضى الله عنه عجبت لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله وحكى عنه انه قال عجبت لمن لم يطلب الغنى بالباءة وقال طلحة بن مطرف تزوجوا
فانه اوسع لكم في رزقكم واوسع في اخلاقكم ويزيد الله في مروءتكم قال الزمخشرى ولقد
كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته فقال
كنت في اول امرى على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن
الفقر فلما ولد الثانى ازددت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله على الخير صبا فاصبحت الى ما ترى
انتهى (والله) اى الذى له الالهية كلها (واسع) اى ذو سعة لا تنفد نعمه اذ لا تنتهى قدرته
(عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدره ولما ذكر تعالى تزويج الحرائر والاماء ذكر حال من
يعجز عن ذلك بقوله (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) اى وليجتهد في طلب العفة عن الزنا
والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة يوم التمكين وكسوة فصله وقيل لا يجدون
ما ينكحون (حتى يغنيهم الله) اى يوسع عليهم (من فضله) فيتمكنوا منه ولما ذكر تعالى نكاح
الصالحين من العبيد والاماء حث على كتابتهم بالحكم التاسع وهو الامر بالكتابة المذكور في
قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) اى يطلبون الكتابة (مما ملكت ايمانكم) اى من
العبيد والاماء (فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا) اى امانة وقدرة على الكسب لاداء مال الكتابة
روى ان نزول هذه الآية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى يقال له الصبيح سأل مولاه

بسبب هذا الاختلاف ان النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر
المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا
المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا على ضرب من التجوز كالامثلة المتقدمة أو على تقدير
مضاف كقولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات
والارض ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور الى
السموات والارض لاحد معنيين اما الدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له
السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به واختلفوا أيضا
في معنى قوله تعالى (مثل نوره) فقال ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن اي مثل نور الله
في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال الحسن وزيد
بن أسلم أراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
اراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تفضيلا أي صفة نوره
العجيبة الشأن في الاضاءة (كمشكاة) اي كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة
(فيها مصباح) اي سراج ضخم ثاقب (المصباح في زجاجة) اي قنديل من زجاج شامي أزهر
وانما ذكر الزجاجة لان النور وضوء النار فيها أبين من كل شئ وضوؤه يزيد في الزجاج ثم وصف
الزجاجة بقوله تعالى (الزجاجة كأنها) اي النور فيها (كوكب دري) اي مضيء مشبه في
الضوء بأحد الدراري من الكواكب العظام وهي الخمسة المشتري والزهرة
والمريخ وزحل وعطارد (فان قيل) لم شبه بالكواكب ولم يشبه بالشمس والقمر (أجيب)
بأنهما يلحقهما الخسوف والكسوف والكواكب لا يلحقها ذلك وقرأ أبو عمرو والكسائي
بكسر الدال من الدرء وهو الدفع لانه يدفع الظلام والباقون بضمها منسوب الى الدر اي اللؤلؤ في
صفائه وحسنه وان كان الكوكب أكثر ضوأ من الدر لكنه يفضل الكواكب بصفائه كما
يفضل الدر سائر الحب وهمزه مع المد أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي والباقون بغير همز وكل
من أهل الهمز على اصله في المد (توقد من شجرة مباركة زيتونة) اي ابتداء ثقوبه من شجرة
الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت فتيلة المصباح بزيت الشجرة وهي شجرة كثيرة البركة
وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادام وهو أصفى الادهان وأضوأها
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو وتشديد القاف على وزن تفعل على الماضي اي
المصباح وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بضم التاء الفوقية وتخفيف القاف اي المصباح
(لا شرقية ولا غربية) اي ليست بشرقية وحدها لا تصيبها الشمس اذا غربت ولا غربية
وحدها فلا تصيبها الشمس اذا طلعت بل هي ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند
طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها أضوأ
وهذا كما يقال فلان ليس بأسود ولا أبيض اي ليس أسود خالصا ولا أبيض خالصا بل اجتمع فيه
كل واحد منهما وهذا الرمان ليس بحلو ولا حامض اي اجتمع فيه الحلاوة والحموضة هذا قول
ابن عباس والاكثرين وقال السدي وجماعة معناه أنها ليست في مقنأة لا تصيبها الشمس ولا

الله عليه وسلم فنزلت وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الاسلام قالت
مسيكة لمعاذة ان هذا الامر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فان يك خيرا فقد استكثرنا منه
وان يك شرا فقد آن لنا ان ندعه فانزل الله هذه الآية وروي انه جاءت احدى الجاريتين يوما
ببرد وجاءت الاخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا
فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكيا اليه فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي
(ان أردن تحصنا) أي تعففا عنه وهذه الارادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط لان الاكراه
لا يتصور الا عند ارادة التحصن فاما اذا لم ترد المرأة التحصن فانها تبغي بالطبع طوعا وكذا ان
وايثارها على اذا الفتيات بان الباغيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من
معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر ولان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول
الآية فخرج النهي على صورة صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه وقال الحسين بن
الفضل في الآية تقديم وتأخير تقديرها وأنكحوا الايامى منكم ان اردن تحصنا ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) اي لتطلبوا من أموال الدنيا بكسبهن
وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور) اي لهن (رحيم) بهن وكان
الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن اي لا للمكره الا اذا تاب (فان قيل) ان المكرهة
غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة (أجيب) بان الزنا لا يباح بالاكراه فهي آثمة لكن لا حد عليها
للاكراه ولما ذكر تعالى في هذه السورة هذه الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث احدها
قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) اي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت
فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسر الياء التحتية والباقون
بفتحها لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول السليمة من بين بمعنى تبين أو لانها
بينت الاحكام والحدود ثانيها قوله تعالى (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) اي من جنس
امثالهم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله تعالى عنها فانها كقصة
يوسف ومريم عليهما السلام ثالثها قوله تعالى (وموعظة للمتقين) اي ما وعظ به في قوله تعالى
ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ وفي قوله تعالى
ولولا اذ سمعتموه قلتم الخ وفي قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا الخ وخصهم بالمتقين لانهم
المنتفعون بها واختلف في معنى قوله تعالى (الله نور السموات والارض) فقال ابن عباس الله
هادي أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة
ينجون وقال الضحاك منور السموات والارض فقال نور السماء بالملائكة ونور الارض
بالانبياء وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال أبي بن كعب والحسن وأبو
العالية مزين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض بالانبياء
والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار وقيل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان رحمة
أي منه الرحمة وقد يذكر مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل

اذا سار عبد الله من مرو ليلة • فقد سار منها نورها وجمالها

هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء تكاد حجة القرآن تتضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما قام لهم من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور (يهدي الله لنوره) قال ابن عباس دين الاسلام وقيل القرآن (من يشاء) فان الاسباب بدون مشيئته لاغية وقيل يوفق الله لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس (ويضرب) اي يبين (الله الامثال للناس) تقريبا للافهام وتسهيلا للادراك (والله بكل شيء عليم) معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد لمن تدبرها ولم يكترث بها وقوله تعالى (في بيوت) يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح رجال في بيوت وفي قوله فيها تكرير له كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله تعالى في تسع آيات اي سبحوا في بيوت والبيوت هي المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت المساجد الثلاثة وقيل المراد بيوت المساجد التي بناها الانبياء الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء بناهما النبي صلى الله عليه وسلم والاولى تعميم المساجد الكثيرة دون تخصيص القلة للتعظيم (اذن الله ان ترفع) قال مجاهد تبنى كما في قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن تعظم اي فلا يذكر فيها الخنى من القول وتطهر من الانجاس والاقذار وقوله تعالى (ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه وقال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح) اي يصلي (له فيها بالغدو والآصال) اي بالغداة والعشي قال اهل التفسير اراد به الصلوات المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت وقيل اراد به الصبح والعصر قال صلى الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة اراد صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى وروي عنه من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج المحرم ومن مشى الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين وقرأ ابن عامر وشعبة بفتح الباء الموحدة والباقون بكسرها (رجال لا تلهيهم تجارة) اي معاملة رابحة وقيل المراد بالتجارة الشراء لقوله تعالى (ولا بيع عن ذكر الله) اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شراء وعلى الاول ذكر مبالغة للتعظيم والتعميم بعد التخصيص وقيل التجارة لاهل الجلب يقال تجر فلان في كذا اي جلب (تنبيه) قوله تعالى رجال فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له

في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا تضرها شمس ولا ظل والمقناة بقاف فنون فهمزة وهي بفتح النون وضمها المكان الذي لا تطلع عليه الشمس وقول البيضاوي تبعا للزمخشري وفي الحديث لا خير في شجرة في مقنأة ولا في نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى قال ابن حجر العسقلاني لم أجده وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناها هي شامية لان الشام وسط الارض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وانما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره (يكاد زيتها) أي من صفائه (يضيء ولو لم تمسسه نار) أي يكاد يتلألأ ويضيء بنفسه من غير نار (نور على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة * (تنبيه) * اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقال بعضهم وقع التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروى سالم عن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف النبي صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله تعالى فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليهما وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسمعيل عليهما السلام والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله تعالى مصباحا كما سماه سراجا فقال تعالى وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ابراهيم عليه السلام سماه مباركا لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم عليهما السلام وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله من الايمان والقرآن في قلبه توقد من شجرة مباركة وهي الاخلاص لله وحده فمثله كمثل شجرة التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس لا اذا طلعت ولا اذا غربت كذلك المؤمن قد احترس من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلي صبر وان حكم عدل وان قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته اياه نور على نور قال أبي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوأ على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي قوله تعالى نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الايمان ونور القرآن وقال الحسن وابن زيد هذا مثل للقرآن فالمصباح

فشبه حاله بحال الظمآن الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في الهواجر تعلق به قلبه
فاذا جاءه لم يجده شيئاً فكذا حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فاذا احتاج الى عمله لم يجده
شيئاً ولا ينفعه وقال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته ومفارقته الدنيا (فان قيل)
قوله تعالى حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئاً وقوله تعالى لم يجده شيئاً مناقض له (أجيب) بأن معناه
لم يجده شيئاً نافعاً كما يقال فلان ما عمل شيئاً وان كان قد اجتهد أو أنه اذا جاء موضع السراب لم يجد
السراب لأن السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كأنه ضباب وهباء فاذا قرب منه رق
وانتشر وصار كالهواء (ووجد الله عنده) أي ووجد عقاب الله الذي توعد به الكفار أو وجد
زبانية الله أو وجده محاسباً اياه أو قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله قيل نزلت في عتبة
ابن ربيعة فانه قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر بالاسلام قال ابن
الخازن والأصح أن الآية عامة في حق جميع الكفار (والله سريع الحساب) لأنه تعالى عالم
بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد وفي هذا رد على المشبهة [illegible]
لأنه تعالى لو كان متكلماً بآلة كما يقولون لما صح ذلك وقوله تعالى (أو كظلمات) عطف على
كسراب على حذف مضاف واحد تقديره أو كذي ظلمات ودل على هذا المضاف قوله تعالى
اذا أخرج يده لم يكد يراها فالكناية تعود الى المضاف المحذوف وهو قول أبي علي وقال غيره
على حذف مضافين تقديره أو كأعمال ذي ظلمات فقدر ذي ليصح عود الضمير اليه في قوله
تعالى اذا أخرج يده وقدر أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى
لتشبيه العمل بصاحب الظلمة وأو للتخيير فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب
ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لجج البحر والأمواج والسحاب أو للتنويع
فان أعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار
وقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة وقوله تعالى (في بحر لجي) صفة لظلمات
فيتعلق بمحذوف واللجي منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل منسوب الى اللجة بالتاء وهي
أيضاً معظمه فاللجي هو العميق الكثير الماء وقوله تعالى (يغشاه) أي يعلو ذلك البحر ويغطيه
(موج) كائن (من فوقه موج) أي أمواج مترادفة متراكمة (من فوقه) أي الموج الثاني
المركوم وقوله تعالى (سحاب) أي غيم غطى النجوم وحجب أنوارها صفة أخرى لبحر وقوله
تعالى (ظلمات) أي من البحر والموجين والسحاب خبر مبتدأ مضمر تقديره هذه ظلمات أو تلك
ظلمات ويجوز أن يكون ظلمات مبتدأ وخبره من قوله تعالى (بعضها فوق بعض) خبره قاله
الحوفي (فان قيل) لا مسوغ للابتداء بهذه النكرة (أجيب) بأنها موصوفة تقديره ظلمات
كثيرة متكاثفة وقرأ البزي سحاب بلا تنوين بجر ظلمات وقنبل بتنوين سحاب وجر ظلمات
والبزي جعل الموج المتراكم بمنزلة السحاب وأما قنبل فانه جعل ظلمات بدلاً من ظلمات الأولى
والباقون بتنوين سحاب وظلمات بالرفع فيهما (اذا أخرج) أي الكائن في هذا البحر بدلالة
المعنى وان لم يجر له ذكر (يده) وهي أقرب ما يرى اليه في هذه الظلمات (لم يكد) أي الكائن فيه
(يراها) أي لم يقرب من رؤيتها فضلاً عن أن يراها كقول ذي الرمة

ورجال فاعل فعل مقدر جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه وحذف من قوله تعالى
(واقام الصلوة) الهاء تخفيفا اى واقامة الصلاة وأراد أداءها فى وقتها لان من أخر الصلاة عن
وقتها لا يكون من مقيمى الصلاة واعاد ذكر اقام الصلاة مع ان المراد من ذكر الله الصلوات
الخمس لانه تعالى أراد باقامة الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان فى السوق
فاقيمت الصلاة فقام الناس وغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية
(وايتاء الزكوة) قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها أى فيخرجون ما يجب
اخراجه من المال للمستحقين وقيل هى الاعمال الصالحة ومع ما هم عليه (يخافون يوما) هو
يوم القيامة (تتقلب) اى تضطرب (فيه القلوب) بين النجاة والهلاك (والابصار) بين ناحيتى
اليمين والشمال وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه فى الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح
الابصار من الاغطية وقوله تعالى (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح أو بلا تلهيهم أو يخافون
(أحسن ما عملوا) فى الطاعات فرضها ونفلها اى ثوابه الموعود لهم من الجنة وأحسن بمعنى
حسن (ويزيدهم من فضله) ما لم يستحقوه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقوله تعالى
(والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة
الاحسان وكمال جوده فكأنه سبحانه وتعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد فى الطاعة ومع ذلك
يكونون فى نهاية الخوف فالله سبحانه وتعالى يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم ويزيدهم
الفضل الذى لا حد له فى مقابلة خوفهم وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب) أى
حالهم على ضد ذلك فان أعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله تعالى يجدونها لاغية
مخيبة فى العاقبة كسراب وهو ما يرى فى الفلاة وقت الضحى الاكبر شبيها بالماء الجارى وهو
ليس بماء ولكن الذى ينظر اليه من بعيد يظنه ماء جاريا وقيل هو الشعاع الذى يرى نصف
النهار فى شدة الحر فى البرارى الذى يخيل للناظر انه الماء السارب أى الجارى فاذا قرب منه
انفش فلم ير شيأ وأما الآل فانما يكون أول النهار كأنه ماء بين السماء والارض وقال البغوى
والآل ما ارتفع من الارض وهو شعاع يرى بين السماء والارض بالغدوات شبه الملاءة
ترفع فيها الشخوص يرى فيها الصغير كبيرا والقصير طويلا والرقراق يكون بالعشاء وهو
ما ترقرق من السراب اى جاء وذهب وقوله تعالى (بقيعة) جمع قاع وهى أرض سهلة مطمئنة
قد انفرجت عنها الجبال والآكام قاله فى القاموس وقيل القيعة بمعنى القاع وهو الارض
المستوية المنبسطة وفيها يكون السراب وقال الفراء جمع قاع كجار وجيرة وقال الفارسى
جمعه قيعة وقيعان (يحسبه) اى يظنه (الظمآن) أى العطشان الشديد العطش من ضعف
العقل (ماء) فيقصده ولا يزال سائرا (حتى اذا جاءه) اى ما قدر أنه ماء وقيل جاء الى موضع
السراب (لم يجده شيأ) مما حسبه ووجه التشبيه أن الذى يأتى به الكافر ان كان من أفعال البر
فهو لا يستحق عليه ثوابا مع أنه يعتقد ان له ثوابا عليه وان كان من أعمال الاثم فهو يستحق
عليه العقاب مع أنه يعتقد ان له ثوابا فكيف كان فهو يعتقد أن له ثوابا عند الله تعالى فاذا
وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه

وفي صلاته وتسبيحه عائد على كل ويدل عليه قوله تعالى (والله) اي المحيط علما وقدرة (عليم بما
يفعلون) وقيل ان ضمير اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وهذا يؤيد ان المراد من التسبيح دلالة
هذه الامور على التنزيه لا النطق باللسان وروى ان ابا ثابت قال كنت جالسا عند ابي جعفر
الباقر فقال لي تدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال
فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن قال بعض العلماء انا نشاهد من الطيور وسائر
الحيوانات اعمالا لطيفة يعجز عنها كثير من العقلاء فاذا كان كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها
معرفته ودعاءه وتسبيحه وبيان انه تعالى الهمها الاعمال اللطيفة من وجوه احدها ان الدب
يرمي بالحجارة ويأخذ العصا ويرمي الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه وربما يشمه ويتجسس
نفسه ويصعد الشجرة اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه تثنية بالواحدة وصكة
بالاخرى ثم ينفخ فيه ويذر قشره ويتغذى به ويحكى عن الفأر في سرقته امور عجيبة وثانيها امر
النحل وما لها من الرياسة والبيوت المسدسة التي لا يتمكن من بنائها افاضل المهندسين وثالثها
انتقال الكركي من طرف من اطراف العالم الى الطرف الآخر طالبا بما يوافقه من الاهوية
ويقال من خواص الخيل ان كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقاتلوا والسابع
تفتح افواهها للطائر يقع عليها يقال لها القطقاط ويلتقط ما بين اسنانها وعلى رأس ذلك
الطائر شوكة فاذا هم التمساح بالتقام ذلك الطائر تأذى من تلك الشوكة فيفتح فاه فيخرج
ذلك الطائر والسلحفاة تتناول بعد اكل الحية سعترا جبليا ثم تعود وقد عوفيت من ذلك وحكى
عن بعض الثقات المجربين للصيد انه شاهد الحبارى تقاتل الافعى وتنهزم عنها الى بقلة تتناول
منها ثم تعود ولا تزال كذلك وكان ذلك الشخص قاعدا في كن وكانت البقلة قريبة من مكنه
فلما اشتغل الحبارى بالافعى قلع البقلة فعادت الحبارى الى منبتها فلم تجدها فاخذت تدور حوله
منبتها دورانا متتابعا حتى خرجت فعلم الشخص انه يعالج بها كالواقي من السم وتلك البقلة هي
الجرجير البري وابن عرس يستعين في مقاتلة الحية بأكل السذاب فان النكهة السذابية
تنفر منها الافعى والكلاب اذا مرضت بطونها اكلت سنبل القمح واذا جرحت داوت الجراحة
بالسعتر الجبلي والقنافذ تحس بالشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى جحرها
وكان رجل بالقسطنطينية قد اثرى بسبب انه ينذر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره
وكان السبب فيه قنفذا في داره يفعل الصنيع المذكور فيستدل به والخطاف صانع جيد في اتخاذ
العش من الطين وقطع الخشب فان اعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب لتحمل جناحاه قدرا
من الطين واذا فرخ الخطاف قدم للفراخ وقذف ذرقها بعيدا وطرحها عن العش والغرانيق
تصعد في الجو عند الطيران فان حجب بعضها عن بعض سحاب او ضباب احدثت عن اجنحتها
حفيفا مسموعا يتبع به بعضها بعضا واذا باتت على جبل فانها تقوم ورؤسها تحت اجنحتها
الا القائد فانه ينام مكشوف الرأس فيسرع انتباهه واذا سمع جرسا صاح وحال الغرانيق في الذهاب
الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا امر عجيب واذا كشف عن جوهر النمل
التي كانت تسوقها وكانت تقيه عن ايها فان كل قائد تخلف بعضها وتذهب في اسرع وقت
والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبائع الحيوان والمقصود من ذلك ان العقلاء

إذا أخرج الناظر (يده) [illegible] (لم يكد يراها)

[illegible] (أي [illegible]) [illegible]

أي لم يقرب من الرؤية فضلا عن أن يراها (تنبيه) في كيفية هذا التشبيه وجوه أحدها قال الحسن إن الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلمة ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاث ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل ثانيها قال ابن عباس شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث ثالثها أن الكافر لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ويعتقد أنه يدري فهذه المراتب الثلاث تشبه تلك الظلمات الثلاث رابعها قلب مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم خامسها أن هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لشدة إصراره على كفره قد تراكمت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده أظهر الدلائل لم يفهمه (ومن لم يجعل الله) أي الملك الأعظم (له نورا فما له من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينا وإيمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له لأنه تعالى قادر على ما يريد ولما وصف تعالى أنوار قلوب المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين أتبع ذلك بدلائل التوحيد بقوله تعالى (ألم تر) أي تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال (أن الله) أي الملك الذي له صفات الكمال (يسبح له) أي ينزهه عن كل شائبة نقص (من في السموات والأرض) لأن التسبيح لا يختص بالفم بل يعم بالقلب [illegible] والجوارح وهذا التسبيح إما أن يكون المراد منه دلالة هذه الأشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بصفات الجلال أو يكون المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقين النطق باللسان قال الرازي والأول أقرب لأن القسم الثاني متعذر لأن في الأرض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكلفون منهم من لا يسبح أيضا بهذا المعنى كالكفار وأما القسم الثالث وهو أن يقال إن من في السموات وهم الملائكة يسبحون باللسان وأما الذين في الأرض فمنهم من يسبح باللسان ومنهم من يسبح على لسان الدلالة فهذا يقتضي استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جائز أي عنده [illegible] فلم يبق إلا القسم الأول وهو أن هذه الأشياء مشتركة في أن أجسامها وصفاتها دالة على تنزيه الله تعالى وقدرته وإلهيته وتوحيده وعدله فسمى ذلك تسبيحا توسعا (فإن قيل) فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فما وجه تخصيصه هنا بالعقلاء (أجيب) بأن خلقة العقلاء أشد دلالة على وجود الصانع سبحانه وتعالى لأن العجائب والغرائب في خلقهم أكثر وهي العقل والنطق والفهم ولما كان أمر الطير دلالته أعجب ولأنها قد تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض ذكرها من جملة الحيوان بقوله تعالى (والطير صافات) أي باسطات أجنحتها في جو السماء لا شيء يمسكها إلا الله تعالى وإمساكها في الجو مع أنها أجرام ثقيلة وإقدارها فيه على القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرته تعالى واختلف في عود الضمائر في قوله تعالى (كل) أي من المخلوقات (قد علم صلاته وتسبيحه) على قولين أحدهما أنها كلها عائدة على كل أي كل قد علم هو صلاة نفسه وتسبيحه قال ابن عادل وهذا أولى لتوافق الضمائر ثانيهما أن الضمير في علم عائد إلى الله تعالى

والباقون بفتح النون وتشديد الزاي ثم بين تعالى أن ذلك باختياره وإرادته بقوله تعالى (فيصيب
به) أي بكل من البرد والمطر على وجه النقمة أو الرحمة (من يشاء) أي من الناس وغيرهم
(ويصرفه عن من يشاء) صرفه عنه (فائدة) عن مقطوعة من من في الرسم ثم نبه تعالى على ما هو
غاية في العجب في ذلك على أن الماء من النور الذي ربما كان منه صاعقة فأحرقت ما لا تحرق النار
بقوله تعالى (يكاد) أي يقرب (سنا) أي ضوء (برقه) وهو اضطراب النور في خلاله (يذهب)
أي هو ملتبسا (بالأبصار) أي الناظرة له أي يخطفها لشدة لمعانه وتلألئه فتكون قوة البرق
دالا على تكاثف السحاب وبشيرا بقوة المطر ونذيرا بنزول الصواعق واعلم أن البرق الذي
صفته كذلك لا بد وأن يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد فظهوره يقتضي ظهور
الضد من الضد وذلك لا يمكن إلا بقدرة قادر حكيم ثم ذكر تعالى ما هو أدل على الاختيار بقوله
تعالى مترجما لما يشتمل ما مضى وزيادة (يقلب الله) أي الذي له الأمر كله بقوله الظلام ضياء
والضياء ظلاما والنقص تارة والزيادة أخرى مع المطر تارة والصحو أخرى (الليل والنهار) فينشأ
عن ذلك التقلب من الحر والبرد والنمو والتغير ما يبهر العقول ولهذا قال مستنتجا على
النتيجة (إن في ذلك) الأمر العظيم الذي ذكر من جميع ما تقدم (لعبرة) أي دلالة على وجود
الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي إليها
(لأولي الأبصار) أي لأصحاب البصائر في قدرة الله تعالى وتوحيده ولما استدل تعالى أولا
بأحوال السماء والأرض وثانيا بالآثار العلوية أتبع ذلك بالاستدلال بأحوال الحيوانات بقوله تعالى
(والله) أي الذي له العلم الكامل والقدرة الشاملة (خلق كل دابة) أي حيوان (من ماء) وقرأ
حمزة والكسائي بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وكسر اللام كل والباقون بفتح اللام
والخاء ولا ألف بينهما ونصب لام كل (فإن قيل) كيف قال من ماء والله خلق من الماء كالملائكة
خلقوا من النور وهم أعظم الحيوانات عددا وكذلك الجان وهم مخلوقون من النار وخلق
آدم من التراب كما قال تعالى خلقه من تراب وخلق عيسى من الريح كما قال تعالى فنفخنا
فيه من روحنا وترى كثيرا من الحيوانات يتولد لا من نطفة (أجيب) بوجوه أحسنها ما قال
القفال أن من ماء صلة كل دابة وليس هو من صلة خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من الماء
فهي مخلوقة لله تعالى ثانيها أن أصل جميع المخلوقات من الماء على ما روي أن أول ما خلق الله
تعالى جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم من ذلك الماء خلق النار والهواء
والنور والتراب والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلقة فكان أصل الخلقة الماء فلذا
ذكره الله تعالى ثالثها المراد من الدابة التي تدب على وجه الأرض ومسكنها هنالك فتخرج
الملائكة والجن ورابعها لما كان الغالب من هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء إما لأنها
متولدة من النطفة وإما لأنها لا تعيش إلا بالماء أطلق لفظ الكل تنزيلا للغالب منزلة الكل
(فإن قيل) لم نكر الماء في قوله تعالى من ماء وعرفه في قوله تعالى من الماء كل شيء حي (أجيب)
بأنه جاء هنا منكرا لأن المعنى خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة وعرفه في قوله
تعالى من الماء كل شيء حي لأن المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وههنا بيان
أن ذلك الجنس ينقسم إلى أنواع كثيرة (فمنهم) أي الدواب (من يمشي على بطنه) كالحية

من العقلاء وغيرهم وتقدم أن الاستدلال بذلك واذا كان كذلك ثم لا يجوز أن يقال ان التسبيح لله
تعالى وتنفق عليه وان كانت غير عارفة بسائر الامور التي يعرفها الناس ويؤيد هذا قوله تعالى
ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله صلى الله عليه وسلم ان نوحا عليه السلام أوصى بنيه عند موته
بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو كن في حلقة مبهمة لقصمتهن وسبحان
الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال الفقيه ابو الليث في الاحياء وروى أن رجلا جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماهي
يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع
الفجر الى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا
يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه ثم دل على ذلك بقوله (ولله ملك السموات والارض)
على أن الكل منه لأن كل ما سواه ممكن ومحدث والمحدث لا بد له من محدث لا بد من الانتهاء
الى القديم الواجب الوجود ويدخل في هذا جميع الاجرام والاعراض وأفعال العباد
وأحوالهم وخواطرهم وقوله تعالى (والى الله) أى لا الى غيره لاحاطة ملكه بكل شئ
(المصير) دليل على المعاد وأنه لابد من مصير الكل اليه سبحانه وتعالى ثم ذكر دليلا آخر بقوله تعالى
(ألم تر) بصيرة (أن الله) أى ذا الجلال والجبروت (يزجي سحابا) أى يسوقه برفق بعد أن أنشأه
من العدم تارة من السفل وتارة من العلو ضعيفا متفرقا قطعا قال أبو حيان وهو اسم
جنس واحده سحابة والمعنى يسوق سحابة الى سحابة وهو معنى قوله تعالى (ثم يؤلف بينه)
أى بين أجزائه بعد أن كان قطعا في جهات مختلفة يجعل قطعه المتفرقة شيئا واحدا (ثم
يجعله ركاما) في غاية العظمة متراكما بعضه على بعض بعد أن كان في غاية الرقة (فترى) أى في
تلك الحالة المستمرة (الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من فتوقه التي حدثت بالتراكم
وانعصار بعضه في بعض (فان قيل) بين لا تضاف الا الى شيئين فصاعدا فكيف دخلت على
مفرد (أجيب) بأن المراد بالسحاب الجنس فعاد الضمير على جمعه أو على حذف مضاف أى
بين أجزائه كما مر وبين قطعه فان كل قطعة سحابة وقرأ أبو عمرو وحمزة في الوصل بالامالة بخلاف
عنه والباقون بالفتح وأما في الوقف فأبو عمرو وحمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالامالة
بين بين والباقون بالفتح (وينزل من السماء) أى من الغمام وكل ما علا فهو سماء (من جبال
فيها) أى في السماء وهي السحاب الذي صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى (من برد) بيان
للجبال والمفعول محذوف أى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا فمن الاولى
لابتداء الغاية باتفاق والثانية للتبعيض والثالثة للبيان ويجوز أن تكون الثانية لابتداء الغاية
أيضا ومجرورها بدل من الاولى باعادة العامل والتقدير وينزل من جبال أى من جبال فيها
فهو بدل اشتمال والاخيرة للتبعيض واقعة موقع المفعول (فان قيل) ما معنى من جبال فيها
من برد (أجيب) بأن فيه معنيين أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض
جبال حجر وليس في العقل قاطع يمنعه الثاني أن يراد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك
جبالا من ذهب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون واخفائها عند الزاي وتخفيف الزاي

التولى فريق منهم (أجيب) بأن قوله تعالى وما أولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا الى
الجملة الاولى ولو رجع الى الجملة الاولى لصح ويكون معنى قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم أى
يرجع هذا الفريق الى الباقى فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما أظهروه وبينه به ولما نفعهم
بما أخفوه من توليهم قبح عليهم ما أظهروه فقال تعالى معبرا بأداة التحقيق (واذا دعوا) أى
الفريق الذين ادعوا الايمان من أى داع كان (الى الله) أى الى ما نصب الملك الاعظم من
أحكامه (ورسوله) وأفرد الضمير فى قوله تعالى (ليحكم) وقد تقدمه اسمان وهما الله ورسوله فهو
كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال الزمخشرى كقولك
أعجبنى زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله

ومنهل من الفلا فى أوسطه ۞ غلسته قبل القطا وفرطه

أى قبل فرط القطا (بينهم) أى بما أراه الله (اذا فريق منهم) أى ناس يجولون على الاذى
(معرضون) أى فاجؤا الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح
للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم) أى على سبيل الفرض (الحق) أى بلا شبهة (يأتوا اليه) أى
الرسول (مذعنين) أى منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم لانهم يعلمون أنه دائر مع الحق لهم وعليهم
فليس انقيادهم لطاعة الله ورسوله ۞ (تنبيه) ۞ قوله تعالى اليه يجوز تعلقه بيأتوا لان أتى
وجاء قد جاء معديين بالى ويجوز أن يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين فى الطاعة وصححه الزمخشرى
قال لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص ومذعنين حال ثم قسم تعالى الامر فى صدودهم عن
حكومته صلى الله عليه وسلم اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب بقوله تعالى
(أفى قلوبهم مرض) أى نوع فساد من أصل الفطرة يحملهم على الضلال أو مرتابين فى نبوته
بقوله تعالى (أم ارتابوا) أى بأن رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك أو خائفين الحيف فى
قضائه بقوله تعالى (أم يخافون أن يحيف) أى يجور (الله) أى الغنى عن كل شئ لان له كل شئ
(عليهم ورسوله) أى الذى لا ينطق عن الهوى ثم أضرب عن القسمين الاخيرين لتحقيق
القسم الاول بقوله تعالى (بل أولئك) أى البعداء البغضاء (هم الظالمون) أى الكاملون فى
الظلم ووجه التقسيم أن امتناعهم اما لخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما أن يكون محققا
عندهم أو متوقعا وكل منهما باطل لان منصب نبوته وفرط أمانته يمنعه فتعين الاول فظلمهم
يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم (فان قيل) اذا
خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا فى الدين واذا ارتابوا ففى قلوبهم مرض والكل
واحد فأى فائدة فى التعديد (أجيب) بأن قوله تعالى فى قلوبهم مرض اشارة الى النفاق وقوله
تعالى أم ارتابوا اشارة الى أنهم بلغوا فى حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه (فان قيل)
هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة أم (أجيب) بأنه تعالى نبههم
على كل واحد من هذه الاوصاف فكان فى قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيهم شك وارتياب
وكانوا يخافون الحيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق واختلفوا فى سبب نزول
هذه الآية فقال مقاتل نزلت فى بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا فى أرض فقال اليهودى
نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا

والحيتان والديدان واستعير المشي للزحف على البطن كما قالوا
الامر و يقال فلان ما مشى له أمر أو ومن يمشي بذلك امشا كأنه بذكر الز...

يمشي على رجلين) اى فقط كالآدمي والطير (ومنهم من يمشي
والارجل كالنعم والوحش (فان قيل) لم حصر القسمة في هذه
نجد من يمشي على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والحـ...
رجلا الذي يسمى دخال الاذن (أجيب) بان هذا القسم الذ...
بالعدم وقال النقاش انما اكتفى بذكر ما يمشي على أربع عن ذ...
لان جميع الحيوان انما اعتماده على أربع وهي قوائم مشيه وكثـ...
زيادة في الخلقة لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها وبان ذ...
كالتنبيه على سائر الاقسام (فان قيل) لم جاءت الاجناس الثلا...
بانه قدم ما هو أعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من...
على رجلين ثم الماشي على أربع * (تنبيه) * انما أطلق من ع...
بالعاقل في المفصل بمن وهو كل دابة وكان التعبير بمن أولى ليوا...
الادلة ناظرة الى البعث أتم نظر وكانوا منكرين له أكد ذلك بقوا...
له الكمال المطلق (على كل شيء) من ذلك وغيره (قدير) لانه ا...
فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها و
أسرارها بل هو الذي يخلق ما يشاء كيف يشاء ولا يمنعه منه مانع.
تعالى من صفات الكمال والتنزه عن كل شائبة نقص وقام...
واتضحت براهين الالوهية اى اتساق قال تعالى مترجما لتلك الاد...
السورة وما تقدمها بالغا من العظمة (آيات) اى علامات...
والامثال (مبينات) للحقائق بأنواع الدلائل التي لا خفاء فيها (و...
من يشاء) من عباده (الى صراط) طريق (مستقيم) هو دين...
والفوز بالجنة * ولما ذكر تعالى الدلائل الموجبة لاتباعهم
ولكنهم لم يفعلوا بقلوبهم قال تعالى (ويقولون) اى الذين ...
الذي أوضح الدلائل على عظمته وكماله (وبالرسول) اى الذي ...
عليها من الادلة (وأطعنا) أى وأوجدنا الطاعة لله ولرسوله ثم ع...
بالطاعة المعدنة قال تعالى (ثم يتولى) أي يرتد بانكار القلب ويعرض
منهم عن الحق (فريق منهم) أى ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء ا...
ذلك) اى القول السديد المؤكد بمع الله الذي هو أكبر من كل شئ
الخلائق (وما أولئك) اى البعداء البغضاء الذين صاروا باتولي
اى المعهودين المرافقة قلوبهم السنتهم (فان قيل) انه تعالى...
ثم حكى عن فريق منهم التولى فكيف يصح أن يقول في جميعهم

وكان باطنهم يخالف ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفاء فقد عمه القبح قال المتنبي

وفي اليمين على ما أنت واعده ... ما دل أنك في الميعاد متهم

وفي رفع قوله تعالى (طاعة معروفة) ثلاثة أوجه أحدها انه خبر مبتدأ مضمر تقديره أمرنا طاعة أو المطلوب طاعة ثانيها انه مبتدأ والخبر محذوف أي أمثل أو أولى أو خير أي طاعة معروفة للنبي صلى الله عليه وسلم خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ثالثها طاعة بتقدير أي هذه الطاعة ومعروفة هو الخبر أي معروفة منكم ومن غيركم وأولا فالحقيقة هو النسوة الاجتهاد فيها مع قصد مرضاة الله لا القسم الذي تطلعه [illegible] فالحقيقة كما قالوه أعرف المعارف والمعنى أن الطاعة إن اجتهد العبد في إتقانها لا بد أن تظهر شمائلها على شمائله وكذا المعصية لأنه ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها وأخرج الطبراني عن [illegible] وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال لو أن رجلا دخل بيتا في جوف بيت فأدمن هناك عملا أوشك الناس أن يتحدثوا به وما من عامل عمل عملا إلا كساه الله رداء عمله إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر وعن [illegible] ولا [illegible] ظهر [illegible] للناس كأنما شاهد (إن الله) أي الذي له الإحاطة بكل شيء (خبير بما تعملون) أي لا يخفى عليه شيء من سرائركم فإنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم [illegible] على خداعهم وأشار إلى عدم الاغترار بإيمانهم [illegible] إلى الإعراض عن عقوبتهم بقوله تعالى (قل) أي لهم (أطيعوا الله) أي الذي له الجلال المطلق (وأطيعوا الرسول) أي الذي له الرسالة المطلقة ظاهرا وباطنا وقوله تعالى (فإن تولوا) أي عن طاعته حذف منه إحدى التاءين خطابا لهم أي فإن تتولوا [illegible] (فإنما عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) أي [illegible] فإذا أدى فقد خرج عن عهدة التكليف (وعليكم) أي وإنما عليكم (ما حملتم) أي ما [illegible] بالقبول والإذعان فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد [illegible] أنفسكم [illegible] (وإن تطيعوه) بالإقبال على كل ما يأمركم به (تهتدوا) أي إلى كل خير (وما على الرسول) أي من جهته (إلا البلاغ) أي وما الرسول إلا ناصح وهاد [illegible] ولا عليه [illegible] والبلاغ بمعنى التبليغ كالأداء بمعنى التأدية (المبين) أي المقرون بالآيات والمعجزات روي أنه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وقال أبو أمامة الباهلي عليكم بالسواد الأعظم فقال رجل ما السواد الأعظم فنادى أبو أمامة هذه الآية في سورة النور فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى (وعد الله) أي الذي له الإحاطة بكل شيء (الذين آمنوا منكم وعملوا) أي تصديقا لإيمانهم (الصالحات) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته أو له ولمن معه ومن للبيان ثم أكد غاية التأكيد بلام القسم لما عند أكثر الناس من الريب في ذلك بقوله تعالى (ليستخلفنهم في الأرض) أي أرض العرب والعجم بأن يمد زمانهم وينفذ أحكامهم فيجعلهم

يحيف علينا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقد مضت قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت
في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه أرض فتقاسماها فوقع الى علي ما لا
يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها اياه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة
لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فانما اشتريتها ان رضيتها ولم أرضها فقال علي بل
اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه الى أن يخاصمه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلا آتيه ولا أحاكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف
علي فنزلت الآية وقال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر
ولما نفى تعالى عنهم الايمان الكامل بما وصفهم به كأنه سئل عن حال المؤمنين فقال تعالى
(إنما كان) أي دائما (قول المؤمنين) أي الراسخين في ذلك الوصف (إذا دعوا) أي من أي
داع كان (إلى الله) أي الى ما أنزل الملك الذي لا كفء له من أحكامه (ورسوله) الذي لا ينطق
عن الهوى (ليحكم) أي الرسول (بينهم) بما أراه الله تعالى أي محكوما من المحكومات لهم
وعليهم (أن يقولوا سمعنا) أي الدعاء (وأطعنا) أي بالاجابة [illegible] صلى الله عليه وسلم
وهذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع بمعنى أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا
هكذا (وأولئك) أي العالو الرتبة (هم المفلحون) الذين يصفهم الله تعالى في أول المؤمنين
وهذا دليل على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره
لما لا ينبغي ولما رتب تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص أتبعه عموم الطاعة بقوله تعالى
(ومن يطع الله) أي الذي له الأمر كله (ورسوله) أي في سائر أمره (ويخش الله) أي فيما صدر
عنه من الذنوب الماضية يجره ذلك الى كل خير (ويتقه) أي الله فيما بقي بأن يجعل
بينه وبين ما يسخطه وقاية من الطاعات [illegible] (فأولئك) أي العالو الرتبة
(هم الفائزون) بالنعيم الباقي ولا أحد سواهم ولا خطر على شيء من الدنيا والنعيم وعن ابن
عباس في تفسير هذه الآية ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من
ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية وقرأ
أبو عمرو وشعبة وخلاد ويتقه بسكون الهاء بخلاف عن خلاد وقرأ ابن ذكوان بكسر الهاء
بغير صلة وحفص بسكون القاف وقصر كسرة الهاء والباقون ونافع في أحد وجهيه باشباع كسرة
الهاء ولما ذكر تعالى ما رتب على الطاعة الظاهرة [illegible] ذكر حال
المنافقين بقوله تعالى (وأقسموا بالله) أي الذي له الجلال المطلق قوله تعالى (جهد أيمانهم)
جهد اليمين مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية
شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها (لئن أمرتهم)
أي بأمر من الأمور (ليخرجن) عما هم متلبسون به من خلافه كائنا ما كان وذلك ان المنافقين
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا
وان أقمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله تعالى (قل) أي لهم (لا تقسموا) أي
لا تحلفوا فان العلم بما أنتم عليه لا يحتاج الى الاقسام وههنا تم الكلام ولو كان قسمهم
لما في قلوبهم لما احتاجوا اليه لان من حلف على القيام بالأمر لا يحتاج منه فثبت ان قسمهم كان لنفاقهم

(وأقيموا الصلوة) اى فانها قوام ما بينكم وبين ربكم معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول قال الزمخشرى وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال
لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه (وآتوا الزكوة) فانها نظام ما بينكم وبين
اخوانكم (وأطيعوا الرسول) اى فى كل ما يأمركم به وكررت طاعة الرسول تأكيدا
لوجوبها (لعلكم ترحمون) اى لتكونوا على رجاء من الرحمة ممن لا راحم فى الحقيقة غيره
الفاعل فى قوله تعالى (لا تحسبن) ضمير المخاطب اى لا تحسبن أيها المخاطب (الذين كفروا)
اى وان ازدادت كثرتهم على العد وتجاوزت عظمتهم الحد (معجزين) اى لاهل ودنا وقيل
لنا (فى الارض) اى فانهم مأخوذون لا محالة وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على الغيبة قال النحاس
ما علمت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يلحن قراءة حمزة فمنهم من يقول هى
لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وأجيب عن ذلك من وجهين أحدهما ان المفعول
الاول محذوف تقديره ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين الا ان حذف أحد المفعولين
ضعيف عند البصريين ومنه قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم

اى فلا تظنى غيره واقعا والثانى ان المفعولين هما قوله معجزين فى الارض قاله الكوفيون وقرأ
الباقون بالتاء على الخطاب وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة وكسرها الباقون وقوله تعالى
(ومأواهم النار) اى مسكنهم معطوف على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين
كفروا لا يفوتون أهل ودنا أو لا يفوتونا ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون بالله جهد
أيمانهم ولما كانت سكنى الشئ لا تكون الا بعد المصير اليه قال تعالى (ولبئس المصير) اى
المرجع مصيرها فكيف اذا كان على وجه السكنى والاقامة فى بيت ولما قال تعالى (يا أيها
الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الآية قال ابن عباس وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر رضى الله تعالى عنه وقت
الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فنزلت وقال مقاتل نزلت فى أسماء
بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت فكرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فنزلت واللام فى ليستأذنكم
للامر وهذا اليمين تشمل العبيد والاماء قال بعض المفسرين هذا الخطاب وان كان ظاهره
للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التذكير يغلب على التأنيث قال الرازى والاولى عندى
ان الحكم ثابت فى النساء بقياس جلى لان النساء فى باب العورة أشد حالا من الرجال فهو
كتحريم الضرب بالقياس على حرمة التأفيف وقال ابن عباس هى فى الرجال والنساء اى
البالغين أو من قاربوا البلوغ يستأذنون على كل حال فى الليل والنهار لدخول محلكم كراهة
الاطلاع على عوراتكم والتطرق بذلك الى مساءتكم واختلف العلماء فى هذا الامر فقيل
ندب وقيل للوجوب واستظهر (والذين) اى وليستأذنكم الذين ظهروا على عورات
النساء ولكنهم (لم يبلغوا الحلم) وقيده بقوله تعالى (منكم) ليخرج الكفار والارقاء وعبر
عن البلوغ بالاحتلام لانه أقوى دلائله (ثلاث مرات) فى اليوم والليلة وقيل ثلاث

متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم (كما استخلف الذين من قبلهم) اى من الامم
من بني اسرائيل وغيرهم من كل من حصلت له مكنة وظفر على الاعداء بعد الضعف الشديد
كما كتب في الزبور ان الارض يرثها عبادى الصالحون وكما قال موسى عليه السلام ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقرأ أبو بكر بضم التاء الفوقية وكسر اللام
والباقون بفتح التاء واللام (وليمكنن لهم) اى في الباطن والظاهر (دينهم الذى ارتضى لهم)
وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده واضافه اليهم اشارة الى رسوخ أقدامهم فيه
وانه الذى لا ينفك عنهم ولما بشرهم بالتمكين أشار لهم الى مقداره بقوله تعالى (وليبدلنهم من
بعد خوفهم) اى الذى كانوا عليه (أمنا) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا
بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال
رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تصبرون الا يسيرا حتى
يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة وأنجز الله تعالى وعده وأظفرهم على
جزيرة العرب وافتتحوا بعض بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا
خزائنهم واستولوا على الدنيا واستعبدوا أبناء القياصرة وتمكنوا شرقا وغربا مكنة لم تحصل
قبلهم لامة من الامم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها ولما قتلوا عثمان رضى الله عنه وخرجوا على على
ثم ابنه الحسن نزع الله ذلك الامن كما أشار اليه بقوله ومن كفر وأتاهم الخوف وصار يتناول
ويزداد قليلا قليلا الى ان صار في هذا الزمان الى أمر عظيم وذلك تصديق لقوله عليه أفضل
الصلاة والسلام الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم يؤتى الله ملكه من يشاء فتسلمها معاوية ثم ابنه يزيد
فقطع سبيل وسفك دماء وأخذ أموال من غير حقها والخلافة ثلاثون لأن أبا بكر سنتان ونصف وعمر
عشر ونصف وعثمان اثنتا عشرة وبقيتها لعلى ستة والحسن بن على بكسر الباء وتشديد الدال اى الاولى
والقهر الصائب والتغلب وقوله قطع سبيل نصب اما عطف بيان لقوله يزيد أو بدل منه وقرأ
ابن كثير وأبو بكر بسكون الباء الموحدة وتخفيف الدال والباقون بفتح الموحدة وتشديد
الدال ثم اتبع ذلك بنتيجته بقوله تعالى تعليلا للتمكين وما معه (يعبدوننى) اى وحدى وقوله
تعالى (لا يشركون بى شيئا) حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين (فان قيل) فما محل يعبدوننى
(أجيب) بانه مستأنف لا محل له كأن قائلا قال ما لهم مستخلفين ويؤمنون فقال يعبدوننى
ويجوز أن يكون حالا من وعدهم اى وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب
ولما كان التقدير فمن ثبت على دين الاسلام وانقاد لاحكامه واستقام نال هذه البشرى عطف
عليه قوله تعالى (ومن كفر) أى ارتد أو كفر هذه النعمة (بعد ذلك) أى بعد الوعد أو الخلافة
(فأولئك) اى البعداء من الخير (هم الفاسقون) أى الخارجون عن الدين خروجا كاملا
لا يقبل معه معذرة ولا يقال لصاحبه عثرة بل تقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يرعى منهم
ذمام ولا تقوم لهم راية عند انتقام كما تقدم أول السورة في الزنا الجلد وقيل المراد بالكفر
كفران النعمة لا الكفر بالله وقوله تعالى فأولئك هم الفاسقون أى العاصون لله وقوله تعالى

بن عباس ولما بين تعالى حكم الصبيان والارقاء الذين هم أطوع
حكم البالغين من الاحرار بقوله تعالى (واذا بلغ الاطفال منكم
م الاحرار بلوغ السن الذى يكون فيه انزال المنى سواء رأى منيا
ن فقال عامة العلماء هو خمس عشرة سنة أى قمرية تحديدية لافرق
قال أبو حنيفة هو ثمانى عشرة سنة فى الغلام وسبع عشرة سنة فى
عنه أنه تعتبر القامة وتقدر بخمسة أشبار وبه أخذ الفرزدق
عقدت يداه ازاره * وسما فادرك خمسة الاشبار
انه وعن عثمان رضى الله تعالى عنه أنه سأل عن غلام فقال هل
اته فاستند الاخضرار الى الازار على المجاز ولانه مما اشتمل عليه
عند نا علامة على بلوغ ولد الكافر فقط أما اذا رأى المنى فى وقت
سنين قمرية فانه يحكم ببلوغه سواء كان ذكرا أم أنثى [illegible]
ن فرجه أو تحيض بالفرج وتعرف بالذكر (فليستأذنوا) اى
(كما استأذن الذين من قبلهم) اى من الاحرار الكبار الذين جعلوا
ذلك الارقاء فلا يستدل به على أن العبد البالغ يستأذن على
اتباع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام (كذلك) أى كما بين لكم
له الاحاطة والقدرة (لكم) أيها الامة (آياته) أى دلائله (والله
عليم) أى بأسرار الدلائل (حكيم) أى فيما يأمر [illegible]
أنه وافقها [illegible]
لرأيت منها ما [illegible]
موصلا فاخبرة الوجه [illegible] قال لا [illegible]
وهذا القبال الشباب [illegible]
الشابة بقوله تعالى (والقواعد من النساء) [illegible]
للحيض ولا يحملن [illegible]
يرجون نكاحا) اى لا يردن الرجال [illegible]
القعود [illegible]
جال [illegible] (فليس عليهن جناح
أن يضعن ثيابهن) اى الظاهرة فوق الثياب الساترة بحضرة الرجال
فوق الخمار أما الخمار فلا يجوز رفعه لما فيه من كشف العورة (غير
غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء اظهار زينتهن [illegible]
دين فيقصدن الا بهن أن ينظر اليهن بالوضع الصبى والتبرج
ماينبغى لهن أن يستتر وهو لما ذكر الله تعالى الجائز عقبه بالمستحب بعثا
لاعمال وأحسنها بقوله تعالى (وأن يستعففن) اى فلا يلقين الرداء
ن الالقاء كقوله تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى وأن تصدقوا لانه

الاستئذانات في كل مرة فان لم يحصل الاذن رجع المستأذن كما تقدم المرة الاولى من الاوقات الثلاث (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم (و) المرة الثانية (حين تضعون ثيابكم) أي التي للخروج بين الناس (من الظهيرة) أي شدة الحر وهو انتصاف النهار (و) المرة الثالثة (من بعد صلاة العشاء) لانه وقت الانفصال من ثياب اليقظة والاتصال بثياب النوم وخص هذه الاوقات لانها ساعات الخلوة ووضع الثياب والالتحاف باللحاف واثبت من في الموضعين دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه واسقطها في الاوسط دلالة على استغراقه لانه غير منضبط ثم علل ذلك بقوله تعالى (ثلاث عورات) أي اختلالات في التستر والتحفظ (لكم) لانها ساعات وضع الثياب والخلوة قال البيضاوي واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل أعور ولذلك سمي بها انتهى وسميت هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فربما تبدو عورته وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي في الوصل ثلاث بالنصب بتقدير أوقات ثلاث عورات بدلا من محل ما قبله قام المضاف اليه مقامه والباقون بالرفع على انها خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه اي هي أوقات ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ما بعده * ثم بين سبحانه وتعالى حكم ما عدا ذلك بقوله تعالى مستأنفا (ليس عليكم) اي في ترك الامر (ولا عليهم) اي المماليك والصبيان في ترك الاستئذان (جناح) اي اثم واصله الميل في الدخول عليكم في جميع الساعات (بعدهن) اي بعد هذه الاوقات الثلاثة اذا هجموا عليكم ثم علل الاباحة في غيرها مخرجا لغيرهم بقوله تعالى (طوافون عليكم) أي انهم طوافون للخدمة كما أشار اليه علي ما يصلحهم ويصلحكم في الاستخدام (بعضكم) طواف (على بعض) العمل ما يحتاج اليه الآخر أو يشق عليه فلو عم الامر بالاستئذان لأدى الى الحرج (فان قيل) بم رفع بعضكم على بعض (أجيب) بانه رفع بالابتداء وخبره على بعض أي طواف على بعض فحذف طواف لدلالته عليه ويجوز أن يرتفع بطوافون مضمرا لتلك الدلالة (كذلك) أي كما بين هذا (يبين الله) أي بما له من احاطة العلم والقدرة (لكم) أيها الامة (الآيات) في الاحكام وغيرها بعلمه وحكمته (والله) أي الذي له الاحاطة العامة بكل شئ (عليم) بكل شئ (حكيم) في جميع ما يريده فلا يقدر أحد على نقضه وختم الآية بهذا الوصف يدل على انها محكمة لم تنسخ واختلف في ذلك فقال الزمخشري عن ابن عباس انه قال آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي أي زوجتي ان تستأذن علي وسأله عطاء أأستأذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال الناس أعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخوانكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير ان الناس يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها وقال قوم هي منسوخة روى البغوي عن ابن عباس انه قال لم يكن للقوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والولائد يدخلون فربما يرونهم على حالة لا يحبونها فامروا بالاستئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور

...هن وبما كان أولياء بيوتهن الازواج (أو بيوت أخوالكم)

...خالاتكم) أخرهن لما ذكر في الصفات (أو ما ملكتم مفاتحه)

...لرجل ونيته في ضيعته وما شيته لا بأس عليه ... [illegible]

...ه ولا بحمل ولا يدخر وهذا الذي كرهها في بيته وحفظه وقال

...كم وهذا المالك لان العبد ... [illegible] والمفاتح ... [illegible]

...الا وهو الاهو ... [illegible] وقال عكرمة

...فلا بأس ... [illegible] وقال ... [illegible]

...كل منه وقيل أو ما ملكتم ... [illegible]

...وملكتم (أو صديقكم) ... [illegible]

...فة يكونوا ... [illegible]

...وخرج غازيا مع رسول الله ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(أجيب) بأنه لا ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

...الا كل ... [illegible] (فان قيل) فيما

...(أجيب) بأن ... [illegible]

فلا ... [illegible]

...والباقون بالكسر وقرأ حمزة والكسائي امهاتكم في الوصل

...وكسر الميم حمزة وفتحها الباقون ولما ذكر ... الا كل

...عليكم جناح) اى اثم (ان تأكلوا جميعا) اى مجتمعين (أو أشتاتا) اى

بعد عن التهمة (والله) اى الذى جلت عظمته (سميع) اى لاقوالكم (عليم) بما فى قلوبكم
واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج) اى فى مؤاكلة غيره (ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج) كذلك فقال ابن عباس لما انزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج
وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهى الله تعالى عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر
موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام
والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفى من الطعام حقه فانزل الله تعالى هذه الآية وعلى هذا
تكون على بمعنى فى اى ليس فى الاعمى اى ليس عليكم فى مؤاكلة الاعمى والاعرج والمريض
حرج وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتنزهون
عن مؤاكلة الاصحاء لان الناس يستقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وعن عكرمة كانت
الانصار فى انفسها قزازة فكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا وكان هؤلاء يقولون
الاعمى ربما اكل اكثر وربما تقع يده الى ما بين يدى غيره كما تقع اليه وهو لا يبصره والاعرج
ربما اخذ فى مجلسه مكان اثنين ويضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذى او جرح
يبض او نحو ذلك فنزلت وقال مجاهد نزلت الآية ترخيصا لهؤلاء فى الاكل من بيوت من سمى
الله فى هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده
ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائه وامهاته وبعض من سمى الله تعالى فى هذه الآية فكانت
اهل الزمانة يتحرجون من هذا الطعام ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره فنزلت الآية وقال
سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم ويدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم
ويقولون قد احللنا لكم ان تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها
وهم غيب فانزل الله تعالى هذه الآية رخصة لهم وقال الحسن نزلت رخصة لهؤلاء فى التخلف
عن الجهاد وقال تم الكلام عند قوله تعالى ولا على المريض حرج وقوله تعالى (ولا على انفسكم
ان تأكلوا من بيوتكم) كلام مستأنف منقطع عما قبله (فان قيل) اى فائدة فى اباحة اكل
الانسان طعامه فى بيته (اجيب) بان المراد من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل
فيه بيوت الاولاد لان بيت ولده كبيته قال صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقال صلى الله
عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وقيل لما نزل قوله تعالى
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان يأكل عند احد فانزل الله تعالى
ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم اى لا حرج عليكم ان تأكلوا من بيوتكم (او بيوت
آبائكم) اى وان بعدت انسابهم قال البقاعى ولعله جمع لذلك فانهم اصل آبائكم ومنها حرمتكم
(او بيوت امهاتكم) كذلك وقدم الاب لانه اجل وهو حاكم بيت ولده وماله (او بيوت
اخوانكم) اى من الابوين او الاب او الام بالنسب او الرضاع فانهم من اولى من رضى بذلك
بعد الوالدين لانهم منكم وهم اولياء بيتهم (او بيوت اخواتكم) فانهن بعدهم من اولى البيت
بان البيوت ربات غالبا من اهل الزوج (او بيوت اعمامكم) فانهم شقائق آبائكم سواء كانوا
اشقاء لآبائكم او لاب او لام وهم اقرب الى الشفقة فضلا عن الاسم (او بيوت عماتكم

و يعبدوا ما عبدوا من الاوطان قال تعالى (انما المؤمنون) اى الكاملون
[illegible] بالله) اى الملك الاعلى (ورسوله) اى ظاهرا وباطنا (واذا كانوا معه)
[illegible] وسلم (على امر جامع) اى يجمعهم من حرب حضرت او صلاة جمعة
[illegible] فى امر نزل ووصف الامر بالجمع للمبالغة او من الاسناد المجازى
[illegible] نسب الفعل اليه مجازا (لم يذهبوا) اى لم يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا
حتى يستأذنوه) قال الكاشفى كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض فى
[illegible] فيتفرق المنافقون ويتناوبون الا فاذا لم يرهم احد انسلوا وخرجوا
[illegible] واوصلوا واخروا فنزلت الآية فكان المؤمن بعد فلا يخرج
[illegible] اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت المنافقة تخرج بغير اذن
يوم الجمعة اشير [illegible] قال اهل العلم كذلك كل امر [illegible]
[illegible] وولا يرجعون [illegible] الا اذن [illegible] اذا لم [illegible] فى [illegible]
المقام كان يكون فى [illegible]
تاج الى الاستئذان [illegible] ولما كان اعتبار الاذن كالدليل [illegible]
ها [illegible] كما على اصحاب الخروج بقوله تعالى (ان الذين يستأذنونك)
[illegible] (اولئك) اى العالو الرتبة (الذين يؤمنون بالله) [illegible] الامر
[illegible] المستأذن مؤمن [illegible] الا [illegible] اذنه [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible]
[illegible] فلا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قال ابن عباس [illegible]
[illegible] قال [illegible]
[illegible] الامر [illegible] على امر الدين [illegible]
[illegible] الذى له الامر [illegible] الاذن [illegible]
لاستغفار [illegible] القلوب اهل الاعتزاز [illegible] (ان الله غفور) اى
[illegible] اى لفرطات العباد (رحيم) اى بالتيسير عليهم [illegible]
[illegible] بات بخصوصها من شرف الرسل صلى الله عليه وسلم وكمال [illegible]
[illegible] قامه بقوله تعالى (لا تجعلوا) اى يا ايها الذين آمنوا (دعاء الرسول
[illegible] قال سعيد بن جبير وجماعة معناه لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد
[illegible] قاسم بل نادوه وخاطبوه بالتوقير فقولوا يا رسول الله يا نبى الله وعلى
[illegible] هو له وقال المبرد والقفال لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم لبعض

متفرقين واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الأكثرون نزلت في بني ليث بن عمرو من
كنانة وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظراً نهاره إلى الليل فإن لم يجد
من يؤاكله أكل ضرورة وقال عطاء عن ابن عباس كان الغني يدخل على الفقير من ذوي
قرابته وصديقه فيدعوه إلى طعامه فيقول والله إني لأجنح أي أتحرج أن آكل معك
وأنا غني وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الأنصار كانوا
لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا مجتمعين
وأشتاتاً متفرقين وقال الكلبي كانوا إذا اجتمعوا ليأكلوا طعاماً عزلوا للأعمى طعاماً
وحده وكذلك الزمن والمريض فبين الله تعالى لهم أن ذلك غير واجب وقيل تحرجوا عن
الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض * (تنبيه) *
جميعاً حال من فاعل تأكلوا وأشتاتاً عطف عليه وهو جمع شت وشتى جمع شتيت وشتان
تثنية شت روي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نأكل ولا نشبع قال فلعلكم
تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه وروي أنه
صلى الله عليه وسلم قال كلوا جميعاً ولا تفرقوا واذكروا اسم الله فإن البركة مع الجماعة
ولما بين تعالى صور الأكل وكيفيته ذكر الحالة التي عليها الداخل إلى تلك المواطن
وغيرها بقوله تعالى (فإذا دخلتم) أي بسبب ذلك أو غيره (بيوتاً) أي من هذه البيوت
فسلموا على أنفسكم) أي على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة جعل الأقارب كالنفس
النفس الواحدة كقوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم وقال ابن عباس إذا لم يكن في البيت أحد
فقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة إذا دخلت
فسلم على أهلك فهم أحق بالسلام ممن سلمت عليهم وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليه (تحية من عند الله) أي
ثابتة بأمره مشروعة من لدنه (مباركة) أي لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) أي
تطيب بها نفس المستمع والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله
ووصفها بالبركة والطيب لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله تعالى زيادة الخير وطيب
الرزق وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وقيل تسع سنين فما قال
لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء تركته لم تركته وكنت واقفاً على رأسه أصب الماء على
يديه فرفع رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال
متى لقيت من أمتي أحداً فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين * (تنبيه) * تحية منصوب على المصدر من
فسلموا لأنه من باب قعدت جلوساً فكأنه قال فحيوا تحية وقال القفال وإن كان في البيت
أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى وكرر قوله تعالى (كذلك يبين الله) أي الذي
أحاط علمه بكل شيء (لكم الآيات) ثالثاً لمزيد التأكيد وتفخيم الأحكام المختتمة به
وفصل الأولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال تعالى (لعلكم تعقلون)
عن الله أمره ونهيه وأدبه * ولما كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل

ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله في البيع في صحيحه
وأما قول البيضاوي تبعا للكشاف من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد
كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي فهو حديث موضوع

سورة الفرقان مكية

إلا قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى رحيما فمدني وآيها سبع وسبعون
آية وكلماتها ثمانمائة واثنان وسبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي له الحجة البالغة (الرحمن) الذي عم الخلق بنعمه (الرحيم) الذي وسعت رحمته
كل شيء (تبارك) قال الزجاج تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومعنى تبارك الله وفيه
معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وعن ابن عباس
كان معناه جاء بكل بركة وخير وقال الضحاك تبارك تعاظم ولا يستعمل إلا لله تعالى ولا
يتصرف فيه ثم وصف ذاته الشريفة بما يدل على ذلك بقوله تعالى (الذي نزل الفرقان) أي
القرآن والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق
والباطل ولأنه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال ألا ترى
قوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث (على عبده) أي محمد صلى الله عليه وسلم
وأضافه إلى نفسه إضافة تشريف وفي عود ضمير (ليكون) ثلاثة أوجه أحدها أنه يعود على
الذي نزل أي ليكون الذي نزل الفرقان نذيرا الثاني أنه يعود على الفرقان أي ليكون الفرقان
نذيرا وأضاف الإنذار إليه كما أضاف الهداية إليه في قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي
أقوم قال ابن عادل وهو بعيد لأن المنذر والنذير من صفات الفاعل المخوف ووصف القرآن به
مجاز وحمل الكلام على الحقيقة أولى الثالث أنه يعود على عبده أي ليكون عبده محمد صلى الله
عليه وسلم (للعالمين نذيرا) أي وبشيرا وهذا أحسن الوجوه معنى وصناعة لأن به عائد يعود عليه
والضمير يعود على أقرب مذكور والعالمين متعلق بنذيرا وإنما قدم لأجل الفواصل ونذيرا بمعنى
منذر أي مخوف ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى
فكيف كان عذابي ونذر (تنبيه) المراد بالعالمين قال البقاعي أي المكلفين كلهم من الجن
والإنس والملائكة اهـ ولكن في إرساله للملائكة خلاف بين العلماء فقد نقل الجلال المحلي
في شرحه على جمع الجوامع الإجماع على أنه لم يرسل إليهم وغيره صرح بأنه أرسل إليهم ومن حفظ
حجة على من لم يحفظ (فإن قيل) قوله تعالى تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمذكور عقيبه
لا بد وأن يكون سببا لكثرة الخير والمنافع والإنذار يوجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره
بهذا الموضع (أجيب) بأن الإنذار يجري مجرى تأديب الولد (١) كما أنه كلما كانت المبالغة في
تأديب الولد أكثر كان رجوع الخلق إلى الله تعالى أكثر وكانت السعادة الأخروية أتم وأكثر
وهذا كالتنبيه على أنه لا التفات إلى المنافع العاجلة لأنه تعالى لما وصف نفسه أن يعطي الخيرات
الكثيرة لم يذكر إلا منافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة وقوله تعالى (الذي له ملك السموات
والأرض) إشارة إلى احتياج هذه المخلوقات إليه سبحانه وتعالى حال حدوثها وأنه تعالى

فتقبلوا عنه كما يتقبل بعضكم عن بعض اذا دعاه لامر بل يجب عليكم المبادرة لامره ويؤيده
قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره وعلى هذا يكون المصدر مضافا للفاعل وقال ابن
عباس احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره
وروى عنه ايضا لا ترفعوا اصواتكم في دعائه وهو المراد من قوله ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله وقول المبرد كما قال ابن عادل اقرب الى نظم الآية ولما كان بعضهم يظهر
الموافقة ويبطن المخالفة حذر من ذلك بقوله تعالى (قد يعلم الله) اى الذى لا يخفى عليه خافية
(الذين يتسللون منكم) اى يخرجون قليلا قليلا لاجل ما اوقعهم في غاية الشقاء وتظهر تسلل
تدريج وتدخل وقوله تعالى (لواذا) حال اى ملاوذين والملاوذة الاستتار يقال لاذ فلان
بكذا اذا استتر به وقال ابن عباس اى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم
المقام في المسجد يوم الجمعة لاستماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يلوذون ببعض
اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد للتحقيق وتسبب عن علمه تعالى قوله تعالى
(فليحذر) اى يوقع الحذر (الذين يخالفون عن امره) اى يعرضون عن امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويسرعون عنه بغير اذنه وقال ابو بكر الرازى الضمير لامر الله لانه يليه
وقال الجلال المحلى اى الله ورسوله وكل صحيح فان مخالفة امر احدهما مخالفة امر الآخر
(ان) اى لئلا (تصيبهم فتنة) قال مجاهد بلاء في الدنيا وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء
زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط الله عليهم سلطانا جائرا (او يصيبهم عذاب أليم) اى
وجيع في الآخرة (تنبيه) الآية تدل على ان الامر للوجوب لان تارك المأمور مخالف
للامر ومخالف الامر يستحق العقاب ولا معنى للوجوب الا ذلك ولما اقام تعالى الادلة على
انه نور السموات والارض وختم بالتحذير لكل مخالف أنتج ذلك أن له كل شىء فقال تعالى (ألا ان
لله ما في السموات والارض) خلقا وملكا وعبيدا (فان قيل) ما فائدة ذكر عبيدا بعد ملكا
(أجيب) عنه بانه ذكر لئلا يتوهم أن ما ملكه الا بعقل فقط ولما كانت احوالهم من جملة ما هو له
وان اجتهدوا في اخفائه قال تعالى (قد يعلم ما أنتم) اى أيها المكلفون (عليه) اى من الموافقة والمخالفة
والاخلاص والنفاق وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع
كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قول بعضهم

فان تمس مهجور الفناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود

ونحوه قول زهير

أخى ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختص به تعالى فكيف يخفى عليه احوال المنافقين
وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها ثم قال تعالى (ويوم) اى ويعلم يوم
(يرجعون اليه) فيه التفات عن الخطاب اى متى تكون اى ويوم يرجع المنافقون اليه للجزاء
(فينبئهم) اى فيتسبب عن ذلك انه يخبرهم (بما عملوا) اى من الخير والشر فيجازيهم عليه
(والله) اى الذى لا تخفى عليه خافية (بكل شىء) اى من اعمالهم وغيرها (عليم) عن عائشة رضي
الله تعالى عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف

لما كان معبودا الها وانه تكلم تعالى أولا على التوحيد وثانيا في الرد
الثاني مسئلة النبوة وحكى شبه الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه
قوله تعالى (وقال الذين كفروا) اى ستروا والوصف الذى حملهم على هذا
هواهم ولغيرهم كالشمس والاجتهاد في اخفائه (ان) اى ما (هذا) اى
كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
القرآن (قوم آخرون) اى من غير قومه وهم اليهود فانهم يلقون اليه
عنها بعبارته وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى
أبو فكيهة الرومى كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا
الى عليهم بقوله تعالى (فقد جاؤا) اى فعلوا هذه المقالة (ظلما) وهو جعل
محمد اقاصيصه مختلقة من اليهود وجعلوا العربى يتلقى من العجمى الرومى كلاما
ه جميع فصحاء العرب (وزورا) اى بهتانا ... فما هو برى منه اليه
. كوان وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام ... (جاؤا) ... جاء وأتى
فعل فيعديان تعديته وظلما مفعول به وقيل انه على اسقاط الخافض اى
الثانية قوله تعالى (وقالوا أساطير الاولين) أى ما سطره الاولون من
وتبالضم كأحدوثة وأحاديث (اكتتبها) اى تطلب كتابتها من ذلك
اهى ان هذا القرآن ليس من الله تعالى انما هو مما سطره الاولون الاول
نديار استفدتها من أهل الكتاب (فهى) اى فتسبب عن تكلفه
ى تقرأ عليه ليحفظها (بكرة) قبل أن ينتشر الناس (وأصيلا) اى عشيا
نهم وأوقات ... كتب نسخها بالاملاح لانه أمى لا يقدر أن يكرر
ذا كاتى لا يقوله ... أو صورة ... وهو ...
من ذلك وفهم الكتاب والـ ... الـ ... أ ... الا
ون على ... (قالوا ...) كيف ... تنتهوا ...
بكتبها (اكتتبها) ... أ ...
هو آية في ... اى ... من كتاب ... الاول ... الاذان
الالقاء على الكاتب وقرأت ... أو ... الكتاب ... كانوا
ثم أمر الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى (قل) اى لهم ... بطلان ما قالوه
ى يعلم السر) اى الغيب (فى السموات والارض) لانه أعجزكم عن آخركم
خبارا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار
خبار الاولين مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسوله
براءته مما يبهتونه به وهو يجازيكم على ما علم منكم وعلم منه (فان قيل)
وقوله تعالى (انه كان) اى أزلا وأبدا (غفورا رحيما) أجيب بأنه لما كان
ما يعقبه بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالرحمة والمغفرة الا القادر
تنبيه على انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا

وهو القرآن المشتمل
... تعالى بجوامع ...
الله والثانية ...
الله عليه وسلم ...

هو المتصرف فيها كيف يشاء فلا اشكال أن يرسل رسولا الى كل من فيها * (تنبيه) * يجوز في
الذي الرفع نعتا للذي الاول أو بيانا أو بدلا أو خبر الابتداء محذوف والنصب على المدح وما بعده
دل على أنه من تمام الصلة فليس أجنبيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا
جعلنا الثاني تابعا له (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد أبدا ولا يصح أن يكون غيره تعالى معبودا
ولا وارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالوهية
واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه عن كل من سواه تعالى ولم يشتغل قلبه الا برحمته
واحسانه وفيه رد على الوثنية القائلين بعبادة النجوم والاوثان * ولما نفى تعالى الشريك
وكان ثم لا يقول بهذا أقوام يعترفون بنفي الشريك والشركاء والانداد ومع ذلك يقولون
بخلق أفعال أنفسهم رد الله تعالى عليهم بقوله (وخلق كل شيء) أي من شأنه أن يخلق ومنه
أفعال العباد والخلق هنا بمعنى الاحداث أي أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير
والتسوية (فقدره تقديرا) أي هيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل
المقدر الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان
وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة وهي احداثه الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمة
الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره تقديرا في ايجاده ولم يوجده
متفاوتا ولو حمل خلق كل شيء على معناه الاصلي من التقدير لصار الكلام وقدر كل شيء فقدره
ولم يصر له كبير فائدة وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم واستأنف
ورد الضمير في قوله تعالى (واتخذوا من دونه) أي الله تعالى أي غيره (آلهة) على ثلاثة
أوجه أحدها أنه يعود على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين ثانيها أنه يعود على من ادعى له
شريكا وولدا لدلالة قوله تعالى ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ثالثها أنه يعود على
المنذرين لدلالة نذيرا عليهم * ولما وصف نفسه سبحانه وتعالى بصفات الجلال والعزة
والعلا أردفه بتزييف مذهب من يعبد غيره من وجوه منها أنها ليست خالقة للاشياء بقوله
تعالى (لا يخلقون شيئا) والاله يجب أن يكون قادرا على الخلق والايجاد ومنها أنها مخلوقة بقوله
تعالى (وهم يخلقون) والمخلوق محتاج والاله يجب أن يكون غنيا وغلب العقلاء على غيرهم لان
الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزير والمسيح والملائكة وغيرهم كالكواكب والاصنام
التي ينحتونها ويصورونها ومنها أنها لا تملك لانفسها ضرا ولا نفعا بقوله تعالى (ولا يملكون)
أي لا يستطيعون (لانفسهم ضرا) أي دفعه (ولا نفعا) أي جلبه ومن كان كذلك فليس باله
ومنها أنها لا تقدر على موت ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى (ولا يملكون موتا ولا حياة) أي اماتة
لاحد واحياء لاحد (ولا نشورا) أي بعثا للاموات فيجب أن يكون المعبود قادرا على ايصال
الثواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك يجب أن لا يصلح للالهية
(تنبيه) * احتج أهل السنة بقوله تعالى لا يخلقون شيئا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه
تعالى عاب هؤلاء الكفار من حيث عبدوا ما لا يخلق شيئا وذلك يدل على أن من خلق يستحق أن

حانه وتعالى ما شاء في ذلك في الدنيا فأباه روي أنه عليه الصلاة والسلام
ل بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما
فإذا جعت تضرعت إليك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك وعن عائشة
سول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهبا
قرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا
السلام فأشار إلي أن ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان النبي صلى
أكل متكئا ويقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وعن
ل الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل عليه السلام معه فقال
ملك قد نزل من السماء استأذن ربه في زيارتك فلم يلبث إلا قليلا حتى
الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يخيرك أن يعطيك مفاتيح كل شيء لم
يعطه أحدا قبلك من غير أن ينقصك مما لك شيئا فقال صلى الله
في الآخرة فنزل تبارك الذي إن شاء الآية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن
ويجعل وفيه وجهان أحدهما أنه مستأنف والثاني أنه معطوف
الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله

وإن أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

في يجعل لك إذا أدغم أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع [illegible]
ن كلامهم في حق رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (بل) أي
بشبهة لأنهم لا يعتقدون فيه ذلك كذبا بل (كذبوا بالساعة) أي بالقيامة
الحطام الدنيوي وظنوا أن [illegible] إنما هي بالمال [illegible]
[illegible] الآية [illegible]
[illegible] (لمن كذب بالساعة) [illegible] (سعيرا)
[illegible]
من أصحابه [illegible] (تبصرة) [illegible]
وهو أن النار هي دار العذاب مخلوقة [illegible] الآية (إذا رأتهم) [illegible]
ما تمكن رؤيته وقال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من
صلى الله عليه وسلم أنه قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ [illegible]
عينين قال أما سمعت قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد [illegible] وقال
إذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا تراءى ناراهما
تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز انتهى [illegible]
الرؤية مشروطة بالحياة بخلاف الأشاعرة فإنهم يجوزون رؤيتها
قوله تعالى (سمعوا لها تغيظا) أي غليانا كالغضبان إذا غلى
را) أي صوتا شديدا إذ لا امتناع من أن تكون النار متغيظة وزافرة
بعد ما ذكر بقوله هذا أن الحياة لم تكن مشروطة عندنا بالبنية

والظاهر [illegible]
في الأرض [illegible]
(قوله [illegible]
[illegible]

ولكن صرف ذلك عنهم لأنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل ثم ذكر الشبهة الثانية بقوله تعالى (وقالوا
مال هذا الرسول) أي ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيها استهانة وتهكم وتصغير لشأنه وتسميته
بالرسول سخرية منهم كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون إن رسولكم
الذي أرسل إليكم لمجنون أي إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا (يأكل الطعام) أي كما
نأكل (ويمشي) أي ويتردد (في الأسواق) لطلب المعاش كما نمشي ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة
يعنون أنه يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والشرب والتعيش وكذلك كانوا يقولون
له لست أنت بملك لأنك تأكل الطعام والملك لا يأكل ولأن الملك لا يتسوق وأنت تتسوق
وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدمياً ومشيه في الأسواق لتواضعه وكان ذلك صفته
في التوراة ولم يكن صخاباً في الأسواق وليس شيء من ذلك ينافي النبوة ولأنه لم يدع أنه ملك من
الملوك ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا
في الإنذار والتخويف فقالوا (لولا) أي هلا (أنزل إليه ملك) أي بصورته يشاهد له (فيكون معه
نذيراً) أي داعياً ثم نزلوا أيضاً إلى أنه إن لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز فقالوا (أو يلقى
إليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش
ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلاً له بستان فقالوا (أو تكون له جنة) أي بستان (يأكل منها)
أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل أن يكون له بستان كالمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي
بالنون أي نأكل نحن منها فيكون له مزية علينا بها والباقون بالياء ثم ذكر تعالى (وقال
الظالمون) وضع فيه الظاهر موضع المضمر إذ الأصل وقالوا تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوا (إن)
أي ما (تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) أي مخدوعاً مغلوباً على عقله وقيل مصروفاً عن الحق ولما
أنهى تعالى ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم [illegible] قال تعالى لرسوله صلى الله
عليه وسلم مسلياً له بقوله تعالى (انظر) أي يا أفضل الخلق (كيف ضربوا لك الأمثال) أي
بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر (فضلوا) أي بذلك عن [illegible] سبيل
الهدى (فلا يستطيعون) أي في الحال ولا في المآل بسبب الضلال (سبيلاً) إلى سلوك سبيل
من السبل الموصلة إلى ما يستحق أن يقصد بل هم في مجاهل موحشة [illegible]
[illegible] لا علم لهم ولا قدرة ولا عين ولا بركة [illegible] ثم [illegible] تعالى [illegible] الكلام الذي
يفصح به على من يشاء من عباده ما يشاء بقوله تعالى (تبارك) أي ثبت ثباتاً [illegible] البركة
لأنها بالأمور (الذي إن شاء) فإنه مكرمة (جعل لك) أي في الدنيا (خيراً من ذلك) أي من الذي
قالوه على طريق التهكم من الكنز والبستان وقوله تعالى (جنات) بدل من خيراً ويجوز
أن يكون منصوباً بإضمار أعني أو هو عطف بيان وقوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) أي تكون
أرضها عيوناً نابعة أي في أي موضع أريد منها إجراء نهر جرى فهي لا تزال ريانة تغني صاحبها عن
كل حاجة ولا تحوجه في استمرارها إلى سقي (ويجعل لك قصوراً) أيضاً وهي جمع قصر وهو
المسكن الرفيع قال المفسرون القصور هي البيوت المشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد
قصراً ويحتمل أن يكون لكل جنة قصر فيكون مسكناً ومتنزهاً ويجوز أن تكون القصور
مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد إن شاء جعل جنات في الآخرة وقصوراً في الدنيا ولم يشأ الله
سبحانه وتعالى ما أشار إليه في هذه الآية الشريفة في هذه الدنيا الفانية وأخره إلى الآخرة

ومصيرا لكنها بعد ما صارت كذلك قال تعالى كانت (أجيب) من وجهين
تعالى فهو في تحققه كالواقع الثاني أنه كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل
أزمنة متطاولة أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فإن قيل) لم جمع تعالى بين
يب) بأن ذلك كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب
س الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم
وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف
وظلمته فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء (تنبيه) المتقي يشمل من اتقى
اصي وإن كان غيره أكمل ثم ذكر تعالى تنعمهم فيها بعد أن ذكر نعيمهم
أي الجنة (ما يشاؤن) من كل ما تشتهيه أنفسهم كما قال تعالى ولهم فيها
ما تشتهي الأنفس (فإن قيل) أهل الدرجات النازلة إذا شاهدوا
قد أن يريدوها فإذا أرادوها فإن أعطاها الله لهم لم يبق بين الناقص
الدرجة وإن لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤن
يزيل هذا الخاطر عن قلوب أهل الجنة ويشتغلون بما هم فيه من اللذات
غيرهم وقوله تعالى (خالدين) منصوب على الحال إما من فاعل يشاؤن وإما
ضمير العائد على ما محذوف أي لهم فيها الذي يشاؤنه حال كونهم خالدين
ربك) أي وعده [illegible] ما ذكر (وعدا) يدل على أن الجنة [illegible]
بحكم الاستحقاق وقوله تعالى (مسؤلا) أي مطلوبا [illegible] في المسائل
تسألوا ربهم في الدنيا [illegible]
[illegible] من يدعو [illegible] الأعلام
[illegible] دعوته وإما أن يدخرها في الآخرة وإما أن [illegible]
إلى الله تعالى أكثر وروي أنه يؤتى بالمؤمن يوم القيامة [illegible]
عبدي فيقول لبيك يا رب فيقول [illegible]
كنت تدعوني أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك [illegible]
أن أفرج عنك فرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول إني عجلتها لك في الدنيا
الغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجا قال نعم يا رب فيقول إني ادخرت
كذا ودعوتني في حاجة أقضيها لك في يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم
في الدنيا ودعوتني في يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها
في ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا وإما أن يكون ادخر
من في هذا المقام يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه وروي لا تعجزوا في
عاء أحد وروي ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة وروي يستجاب
ول دعوت فلم يستجب لي وروي لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم
جل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم يستجب لي

أمكن ان يخلق الله فيها حياة ترى تغيظا وزفيرا وقال الجلال المحلي و
وعلمائنا قال عبد الله بن عمر تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب
الاخر لوجهه وقيل اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار
اليها على حذف مضاف (واذا ألقوا) أي طرحوا الطرح اهانة (منها)
ثم وصفه تعالى بقوله تعالى (ضيقا) زيادة في فظاعتها قال ابن عباس يضيق
الزج في الرمح (مقرنين) اي مصفدين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم في
الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بأن
والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا
على أهل النار أنواع الضيق والارهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون
عن ابن عباس أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهو قد رواه أيضا عن
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون
الوتد في الحائط وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت
ايديهم مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم * (تنبيه) * مكانا منصوب
في محل نصب على الظرف منها لانه في الاصل صفته ومقرنين حال من
ابن كثير ضيقا بسكون الياء والباقون بكسر الياء مشددة (دعوا هنالك)
المكان الصعب الضيق (ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقال الضحاك
واثبوراه هذا حينك وزمانك لانه لا مدعو لهم غيره وليس يحضر أحد منهم
وفي الحديث ان أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه و
وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا
(لا تدعوا اليوم) اي أيها الكفار (ثبورا واحدا) لانكم لا تموتون اداء
العذاب والهلاك (وادعوا ثبورا كثيرا) أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة
أدعية كثيرة وقال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا
وصف تعالى العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكد الحسرة والند
(قل) أي لهؤلاء البعداء البغضاء (أذلك) اي المذكور من الوعيد وصفة
الخلد) أي الاقامة الدائمة (التي وعد المتقون) اي وعدها الله تعالى اياهم فالر
وهو هاء وعدها محذوف (فان قيل) كيف يقال العذاب خير أم جنة الخلد و
القائل السكر أحلى أم الصبر (أجيب) بأنه يحسن في معرض التقريع كما
عبده مالا فتمرد وأبى واستكبر فضربه ويقول له هذا خير أم ذاك قال أبو مسلم
لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا نريد منكم
(فان قيل) الجنة اسم لدار الخلد فأي فائدة في قوله تعالى جنة الخلد (أجيب)
تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفة الكمال كقوله تعالى هو الله الخالق ال
هذا البيان أو للتمييز عن جنات الدنيا ثم حقق تعالى أمرها تأكيدا للبشارة
[illegible]

ومنه قوله واذ
تخلق من الطين كهيئة
(قلت) الخلق
والايجاد فمع

(ولكن متعتهم وآباءهم) وهو ان ذكروا سببه أي انعمت عليهم
بالنعم والصحة وطول العمر في الدنيا فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم (حتى نسوا
الذكر) أي تركوا الايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وتوحيدك لما عنه
حيث علمتهم في الازل (قوما بورا) اي هلكى وهو مصدر يوصف به
الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ وقوله (فقد كذبوكم) فيه التفات الى
الخطاب على حذف القول والمعنى فقد كذب المعبودون العابدين (بما
تقولون) ايها العابدون من انهم يستحقون العبادة وانهم يشفعون لكم
في تخليصهم عن عبدتهم فانه لا نفع في ايديهم ولا ضر قال تعالى (فما
يستطيعون (صرفا) اي شيئا من الاشياء عن احد من الناس لانهم لا
يملكون حيلة ولا شفاعة ولا مساعدة (ولا نصرا) اي نصرة لكم من الله
وهو قوله تعالى لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقرأ
الباقون بالياء على الغيبة (ومن يظلم) أي بالشرك (منكم) اي
جميعا من المخاطبة (عذابا كبيرا) اي شديدا في الدنيا بالقتل
والاسر وفي الآخرة بنار جهنم * روى الضحاك عن ابن عباس انه قال لما
عير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ما لهذا الرسول الى آخرها انزل الله
الأمر في اطلاق احدها (من المرسلين الا) وحالهم (انهم ليأكلون
الطعام) كما تأكلون من الاطعمة (ويمشون في الاسواق) كما تفعل فيه عادة
لهم فهم اولى بذلك المطاعن من انبيائهم وهذا تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل المعنى الا ... وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق * قال تعالى في موضع آخر ما يقال
لك (وجعلنا) أي بالعطاء والمنع الناس المختلفة (بعضكم) ايها
الناس (لبعض فتنة) أي بلية والمعنى انه تعالى ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم ومخاصمتهم
لما رجحه عن حد الانصاف وجعل الغني فتنة للفقير والصحيح فتنة
للمريض يقول الفاقد من كل مالي لا اكون كذا وكذا وقال ابن عباس
جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم فتتبعوا الهدى
وقيل نزلت الآية في ابي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن
الحارث حين رأوا ابن مسعود وعمار وبلال وصهيب وعامر بن فهيرة ومن دونهم
قد اسلم ونكون مثل هؤلاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا
لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا فتكون ممزوجة بالاغيار وانما
بعثناك فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقوله تعالى
(أتصبرون) وتمام ابتلاكم به استفهام بمعنى الامر أي اصبروا (وكان ربك)
منه الى احد سوى الله لا يحتاج الى شاهد (بصيرا) أي بكل شيء
كان لم يفد ذلك علما لم يكن عنده ولكن وهم ذلك شهادة كما يعلم علم

قوله في صحيح بالخطاب موافقة
قرئ بلفظ الله موافقة
لما قبله في المواضع الثلاثة

قوله ... بعضهم ... للغني ... الصحيح
فتنة للمريض ... والمعافاة اه مصحح

فيستحسر أي يكل عند ذلك ويدع الدعاء فلم يدع الانسان وهو موقن بالاجابة
القدر على الطلب من الملائكة للمؤمنين سألوا ربهم للمؤمنين بقولهم ربنـ
عدن التي وعدتهم وقيل ان المكلفين سألوها بلسان الحال لانهم لما تحملوا
طاعة الله كان ذلك قائما مقام السؤال قال المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي كلام عندها وخ

ولما ذكر تعالى حالهم في أنفسهم أتبعه ذكر حالهم مع معبوداتهم من دونه بقو
أي واذكر لهم يوم (يحشرهم) أي المشركين وقرأ ابن كثير وحفص باليا
واختلف في المراد بقوله تعالى (وما يعبدون من دون الله) أي غيره
الملائكة والجن والمسيح وعزير وغيرهم وقال عكرمة والضحاك والكلبي
اهم فكيف يخاطب الله تعالى الجماد بقوله تعالى (فيقول أأنتم أضللتم
أوقعتموهم في الضلال بأمركم اياهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أي ط
فأجابوا بوجهين أحدهما أنه تعالى يخلق الحياة فيها ويخاطبها ثانيهما أن يـ
النفساني لا بالقول اللساني بل بلسان الحال كما ذكره بعضهم في تسبيح الجـ
والارجل ويجوز أن يكون السؤال عاما لهم جميعا (فان قيل) كيف صـ
العقلاء (أجيب) على الاول بأنه أتي به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم الا ترا
السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل أم قصير فقيه أم طبيب وقال
نا هنا ولا أنتم عابدون ما أعبد وأما على القول الثاني فواضح وأما على القول
العاقل لغلبة عبادة أو تحقيرا (فان قيل) ما فائدة هذا السؤال مع ان الله
الازل بحال المسؤول عنه (أجيب) بان هذا سؤال تقريع للمشركين كما قال ا
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقرأ ابن عامر فنقول
بالنون وقرأ أأنتم نافع وابن كثير بتسهيل الثانية وادخال ألف بينها وبينهـ
وورش وابن كثير بتسهيل الثانية ولا ألف بينها وبين الاولى ولورش وجه آخر
ألفا وهشام بتسهيل الثانية وتحقيقها مع الادخال والباقون بتحقيقهما و
وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة من أم ياء خالصة والباقون
سبحانك) أي تنزيها لك عما لا يليق بك أو تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة أو
فما أبعدهم عن الضلال الذي هو مختص بابليس وجنوده أو جمادات وهي
اشعار لها أو المراد بهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده
اي يستقيم (لنا أن نتخذ) أي تكلفنا ان نأخذ باختيارنا غير ارادتك (من
(من أولياء) للعصمة أو لعدم القدرة فكيف يستقيم لنا أن نأمر بعبادتنا (
أنتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل (أجيب) بان السؤ
وجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلابد
حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤول عنه (تنبيه) من أولياء مفعو
لتأكيد النفي وما قبله القول الثاني ولما تضمن كلامهم انا لم نضلهم ولم

...وات من ربهم
(قوله واتخذوا
...هم) قاله هنا

الملائكة سواء كان فى الدنيا أم فى الآخرة (الى ما عملوا من عمل) اى
من الجود وصلة الرحم واغاثة الملهوف ونحو ذلك (فجعلناه) لكونه لم
ــه هو الهوى والشيطان (هباء) وهو ما يرى فى شعاع الشمس الداخل
ــ (منثورا) اى مفرقا اى مثله فى عدم النفع اذ لا ثواب فيه لعدم
ــ البناء فتكون النار مستقرهم ومقيلهم واهذا بين حال اضدادهم وهم
(أصحاب الجنة يومئذ) اى يوم اذ يرون الملائكة (خير مستقرا) من
ــلا) منهم والمستقر المكان الذى يكونون فيه فى اكثر اوقاتهم
يتجالسون وانقيل المكان الذى يأوون اليه للاسترواح الى أزواجهم
ــ ثهن كما ان اهل الدنيا يعتادون على ذلك الترتيب روى انه
ــ ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقال
النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار
ــه الآية لحساب فى ذلك اليوم فى أوله وقال يوم القيامة قصير على
ــما بين العصر الى غروب الشمس (قيمه) فى أهل هؤلاء ان
من التفضيل والمعنى ان المؤمنين خير فى الآخرة مستقرا من مستقر
ــهم من مقيلهم ولو فرض ان يكون لهم ذلك او على انهم خير فى الآخرة
ــ يكون خير الوصف من غير مفاضلة ومن ذلك الحسنى قوله تعالى ان
ــشغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ذكروا
ــاض الابكار والغناء مكانه مع ..... م ... لهم ..... لا مع انه
فى التشبيه ثم عطف تعالى على قوله يوم يرون قوله تعالى (ويوم تشقق
بالغمام) اى تتشقق الارض بالنبات ... ح ... ثم ... لا ... اه
ــطهم ولم يكن الالى ... ر ... فى ... م ... (قيمه) ... الا
ــة اى بسبب ... الغمام ... ــ ... ــ ... ح ... ب ... ن ...
ــاء الثانى أم المال اى ... م ... الثالث ... ثم ... ان ... ان
ــ تشقق الارض ثم ... والجبال ... ثم ... ت ... ن
ــ أو ... و ... ويكونون ... والحال الا ... ثم ... ان
ــنزول الملائكة ... راح ... تعالى (ونزل الملائكة) اى
كلهم أخلف من بامر من الامور و ... من الذى ... ا ... انهم
ــ فى أيديهم صحائف الاعمال قال ابن عباس تتشقق السماء الدنيا فتنزل
لارض من الجن والانس ثم تتشقق السماء الثانية فتنزل أهلها وهم
ــ واهل الارض جنا وانسا ثم كذلك حتى تتشقق السماء السابعة
ــ على السماء التى قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش (فان قيل)
ــن سماء الدنيا كالحلقة فى فلاة فكيف تسع الارض هؤلاء (أجيب) بعضهم
ــ تكون فى الغمام والغمام يكون مقر الملائكة ويجوز ان الله تعالى

لمحاسبة ما يعلمون ثقله
الوزن على الطاعة (فإنما
كانت اعمالهم هباء ووصفها

فصبر ولقد وعدهم بمقالات الجنة فلا يضيق صدرك ولا تستخفنك أقاويلهم فان صبرك عليها
عبادة لله وفوز لك في الدارين روى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم من فضل
عليه في المال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم وروى انظروا الى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم الشبهة الرابعة
لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يخافون
البعث قال الفراء الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
أى لا تخافون لله عظمة (لولا) أى هلا ولم لا (أنزل) أى على أى وجه كان من أى منزل كان
(علينا الملائكة) كما نزلت عليه فيما يزعم وكانوا رسلا الينا أو تخبرنا بصدقه (أو نرى ربنا)
تعالى عيانا من الاحسان وبما لنا من العظمة بالقوة بالاموال وغيرها فيأمرنا باتباعه من
غير حاجة الى واسطة قال الله تعالى عليهم (لقد استكبروا) أى تعظموا (في) شأن (أنفسهم) أى
أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) أى تجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) أى بالغا أقصى
غاية حيث عاينوا المعجزات الظاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت
دونه مطامع النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي هذا الفعل دليل على
التعجب من غير لفظه تعجب الاترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم ثم بين تعالى
أنهم حالهم عند بعض ما طلبوا بقوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أى يوم القيامة وقال ابن
عباس عند الموت (لا بشرى) أى من البشر أصلا (يومئذ) وقوله تعالى (للمجرمين) أى
الكافرين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فتناولهم بعمومه بخلاف المؤمنين فلهم
البشرى بالجنة (تنبيه) في نصب يوم أوجه أحدها أنه منصوب بما دل عليه قوله
تعالى لا بشرى أى يمنعون البشرى يوم يرون الثاني باذكر فيكون مفعولا به الثالث [illegible]
مقدرا ولا يجوز أن يعمل فيه نفس البشرى لوجهين أحدهما أنها مصدر والمصدر
لا يعمل فيما قبله والثاني أنها منفية بلا وما بعد لا لا يعمل فيما قبلها وقوله (ويقولون) أى
في ذلك الوقت (حجرا محجورا) عطف على المدلول ويقول الكفرة لهم حينئذ هذه الكلمة
استعاذة وطلبا من الله تعالى أن يمنع لقاء الملائكة عنهم ومع انهم كانوا يطلبون نزول
الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم
لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو والشدة
النازلة أو نحو ذلك حجرا محجورا فهو موضوع موضع الاستعاذة فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة
قال سيبويه يقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان
المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه عنه فلا يلحقه وكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا
ويحجره حجرا وقال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة الا من قال لا اله
الا الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول الملائكة لهم حرام محرم عليكم أن تكون
لكم البشرى ولما كان المراد لا يحال في الشدة كراهة لا يقع في ابطاله بغيره بل بأنه
[illegible] (وقدمنا) أى وعمدنا بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة في ذلك

اى طريقا الى الهدى ولما تأسف على مجانبة الرسول ندم على مصادقة
اى يا هلاكى الذى ليس لى منادم غيره لانه ليس بحضرتى سواه (ليتنى لم
خليلا) اى صديقا أوافقه فى أعماله الماضيات من سوء عاقبتها فكنى عن
فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان خليله اسم علم عليه لا محالة
أبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وأظهر الذال عند التاء ابن
والباقون ثم استأنف قوله الذى يتوقع كل سامع أن يقوله (لقد) اى
الذكر) اى عمى على طريق القرآن الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره وصرفنى
الهلاك باقبالها (بعد اذ جاءنى) ولم يكن لى منه مانع يرقنى عن الايمان به
وعاصم باظهار الذال والباقون بالادغام وقوله تعالى (وكان الشيطان)
شيطانا لانه أضله كما يضل الشيطان أو الى كل من كان سببا للضلال من
(للانسان خذولا) اى شديد الخذلان يورده ثم يسلمه الى أكبر ما يكون
يستطاع بل هو فى شر من ذلك لان عليه اثمه فى نفسه ومثل اثم من أضله
الآية عام فى كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله تعالى قال صلى
الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك
اما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك
ريحا خبيثة وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل
وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى ولما ذكر تعالى
قول رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقال الرسول يا رب) اى
الاحسان وعبر بالماضى [illegible] (ان قومى)
(اتخذوا هذا القرآن) اى المقتضى للاجتماع عليه والمباعدة
[illegible] (مهجورا)
[illegible]
[illegible]
هذا القول وقع من النبى صلى الله عليه وسلم وقال أبو مسلم بل المراد أنه
قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية والاول أولى لان
اى كما جعلنا لك عدوا من مشركى قومك (جعلنا لكل نبى عدوا من الانبياء
عدوا من المجرمين) اى من المشركين تسلية له صلى الله عليه وسلم كأنه
فاصبروا ولا يكون ذلك الا اذا وقع القول منهم (وكفى بربك) اى المحسن
اليك (هاديا) اى يهدى من قدر بسعادته (ونصيرا) اى ينصرك على من يعاديك
أهل السنة بهذه الآية على أنه تعالى خلق الخير والشر لان قوله تعالى جعلنا
على أن تلك العداوة من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر (فان قيل) قوله
اتخذوا هذا القرآن مهجورا كقول نوح عليه السلام رب انى دعوت
فلم يزدهم دعائى الا فرارا فكان المقصود من هذا انزال العذاب فكذا

(قلت) لما قال الخذلان [illegible]
ما ورد الله به [illegible]
كانه قال [illegible]

ع الأرض حتى تجمع الجميع وقرأ ابن كثير بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة
وتخفيف الزاي ورفع اللام ونصب الملائكة والباقون بنون واحدة والزاي مشددة ونصب
اللام ورفع الملائكة ثم بين تعالى أن ذلك اليوم لا يقضى فيه غيره بقوله تعالى (الملك يومئذ)
أي إذ تشقق السماء بالغمام ثم وصف الملك بقوله تعالى (الحق) أي الثابت ثباتا لا يمكن زواله
ثم أخبر عنه بقوله تعالى (للرحمن) أي العام الرحمة في الدارين ومن عموم رحمته وحقية ملكه
أن يسر قلوب أهل وده بتعذيب أهل عداوته الذين عادوهم فيه لتقيدهم الحق باتباع الباطل
ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة (فإن قيل) مثل هذا الملك لم يكن قط إلا للرحمن فما
الفائدة في قوله تعالى يومئذ (أجيب) بأن في ذلك اليوم لا مالك له سواه لا في الصورة ولا في
المعنى فتخضع له الملوك وتعنو له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف سائر الأيام (وكان) أي ذلك
اليوم الذي تظهر فيه الملائكة الذي طلب الكفار رؤيتهم (يوما على الكافرين عسيرا)
أي شديد العسر والاعتسار (تنبيه) هذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمنين
عسيرا وجاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة
مكتوبة صلاها في الدنيا وقوله تعالى (ويوم يعض الظالم) أي المشرك المفرط تأسفا لما يرى فيه
من الأهوال معمول لمحذوف أو معطوف على يوم تشقق وأل في الظالم تحتمل العهد والجنس
لكن قال ابن عباس أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان لا يقدم من
سفر إلا صنع طعاما ودعا إليه جيرانه وأشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله
عليه وسلم ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا النبي صلى
الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد
أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأكل
صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فلما أتى أبي بن خلف قال له
يا عقبة صبأت فقال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد
له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست في نفسي فقال ما أنا
بالذي أرضى منك أبدا إلا أن تأتيه وتبزق في وجهه وتطأ قفاه وتلطم وجهه وعينه فوجده
ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك عقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة
إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا أمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله
عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصاري وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم
أحد طعنه في المبارزة فرجع إلى مكة ومات قال الضحاك لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله
عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك فيه حتى مات وقال الشعبي كان
عقبة خليل أمية فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر
وارتد فأنزل الله تعالى ويوم يعض الظالم أي عقبة (على يديه) قال الضحاك يأكل يديه إلى
المرفق ثم تنبت ولا يزال هكذا كلما أكلها نبتت وقال أهل اللغة هذه اللفظة للتحسر والغم يقال
عض أنامله وعض على يديه وهو لا يشعر حال كونه مع هذا الفعل (يقول) أي يجدد في كل لحظة
قوله (يا ليتني اتخذت) أي أرغمت نفسي وكلفتها أن آخذ في الدنيا (مع الرسول) أي محمد صلى

ـه معنا (وأحسن) أي من مثلهم (تفسيرا) أي بيانا وتفصيلا ولما
كشف بما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا
الكلام معناه كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت
ن يقرن بك ملك ينذر معك أو يلقى إليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل
ة إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن
كشفة لما هو بعد عليه ودلالة على صحته ثم بين تعالى حال هؤلاء
له تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يجمعون قهرا ماشين
مسحوبين (إلى جهنم) أي كأنهم لم ينظروا في الدنيا بعين الإنصاف
ـاهم أهمل هنا رأيهم فكأن الدنيا هي دار الآخرة يمشون فيها
ـاروي أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة
ـلين في الدنيا قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة وروى البيهقي
على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الوجوه وصنف
ـا الله تعالى المتعنتين في أمر القرآن بهذا الوصف استأنف الإخبار
(أولئك) أي البعداء البغضاء (شر) أي شر الخلق (مكانا) هو جهنم (وأضل
سبيلا) من غيرهم وهو كفرهم ولما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
ـه معرض التسلية له صلى الله عليه وسلم ذكر قصص جماعة من الأنبياء
ـاد في تسليته القصة الأولى قصة موسى عليه السلام المذكور في
ـه التاسعة العظيمة (موسى الكتاب) أي التوراة (وجعلنا معه أخاه
([illegible]) كونه وزيرا لا ينافي كونه شريكا في النبوة والرسالة
بين الأخوة والـ ... الوزارة وقد كان يبعث في الزمن الواحد
وقت واحد ... بعضهم بعضا ... أو بيانا أو ...
ـل ... والقول الثاني ... رسالة ...
ـا اذهبا إلى القوم) أي الذين فيهم قوة رفعهم على ما يحاولونه وهم القبط
ـذبوا بآياتنا) فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما (فدمرناهم تدميرا)
ـفالآيات ... أولى ... (فإن
لا ... لم ... على ... اليوم ...
ـعنى ... لا على الوقوع أو ... على إرادة
على ... أي أولها وآخرها الإتيان ... من القصة ...
ـل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (تنبيه) ... كذبوا
الآيات على الآيات الإلهية فهو ظاهر وإن حملناه على تكذيب
كان للماضي فالمراد به المستقبل القصة الثانية قصة نوح عليه
تعالى (وقوم) أي ودمرنا قوم (نوح لما كذبوا الرسل) فإنهم كذبوا
صريحا أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع بالقوة لأن

أو رأيته من الخطاف
هو ام انتقلت ام

هناك كيف يليق هذا بمن وصفه الله تعالى بالرحمة في قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
أجيب بأن نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر
ذلك لم يدع عليهم بل انتظر لما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالأمر
له بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فافترقا ثم ذكر الشبهة الخامسة لمنكري النبوة ما حكاه الله تعالى
عنهم بقوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي الذين غطوا عنادا أو حسدا ما تشهد به عقولهم بصحته
أن القرآن كلام الله تعالى لإعجازه لهم مفرقا فضلا عن كونه مجتمعا (لولا) أي هلا (نزل عليه
القرآن) أي نزل كله مجموعة أجزاؤه لا ينقص قوله (جملة) وأكدوا قولهم (واحدة)
من أوله إلى آخره كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود فتحقق
من عند الله تعالى ويزول عنا ما نتوهمه من أنه الذي يرتبه قليلا قليلا وهذا الاعتراض
في غاية السقوط لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقا مع أن للتفريق فوائد منها ما أشار
إليه بقوله تعالى (كذلك) أي أنزلناه شيئا فشيئا على هذا الوجه العظيم الذي أنكروه (لنثبت)
أي نقوي (به فؤادك) أي قلبك فتعيه وتحفظه لأن المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم
شيئا فشيئا وجزءا عقب جزء ولو ألقي عليه جملة واحدة لتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم
فارقت حاله حال داود وموسى وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم
كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزله الله عليه منجما في عشرين سنة
وقيل في ثلاث وعشرين سنة وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين
ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا (فإن قيل) ذا في كذلك
يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم هو إنزاله جملة فكيف فسر كذلك بأنزلناه
مفرقا (أجيب) بأن الإشارة إلى الإنزال مفرقا لا إلى جملة والدليل على فساد هذا الاعتراض
أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور
فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا إلى المحاربة ثم
قالوا هلا نزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته وقوله تعالى
(ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال تعالى كذلك فرقناه
ورتلناه ترتيلا ومعنى ترتيله قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترسل وتثبت وقال
السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد بعضه في إثر بعض وقال الحسن فرقناه آية بعد آية
وقفة وقفة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل
القرآن ترتيلا أي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في صفة قراءته
لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها وقيل هو أن نزله مع كونه متفرقا على
تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم تفرقه في مدة متقاربة ولما كان التقدير
لبطل ما أتوا به من هذا الاعتراض عطف عليه (ولا يأتونك) أي يا أشرف الخلق أي
المشركون (بمثل) أي باعتراض في إبطال أمرك يخيلون به لعقول الضعفاء يجيدون في
تحسينه وطلاوته حتى يصير عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى (إلا جئناك
به (بالحق) أي الذي لا محيد عنه فنزهق ما أتوا به لبطلانه فيما يوردون من الشبه

مطرت) أي وقع إمطارها من لا يقدر على الإمطار سواه بالحجارة ولذا قال تعالى (مطر السوء)
هي سدوم وهي قرى قوم لوط قال البغوي كانت خمس قرى فأهلك الله تعالى أربعا منها
لعملهم الفاحشة ونجت واحدة منهم وهي صغر وكان أهلها لا يعملون ذلك العمل الخبيث (فإن
قيل) لم عبر تعالى بالقرية وهي قرى (أجيب) بأنه تعالى قال ذلك لقصد الشأن في جنب قدرته
تعالى وإهانة لها بعذابه ولأنها كلهم على الفاحشة مجتمعهم حتى كأنهم شيء واحد
وقوله تعالى (أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون) أي لا يخافون (نشورا) أي بعثا بعد
الموت لأنه استقر في أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة واستمروا عليه قرنا بعد قرن حتى
تمكن منهم ذلك تمكنا لا ينفع معه الاعتبار إلا من شاء الله (وإذا رأوك) أي مع ما يعلمون من
صدقك حديثك وكرم أفعالك ولو لم تأتهم بمعجزة فكيف وقد أتيتهم بما بهر العقول (إن) أي ما
(يتخذونك إلا هزوا) أي مهزوا به وعبر تعالى بالمصدر إشارة إلى مبالغتهم في الاستهزاء
مع شدة بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون (أهذا الذي بعث الله رسولا) أي في
دعواه محتقرين له أن تأتيه الرسالة وقولهم (إن) مخففة من الثقيلة أي إنه (كاد ليضلنا) أي
يصرفنا (عن آلهتنا) أي عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد
مما يسبق إلى الذهن أنها حجج ومعجزات (لولا أن صبرنا) أي ثبتنا من الاجتماع والتعاضد
(عليها) أي على التمسك بعبادتها قال الله تعالى (وسوف يعلمون) أي في حال لا ينفعهم فيه
العمل ولا العلم وإن طالت مدة الإمهال في التمكين (حين يرون العذاب) عيانا في الآخرة
(من أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا أهم أم المؤمنون ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا
على رجوعهم ولزوم ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم سلاه تعالى بقوله تعالى متعجبا من حالهم
(أرأيت) أي أخبرني (من اتخذ إلهه هواه) أي أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا ينظر
دليلا (فإن قيل) لم أخر هواه والأصل قولك اتخذ الهوى إلها (أجيب) بأنه ما هو إلا تقديم
المفعول الثاني على الأول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق ولما كان
لا يقدر على صرف الهوى إلا الله تعالى تسبب عن شدة حرصه على هداهم قوله تعالى (أفأنت
تكون عليه وكيلا) أي حافظا تحفظه من اتباع هواه لا تقدر على ذلك (أم تحسب أن
أكثرهم) أي هؤلاء المدعوين (يسمعون) أي سماع من ينتفع ولو كان شيئا قليلا كالبهائم
(أو يعقلون) أي كالبهائم ما يرون وإن لم يكن لهم سمع حتى تطمع في رجوعهم باختيارهم من
غير قسر (فإن قيل) إنه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الإعراض عن
الدين وكيف بعث إليهم الرسول فإن من شرط التكليف العقل (أجيب) بأنه ليس المراد أنهم
لا يعقلون شيئا بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره إذا لم يفهم إنما
أنت أعمى وأصم (فإن قيل) لم خص الأكثر بذلك دون الكل (أجيب) بأنه كان منهم من آمن
ومنهم من عقل الحق فكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ولما كان هذا الاستفهام مفيدا
للنفي استأنف ما أفهمه بقوله تعالى (إن) أي ما (هم إلا كالأنعام) أي في عدم انتفاعهم بقرع
الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل) أي منها
(سبيلا) لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها

المعجزات هي البرهان على صدقهم وهي متساوية الأقدام في كونها خوارق لا يقدر على
معارضتها فالتكذيب بشيء منها تكذيب للجميع أو لم يروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة
فهم قوم ينفون بعثة الرسل ونسبوا إلى رجل يقال له برهام قد مهد لهم ذلك وقرره في عقولهم
وإلا لما علوا تكذيبهم بأنه من البشر لزمهم تكذيب كل رسول من البشر * ثم بين تعالى
تدميرهم بقوله تعالى (أغرقناهم) قال الكلبي أمطرنا عليهم السماء أربعين يوما وأخرج ماء
الأرض أيضا في تلك الأربعين فصارت الأرض بحرا واحدا (وجعلناهم) أي قوم نوح في ذلك
(للناس آية) أي لمن بعدهم عبرة ليعتبر كل من سلك طريقهم (وأعتدنا) أي هيأنا في الآخرة
(للظالمين) أي الكافرين وكان الأصل لهم ولكنه تعالى أظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
(عذابا أليما) أي مؤلما سوى ما يحل بهم في الدنيا * القصة الثالثة قصة هود عليه السلام
المذكورة في قوله تعالى (وعادا) أي ودمرنا عادا قوم هود بالريح * القصة الرابعة قصة صالح
عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وثمودا) أي ودمرنا ثمودا قوم صالح بالصيحة * القصة
الخامسة المذكورة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) أي البئر التي هي غير مطوية أي مبنية قال
ابن جرير والرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر أي ودمرناهم بالخسف واختلف
في نبيهم فقيل شعيب وقيل غيره كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم فهلكوا جميعا
وقال الكلبي الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وفلج بفتح الفاء واللام
والجيم قرية عظيمة بناحية اليمن من مساكن عاد وبسكون اللام واد قريب من البصرة وقيل
الرس الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل أصحاب حنظلة بن صفوان
كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن
جبلهم الذي يقال له فتخ قيل هو بفاء فوقية فخاء معجمة أو مهملة وبالفوقية وجيم وهي تنقض
على صبيانهم فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا
حنظلة فأهلكوا (وقرونا) أي ودمرنا قرونا (بين ذلك) أي الأمر العظيم المذكور وهو
بين كل أمتين من هذه الأمم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب
أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود ثم قال الله
تعالى (كثيرا) وتأملك بما يقول فيه سبحانه وتعالى إنه كثير وأسند البغوي في تفسير آية
ومطاف البقرة عن أبي سعيد الخدري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة
العصر فما ترك شيئا إلى يوم القيامة إلا ذكره في مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤوس
النخل وأطراف الحيطان قال إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا ألا وإن هذه
الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها وأكرمها على الله عز وجل ثم إنه تعالى قال تسلية لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وتأسية وبيانا لشريعته بالعفو عن أمته (وكلا) أي من هذه الأمم
(ضربنا) أي بينا للناس العظمة (له الأمثال) حتى وضح له السبيل وقام من غير شبهة الدليل
(وكلا تبرنا تتبيرا) أي أهلكنا إهلاكا قال الأخفش كسرنا تكسيرا وقال الزجاج كل
شيء كسرته وفتته فقد تبرته (ولقد أتوا) أي هؤلاء المكذبون من قومك (على القرية التي

مدة ورافة لانقطاع الرزق وخموده وفيه الاشارة الى أن النوم واليقظة أنموذجان للموت
والنشور وحكي ان لقمان قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ثم ذكر
النوع الثالث بقوله تعالى (وهو) اي وحده (الذي أرسل الرياح) وقرأه ابن كثير بالافراد
لارادة الجنس وقرأه الباقون بالجمع لكونها تارة صبا وتارة دبورا وتارة شمالا وتارة جنوبا
وغير ذلك وبين العلماء في هبوب الريح ويكره سب الريح لخبر الريح من روح الله تأتي بالرحمة
وتأتي بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه
أبو داود وغيره باسناد حسن وقوله تعالى (نشرا) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون
والشين اي ناشرات للسحاب وقرأه ابن عامر بضم النون وسكون الشين على التخفيف
وقرأه عاصم بالباء الموحدة مضمومة وسكون الشين جمع بشير أي مبشرات وقرأه حمزة
والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر وصف به (بين يدي رحمته) اي قدام
المطر ولما كان الماء مما اقتضاه الريح من السحاب أتبعه به بقوله تعالى (وأنزلنا)
اي بما لنا من العظمة (من السماء) اي من السحاب أو الجرم المعهود (ماء) ثم أبدل منه ما
النعمة به فقال تعالى (طهورا) اي طاهرا في نفسه مطهرا لغيره كما قال تعالى في آية أخرى
ليطهركم به فهو اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به والسحور اسم لما يتسحر به
والفطور اسم لما يفطر به قال صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته أراد به
المطهر فالماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والنجاسة وذهب بعض الائمة الى أن
الطهور هو الطاهر حتى جوز ازالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخل وماء الورد ولو جاز الا
النجاسة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (لنحيي به) اي بالماء
(بلدة ميتا) اي بالنبات وذكر ميتا لان البلدة في معنى المكان (ونسقيه) اي ذلك الماء ومن أسقاه
من يستقيه وهما لغتان قال ابن القطاع سقيته وأسقيته [illegible]
وأرضه (مما خلقنا أنعاما) أي إبلا وبقرا وغنما (وأناسي كثيرا) جمع انسان وأصله أناسين
فابدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع انسي وقدم تعالى النبات لانه سبب لحياة الانعام
والانعام على الانسان لان بها كمال حياته (فان قيل) لم خص الانعام من بين ما خلق من
الحيوان (أجيب) بان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام
ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي أنعامهم كالانعام
بسقيهم (فان قيل) لم نكر الانعام والاناسي ووصفوا بالكثرة (أجيب) بان جل الناس
منيخون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء فهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم
وهم كثير منهم لا يعيشون الا بما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله تعالى لنحيي به

وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثوا
يتقون العذاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون ا
والعذب الروى ولما بين تعالى جهل المعرضين عن دلائل الاو
أنواعا من الدلائل على وجود الصانع أولها الاستدلال بالنظر
الخاص من الناظر بهذا النظر حالا هل وده على مثل الخ بقوله
ربك) اى الى صنعه وقدرته (كيف مد الظل) وهو ما بين طلـ
جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه كما قال تعالى في ظل الجنة وظ
وان كان بينهما فرق وهو الليل لان ظل الارض الممدود على
يحجب نور الشمس عما قابل قرص الشمس من الارض حتى امتد بساط
ظله لابصارهم أفواه عقولهم وعقل طباعهم نفوذ اسماعهم (ولو
اى دائما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس لاصقا باصل كل مظ
منبسط فلم ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا
تعالى لم يشأ بل جعله متحركا كما يسوق الشمس له وقال أبو عبيدة
بالغداة والعشى ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمى فيأ لانه فا
المغرب (ثم جعلنا الشمس عليه) اى الظل (دليلا) اى ان الناس
في مسيرها على أحوال الظل من كونه ثابتا في مكان أو زائلا و
الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والاشياء تـ
اى الظل (الينا) اى الى الجهة التي أردنا لا يقدر أحد غيرنا أن يحـ
جمع المنبسط من الفئ ومعناه ان الظل لم يجمع الارض قبـ
قبض الله الظل (قبضا يسيرا) اى على مهل وفي هذا القبض ا
ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر
جملة وقيل المراد من قبضه يسيرا قبضها عند قيام الساعة
الاجرام التي تلقى الظلال وقوله تعالى يسيرا كقوله تعالى حشر
هذين الموضعين كيف موقعها (أجيب) بان موقعها بيان تفا
الثاني أعظم من الاول والثالث أعظم منهما تشبيها لتباعد ما بـ
الحوادث في الوقت * ولما تضمنت هذه الآية الليل والنهار و
مصرحا بهما (وهو) اى ربك المحسن اليك وحده (الذي جعـ
لنعمه على الخلق (الليل لباسا) اى الذي تكامل به مد الظل (لـ
ظلامه كاللباس في ستره (والنوم سباتا) اى راحة للابدان بقطع
موتا أصغر طاويا لما كان من الاحساس قاطعا لما كان من الت
البصائر قال البغوي وغيره وأصل السبت القطع وفي جعله نعا
والتنبيه ما لا يعد ولا يحصى وكذا في قوله تعالى (وجعل) اى

معنى البلدة وهو المكان
الى لفظها والمرفوعة
بنفسه الاخفى وقدم في

وفي ذلك اقبال كثير من الناس اليك واجتماعهم عليك فتقوى أمرك ويعظم خطبك وتضعف شوكتهم وتنكسر سورتهم فان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف * ثم ذكر النوع الرابع بقوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي الماءين الواسعين المكثرين بأن خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته تعالى يفصل بينهما ويمنعهما التمازج (هذا عذب) أي حلو سائغ (فرات) أي شديد العذوبة بالغ الغاية فيها حتى يضرب الى الحلاوة ولا فرق بين ما كان منه على وجه الارض وما كان في بطنها (وهذا ملح) أي شديد الملوحة (أجاج) أي محرق بملوحته ومرارته لا يصلح لسقي ولا شرب * (تنبيه) * أشار تعالى باداة القريب في الموضعين تنبيها على وجود الوصفين مع شدة المقاربة لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى انه اذا حفر على شاطئ البحر الملح بالقرب جدا منه خرج الماء عذبا (وجعل) أي الله تعالى (بينهما برزخا) أي حاجزا من قدرته مانعا من اختلاطهما ثم انه تعالى أتم تقرير النعمة في منعهما من الاختلاط بالكلمة التي جرت عادتهم بقولها عند التعوذ تشبيها للمنع منهما بالمتعوذ بقوله تعالى (وحجرا محجورا) فكان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له ذلك كما قال تعالى لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالملوحة أو العذوبة فانتفاء البغي كالتعوذ وهنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهو من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة (فان قيل) لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا (أجيب) بأن المراد منه الأودية العظام كالنيل وجيحون ومن البحر الاجاج البحار الكبار * ثم ذكر النوع الخامس بقوله تعالى (وهو) أي وحده (الذي خلق من الماء) أي المني من الرجل والمرأة (بشرا) أي انسانا (فجعله) أي بعد ذلك بالتطوير في أطوار الخلقة والتدوير في أدوار التربية (نسبا) أي ذكرا ينسب اليه (وصهرا) أي أنثى يصاهر بها فقسم هذا الماء بعد التطوير الى ذكر وأنثى كما جعل ذلك الماء قسمين عذبا وملحا وهو كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها قال البغوي وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد ذكر الله تعالى أنه حرم بالنسب سبعا في قوله تعالى في النساء حرمت عليكم أمهاتكم (وكان ربك) أي المحسن اليك بارسالك وانزال هذا الذكر اليك (قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطبائع متباعدة وجعله قسمين ذكرا وأنثى وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى ويوفق من يشاء فيجعله حسن الخلق سهل الاخلاق ويخذل من يشاء فيجعله صعب الاخلاق كثير الشقاق عظيم النفاق * ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرتهم فقال تعالى (ويعبدون) أي هؤلاء الكفرة (من دون الله) أي مما يعلمون أنه في الرتبة دون الله المجتمع لصفات الكمال والعظمة بحيث انه لا ضر ولا نفع الا وهو بيده (ما لا ينفعهم) بوجه من الوجوه ان عبدوه في ازالة كربة (ولا يضرهم) في ازالة نعمة من نعم الله تعالى عليهم ان تركوه (وكان الكافر) أي مع علمه بضعفه وعجزه (على ربه) أي المحسن اليه لا غيره (ظهيرا) أي معينا للشيطان من الانس والجن على أولياء الله

بالمقيمين بها وبعض البلاد هؤلاء المبعدين عن مظان الماء
تعالى (ولقد صرفناه بينهم) على ثلاثة أوجه أولها قال
صرفنا نزول الماء من وابل وطل وغير ذلك مرة ببلدة ومرة ببلدة
بالمطر من عام آخر ولكن الله تعالى يصرفه في الارض وتارة
صرفوعا من ساعة من ليل أو نهار الا والسماء تمطر فيها فيصرف
عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن
يقسمها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل
قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف
وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام
البلاد ثانيها قال أبو مسلم الضمير راجع الى المطر والسحاب
من الادلة ثالثها صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن
أنزلت على الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ذكر انشاء السحاب
اى ليتفكروا ويعلموا كمال القدرة وحق النعمة ويقوم
يذكروا ويتذكروا وادغمت التاء في الذال وقرأ حمزة والكسائي
مخففة والباقون بفتح الذال والكاف مشددتين (فأبى
بعبادتهم (الا كفورا) اى جحود النعمة وقلة الاكتراث
قالوا مطرنا بنوء كذا وهو بفتح النون وهمزة آخره وقت ال
اضافة المطر الى الانواء فكره أن يقول ذلك لايهامه ان النوء
أنه الفاعل لحقيقة كفر روى زيد بن خالد الجهني قال صلى
صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف
تدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح
وكافر بي فأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي
قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب
بالباء أنه لو قال مطرنا في نوء كذا لم يكره ونقل الشافعي عن بعض
المطر مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
بالناس من العظمة ونفوذ الكلمة (في كل قرية نذيرا) أى
الا ذكرا وغيرهم كما قسمنا المطر عليها وانما قصرنا الامر
وفضلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) فيما قصدوا
يبدونه من المقترحات أو يظهرون لك من المداهنة أو من القا
لك انك لو أقللت منه رجوا أن يوافقوك وقابل ذلك بالتشدد
بالغلظة (به) أى القرآن الذي تقدم الحديث عنه في قوله تعالى
المدلول عليه بقوله تعالى فلا تطع أو بالسيف والاقرب الا
بالقتال ورد بعد الهجرة بزمان (جهادا كبيرا) أى جامعا لكل

أرضهم وأنعامهم فقدم
ما هو سبب حياتهم ومعاشهم
ولان سقي الارض بماء

علمه و[illegible] أن يتوكل عليه وصف تعالى نفسه بأن وصفها أنه حي لا يموت و[illegible] أنه عالم بجميع
المعلومات ووصفها أنه قادر على كل الممكنات وهو قوله تعالى (الذي خلق السموات والأرض
على عظمهما (وما بينهما) من الفضاء والعناصر والمواد وأعالمهم من الخلق [illegible]
بعلم من خلق وقوله تعالى (في ستة أيام) اى من أيام الدنيا [illegible] والمقصود منه تعليم
العالم في الحلم والاناة والصبر على عباد الله تعالى في دعوتهم (فإن قيل) الايام [illegible]
الشمس في السموات فقبل السموات لا أيام فكيف قال تعالى في ستة أيام (أجيب) انه تعالى
خلقها في مدة مقدارها هذه الايام (فإن قيل) لم على هذا القدر الزمان وهو قادر (أجيب)
بأن الله تعالى لو خلق هذه المدة أولا ثم خلق السموات والأرض ثم أوجد [illegible] أيام فلا [illegible]
ذلك القدر الزمان وقيل في ستة أيام من أيام الآخرة [illegible]
لان التعريف لا يمكن أن يكون بأمر مجهول [illegible] (فإن قيل) [illegible]
هذا المقدار (أجيب) بأنه يجب علينا أن نقطع [illegible]
لمن ذلك تقدير العدد كما يرسم اصحاب الخلاف [illegible]
بأن عشر السموات بالسبع [illegible]
والكفارات بالاقرار بأن كل ما [illegible]
[illegible]

(الرحمن) أي [illegible]
لرجاج وقيل الوقف على العرش ثم [illegible]
بالقطع [illegible] أو يكون [illegible]
من الفاتحة قوله تعالى (فاسأل به) [illegible]
المراد بقوله (خبيرا) أي عالما يخبرك بحقيقته هو الله تعالى ويكون من [illegible] كقولك
رأيت به أسدا والمعنى فاسأل الله الخبير بالاشياء قال الزمخشري أو فاسأل بسؤاله خبيرا
كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته انتهى قال الكلبي فقوله به [illegible]

تعالى وروى أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يراد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد
ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط وعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس فإن بعضهم مظاهر
لبعض على إطفاء نور دين الله قال تعالى وإخوانهم يمدونهم في الغي وهذا أولى لأن خصوص
السبب لا يقدح في عموم اللفظ ولأنه أوفق للظاهر لقوله تعالى ويعبدون من دون الله وقيل
معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من
قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه ونحوه قوله تعالى أولئك لا خلاق
لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولما كان التقدير تسلية له صلى الله عليه وسلم
الزم ما أمرت به ولا تحزن عليهم فإنا ما أرسلناك عليهم وكيلا عطف عليه
قوله تعالى (وما أرسلناك) يا أشرف الخلق بالناس المدعوين (إلا مبشرا) بالثواب على الإيمان
والطاعة (ونذيرا) أي محذرا بالعقاب على الكفر والمعصية ثم كأنه قيل فماذا أقول لهم
إذا طعنوا في الرسالة فقال تعالى (قل) أي لهم يا أكرم الخلق مشفقا عليهم طريقة
مشفقا عليهم بإزالة ما يكون موضع التهمة (ما أسألكم عليه) أي على تبليغ ما أرسلت به (من
أجر) فتتهموني أني أدعوكم لأجله ولا غرض لي إلا نفعكم ثم أكد هذا المعنى بقوله تعالى
مستثنيا لأن الاستثناء معيار العموم (إلا من) أي الأجر من (شاء أن يتخذ) أي يكلف نفسه
ويخالف هواه ويجعل له (إلى ربه سبيلا) فإنه إذا اهتدى بهدايته كان لي مثل أجره لانتفاع
من جهتكم الاهتداء فإنه تنقطع أجرائه ومطلوبه ولا مرية في أنه لا ينقص أحدا شيئا
من ثوابه فأفاد فائدتين الأولى أنه لا طمع له أصلا في شيء يخصهم والثانية إظهار الشفقة
البالغة حيث لم يقصد بنفعهم إلى الوصول إلى ربهم ثوابا لنفسه وقيل الاستثناء منقطع أي
لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا فليفعل وجرى على هذا الجلال المحلي وقال البيضاوي
الأول أظهر لأنه لم يسند السؤال المنفي إلى الفاعل إلى الله تعالى فما أسنده إلى المخاطبين
مع هذا التقدير انتهى وقرأ قالون والبزي وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر
وسهل ورش وقنبل الثانية ولهما أيضا إبدالها ألفا والباقون بتحقيق الهمزتين ولما بين
تعالى أن الكفار متظاهرون على إيذائه وأمره أن لا يطلب منهم أجرا أمره أن يتوكل عليه
في دفع جميع المضار وجلب جميع المنافع بقوله تعالى (وتوكل) أي أظهر العجز والضعف
واستسلم واعتمد في أمرك كله ولا سيما في مواجهتهم بالإنذار وفي ردهم عن عنادهم (على الحي
الذي لا يموت) فلا ضياع لمن توكل عليه فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون
فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن
يثق بعدها بمخلوق (وسبح) ملتبسا (بحمده) أي نزهه عن كل نقص مثبتا له كل كمال وقيل صل
شكرا على نعمه وقيل قل سبحان الله والحمد لله وحده وعلى هذا اقتصر الجلال المحلي (وكفى
به بذنوب عباده) أي ما ظهر منها وما بطن وكل ما سواه معيب (خبيرا) أي عالما مطلقا فلا يخفى
عليه خافية شيء منها وإن دق فلا عليك إن آمنوا أو كفروا وهذه الكلمة يراد بها المبالغة يقال
كفى بالعلم كمالا وكفى بالأدب مالا وهو بمعنى حسبك أي لا تحتاج معه إلى غيره لأنه تعالى خبير
بأحوالهم قادر على مكافأتهم وهذا وعيد شديد ولما أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله

وت بيت الشرى والجدى والدلو بيت زحل وهذه البروج
فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات فالحمل
والثور والسنبلة والجدى مثلثة أرضية والجوزاء والميزان
طان والعقرب والحوت مثلثة مائية (وجعل فيها) أى
أى شمسا وقرأ حمزة والكسائى بضم السين والراء على الجمع
حيث إنه أعظم من أن يوصف فى الجمع فهو قائم مقام الوصف كما
أو أنه جمع الشمس والكواكب الكبار والياقوت بكسر السين
وحده (وقمرا منيرا) أى مضيئا بالليل وولما ذكر تعالى
له تعالى (وهو الذى جعل الليل) أى الذى آيته القمر (والنهار)
فة) أى ذوى خلفة أى اختلاف فإن هذا يخلف ذاك
ال ابن عباس والحسن ومن فاته عمل بالليل يقوم أحدهما مقام
ما فاته فى الآخر قال شقيق جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى
الليلة قال أدرك ما فاتك من ليلتك فى نهارك فإن الله عز وجل
أراد أن يذكر) أى يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم أنه
الذات فحكيم على العباد وقرأ حمزة بسكون الذال وضم الكاف
والباقون بفتح الكاف والذال المشددتين (أو أراد شكورا)
الإيمان بكل منهما لما كان الآخر لأجل شكر الله وليجعل أحدهما
خلفة للآخر والإيمان بأن المنافى الأمور المقدرة بالأوقات
لكونه فعل وقت آخر وقد يحسن الأمر الإلى أحكمها العلى
جميلها من التذكر والشكر بأنهار كانت فى الليل مستقيمة
مسخرة وولما ذكر الله تعالى عباده الذين شأنهم من سخطه
بأن لو يخشون الناس من أسماء التنافرة الإعلامية لهم عنده
بأنفسهم بقوله تعالى (وعباد الرحمن) فأضافهم إليه تشريفا لهم
أضافهم إلى صفة الرحمة الأبلغ الذى أنكرها أولئك تبشيرا لهم
المتكبرين عن السجود إشارة إلى أنهم تخلقوا من هذه الصفة
بقوله تعالى (الذين يمشون) وقال تعالى (على
الأرض وهذا على السعي فى معالى الأخلاق (هونا) أى مشيا
ليس فيه بالرفق واللين ومنه الحديث أحبب حبيبك هونا ما
إذا عز أخوك فهن والمعنى إذا عاشرتهم فاعرف لهم
لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا
العلماء إلى كراهة المشى فى الأسواق لقوله تعالى ويمشون فى الأسواق
بدا وفى خبره وجهان أحدهما الجملة الأخيرة فى آخر السورة
أى والذين يمشون وما بعده صفات للمبتدأ والثانى أن الخبر

الذي في القرآن منسوخ
بقوله تعالى قل ما سألتكم
من أجر فهو لكم إن أجري
إلا على الله على ما مر تحقيقه

السموات والارض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى
لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والارض والاستواء على العرش ولا يعلمها
أحد الا الله تعالى والثاني أن تكون الباء بمعنى عن اما مطلقا واما مع السؤال خاصة كهذه
الآية وكقول علقمة بن عبدة

فان تسألوني بالنساء فانني * خبير بأدواء النساء طبيب

والضمير في به لله وخبيرا من صفات الله وهو جبريل عليه السلام فعن ابن عباس أن ذلك
الخبير هو جبريل وانما قدم لرؤس الآي وحسن النظم وقال ابن جرير الباء في به صلة والمعنى
فاسأله خبيرا وخبيرا نصب على الحال وقيل يجري مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله
الذي تساءلون به وقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من ينكره
ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وكان يقال له
رحمن اليمامة وقيل فاسأل بسبب سؤالك اياه خبيرا عن هذه الامور وكل أمر تريده فيخبرك
بحقيقة أمره ابتداء وحالا ومآلا فلا يضيق صدرك بسبب هؤلاء المدعوين فانه ما أرسلك
الا وهو عالم بهم فسيعلي كلمتك عليهم ويحسن لك العاقبة وقرأ ابن كثير والكسائي بالنقل
وكذا يقرأ حمزة في الوقف والباقون بسكون السين وفتح الهمزة ولما ذكر تعالى احسانه اليهم
وانعامه عليهم ذكر ما أبدوه من كفرهم في موضع شكرهم بقوله (واذا قيل لهم) أي من أي
قائل قال هؤلاء الذين يتقلبون في نعمه (اسجدوا) أي اخضعوا بالصلاة وغيرها (للرحمن) أي
الذي لا نعمة لكم الا منه (قالوا وما الرحمن) متجاهلين في معرفته فضلا عن كفر نعمته معبرين
بأداة ما لا يعقل وقال ابن عربي انما عبروا بذلك اشارة الى جهلهم بالصفة دون الموصوف ثم
عجبوا من أمره بذلك منكرين عليه بقولهم (أنسجد لما تأمرنا) فعبروا عنه بعد التجاهل
في أمره والانكار على الداعي اليه أيضا بأداة ما لا يعقل (وزادهم) أي هذا الامر الواضح
المقتضي للاقبال والسكون شكر النعمة وطمعا في الزيادة (نفورا) أي عن الايمان والسجود
(تنبيه) هذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع والسامع أن يسجد
عند قراءتها أو سماعها وقرأ واذا قيل لهم هشام والكسائي بالاشمام وهو ضم القاف مع سكون
الياء والباقون بكسر القاف وقرأ لما يأمرنا حمزة والكسائي بالياء التحتية والباقون بالتاء
الفوقية وأبدل ورش والسوسي الهمزة ألفا وقفا ووصلا وحمزة وقفا لا وصلا * ولما حكى تعالى
عن الكفار مزيد النفرة عن السجود وذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود
والعبادة للرحمن قال عز من قائل (تبارك) أي ثبت ثباتا لا نظير له (الذي جعل في السماء) التي
تقدم أنه اخترعها واختلف في معنى قوله (بروجا) فقال الزجاج ومجاهد وقتادة هي النجوم
الكبار سميت بروجا لظهورها وقال عطية العوفي هي القصور فيها الحرس كما قال تعالى ولو
كنتم في بروج مشيدة وقال عطاء عن ابن عباس هي الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب
السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة
والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا المريخ
والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسد

فيضيعوا الاموال في غير حقها (ولم يقتروا) اي لم يضيقوا فيضيعوا الحقوق (وكان) اي
انفاقهم (بين ذلك) اي الاسراف والاقتار (قواما) اي وسطا (تنبيه) اسم كان ضمير يعود
على الانفاق المفهوم من قوله تعالى انفقوا وخبرها قواما وبين ذلك معمول له وقيل غير ذلك
وذكر المفسرون في الاسراف والتقتير وجوها احدها قال الرازي وهو الاقوى وصفهم
بالقصد الذي هو بين الغلو والتقتير وبمثله امر صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية قال ما عال من اقتصد وسأل رجل بعض العلماء
ما البناء الذي لا سرف فيه قال ما سترك من الشمس واكنك من المطر قال فما الطعام الذي
لا سرف فيه قال ما سد الجوعة قال فما اللباس الذي لا سرف فيه قال ما ستر عورتك وادفاك
من البرد ثانيها وهو قول ابن عباس الاسراف النفقة في معصية الله تعالى والاقتار منع
حق الله تعالى وقال مجاهد لو انفق احد مثل جبل ابي قبيس ذهبا في طاعة الله تعالى لم يكن
سرفا ولو انفق صاعا في معصية الله تعالى كان سرفا وقال الحسن لم ينفقوا في معاصي الله ولم
يمسكوا عما ينبغي وانشدوا

ذهاب المال في حمد واجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه
شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت
وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت
عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته واحواله فقال الحسنة بين
السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني افهذا ايضا اعده ثالثها
السرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وان كان من حلال لانه يؤدي الى الخيلاء
وكسر قلوب الفقراء فكانت الصحابة لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال
والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر
عوراتهم ويقيهم من الحر والبرد وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي
الرجل شيئا الا اشتراه فاكله وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء التحتية وكسر التاء الفوقية من
اقتر وابن كثير وابو عمرو بفتح التحتية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم
الفوقية ولما ذكر تعالى ما تحلوا به من اصول الطاعات اتبعه ذكر ما تخلوا عنه من امهات
المعاصي التي هي الفحشاء والمنكر وهو الصفة السادسة بقوله تعالى (والذين لا يدعون) اي
رحمة لانفسهم واستعمالا للعدل (مع الله) اي الذي اختص بصفات الكمال (الها آخر) اي
دعاء جليا بالعبادة ولا خفيا بالرياء ولما نفى عنهم ما يوجب قتل انفسهم بخسارتهم اياها
اتبعه نفي قتل غيرهم بقوله سبحانه (ولا يقتلون النفس) رحمة للخلق وطاعة للخالق ولما كان
من الانفس ما لا حرمة له بين المراد بقوله تعالى (التي حرم الله) اي منع من قتلها (الا بالحق)
اي بان تعمل ما يبيح قتلها ولما ذكر القتل الجلي اتبعه الخفي بتضييع نسب الولد بقوله
تعالى (ولا يزنون) اي رحمة للمزني بها وللاقارب ان تنتهك حرماتهم مع رحمة لانفسهم على ان
الزنا ايضا جار الى القتل والفتن وفيه التسبب الى ايجاد نفس بالباطل كما ان القتل سبب الى

الذين يمشون * الصفة الثانية (وإذا خاطبهم الجاهلون) أي بما يكرهون (قالوا سلاما) أي تسلما
منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر أي فنسلم منكم تسلما فأقيم السلام مقام التسلم
وقيل قالوا سدادا من القول أي يسلمون فيه من الإثم والإيذاء وليس المراد التحية لأن
المؤمنين لم يؤمروا بالسلام على المشركين وعن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة إلى
ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في
الأدب والمروءة والشرع بمعنى أسلم للعرض والورع وأطلق الخطاب إعلاما بأن أكثر خطاب
الجاهل وهو الذي يخالف العلم والحكمة الجهل وهو السفه ومنه قول الأديب من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

* ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين الخلق ذكر ما بينهم وبينه وهي الصفة الثالثة بقوله تعالى
(والذين يبيتون) من البيتوتة قال الزجاج كل من أدركه الليل قيل بات وإن لم ينم كما يقال
بات فلان قلقا والمعنى يبيتون (لربهم) أي المحسن إليهم (سجدا) على وجوههم في الصلاة
وقدمه لأنه أدل على الخضوع وأخر عنه قوله تعالى (وقياما) أي على أقدامهم وإن كان تطويل
القيام أفضل للروي وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء قال
الزمخشري والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره وقيل من قرأ شيئا من القرآن في
صلاة وإن قل فقد بات ساجدا وقائما وقال ابن عباس من صلى بعد العشاء ركعتين فقد
بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وعن عثمان
ابن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عشاء الآخرة في
جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة كان كقيام ليلة * ولما ذكر تعالى
تهذيبهم للخلق والخالق وصفهم الله تعالى أنهم مع ذلك خائفون وجلون وهي الصفة الرابعة
بقوله تعالى (والذين يقولون ربنا) أي المحسن إلينا (اصرف عنا عذاب جهنم) قال ابن عباس
يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول ثم علل سؤالهم بقوله تعالى (إن عذابها كان)
أي كونا جبلت عليه (غراما) أي هلاكا وخسرانا ملحا لازما لا ينفك عنه كما قال

إن يعاقب يكن غراما وإن يعط جزيلا فإنه لا يبالي

ومنه الغريم لإلحاحه وملازمته فهم يبتهلون إلى الله تعالى في صرف العذاب عنهم لعدم
اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استقرار أحوالهم ولما ثبت لهم هذا الوصف أنتج قوله
تعالى (إنها ساءت) أي تناهت هي في كل ما يحصل منه سوء وهي في معنى بئست في جميع الأحوال
(مستقرا) أي موضع استقرار (ومقاما) أي موضع إقامة * (تنبيه) * ساءت في حكم بئست
كما مر فيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما
هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها ويجوز أن تكون ساءت بمعنى
أحزنت فيها ضمير اسم إن ومستقرا حال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين
ومترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم * ولما ذكر تعالى أعمالهم وأقوالهم
أتبع ذلك بذكر إنفاقهم وهو الصفة الخامسة بقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا) أي للخلق
أو الخالق في واجب أو مستحب أو مباح (لم يسرفوا) أي لم يجاوزوا الحد في النفقة بالتبذير

في هذا الاستثناء على وجهين أحدهما أنه استثناء متصل وهو
والثاني أنه منقطع
العذاب
انقضاء
آخر فلا يأتي على هذا التقدير

...

كل يوم في زيادة
عليهم ما كانت ... ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

[illegible] امهاتهن [illegible] الصحيح [illegible] عبد الله بن مسعود [illegible] سألت النبي صلى الله [illegible]

اى الذنب أعظم وفى رواية أكبر عند الله قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك [illegible] ثم أى قال أن

تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فنزل [illegible] ذلك

والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية (ومن يفعل ذلك) [illegible]

[illegible] قتل خاص [illegible] والقتل [illegible]

[illegible] (يلق أثاما) [illegible]

الاشتراك بين المذنب [illegible]

المترتبة على احدى الروايتين [illegible]

على الاعظام الثانى [illegible] (يضاعف له العذاب) [illegible]

[illegible]

[illegible]

التصريح بالتوقيع [illegible] (أثاما) [illegible]

اى جزاء [illegible] الرابع [illegible] (يضاعف له العذاب) [illegible]

العذاب) [illegible] (يوم القيامة) [illegible]

أهول [illegible]

بقوله تعالى (ويخلد فيه) [illegible]

[illegible] واسقط الاقتصار [illegible]

[illegible] بالرفع على الاستئناف [illegible]

فلما عظم الامر من هذه الاوجه [illegible]

الاخص [illegible]

وان قتل الولد والزنا بحليلة الجار [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] كان الترتيب [illegible] (أجيب) [illegible]

[illegible] بالشرك [illegible] وبقتل الموؤدة [illegible]

الاتصال وحدها [illegible] الرحمن حتى يجتنب الفاحشة الكبائر وأجاب [illegible]

التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال تعالى وعباد الرحمن الذين لا يدعون

مع الله الها آخر وأنتم تدعون ولا يقتلون وأنتم تقتلون الموؤدة ولا يزنون وأنتم تزنون ولما

اتم تعالى تهديد الفجار على هذه الاوزار اتبعه ترغيب الابرار الى الفوز بالقرار بقوله تعالى

(الا من تاب) اى رجع عن كل شئ كان فيه من هذه النقائص (وآمن) اى أوجد الاساس

الذى لا يثبت عمل بدونه وهو الايمان وأكد رجوعه بقوله تعالى (وعمل عملا صالحا) اى

مؤسسا على اساس الايمان (فان قيل) العمل الصالح يدخل فيه التوبة والايمان فذكرهما

قبل العمل الصالح يستغنى عنه (أجيب) بانهما أفردا بالذكر لعلو شأنهما (تنبيه) اختلف

القرة لانها مصدر واصلها من القر لان العرب تتأذى من الحر وتستروح الى البرد وتذكر قرة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار وقال الازهري معنى قرة العين ان يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن الطموح الى غيره وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بالف بعد الياء على الجمع والباقون بغير الف على الافراد (واجعلنا للمتقين اماما) اي ائمة يقتدون بنا في امر الدين [illegible] والتوحيد [illegible] ما كتفي بالواحد لدلالته على الجنس واحد ولعدم اللبس [illegible] واجعل كل واحد منا او اراد وادعهم اماما كصائم وصيام [illegible] الاتحاد والاتفاق كأنفس واحدة [illegible] في الآية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان تطلب [illegible] فيها وقال الحسن نقتدي بالمتقين [illegible] اي المتقون [illegible] القاضي [illegible] المتقين لنا اماما [illegible] ثم [illegible] العشرة المبشرين بالجنة [illegible] المتقين [illegible] تعالى (اولئك) اي العالو الرتبة [illegible] (يجزون) [illegible] على ما وفقهم له من هذه الاعمال [illegible] (الغرفة) [illegible] العالي في الجنة [illegible] وهم في الغرفات آمنون وقيل هي من اسماء الجنة [illegible] الشهوات النفس [illegible] (بما صبروا) اي [illegible] واصبر [illegible]

[illegible]

(ومقاما) اي موضع اقامة وهذا مقابل ساءت مستقرا ومقاما [illegible] وتعالى صفات المتقين واثنى عليهم من اجلها [illegible] صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل) اي لكفار مكة (ما يعبأ) اي ما يصنع (بكم) [illegible] اولا يعتد بكم (ربي) اي المحسن الي والمكرم بالاحسان [illegible] خص بالاضافة لاعترافه [illegible] (لولا دعاؤكم) اي عبادتكم وما تضمنه [illegible] الاستفهام

كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها أي بأن يوفقه للخير فلا يسمع إلا ما يرضيه وهكذا ولما وصف سبحانه وتعالى
عباده بأنهم تحلوا بأصول الفضائل وتخلوا عن أمهات الرذائل ورغب في التوبة لأن
الانسان لعجزه لا ينفك عن النقص مدحهم بصفة أخرى وهي الصفة المذكورة في قوله
تعالى (والذين لا يشهدون) أي لا يحضرون (الزور) أي القول المنحرف عن الصدق كذبا
كان أو مقاربا له فضلا عن أن يتفوهوا به لئلا يسمعوا أو يقروا عليه في مواعظ عيسى
ابن مريم عليه السلام إياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو
والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين ثم عطف عليه ما هو أعم منه بقوله تعالى (وإذا مروا
باللغو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كراما) أي آمرين بالمعروف
ناهين عن المنكرات إن تعلق بهم أمر أو نهي إشارة أو عبارة على حسب ما يرونه نافعا فإن لم يتعلق
بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه لقوله تعالى
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين
ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به
وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفار الأذى أعرضوا عنه ثم ذكر
الصفة الثامنة بقوله تعالى (والذين إذا ذكروا) أي ذكرهم غيرهم كائنا من كان لأنهم يعرفون
الحق بنفسه لا بقائله (بآيات ربهم) أي الذي وفقهم لما ذكر إحسانه إليهم في حسن تربيته لهم
بالاعتبار بالآيات المرئية والمسموعة (لم يخروا) أي لم يسقطوا (عليها صما) أي غير واعين لها
(وعميانا) أي غير متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر كأبي جهل والأخنس بن شريق بل
خروا سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال وهي صما
وعميانا دون الفعل وهو الخرور فالمراد نفي القيد دون المقيد كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو
نفي للسلام لا للقاء ثم ذكر الصفة التاسعة المذكورة في قوله تعالى (والذين يقولون) أي علما منهم
بعد اتصافهم بجميع ما مضى أنهم أهل للإمامة (ربنا هب لنا من أزواجنا) اللاتي قرنتهن بنا
كما فعلت بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فمدحت أزواجه في كلامك القديم وجعلت مدحهن
يتلى على تعاقب الأزمان والسنين (وذرياتنا قرة أعين) أي بأن نراهم مطيعين لك ولا شيء أسر
للمؤمن من أن يرى حبيبه يطيع الله تعالى وعن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من
أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وخصوا
الأزواج والذرية بذلك لأن الأقربين أولى بالمعروف * (تنبيه) * من في قوله تعالى من
أزواجنا يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من
أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن اجعلهم لنا قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي
أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح
وأتى بجمع القلة في أعين لأن المتقين الذين يفعلون الطاعة ويسرون بها قليلون في جنب
العاصين وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم ووحد

لائكة عليهم وبالسلام
لام الله عليهم لقوله تعالى
لام قولا من رب رحيم أو
راد بالتحية اكرام الله

في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء يعبأ بكم لولا عبادتكم
طاعتكم إياه كما قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (فقد كذبتم) بما أخبرتكم
حيث خالفتموه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقال قوم معناها ما يعبأ بمغفرتكم ربي
لولا دعاؤكم معه آلهة وما يفعل بعذابكم لولا شرككم كما قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم إن
شكرتم وآمنتم لولا دعاؤكم أي تضرعكم في الشدائد كما قال تعالى فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين وقوله تعالى فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ويجوز أن تكون
ما نافية ويجري على ذلك الجلال المحلي (فسوف) أي فقد يسعى تكذيبكم أن يجازيكم على
آثاره لكنه مع قدرته واختياره وقوته لا يبالي بكم بل (يكون) جزاء هذا التكذيب عند
انقضاء ما قدر لكم من الآجال (لزاما) أي لازما يحيق بكم لا محالة فاستعدوا وتهيؤا لذلك
اليوم فكل آت قريب وكل بعيد عنده كم قريب وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وأنه لوزم
بين القتلى لزاما قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون وعن ابن مسعود خمس قد مضين الدخان
والقمر والروم والبطشة واللزام وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن من قرأ سورة
الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب
فيها وأدخل الجنة بغير حساب حديث
موضوع والله
أعلم

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله سورة الشعراء)